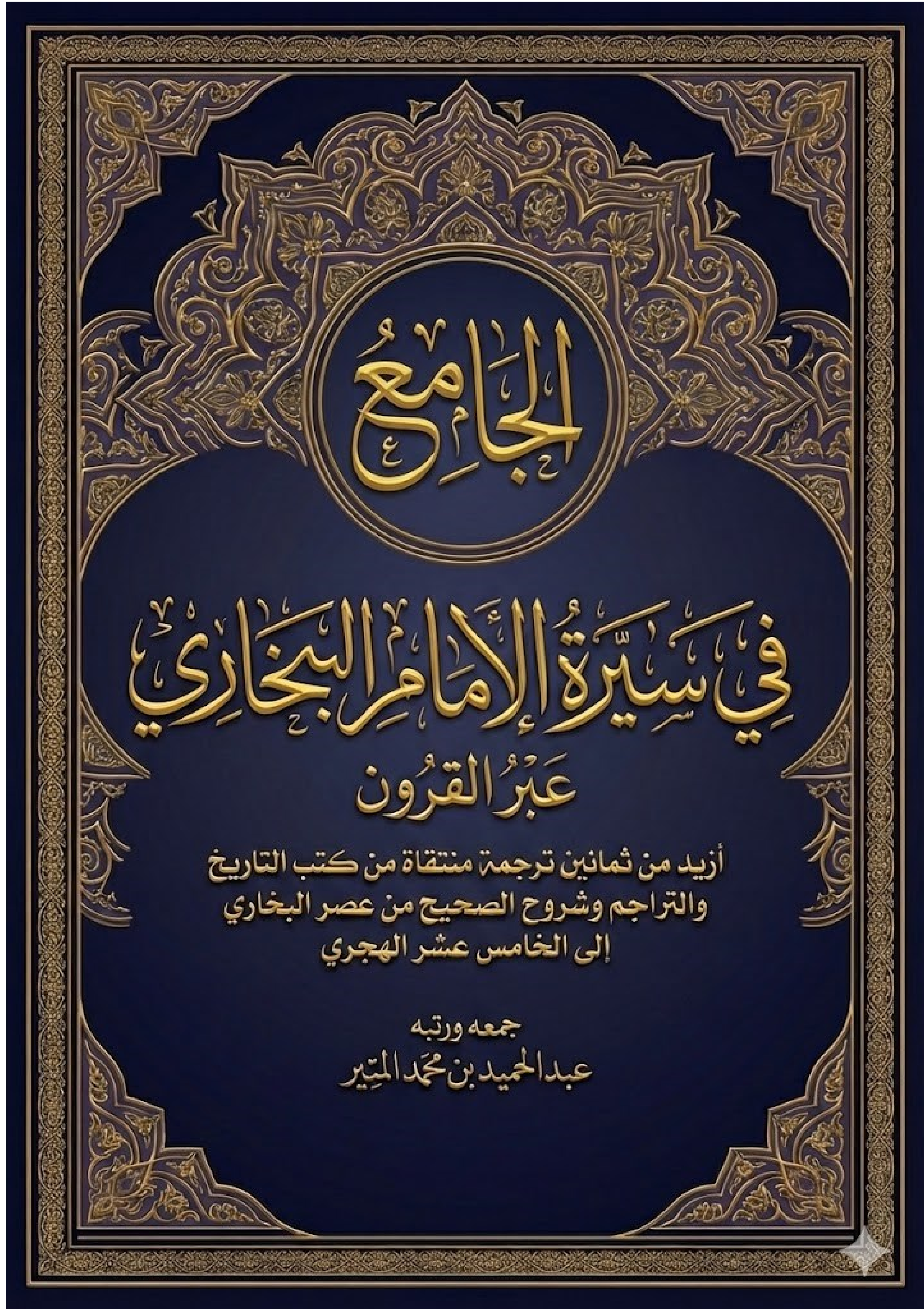

الجامع
في سيرة الإمام البخاري
عبر القرون
أزيد من ثمانين ترجمة منتقاة من كتب التاريخ
والتراجم وشروح الصحيح من عصر البخاري
إلى الخامس عشر الهجري
جمعه ورتبه
عبد الحميد بن محمد المنير

الجامع

في سيرة الإمام البخاري

الإصدار الأول

الخميس 8 رمضان 1441

الإصدار الثاني

الخميس 10 شعبان 1442

الإصدار الثالث

15 رمضان 1447

منشورات موقع مكتبة الإمام البخاري

https://imambokhari.blogspot.com/

هذا الكتاب وقف للمسلمين



"من نظر في سير السلف؛ عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال!"

الامام الزاهد حمدون بن أحمد القصار

"وأنا أدري أن طائفة من الكبار يستقلون عقلي في هذا القول، ولكن ما يعرف الشوق إلا من يكابده، ولا الصبابة إلا من يعاينها، ومن جهل شيئا عاداه، ولا قوة إلا بالله"

الامام الذهبي

إهداء

إلى الإمام العلم الفرد، تاج الفقهاء، وعمدة المحدثين، وسيد الحفاظ المتقنين، أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري -رحمه الله تعالى-.

إلى أبي رحمه الله تعالى طيب الله ثراه وجعل قبره روضة من رياض الجنة

إلى فضيلة شيخي الدكتور المحدث محمد زين العابدين رستم، خادم حديث النبي ﷺ.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله الطيبين، وصحابته الأكرمين.

أما بعد

من نعم الله على الإمام المبجل محمد بن إسماعيل البخاري، سيد الحفاظ، وأمير المؤمنين في الحديث، أن كتب الله له القبول عند المسلمين عربا وعجما، وغرس حبه في قلوب المؤمنين، وبارك في كتابه الجليل الجامع الصحيح، فسخر الله من سجل سيرة ومناقب هذا العبقري الفذ، وخلد آثاره وفضائله الجليلة في مصنفات وأجزاء مفردة، كما أن سيرته العطرة منثورة في مقدمات الشروح وبطون كتب الفهارس والتراجم.

بدأ الاهتمام بكتابة مناقب وسيرة هذا الإمام في أجزاء مفصلة موسعة منذ وفاته، فهذا تلميذه ووراقه وخادمه الأمين محمد بن ابي حاتم البخاري النحوي الوراق يؤلف جزءا ضخما في مناقب شيخه، وأصبح هذا الجزء مرجع الناس في معرفة أحوال البخاري، والوقوف على دقائق مناقبه وجليل أعماله وصفاته. ولوثاقة وأهمية ما أورده الوراق من أخبار عن شيخه تنافس العلماء على نقله رواية وتداوله نسخا الى أزمان متأخرة، حيث وقف الامام الذهبي عليه ونقل منه نقولا كثيرة في كتابه السير.

وقبل تأليف وراق البخاري لشمائل البخاري، كانت أول ترجمة للبخاري كتبها أحد حفاظ خراسان، وهو أبو الحسن أحمد بن سيار بن أيوب المروزي المتوفى سنة 268هـ في كتابه " تاريخ مرو".

ثم تتابع الأئمة على الترجمة له: الامام النسائي في كتابه" أسامي الشيوخ" رواية حمزة الكناني، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، وابن يونس في "تاريخه"، ومسلمة بن القاسم في "كتاب الصلة"، والإمام ابن حبان في كتابه الثقات، وابن عدي في "مشايخ البخاري"، وابن النديم في "فهرسته"، وأبو أحمد الحاكم في "الأسامي والكنى"، وأبو عبد الله الحاكم النيسابوري في " تاريخ نيسابور"، وغنجار في تاريخ بخارى، والمستغفري في "تاريخ نسف"، والخليلي في "الارشاد"، وهي ترجمات ما بين مختصرة ومتوسطة. ثم جاء الخطيب البغدادي فخصه بترجمة واسعة، حافلة وغنية بالمعلومات والأخبار التي استقاها من مصنفات مفقودة اليوم، وشابهه ابن عساكر فكتب ترجمة مطولة جليلة في كتابه تاريخ دمشق. ثم تتابع من جاء بعدهما على الاعتماد على ما خطه هذين الإمامين الكبيرين.

وابتداءا من القرن السابع أخذ العلماء في افراد سيرة مستقلة لهذا الإمام العظيم في مصنف خاص، منهم:

أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، المتوفي سنة أربع وثلاثين وستمائة للهجرة له كتاب (الاعلام بأخبار البخاري الامام، ومن بلغت روايته عنه من الأغفال والأعلام)، وقد وصف ابن عبد الملك المراكشي في (الذيل والتكملة) حجم الكتاب بأنه في كراة كبيرة.
وشمس الدين الذهبي المتوفي سنة ثمان وأربعين وسبعمائة للهجرة، له كتاب في (مناقب البخاري)، ذكر هذا الكتاب في عدة من مؤلفاته، ووصفه بأنه جزء ضخم فيه العجب. وابن ناصر الدين الدمشقي المتوفي سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة للهجرة له كتاب (تحفة الإخباري بترجمة البخاري)، وهو في جزء كبير مهم مطبوع. والحافظ ابن حجر المتوفي سنة اثنين

وخمسين وثمانمائة له كتاب (هداية الساري لسيرة البخاري)، وكتابه نفيس جيد أبدعت فيه يراعة هذا الامام صاحب الفتح. وعلي بن عبد المحسن بن الدواليبي المتوفي سنة ثمان وخمسين وثمانمائة للهجرة، له كتاب (ترجمة البخاري). ومحمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفي سنة اثنتين وتسعمائة للهجرة له كتاب (ترجمة البخاري). وعبد القادر بن عبد الله العيدروس المتوفي سنة ثمان وثلاثين وألف للهجرة له كتاب (مناقب البخاري). ومحمد بن علي البكري المتوفي سنة سبع وخمسين و الف للهجرة له كتاب (ترجمة البخاري). وإسماعيل بن محمد العجلوني المتوفي سنة اثنين ومائة والف للهجرة له كتاب (الفوائد الدراري بترجمة الامام البخاري)، والف تلميذه البسكري كتابا في مناقب البخاري.

وتيسيرا على الباحثين وعموم القراء، الراغبين في قراءة ودراسة سيرة هذا السيد الماجد الشهير، قمت بجمع ما تفرق من هذه التراجم في كتاب واحد، مرتب على تاريخ وفيات المؤلفين.

قالوا عن الإمام البخاري

أحمد بن حنبل

"انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان أبو زرعة الرازي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، والحسن بن شجاع البلخي".

" ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل".

محمد بشار البندار

"دخل اليوم سيد الفقهاء".

" ما قدم علينا مثل محمد بن إسماعيل".

"حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري، ومسلم بن الحجاج بنيسابور، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى".

" عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وأبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي، غلماني خرجوا من تحت كرسي".

محمد بن سلام

"هو الذي ليس مثله، محمد بن إسماعيل".

إسحاق بن راهويه

" يا معشر أصحاب الحديث، انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه، فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن لاحتاج إليه الناس لمعرفته بالحديث وفقهه".

علي بن المديني

ذكر لعلي بن المديني قول محمد بن إسماعيل: ما تصاغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني، فقال: " ذروا قوله، هو ما رأى مثل نفسه ".

علي بن حجر

"أخرجت خراسان ثلاثة، أبا زرعة الرازي بالري، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى، وعبد الله بن عبد الرحمن بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل عندي أبصرهم وأعلمهم وأفقههم".

مسلم بن الحجاج

" دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله"

يحيى بن جعفر

"لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموت محمد ابن إسماعيل ذهاب العلم".

عمرو ابن علي الفلاس

"حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث".

أبو مصعب أحمد بن أبي بكر المديني

"محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر من ابن حنبل. فقال له رجل من جلسائه: جاوزت الحد! فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت كلاهما واحد في الفقه والحديث".

محمود بن النضر أبا سهل الشافعي

"دخلت البصرة، والشام، والحجاز، والكوفة، ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم".

يعقوب بن إبراهيم الدورقي

"محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة".

أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة

"ما تحت أديم السماء أعلم من البخاري بالحديث "

أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي

"وحسبك بإمام الأئمة ابن خزيمة يقول فيه هذا القول مع لقيه الأئمة والمشايخ شرقًا وغربًا.

ولا عجب فيه، فإن المشايخ قاطبة أجمعوا على قدمه، وقَدَّمُوُه على أنفسهم في عنفوان شبابه، وابن خزيمة إنما رآه عند كبره وتفرده في هذا الشأن"

نعيم بن حماد

"محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة".

رجاء بن المرجى

"فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء. فقال له رجل: يا أبا محمد، كل ذلك بمرة؟ فقال: هو آية من آيات الله يمشي على ظهر الأرض".

أحمد بن سيار

"محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبو عبد الله طلب العلم، وجالس الناس، ورحل في الحديث، ومهر فيه وأبصر، وكان حسن المعرفة، حسن الحفظ، وكان يتفقه".

أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير

" ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل".

أبو علي صالح ابن محمد البغدادي

"كان محمد بن إسماعيل يجلس ببغداد وكنت أستملى له ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفا ".

محمد بن يوسف بن عاصم

" رأيت لمحمد بن إسماعيل ثلاثة مستملين ببغداد، وكان اجتمع في مجلسه زيادة على عشرين ألف رجل".

أحمد بن محمد الكرابيسي

"رحم الله الإمام أبا عبد الله البخاري، فإنه الذي ألف الأصول، وبين للناس، وكل من عمل بعده قد أخذ من كتابه".

موسى بن هارون الحمال

"عندي لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن ينصبوا مثل محمد بن إسماعيل آخر ما قدروا عليه".

أبو علي صالح بن محمد الأسدي

"ما رأيت خراسانيا أفهم منه".

محمد بن إدريس الرازي

"في سنة سبع وأربعين ومائتين يقدم عليكم رجل من أهل خراسان لم يخرج منها أحفظ منه ولا قدم العراق أعلم منه."

أبو حاتم الرازي

"محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق".

قتيبة بن سعيد

" شباب خراسان أربعة، محمد بن إسماعيل، وعبد الله بن عبد الرحمن، وزكريا بن يحيى اللؤلؤي، والحسن بن شجاع البلخي".

أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي

"كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله بن منير، فلما قام من عنده. قال يا أبا عبد الله جعلك الله زين هذه الأمة. قال أبو عيسى: فاستجيب له فيه".

" ولم أر أحدا بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل".

أبو بكر محمد بن إسحاق

"ما رأيت تحت أديم هذه السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخاري".

أبو عمرو أحمد بن نصر الخفاف

"محمد بن إسماعيل أعلم بالحديث من إسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، وغيره بعشرين درجة".

" ومن قال في محمد بن إسماعيل شيئا فمني عليه ألف لعنة".

" لو دخل محمد بن إسماعيل البخاري من هذا الباب لملئت منه رعبا- يعني لا أقدر أن أحدث بين يديه-".

"حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري التقي النقي العالم الذي لم أر مثله".

عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي

"قد رأيت العلماء بالحرمين، والحجاز، والشام، والعراقين، فما رأيت فيهم أجمع من أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري".

أبو جعفر عبد الله بن محمد الجعفي المسندي

"محمد بن إسماعيل إمام فمن لم يجعله إماما فأتهمه".

الحسين بن محمد المعروف بعبيد العجل

"ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، ومسلم الحافظ لم يكن يبلغ محمد بن إسماعيل. ورأيت أبا زرعة وأبا حاتم يستمعون إلى محمد بن إسماعيل أي شيء يقول يجلسون بجنبه، فذكرت له قصة محمد بن يحيى، فقال: ماله ولمحمد بن إسماعيل كان محمد ابن إسماعيل أمة من الأمم، وكان أعلم من محمد بن يحيى بكذا وكذا، وكان محمد بن إسماعيل دينا فاضلا يحسن كل شيء".

ابن منده الأصفهاني

"الإمامُ أبو عبد الله محمَّدُ بنُ إسماعيلَ البُخاريُّ"

أبو أحمد الحاكم

" أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري الحافظ.. وكان أحد الأئمة في معرفة الحديث وجمعه، ولو قلت إني لم أر تصنيفا يشبه تصنيفه في المبالغة والحسن، أو لم أسمع بآدمي يسرول في باب الحديث مثله رجوت أن أكون صادقا في قولي".

الحاكم أبو عبد الله الحافظ

"محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله الجعفي، إمام أهل الحديث بلا خلاف أعرفه بين أئمة أهل النقل فيه، إلا أن يكون كما قال الأول:

بحسبك أني لا أرى لك عائبا ... سوى حاسد والحاسدون كثير"

ابن حبان صاحب الصحيح

"كان من خيار الناس ممن جمع وصنف ورحل وحفظ وذاكر وحث عليه، وكثرت عنايته بالأخبار وحفظه للآثار مع علمه بالتاريخ ومعرفة أيام الناس ولزوم الورع الخفي والعبادة الدائمة إلى أن مات رحمه الله."

الوزير ابن هبيرة

"إني رأيت إجماع المسلمين على الكتابين الصحيحين اللذين انتدب لتخريجهما الإمامان الكبيران: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، وأن الأمة تلقت ذلك بالقبول، وأنه لا كتاب في الحديث على الإطلاق يفضل عليهما"

المهلب بن ابي صفرة

"الفاضل محمد بن إسماعيل العالم المرضي، والحبر الزكي، الناهج لسبيل النجاة، والدليل الماهر في مهامه الرواة، والنجم الهادي في الظلمات... العارف بعدالة الرجال الحاكم فيهم بتغليب الحال، المنكت بجواهر العلم بتبويباته، والمنبه على خفيه بإشاراته.."

أبو يعلى الخليلي

"الإمام، المتفق عليه بلا مدافعة.. ولعل شيوخه يزيدون على ألف، وفضائله أكثر من أن توصف".

الخطيب البغدادي

"الإمام في علم الحديث، «صاحب الجامع الصحيح» و«التاريخ». رحل في طلب العلم إلى سائر محدثي الأمصار، وكتب بخراسان، والجبال، ومدن العراق كلها، وبالحجاز، والشام، ومصر."

ابن عساكر

"محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله الجعفي البخاري الإمام صاحب الصحيح والتاريخ".

ابن الجوزي

"ذكر المصطفين من أهل بخارى، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، يكنى أبا عبد الله.. فضائل البخاري كثيرة، وحفظه للحديث حفظ غزير قد شهد له الأكابر به"

ابن الأثير

"الإمام في علم الحديث، رحل في طلب العلم إلى جميع مُحَدِّثي الأمصار، وكتب بخراسان والجبال، والعراق والحجاز، والشام ومصر، وأخذ الحديث عن المشايخ الحفَّاظ.. وأخذ عنه الحديث خلقٌ كثير في كل بلدة حدَّث بها."

ابن خلفون

"البخاري ثقة مأمون صاحب التصانيف الكثيرة .."

النووي

" محمد بن إسماعيل البخاري الإمام صاحب الصحيح... واعلم أن وصف البخاري، رحمه الله، بارتفاع المحل والتقدم في هذا العلم على الأماثل والأقران، متفق عليه فيما تأخر وتقدم من الأزمان، ويكفى في فضله أن معظم من أثنى عليه ونشر مناقبه شيوخه الأعلام المبرزون، والحُذَّاق المتقنون".

ابن خلكان

"الحافظ الإمام في علم الحديث، صاحب الجامع الصحيح والتاريخ، رحل في طلب الحديث إلى أكثر محدثي الأمصار، وكتب بخراسان والجبال ومدن العراق والحجاز والشام ومصر، وقدم بغداد، واجتمع إليه أهلها واعترفوا بفضله وشهدوا بتفرده في علم الرواية والدراية"

ابن دقيق العيد

"جبل في هذا العلم شامخ، وعالم بالصناعة راسخ، طاف وجال، ووسع الطلب المجال، فضله كبير، والثناء عليه كثير".

ابن عبد الهادي

"شيخُ الإسلام، وإمامُ الحفّاظ، أبو عبد الله، محمدُ بنُ إسماعيلَ بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجُعْفي مولاهم، صاحب "الصحيح" والتَّصانيف".

أبو الحجاج المزي

"الحافظ، صاحب "الصحيح". إمام هذا الشأن والمقتدى به فيه والمعول على كتابه بين أهل الإسلام".

الذهبي

" الحافظ أمير المؤمنين في الحديث"

" الإمام العلم أبو عبد الله الجعفي، مولاهم البخاري، صاحب «الصحيح» والتصانيف...حفظ تصانيف ابن المبارك، وحبب إليه العلم من الصغر. وأعانه عليه ذكاؤه المفرط. ونشأ يتيما، وكان أبوه من العلماء الورعين.. وأما جامعه الصحيح فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى. وهو أعلى شيء في وقتنا إسنادا للناس. ومن ثلاثين سنة يفرحون بعلو سماعه، فكيف اليوم؟ فلو رحل الشخص لسماعه من مسيرة ألف فرسخ لما ضاعت رحلته. وأنا أدري أن طائفة من الكبار يستقلون عقلي في هذا القول، ولكن ما

يعرف الشوق إلا من يكابده، ولا الصبابة إلا من يعاينها، ومن جهل شيئا عاداه، ولا قوة إلا بالله."

" حجة إمام ولا عبرة بترك أبي زرعة وأبي حاتم له من أجل اللفظ لأنه مجتهد في المسألة بل ومصيب".

ابن الوردي

"الإمام محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي صاحب الصحيح، المتفق على الأخذ منه والعمل به".

اليافعي

"الحافظ الإمام قدوة الأنام وعالي المقام جامع أصح الكتب المصنفة في السنن والأحكام، إمام المحدثين وشيخ الإسلام .. صاحب الجامع الصحيح وغيره من التصانيف.. وكتب بخراسان والجبال والعراق والحجاز والشام ومصر، وقدم بغداد فاجتمع إليه أهلها واعترفوا بفضله بفضله وشهدوا بتفرده في علم الرواية والدراية."

ابن تيمية

" البخاري من أعرف خلق الله بالحديث وعلله مع فقهه فيه وقد ذكر الترمذي أنه لم ير أحدا أعلم بالعلل منه"

وقال عن البخاري وابي محمد الدارمي: "وهذان الرجلان: أفضل بكثير من مسلم؛ والترمذي ونحوهما؛ ولهذا كان أحمد بن حنبل: يعظم هذين ونحوهما؛ لأنهم فقهاء في الحديث أصولا وفروعا."

ابن القيم

"إمام أهل السنة والحديث محمد بن إسماعيل البخاري". "حافظ الإسلام "

وقال في نونيته:

وانظر إلى ما في صحيح محمد ... ذاك البخاري العظيم الشأن.

ابن كثير

"الإمام محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح.. الحافظ، إمام أهل الحديث في زمانه، والمقتدى به في أوانه، والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه، وكتابه الصحيح يستقى بقراءته الغمام، وأجمع العلماء على قبوله وصحة ما فيه، وكذلك سائر أهل الإسلام.. وقد كان البخاري رحمه الله في غاية الحياء والشجاعة والسخاء والورع والزهد في الدنيا دار الفناء، والرغبة في الآخرة دار البقاء"

ابن ناصر الدين الدمشقي

"سلطان المحدثين، بل أمير المؤمنين، المقدم في هذا الشأن على أقرانه.. الإمام العلم، الحافظ أمير المؤمنين في الحديث"

ابن خلدون

"محمد بن إسماعيل البخاري إمام المحدثين في عصره"

العيني

"الحافظ الحفيظ الشهير المميز الناقد البصير، الذي شهدت بحفظه العلماء الثقات، واعترفت بضبطه المشايخ الأثبات، ولم ينكر فضله علماء هذا الشأن ولا تنازع في صحة تنقيده اثنان. الإمام الهمام حجة الإسلام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري أسكنه الله تعالى بحابيح جنانه بعفوه الجاري، وقد دون في السنة كتابا فاق على أمثاله وتميز على أشكاله، ووشحه بجواهر الألفاظ من درر المعاني، ورشحه بالتبويبات الغريبة المباني بحيث قد أطبق على قبوله بلا خلاف علماء الأسلاف والأخلاف، فلذلك أصبح العلماء الراسخون الذين تلألأ في ظلم الليالي أنوار قرائحهم الوقادة، واستنار على صفحات الأيام آثار خواطرهم النقادة، قد حكموا بوجوب معرفته وأفرطوا في قريضته ومدحته.."

ابن حجر العسقلاني

"الإمام السيد، العلم الفرد، تاج الفقهاء، عمدة المحدثين.."

"الإمام العلم الفرد، تاج الفقهاء، عمدة المحدثين، سيد الحفاظ"

ابن الوزير

"إمام الحفاظ الثقات والنقاد الأثبات محمد بن إسماعيل البخاري"

السيوطي

"الحافظ العلم صاحب الصحيح وإمام هذا الشأن والمعول على صحيحه في أقطار البلدان"

القسطلاني

"الإمام حافظ الإسلام خاتمة الجهابذة النقاد الأعلام، شيخ الحديث وطبيب علله في القديم والحديث، إمام الأئمة عجما وعربا، ذو الفضائل التي سارت السراة بها شرفا وغربا، الحافظ الذي لا تغيب عنه شاردة، والضابط الذي استوت لديه الطارفة والتالدة"

شمس الدين السفيري

"كان من أكابر العلماء، والأولياء والصالحين، وبذكر الأولياء والعلماء والصحابة تنزل الرحمة، كما تنزل على مجالس العلماء"

الصنعاني

"البخاري هو الإمام القدوة في هذا الشأن"

الشوكاني

"حافظ الإسلام وإمام أئمته الأعلام"

أبو عامر الفضل ابن إسماعيل الجرجاني الأديب

صحيح البخاري لو أنصفوه ..... لما خط إلا بماء الذهب
هو الفرق بين الهدي والعمى ..... هو السد بين الفتى والعطب
أسانيد مثل نجوم السماء ...... أمام متون كمثل الشهب
به قام ميزان دين النبي ...... ودان به العجم بعد العرب
حجاب من النار لا شك فيه ... يميز بين الرضا والغضب
وستر رقيق إلى المصطفى .... ونور مبين لكشف الريب
فيا عالما أجمع العالمون ...... على فضل رتبته في الرتب
سبقت الأئمة فيما جمعت .... وفزت على رغمهم بالقصب
نفيت السقيم من الناقلين ..... ومن كان متهما بالكذب
وأثبت من عدلته الرواة ..... وصحت روايته في الكتب
وأبرزت في حسن تربيته ...... وتبويبه عجبا للعجب
فأعطاك ربك ما تشتهيه ..... وأجزل حظك فيما يهب
وخصك في عرصات الجنان .... بنعم تدوم ولا تنقضب.

1- تاريخ مرو

لأحمد بن سيار المروزي[1]

هو أبو الحسن أحمد بن سيار بن أيوب المروزي، ثقة حافظ محدث، من أقران الامام البخاري، ولد سنة 198 وتوفي عام 268هـ، كان رحالة في جمع الحديث مع الحفظ والاتقان. ذكر من ترجم له أن له كتابا واحدا في التاريخ، وتعدد مسمياتهم له، منها: " اخبار مرو"، و"تاريخ مرو"، و"كتاب التاريخ"، و"كتاب المراوزة"، و"فتوح خراسان" وهذه مسميات بحسب مواضع الكتاب، وبحسب النقول التي ذكرها أهل العلم يمكن القول أن كتاب التاريخ يشمل مدن خراسان الكبرى منذ الفتح الإسلامي، فذكر فيه مشايخ نيسابور، ومن كان ببلخ من أهل العلم، مع التركيز على مدينته مرو وأخبار علمائها ومن دخلها وحدث بها.

هذا الكتاب يرويه الخطيب عن إبراهيم بن مخلد والحسن بن أبي القاسم عن ابن رميح النسوي عن ابن بسطام المروزي عن أحمد بن سيار بن أيوب المروزي.

وقد بقي الكتاب متداولا الى زمن الامام الذهبي الذي نقل منه نقولا كثيرة.

قال الخطيب البغدادي[2]:

" أنبأنا إبراهيم بن مخلد، قال: أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن رميح النسوي، قال: سمعت أحمد بن محمد بن عمر بن بسطام المروزي يقول: سمعت أحمد بن سيار يقول:

---

[1] انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي 107/2

[2] تاريخ بغداد 324/2 ت بشار، وقال الذهبي في السير435/12: "وقال أحمد بن سيار في تاريخه".

ومحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبو عبد الله، طلب العلم، وجالس الناس، ورحل في الحديث، ومهر فيه وأبصر، وكان حسن المعرفة حسن الحفظ، وكان يتفقه."

- 2- شمائل البخاري

أبو جعفر محمد بن أبي حاتم البخاري الوراق

صنف أبو جعفر محمد بن أبي حاتم البخاري جزءا ضخما في ترجمة الإمام البخاري، كما ذكر ذلك السمعاني والذهبي وابن حجر والسخاوي.

قال السمعاني في ترجمة شيخه ابي بكر البسطامي في معجم شيوخه[1] : "كتبت عنه بنيسابور.. وكتاب "مناقب محمد بن إسماعيل البخاري" من جمع محمد بن ابي حاتم البخاري، بروايته عن ابن خلف الشيرازي، عن ابي طاهر ابن مهرويه، عن ابي محمد احمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف الفربري، عن جده، عنه ". وذكره في التحبير في المعجم الكبير[2].

قال الذهبي في السير: " قاله أبو جعفر محمد بن أبي حاتم البخاري، وراق أبي عبد الله في كتاب (شمائل البخاري)، جمعه، وهو جزء ضخم."

وقال السخاوي: " ولوارقه أبي جعفر محمد بن أبي حاتم شمائله في كراسين، رواه أبو محمد أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف الفربري عن جده عن مصنفه "

- أ- شمائل البخاري من تاريخ بغداد

قال الخطيب البغدادي: "حدثني أبو النجيب عبد الغفار بن عبد الواحد الأرموي، قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن أحمد الأصبهاني، قال: أخبرني أحمد بن علي الفارسي، قال: أنبأنا أحمد بن عبد الله بن محمد، قال: سمعت جدي محمد بن يوسف بن مطر الفربري يقول: "حدثنا أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق النحوي، قال: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟

---

[1] المنتخب ص 1369

[2] التحبير في المعجم الكبير69/2

قال: "ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب".

قال: وكم أتى عليك إذ ذاك؟

قال: "عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت اختلف إلى الداخلي وغيره، وقال يوما: فيما كان يقرأ للناس سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له: يا أبا فلان، إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني. فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك، فدخل ونظر فيه ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت هو الزبير بن عدي بن إبراهيم. فأخذ القلم مني وأحكم كتابه فقال صدقت".

فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت إذ رددت عليه؟ فقال: " ابن إحدى عشرة، فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخي بها، وتخلفت في طلب الحديث. فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنف فضائل الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وذلك أيام عبيد الله بن موسى. وصنفت «كتاب التاريخ» إذ ذاك عند قبر الرسول ﷺفي الليالي المقمرة. وقال: قل اسم في «التاريخ» إلا وله عندي قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتاب".

أخبرني محمد بن علي بن أحمد المقرئ، قال: أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسن الجرجاني في كتابه إلي. وحدثني عنه أبو عمر البختري، قال: نا خلف بن محمد بن إسماعيل، قال: نا محمد بن يوسفن قال: نا محمد بن أبي حاتم وراق البخاري، قال: سمعت البخاري يقول: "لو نشر بعض أستاذي هؤلاء لم يفهموا كيف صنفت كتاب «التاريخ» ولا عرفوه". ثم قال: "صنفته ثلاث مرات".

حدثني أبو النجيب الأرموي، قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن أحمد الأصبهاني، قال: أخبرني محمد بن إدريس الوراق، قال: نبأنا محمد بن حم البخاري: قال أنبأنا محمد بن يوسف، قال: نبأنا ابن أبي حاتم الوراق، قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: "أخذ إسحاق بن راهويه كتاب «التاريخ» الذي صنفت فأدخله على عبد الله بن طاهر فقال أيها الأمير ألا أريك سحرا؟، قال: فنظر فيه عبد الله بن طاهر فتعجب منه، وقال: لست أفهم تصنيفه".

قرأت على الحسين بن محمد أخي الخلال، عن عبد الرحمن بن محمد الإدريسي، قال: حدثني محمد بن حم قال: نبأنا محمد بن يوسف الفربري قال: نبأنا محمد بن أبي حاتم قال: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل: تحفظ جميع ما أدخلت في المصنف؟ قال: لا يخفى علي جميع ما فيه".

حدثني أبو النجيب الأرموي قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن محمد الأصبهاني قال: أخبرني أحمد بن علي الفارسي قال: نبأنا أحمد بن عبد الله بن محمد قال: نبأنا جدي محمد بن يوسف الفربري قال: نبأنا محمد بن أبي حاتم الوراق قال: دعي محمد بن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه، فلما حضرت صلاة الظهر صلى بالقوم ثم قام للتطوع، فأطال القيام، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه فقال لبعض من معه: "انظر هل ترى تحت قميصي شيئا؟" فإذا زنبور قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعا، وقد تورم من ذلك جسده، وكانت آثار الزنبور في جسده ظاهرة فقال له بعضهم: كيف لم تخرج من الصلاة في أول ما أبرك؟ فقال: "كنت في سورة فأحببت أن أتمها".

حدثني أبو النجيب الأرموي قال: حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني قال: أخبرني محمد بن إدريس الوراق: قال نبأنا محمد بن حم قال: نبأنا محمد بن يوسف قال: نبأنا محمد بن أبي حاتم الوراق قال: كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ أحيانا، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري نارا بيده ويسرج، ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها، ثم يضع رأسه، وكان يصلى في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم، فقلت له: إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني؟ قال: "أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك".

ورأيته استلقى على قفاه يوما ونحن بفربر في تصنيف كتاب «التفسير»، وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث، فقلت له: يا أبا عبد الله سمعتك تقول يوما إني ما أتيت شيئا بغير علم قط منذ عقلت، فأي علم في هذا الاستلقاء؟ فقال: "أتعبنا أنفسنا في هذا

اليوم، وهذا ثغر من الثغور خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو فأحببت أن أستريح وآخذ أهبة ذلك، فإن غافصنا العدو كان بنا حراك".

وأخبرني أبو الوليد قال: أنبأنا محمد بن أحمد بن محمد الحافظ قال: أنبأنا محمد ابن سعيد التاجر قال: نبأنا محمد بن يوسف قال: نبأنا محمد بن أبي حاتم الوراق قال: سمعت حاشد بن إسماعيل يقول: كان أبو عبد الله بن إسماعيل يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، وكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب فما معناك، فيما تصنع؟ فقال لنا بعد ستة عشر يوما: "إنكما قد أكثرتما على وألحتما، فأعرضا علي ما كتبتما"، فأخرجنا ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا على حفظه، ثم قال: " أترون أني أختلف هدرا وأضيع أيامى؟ " فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد.

قال: وكان أهل المعرفة من أهل البصرة يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه فيبعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه.

قال: وكان أبو عبد الله عند ذلك شابا لم يخرج وجهه.

أخبرني الحسن بن محمد الأشقر قال: أنبأنا محمد بن أبي بكر قال: نبأنا محمد بن سعيد التاجر قال: نبأنا محمد بن يوسف بن مطر قال: نبأنا محمد بن أبي حاتم قال: سمعت حاشد بن إسماعيل يقول كنت بالبصرة فسمعت قدوم محمد بن إسماعيل، فلما قدم قال محمد بشار: دخل اليوم سيد الفقهاء.

قرأت على الحسين بن محمد أخي الخلال عن أبي سعد الإدريسي قال: حدثني محمد بن حم بن ناقب البخاري بسمرقند قال: نبأنا محمد بن يوسف الفربري قال: نبأنا محمد بن أبي حاتم قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: " لما دخلت البصرة صرت إلى مجلس محمد بن بشار، فلما خرج وقع بصره علي فقال: من أين الفتى؟ قلت: من أهل بخارى. قال كيف

تركت أبا عبد الله؟ فأمسكت. فقال له أصحابه: رحمك الله هو أبو عبد الله، فقام فأخذ بيدي وعانقني وقال مرحبا بمن افتخر به منذ سنين ".

حدثني أبو النجيب الأرموي قال: حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني قال: أخبرني محمد بن إدريس الوراق قال: نبأنا محمد بن حم قال: نبأنا محمد بن يوسف قال: نبأنا محمد بن أبي حاتم الوراق قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: "ذاكرني أصحاب عمرو بن علي بحديث، فقلت: لا أعرفه، فسروا بذلك، وساروا إلى عمرو ابن علي فقالوا له ذاكرنا محمد بن إسماعيل البخاري بحديث فلم يعرفه. فقال عمرو ابن علي: حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث".

أخبرني الحسن بن محمد الأشقر قال: أنبأنا محمد بن أبي بكر قال: نبأنا أبو نصر محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد التاجر قال: نبأنا محمد بن يوسف بن مطر قال: نبأنا محمد بن أبي حاتم الوراق قال: سمعت محمد بن قتيبة- قريب أبي عبد الله محمد بن إسماعيل- يقول كنت عند أبي عاصم النبيل فرأيت عنده غلاما فقلت له من أين أنت؟ قال: من بخارى. قلت ابن من؟ فقال: ابن إسماعيل. فقلت له: أنت قرابتي، فعانقته. فقال لي رجل في مجلس أبي عاصم: هذا الغلام يناطح الكباش.

أخبرني أبو الوليد الدربندي قال: أنبأنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان الحافظ قال: نبأنا محمد بن سعيد التاجر قال: نبأنا محمد بن يوسف قال: نبأنا محمد ابن أبي حاتم قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: "كان إسماعيل بن أبي أويس إذا انتخبت من كتابه نسخ تلك الأحاديث لنفسه. وقال: هذه أحاديث انتخبها محمد ابن إسماعيل من حديثي".

قال محمد بن أبي حاتم وسمعت حاشد بن عبد الله يقول: قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر المديني: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر من ابن حنبل. فقال له رجل من جلسائه: جاوزت الحد. فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت: كلاهما واحد في الفقه والحديث.

أخبرني أبو الوليد قال: أنبأنا محمد بن أحمد بن محمد قال: نبأنا محمد بن سعيد قال: نبأنا محمد بن يوسف قال: نبأنا محمد بن أبي حاتم قال: سمعت محمود بن النضر أبا سهل الشافعي يقول: دخلت البصرة، والشام، والحجاز، والكوفة، ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم.

أخبرني أبو الوليد الدربندي قال: أنبأنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان قال: نبأنا أبو نصر محمد بن سعيد قال: سمعت محمد بن يوسف بن مطر يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم يقول: حدثني حاشد بن عبد الله بن عبد الواحد قال: سمعت يعقوب بن إبراهيم الدورقي يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

أخبرنا أبو الوليد الدربندي قال: أنبأنا محمد بن أحمد بن أحمد بن سليمان قال: نبأنا محمد بن سعيد التاجر قال: نبأنا محمد بن يوسف بن مطر قال: نبأنا محمد بن أبي حاتم قال: سمعت عمر بن حفص الأشقر يقول: سمعت عبدان يقول: ما رأيت بعيني شابا أبصر من هذا. وأشار بيده إلى محمد بن إسماعيل.

قال: وسمعت صالح بن مسمار يقول: سمعت نعيم بن حماد يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: " قال لي محمد بن سلام: انظر في كتبي، فما وجدت فيها من خطأ فأضرب عليه، كي لا أرويه، ففعلت ذلك، وكان محمد بن سلام كتب عند الأحاديث التي احكمها محمد بن إسماعيل: رضي الفتى، وفي الأحاديث الضعيفة: لم يرض الفتى. فقال له بعض أصحابه: من هذا الفتى؟ فقال: هو الذي ليس مثله، محمد بن إسماعيل".

وقال محمد بن أبي حاتم سمعت يحيى بن جعفر يقول: لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموت محمد ابن إسماعيل ذهاب العلم .

حدثني أبو النجيب الأرموي قال: حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني قال: أخبرني أحمد بن علي الفارسي قال: نبأنا أحمد بن عبد الله بن محمد قال: نبأنا جدي محمد ابن يوسف قال:

نبأنا محمد بن أبي حاتم الوراق قال: سمعت سليم بن مجاهد يقول: كنت عند محمد بن سلام البيكندي، فقال لي: لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث. قال: فخرجت في طلبه حتى لقيته. فقلت: أنت الذي تقول أنا أحفظ سبعين ألف حديث؟ قال: " نعم، وأكثر منه، ولا أجيئك بحديث من الصحابة أو التابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثا من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولي في ذلك أصل، أحفظ حفظا عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ".

حدثني أبو النجيب الأرموي قال: حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني قال: أخبرني محمد بن إدريس الوراق، قال: نبأنا محمد بن حم قال: نبأنا محمد بن يوسف قال: نبأنا محمد بن أبي حاتم قال: سئل محمد بن إسماعيل عن خبر حديث، فقال: "يا أبا فلان، تراني أدلس؟ تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل لي فيه نظر، وتركت مثله أو أكثر منه لغيره لي فيه نظر".

أخبرني أبو الوليد قال: أنبأنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان قال: نبأنا محمد بن سعيد قال: نبأنا محمد بن يوسف قال: نبأنا محمد بن أبي حاتم قال: سمعت أبا عمرو المستنير بن عتيق البكري قال: سمعت رجاء بن المرجى يقول: فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء. فقال له رجل: يا أبا محمد، كل ذلك بمرة؟ فقال: هو آية من آيات الله يمشي على ظهر الأرض.

أخبرني أبو الوليد الدربندي قال: أنبأنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان قال: نبأنا محمد بن سعيد قال: نبأنا محمد بن يوسف قال: نبأنا محمد بن أبي حاتم قال: سمعت حاشد بن عبد الله بن عبد الواحد يقول: رأيت عمرو بن زرارة ومحمد بن رافع عند محمد بن إسماعيل وهما يسألانه عن علل الحديث، فلما قاما قالا لمن حضر المجلس: لا تخدعوا عن أبي عبد الله، فإنه افقه منا واعلم وأبصر.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت حاشد بن إسماعيل يقول: رأيت إسحاق بن راهويه جالسا على السرير ومحمد بن إسماعيل معه، فأنكر عليه محمد بن إسماعيل شيئا، فرجع إلى قول

محمد، وقال إسحاق بن راهويه: يا معشر أصحاب الحديث، انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه، فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن لاحتاج إليه الناس لمعرفته بالحديث وفقهه.

أخبرني الأشقر قال: أنبأنا محمد بن أبي بكر قال: نبأنا أبو أحمد محمد بن عبد الله ابن يوسف الشافعي، وخلف بن محمد قالا: سمعنا أبا جعفر محمد بن يوسف بن الصديق الوراق يقول: سمعت عبد الله بن حماد الآملي يقول: وددت أني شعرة في صدر محمد بن إسماعيل.
قرأت على الحسين بن محمد أخي الخلال، عن أبي سعد الإدريسي قال حدثني محمد بن حم بن ناقب البخاري بسمرقند، قال نبأنا محمد بن يوسف الفربري قال: نبأنا محمد بن أبي حاتم قال: سمعت علي بن حجر يقول: أخرجت خراسان ثلاثة، أبا زرعة الرازي بالري، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى، وعبد الله بن عبد الرحمن بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل عندي أبصرهم وأعلمهم وأفقههم."

- ب- شمائل البخاري من تاريخ دمشق لابن عساكر

أخبرنا أبو الحسن الموحد، أنبأنا هناد القاضي، أنبأنا محمد بن أحمد الغنجار، حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد التاجر، حدثنا محمد بن يوسف بن مطر، حدثنا أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: قال لي أبو عمرو المستنير بن عتيق: سألت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل متى ولدت؟ فاخرج لي خط أبيه: "ولد محمد بن إسماعيل يوم الجمعة بعد الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة. وتوفي ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين".

أخبرنا أبو القاسم الحسيني وأبو الحسن الغساني قالا: حدثنا وأبو منصور ابن عبد الملك، أنبأنا أبو بكر الخطيب وحدثني أبو النجيب عبد الغفار بن عبد الواحد الأرموي، حدثني محمد بن إبراهيم بن أحمد الأصبهاني، أخبرني أحمد بن علي الفارسي، حدثنا أحمد بن عبد الله بن محمد، قال: سمعت جدي محمد بن يوسف بن مطر الفربري يقول: حدثنا أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق النحوي، قال: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري كيف

كان بدو أمرك في طلب الحديث؟ قال: " ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب ". قال: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين أو أقل ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، وقال يوما فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له: يا أبا فلان إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني. فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كانت عندك؟ فدخل ونظر فيه ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم. فاخذ القلم مني واحكم كتابه، فقال: صدقت، فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت إذ رددت عليه؟ فقال ابن إحدى عشرة، فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخي بها وتخلفت بها في طلب الحديث، فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم وذلك أيام عبيد الله ابن موسى. وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر الرسول ﷺ في الليالي المقمرة. وقال: كل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة إلا أني كرهت تطويل الكتاب".

أخبرنا أبو العباس عبد الله بن الفضل بن سهل البوشنجي بها، حدثني أحمد أبو علي بن عبد الله بن عمر بن خلف الشيرازي إملاء بنيسابور، أنبأنا الشيخ أبو طاهر أحمد بن عبد الله بن مهروية الفارسي، أنبأنا أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف الفربري، حدثنا جدي قال: سمعت محمد بن أبي حاتم البخاري: يقول سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان :كان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب فما معناك فيما تصنع؟ قال لنا يوما بعد ستة عشر يوما: " إنكما قد أكثرتما علي وألحتما فأعرضا علي ما كتبتما " فأخرجنا ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها على ظهر القلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه ثم قال:" أترون أني اختلف هدرا وأضيع أيامي"، فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد".

أخبرنا أبو الحسن الموحد، أنبأنا أبو المظفر النسفي، أنبأنا أبو عبد الله الغنجار، حدثنا محمد بن سعيد يعني أبا نصر التاجر، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق قال: سمعت حاشد بن إسماعيل يقول: كان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام فكنا نقول له: إنك تختلف معنا وما تكتب معنا فما تصنع؟ فقال لنا بعد ستة عشر يوما: " إنكما قد أكثرتما علي والحتما فأعرضا علي ما كتبتما " فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها على ظهر القلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه، ثم قال:" أترون أني اختلف هدرا وأضيع أيامي فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد". قال وسمعتهما يقولان: كان أهل المعرفة من أهل البصرة يغدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه وكان أبو عبد الله عند ذلك شاب لم يخرج وجهه.

قال: وحدثني أبو النجيب الأرموي، حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني، أخبرني أحمد بن علي الفارسي، حدثنا أحمد بن عبد الله بن محمد، حدثنا جدي محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق قال: سمعت سليم بن مجاهد يقول :كنت عند محمد بن سلام البيكندي، فقال لي: لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث. قال: فخرجت في طلبه حتى لقيته فقلت: أنت الذي تقول أنا أحفظ سبعين ألف حديث؟ قال: " نعم وأكثر منه ولا أجيئك بحديث من الصحابة أو التابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ولست أروي حديثا من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولي في ذلك أصل أحفظ حفظا عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ".

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن، أنبأنا هناد بن إبراهيم بن محمد، أنبأنا محمد بن أحمد بن محمد، حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم قال: سمعت حاشد بن عبد الله بن عبد الواحد يقول: رأيت عمرو بن زارة ومحمد بن رافع عند محمد بن إسماعيل وهما يسألان محمد بن إسماعيل عن علل الحديث، فلما قاما قالا لمن حضر المجلس: لا تخدعوا عن أبي عبد الله فإنه أفقه منا وأعلم وأبصر.

أخبرنا أبو القاسم بن أبي الجن وأبو الحسن بن قبيس قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، حدثني أبو النجيب الأرموي، حدثني محمد ابن إبراهيم الأصبهاني، أخبرني محمد بن إدريس الوراق، حدثنا محمد بن حم، أنبأنا محمد ابن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق قال: كان أبا عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا ببيت واحد إلا في القيظ أحيانا، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري نارا بيده ويسرج ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها ثم يضع رأسه. وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم، فقلت له: إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني، قال: أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك"، ورأيته أستلقى على قفاه يوما ونحن بفربر في تصنيف كتاب التفسير وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث، فقلت له: يا أبا عبد الله سمعتك تقول يوما "إني ما أتيت شيئا بغير علم قط منذ عقلت" فأي علم في هذا الاستلقاء؟ فقال: " أتعبنا أنفسنا في هذا اليوم وهذا ثغر من الثغور، خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو فأحببت أن أستريح وآخذ أهبة ذلك فإن غافصنا العدو كان بنا حراك ".

أخبرنا أبو القاسم بن أبي الجن وأبو الحسن بن قبيس قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، قال: قرأت على الحسين بن محمد أخي الخلال عن عبد الرحمن بن محمد الإدريسي، حدثني محمد بن حم، حدثنا محمد بن يوسف الفربري، حدثنا محمد بن أبي حاتم قال: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل تحفظ جميع ما أدخلت في المصنف؟ فقال: لا يخفي علي جميع ما فيه".

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم وأبو الحسن على بن أحمد قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي، أخبرني محمد بن علي بن أحمد المقرئ، أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسن الجرجاني في كتابه، وحدثني عنه أبو عمرو البحيري، أنبأنا خلف بن محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم وراق البخاري قال: سمعت البخاري يقول:" لو نشر بعض أستاذي هؤلاء لم يفهموا كيف صنفت كتاب التاريخ ولا عرفوه، ثم قال: صنفته ثلاث مرات". قال: وحدثني أبو النجيب الأرموي، حدثني محمد

بن إبراهيم بن أحمد الأصبهاني، أخبرني محمد بن إدريس الوراق، حدثنا محمد بن حم البخاري، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: " أخذ إسحاق بن راهوية كتاب التاريخ الذي صنفت فأدخله على عبد الله بن طاهر فقال أيها الأمير ألا أريك سحرا قال فنظر فيه عبد الله بن طاهر فتعجب منه وقال لست أفهم تصنيفه ".

حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: قال لي محمد بن سلام أنظر في كتبي فما وجدت فيها من خطأ فاضرب عليه كي لا أرويه، ففعلت ذلك". وكان محمد بن سلام كتب يعني في تلك الأحاديث التي أحكمها محمد بن إسماعيل زهاء ألفين رضي الفتى وفي الأحاديث الضعيفة لم يرض الفتى فقال له بعض أصحابه من هذا الفتى؟ فقال: هذا الذي ليس مثله هو محمد بن إسماعيل.

قال: وسمعت محمد بن إسماعيل يقول:" كان إسماعيل بن أبي أويس إذا انتخب من كتابة نسخ تلك الأحاديث لنفسه وقال: هذه أحاديث انتخبها محمد بن إسماعيل من حديثي ".

أخبرنا أبو القاسم النسيب وأبو الحسن الزاهد قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، حدثني أبو النجيب الأرموي، حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني، أخبرني محمد بن إدريس الوراق، حدثنا محمد بن حم، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم قال: سئل محمد بن إسماعيل عن خبر حديث فقال: "يا أبا فلان تراني أدلس تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل لي فيه نظر، وتركت مثله أو أكثر منه لغيره لي فيه نظر".

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم وأبو الحسن المالكي قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبانا أبو بكر أحمد بن علي، حدثني أبو النجيب الأرموي، حدثني محمد بن إبراهيم بن محمد الأصبهاني، أخبرني أحمد بن علي الفارسي، حدثنا أحمد بن عبد الله بن محمد، حدثنا جدي محمد بن يوسف الفربري، حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق قال: دعي محمد بن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه فلما حضرت صلاة الظهر صلى بالقوم ثم قام للتطوع، فأطال القيام

فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه فقال لبعض من معه: " انظر هل ترى تحت قميصي شيئا؟" فإذا زنبور قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعا، وقد تورم من ذلك جسده وكان آثار الزنبور في جسده ظاهر، فقال له بعضهم: كيف لم تخرج من الصلاة في أول ما أبرك؟ فقال: " كنت في سورة فأحببت أن أتمها ".

قال: وحدثني أبو النجيب الأرموي، حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني، أخبرني محمد بن إسحاق الوراق، حدثنا محمد بن حم، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: " ذاكرني أصحاب عمرو بن علي بحديث فقلت لا أعرفه، فسروا بذلك وساروا إلى عمرو بن علي فقالوا له: ذاكرنا محمد بن إسماعيل البخاري بحديث فلم يعرفه فقال عمرو بن علي: حديث لا يعرفه محمد ابن إسماعيل ليس بحديث ".

أخبرنا أبو القاسم العلوي وأبو الحسن بن قبيس قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، قال قرأت على الحسين بن محمد أخي الخلال، عن أبي سعد الإدريسي، حدثني محمد بن حم بن ناقب البخاري بسمرقند، حدثنا محمد بن يوسف الفربري، حدثنا محمد بن أبي حاتم قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول:" لما دخلت البصرة صرت إلى مجلس محمد بن بشار فلما خرج وقع بصره علي فقال: من أين الفتى؟ قلت من أهل بخارى، قال: كيف تركت أبا عبد الله؟ فأمسكت، فقال له أصحابه: رحمك الله هو أبو عبد الله، فقام فأخذ بيدي وعانقني وقال: مرحبا بمن أفتخر به منذ سنين ".

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد، أنبأنا هناد بن إبراهيم، أنبأنا محمد بن أحمد البخاري، حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم قال: سمعت حاشد بن إسماعيل يقول: كنت بالبصرة فسمعت بقدوم محمد بن إسماعيل، فلما قدم قال محمد بن بشار: اليوم دخل سيد الفقهاء.

قال: وأنبأنا محمد، حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد، قال: سمعت محمد بن يوسف بن مطر، يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم يقول: حدثني حاشد بن عبد الله بن عبد الواحد، قال: سمعت يعقوب بن إبراهيم الدورقي يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

قال: وأنبأنا محمد، حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم قال: سمعت عبد الله بن سعيد بن جعفر يقول: سمعت العلماء بالبصرة يقولون: ما في الدنيا مثل محمد بن إسماعيل في المعرفة والصلاح، قال عبد الله بن سعيد: وأنا أقول مثل قولهم.

وأنبأنا أبو طالب بن يوسف، وأبو نصر المعمر بن محمد البيع قالا: أنبأنا أبو المظفر هناد بن إبراهيم النسفي قال: أنبأنا محمد بن أبي بكر، حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد التاجر، حدثنا محمد بن يوسف بن مطر، حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق قال: سمعت محمد بن قتيبة قريب أبي عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: كنت عند أبي عاصم النبيل فرأيت عنده غلاما فقال له: من أين أنت؟ قال: من بخارى. قلت ابن من؟ فقال: ابن إسماعيل، فقلت له: أنت قرابتي فعانقته. فقال لي رجل في مجلس أبي عاصم هذا الغلام يناطح الكباش.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد، أنبأنا هناد بن إبراهيم، أنبأنا محمد بن أحمد البخاري، حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم قال: وسمعت حاشد بن عبد الله يقول: قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر المديني: محمد بن إسماعيل أفقه ممن عندنا وأبصر، فقال رجل من جلسائه: جاوزت الحد. فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت كلاهما واحد في الفقه والحديث.

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم وأبو الحسن بن قبيس قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي قال: قرأت على الحسين بن محمد أخي الخلال، عن أبي سعد الإدريسي، حدثني محمد بن حم بن ناقب البخاري بسمرقند، حدثنا محمد بن يوسف الفربري، حدثنا محمد بن أبي حاتم قال: سمعت علي بن حجر يقول: أخرجت خراسان ثلاثة أبا زرعة الرازي بالري، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى، وعبد الله بن عبد الرحمن بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل عندي أبصرهم وأعلمهم وفقههم.

أخبرنا بها عالية أبو الحسن علي بن أحمد، أنبأنا هناد بن إبراهيم، أنبأنا أبو عبد الله غنجار، حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد التاجر، حدثنا محمد بن يوسف بن مطر،

قال: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق يقول: سمعت علي بن حجر يقول: أخرجت خراسان ثلاثة أبو زرعة، ومحمد بن إسماعيل ببخارى، وعبد الله بن عبد الرحمن بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل عندي أبصرهم وأعلمهم وأفقههم.

أخبرنا أبو الحسن الموحد أنبانا أبو المظفر النسفي، أنبأنا أبو عبد الله البخاري، حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد التاجر، حدثنا محمد بن يوسف بن مطر، حدثنا محمد بن ابي حاتم الوراق قال: سمعت يحيى بن جعفر يقول: لو قدرت أن أزيد يعني من عمري في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل واحد وموت محمد بن إسماعيل ذهاب العلم.

قال وأنبأنا غنجار، حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا محمد بن يوسف قال: قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم، وسمعت محمود بن النضر أبا سهل الشافعي يقول: دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم.

ج- شمائل البخاري من سير اعلام النبلاء

قال الذهبي في السير: " قاله أبو جعفر محمد بن أبي حاتم البخاري، وراق أبي عبد الله في كتاب (شمائل البخاري)، جمعه، وهو جزء ضخم."

قال الذهبي: " أنبأني به أحمد بن أبي الخير، عن محمد بن إسماعيل الطرسوسي، أن محمد بن طاهر الحافظ أجاز له، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن خلف، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن عبد الله بن مهرويه الفارسي المؤدب، قدم علينا من مرو لزيارة أبي عبد الله السلمي، أخبرنا أبو محمد أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن مطر الفربري، حدثنا جدي، قال: سمعت محمد بن أبي حاتم، فذكر الكتاب فما أنقله عنه، فبهذا السند.

قلت: ولد أبو عبد الله في شوال سنة أربع وتسعين ومائة.

قاله أبو جعفر محمد بن أبي حاتم البخاري، وراق أبي عبد الله في كتاب (شمائل البخاري) ، جمعه، وهو جزء ضخم.

قال محمد بن أبي حاتم البخاري: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: "حججت، ورجع أخي بأمي، وتخلفت في طلب الحديث فلما طعنت في ثمان عشرة، جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وذلك أيام عبيد الله بن موسى .

وصنفت كتاب (التاريخ) إذ ذاك عند قبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الليالي المقمرة، وقل اسم في التاريخ إلا وله قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتاب .

وكنت أختلف إلى الفقهاء بمرو وأنا صبي، فإذا جئت أستحي أن أسلم عليهم، فقال لي مؤدب من أهلها: كم كتبت اليوم؟

فقلت: اثنين، وأردت بذلك حديثين، فضحك من حضر المجلس.

فقال شيخ منهم: لا تضحكوا، فلعله يضحك منكم يوما!! "

وسمعته يقول: "دخلت على الحميدي وأنا ابن ثمان عشرة سنة، وبينه وبين آخر اختلاف في حديث، فلما بصر بي الحميدي قال: قد جاء من يفصل بيننا، فعرضا علي، فقضيت للحميدي على من يخالفه، ولو أن مخالفه أصر على خلافه، ثم مات على دعواه، لمات كافرا".

وقال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم، قلت لأبي عبد الله: تحفظ جميع ما أدخلت في المصنف؟ فقال: "لا يخفى علي جميع ما فيه".

وسمعته يقول: "صنفت جميع كتبي ثلاث مرات".

وسمعته يقول: "لو نشر بعض أستاذي هؤلاء لم يفهموا كيف صنفت (التاريخ)، ولا عرفوه، ثم قال: صنفته ثلاث مرات".

وسمعته يقول: "أخذ إسحاق بن راهويه كتاب (التاريخ) الذي صنفت، فأدخله على عبد الله بن طاهر، فقال: أيها الأمير، ألا أريك سحرا؟ قال: فنظر فيه عبد الله، فتعجب منه، وقال: لست أفهم تصنيفه".

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت البخاري يقول: "دخلت بغداد آخر ثمان مرات، في كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل، فقال لي في آخر ما ودعته: يا أبا عبد الله، تدع العلم والناس،

وتصير إلى خراسان؟! قال: فأنا الآن أذكر قوله".

قال وراقه محمد بن أبي حاتم: سمعته يقول: "دخلت بلخ، فسألوني أن أملي عليهم لكل من كتبت عنه حديثا، فأمليت ألف حديث لألف رجل ممن كتبت عنهم.

قال: وسمعته قبل موته بشهر يقول: كتبت عن ألف وثمانين رجلا، ليس فيهم إلا صاحب حديث، كانوا يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: كان أبو عبد الله، إذا كنت معه في سفر، يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ أحيانا، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة، فيوري نارا، ويسرج، ثم يخرج أحاديث، فيعلم عليها .

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت هانئ بن النضر يقول: كنا عند محمد بن يوسف -يعني: الفريابي- بالشام وكنا نتنزه فعل الشباب في أكل الفرصاد ونحوه، وكان محمد بن إسماعيل معنا، وكان لا يزاحمنا في شيء مما نحن فيه، ويكب على العلم.

وقال محمد: سمعت النجم بن الفضيل يقول: رأيت النبي -ﷺ- في النوم، كأنه يمشي، ومحمد بن إسماعيل يمشي خلفه، فكلما رفع النبي -ﷺ- قدمه، وضع محمد بن إسماعيل قدمه في المكان الذي رفع النبي -ﷺ- قدمه.

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أبو عبد الله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما تصنع؟

فقال لنا يوما بعد ستة عشر يوما: " إنكما قد أكثرتما علي وألحتما، فاعرضا علي ما كتبتما". فأخرجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر القلب، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه.

ثم قال: "أترون أني أختلف هدرا، وأضيع أيامي؟! فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد".

قال: وسمعتهما يقولان: كان أهل المعرفة من البصريين يعدون خلفه في طلب الحديث وهو

شاب حتى يغلبوه على نفسه، ويجلسوه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف، أكثرهم ممن يكتب عنه. وكان شابا لم يخرج وجهه.

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: قرأ علينا أبو عبد الله كتاب (الهبة)، فقال: "ليس في هبة وكيع إلا حديثان مسندان أو ثلاثة. وفي كتاب عبد الله بن المبارك خمسة أو نحوه. وفي كتابي هذا خمس مائة حديث أو أكثر".

وقال: سمعت أبا عبد الله يقول: "تفكرت أصحاب أنس، فحضرني في ساعة ثلاث مائة".

قال: وسمعته يقول: "ما قدمت على أحد إلا كان انتفاعه بي أكثر من انتفاعي به.

قال: وسمعت سليم بن مجاهد، سمعت أبا الأزهر يقول: كان بسمرقند أربع مائة ممن يطلبون الحديث، فاجتمعوا سبعة أيام، وأحبوا مغالطة محمد بن إسماعيل، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وإسناد اليمن في إسناد الحرمين، فما تعلقوا منه بسقطة لا في الإسناد، ولا في المتن.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا عبد الله يقول: "ما نمت البارحة حتى عددت كم أدخلت مصنفاتي من الحديث، فإذا نحو مئتي ألف حديث مسندة".

وسمعته يقول: "ما كتبت حكاية قط، كنت أتحفظها".

وسمعته يقول: "صنفت كتاب (الاعتصام) في ليلة".

وسمعته يقول: "لا أعلم شيئا يحتاج إليه إلا وهو في الكتاب والسنة.

فقلت له: يمكن معرفة ذلك كله. قال: نعم ".

وسمعته يقول: "كنت بنيسابور أجلس في الجامع، فذهب عمرو بن زرارة، وإسحاق بن راهويه إلى يعقوب بن عبد الله، والي نيسابور، فأخبروه بمكاني، فاعتذر إليهم، وقال: مذهبنا إذا رفع إلينا غريب لم نعرفه حبسناه حتى يظهر لنا أمره.

فقال له بعضهم: بلغني أنه قال لك: لا تحسن تصلي، فكيف تجلس؟

فقال: لو قيل لي شيء من هذا ماكنت أقوم من ذلك المجلس حتى أروي عشرة آلاف حديث، في الصلاة خاصة".

وسمعته يقول: "كنت في مجلس الفريابي، فقال: حدثنا سفيان، عن أبي عروة، عن أبي الخطاب، عن أنس: أن النبي -ﷺ- كان يطوف على نسائه في غسل واحد .

فلم يعرف أحد في المجلس أبا عروة، ولا أبا الخطاب. فقلت: أما أبو عروة فمعمر، وأبو الخطاب قتادة. قال: وكان الثوري فعولا لهذا، يكني المشهورين".

قال محمد بن أبي حاتم: قدم رجاء الحافظ، فصار إلى أبي عبد الله، فقال لأبي عبد الله: ما أعددت لقدومي حين بلغك؟ وفي أي شيء نظرت؟

فقال: ما أحدثت نظرا، ولم أستعد لذلك، فإن أحببت أن تسأل عن شيء فافعل، فجعل يناظره في أشياء، فبقي رجاء لا يدري أين هو.

ثم قال له أبو عبد الله: "هل لك في الزيادة؟ فقال استحياء منه وخجلا: نعم.

قال: سل إن شئت؟

فأخذ في أسامي أيوب، فعد نحوا من ثلاثة عشر، وأبو عبد الله ساكت.

فلما فرغ قال له أبو عبد الله: لقد جمعت، فظن رجاء أنه قد صنع شيئا، فقال لأبي عبد الله: يا أبا عبد الله، فاتك خير كثير.

فزيف أبو عبد الله في أولئك سبعة أو ثمانية، وأغرب عليه أكثر من ستين.

ثم قال له رجاء: كم رويت في العمامة السوداء؟

قال: هات كم رويت أنت؟

ثم قال: نروي نحوا من أربعين حديثا.

فخجل رجاء من ذاك، ويبس ريقه".

قال محمد: سمعت أبا عبد الله يقول: "دخلت بلخ، فسألني أصحاب الحديث أن أملي عليهم لكل من كتبت عنه حديثا. فأمليت ألف حديث لألف رجل ممن كتبت عنهم".

وقال محمد بن أبي حاتم: قال أبو عبد الله: "سئل إسحاق بن إبراهيم عمن طلق ناسيا. فسكت ساعة طويلة متفكرا، والتبس عليه الأمر.

فقلت أنا: قال النبي -ﷺ-: (إن الله عز وجل تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم

تعمل به أو تكلم) .

وإنما يراد مباشرة هذه الثلاث العمل والقلب أو الكلام والقلب وهذا لم يعتقد بقلبه.

فقال إسحاق: قويتني، وأفتى به".

وقال محمد: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: "كان إسماعيل بن أبي أويس إذا انتخبت من كتابه، نسخ تلك الأحاديث، وقال: هذه الأحاديث انتخبها محمد بن إسماعيل من حديثي".

وقال محمد: سمعت الفربري يقول: رأيت عبد الله بن منير يكتب عن البخاري .

وسمعته يقول: أنا من تلاميذ محمد بن إسماعيل، وهو معلم .

قال محمد: وسمعت أبا بكر المديني بالشاش زمن عبد الله بن أبي عرابة يقول: كنا بنيسابور عند إسحاق بن راهويه، وأبو عبد الله في المجلس، فمر إسحاق بحديث كان دون الصحابي عطاء الكيخاراني.

فقال إسحاق: يا أبا عبد الله، أيش كيخاران؟ فقال: "قرية باليمن، كان معاوية بن أبي سفيان بعث هذا الرجل، وكان يسميه أبو بكر، فأنسيته إلى اليمن، فمر بكيخاران، فسمع منه عطاء حديثين". فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله، كأنك شهدت القوم.

قال محمد بن يوسف الفربري: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق يقول في الزيادات المذيلة على شمائل أبي عبد الله – قلت: وليست هي داخلة في رواية ابن خلف الشيرازي – قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: "ما جلست للحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم، وحتى نظرت في عامة كتب الرأي، وحتى دخلت البصرة خمس مرات أو نحوها، فما تركت بها حديثا صحيحا إلا كتبته، إلا ما لم يظهر لي".

قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم: سمعت بعض أصحابي يقول: كنت عند محمد بن سلام، فدخل عليه محمد بن إسماعيل، فلما خرج قال محمد بن سلام: كلما دخل علي هذا الصبي تحيرت، وألبس علي أمر الحديث وغيره، ولا أزال خائفا ما لم يخرج.

قال أبو جعفر: سمعت أبا عمر سليم بن مجاهد يقول: كنت عند محمد بن سلام البيكندي،

فقال: لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث.
قال: فخرجت في طلبه حتى لحقته.
قال: أنت الذي يقول: إني أحفظ سبعين ألف حديث؟
قال: "نعم، وأكثر، ولا أجيئك بحديث من الصحابة والتابعين إلا عرفتك مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثا من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولي من ذلك أصل أحفظه حفظا عن كتاب الله، وسنة رسول الله -ﷺ- ".
وقال أبو جعفر: حدثني بعض أصحابي: إن أبا عبد الله البخاري صار إلى أبي إسحاق السرماري عائدا، فلما خرج من عنده قال أبو إسحاق: من أراد أن ينظر إلى فقيه بحقه وصدقه، فلينظر إلى محمد بن إسماعيل وأجلسه على حجره .
وقال أبو جعفر: قال لي بعض أصحابي: كنت عند محمد بن سلام، فدخل عليه محمد بن إسماعيل حين قدم من العراق، فأخبره بمحنة الناس، وما صنع ابن حنبل وغيره من الأمور.
فلما خرج من عنده قال محمد بن سلام لمن حضره: أترون البكر أشد حياء من هذا؟
وقال أبو جعفر: سمعت يحيى بن جعفر يقول: لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل من عمري لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموته ذهاب العلم.
قال: وسمعت يحيى بن جعفر – وهو البيكندي – يقول لمحمد بن إسماعيل: لولا أنت ما استطبت العيش ببخارى.
وقال: سمعت محمد بن يوسف يقول: كنا عند أبي رجاء، هو قتيبة، فسئل عن طلاق السكران، فقال: هذا أحمد بن حنبل وابن المديني وابن راهويه قد ساقهم الله إليك، وأشار إلى محمد بن إسماعيل.
وكان مذهب محمد أنه إذا كان مغلوب العقل حتى لا يذكر ما يحدث في سكره، أنه لا يجوز عليه من أمره شيء .
قال محمد: وسمعت عبد الله بن سعيد بن جعفر يقول: لما مات أحمد بن حرب النيسابوري ركب محمد وإسحاق يشيعان جنازته.
فكنت أسمع أهل المعرفة بنيسابور ينظرون، ويقولون: محمد أفقه من إسحاق.
وقال: سمعت عمر بن حفص الأشقر، سمعت عبدان يقول: ما رأيت بعيني شابا أبصر من

هذا، وأشار بيده إلى محمد بن إسماعيل .

وقال: سمعت صالح بن مسمار المروزي يقول: سمعت نعيم بن حماد يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة .

وقال: سمعت إبراهيم بن خالد المروزي، يقول: قال مسدد: لا تختاروا على محمد بن إسماعيل، يا أهل خراسان.

وقال: سمعت موسى بن قريش يقول: قال عبد الله بن يوسف للبخاري: يا أبا عبد الله، انظر في كتبي، وأخبرني بما فيه من السقط.

قال: نعم.

وقال محمد: حدثني محمد بن إسماعيل، قال: "كنت إذا دخلت على سليمان بن حرب يقول: بين لنا غلط شعبة".

قال: وسمعته يقول: "اجتمع أصحاب الحديث، فسألوني أن أكلم إسماعيل بن أبي أويس ليزيدهم في القراءة، ففعلت، فدعا إسماعيل الجارية، وأمرها أن تخرج صرة دنانير، وقال: يا أبا عبد الله، فرقها عليهم .

قلت: إنما أرادوا الحديث.

قال: قد أجبتك إلى ما طلبت من الزيادة، غير أني أحب أن يضم هذا إلى ذاك ليظهر أثرك فيهم" .

وقال: حدثني حاشد بن إسماعيل قال: لما قدم محمد بن إسماعيل على سليمان بن حرب نظر إليه سليمان، فقال: هذا يكون له يوما صوت .

وقال خلف الخيام: حدثنا إسحاق بن أحمد بن خلف، سمعت أحمد بن عبد السلام: قال: ذكرنا قول البخاري لعلي بن المديني –يعني: "ما استصغرت نفسي إلا بين يدي علي بن المديني"– فقال علي: دعوا هذا، فإن محمد بن إسماعيل لم ير مثل نفسه .

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا عبد الله يقول: "ذاكرني أصحاب عمرو بن علي الفلاس بحديث، فقلت: لا أعرفه، فسروا بذلك، وصاروا إلى عمرو، فأخبروه.

فقال: حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت حاشد بن عبد الله يقول: قال لي أبو مصعب الزهري: محمد

بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر بالحديث من أحمد بن حنبل.

فقيل له: جاوزت الحد.

فقال للرجل: لو أدركت مالكا، ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل، لقلت: كلاهما واحد في الفقه والحديث .

قال: وسمعت حاشد بن إسماعيل يقول: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: اكتبوا عن هذا الشاب -يعني: البخاري- فلو كان في زمن الحسن لاحتاج إليه الناس لمعرفته بالحديث وفقهه.

قال: وسمعت علي بن حجر يقول: أخرجت خراسان ثلاثة: أبو زرعة، ومحمد بن إسماعيل، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ومحمد عندي أبصرهم وأعلمهم وأفقههم .

قال: وأوردت على علي بن حجر كتاب أبي عبد الله، فلما قرأه قال: كيف خلفت ذلك الكبش؟

فقلت: بخير.

فقال: لا أعلم مثله.

وقال أحمد بن الضوء: سمعت أبا بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير يقولان: ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل .

وعن عبد الله بن أحمد حنبل: سمعت أبي يقول: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل.

وقال محمد بن إبراهيم البوشنجي: سمعت بندارا محمد بن بشار سنة ثمان وعشرين ومائتين يقول: ما قدم علينا مثل محمد بن إسماعيل .

وقال حاشد بن إسماعيل: كنت بالبصرة، فسمعت قدوم محمد بن إسماعيل، فلما قدم قال بندار: اليوم دخل سيد الفقهاء .

وقال محمد: سمعت أبا عبد الله يقول: "قال لي محمد بن بشار: إن ثوبي لا يمس جلدي مثلا، ما لم ترجع إلي، أخاف أن تجد في حديثي شيئا يسقمني.

فإذا رجعت فنظرت في حديثي طابت نفسي، وأمنت مما أخاف".

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت إبراهيم بن خالد المروزي يقول: رأيت أبا عمار الحسين بن حريث يثني على أبي عبد الله البخاري، ويقول: لا أعلم أني رأيت مثله، كأنه لم يخلق إلا

للحديث.

وقال محمد: سمعت محمود بن النضر أبا سهل الشافعي يقول: دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة، ورأيت علماءها، كلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم .

وقال: سمعت محمد بن يوسف يقول: لما دخلت البصرة صرت إلى بندار، فقال لي: من أين أنت؟ قلت: من خراسان.

قال: من أيها؟

قلت: من بخارى.

قال: تعرف محمد بن إسماعيل؟

قلت: أنا من قرابته.

فكان بعد ذلك يرفعني فوق الناس .

قال محمد: وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: "لما دخلت البصرة صرت إلى مجلس بندار، فلما وقع بصره علي، قال: من أين الفتى؟

قلت: من أهل بخارى.

فقال لي: كيف تركت أبا عبد الله؟

فأمسكت، فقالوا له: يرحمك الله هو أبو عبد الله، فقام، وأخذ بيدي، وعانقني، وقال: مرحبا بمن أفتخر به منذ سنين".

قال: وسمعت حاشد بن إسماعيل، سمعت محمد بن بشار يقول: لم يدخل البصرة رجل أعلم بالحديث من أخينا أبي عبد الله. قال: فلما أراد الخروج ودعه محمد بن بشار، وقال: يا أبا عبد الله موعدنا الحشر أن لا نلتقي بعد.

وقال أبو قريش محمد بن جمعة الحافظ: سمعت محمد بن بشار يقول: حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري، والدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل ببخارى، ومسلم بنيسابور.

وقال محمد بن عمر بن الأشعث البيكندي: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل، سمعت أبي يقول: انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان: أبو زرعة الرازي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، والحسن بن شجاع البلخي.

قال ابن الأشعث: فحكيت هذا لمحمد بن عقيل البلخي، فأطرى ذكر ابن شجاع.

فقلت له: لم لم يشتهر؟. قال: لأنه لم يمتع بالعمر.

قلت: هذا ابن شجاع رحل وسمع: مكي بن إبراهيم، وعبيد الله بن موسى، وأبا مسهر.

وتوفي: سنة أربع وأربعين.

وقال نصر بن زكريا المروزي: سمعت قتيبة بن سعيد يقول: شباب خراسان أربعة: محمد بن إسماعيل، وعبد الله بن عبد الرحمن -يعني: الدارمي- وزكريا بن يحيى اللؤلؤي ، والحسن بن شجاع.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت جعفرا الفربري يقول: سمعت عبد الله بن منير يقول: أنا من تلاميذ محمد بن إسماعيل، وهو معلمي ورأيته يكتب عن محمد .

وقال محمد: حدثنا حاشد بن عبد الله بن عبد الواحد، سمعت يعقوب بن إبراهيم الدورقي يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

عن أبي جعفر المسندي قال: حفاظ زماننا ثلاثة: محمد بن إسماعيل، وحاشد بن إسماعيل، ويحيى بن سهل.

وقال محمد: حدثني جعفر بن محمد الفربري قال: خرج رجل من أصحاب عبد الله بن منير -رحمه الله- إلى بخارى في حاجة له.

فلما رجع قال له ابن منير: لقيت أبا عبد الله؟

قال: لا.

فطرده، وقال: ما فيك بعد هذا خير، إذ قدمت بخارى ولم تصر إلى أبي عبد الله محمد بن إسماعيل.

وقال محمد: سمعت إبراهيم بن محمد بن سلام يقول: حضرت أبا بكر بن أبي شيبة، فرأيت رجلا يقول في مجلسه: ناظر أبو بكر أبا عبد الله في أحاديث سفيان، فعرف كلها، ثم أقبل محمد عليه، فأغرب عليه مائتي حديث.

فكان أبو بكر بعد ذلك يقول: ذاك الفتى البازل - والبازل الجمل المسن - إلا أنه يريد ها هنا البصير بالعلم، الشجاع.

وسمعت إبراهيم بن محمد بن سلام يقول: إن الرتوت من أصحاب الحديث مثل: سعيد بن أبي مريم، ونعيم بن حماد، والحميدي، وحجاج بن منهال، وإسماعيل بن أبي أويس، والعدني ،

والحسن الخلال بمكة، ومحمد بن ميمون صاحب ابن عيينة، ومحمد بن العلاء، والأشج، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، وإبراهيم بن موسى الفراء، كانوا يهابون محمد بن إسماعيل، ويقضون له على أنفسهم في المعرفة والنظر.

وقال محمد: حدثني حاتم بن مالك الوراق؟ قال: سمعت علماء مكة يقولون: محمد بن إسماعيل إمامنا وفقيهنا وفقيه خراسان.

وقال محمد: سمعت أبي -رحمه الله- يقول: كان محمد بن إسماعيل يختلف إلى أبي حفص أحمد بن حفص البخاري وهو صغير، فسمعت أبا حفص يقول: هذا شاب كيس، أرجو أن يكون له صيت وذكر.

وقال محمد: سمعت أبا سهل محمودا الشافعي يقول: سمعت أكثر من ثلاثين عالما من علماء مصر، يقولون: حاجتنا من الدنيا النظر في (تاريخ) محمد بن إسماعيل.

وقال محمد: حدثني صالح بن يونس، قال: سئل عبد الله بن عبد الرحمن -يعني: الدارمي- عن حديث سالم بن أبي حفصة ، فقال: كتبناه مع محمد، ومحمد يقول: سالم ضعيف.

فقيل له: ما تقول أنت؟

قال: محمد أبصر مني.

قال: وسئل عبد الله بن عبد الرحمن عن حديث محمد بن كعب: (لا يكذب الكاذب إلا من مهانة نفسه عليه).

وقيل له: محمد يزعم أن هذا صحيح، فقال: محمد أبصر مني، لأن همه النظر في الحديث، وأنا مشغول مريض، ثم قال: محمد أكيس خلق الله، إنه عقل عن الله ما أمره به، ونهى عنه في كتابه، وعلى لسان نبيه، إذا قرأ محمد القرآن، شغل قلبه وبصره وسمعه، وتفكر في أمثاله، وعرف حلاله وحرامه .

وقال: كتب إلي سليمان بن مجالد: إني سألت عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي عن محمد، فقال: محمد بن إسماعيل أعلمنا وأفقهنا وأغوصنا، وأكثرنا طلبا.

وقال: سمعت أبا سعيد المؤدب يقول: سمعت عبد الله بن عبد الرحمن يقول: لم يكن يشبه طلب محمد للحديث طلبنا، كان إذا نظر في حديث رجل أنزفه.

وقال: حدثني إسحاق وراق عبد الله بن عبد الرحمن، قال: سألني عبد الله عن كتاب

(الأدب) من تصنيف محمد بن إسماعيل، فقال: احمله لأنظر فيه، فأخذ الكتاب مني، وحبسه ثلاثة أشهر، فلما أخذت منه، قلت: هل رأيت فيه حشوا، أو حديثا ضعيفا؟ فقال ابن إسماعيل: لا يقرأ على الناس إلا الحديث الصحيح ، وهل ينكر على محمد؟!

وقال: سمعت أبا الطيب حاتم بن منصور الكسي يقول: محمد بن إسماعيل آية من آيات الله في بصره ونفاذه من العلم.

قال: وسمعت أبا عمرو المستنير بن عتيق يقول: سمعت رجاء الحافظ يقول: فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء.

فقال له رجل: يا أبا محمد، كل ذلك بمرة؟!

فقال: هو آية من آيات الله يمشي على ظهر الأرض.

قال: وسمعت محمد بن يوسف يقول: سأل أبو عبد الله أبا رجاء البغلاني -يعني: قتيبة- إخراج أحاديث ابن عيينة، فقال: منذ كتبتها ما عرضتها على أحد، فإن احتسبت ونظرت فيها، وعلمت على الخطأ منها فعلت، وإلا لم أحدث بها، لأني لا آمن أن يكون فيها بعض الخطأ، وذلك أن الزحام كان كثيرا، وكان الناس يعارضون كتبهم، فيصحح بعضهم من بعض، وتركت كتابي كما هو، فسر البخاري بذلك، وقال: وفقت. ثم أخذ يختلف إليه كل يوم صلاة الغداة، فينظر فيه إلى وقت خروجه إلى المجلس، ويعلم على الخطأ منه. فسمعت البخاري رد على أبي رجاء يوما حديثا. فقال: يا أبا عبد الله، هذا مما كتب عني أهل بغداد، وعليه علامة يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، فلا أقدر أغيره.

فقال له أبو عبد الله: " إنما كتب أولئك عنك لأنك كنت مجتازا، وأنا قد كتبت هذا عن عدة على ما أقول لك، كتبته عن يحيى بن بكير، وابن أبي مريم، وكاتب الليث عن الليث"، فرجع أبو رجاء، وفهم قوله، وخضع له.

قال: وسمعت محمد بن يوسف يقول: كان زكريا اللؤلؤي والحسن بن شجاع ببلخ يمشيان مع أبي عبد الله إلى المشايخ إجلالا له وإكراما.

قال: وسمعت حاشد بن إسماعيل يقول: رأيت إسحاق بن راهويه جالسا على السرير، ومحمد بن إسماعيل معه وإسحاق يقول: حدثنا عبد الرزاق حتى مر على حديث، فأنكر عليه محمد، فرجع إلى قول محمد.

ثم رأيت عمرو بن زرارة ومحمد بن رافع عند محمد بن إسماعيل يسألانه عن علل الحديث، فلما قاما قالا لمن حضر: لا تخدعوا عن أبي عبد الله، فإنه أفقه منا وأعلم وأبصر.

قال: وسمعت حاشد بن عبد الله يقول: كنا عند إسحاق وعمرو بن زرارة ثم، وهو يستملي على البخاري، وأصحاب الحديث يكتبون عنه، وإسحاق يقول: هو أبصر مني. وكان محمد يومئذ شابا.

وقال: حدثني محمد بن يوسف قال: كنا مع أبي عبد الله عند محمد بن بشار، فسأله محمد بن بشار عن حديث، فأجابه، فقال: هذا أفقه خلق الله في زماننا، وأشار إلى محمد بن إسماعيل.

قال: وسمعت سليم بن مجاهد يقول: لو أن وكيعا وابن عيينة وابن المبارك كانوا في الأحياء لاحتاجوا إلى محمد بن إسماعيل.

قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: قال لي إسماعيل بن أبي أويس: انظر في كتبي وما أملكه لك، وأنا شاكر لك ما دمت حيا.

وقال: قال لي أبو عمرو الكرماني: سمعت عمرو بن علي الصيرفي يقول: أبو عبد الله صديقي، ليس بخراسان مثله. فحكيت لمهيار بالبصرة عن قتيبة بن سعيد أنه قال: رحل إلي من شرق الأرض وغربها، فما رحل إلي مثل محمد بن إسماعيل، فقال مهيار: صدق، أنا رأيته مع يحيى بن معين، وهما يختلفان جميعا إلى محمد بن إسماعيل، فرأيت يحيى ينقاد له في المعرفة.

وقال: سمعت أبا سعيد الأشج، وخرج إلينا في غداة باردة، وهو يرتعد من البرد، فقال: أيكون عندكم مثل ذا البرد؟

فقلت: مثل ذا يكون في الخريف والربيع، وربما نمسي والنهر جار، فنصبح ونحتاج إلى الفأس في نقب الجمد.

فقال لي: من أي خراسان أنت؟

قلت: من بخارى.

فقال له ابنه: هو من وطن محمد بن إسماعيل، فقال له: إذا قدم عليك من يتوسل به فاعرف له حقه، فإنه إمام.

وقال: سمعت أحمد بن عبد الله بن ثابت الشاشي، سمعت إسماعيل بن أبي أويس يقول: ما

أخذ عني أحد ما أخذ عني محمد، نظر إلى كتبي، فرآها دارسة، فقال لي: "أتأذن لي أن أجددها؟"

فقلت: نعم.

فاستخرج عامة حديثي بهذه العلة.

وقال: سمعت أبا إسحاق المروزي يقول: دخلت على علي بن حجر ساعة ودعه عبد الله بن عبد الرحمن، فسمعته يقول: قل في أدب عبد الله بن عبد الرحمن ما شئت، وقل في علم محمد ما شئت.

وقال: سمعت محمد بن الليث يقول: وذكر عنده عبد الله ومحمد، فسمع بعض الجماعة يفضل عبد الله على محمد، فقال: إذا قدمتوه فقدموه في الشعر والعربية، ولا تقدموه عليه في العلم.

وقال: سمعت حاشد بن إسماعيل يقول: كان عبد الله بن عبد الرحمن يدس إلي أحاديث من أحاديثه المشكلة عليه، يسألني أن أعرضها على محمد، وكان يشتهي أن لا يعلم محمد، فكنت إذا عرضت عليه شيئا يقول: من ثم جاءت!

وقال محمد بن أبي حاتم، سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أهل المعرفة بالبصرة يعدون خلف البخاري في طلب الحديث، وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه، ويجلسوه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه.

قالا: وكان أبو عبد الله عند ذلك شابا لم يخرج وجهه .

قال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعته -يعني: البخاري- يقول: "لا يكون لي خصم في الآخرة"، فقلت: إن بعض الناس ينقمون عليك في كتاب (التاريخ) ويقولون: فيه اغتياب الناس، فقال: "إنما روينا ذلك رواية لم نقله من عند أنفسنا، قال النبي -ﷺ-: (بئس مولى العشيرة) يعني: حديث عائشة".

وسمعته يقول: "ما اغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها".

قال: وكان أبو عبد الله يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم.

فقلت: أراك تحمل على نفسك، ولم توقظني.

قال: "أنت شاب، ولا أحب أن أفسد عليك نومك".

وقال محمد بن أبي حاتم: دعي محمد بن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه، فلما صلى بالقوم الظهر، قام يتطوع، فلما فرغ من صلاته، رفع ذيل قميصه، فقال لبعض من معه: "انظر هل ترى تحت قميصي شيئا؟ "فإذا زنبور قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعا، وقد تورم من ذلك جسده.

فقال له بعض القوم: كيف لم تخرج من الصلاة أول ما أبرك؟

قال: "كنت في سورة، فأحببت أن أتمها"!!

وقال: سمعت عبد الله بن سعيد بن جعفر يقول: سمعت العلماء بالبصرة يقولون: ما في الدنيا مثل محمد بن إسماعيل في المعرفة والصلاح.

وقال محمد بن أبي حاتم: ركبنا يوما إلى الرمي، ونحن بفربر، فخرجنا إلى الدرب الذي يؤدي إلى الفرضة. فجعلنا نرمي، وأصاب سهم أبي عبد الله وتد القنطرة الذي على نهر ورادة، فانشق الوتد فلما رآه أبو عبد الله نزل عن دابته، فأخرج السهم من الوتد، وترك الرمي.

وقال لنا: "ارجعوا "، ورجعنا معه إلى المنزل، فقال لي: "يا أبا جعفر، لي إليك حاجة تقضيها؟

قلت: أمرك طاعة.

قال: حاجة مهمة، وهو يتنفس الصعداء.

فقال لمن معنا: اذهبوا مع أبي جعفر حتى تعينوه على ما سألته.

فقلت: أية حاجة هي؟

قال لي: تضمن قضاءها؟

قلت: نعم، على الرأس والعين.

قال: ينبغي أن تصير إلى صاحب القنطرة، فتقول له: إنا قد أخللنا بالوتد، فنحب أن تأذن لنا في إقامة بدله، أو تأخذ ثمنه، وتجعلنا في حل مما كان منا، وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر الفربري".

فقال لي: أبلغ أبا عبد الله السلام، وقل له: أنت في حل مما كان منك، وقال جميع ملكي لك الفداء، وإن قلت: نفسي، أكون قد كذبت غير أني لم أكن أحب أن تحتشمني في وتد

أو في ملكي.

فأبلغته رسالته، فتهلل وجهه، واستنار، وأظهر سرورا، وقرأ في ذلك اليوم على الغرباء نحوا من خمس مائة حديث، وتصدق بثلاث مائة درهم.

قال: وسمعته يقول لأبي معشر الضرير: "اجعلني في حل يا أبا معشر".

فقال: من أي شيء؟

قال: "رويت يوما حديثا، فنظرت إليك، وقد أعجبت به، وأنت تحرك رأسك ويدك، فتبسمت من ذلك".

قال: أنت في حل، رحمك الله يا أبا عبد الله.

قال: ورأيته استلقى على قفاه يوما، ونحن بفربر في تصنيفه كتاب (التفسير).

وأتعب نفسه ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث.

فقلت له: إني أراك تقول: إني ما أثبت شيئا، بغير علم قط منذ عقلت، فما الفائدة في الاستلقاء؟

قال: " أتعبنا أنفسنا اليوم، وهذا ثغر من الثغور، خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو، فأحببت أن أستريح، وآخذ أهبة، فإن غافصنا العدو كان بنا حراك".

قال: وكان يركب إلى الرمي كثيرا، فما أعلمني رأيته في طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين، فكان يصيب الهدف في كل ذلك، وكان لا يسبق.

قال: وسمعته يقول: "ما أكلت كراثا قط، ولا القنابرى".

قلت: ولم ذاك؟

قال: "كرهت أن أوذي من معي من نتنهما".

قلت: وكذلك البصل النيء؟

قال: "نعم".

قال: وحدثني محمد بن العباس الفربري، قال: كنت جالسا مع أبي عبد الله البخاري بفربر في المسجد، فدفعت من لحيته قذاة مثل الذرة أذكرها، فأردت أن ألقيها في المسجد، فقال: "ألقها خارجا من المسجد ".

قال: وأملى يوما علي حديثا كثيرا، فخاف ملالي، فقال: "طب نفسا، فإن أهل الملاهي في

ملاهيهم، وأهل الصناعات في صناعاتهم، والتجار في تجاراتهم، وأنت مع النبي -ﷺ- وأصحابه".

فقلت: ليس شيء من هذا، يرحمك الله إلا وأنا أرى الحظ لنفسي فيه.

قال: وسمعته يقول: "ما أردت أن أتكلم بكلام فيه ذكر الدنيا إلا بدأت بحمد الله والثناء عليه".

وقال له بعض أصحابه: يقولون: إنك تناولت فلانا.

قال: "سبحان الله، ما ذكرت أحدا بسوء إلا أن أقول ساهيا، وما يخرج اسم فلان من صحيفتي يوم القيامة".

قال: وضيفه بعض أصحابه في بستان له، وضيفنا معه، فلما جلسنا أعجب صاحب البستان بستانه، وذلك أنه كان عمل مجالس فيه، وأجرى الماء في أنهاره.

فقال له: يا أبا عبد الله، كيف ترى؟

فقال: "هذه الحياة الدنيا".

قال: وكان لأبي عبد الله غريم قطع عليه مالا كثيرا، فبلغه أنه قدم آمل، ونحن عنده بفربر، فقلنا له: ينبغي أن تعبر وتأخذه بمالك.

فقال: "ليس لنا أن نروعه".

ثم بلغ غريمه مكانه بفربر، فخرج إلى خوارزم، فقلنا: ينبغي أن تقول لأبي سلمة الكشاني عامل آمل ليكتب إلى خوارزم في أخذه، واستخراج حقك منه.

فقال: "إن أخذت منهم كتابا طمعوا مني في كتاب، ولست أبيع ديني بدنياي".

فجهدنا، فلم يأخذ حتى كلمنا السلطان عن غير أمره. فكتب إلى والي خوارزم. فلما أبلغ أبا عبد الله ذلك، وجد وجدا شديدا.

وقال: "لا تكونوا أشفق علي من نفسي".

وكتب كتابا، وأردف تلك الكتب بكتب، وكتب إلى بعض أصحابه بخوارزم أن لا يتعرض لغريمه إلا بخير.

فرجع غريمه إلى آمل، وقصد إلى ناحية مرو.

فاجتمع التجار، وأخبر السلطان بأن أبا عبد الله خرج في طلب غريم له.

فأراد السلطان التشديد على غريمه، وكره ذلك أبو عبد الله، وصالح غريمه على أن يعطيه كل سنة عشرة دراهم شيئا يسيرا.

وكان المال خمسة وعشرين ألفا.

ولم يصل من ذلك المال إلى درهم، ولا إلى أكثر منه .

قال: وسمعت أبا عبد الله، يقول: "ما توليت شراء شيء ولا بيعه قط".

فقلت له: كيف وقد أحل الله البيع؟

قال: "لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط، فخشيت إن توليت أن أستوي بغيري".

قلت: فمن كان يتولى أمرك في أسفارك ومبايعتك؟

قال: "كنت أكفى ذلك".

قال: وسمعت محمد بن خداش يقول: سمعت أحمد بن حفص، يقول: دخلت على أبي الحسن -يعني: إسماعيل- والد أبي عبد الله عند موته، فقال: لا أعلم من مالي درهما من حرام، ولا درهما من شبهة.

قال أحمد: فتصاغرت إلي نفسي عند ذلك.

ثم قال أبو عبد الله: " أصدق ما يكون الرجل عند الموت".

قال: وكان أبو عبد الله اكترى منزلا، فلبث فيه طويلا، فسمعته يقول: "لم أمسح ذكري بالحائط، ولا بالأرض في ذلك المنزل".

فقيل له: لم؟ قال: "لأن المنزل لغيري".

قال: وقال لي أبو عبد الله يوما بفربر: "بلغني أن نخاسا قدم بجواري، فتصير معي؟"

قلت: نعم، فصرنا إليه فأخرج جواري حسانا صباحا.

ثم خرج من خلالهن جارية خزرية دميمة عليها شحم، فنظر إليها، فمس ذقنها فقال: " اشتر هذه لنا منه".

فقلت: هذه دميمة قبيحة لا تصلح، واللاتي نظرنا إليهن يمكن شراءهن بثمن هذه.

فقال: "اشتر هذه، فإني قد مسست ذقنها، ولا أحب أن أمس جارية، ثم لا أشتريها"

فاشتراها بغلاء خمس مائة درهم على ما قال أهل المعرفة. ثم لم تزل عنده حتى أخرجها معه إلى نيسابور.

وقال غنجار: أنبأنا أبو عمرو أحمد بن محمد المقرئ: سمعت بكر بن منير – وقد ذكر معناها محمد بن أبي حاتم، واللفظ لبكر – قال: كان حمل إلى البخاري بضاعة أنفذها إليه ابنه أحمد، فاجتمع بعض التجار إليه.

فطلبوها بربح خمسة آلاف درهم.

فقال: انصرفوا الليلة.

فجاءه من الغد تجار آخرون، فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف. فقال: "إني نويت بيعها للذين أتوا البارحة ".

وقال غنجار: حدثنا إبراهيم بن حمد الملاحمي، سمعت محمد بن صابر بن كاتب، سمعت عمر بن حفص الأشقر قال: كنا مع البخاري بالبصرة نكتب، ففقدناه أياما، ثم وجدناه في بيت وهو عريان، وقد نفد ما عنده، فجمعنا له الدراهم، وكسوناه .

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا عبد الله يقول: "ما ينبغي للمسلم أن يكون بحالة إذا دعا لم يستجب له".

فقالت له امرأة أخيه بحضرتي: فهل تبينت ذلك أيها الشيخ من نفسك؛ أو جربت؟

قال: "نعم، دعوت ربي عز وجل مرتين، فاستجاب لي، فلن أحب أن أدعو بعد ذلك، فلعله ينقص من حسناتي، أو يعجل لي في الدنيا. ثم قال: ما حاجة المسلم إلى الكذب والبخل"

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت البخاري يقول: "خرجت إلى آدم بن أبي إياس، فتخلفت عني نفقتي، حتى جعلت أتناول الحشيش، ولا أخبر بذلك أحدا.

فلما كان اليوم الثالث أتاني آت لم أعرفه، فناولني صرة دنانير، وقال: أنفق على نفسك ".

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت الحسين بن محمد السمرقندي يقول: كان محمد بن إسماعيل مخصوصا بثلاث خصال مع ما كان فيه من الخصال المحمودة: كان قليل الكلام، وكان لا يطمع فيما عند الناس، وكان لا يشتغل بأمور الناس، كل شغله كان في العلم.

وقال: سمعت سليم بن مجاهد يقول: ما بقي أحد يعلم الناس الحديث حسبة غير محمد بن إسماعيل، ورأيت سليم بن مجاهد يسأل أبا عبد الله أن يحدثه كل يوم بثلاثة أحاديث، ويبين له معانيها وتفاسيرها وعللها.

فأجابه إلى ذلك قدر مقامه، وكان أقام في تلك الدفعة جمعة.

وسمعت سليما يقول: ما رأيت بعيني منذ ستين سنة أفقه، ولا أورع، ولا أزهد في الدنيا، من محمد بن إسماعيل.

قال عبد المجيد بن إبراهيم: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، كان يسوي بين القوي والضعيف.

قال محمد بن أبي حاتم: كانت له قطعة أرض يكريها كل سنة بسبع مائة درهم.

فكان ذلك المكتري ربما حمل منها إلى أبي عبد الله قثاة أو قثاتين، لأن أبا عبد الله كان معجبا بالقثاء النضيج، وكان يؤثره على البطيخ أحيانا، فكان يهب للرجل مائة درهم كل سنة لحمله القثاء إليه أحيانا.

قال: وسمعته يقول: "كنت أستغل كل شهر خمس مائة درهم، فأنفقت كل ذلك في طلب العلم". فقلت: كم بين من ينفق على هذا الوجه، وبين من كان خلوا من المال، فجمع وكسب بالعلم، حتى اجتمع له.

فقال أبو عبد الله: ﴿ما عند الله خير وأبقى﴾ [الشورى: 36]

قال: وكنا بفربر، وكان أبو عبد الله يبني رباطا مما يلي بخارى، فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك، وكان ينقل اللبن، فكنت أقول له: إنك تكفى يا أبا عبد الله، فيقول: "هذا الذي ينفعنا".

ثم أخذ ينقل الزنبرات معه، وكان ذبح لهم بقرة، فلما أدركت القدور، دعا الناس إلى الطعام، وكان بها مائة نفس أو أكثر، ولم يكن علم أنه يجتمع ما اجتمع، وكنا أخرجنا معه من فربر خبزا بثلاثة دراهم أو أقل، فألقينا بين أيديهم، فأكل جميع من حضر، وفضلت أرغفة صالحة. وكان الخبز إذ ذاك خمسة أمناء بدرهم.

قال: وكان أبو عبد الله ربما يأتي عليه النهار، فلا يأكل فيه رقاقة، إنما كان يأكل أحيانا لوزتين أو ثلاثا. وكان يجتنب توابل القدور مثل الحمص وغيره، فقال لي يوما شبه المتفرج بصاحبه: " يا أبا جعفر، نحتاج في السنة إلى شيء كثير".

قلت له: قدر كم؟

قال: " أحتاج في السنة إلى أربعة آلاف درهم، أو خمسة آلاف درهم".

قال: وكان يتصدق بالكثير، يأخذ بيده صاحب الحاجة من أهل الحديث، فيناوله ما بين

العشرين إلى الثلاثين، وأقل وأكثر، من غير أن يشعر بذلك أحد، وكان لا يفارقه كيسه.

ورأيته ناول رجلا مرارا صرة فيها ثلاث مائة درهم – وذلك أن الرجل أخبرني بعدد ما كان فيها من بعد – فأراد أن يدعو، فقال له أبو عبد الله: ارفق، واشتغل بحديث آخر كيلا يعلم بذلك أحد.

قال: وكنت اشتريت منزلا بتسع مائة وعشرين درهما، فقال: "لي إليك حاجة تقضيها؟"

قلت: نعم، ونعمى عين.

قال: "ينبغي أن تصير إلى نوح بن أبي شداد الصيرفي، وتأخذ منه ألف درهم، وتحمله إلي"، ففعلت.

فقال لي: "خذه إليك، فاصرفه في ثمن المنزل".

فقلت: قد قبلته منك وشكرته.

وأقبلنا على الكتابة، وكنا في تصنيف (الجامع) .

فلما كان بعد ساعة، قلت: عرضت لي حاجة لا أجترئ رفعها إليك، فظن أني طمعت في الزيادة.

فقال: "لا تحتشمني، وأخبرني بما تحتاج، فإني أخاف أن أكون مأخوذا بسببك".

قلت له: كيف؟

قال: "لأن النبي –ﷺ– آخى بين أصحابه".

فذكر حديث سعد وعبد الرحمن.

فقلت له: قد جعلتك في حل من جميع ما تقول، ووهبت لك المال الذي عرضته علي، عنيت المناصفة.

وذلك أنه قال: "لي جوار وامرأة، وأنت عزب، فالذي يجب علي أن أناصفك لنستوي في المال وغيره، وأربح عليك في ذلك".

فقلت له: قد فعلت – رحمك الله – أكثر من ذلك إذ أنزلتني من نفسك ما لم تنزل أحدا، وحللت منك محل الولد، ثم حفظ علي حديثي الأول، وقال:"ماحاجتك؟"

قلت: تقضيها؟

قال: "نعم"، وأسر بذلك.

قلت: هذه الألف، تأمر بقبوله، واصرفه في بعض ما تحتاج إليه، فقبله، وذلك أنه ضمن لي قضاء حاجتي.

ثم جلسنا بعد ذلك بيومين لتصنيف الجامع، وكتبنا منه ذلك اليوم شيئا كثيرا إلى الظهر، ثم صلينا الظهر، وأقبلنا على الكتابة من غير أن نكون أكلنا شيئا، فرآني لما كان قرب العصر شبه القلق المستوحش، فتوهم في ملالا.

وإنما كان بي الحصر غير أني لم أكن أقدر على القيام، وكنت أتلوى اهتماما بالحصر.

فدخل أبو عبد الله المنزل، وأخرج إلي كاغدة فيها ثلاث مائة درهم، وقال: "أما إذ لم تقبل ثمن المنزل، فينبغي أن تصرف هذا في بعض حوائجك".

فجهدني، فلم أقبل. ثم كان بعد أيام، كتبنا إلى الظهر أيضا، فناولني عشرين درهما.

فقال: "ينبغي أن تصرف هذه في شراء الخضر ونحو ذلك".

فاشتريت بها ما كنت أعلم أنه يلائمه، وبعثت به إليه، وأتيت.

فقال لي: "بيض الله وجهك، ليس فيك حيلة، فلا ينبغي لنا أن نعني أنفسنا".

فقلت له: إنك قد جمعت خير الدنيا والآخرة، فأي رجل يبر خادمه بمثل ما تبرني، إن كنت لا أعرف هذا؛ فلست أعرف أكثر منه.

سمعت عبد الله بن محمد الصارفي يقول: كنت عند أبي عبد الله في منزله، فجاءته جارية، وأرادت دخول المنزل، فعثرت على محبرة بين يديه، فقال لها: "كيف تمشين؟" قالت: إذا لم يكن طريق، كيف أمشي؟

فبسط يديه، وقال لها: "اذهبي فقد أعتقتك".

قال: فقيل له فيما بعد: يا أبا عبد الله، أغضبتك الجارية؟

قال: "إن كانت أغضبتني فإني أرضيت نفسي بما فعلت".

وقال محمد الوراق: دخل أبو عبد الله بفربر الحمام، وكنت أنا في مشلح الحمام، أتعاهد عليه ثيابه، فلما خرج ناولته ثيابه، فلبسها، ثم ناولته الخف، فقال: "مسست شيئا فيه شعر النبي -ﷺ-". فقلت: في أي موضع هو من الخف؟

فلم يخبرني. فتوهمت أنه في ساقه بين الظهارة والبطانة.

وقال محمد بن أبي حاتم: أتى رجل عبد الله البخاري، فقال: يا أبا عبد الله، إن فلانا

يكفرك!. فقال: "قال النبي -ﷺ-: (إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء به أحدهما)".
وكان كثير من أصحابه يقولون له: إن بعض الناس يقع فيك.
فيقول:﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ [النساء 76] ويتلو أيضا: ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ [فاطر: 43] .
فقال له عبد المجيد بن إبراهيم: كيف لا تدعو الله على هؤلاء الذين يظلمونك ويتناولونك ويبهتونك؟
فقال: "قال النبي -ﷺ-: (اصبروا حتى تلقوني على الحوض)، وقال: - ﷺ -: (من دعا على ظالمه، فقد انتصر) ".
قال محمد بن أبي حاتم: وسمعته يقول: "لم يكن يتعرض لنا قط أحد من أفناء الناس إلا رمي بقارعة، ولم يسلم، وكلما حدث الجهال أنفسهم أن يمكروا بنا رأيت من ليلتي في المنام نارا توقد ثم تطفأ من غير أن ينتفع بها، فأتأول قوله تعالى: ﴿كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله﴾[المائدة: 64] ".
وكان هجيراه من الليل إذا أتيته في آخر مقدمه من العراق: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾ [آل عمران:160]الآية.
وقال محمد بن أبي حاتم، سمعت أبا منصور غالب بن جبريل، وهو الذي نزل عليه أبو عبد الله يقول: إنه أقام عندنا أياما، فمرض، واشتد به المرض، حتى وجه رسولا إلى مدينة سمرقند في إخراج محمد، فلما وافى تهيأ للركوب، فلبس خفيه، وتعمم، فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها وأنا آخذ بعضده ورجل أخذ معي يقوده إلى الدابة ليركبها، فقال -رحمه الله-: "أرسلوني، فقد ضعفت"، فدعا بدعوات، ثم اضطجع، فقضى -رحمه الله- فسال منه العرق شيء لا يوصف، فما سكن منه العرق إلى أن أدرجناه في ثيابه.
وكان فيما قال لنا وأوصى إلينا: " أن كفنوني في ثلاثة أثواب بيض، ليس فيها قميص ولا عمامة"، ففعلنا ذلك. فلما دفناه فاح من تراب قبره رائحة غالية أطيب من المسك، فدام ذلك أياما، ثم علت سواري بيض في السماء مستطيلة بحذاء قبره، فجعل الناس يختلفون ويتعجبون، وأما التراب فإنهم كانوا يرفعون عن القبر حتى ظهر القبر، ولم نكن نقدر على حفظ القبر بالحراس، وغلبنا على أنفسنا، فنصبنا على القبر خشبا مشبكا، لم يكن أحد يقدر

على الوصول إلى القبر، فكانوا يرفعون ما حول القبر من التراب، ولم يكونوا يخلصون إلى القبر، وأما ريح الطيب فإنه تداوم أياما كثيرة حتى تحدث أهل البلدة، وتعجبوا من ذلك، وظهر عند مخالفيه أمره بعد وفاته، وخرج بعض مخالفيه إلى قبره، وأظهروا التوبة والندامة مما كانوا شرعوا فيه من مذموم المذهب.

قال محمد بن أبي حاتم: ولم يعش أبو منصور غالب بن جبريل بعده إلا القليل، وأوصى أن يدفن إلى جنبه. وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا ذر يقول: رأيت محمد بن حاتم الخلقاني في المنام، وكان من أصحاب محمد بن حفص، فسألته وأنا أعرف أنه ميت عن شيخي – رحمه الله– هل رأيته؟ قال: نعم، رأيته، وهو ذاك، يشير إلى ناحية سطح من سطوح المنزل. ثم سألته عن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، فقال: رأيته، وأشار إلى السماء إشارة كاد أن يسقط منها لعلو ما يشير."

د- شمائل البخاري من هداية الساري لابن حجر

هذه نبذة من أخبار الإمام أبي عبد الله البخاري، منبهة على قدره وتفخيم أمره، وإن كان أمره شهيرا وقدره أثيرا، لكن في المفصل ما ليس في الجملة، وقد أوردتها مختصرة الإسناد غالبا. وأكثر ما أوردته فمن كتاب «شمائل البخاري» تأليف وراقه الإمام أبي جعفر محمد بن أبي حاتم البخاري.

وقد أخبرني بجميعه أبو محمد عبد الله بن محمد المكي إذنا مشافهة عن كتاب سليمان بن حمزة عن عبد العزيز بن أحمد بن باقا، عن أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر، عن أبي بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي؛ قال: أخبرنا أبو طاهر أحمد بن عبد الله ابن مهرويه؛ قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف الفربري؛ قال: أخبرنا جدي؛ قال: أخبرنا أبو جعفر.. وهو جزء ضخم.

وقال وراق البخاري: سمعت الحسن بن الحسين البزاز يقول: رأيت محمد بن إسماعيل شيخا نحيف الجسم، ليس بالطويل ولا بالقصير، ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومئة ببخاري.

في نشأته وطلبه للحديث.

قال وراق البخاري: قلت لأبي عبد الله: كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟

قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب. قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر، فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يوما فيما كان يقرأ للناس: سفيان، عن أبي الزبير، عن إبراهيم. فقلت: يا أبا فلان! إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم! فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك. فدخل ونظر فيه، ثم رجع، فقال لي: كيف هو يا غلام؟ فقلت: هو: الزبير بن عدي، عن إبراهيم. فأخذ القلم وأصلح كتابه، فقال: صدقت. فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت إذ رددت عليه؟ فقال له :ابن إحدى عشرة سنة.

قال: فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخي وتخلفت بها في طلب الحديث، فلما طعنت في ثماني عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وذلك في أيام عبيد الله بن موسى، وصنفت كتاب «التاريخ» إذ ذاك عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة. قال: وقل اسم في «التاريخ» إلا وله عندي قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتاب.

وقال الوراق: سمعت البخاري يقول: كنت أختلف إلى الفقهاء بمرو وأنا صبي، فقال لي مؤدب من أهلها: كم كتبت اليوم؟ فقلت: آيتين، فضحك من حضر المجلس فقال شيخ منهم: لا تضحكوا؛ فلعله يضحك منكم يوما.

وقال وراقه: سمعته يقول: دخلت بلخ، فسألني أصحاب الحديث أن أملي عليهم لكل من لقيت حديثا عنه، فأمليت ألف حديث لألف شيخ ممن كتبت عنه. ثم قال: كتبت عن ألف وثمانين نفسا ليس فيهم إلا صاحب حديث.

وقال أيضا: كتبت عن ألف نفس من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عن من قال: الإيمان قول وعمل.

وقال وراقه: سمعت هانئ بن النضر يقول: كنا عند محمد بن يوسف ــيعني الفريابيــ بالشام، وكنا نتنزه، وكان محمد بن إسماعيل معنا، وكان لا يزاحمنا فيما نحن فيه، بل يكب على العلم.

قال: وسمعته يقول: لم تكن كتابتي الحديث كما كتب هؤلاء، كنت إذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبه، وعلة الحديث إن كان الرجل فهما، فإن لم يكن سألته أن يخرج لي أصله ونسخته، فأما الآخرون فلا يبالون ما يكتبون ولا كيف يكتبون.

قال وراقه: سمعت العباس الدوري يقول: ما رأيت أحسن طلبا للحديث من محمد بن إسماعيل؛ كان لا يدع أصلا ولا فرعا إلا قلعه. ثم قال لنا: لا تدعوا شيئا من كلامه إلا كتبتموه.

وقال الوراق عن حاشد بن إسماعيل: كان البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام، فلمناه، فقال لنا بعد ستة عشر يوما: قد كثرتم علي، فاعرضوا علي ما كتبتم! فأخرجناه، فزاد على خمسة عشر ألفا، فقرأها كلها عن ظهر قلب، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه، فعلمنا أنه لا يتقدمه أحد، فكان أهل المعرفة بالبصرة يعدون خلفه في طلب الحديث، فيكتبون عنه ــوهو شابــ حتى يغلبوه على

نفسه، ويجلسونه في بعض الطريق، فيجتمعون عليه ألوف، أكثرهم ممن يكتب عنه، وكان إذ ذاك شابا لم يخرج وجهه.

وقال الوراق: كان شديد الحياء في صغره، حتى قال شيخنا محمد بن سلام: أترون البكر أشد حياء من هذا الغلام؟ !

قال: وسمعته يقول: كنت في مجلس الفريابي، فقال: حدثنا سفيان، عن أبي عروة، عن أبي الخطاب، عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه بغسل واحد. فلم يعرف أحد في المجلس أبا عروة ولا أبا الخطاب، فقلت: أما أبو عروة؛ فمعمر، وأما أبو الخطاب؛ فهو قتادة. قال: وكان الثوري فعولا لهذا؛ يكني المشهورين.

في سيرته وشمائله وزهده وفضائله

قال وراقه: سمعت محمد بن خداش يقول: سمعت أحمد بن حفص يقول: دخلت على إسماعيل والد أبي عبد الله عند موته، فقال: لا أعلم من مالي درهما من حرام، ولا درهما من شبهة. قلت: وكان محمد بن إسماعيل قد ورث من أبيه مالا جليلا، فكان يعطيه مضاربة، فقطع له غريم خمسة وعشرين ألفا، فقيل له: استعين بكتاب الوالي. فقال: إن أخذت منهم كتابا طمعوا، ولن أبيع ديني بدنياي. ثم صالح غريمه على أن يعطيه كل سنة عشرة دراهم، نزرا يسيرا، وذهب ذلك المال. حكاها وراقه وطولها.

وقال وراقه: سمعته يقول: خرجت إلى آدم بن أبي إياس، فتأخرت نفقتي حتى جعلت أتناول حشيش الأرض، فلما كان في اليوم الثالث أتاني رجل لا أعرفه، فوهبني عشرة دنانير.

وقال وراقه: سمعته يقول: كنت أستغل في كل شهر خمس مئة درهم، فأنفقها في الطلب، وما عند الله خير وأبقى.

وقال وراقه: رأيته استلقى ونحن بفربر في تصنيف كتاب التفسير، وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في التخريج، فقلت له: إني أراك تقول: ما أتيت شيئا بغير علم، فما الفائدة في

الاستلقاء؟ قال: أتعبت نفسي اليوم، وهذا ثغر، خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو، فأحببت أن أستريح وآخذ أهبة، فإن غافصنا العدو كان في حراك.

قال: وكان يركب إلى الرمي كثيرا، فما أعلمني رأيته في طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين، بل كان يصيب في كل ذلك ولا يسبق.

قال: وركبنا يوما إلى الرمي ونحن بفربر، فخرجنا إلى الدرب الذي يؤدي إلى الفرضة، فجعلنا نرمي، وأصاب سهم أبي عبد الله وتد القنطرة التي على النهر، فانشق الوتد، فلما رآه نزل عن دابته، فأخرج السهم من الوتد، وترك الرمي، وقال لنا: ارجعوا. فرجعنا، فقال لي: يا أبا جعفر، لي إليك حاجة. وهو يتنفس الصعداء، فقلت: نعم. فقال: تذهب إلى صاحب القنطرة، فتقول له: قد أخللنا بالوتد، فنحب أن تأذن لنا في إقامة بدله، أو تأخذ ثمنه، أو تجعلنا في حل مما كان منا. وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر، فقال لي: أبلغ أبا عبد الله السلام، وقل له: أنت في حل مما كان منك؛ فإن جميع ملكي لك الفداء. فأبلغته الرسالة، فتهلل وجهه وأظهر سرورا كبيرا، وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمس مئة حديث، وتصدق بثلاث مئة درهم .

قال: وسمعته يقول لأبي معشر الضرير: اجعلني في حل يا أبا معشر. فقال :من أي شيء؟ فقال: رويت حديثا يوما، فنظرت إليك وقد أعجبت به، وأنت تحرك رأسك ويدك، فتبسمت من ذلك. قال: أنت في حل رحمك الله يا أبا عبد الله .

قال: وسمعته يقول: دعوت ربي مرتين فاستجاب لي، فلن أحب أن أدعو بعد؛ فلعله تنقص حسناتي.

قال: وسمعته يقول: لا يكون لي خصم في الآخرة. فقلت: إن بعض الناس ينقمون عليك «التاريخ»؛ ويقولون: فيه اغتياب الناس! فقال: إنما روينا ذلك رواية، لم نقله من عند أنفسنا؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بئس أخو العشيرة».

قال: وسمعته يقول: ما اغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها.

وبالسند إلى بكر؛ قال: كان محمد بن إسماعيل يصلي ذات يوم، فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة، فلما قضى صلاته قال: انظروا إيش هذا الذي آذاني في صلاتي؟ فنظروا، فإذا الزنبور قد ورمه في سبعة عشر موضعا، ولم يقطع صلاته..

قلت: ورواها وراقه بالمعنى، وزاد: قال: كنت في آية، فأحببت أن أتمها.

وقال وراقه: كنا بفربر، وكان أبو عبد الله يبني رباطا مما يلي بخارى، فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك، وكان ينقل اللبن، فكنت أقول له: يا أبا عبد الله! إنك تكفى ذلك.

فيقول: هذا الذي ينفعني .

قال: وكان ذبح لهم بقرة، فلما أدركت القدور دعا الناس إلى الطعام، وكان معه مئة نفس أو أكثر، ولم يكن علم أنه يجتمع ما اجتمع، وكنا أخرجنا معه من فربر خبزا بثلاثة دراهم، وكان الخبز إذ ذاك خمسة أمناء بدرهم، فألقيناه بين أيديهم، فأكل جميع من حضر، وفضلت أرغفة صالحة .

قال: وكان قليل الأكل جدا، كثير الإحسان إلى الطلبة، مفرط الكرم .

قلت: وحكى أبو الحسن يوسف بن أبي ذر البخاري: أن البخاري مرض، فعرضوا ماءه على الأطباء، فقالوا: إن هذا الماء يشبه ماء بعض أساقفة النصارى؛ فإنهم لا يأتدمون. فصدقهم محمد بن إسماعيل، وقال: لم أئتدم منذ أربعين سنة .فسألوا عن علاجه، فقالوا: علاجه الأدم. فامتنع حتى ألح عليه المشايخ وأهل العلم إلى أن أجابهم أن يأكل بقية عمره في كل يوم سكرة مع رغيف.

وقال وراقه: كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ أحيانا، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة، فيوري نارا بيده ويسرج، ويخرج أحاديث فيعلم عليها، ثم يضع رأسه، وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة، يوتر منها بواحدة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم، فقلت له: إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني!؟ قال: أنت شاب، فلا أحب أن

أفسد عليك نومك.

وقال وراقه: كان معه شيء من شعر النبي صلى الله عليه وسلم في ملبوسه، أظن في خفه .

قال: وسمعته يقول ــوقد سئل عن خبر حديثــ: يا أبا فلان! تراني أدلس؛ وقد تركت عشرة آلاف حديث لرجل لي فيه نظر؟ !

وقال وراقه: سمعته يقول: كان إسماعيل ابن أبي أويس إذا انتخبت من كتابه نسخ تلك الأحاديث لنفسه، وقال: هذه أحاديث انتخبها محمد بن إسماعيل من حديثي.

وقال البخاري: اجتمع أصحاب الحديث، فسألوني أن أكلم إسماعيل بن أبي أويس ليزيدهم في القراءة، ففعلت، فدعا الجارية وأمرها أن تخرج صرة دنانير، وقال: يا أبا عبد الله، فرقها عليهم. قلت: إنما أرادوا الحديث. قال: قد أجبتك إلى ما طلبت من الزيادة، غير أني أحب أن تضم هذا إلى ذاك.

وقال البخاري: قال لي ابن أبي أويس: انظر في كتبي، وما أملكه لك، وأنا شاكر لك ما دمت حيا.

وقال حاشد بن إسماعيل: قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري المدني: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر من أحمد. فقال رجل من جلسائه: جاوزت الحد! فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت كلاهما واحد في الحديث والفقه.

وقال وراق البخاري: سمعت يحيى بن جعفر البيكندي يقول: لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت؛ فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموت محمد بن إسماعيل ذهاب العلم.

قال: وسمعته يقول: لولا أنت ما استطبت العيش ببخارى.

وقال محمد بن أبي حاتم وراق البخاري: سمعته يقول: لو نشر بعض أستاذي هؤلاء لم يفهموا كيف صنفت «التاريخ» ولا عرفوه. ثم قال: صنفته ثلاث مرات .

وقال له وراقه: تحفظ جميع ما أدخلت في المصنف؟ فقال: لا يخفى علي جميع ما فيه، وصنفت جميع كتبي ثلاث مرات.

وقال: وبلغني أنه شرب البلاذر، فسألته خلوة: هل من دواء للحفظ؟ فقال: لا أعلم. ثم أقبل علي فقال: لا أعلم شيئا أنفع للحفظ من نهمة الرجل ومداومة النظر.

وقال: أقمت بالمدينة _بعد أن حججت_ سنة جرداء أكتب الحديث .

قال: وأقمت بالبصرة خمس سنين، معي كتبي أصنف، وأحج في كل سنة، وأرجع من مكة إلى البصرة. قال: وأنا أرجو أن الله تعالى يبارك للمسلمين في هذه المصنفات. وعن البخاري؛ قال: تذكرت يوما أصحاب أنس، فحضرني في ساعة ثلاث مئة نفس، وما قدمت على شيخ إلا كان انتفاعه بي أكثر من انتفاعي به.

وقال وراقه: عمل كتابا في الهبة فيه نحو خمس مئة حديث، وقال: ليس في كتاب وكيع في الهبة إلا حديثان مسندان أو ثلاثة، وفي كتاب ابن المبارك خمسة أو نحوه.

وقال وراقه: سمعته يقول: ما نمت البارحة حتى عددت كم أدخلت تصانيفي من الحديث، فإذا نحو مئتي ألف.

وقال أيضا: لو قيل لي شيء، لما قمت حتى أروي عشرة آلاف حديث في الصلاة خاصة.

وقال وراقه: سمعته يقول: ما جلست للتحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم، وحتى نظرت في كتب أهل الرأي، وما تركت بالبصرة حديثا إلا كتبته .

وقال: سمعته يقول: لا أعلم شيئا يحتاج إليه إلا وهو في الكتاب والسنة. قال: فقلت له: يمكن معرفة ذلك؟ قال: نعم .

وقال الفربري: سمعت وراق البخاري يقول: سمعت البخاري يقول: صنفت «كتاب الاعتصام» في ليلة .

قال: وسمعت وراق البخاري يقول: رأيته في المنام خلف النبي صلى الله عليه وسلم والنبي

صلى الله عليه وسلم يمشي، كلما رفع النبي صلى الله عليه وسلم قدمه وضع أبو عبد الله قدمه في ذلك الموضع.

3- أسامي الشيوخ للنسائي (215-303)

رواية حمزة الكناني، ولمشيخة النسائي عدة روايات متفاوتة فيما بينها من ناحية استيعاب شيوخ النسائي[1]. وقد بقيت هذه الرواية متداولة بين ايدي العلماء حتى عصر الامام ابن حجر العسقلاني الذي اعتمدها في الرد على الامام المزي نفيه أن يكون البخاري من شيوخ النسائي، قال رحمه الله: " وأما ما رجحه المصنف من أن النسائي لم يلق البخاري فهو مردود، فقد ذكره في أسماء شيوخه الذين لقيهم وقال فيه: (**ثقة مأمون، صاحب حديث، كيس**)[2]"

4- الجرح والتعديل[3]

عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، ابن أبي حاتم (ت 327هـ)

قال رحمه الله: " **محمد بن اسماعيل البخاري أبو عبد الله، قدم عليهم الري سنة مئتين وخمسين، روى عن عبدان المروزي، وأبي همام الصلت بن محمد، والفريابي، وابن ابى اويس. سمع منه أبي وأبو زرعة، ثم تركا حديثه، عندما كتب اليهما محمد ابن يحيى النيسابوري أنه أظهر عندهم أن لفظه بالقرآن مخلوق**".

---

[1] راجع مقدمة تحقيق " تسمية مشايخ النسائي" لحاتم العوني ص 29

[2] تهذيب التهذيب 320/11 ط دبي

[3] الجرح والتعديل 191/7- دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى 1271 هـ 1952 م

5- **تاريخ** ابن **يونس المصري**

أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي المصري (281-347)

وهذا الكتاب يرويه ابن عساكر، قال: كتب إلي أبو زكريا يحي بن عبد الوهاب، وحدثني أبو بكر اللفتواني عنه، أنبأنا عمي أبو القاسم، عن أبيه أبي عبد الله، قال: قال لنا أبو سعيد بن يونس: "**محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، من أهل بخارى، قدم مصر وكتب بها وكتب عنه، يكنى أبا عبد الله**. **توفي بعد سنة خمسين ومائتين**"[1]

وقال ابن خلكان: "وذكر ابن يونس في تاريخ الغرباء أنه قدم مصر وتوفي بها، وهو غلط"[2]

قلت: لعل كلمة (توفي بها) تصحيف من (حدث بها) والله أعلم. وتاريخ الغرباء هو أحد أقسام تاريخ ابن يونس الذي خصصه للعلماء الواردين على مصر.

6- **كتاب الصلة**

لأبي القاسم مسلمة بن قاسم القرطبي (ت 353هـ).

تكلم فيه الذهبي وأبو جعفر المالقي، ولم يصب من تكلم فيه، قال ابن حجر بعدما نقل كلام الذهبي في الميزان: "هذا رجل كبير القَدْر، ما نَسَبه إلى التشبيه إلَّا مَنْ عاداه، وله تصانيفُ في الفن، وكانت له رحلة لقي فيها الأكابر."[3]

وقال: "وهو مسلمة بن قاسم بن إبراهيم بن عبد الله بن حاتم، جمع تاريخًا في الرجال، شَرَط فيه أن لا يذكر إلَّا مَنْ أغفله البخاري في "تاريخه"، وهو كثير الفوائد، في مجلَّد واحد."

---

[1] تاريخ دمشق 54/52

[2] وفيات الأعيان 190/4

[3] لسان الميزان 61/8 ط ابي غدة

قال أبو محمد ابن حزم: "كان أحد المكثرين من الرواية والحديث، سمع الكثير بقرطبة، ثم رحل إلى المشرق قبل العشرين وثلاث مئة، فسمع بالقيروان، وأطرابلس، والإسكندرية، وأقريطش، ومصر، والقلزم، وجدة، ومكة، واليمن، والبصرة، وواسط، والأبلة، وبغداد، والمدائن، وبلاد الشام، وجمع علماً كثيراً، ثم رجع إلى الأندلس فكَتَّفَ بصره."

وقال ابن الفرضي: "سمعتُ مَنْ يَنسِبُهُ إلى الكَذِب، وقال لي مُحَمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ يَحْيَى بن مُفَرّج: لم يكن كذّاباً، بل كان ضعيفَ العقل."

وكان رحمه الله يُصدِّقُ كلَّ ما يُقال له، فيذكره في كتبه دون تَحَرٍّ.

قال ابن حجر في التهذيب[1]:" وقال مَسْلَمة في "الصِّلة": **كان ثقةً جليلَ القدر، عالمًا بالحديث، وكان يقول بخلق القرآن فأنكر ذلك عليه علماء، خراسان فهربَ، ومات وهو مُستخفي.**

قال: وسمعت بعض أصحابنا يقول: سمعتُ العُقَيليّ يقول: لمَّا أَلَّفَ البخاريُّ كتابه "الصَّحيح"، عرضه على ابن المديني، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، فامتحنوه فكلهم قال: كتابك صحيح، إلا أربعة أحاديث؛ قال العقيلي: والقول فيها قول البخاري، وهي صحيحة.

قال مسلمة: **وألف علي بن المديني كتاب "العلل"، وكان ضنينا به، فغاب يوما في بعض ضياعه، فجاء البخاري إلى بعض بنيه، وأرغبه بالمال على أن يرى الكتاب يوما واحدا، فأعطاه له، فدفعه إلى النساخ، فكتبوه له، ورده إليه، فلما حضر علي، تكلم بشيء، فأجابه البخاري بنص كلامه مرارا، ففهم القصة، واغتم لذلك، فلم يزل مغموما حتى**

[1] تهذيب التهذيب 11/318-319 ط دبي

مات بعد يسير، واستغنى البخاري عنه بذلك الكتاب، وخرج إلى خراسان، ووضع كتابه "الصحيح"، فعظم شأنه، وعلا ذكره، وهو أول من وضع في الإسلام كتابا صحيحا، فصار الناس له تبعا بعد ذلك."

قال ابن حجر متعقبا كلام مسلمة:" إنما أوردت كلام مسلمة هذا، لأبين فساده، فمن ذلك إطلاقه بأن البخاري كان يقول بخلق القرآن، وهو شيء لم يسبقه إليه أحد، وقد قدمنا ما يدل على بطلان ذلك. وأما القصة التي حكاها فيما يتعلق "بالعلل" لابن المديني، فإنها غنية عن الرد لظهور فسادها، وحسبك أنها بلا إسناد، وأن البخاري لما مات علي كان مقيما ببلاده، وأن "العلل" لابن المديني قد سمعها منه غير واحد غير البخاري، فلو كان ضنينا بها لم يخرجها، إلى غير ذلك من وجوه البطلان لهذه الأخلوقة، والله الموفق".

وقال في هداية الساري[1]:" وقد ظفرت بشاردة باردة: ذكر مسلمة بن قاسم الأندلسي في صلته أن (**البخاري توفي يوم السبت مستهل رجب سنة خمس وخمسين ومئتين**). قلت: وهو خطأ فاحش/ لم أذكره إلا لغرابته"

7- الثقات[2]

محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البستي (المتوفى: 354هـ)

قال رحمه الله: " **محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري أبو عبد الله، يروي عن عبيد الله بن موسى، وأبي عاصم، والمكي بن إبراهيم، مات ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين وقبره بخرتنك على فرسخين من سمرقند، ودفن من الغد يوم الفطر يوم السبت. وكان من خيار الناس ممن جمع وصنف ورحل وحفظ وذاكر وحث**

[1] هداية الساري لسيرة البخاري ص 180-181 دار الكمال المتحدة.

[2] الثقات 9/113-114- دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند. الطبعة الأولى، 1973

عليه، وكثرت عنايته بالأخبار وحفظه للآثار مع علمه بالتاريخ ومعرفة أيام الناس ولزوم الورع الخفي والعبادة الدائمة إلى أن مات رحمه الله".

8- أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه في جامعه الصحيح.[1]

المحدث الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي(365هـ)

قال رحمه الله: " ونبدأ بذكر نسب محمد بن إسماعيل، ومولده، وصفته، ومناقبه، وعلمه، وحفظه، وما امتحن به، وموته.

سمعت محمد بن أحمد بن سعدان البخاري يقول: أبو عبد الله محمد إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري، وبردزبه مجوسي مات عليها، والمغيرة بن بردزبه أسم على يد يمان البخاري الجعفي، ويمان هذا هو أبو جد عبد الله بن محمد المسندي. ومحمد بن إسماعيل جعفي وقيل: لأن أبا جده أسلم على يدي جد عبد الله بن محمد المسندي، وقيل له مسندي لأنه كان يطلب المسند في حداثته.

سمعت أبا علي الحسن بن الحسين البزاز البخاري يقول: ولد محمد بن إسماعيل البخاري يوم الجمعة، بعد صلاة الجمع لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة.

سمعت الحسن بن الحسين البزاز يقول: رأيت محمد بن إسماعيل شيخا نحيف الجسم، ليس بالطويل ولا بالقصير.

[11] أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه في جامعه الصحيح. ص47-62
ت: عامر حسن صبري. الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت. ط الأولى، 1414هـ/1994م

سمعت محمد بن يوسف الفربري يقول: سمعت النجم بن فضيل وكان من أهل المعرفة والفضل يقول: رأيت النبي ﷺفي المنام، وقد خرج من باب باستين – قرية ببخارى– وخلفه محمد بن إسماعيل البخاري، فكلما خطا النبي ﷺ خطوة، خطا محمد بن إسماعيل خطوة النبي ﷺ، ورفع قدمه على قدم النبي ﷺ.

سمعت عبد القدوس بن همام يقول: سمعت عدة من المشايخ يقولون: دون محمد بن إسماعيل البخاري تراجم جامعه بين قبر النبي ﷺ ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين.

سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري ــرحمه اللهــ قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها ودخلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوها إلى عشرة أنفس، إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري، وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين. فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه. فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه. ثم سأله عن آخر، فقال: لا أعرفه. فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول: لا أعرفه. فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقول: الرجل فهم، ومن كان من غيرهم يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم. ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه. وسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه. وسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه. فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول: لا أعرف. ثم انتدب له الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على: لا أعرفه. فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منه فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث والرابع على الولاء، حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالأخرين مثل ذلك ورد متون

الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها، فأقر له الناس بالحفظ والعلم وأذعنوا له بالفضل .وكان ابن صاعد إذا ذكر محمد بن إسماعيل البخاري يقول: الكبش النطاح.

ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل البخاري لما ورد نيسابور واجتمع الناس وعقد به المجلس حسده من كان في ذلك الوقت من مشايخ نيسابور لما رأوا إقبال الناس إليه واجتماعهم عليه، فقيل: يا أصحاب الحديث، إن محمد بن إسماعيل يقول: اللفظ بالقرآن مخلوق، فامتحنوه في المجلس. فلما حضر الناس مجلس البخاري، قام إليه رجل فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو أم غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجبه، فقال الرجل: يا أبا عبد الله، وأعاد عليه القول، فأعرض عنه فلم يجبه، ثم قال في الثالثة، فالتفت إليه محمد بن إسماعيل فقال: " القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة، والامتحان بدعة". فشغب الرجل وشغب الناس وتفرقوا عنه، وقعد البخاري في منزله .

سمعت الإسماعيلي يقول: سمعت الفرهياني يقول: سمعت عمرو بن منصور النيسابوري يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري وسئل عن اللفظ بالقرآن، فقال: " سمعت عبيد الله بن سعيد أبا قدامة السرخسي يقول: سمعت يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي يقولان: أفعال العباد مخلوقة ".

سمعت أبا بكر الإسماعيلي يقول: سمعت الفرهياني يقول: قيل لمحمد بن إسماعيل: أترجع عما قلت ليعود الناس إليك؟ فقال: لا حاجة لي فيهم.

سمعت عبد المجيد يقول: سمعت أبي يقول: سمعت حيكان بن محمد بن يحيى يقول: قلت لأبي يا أبه، ما لك ولهذا الرجل ــ يعني محمد بن إسماعيل ــ ولست من رجاله في العلم؟ قال: رأيته بمكة يتبع شمخضة، وشمخضة كوفي قدري. فبلغ ذلك محمد بن إسماعيل فقال: "دخلت مكة ولم أعرف بها أحدا من المحدثين، وكان شمخضة هذا قد عرف المحدثين، فكنت أتبعه ليقربني من المحدثين، فأي عيب في هذا".

سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد بن إسماعيل إلى خرتنك ـقرية من قرى سمرقند على فرسخين منها ــ وكان له بها أقرباء، فنزل عندهم، فسمعته ليلة

من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يدعو ويقول في دعائه: " اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك ". قال: فما تم الشهر حتى قبضه الله، وقبره بخرتنك رحمه الله.

سمعت الحسن بن الحسين البزاز البخاري يقول: توفي محمد بن إسماعيل البخاري ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت مستهل شوال سنة ست وخمسين ومائتين، وعاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما، رحمه الله .

سمعت الحسن بن الحسين البزاز يقول: سمعت إبراهيم بن معقل يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: " ما أدخلت في هذا الكتاب _ يعني جامعه _ إلا ما صح، وتركت من الصحاح كي لا يطول الكتاب".

9- الكامل في الضعفاء[1]

قال رحمه الله: " محمد بن إسماعيل البخاري.

حدثني محمد بن أحمد القومسي، قال: سمعت محمد بن حمدويه يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: "أحفظ مئة ألف حديث صحيح، واحفظ مئتي ألف حديث غير صحيح".

سمعت الحسن بن الحسين البخاري يقول: سمعت إبراهيم بن معقل يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: "ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صح وتركت من الصحاح الطوال لحال الطول".

سمعت محمد بن يوسف الفربري يقول: سمعت النجم بن الفضل وكان من أهل الفهم يقول: رأيت النبي ﷺفي المنام خرج من قرية باستين، ومحمد بن إسماعيل خلفه، وكان النبي ﷺ إذا خطا خطوة يخطو محمد ويضع قدمه على خطوة النبي ﷺويتبع أثره.

---

[1] الكامل في ضعفاء الرجال 226/1-227- دار الكتب العلمية ط الأولى، 1418هـ1997م

سمعت محمد بن أحمد بن سعدان البخاري يقول: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مغيرة ابن بردزبه البخاري، وبردزبه مجوسي مات عليها، والمغيرة بن بردزبه أسلم على يدي يمان البخاري والي بخارى، ويمان هذا هو أبو جد عبد الله بن محمد المسندي، وعبد الله بن محمد هو ابن جعفر بن يمان البخاري الجعفي، والبخاري قيل له: جعفي لأن أبا جده أسلم على يدي أبي جد عبد الله المسندي، ويمان جعفي نسب إليه لأنه مولاه نم فوق، وعبد الله قيل له: مسندي لأنه كان يطلب المسند من حداثته.

سمعت الحسن بن الحسين البزاز ببخارى يقول: رأيت محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة شيخا نحيف الجسم ليس بالطويل، ولا بالقصير، ولد يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شوال من سنة أربع وتسعين ومئة، وتوفي ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت لغرة شوال من سنة ست وخمسين ومئتين، عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما".

10- الفهرست[1]

محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق، أبو الفرج بن أبي يعقوب النديم (ت 380هـ)

قال رحمه الله: " **بخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة البخاري، من علماء المحدثين الثقات، وله من الكتب: كتاب التاريخ الكبير، كتاب التاريخ الصغير، كتاب الأسماء والكني، كتاب الضعفاء، كتاب الصحيح، كتاب السنن في الفقه، كتاب الأدب، كتاب التاريخ الأوسط، كتاب خلق أفعال العباد، كتاب القراءة خلف الامام.**"

[1] الفهرست ص282. المحقق: إبراهيم رمضان. الناشر: دار المعرفة لبنان ط الثانية 1417 - 1997

11- الأسامي والكنى[1]

أبو أحمد الحاكم الكبير، محمد بن محمد بن أَحمد بن إِسحاق النيسابوري الكرابيسي (ت 378 هـ)

قال رحمه الله:" **أبو عبد الله محمد بن إِسماعِيل بن إِبراهِيم بن المُغِيرَة، الجُعفِي، البُخارِي.**

سمع: أبا عبد الله محمد بن يُوسُف الفِريابِي، وأبا محمد عبد الله بن يُوسُف التِّنِّيسِي.

رَوَى عنه: أبو عَلِيٍّ الحُسَين بن محمد بن نِيار القَبانِي، وأبو بَكر محمد بن إِسحاق بن خُزَيمَة السُّلَمِي، وأبو محمد يَحيَى بن محمد بن صاعِد الهاشِمِي.

كان أحد الأئمة في معرفة الحديث وجمعه، ولو قلتُ: إني لم أر تصنيفًا يفوق تصنيفه في المبالغة والحُسن، أو لم أسمع بآدَمِيٍّ يترول في باب الحديث بمثله، رجوت أن أكون صادِقًا في قولي. نَسَبَهُ، وكَناهُ لَنا: محمد بن سُلَيمان بن فارِس."

12- كتاب أبي منصور الشيرازي في الشيوخ

أحمد بن منصور بن محمد الشيرازي الحافظ رحمه الله تعالى، كنيته أبو العباس (ت 382هـ)

كان حافظا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، عارفا به، سافر الكثير، وكتب الكثير، وصنف وأملى، وكان يلبس الرقعة ويتزيا بزي الصوفية[2].

---

[1] الأسامي والكنى 165/5 تحقيق الأزهري، دار الفاروق، ط الأولى، 1436 هـ - 2015 م

[2] سير السلف الصالحين لقوام السنة الأصبهاني تحقيق د. كرم بن حلمي – دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض

قال الحاكم النيسابوري: " وكان أحد الرحالة في طلب الحديث المكثرين من السماع والجمع ورد علينا بنيسابور سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وأقام عندنا سنين وكنت أرى معه مصنفات كثيرة في الشيوخ والأبواب"[1]

إحتفظ لنا الامام أبي علي الغساني بنصوص مما نقله الشيرازي من أخبار البخاري

فقال[2]:" ومما رويناه عن غير أبي بكر الخطيب: ذكر عن أحمد بن منصور بن محمد الشيرازي قال: حدثني محمد بن يعقوب الأخرم، قال: سمعت أصحابنا يقولون: لما قدم محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور استقبله أربعة آلاف رجلٍ ركبانٌ على الخيل، سوى من ركب بغلاً أو حماراً، وسوى الرجالة، فحضر الكل مجلسه، إلى أن أظهر ما أظهر من قوله، فبلغ ذلك محمد بن يحيى الذهلي، فقال محمد بن يحيى الذهلي: من حضر مجلسي فلا يحضر مجلس هذا، فإنه قد أظهر خلاف السنة، قال: فجفي، فلم يقربه أحدٌ إلا مسلم ابن الحجاج وأحمد بن سلمة، فلما كان في اليوم الثاني حضرا عند محمد بن يحيى، فقال محمد بن يحيى: أحظر على من قال: «لفظي بالقرآن» أن يقرب مجلسي. قال: فقام مسلم بن الحجاج فخرج، وتبعه أحمد بن سلمة، فقال محمد بن يحيى: لا يساكني هذا الرجل في البلد. فخشي البخاري أن يلحقه منه مكروهٌ، فخرج.

فسمعت القاسم بن القاسم يقول: سمعت إبراهيم وراق أحمد بن سيار يقول: لما قدم البخاري مرو استقبله أحمد بن سيارٍ فيمن استقبله، فقال له أحمد بن سيارٍ: يا أبا عبد الله، نحن لا نخالفك فيما تقول، ولكن العامة لا تحتمل ذا منك، فقال: إني أخشى النار أسأل عن شيء أعلمه حقاً أن أقول غيره. فانصرف عنه أحمد بن سيار.

[1] تاريخ دمشق 30/6

[2] تقييد المهمل وتمييز المشكل – ط عالم الفوائد 41/1-42

قال: وسمعت بعض أصحابنا يقول: لما قدم بخارى نصبت له القباب على فرسخٍ من البلد، واستقبله عامة أهل البلد، حتى لم يبق مذكورٌ إلا وقد استقبله، ونثر عليه الدنانير والدراهم والسكر الكثير، قال: فبقي أياماً، قال: فكتب بعد ذلك محمد بن يحيى إلى خالد بن أحمد – وكان أمير بخارى– فقال: إن هذا الرجل قد أظهر خلاف السنة فقرأ كتابه على أهل بخارى، فقالوا: لا نفارقه، فأمره الأمير بالخروج عن البلد، فخرج.

قال أحمد بن منصور: فحكى لي بعض أصحابنا عن إبراهيم بن معقلٍ قال: رأيت محمد بن إسماعيل في اليوم الذي أخرج فيه من بخارى، قال: فتقدمت إليه، فقلت: يا أبا عبد الله، كيف ترى هذا اليوم من ذلك اليوم الذي نثر عليك فيه ما نثر؟ فقال: لا أبالي إذا سلم ديني.

قال: فخرج إلى بيكند، فصار الناس معه حزبين: حزب معه، وحزبٌ عليه، إلى أن كتب إليه أهل سمرقند، فسألوه أن يقدم عليهم، فقدم إلى أن وصل بعض قرى سمرقند، فوقع بين أهل سمرقند فتنةٌ من سببه، قومٌ يريدون إدخاله البلد، وقومٌ لا يريدون ذلك، إلى أن اتفقوا على أن يدخل إليهم، فاتصل به الخبر وما وقع بينهم بسببه. فخرج يريد أن يركب، فلما استوى على دابته قال: «اللهم خر لي» ثلاثاً، فسقط ميتاً، فاتصل بأهل سمرقند، فأتوا بأجمعهم، فصلوا عليه، ويزار بها قبره إلى اليوم، رحمه الله."

13– تاريخ همذان

لأبي الفضل صالح بن أحمد التميمي الهمداني (ت 384هـ)

له كتاب في تاريخ الهمدانيين عرف بين العلماء بتاريخ همذان، وطبقات الهمدانيين، وطبقات العلماء لأهل همذان.

قال ابن خلفون: في ترجمة أبي حاتم الرازي " ونقلت من خط ابن يربوع قال: نا أبو علي ونقلته من خطه قال: أبو العاص حكم بن محمد بن حكم، ونقلته من خطه قال: ثنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن جهضم: ثنا أو الفضل صالح بن أحمد بن محمد الحافظ رحمه الله قال: **لما وافى محمد بن إسماعيل البخاري، صاحب الجامع المعروف بالصحيح إلى الري قصد أبا زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ، وأبا حاتم محمد بن إدريس، وكانا إمامي المسلمين في وقتهما وزمانهما والمرجوع إليهما في الحديث وعلم ما اختلف فيه الرواة وذكر القصة.**"[1]

وقال في ترجمة أبي زرعة الرازي:" وقال أبو الفضل صالح بن أحمد بن محمد الحافظ: **لما وافى محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الجامع المعروف بالصحيح إلى الري قصد أبا زرعة عبيد الله ابن عبد الكريم بن فروخ وأبا حاتم محمد بن إدريس وكانا إمامي المسلمين في وقتهما وزمانهما والمرجوع إليهما في الحديث وعلم ما اختلف فيه الرواة، فاحتجبا عنه فعاود ولم يأذنا له بالدخول عليهما، فعاود أبا زرعة فأبى وشدد في ذلك وقال: لا أحب أن أراه ولا يراني، فبلغ بعض العلماء أن أبا زرعة منع محمد بن إسماعيل أن يدخل عليه، وتحدث الناس بذلك فقصد أبا زرعة وسأله عن ذلك وذكر الحديث.**[2]"

14- الكنى والأسماء للسليماني

أبو الفضل أحمد بن علي بن عمرو السليماني البَيْكندي الحافظ. (ت404هـ)

---

[1] المعلم بشيوخ البخاري ومسلم 206 ط دار الكتب العلمية

[2] نفس المصدر السابق ص 393

قال ابن السمعاني: "كانت له رحلة إلى الآفاق والكثرة والحفظ والإتقان، ولم يكن له نظير في زمانه إسنادا وحفظا ودراية بالحديث وضبطا وإتقانا.. صنف التصانيف الكثيرة الكبيرة والصغيرة، وكان يصنف كل أسبوع شيئا ويحمله إلى جامع بخارى من بيكند ويحدث به"[1]

روى الخطيب في تاريخه عن السليماني خبرين عن البخاري، وهما:

حدثني أبو النجيب الأرموي، قال: حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني، قال: سمعت أحمد بن علي السليماني يقول: سمعت علي بن محمد بن منصور يقول: سمعت أبي يقول: كنا في مجلس أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، فرفع إنسان من لحيته قذاة فطرحها على الأرض، قال: فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس، فلما غفل الناس رأيته مد يده فرفع القذاة من الأرض فأدخلها في كمه، فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها فطرحها على الأرض[2].

حدثني أبو النجيب الأرموي، قال: حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني، قال: حدثني أحمد بن علي السليماني، قال: حدثني أحمد بن محمد القارئ، قال: سمعت أبا حسان مهيب بن سليم يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: الحامد والذام عندي سواء.[3]

15- تاريخ نيسابور للحاكم النيسابوري

محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم، أبو عبد الله الحافظ البَيِّع (ت 405هـ)

---

[1] الأنساب 198/7 ط الهندية

[2] تاريخ بغداد 331/2-332

[3] نفس المصدر 352/2

قال التاج السبكي في طبقاته عن تاريخ نيسابور: "كانت نيسابور من أجلِّ البلاد وأعظمها، ولم يكن بعد بغداد مثلها، وقد عمل لها الحافظ أبو عبد الله الحاكم تاريخًا تخضع له جهابذة الحفاظ، وهو عندي سيد التواريخ"[1]

وقد بقي هذا التاريخ متداولا حتى القرن التاسع الهجري، فقد نقل منه الحفاظ الخطيب وابن عساكر والذهبي ومغلطاي وابن حجر.

وقد احتفظ لنا الخليفة النيسابوري في "تلخيص تاريخ نيسابور" بترجمة مختصرة نفيسة قال: **"محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله الجعفي. ورد بنيسابور على كبر سنه، وأقام به خمس سنين، (إلى) أن وقعت (الفتنة) بينه وبين شيخ عصره محمد بن يحيى الذهلي رضي الله عنه، ولولا ذلك لما خرج من نيسابور؛ فقد كان سكنها، قال أبو حسان مهيب بن سليم الكرميني: مات محمد بن إسماعيل رحمه الله عندنا ليلة الفطر أول ليلة من شوال سنة ست وخمسين ومائتين، وكان بلغ عمره اثنين وستين إلا عشر ليلة، وكان مولده في شهر شوال من سنة أربع وتسعين ومائة، وكان في بيت وحده فوجدناه لما أصبحنا وهو ميت، وهذا كان في فترة أخرجوه فيها من بخارى، وسببه حريث بن أبي الورقاء، وتمسك محمد بن يحيى الذهلي النيسابوري، وقال: إنه أخرجه من نيسابور، وهو إمام عصره، وقيل: سبب إخراجه خالد بن أحمد الذهلي الأمير خليفة الطاهرية ببخارا؛ لأن أبا عبد الله محمد بن إسماعيل أبى تعليم أولاده رحمة الله عليه رحمة واسعة"**[2].

---

[1] طبقات الشافعية الكبرى (1/ 173).

[2] تلخيص تاريخ نيسابور ص 29 حققه: د. بهمن كريمي – مكتبة ابن سينا – طهران 1339 هـ

16- تاريخ سمرقند للإدريسي

أبو سعد عبد الرحمن بن محمد الإدريسي الحافظ (ت 405هـ)

وهذا الكتاب من مرويات الخطيب البغدادي، وهو يرويه عن أبي سعد الماليني عن الادريسي، وكان عنده نسخة المالديني ينقل منها. ويرويه عن الحسين بن محمد بن الحسن المؤدب عن ابي سعد الإدريسي.

ومن النقول التي نقلها الخطيب ما يلي:

«قرأت على الحسين بن محمد بن الحسن المؤدب، أخي أبي محمد الخلال، عن أبي سعد عبد الرحمن بن محمد الإدريسي الحافظ، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد الحافظ، أبو عبد الله السرخسي بسمرقند، قال: حدثني الحسن بن الحسين البخاري، قال: حدثنا عامر بن المنتجع، قال: سمعت أبا بكر المديني يقول: كنا يوما بنيسابور عند إسحاق بن راهويه، ومحمد بن إسماعيل حاضر في المجلس، فمر إسحاق بحديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وكان دون صاحب النبي صلى الله عليه وسلم عطاء الكيخاراني، فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله، أيش كيخاران؟ قال: قرية باليمن كان معاوية بن أبي سفيان بعث هذا الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فسمع منه عطاء حديثين، فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله، كأنك قد شهدت القوم.»[1]

قرأت على الحسين بن محمد أخي الخلال، عن عبد الرحمن بن محمد الإدريسي، قال: حدثني محمد بن حم، قال: حدثنا محمد بن يوسف الفربري، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال:

---

[1] تاريخ بغداد 2/ 326 ت بشار

قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل: تحفظ جميع ما أدخلت في المصنف؟ فقال: لا يخفى علي جميع ما فيه.[1]

قرأت على الحسين بن محمد أخي الخلال، عن أبي سعد الإدريسي، قال: حدثنا محمد بن حام بن ناقب البخاري بسمرقند، قال: حدثنا محمد بن يوسف الفربري، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: لما دخلت البصرة صرت إلى مجلس محمد بن بشار، فلما خرج وقع بصره علي، فقال: من أين الفتى؟ قلت: من أهل بخارى. قال: كيف تركت أبا عبد الله؟ فأمسكت، فقال له أصحابه: رحمك الله، هو أبو عبد الله، فقام فأخذ بيدي وعانقني، وقال: مرحبا بمن أفتخر به منذ سنين.[2]

قرأت على الحسين بن محمد أخي الخلال، عن أبي سعد الإدريسي، قال: حدثني محمد بن حام بن ناقب البخاري بسمرقند، قال: حدثنا محمد بن يوسف الفربري، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت علي بن حجر يقول: أخرجت خراسان ثلاثة: أبا زرعة الرازي بالري، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى، وعبد الله بن عبد الرحمن بسمرقند؛ ومحمد بن إسماعيل عندي أبصرهم وأعلمهم وأفقههم.[3]

---

[1] نفس المصدر 328/2
[2] مصدر سابق 337/2
[3] نفس المصدر 349/2

17- تاريخ بخارى لغنجار

محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن كامل بن عبد الله بن عامر بن سنان البخاري[1]. أبو عبد الله البخاري الوراق.

يُعد كتاب "تاريخ بخارى "هو المصنف الرئيسي والأشهر للحافظ غنجار، بل هو الذي خلد اسمه وذكره في التاريخ. وقد وصفه العلماء بأنه من "أجل المصنفات ."

لقي كتاب "تاريخ بخارى" قبولاً واسعاً عند العلماء، وانتشرت رواياته في الأوساط العلمية، وقد تداوله العلماء بالرواية والسماع والإجازة، مما جعله يصل إلى أجيال متعاقبة من المحدثين والمؤرخين.

لم يعثر لحد الساعة على الأصل، ولا على مختصره للسلفي، وقد تحقق أن الكتاب قد فُقد في مرحلة ما، ولعله موجود في مكتبات المخطوطات العالمية أو الخاصة باسم آخر، أو ضمن مجموعات غير مفهرسة. ونرجو من الله أن ييسر للمحققين العثور عليه، إنه على كل شيء قدير.

وقد قمت بجمع أخبار الإمام البخاري التي رواها غنجار في تاريخه، ورتبتها،ووضعت لها عناوين، وقدمت لها بدراسة عن الحافظ غنجار، وهي منشورة على النت.

---

[1] الأنساب للسمعاني 77/10 ط الهندية، معجم الأدباء لياقوت 2349/5، السير 304/17، تاريخ الإسلام 178/28

إسمه ونسبه

[1] قال غُنْجار: "ذكر أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف الجعفي، الإمام الفاضل، صاحب «الجامع الصحيح» و«التاريخ الكبير». توفي بـ«خرتنك» –من قرى سمرقند– ليلة الفطر، سنة ست وخمسين ومائتين.

روى عنه: مسلم بن الحجاج القشيري، وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان، وعبيد الله بن واصل، ومحمد بن نصر المروزي، وصالح بن محمد الأسدي البغدادي".

[2] قال غنجار: حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد التاجر، حدثنا محمد بن يوسف بن مطر، حدثنا أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: قال لي أبو عمرو المستنير بن عتيق:

"سألتُ أبا عبد الله محمد بن إسماعيل: متى وُلدت؟ فأخرج لي خطَّ أبيه: «وُلد محمد بن إسماعيل يوم الجمعة، بعد الجمعة، لثلاث عشرة ليلة مضت من شوال، سنة أربع وتسعين ومائة». وتوفي ليلة الفطر، سنة ست وخمسين ومائتين".

أسرة البخاري

[3] قال غنجار: حدثنا عبد الرحمن بن محمد، ومحمد بن الحسين، قالا:

حدثنا إسحاق بن أحمد بن خلف، أنه سمع البخاري يقول: سمع أبي من مالك بن أنس، ورأى حماد بن زيد، وصافح ابن المبارك بكلتا يديه.

[4] قال غنجار: أخبرنا خلف بن محمد، حدثنا محمد بن أحمد بن الفضل البلخي، سمعت أبي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام فقال لها: يا هذه، قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك، أو كثرة دعائك –شك البلخي– فأصبحنا وقد رد الله عليه بصره.

ما روي في حفظه وإتقانه

[5] قال غنجار: حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، قال: سمعت أبا حسان مهيب بن سليم يقول: سمعت جعفر بن محمد القطان، إمام الجامع بكرمينية، يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: كتبت عن ألف شيخ وأكثر، ما عندي حديث لا أذكر إسناده.

[6] قال غنجار: سمعت أبا عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ يقول: سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد بن عمر الأديب يقول: سمعت أحيد بن أبي جعفر والي بخارى يقول: قال محمد بن إسماعيل يوماً: رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر. قال: فقلت له: يا أبا عبد الله، بكماله؟ قال: فسكت.

[7] قال غنجار: حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، وأبو نصر أحمد بن أبي حامد الباهلي، قالا: سمعنا أبا سعيد بكر بن منير يقول: سمعت محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي يقول: كنت عند أبي حفص أحمد بن حفص أسمع كتاب الجامع، جامع سفيان، في كتاب والدي، فمر أبو حفص على حرف ولم يكن عندي ما ذكر، فراجعته فقال الثانية كذلك، فراجعته الثانية فقال كذلك، فراجعته الثالثة فسكت سويعة، ثم قال: من هذا؟ قالوا: هذا ابن إسماعيل بن إبراهيم بن بذدزبة، فقال أبو حفص: هو كما قال، واحفظوا فإن هذا يوماً يصير رجلاً. قال أبو نصر الباهلي: سمعت بكر بن منير يقول: ابن بذدزبة هو بالبخارية، وبالعربية الزراع.

[8] قال غنجار: حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد المقرئ، حدثنا أبو بكر محمد بن يعقوب بن يوسف البيكندي، سمعت علي بن الحسين بن عاصم البيكندي يقول: قدم علينا محمد بن إسماعيل، قال: فاجتمعنا عنده.

فقال بعضنا: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: كأني أنظر إلى سبعين ألف حديث من كتابي.

فقال محمد بن إسماعيل: أو تعجب من هذا؟! لعل في هذا الزمان من ينظر إلى مئتي ألف حديث من كتابه. وإنما عنى به نفسه.

[9] قال غنجار: أخبرنا خلف بن محمد، قال: سمعت أبا بكر محمد بن حريث يقول: سمعت أبا زرعة الرازي يقول، وسألته عن ابن لهيعة، فقال: تركه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. وسألته عن محمد بن حميد الرازي، فقال: تركه أبو عبد الله. قال محمد بن حريث: فذكرت ذلك لمحمد بن إسماعيل، فقال: بره لنا قديم.

وقال خلف: سمعت أبا بكر محمد بن حريث يقول: سمعت الفضل بن العباس الرازي، وسألته فقلت: أيهما أحفظ؛ أبو زرعة، أو محمد بن إسماعيل؟ فقال: لم أكن التقيت مع محمد بن إسماعيل، فاستقبلني ما بين حلوان وبغداد، قال: فرجعت معه مرحلة، قال: وجهدت الجهد على أن أجيء بحديث لا يعرفه، فما أمكنني. قال: وأنا أغرب على أبي زرعة عدد شعره.

[10] قال غنجار: حدثنا أبو الحسين محمد بن الحسين بن علي بن يعقوب الجويباري، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر المنكدري، قال: حدثنا إسحاق بن أحمد بن زيرك، قال: سمعت محمد بن إدريس الرازي يقول: في سنة سبع وأربعين ومائتين يقدم عليكم رجل من أهل خراسان لن يخرج منها أحفظ منه ولا قدم العراق أعلم منه. فقدم علينا بعد ذلك محمد بن إسماعيل بأشهر. قال: وقال أبو حاتم الرازي في هذا المجلس: محمد بن إسماعيل أعلم من

دخل العراق، ومحمد بن يحيى أعلم من بخراسان اليوم من أهل الحديث، ومحمد بن أسلم أورعهم، وعبد الله بن عبد الرحمن أثبتهم.

ورعه وعبادته

[11] قال غنجار: حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، قال: حدثنا أبو سعيد بكر بن منير، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: منذ ولدت ما اشتريت من أحد بدرهم شيئاً قط ولا بعت من أحد بدرهم شيئاً. فسألوه عن شراء الحبر والكواغد، فقال: كنت آمر إنساناً يشتري لي.

وقال أبو سعيد بكر بن منير: كان حمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه فلان، فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية فطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال لهم: انصرفوا الليلة. فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه تلك البضاعة بربح عشرة آلاف درهم فردهم، وقال: إني نويت البارحة أن أدفع إليهم بما طلبوا، يعني الذين طلبوا أول مرة، ودفع إليهم بربح خمسة آلاف درهم، وقال: لا أحب أن أنقض نيتي.

[12] قال غنجار: حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد المقرئ، قال: سمعت بكر بن منير يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: إني أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً.

[13] قال غنجار: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، قال: سمعت أبا سعيد بكر بن منير يقول: كان محمد بن إسماعيل يصلي ذات يوم فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة، فلما قضى صلاته قال: انظروا أيش هذا الذي آذاني في صلاتي؟ فنظروا فإذا الزنبور قد ورمه في سبعة عشر موضعاً، ولم يقطع صلاته.

[14] قال غنجار: ثنا خلف بن محمد قال سمعت إسحاق بن أحمد بن خلف يقول: كنا عند محمد بن إسماعيل نورد عليه كتاب فيه نعي عبد الله بن عبد الرحمن فنكس رأسه ثم رفع واسترجع وجعل تسيل دموعه على خديه ثم أنشأ يقول:

إن تبق تفجع بالأحبة كلهم * وفناء نفسك لا أبا لك أفجع

قال إسحاق بن أحمد: وما سمعناه ينشد شعراً إلا ما يجيء في الحديث.

طلبه للحديث

[15] حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، وأبو نصر أحمد بن أبي حامد الباهلي، قالا: سمعنا أبا سعيد بكر بن منير، يقول: سمعتُ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، يقول: "كنتُ عند أبي حفص أحمد بن حفص أسمعُ «كتاب الجامع» -جامع سفيان- من كتاب والدي، فمرَّ أبو حفص على حرفٍ ولم يكن عندي ما ذكر، فراجعته، فقال الثانية كذلك، فراجعته الثانية فقال كذلك، فراجعته الثالثة فسكت سويعة، ثم قال: «من هذا؟»، فقالوا: «هذا ابن إسماعيل بن إبراهيم بن بَرَدِزبَه». فقال أبو حفص: هو كما قال، واحفظوا؛ فإن هذا يصير يوماً رجلاً".

قال أبو نصر الباهلي: سمعتُ بكر بن منير، يقول: "«بَرَدِزبَه» هو بالبخارية، وبالعربية: الزرَّاع".

[16] قال غنجار: أخبرنا أبو محمد سهل بن عثمان بن سعيد، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن منصور بن قريش، قال: حدثنا خلف بن عامر قال: قال محمد بن إسماعيل البخاري: قال لي الحسن بن شجاع: من أين يفوتك الحديث وأنت وقعت على هذا الكنز؟ يعني المسندي.

[17] قال غنجار: حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين، حدثنا أبو يعلى التميمي، قال: سمعت جبريل بن ميكائيل بمصر، يقول: سمعت محمد بن إسماعيل، يقول: "لما بلغتُ خراسان أُصبتُ ببصري، فأخبرني بعض من رآني، فقال: أعلمك شيئاً إن رد الله عليك بصرك؛ على شرط أن لا تخبر به أحداً؟ فقال: احلق رأسك واغلفه بالخطمي -أظنه قال ثلاث مرات-. قال: ففعلتُ، فرد الله عليَّ بصري، وجعلتُ على نفسي أن لا يستخبرني أحدٌ إلا أخبرتُه (أو كلاماً هذا معناه)".

[18] قال غنجار: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن هارون الملاحمي، قال: سمعت أبا بكر محمد بن صابر بن كاتب يقول: سمعت عمر بن حفص الأشقر يقول: كنا مع محمد بن إسماعيل البخاري بالبصرة نكتب الحديث، ففقدناه أياماً فطلبناه، فوجدناه في بيت وهو عريان، وقد نفد ما عنده ولم يبق معه شيء، فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثوباً وكسوناه، ثم اندفع معنا في كتابة الحديث.

[19] قال غنجار: حدثنا محمد بن سعيد التاجر، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: سمعت حاشد بن إسماعيل يقول: كان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب فما معناك فيما تصنع؟ فقال لنا بعد ستة عشر يوماً: إنكما قد أكثرتما علي وألححتما، فاعرضا علي ما كتبتما فأخرجنا ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر القلب حتى جعلنا نحكم كتبنا على حفظه، ثم قال: أترون أني أختلف هدراً وأضيع أيامي؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد.

قال: وكان أهل المعرفة من أهل البصرة يعدون خلفه في طلب الحديث، وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه، ويجلسونه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه. قال: وكان أبو عبد الله عند ذلك شاباً لم يخرج وجهه.

[20] قال غنجار: حدثنا خلف بن محمد، قال: سمعت أبا العباس الفضل بن إسحاق بن الفضل البزاز يقول: حدثنا أحمد بن المنهال العابد، قال: حدثنا أبو بكر الأعين، قال: كتبنا عن محمد بن إسماعيل على باب محمد بن يوسف الفريابي وما في وجهه شعرة، فقلت: ابن كم كنت؟ قال: ابن سبع عشرة سنة.

[21] قال غنجار: قال: سمعت خلف بن محمد البخاري، يقول: سمعت إبراهيم بن مغفل، يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري يقول: كنا ثلاثة أو أربعة على باب علي بن عبد الله، فقال: إني لأرجو أن تأويل هذا الحديث: عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم»، إني لأرجو أن تأويل هذا الحديث أنتم، لأن التجار قد شغلوا أنفسهم بالتجارات، وأهل الصنعة قد شغلوا أنفسهم بالصناعات، والملوك قد شغلوا أنفسهم بالمملكة، وأنتم تحيون سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

[22] قال غنجار: أخبرنا خلف بن محمد الخيام، سمعت الفضل بن إسحاق البزاز، حدثنا أحمد بن منهال العابد، حدثنا أبو بكر الأعين قال: كتبنا عن البخاري على باب محمد بن يوسف الفريابي، وما في وجهه شعرة.

فقلنا: ابن كم أنت؟

قال: ابن سبع عشرة سنة.

[23] قال غنجار: حدثنا خلف بن محمد، قال: سمعت إسحاق بن أحمد بن خلف يقول: دخل محمد بن إسماعيل إلى العراق في آخر سنة عشر ومائتين.

[24] قال غنجار: سمعت أبا منصور محمد بن محمد الرحموتي المؤدب بمرو، سمعت أبا عبد الله محمد بن أحمد البروايدي، حدثني أبي، سمعت محمد بن إسماعيل البخاري، يقول: حضرنا علي بن المديني عشية فخرج علينا، فلما رآنا قد اجتمعنا، قال: أما أهل التجارة في تجاراتهم، وأهل الأسواق في أسواقهم، وأهل اللذات في لذاتهم، وهذه العصابة تحفظ عليهم سننهم، وآثارهم.

[25] قال غُنْجار: حدثنا أبو علي الحسن بن يوسف بن يعقوب الخفاف، حدثنا إسحاق بن أحمد بن خلف، قال: سمعتُ محمد بن إسماعيل، يقول: "ما تصاغرتُ نفسي عند أحدٍ إلا عند علي بن المديني، وما سمعتُ الحديث من فِي إنسانٍ أشهى عندي أن أسمعه من فِي علي بن المديني، وربما كنتُ أغربُ عليه وأُغربُ."

وقال: حدثنا خلف بن محمد، حدثنا إسحاق بن أحمد بن خلف، قال: سمعتُ ابن إسماعيل، يقول: "ما تصاغرتْ إليَّ نفسي إلا عند علي بن المديني."

قال إسحاق: وسمعتُ أحمد بن عبد السلام، يقول: ذكرنا قول محمد بن إسماعيل هذا لعلي بن المديني، فقال: "دعوا هذا؛ فإن محمد بن إسماعيل لم يرَ مثل نفسه".

[26] قال غنجار: سمعت أبا علي إسماعيل ابن محمد بن أحمد بن حاجب –يعني الكشاني– يقول: سمعت محمد بن يوسف ابن مطر، يقول: سمع الجامع الصحيح من أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بفربر، في ثلاث سنين: في سنة ثلاث وخمسين، وأربع وخمسين، وخمس وخمسين ومائتين. وسمعت من علي بن خشرم سنة ثمان وخمسين ومائتين، وأنا بفربر مرابطاً.

[27] قال غُنْجار: حدثنا أبو الحسين محمد بن عمران بن موسى الجرجاني، حدثنا الحسن بن جعفر بن محمد الشاشي، قال: سمعتُ إبراهيم بن معقل النسفي بسمرقند، يقول: سمعتُ

محمد بن إسماعيل البخاري، يقول: "خرّجتُ كتابي الجامع في بضع عشرة سنة، وجعلتُه فيما بيني وبين الله حُجة."

[27]وقال غنجار: حدثنا أبو الحسين محمد بن الحسين بن علي بن يعقوب الكاتب، قال: سمعتُ إبراهيم بن معقل النسفي، يقول: سمعتُ محمد بن إسماعيل، يقول: "ما أدخلتُ في كتاب الجامع إلا ما صحَّ، وتركتُ من الصحاح لحال الطول."

[28] قال غنجار: حدثنا خلف بن محمد، وأبو بكر محمد بن أحمد بن مَتّ الشافعي، وأبو نصر أحمد بن أبي حامد الباهلي، قالوا: سمعنا محمد بن يوسف بن مطر، يقول: سمعتُ نَجم بن الفضيل –من قريتي ماستي بخوارزم– يقول:

"رأيتُ فيما يرى النائم كأني في قريتي ببخارى جالسٌ على طريق المدينة، ورأيتُ رسول الله ﷺ كأنه يخرج من المدينة راجلاً، ومحمد بن إسماعيل على أثره ينظر؛ فكلما رفع النبي ﷺ قدمه، وضع البخاري قدمه في ذلك المكان".

وصف أهل الأمصار له

ذكر وصف البصريين البخاري ومدحهم إياه

[29] قال غنجار: حدثنا خلف بن محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا عمر بن محمد بن بجير، قال: سمعت محمد بن بشار العبدي بنداراً يقول: عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وأبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي، غلماني خرجوا من تحت كرسيي.

وقال خلف: سمعت أبا علي الحسين بن إسماعيل الفارسي يقول: سمعت محمد بن إبراهيم البوشنجي يقول: سمعت بنداراً محمد بن بشار سنة ثمان وعشرين ومائتين يقول: ما قدم علينا مثل محمد بن إسماعيل.

[30] قال غنجار: حدثنا أحمد بن أبي حامد الباهلي، قال: سمعتُ أبا سعيد حاتم بن محمد بن حازم بن محمد بن فروخ، يقول: سمعتُ إبراهيم بن فهد البصري بالبصرة، يقول:

"لو أن صاحبكم -يعني محمد بن إسماعيل البخاري- أقام فينا سنةً؛ صرنا إلى خير".

[31] قال غنجار: سمعت أبا القاسم منصور بن إسحاق بن إبراهيم الأسدي يقول: سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم الداغوني يقول: سمعت يوسف بن موسى المروروذي يقول: كنت بالبصرة في جامعها إذ سمعت منادياً ينادي: يا أهل العلم، قد قدم محمد بن إسماعيل البخاري، فقاموا في طلبه، وكنت معهم، فرأينا رجلاً شاباً لم يكن في لحيته شيء من البياض، يصلي خلف الأسطوانة، فلما فرغ من الصلاة أحدقوا به وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء، فأجابهم إلى ذلك، فقام المنادي ثانياً فنادى في جامع البصرة: قد قدم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، فسألناه أن يعقد مجلس الإملاء، فقد أجاب بأن يجلس غداً في موضع كذا. قال: فلما أن كان بالغداة حضر الفقهاء والمحدثون والحفاظ والنظار حتى اجتمع قريب من كذا كذا ألفا، فجلس أبو عبد الله محمد بن إسماعيل للإملاء، فقال قبل أن أخذ في الإملاء، قال لهم: يا أهل البصرة، أنا شاب وقد سألتموني أن أحدثكم، وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدون الكل. قال: فبقي الناس وتعجبوا من قوله، ثم أخذ في الإملاء فقال: حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد العتكي، بلديكم، قال: أخبرنا أبي، عن شعبة، عن منصور، وغيره، عن سالم ابن أبي الجعد، عن أنس بن مالك، أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، الرجل يحب القوم، فذكر حديث المرء مع من أحب.

ثم قال محمد بن إسماعيل: هذا ليس عندكم، إنما عندكم عن غير منصور عن سالم. قال يوسف بن موسى: وأملى عليهم مجلساً على هذا النسق، يقول في كل حديث: روى شعبة هذا الحديث عندكم كذا، فأما من رواية فلان فليس عندكم، أو كلاماً ذا معناه. قال يوسف بن موسى: وكان دخولي البصرة أيام محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، وهلال الرأي، وأحمد بن عبدة الضبي، وحميد بن مسعدة، وغيرهم، ثم دخلت البصرة مرات بعد ذلك.

[32] قال غنجار: حدثنا محمد بن سعيد التاجر، قال: حدثنا محمد بن يوسف بن مطر، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت حاشد بن إسماعيل يقول: كنت بالبصرة فسمعت قدوم محمد بن إسماعيل، فلما قدم قال محمد بن بشار: دخل اليوم سيد الفقهاء.

[33] قال غنجار: أخبرنا أبو شجاع الفضيل بن العباس بن الخصيب التميمي، قال: حدثنا أبو قريش محمد بن جمعة بن خلف، قال: سمعت بنداراً محمد بن بشار يقول: حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري، ومسلم بن الحجاج بنيسابور، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى.

[34] قال غنجار: حدثنا خلف بن محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا عمر بن محمد بن بجير، قال: سمعت محمد بن بشار العبدي بنداراً يقول: عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وأبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي، غلماني خرجوا من تحت كرسيي.

وقال خلف: سمعت أبا علي الحسين بن إسماعيل الفارسي يقول: سمعت محمد بن إبراهيم البوشنجي يقول: سمعت بنداراً محمد بن بشار سنة ثمان وعشرين ومائتين يقول: ما قدم علينا مثل محمد بن إسماعيل.

[35] قال غنجار: حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد التاجر، قال: حدثنا محمد بن يوسف بن مطر، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: سمعت محمد بن قتيبة – قريب أبي عبد الله محمد بن إسماعيل – يقول: كنت عند أبي عاصم النبيل فرأيت عنده غلاماً، فقلت له: من أين أنت؟ قال: من بخارى. قلت: ابن من؟ فقال: ابن إسماعيل. فقلت له: أنت قرابتي، فعانقته. فقال لي رجل في مجلس أبي عاصم: هذا الغلام يناطح الكباش.

[36] قال غنجار: حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الخولاني، قال: حدثنا أبو ذر محمد بن محمد بن يوسف القاضي، قال: سمعت أبا معشر حمدويه بن الخطاب يقول: لما قدم أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل من العراق قدمته الأخيرة، وتلقاه من تلقاه من الناس وازدحموا عليه وبالغوا في بره، فقيل له في ذلك وفيما كان من كرامة الناس وبرهم له، فقال: فكيف لو رأيتم يوم دخولنا البصرة.

[37] قال غنجار: حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعتُ عبد الله بن سعيد بن جعفر، يقول: سمعتُ العلماء بالبصرة يقولون: "ما في الدنيا مثل محمد بن إسماعيل في المعرفة والصلاح". قال عبد الله بن سعيد: "وأنا أقول مثل قولهم".

وصف أهل الحجاز والكوفة له

[38] قال غنجار: حدثنا محمد بن سعيد التاجر، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كان إسماعيل بن أبي أويس إذا انتخبت من كتابه نسخ تلك الأحاديث لنفسه، وقال: هذه أحاديث انتخبها محمد بن إسماعيل من حديثي.

قال محمد بن أبي حاتم: وسمعت حاشد بن عبد الله يقول: قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر المديني: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر من ابن حنبل، فقال رجل من جلسائه: جاوزت الحد، فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكاً ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت: كلاهما واحد في الفقه والحديث.

[39] قال غنجار: حدثنا خلف بن محمد، قال: حدثنا أبو عمرو عامر بن المنتجع، قال: حدثنا أحمد بن الضوء، قال: سمعت أبا بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير، يقولان: ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل.

[40] وقال غنجار: حدثنا محمد بن سعيد، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت محمود بن النضر أبا سهل الشافعي يقول: دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة، ورأيت علماءها، فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم.

ذكر البغداديين فضله

[41] قال غنجار: حدثنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن يوسف الأزدي، قال: حدثنا أبو عمرو محمد بن عمر بن الأشعث البيكندي، قال: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان: أبو زرعة الرازي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، والحسن بن شجاع البلخي.

[42] قال غنجار: حدثنا أبو نصر محمد بن أحمد بن موسى البزار، سمعت أبا بكر عبد الرحمن بن محمد بن علوية الأبهري، يقول: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل البخاري.

[43] قال غنجار: حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد، قال: سمعت محمد بن يوسف بن مطر يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم يقول: حدثني حاشد بن عبد الله بن عبد الواحد، قال: سمعت يعقوب بن إبراهيم الدورقي يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

[44] قال غنجار: حدثنا أحمد بن أبي حامد الباهلي، قال: سمعت أبا سعيد حاتم بن محمد بن حازم يقول: سمعت موسى بن هارون الحمال ببغداد يقول: عندي لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن ينصبوا مثل محمد بن إسماعيل آخر ما قدروا عليه.

ذكر عقد البخاري مجلس التحديث ببغداد وامتحان البغداديين له

[45] قال غنجار: حدثنا أبو نصر أحمد بن أبي حامد الباهلي، قال: سمعت إسحاق بن أحمد بن خلف، قال: سمعت أبا علي صالح بن محمد البغدادي يقول: كان محمد بن إسماعيل يجلس ببغداد، وكنت أستملي له، ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفاً.

[46] وقال غنجار: سمعت أبا صالح خلف بن محمد يقول: سمعت محمد بن يوسف بن عاصم يقول: رأيت لمحمد بن إسماعيل ثلاثة مستملين ببغداد، وكان اجتمع في مجلسه زيادة على عشرين ألف رجل.

[47] قال غنجار: حدثنا أبو نصر أحمد بن أبي حامد الباهلي، قال: سمعتُ إسحاق بن أحمد بن خلف، يقول: سمعتُ أبا علي صالح بن محمد البغدادي، يقول:

"كان محمد بن إسماعيل يجلس ببغداد، وكنتُ أستملي له، ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفاً".

[48]قال غنجار: سمعتُ أبا صالح خلف بن محمد، يقول: سمعتُ محمد بن يوسف بن عاصم، يقول: "رأيتُ لمحمد بن إسماعيل ثلاثة مستملين ببغداد، وكان اجتمع في مجلسه زيادة على عشرين ألف رجل".

[49] قال غنجار: حدثنا خلف بن محمد، قال: سمعتُ إسحاق بن أحمد بن خلف، يقول: سمعتُ أبا علي صالح بن محمد، يقول: "حزرتُ في مجلس محمد بن إسماعيل بضعة عشر أو خمسة عشر ألفاً".

[50] قال غنجار: حدثنا خلف بن محمد، حدثنا إسحاق بن أحمد بن خلف، قال: سمعتُ أبا سعيد الحسن بن محمد الذهبي، يقول: "حزرتُ في مجلس محمد بن إسماعيل عشرين ألفاً".

قال: وكان أبو علي صالح بن محمد مستملي محمد بن إسماعيل ببغداد.

[51] قال غنجار: حدثنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن حامد بن إدريس البخاري، ومحمد بن العباس بن أحمد الهروي، قالا: سمعنا محمد بن عبد الرحمن الدغولي، يقول: سمعتُ عبد المجيد بن إبراهيم البوشنجي، يقول:

"كتب أهل بغداد إلى محمد بن إسماعيل البخاري من العراق:"

المسلمون بخيرٍ ما بقيتَ لهم ... وليس بعدك خيرٌ حين تُفتقدُ.

قول أهل الري فيه

[52] قال غنجار: أخبرنا خلف بن محمد، قال: سمعت أبا بكر محمد بن حريث يقول: سمعت أبا زرعة الرازي يقول، وسألته عن ابن لهيعة، فقال: تركه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. وسألته عن محمد بن حميد الرازي، فقال: تركه أبو عبد الله. قال محمد بن حريث: فذكرت ذلك لمحمد بن إسماعيل، فقال: بره لنا قديم.

وقال خلف: سمعت أبا بكر محمد بن حريث يقول: سمعت الفضل بن العباس الرازي، وسألته فقلت: أيهما أحفظ؛ أبو زرعة، أو محمد بن إسماعيل؟ فقال: لم أكن التقيت مع محمد بن إسماعيل، فاستقبلني ما بين حلوان وبغداد، قال: فرجعت معه مرحلة، قال: وجهدت الجهد على أن أجيء بحديث لا يعرفه، فما أمكنني. قال: وأنا أغرب على أبي زرعة عدد شعره.

[53] قال غنجار: حدثنا أبو الحسين محمد بن الحسين بن علي بن يعقوب الجويباري، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر المنكدري، قال: حدثنا إسحاق بن أحمد بن زيرك، قال: سمعت محمد بن إدريس الرازي يقول: في سنة سبع وأربعين ومائتين يقدم عليكم رجل من أهل خراسان لن يخرج منها أحفظ منه ولا قدم العراق أعلم منه. فقدم علينا بعد ذلك محمد بن إسماعيل بأشهر. قال: وقال أبو حاتم الرازي في هذا المجلس: محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق، ومحمد بن يحيى أعلم من بخراسان اليوم من أهل الحديث، ومحمد بن أسلم أورعهم، وعبد الله بن عبد الرحمن أثبتهم.

ما حفظ عن أهل خراسان وما وراء النهر من القول فيه

[54] قال غنجار: حدثنا محمد بن سعيد التاجر، قال: حدثنا محمد بن يوسف بن مطر، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت عمر بن حفص الأشقر يقول: سمعت عبدان يقول: ما رأيت بعيني شاباً أبصر من هذا. وأشار بيده إلى محمد بن إسماعيل.

قال: وسمعت صالح بن مسمار يقول: سمعت نعيم بن حماد يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة. وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: قال لي محمد بن سلام: انظر في كتبي فما وجدت فيها من خطأ فاضرب عليه كي لا أرويه. ففعلت ذلك، وكان محمد بن سلام كتب عند الأحاديث التي أحكمها محمد بن إسماعيل: رضي الفتى، وفي

الأحاديث الضعيفة: لم يرض الفتى، فقال له بعض أصحابه: من هذا الفتى؟ فقال: هو الذي ليس مثله، محمد بن إسماعيل. وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت يحيى بن جعفر يقول: لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموت محمد بن إسماعيل ذهاب العلم.

[55] قال غنجار: حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن يعقوب بن يوسف البيكندي، قال: سمعت علي بن الحسين بن عاصم البيكندي يقول: قدم علينا محمد بن إسماعيل فاجتمعنا عنده، ولم يكن يتخلف عنه من المشايخ أحد، فتذاكرنا عنده، فقال رجل من أصحابنا، أراه حامد بن حفص: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: كأني أنظر إلى سبعين ألف حديث من كتابي، قال: فقال محمد بن إسماعيل: أو تعجب من هذا؟ لعل في هذا الزمان من ينظر إلى مائتي ألف حديث من كتابه وإنما عنى به نفسه.

[56] قال غنجار: حدثنا محمد بن سعيد، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت أبا عمرو المستنير بن عتيق البكري، قال: سمعت رجاء بن المرجى يقول: فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء، فقال له رجل: يا أبا محمد، كل ذلك بمرة؟ فقال: هو آية من آيات الله يمشي على ظهر الأرض.

[57] قال غنجار: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن هارون الملاحمي، قال: حدثنا أبو ذر محمد بن محمد بن يوسف القاضي، قال: سمعت عمر بن حفص الأشقر يقول: لما قدم رجاء بن مرجى المروزي الحافظ بخارى يريد الخروج إلى الشاش نزل الرباط وصار إليه مشايخنا وصرت فيمن صار إليه، فسألني عن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل فأخبرته بسلامته، وقلت له: لعله يجيئك الساعة، فأملى علينا وانقضى المجلس ولم يجئ أبو عبد الله. فلما كان اليوم الثاني لم يجئه، فلما كان اليوم الثالث قال رجاء: إن أبا عبد الله لم يرنا أهلاً للزيارة، فمروا بنا

إليه نقضي حقه، فإني على الخروج، وكان كالمترغم عليه، فجئنا بجماعتنا إليه ودخلنا على أبي عبد الله، وسأل به، فقال له رجاء: يا أبا عبد الله، كنت بالأشواق إليك وأشتهي أن تذكر شيئاً من الحديث، فإني على الخروج، قال: ما شئت، فألقى عليه رجاء شيئاً من حديث أيوب، وأبو عبد الله يجيب إلى أن سكت رجاء عن الإلقاء، فقال لأبي عبد الله: ترى بقي شيء لم نذكره؟ فأخذ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل يلقي ويقول رجاء: من روى هذا؟ وأبو عبد الله يجيء بإسناده، إلى أن ألقى قريباً من بضعة عشر حديثاً أو أكثر أعدها، وتغير رجاء تغيراً شديداً، وحانت من أبي عبد الله نظرة إلى وجهه فعرف التغير فيه فقطع الحديث، فلما خرج رجاء قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: أردت أن أبلغ به ضعف ما ألقيته، إلا أني خشيت أن يدخله شيء فأمسكت.

[58] قال غنجار: حدثنا خلف بن محمد، قال: حدثنا أبو عمرو نصر بن زكريا المروزي، قال: سمعت أبا رجاء قتيبة بن سعيد يقول: شباب خراسان أربعة: محمد بن إسماعيل، وعبد الله بن عبد الرحمن، وزكريا بن يحيى اللؤلئي، والحسن بن شجاع البلخي.

وقال خلف: حدثنا إسحاق بن أحمد بن خلف، قال: سمعت أبا عيسى محمد بن عيسى الترمذي يقول: كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله بن منير فلما قام من عنده قال: يا أبا عبد الله، جعلك الله زين هذه الأمة. قال أبو عيسى: فاستجيب له فيه.

[59] قال غنجار: حدثنا محمد بن سعيد، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت حاشد بن عبد الله بن عبد الواحد يقول: رأيت عمرو بن زرارة ومحمد بن رافع عند محمد بن إسماعيل وهما يسألان عن علل الحديث، فلما قاما قالا لمن حضر المجلس: لا تخدعوا عن أبي عبد الله، فإنه أفقه منا وأعلم وأبصر.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت حاشد بن إسماعيل يقول: رأيت إسحاق بن راهويه جالساً على السرير ومحمد بن إسماعيل معه، فأنكر عليه محمد بن إسماعيل شيئاً، فرجع إلى قول

محمد، وقال إسحاق بن راهويه: يا معشر أصحاب الحديث، انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه، فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن لاحتاج إليه الناس لمعرفته بالحديث وفقهه.

[60] قال غنجار: أخبرنا خلف بن محمد، قال: سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر الخفاف يقول: محمد بن إسماعيل أعلم بالحديث من إسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل وغيره بعشرين درجة، قال أبو عمرو الخفاف: ومن قال في محمد بن إسماعيل شيئاً فمني عليه ألف لعنة.

قال: وسمعت أبا عمرو الخفاف يقول: لو دخل محمد بن إسماعيل البخاري من هذا الباب لملئت منه رعباً، يعني لا أقدر أن أحدث بين يديه.

وقال خلف: سمعت أبا عمرو الخفاف يقول: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري التقي النقي العالم الذي لم أر مثله.

[61] قال غنجار: أخبرنا خلف بن محمد، قال: سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر الخفاف يقول: محمد بن إسماعيل أعلم بالحديث من إسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل وغيره بعشرين درجة، قال أبو عمرو الخفاف: ومن قال في محمد بن إسماعيل شيئاً فمني عليه ألف لعنة.

قال: وسمعت أبا عمرو الخفاف يقول: لو دخل محمد بن إسماعيل البخاري من هذا الباب لملئت منه رعباً، يعني لا أقدر أن أحدث بين يديه.

وقال خلف: سمعت أبا عمرو الخفاف يقول: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري التقي النقي العالم الذي لم أر مثله.

[62] قال غنجار: حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن يوسف الشافعي وخلف بن محمد، قالا: سمعنا أبا جعفر محمد بن يوسف بن الصديق الوراق يقول: سمعت عبد الله بن حماد الآملي يقول: وددت أني شعرة في صدر محمد بن إسماعيل.

[63] قال غنجار: أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن علي بن يعقوب، قال: حدثنا إسحاق بن أحمد بن خلف، قال: سمعت العباس بن سورة يقول: سمعت أبا جعفر عبد الله ابن محمد الجعفي المسندي يقول: محمد بن إسماعيل إمام فمن لم يجعله إماماً فاتهمه.

[64] قال غنجار: حدثنا أبو الحسن عبد الله بن موسى بن الحسين البغدادي، قال: حدثنا عبد المؤمن بن خلف التميمي، قال: سمعت الحسين بن محمد المعروف بعبيد العجل يقول: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل ومسلم الحافظ لم يكن يبلغ محمد بن إسماعيل، ورأيت أبا زرعة وأبا حاتم يستمعون إلى محمد بن إسماعيل أي شيء يقول يجلسون بجنبه، فذكرت له قصة محمد بن يحيى، فقال: ما له ولمحمد بن إسماعيل، كان محمد بن إسماعيل أمة من الأمم، وكان أعلم من محمد بن يحيى بكذا وكذا، وكان محمد بن إسماعيل ديناً فاضلاً يحسن كل شيء.

[65] قال غنجار: حدثنا أبو صخر محمد بن مالك بن الحسن السعدي، قال: سمعتُ أبا عمرو محمد بن أحمد بن الصباح المقرئ المروزي، يقول: سمعتُ أحمد بن سيار، يقول:

"حفاظ زماننا أربعة: أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بالري، وإبراهيم بن خالد الجرميهني بمرو، ومحمد بن إسماعيل ببخارى، وعبد الله بن أبي عرابة بالشاش".

[66] قال غنجار: حدثنا أبو محمد بن سهل بن عثمان بن سعيد السلمي، قال: سمعتُ أبا الحسن علي بن محمد بن منصور السني، يقول: سمعتُ أبا حامد أحمد بن عيسى المخلوق، يقول: سمعتُ العباس بن سورة، يقول: سمعتُ أبا جعفر المسندي، يقول:

"حفاظ زماننا ثلاثة: محمد بن إسماعيل، وحاشد بن إسماعيل، ويحيى بن سهيل".

[67] قال غنجار: حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: وسمعتُ حاشد بن عبد الله، يقول: قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر المديني:

"محمد بن إسماعيل أفقهُ عندنا وأبصرُ من ابن حنبل". فقال رجل من جلسائه: "جاوزتَ الحد!"، فقال أبو مصعب: "لو أدركتَ مالكاً، ونظرتَ إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل، لقلتَ: كلاهما واحد في الفقه والحديث".

قال: وسمعتُ حاشد بن إسماعيل، يقول: "رأيتُ إسحاق بن راهويه جالساً على السرير، ومحمد بن إسماعيل معه، وإسحاق يقول: «حدثنا عبد الرزاق»، حتى مرَّ على حديثٍ فأنكره عليه محمد بن إسماعيل، فرجع إسحاق إلى قول محمد، فقال إسحاق بن راهويه: يا معشر أصحاب الحديث، انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه؛ فإنه لو كان في زمان الحسن بن أبي الحسن البصري لاحتاج إليه الناس؛ لمعرفته بالحديث وفهمه".

[68] قال غنجار: حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا ابن أبي حاتم، قال: سمعتُ أبا عمرو المستنير بن عتيق البكري، يقول: سمعتُ رجاء بن المرجى، يقول:

"فضلُ محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء".

فقال له رجل: "يا أبا محمد، كلُّ ذلك بمرة؟!"، فقال: "هو آيةٌ من آيات الله يمشي على ظهر الأرض".

[69] قال غنجار: حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد التاجر، حدثنا محمد بن يوسف بن مطر، قال: سمعتُ أبا جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق، يقول: سمعتُ علي بن حجر، يقول: "أخرجتْ خراسان ثلاثة: أبو زرعة بالري، ومحمد بن إسماعيل ببخارى، وعبد الله بن عبد الرحمن بسمرقند؛ ومحمد بن إسماعيل عندي أبصرُهم وأعلمُهم وأفقهُهم".

[70] قال غنجار: حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد التاجر، حدثنا محمد بن يوسف بن مطر، حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: سمعتُ يحيي بن جعفر، يقول:

"لو قَدَرْتُ أن أزيدَ -يعني من عمري- في عمرِ محمد بن إسماعيل لَفعلتُ؛ فإنَّ موتي يكون موتَ رجلٍ واحدٍ، وموتَ محمد بن إسماعيل ذهابُ العلم".

[71] قال غنجار: حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن يوسف الشافعي، وخلف بن محمد، قالا: سمعنا أبا جعفر محمد بن يوسف بن الصديق الوراق، يقول: سمعتُ عبد الله بن حماد الآملي، يقول:

"وددتُ أني شعرةٌ في صدر محمد بن إسماعيل".

رجوعه إلى خراسان وأخبار المحنة

[72] قال غنجار: حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الخولاني، قال: حدثنا أبو ذر محمد بن محمد بن يوسف القاضي، قال: سمعت أبا معشر حمدويه بن الخطاب يقول: لما قدم أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل من العراق قدمته الأخيرة، وتلقاه من تلقاه من الناس وازدحموا عليه وبالغوا في بره، فقيل له في ذلك وفيما كان من كرامة الناس وبرهم له، فقال: فكيف لو رأيتم يوم دخولنا البصرة.

[73] قال غُنْجار: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان بن غارم الزندي، وأبو عمرو أحمد بن عمر المقرئ، قالا: حدثنا أبو سعيد حاتم بن أحمد بن محمود الكندي، قال: سمعتُ مسلم بن الحجاج، يقول: "لما قدم محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور؛ ما رأيتُ والياً ولا عالماً فعل به أهل نيسابور ما فعلوا بمحمد بن إسماعيل؛ استقبلوه من مرحلتين وثلاث مراحل. وقال محمد بن يحيى الذهلي في مجلسه: «من أراد أن يستقبل محمد بن إسماعيل غداً

فليستقبله، فإني أستقبله». فاستقبله محمد بن يحيي وعامة علماء أهل نيسابور، فدخل البلد، فنزل دار البخاريين.

قال: فقال لنا محمد بن يحيي: «لا تسألوه عن شيء من الكلام؛ فإنه إن أجاب بخلاف ما نحن فيه وقع بيننا وبينه، ثم شمت بنا كل حروري، وكل رافضي، وكل جهمي، وكل مرجئ بخراسان».

قال: فازدحم الناس على محمد بن إسماعيل حتى امتلأت الدار والسطوح. قال: فلما كان يوم الثاني أو الثالث، قام إليه رجل فسأله عن اللفظ بالقرآن؟ فقال: «أفعالنا مخلوقة، وألفاظنا من أفعالنا».

قال: فوقع بين الناس اختلاف؛ فقال بعضهم: قال لفظي بالقرآن مخلوق، وقال بعضهم: لم يقل. فوقع بينهم اختلاف حتى تواثب بعضهم إلى بعض، فاجتمع أهل الدار فأخرجوا الناس من الدار".

[74] قال غنجار: حدثنا أبو صالح خلف بن محمد بن إسماعيل، قال: سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالخفاف ببخارى يقول: كنا يوماً عند أبي إسحاق القيسي، ومعنا محمد بن نصر المروزي، فجرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري، فقال محمد بن نصر: سمعته يقول: من زعم أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب، فإني لم أقله. فقلت له: يا أبا عبد الله، قد خاض الناس في هذا وأكثروا فيه؟ فقال: ليس إلا ما أقول وأحكي لك عنه. قال أبو عمرو الخفاف: فأتيت محمد بن إسماعيل فناظرته في شيء من الأحاديث حتى طابت نفسه، فقلت: يا أبا عبد الله، هاهنا أحد يحكي عنك أنك قلت هذه المقالة. فقال: يا أبا عمرو احفظ ما أقول لك: من زعم من أهل نيسابور وقومس والري

وهمذان وحلوان وبغداد والكوفة والمدينة ومكة والبصرة أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو كذاب، فإني لم أقل هذه المقالة إلا أني قلت: أفعال العباد مخلوقة.

[75] قال غنجار: حدثنا أبو نصر أحمد بن سهل بن حمدويه، قال: حدثنا أبو العباس الفضل بن بسام، قال: سمعت إبراهيم بن محمد يقول: أنا توليت دفن محمد بن إسماعيل لما أن مات بخرتنك أردت حمله إلى مدينة سمرقند أن أدفنه بها فلم يتركني صاحب لنا فدفناه بها، فلما أن فرغنا ورجعت إلى المنزل الذي كنت فيه، قال لي صاحب القصر: سألته أمس قلت: يا أبا عبد الله، ما تقول في القرآن؟ فقال: القرآن كلام الله غير مخلوق. قال: فقلت له: إن الناس يزعمون أنك تقول: ليس في المصاحف قرآن ولا في صدور الناس. فقال: استغفر الله أن تشهد علي بشيء لم تسمعه مني، أقول كما قال الله تعالى: {وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ} أقول في المصاحف قرآن وفي صدور الناس قرآن، فمن قال غير هذا يستتاب، فإن تاب وإلا فسبيله سبيل الكفر.

ذكر خبر البخاري مع خالد بن أحمد الأمير بعد عوده إلى بخارى

[76] سمعتُ أبا عمرو أحمد بن محمد المقرئ، يقول: سمعتُ أبا سعيد بكر بن منير بن خليد بن عسكر، يقول:

بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي –والي بخارى– إلى محمد بن إسماعيل: " أنِ احمِل إليَّ كتاب "الجامع" و"التاريخ" وغيرهما لأسمع منك".

فقال محمد بن إسماعيل لرسوله: " أنا لا أُذِلُّ العلم، ولا أحمله إلى أبواب الناس؛ فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فاحضرني في مسجدي أو في داري، وإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان؛ فامنعني من المجلس ليكون لي عذرٌ عند الله يوم القيامة؛ لأني لم أكتم العلم؛ لقول

النبي ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ". قال: فكان سبب الوحشة بينهما هذا.

عقيدته

[77] قال غنجار: حدثنا محمد بن عمران الجرجاني، سمعت عبد الرحمن بن محمد البخاري، سمعت محمد بن إسماعيل يقول: لقيت أكثر من ألف رجل أهل الحجاز والعراق والشام ومصر، لقيتهم كرات، أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين، وأهل البصرة أربع مرات، وبالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثي خراسان، منهم: المكي بن إبراهيم، ويحيى بن يحيى، وابن شقيق، وقتيبة، وشهاب بن معمر، وبالشام: الفريابي، وأبا مسهر، وأبا المغيرة، وأبا اليمان، وسمى خلقاً.

ثم قال: فما رأيت واحداً منهم يختلف في هذه الأشياء أن الدين قول وعمل، وأن القرآن كلام الله.

[78] قال غُنْجار: حدثنا أبو الحسين محمد بن عمران بن موسى الجرجاني، قال: سمعت أبا محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن البخاري بالشاش، يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، يقول:

"لقيتُ أكثر من ألف رجل من أهل العلم؛ أهل الحجاز، ومكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة، وواسط، وبغداد، والشام، ومصر. لقيتهم كراتٍ؛ قرناً بعد قرن، ثم قرناً بعد قرن. أدركتهم وهم متوافرون أكثر من ست وأربعين سنة: أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين، وبالبصرة أربع مرات في سنين ذوي عدد، وبالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثي

أهل خراسان، منهم: المكي بن إبراهيم، ويحيى بن يحيى، وعلي بن الحسن بن سفيان، وقتيبة بن سعيد، وشهاب بن معمر.

وبالشام: محمد بن يوسف الفريابي، وأبا مسهر عبد الأعلى بن مسهر، وأبا المغيرة عبد القدوس بن الحجاج، وأبا اليمان الحكم بن نافع، ومن بعدهم عدة كثيرة.

وبمصر: يحيى بن بكير، وأبا صالح كاتب الليث بن سعد، وسعيد بن أبي مريم، وأصبغ بن الفرج، ونعيم بن حماد.

وبمكة: عبد الله بن يزيد المقرئ، والحميدي، وسليمان بن حرب قاضي مكة، وأحمد بن محمد الأزرقي.

وبالمدينة: إسماعيل بن أبي أويس، ومطرف بن عبد الله، وعبد الله بن نافع الزبيري، وأحمد بن أبي بكر الزهري أبا مصعب، وإبراهيم بن حمزة الزبيري، وإبراهيم بن المنذر الحزامي.

وبالبصرة: أبا عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، وأبا الوليد هشام بن عبد الملك، والحجاج بن المنهال، وعلي بن عبد الله بن جعفر المديني.

وبالكوفة: أبا نعيم الفضل بن دكين، وعبيد الله بن موسى، وأحمد بن يونس، وقبيصة بن عقبة، وابن نمير، وعبد الله وعثمان ابني أبي شيبة.

وببغداد: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبا معمر، وأبا خيثمة، وأبا عبيد القاسم بن سلام.

ومن أهل الجزيرة: عمرو بن حماد الحراني.

وبواسط: عمرو بن عون، وعاصم بن علي.

وبمرو: صدقة بن الفضل، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي.

واكتفينا بتسمية هؤلاء حتى يكون مختصراً وأن لا يطول ذلك؛ فما رأيتُ واحداً منهم يختلف في هذه الأشياء:

أن الدين قول وفعل؛ وذلك لقول الله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾.

وأن القرآن كلام الله. قال أبو عبد الله: كلام غير مخلوق؛ لقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾. قال أبو عبد الله: قال ابن عيينة: فبين الله الخلق من الأمر؛ لقوله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

وأن الخير والشر بقدر؛ لقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، و﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، ولقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

ولم يكونوا يكفرون أحداً من أهل القبلة بالذنب؛ لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

وما رأيت أحداً منهم يتناول أصحاب محمد ﷺ؛ قالت عائشة: "أُمِروا أن يستغفروا لهم"، وذلك قوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وكانوا ينهون عن البدع؛ وما عليه لم يكن عليه النبي ﷺ وأصحابه؛ لقول الله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، ولقوله: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾. ويحثون على ما عليه النبي ﷺ وأتباعه؛ لقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وأن لا ينازع الأمر أهله؛ لقول النبي ﷺ: "ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعتهم؛ فإن دعوتهم تحيط من ورائهم"، ثم أكد في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. وأن لا يرى السيف على أمة محمد ﷺ.

وقال الفضيل بن عياض: "لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام؛ لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد". وقال ابن المبارك: "يا معلم الخير، من يجترئ على هذا غيرك!".

[79] قال غنجار: حدثنا خلف بن محمد قال سمعت الحسن بن الحسن بن الوضاح ومكي بن خلف بن عفان قالا سمعنا محمد بن إسماعيل قول: كتبت على ألف نفر من العلماء وزيادة ولم أكتب إلا عن من قال الإيمان قول وعمل ولم أكتب عن من يقول الإيمان قولي.

[80] قال غنجار: حدثنا أبو عمرو المقرئ، قال: سمعت بكر بن منير يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: لا أعرف بخراسان مرجئاً.

[81] قال غنجار: سمعتُ أبا بشر محمد بن أحمد بن حاضر العبسي، يقول: سمعتُ محمد بن يوسف بن مطر، يقول: سألتُ محمد بن إسماعيل عن الإيمان، فقال:

"قولٌ وعملٌ بلا شك، والقرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوق، ومن قال مخلوقٌ فهو كافر".

وفاة الإمام البخاري

[82] قال غنجار: حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، وأبو عبيد أحمد بن عروة بن أحمد بن إبراهيم، قالا: سمعنا أبا الحسن مهيب بن سليم بن مجاهد يقول: توفي أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ليلة السبت ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين.

18- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة

الإمام هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي (المتوفى: 418هـ)

قال رحمه الله[1]: قول محمد بن إسماعيل البخاري: أخبرنا أحمد بن محمد بن حفص قال: ثنا محمد بن أحمد بن سلمة قال: ثنا أبو نصر أحمد بن سهل بن حمدويه قال: ثنا أبو العباس الفضل بن بسام قال: سمعت إبراهيم بن محمد يقول: أنا توليت دفن محمد بن إسماعيل البخاري لما مات بخرتنك، فأردت حمله إلى سمرقند أن أدفنه بها فلم يتركني صاحب لنا من أهل سكجكث فدفناه بها، فلما أن فرغنا ورجعت إلى المنزل الذي كنت فيه قال لي صاحب القصر: سألته أمس فقلت: يا أبا عبد الله ما تقول في القرآن؟ فقال: القرآن كلام الله غير مخلوق. فقلت له: إن الناس يزعمون أنك تقول ليس في المصحف قرآن ولا في صدور الناس. فقال: أستغفر الله أن تشهد علي بما لم تسمعه مني، إني أقول كما قال الله: ﴿والطور وكتاب مسطور﴾ [الطور: 2]، أقول: في المصاحف قرآن، وفي صدور الرجال قرآن، فمن قال غير ذلك هذا يستتاب فإن تاب وإلا سبيله سبيل الكفر.

وأخبرنا أحمد بن محمد بن حفص قال: ثنا محمد بن أحمد بن سلمة قال: ثنا أبو صالح خلف بن محمد بن إسماعيل قال: سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالخفاف ببخارى يقول: كنا يوما عند أبي إسحاق القرشي ومعنا محمد بن نصر المروزي، فجرى ذكر محمد بن إسماعيل، فقال محمد بن نصر: سمعته يقول: من زعم أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب، فإني لم أقله. فقلت له: يا أبا عبد الله فقد خاض الناس في هذا وأكثروا فيه. فقال: ليس إلا ما أقول وأحكي لك عنه. قال أبو عمرو الخفاف: فأتيت محمد بن إسماعيل فناظرته في شيء من الحديث حتى طابت نفسه فقلت له: يا أبا عبد الله هاهنا رجل يحكي عنك أنك قلت هذه المقالة. فقال لي: يا أبا عمرو احفظ ما أقول: من زعم من

---

[1] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة 395/2

تحقيق أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي. دار طيبة – السعودية. الطبعة الثامنة، 1423هـ / 2003م

أهل نيسابور وقومس والري وهمذان وحلوان وبغداد والكوفة والمدينة ومكة والبصرة أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب، فإني لم أقل هذه المقالة، إلا أني قلت: أفعال العباد مخلوقة.

وقال رحمه الله[1]: سياق ما روي من كرامات محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه، أخبرنا أحمد بن محمد بن حفص، قال: أنا محمد بن أحمد بن سليمان، قال: أنا خلف بن محمد بن الفضل البلخي، قال: سمعت أبي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام فقال لها: يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك أو كثرة دعائك - الشك من أبي محمد البلخي - فأصبحنا وقد رد الله عليه بصره.

19- تاريخ نسف للمستغفري

أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز المستغفري النسفي (ت432هـ)

قال الذهبي في تاريخ الإسلام: " وقال جعفر بن محمد المستغفري في «تاريخ نسف» وذكر البخاري:" **لو جاز لي لفضلته على من لقي من مشايخه، ولقلت: ما رأى بعينه مثل نفسه. دخل نسف سنة ست وخمسين وحدث بها بجامعه الصحيح، وخرج إلى سمرقند لعشر بقين من رمضان، ومات بقرية خرتنك ليلة الفطر**"[2].

20- الإرشاد في معرفة علماء الحديث[3]

أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد (ت 446هـ)

---

[1] كرامات الأولياء للالكائي - من كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي290/2
ت: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي. دار طيبة – السعودية ط الثامنة، 1423هـ / 2003م

[2] تاريخ الإسلام 147/6 ط بشار

[3] الإرشاد في معرفة علماء الحديث 958.966/3
المحقق: د. محمد سعيد عمر. الناشر: مكتبة الرشد – الرياض. الطبعة: الأولى، 1409

قال رحمه الله: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة الجعفي الإمام، المتفق عليه بلا مدافعة، سمع مكي بن إبراهيم، وعبدان المروزي، وابن راهويه، وعلي بن حجر، ويحيى بن يحيى، وإبراهيم بن موسى الصغير، ومحمد بن مهران الرازي، وهوذة بن خليفة، وعاصم بن علي، وعلي بن الجعد، وأبا عاصم النبيل، والأنصاري، وأبا زيد الهروي، وبدل بن المحبر، وأبا عبد الرحمن المقرئ، ومحمد بن يوسف الفريابي، وأبا المغيرة عبد القدوس بن الحجاج، وسعيد بن أبي مريم، ويحيى بن بكير، وكاتب الليث، وغيرهم من شيوخ خراسان، والري، وبغداد، والكوفة، والبصرة، والحجاز، والشام، ومصر، ولعل شيوخه يزيدون على ألف، وفضائله أكثر من أن توصف. وقال: " أحفظ مائة ألف حديث صحيح وضعيف مما لا يصح، وانتخبت كتابي من الصحيح، واختصرت واجتنبت الإطالة ".

وروى عنه أستاذه المسندي أحاديث، وكذلك محمد بن سلام، وروى عنه إبراهيم بن معقل، وإسحاق بن أحمد بن خلف الحافظ، وهو أسن منه.

والذين رووا عنه الجامع: إبراهيم بن معقل، ومهيب بن سليم، ومنصور بن محمد، ومحمد بن يوسف الفربري، وهو آخر من روى عنه الجامع.

وروى عنه من أهل مرو، أبو عيسى الترمذي الحافظ، وأحمد بن سيار، وغيرهما، ومن أهل نيسابور ابن خزيمة، والسراج، ومسلم بن الحجاج، ومحمد بن سليمان بن فارس، وغيرهم، ومن أهل الري أبو حاتم، وعلي بن الحسين بن الجنيد، وفضلك الصائغ، روى عنه كتاب التاريخ، ومن أهل بغداد أحمد بن هارون البرديجي، وابن صاعد، والبغوي، كتبوا عنه سنة ثمان وأربعين ومائتين، آخر خرجة خرج هو إلى العراق، وآخر من روى عنه ببغداد أبو عبد الله المحاملي.

سمعت أحمد بن مسلم الفارسي الحافظ يقول: سمعت محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل يقول: سمعت أبا حسان مهيب بن سليم يقول: مات محمد بن إسماعيل البخاري ليلة السبت، وهي ليلة الفطر، سنة ست وخمسين ومائتين.

قال: وسمعت أبا حسان يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: "ولدت يوم الجمعة بعد الصلاة لثنتي عشر ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة"، وكان عمره اثنتين وستين سنة إلا اثنتي عشر يوما.

أخبرني أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد المخلدي في كتابه، أخبرنا أبو حامد الأعمشي الحافظ، قال: كنا عند محمد بن إسماعيل البخاري بنيسابور، فجاء مسلم بن الحجاج فسأله عن حديث عبيد الله بن عمر عن أبي الزبير عن جابر، «بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية ومعنا أبو عبيدة» فساق الحديث بطوله، فقال محمد بن إسماعيل: "حدثنا ابن أبي أويس، حدثني أخي أبو بكر، عن سليمان بن بلال، عن عبيد الله، عن أبي الزبير، عن جابر، القصة بطولها". فقرأ عليه إنسان حديث حجاج بن محمد، عن ابن جريج، عن موسى بن عقبة، حدثني سهيل بن أبي صالح، عن أبيه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: (كفارة المجلس واللغو إذا قام العبد أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله أستغفرك وأتوب إليك). فقال له مسلم: في الدنيا أحسن من هذا الحديث ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل يعرف بهذا الإسناد حديث في الدنيا؟

فقال محمد بن إسماعيل: "إلا أنه معلول". قال مسلم: لا إله إلا الله، وارتعد، أخبرني به؟ قال: "استر ما ستر الله، هذا حديث جليل روي عن حجاج بن محمد، الخلق، عن ابن جريج"، فألح عليه وقبل رأسه وكاد أن يبكي، فقال: "اكتب إن كان ولا بد، حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب، حدثنا موسى بن عقبة عن عون بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ (كفارة المجلس) ". فقال له مسلم: لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك، سمعت أحمد بن أبي مسلم الحافظ، يقول: حدثت عن محمد بن الأزهر السجزي يقول: كنت بالبصرة في مجلس سليمان بن حرب، والبخاري جالس لا يكتب، فقلت لبعضهم: ما لأبي عبد الله لا يكتب؟ فقال: يرجع إلى بخارى فيكتب من حفظه.

أخبرني عبد الواحد بن بكر الصوفي، حدثنا عبد الله بن عدي الجرجاني، حدثنا محمد بن أحمد القومسي، قال: سمعت محمد بن حمدويه يقول: سمعت البخاري يقول: "أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأعرف مائتي ألف حديث غير صحيح "

سمعت أحمد بن أبي مسلم الحافظ، وعبد الواحد بن بكر الصوفي، قالا: سمعنا ابن عدي الحافظ، قال: سمعت الحسن بن الحسين يقول: سمعت إبراهيم بن معقل، يقول: سمعت البخاري، يقول: "ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صح، وقد تركت من الصحاح يعني: خوفا من التطويل".

سمعت عبد الرحمن بن محمد بن فضالة الحافظ، يقول: سمعت أبا أحمد محمد بن محمد بن إسحاق الكرابيسي الحافظ، يقول: رحم الله الإمام محمد بن إسماعيل، فإنه الذي ألف الأصول، وبين للناس، وكل من عمل بعده فإنما أخذ من كتابه: كمسلم بن الحجاج، فرق كتابه في كتبه، وتجلد فيه حق الجلادة، حيث لم ينسبه إلى قائله، ولعل من ينظر في تصانيفه لا يقع فيها ما يزيد إلا ما يسهل على من يعده عدا، ومنهم من أخذ كتابه فنقله بعينه إلى نفسه، كأبي زرعة، وأبي حاتم، فإن عاند الحق معاند فيما ذكرت فليس يخفي صورة ذلك على ذوي الألباب."

21- تاريخ مدينة السلام[1]

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت 463هـ)

قال رحمه الله: " محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله الجعفي البخاري، الإمام في علم الحديث، «صاحب الجامع الصحيح» و«التاريخ».

رحل في طلب العلم إلى سائر محدثي الأمصار، وكتب بخراسان، والجبال، ومدن العراق كلها، وبالحجاز، والشام، ومصر.

وسمع مكي بن إبراهيم البلخي، وعبدان بن عثمان المروزي، وعبيد الله بن موسى العبسي، وأبا عاصم الشيباني، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، ومحمد بن يوسف الفريابي، وأبا نعيم الفضل بن دكين، وأبا غسان النهدي، وسليمان بن حرب الواشجي، وأبا سلمة التبوذكي، وعفان

---

[1]تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وورديها. ج2/322-357
دار الغرب الإسلامي. تحقيق الدكتور بشار عواد معروف. الطبعة الأولى، 1422 هـ/2001م.

بن مسلم، وعارم بن الفضل، وأبا الوليد الطيالسي، وأبا معمر المنقري، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، وأبا بكر الحميدي، وسعيد بن أبي مريم المصري، ويحيى بن بكير المخزومي، وعبد الله بن يوسف التنيسي، وعبد العزيز بن عبد الله الأويسي، وأبا اليمان الحمصي، وإسماعيل بن أبي أويس المديني، وعبد القدوس بن الحجاج، وحجاج بن المنهال، ومحمد بن كثير العبدي، وخالد بن مخلد القطواني، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وخلقا سواهم يتسع ذكرهم.

وورد بغداد دفعات، وحدث بها فروى عنه من أهلها: إبراهيم بن إسحاق الحربي، وعبد الله بن محمد بن ناجية، وقاسم بن زكريا المطرز، ومحمد بن محمد الباغندي، ويحيى بن محمد بن صاعد، ومحمد بن هارون الحضرمي، وآخر من حدث عنه بها الحسين بن إسماعيل المحاملي.

أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن مهدي، قال: حدثنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي إملاء، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا سفيان عن أبي بردة، قال: أخبرني جدي أبو بردة، عن أبيه أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)، وشبك بين أصابعه، وكان ﷺ جالسا إذ جاءه رجل أو طالب حاجة، فأقبل علينا بوجهه فقال: (اشفعوا فلتؤجروا وليقضي الله على لسان رسوله ما شاء).

أخبرنا أبو سعد الماليني قراءة عليه، قال: أنبأنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ، قال: سمعت محمد بن أحمد بن سعدان البخاري يقول: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مغيرة بن بذدزبه البخاري، وبذدزبه مجوسي مات عليها، والمغيرة بن بذدزبه أسلم على يدي يمان البخاري والي بخارى، ويمان هذا هو أبو جد عبد الله بن محمد المسندي الجعفي، وعبد الله بن محمد هو ابن جعفر بن يمان البخاري الجعفي، والبخاري قيل له: جعفي لأن أبا جده أسلم على يدي أبي جد عبد الله المسندي، ويمان جعفي فنسب إليه لأنه مولاه من فوق. وعبد الله قيل له مسندي لأنه كان يطلب المسند من حداثته.

وأخبرنا أبو سعد الماليني، قال: أنبأنا عبد الله بن عدي، قال: سمعت الحسن بن الحسين البزاز ببخارى يقول: رأيت محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، شيخا نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير. ولد يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شوال سنة أربع

وتسعين ومائة، وتوفي ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت لغرة شوال من سنة ست وخمسين ومائتين. عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما.

أنبأنا إبراهيم بن مخلد، قال: أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن رميح النسوي، قال: سمعت أحمد بن محمد بن عمر بن بسطام المروزي يقول: سمعت أحمد بن سيار يقول: ومحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبو عبد الله طلب العلم، وجالس الناس، ورحل في الحديث، ومهر فيه وأبصر، وكان حسن المعرفة، حسن الحفظ، وكان يتفقه.

حدثني أبو النجيب عبد الغفار بن عبد الواحد الأرموي، قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن أحمد الأصبهاني قال: أخبرني أحمد بن علي الفارسي قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن محمد، قال: سمعت جدي محمد بن يوسف بن مطر الفربري يقول: حدثنا أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق النحوي، قال: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري :كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟

قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب.

قال: وكم أتى عليك إذ ذاك؟

فقال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت اختلف إلى الداخلي وغيره، وقال يوما فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم. فقلت له يا أبا فلان إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم. فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك، فدخل ونظر فيه ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم. فأخذ القلم مني وأحكم كتابه فقال: صدقت. فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت إذ رددت عليه؟ فقال ابن إحدى عشرة، فلما طعنت في ست عشرة سنة، حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء. ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخي وتخلفت بها في طلب الحديث، فلما طعنت في ثماني عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وذلك أيام عبيد الله بن موسى، وصنفت «كتاب التاريخ» إذ ذاك عند قبر الرسول ﷺ في الليالي المقمرة. وقال: قل اسم في «التاريخ» إلا وله عندي قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتاب.

أخبرني محمد بن علي بن أحمد المقرئ، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسن الجرجاني في كتابه إلي، وحدثني عنه أبو عمر البحيري، قال: أخبرنا خلف بن محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم وراق البخاري، قال: سمعت البخاري يقول: لو نشر بعض أستاذي هؤلاء لم يفهموا كيف صنفت كتاب «التاريخ» ولا عرفوه. ثم قال: صنفته ثلاث مرات.

حدثني أبو النجيب الأرموي، قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن أحمد الأصبهاني، قال: أخبرني محمد بن إدريس الوراق، قال: حدثنا محمد بن حم البخاري، قال: أخبرنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أخذ إسحاق بن راهويه كتاب «التاريخ» الذي صنفت فأدخله على عبد الله بن طاهر، فقال: أيها الأمير ألا أريك سحرا؟ قال: فنظر فيه عبد الله بن طاهر فتعجب منه، وقال: لست أفهم تصنيفه.

أخبرني عبيد الله بن أبي الفتح، قال: سمعت محمد بن حميد اللخمي يقول: سمعت القاضي أبا الحسن محمد بن صالح الهاشمي يقول: سمعت أبا العباس بن سعيد يقول: لو أن رجلا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن كتاب تاريخ محمد بن إسماعيل البخاري.

قرأت على الحسين بن محمد بن الحسن المؤدب- أخي أبي محمد الخلال-، عن أبي سعد عبد الرحمن بن محمد الإدريسي الحافظ قال: حدثني محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد الحافظ أبو عبد الله السرخسي بسمرقند، قال: حدثني الحسن بن الحسين البخاري، قال: حدثنا عامر بن المنتجع، قال: سمعت أبا بكر المديني يقول: كنا يوما بنيسابور عند إسحاق بن راهويه، ومحمد بن إسماعيل حاضر في المجلس، فمر إسحاق بحديث من أحاديث النبي ﷺ، وكان دون صاحب النبي ﷺ عطاء الكيخاراني فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله أيش كيخاران؟ قال: قرية باليمن كان معاوية بن أبي سفيان بعث هذا الرجل من أصحاب النبي ﷺ إلى اليمن فسمع منه عطاء حديثين. فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله كأنك قد شهدت القوم.

أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، قال: أخبرنا محمد بن نعيم الضبي، قال: سمعت خلف بن محمد بن إسماعيل البخاري يقول: سمعت إبراهيم بن معقل النسفي يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: كنت عند إسحاق بن راهويه، فقال لنا بعض أصحابنا: لو جمعتم

كتابا مختصرا لسنن النبي ﷺ فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب- يعني كتاب «الجامع »-.

كتب إلي علي بن أبي حامد الأصبهاني يذكر أن أبا أحمد محمد بن محمد بن مكي الجرجاني حدثهم، قال: سمعت السعداني يقول: سمعت بعض أصحابنا يقول: قال محمد بن إسماعيل: أخرجت هذا الكتاب- يعني «الصحيح» - من زهاء ستمائة ألف حديث.

أخبرنا أبو سعد الماليني، قال: أخبرنا عبد الله بن عدي، قال: سمعت الحسن بن الحسين البخاري يقول: سمعت إبراهيم بن معقل يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: ما أدخلت في كتابي «الجامع» إلا ما صح، وتركت من الصحاح لحال الطول.

حدثني محمد بن علي الصوري، قال: عبد الغني بن سعيد الحافظ، قال: أبو الفضل جعفر بن الفضل، قال: أخبرنا محمد بن موسى بن يعقوب بن المأمون، قال: سئل أبو عبد الرحمن- يعني النسائي- عن العلاء وسهيل فقال: هما خير من فليح، ومع هذا فما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل البخاري.

حدثني أبو الحسين بن علي بن محمد جعفر العطار الأصبهاني بالري، قال: سمعت أبا الهيثم الكشميهني يقول: سمعت محمد بن يوسف الفربري يقول: قال لي محمد ابن إسماعيل البخاري: ما وضعت في كتاب «الصحيح» حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.

حدثني محمد بن أبي الحسن الساحلي، قال أخبرنا أحمد بن الحسن الرازي، قال: سمعت عبد الله بن عدي يقول: سمعت عبد القدوس بن همام يقول: سمعت عدة من المشايخ يقولون: حول محمد بن إسماعيل البخاري تراجم جامعه بين قبر النبي ﷺ ومنبره، وكان يصلى لكل ترجمة ركعتين.

أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري بنيسابور، قال: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الفقيه البلخي يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن عبد الله الصفار البلخي يقول: سمعت أبا إسحاق المستملي يروى عن محمد بن يوسف الفربري أنه كان يقول: سمع كتاب «الصحيح» لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل فما بقى أحد يروى عنه غيرى.

قرأت على الحسين بن محمد أخي الخلال، عن عبد الرحمن بن محمد الإدريسي، قال: حدثني محمد بن حم، قال: حدثنا محمد بن يوسف الفربري، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال:

قلت: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل: تحفظ جميع ما أدخلت في المصنف؟ فقال: لا يخفى علي جميع ما فيه.

أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نصرويه السمرقندي، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن مت الأشتيخني بها، قال: حدثنا الفربري محمد بن يوسف قال: سمعت محمدا البخاري بخوارزم يقول: رأيت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل- يعني في المنام- خلف النبي ﷺ والنبي ﷺ يمشي، فكلما رفع النبي ﷺ قدمه وضع أبو عبد الله محمد بن إسماعيل قدمه في ذلك الموضع.

أخبرنا أبو سعد الماليني، قال أخبرنا عبد الله بن عدي، قال: سمعت محمد بن يوسف الفربري قال: سمعت النجم بن الفضيل- وكان من أهل الفهم- يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام خرج من قرية ماستي[1] ومحمد بن إسماعيل خلفه فكان النبي ﷺ إذا خطا خطوة يخطو محمد ويضع قدمه على خطوة النبي ﷺويتبع أثره.

كتب إلي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن الحسين الجرجاني، من أصبهان يذكر أنه سمع أبا أحمد محمد بن محمد بن مكي الجرجاني يقول: سمعت محمد ابن يوسف الفربري يقول: رأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي: أين تريد؟ فقلت أريد محمد بن إسماعيل البخاري، فقال: أقرئه مني السلام.

حدثني أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن علي السوذرجاني بأصبهان من لفظه، قال: حدثنا علي بن محمد بن الحسين الفقيه، قال: حدثنا خلف بن محمد الخيام، قال: سمعت أبا محمد المؤذن عبد الله بن محمد بن إسحاق السمسار يقول: سمعت شيخي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام، فقال لها: يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك، أو لكثرة دعائك. قال: فأصبح وقد رد الله عليه بصره.

أخبرني أبو الوليد الحسن بن محمد بن علي الدربندي، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن كامل الحافظ ببخارى، قال: حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن

---

[1] في طبعة دار الفكر: ماستين، وهو الأشهر.

عمر المقرئ، قال: سمعت أبا حسان مهيب بن سليم يقول: سمعت جعفر بن محمد القطان إمام الجامع بكرمينية يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: كتبت عن ألف شيخ وأكثر ما عندي حديث لا أذكر إسناده.

وقال أبو عبد الله سمعت أبا عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ يقول: سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد بن عمر الأديب يقول: سمعت أحيد بن أبي جعفر والي بخارى يقول: قال محمد بن إسماعيل يوما: رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر. قال: فقلت له يا أبا عبد الله بكماله؟ قال: فسكت.

أخبرني أبو الوليد، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان الحافظ، قال: حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، وأبو نصر أحمد بن أبي حامد الباهلي، قالا: سمعنا أبا سعيد بكر بن منير يقول: سمعت محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي يقول: كنت عند أبي حفص أحمد بن حفص أسمع كتاب «الجامع» - جامع سفيان- في كتاب والدي، فمر أبو حفص على حرف ولم يكن عندي ما ذكر، فراجعته فقال كذلك، فراجعته الثانية فقال كذلك، فراجعته الثالثة فسكت سويعة، ثم قال: من هذا؟ قالوا هذا ابن إسماعيل بن إبراهيم بن بذدزبة. فقال أبو حفص: هو كما قال، واحفظوا فإن هذا يوما يصير رجلا.

قال أبو نصر الباهلي سمعت بكر بن منير يقول: ابن بذدزبة هو بالبخارية، وبالعربية الزراع.

أخبرني الحسن بن محمد البلخي الأشقر، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر الحافظ ببخارى، قال: حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، قال: حدثنا أبو سعيد بكر بن منير، قال: سمعت أبا عبد الله بن إسماعيل يقول: منذ ولدت ما اشتريت من أحد بدرهم شيئا قط ولا بعت من أحد بدرهم شيئا. فسألوه عن شراء الحبر والكواغد، فقال: كنت آمر إنسانا يشترى لي.

وقال أبو سعيد بكر بن منير: كان حمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه فلان، فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية فطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال لهم: انصرفوا الليلة. فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه تلك البضاعة بربح عشرة آلاف درهم فردهم، وقال: إني نويت البارحة أن أدفع إليهم بما طلبوا- يعني الذين طلبوا أول مرة- ودفع إليهم بربح خمسة آلاف درهم، وقال: لا أحب أن أنقض نيتي.

أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، قال: أخبرنا محمد بن نعيم الضبي، قال أخبرني محمد بن خالد المطوعي، قال: حدثنا- مسبح بن سعيد قال: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلى بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أن يختم القرآن. وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار كل يوم ختمة، وتكون ختمة عند الإفطار كل ليلة ويقول: عند كل ختم دعوة مستجابة.

أخبرني أبو الوليد الدربندي، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان الحافظ، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، قال: سمعت أبا سعيد بكر بن منير يقول: كان محمد بن إسماعيل يصلى ذات يوم فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة، فلما قضى صلاته قال: انظروا أيش هذا الذي آذاني في صلاتي؟ فنظروا فإذا الزنبور قد ورمه في سبعة عشر موضعا ولم يقطع صلاته.

حدثني أبو النجيب الأرموي، قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن محمد الأصبهاني قال: أخبرني أحمد بن علي الفارسي، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن محمد، قال: حدثني جدي محمد بن يوسف الفربري، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: دعي محمد بن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه، فلما حضرت صلاة الظهر صلى بالقوم، ثم قام للتطوع فأطال القيام، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه فقال لبعض من معه: انظر هل ترى تحت قميصي شيئا؟ فإذا زنبور قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعا، وقد تورم من ذلك جسده، وكان آثار الزنبور في جسده ظاهرة فقال له بعضهم: كيف لم تخرج من الصلاة في أول ما أبرك؟ فقال: كنت في سورة فأحببت أن أتمها.

حدثني أبو النجيب الأرموي، قال: حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني، قال: سمعت أحمد بن علي السليماني يقول: سمعت علي بن محمد بن منصور يقول: سمعت أبي يقول: كنا في مجلس أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، فرفع إنسان من لحيته قذاة فطرحها على الأرض، قال: فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس، فلما غفل الناس رأيته مد يده فرفع القذاة من الأرض فأدخلها في كمه، فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها فطرحها على الأرض.

أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر البخاري الحافظ، قال:

حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد المقرئ، قال: سمعت بكر بن منير يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: إني أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا.

وأخبرني الحسن بن محمد قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر الحافظ، قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن هارون الملاحمي، قال: سمعت أبا بكر محمد بن صابر بن كاتب يقول: سمعت عمر بن حفص الأشقر يقول: كنا مع محمد بن إسماعيل بالبصرة نكتب الحديث، ففقدناه أياما فطلبناه، فوجدناه في بيت وهو عريان، وقد نفد ما عنده ولم يبق معه شيء، فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثوبا وكسوناه، ثم اندفع معنا في كتابة الحديث.

حدثني أبو النجيب الأرموي، قال: حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني، قال: أخبرني محمد بن إدريس الوراق، قال: حدثنا محمد بن حام، قال: أخبرنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ أحيانا، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري نارا بيده ويسرج ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها ثم يضع رأسه، وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم، فقلت له: إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني؟ قال: أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك. ورأيته استلقى على قفاه يوما ونحن بفربر في تصنيف كتاب «التفسير»، وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث، فقلت له: يا أبا عبد الله سمعتك تقول يوما إني ما أتيت شيئا بغير علم قط منذ عقلت، فأي علم في هذا الاستلقاء؟ فقال: أتعبنا أنفسنا في هذا اليوم، وهذا ثغر من الثغور خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو فأحببت أن أستريح وآخذ أهبة ذلك، فإن غافصنا العدو كان بنا حراك.

حدثني أبو عبد الله محمد بن علي الصوري ببغداد، وأبو محمد عبد الله بن علي بن عياض بن أبي عقيل القاضي بصور، وأبو نصر علي بن الحسين بن أحمد بن أبي سلمة الوراق بصيدا، قالوا: أخبرنا محمد بن أحمد بن جميع الغساني، قال: حدثني أحمد ابن محمد بن آدم بن عبيد أبو سعيد، قال: حدثنا محمد بن يوسف البخاري، قال: كنت عند محمد بن إسماعيل البخاري بمنزله ذات ليلة فأحصيت عليه أنه قام وأسرج يستذكر أشياء يعلقها في ليلة، ثماني عشرة مرة.

حدثني أبو الوليد الدربندي، قال: سمعت محمد بن الفضل المفسر يقول: سمعت أبا إسحاق الزنجاني يقول: سمعت عبد الرحمن بن رساين البخاري يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: صنفت كتابي «الصحاح» لست عشرة سنة، خرجته من ستمئة ألف حديث، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى.

وأخبرني أبو الوليد، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد الحافظ، قال: حدثنا محمد بن سعيد التاجر، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: سمعت حاشد بن إسماعيل يقول: كان أبو عبد الله بن إسماعيل يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب فما معناك فيما تصنع؟ فقال لنا بعد ستة عشر يوما: إنكما قد أكثرتما علي وألححتما، فأعرضا علي ما كتبتما فأخرجنا ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر القلب حتى جعلنا نحكم كتبنا على حفظه، ثم قال: أترون أني أختلف هدرا وأضيع أيامي؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد.

قال: وكان أهل المعرفة من أهل البصرة يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه.

قال: وكان أبو عبد الله عند ذلك شابا لم يخرج وجهه.

أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر الحافظ، قال: حدثنا خلف بن محمد، قال: سمعت أبا العباس الفضل بن إسحاق بن الفضل البزار يقول: حدثنا أحمد بن المنهال العابد، قال: حدثنا أبو بكر الأعين، قال: كتبنا عن محمد بن إسماعيل على باب محمد بن يوسف الفريابي وما في وجهه شعرة، فقلت: ابن كم كنت؟ قال: كنت ابن سبع عشرة سنة.

وأخبرني الحسن بن محمد، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر، قال: سمعت أبا القاسم منصور بن إسحاق بن إبراهيم الأسدي يقول: سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم الداغوني يقول: سمعت يوسف بن موسى المروروذي يقول: كنت بالبصرة في جامعها إذ سمعت مناديا ينادي: يا أهل العلم قد قدم محمد بن إسماعيل البخاري، فقاموا في طلبه وكنت معهم، فرأينا رجلا شابا لم يكن في لحيته شيء من البياض يصلي خلف الأسطوانة، فلما فرغ من الصلاة

أحدقوا به وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء فأجابهم إلى ذلك، فقام المنادي ثانيا فنادى في جامع البصرة: قد قدم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، فسألناه أن يعقد مجلس الإملاء فقد أجاب بأن يجلس غدا في موضع كذا. قال: فلما أن كان بالغداة حضر الفقهاء والمحدثون والحفاظ والنظار حتى اجتمع قريب من كذا كذا ألفا. فجلس أبو عبد الله محمد بن إسماعيل للإملاء فقال قبل أن أخذ في الإملاء، قال لهم: يا أهل البصرة أنا شاب وقد سألتموني أن أحدثكم وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدون الكل. قال فبقوا الناس وتعجبوا من قوله، ثم أخذ في الإملاء، فقال: حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد العتكي، بلديكم، قال: أخبرني أبي، عن شعبة، عن منصور وغيره، عن سالم بن أبي الجعد، عن أنس بن مالك، أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يحب القوم، فذكر حديث: «المرء مع من أحب». ثم قال محمد بن إسماعيل: هذا ليس عندكم إنما عندكم عن غير منصور عن سالم. قال يوسف بن موسى: وأملى عليهم مجلسا على هذا النسق، يقول في كل حديث روى شعبة هذا الحديث عندكم كذا، فأما من رواية فلان فليس عندكم، أو كلاما ذا معناه. قال يوسف بن موسى: وكان دخولي البصرة أيام محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، وهلال الرأي، وأحمد بن عبدة الضبي، وحميد بن مسعدة، وغيرهم. ثم دخلت البصرة مرات بعد ذلك.

ذكر وصف البصريين البخاري ومدحهم إياه:

أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر، قال: حدثنا محمد بن سعيد التاجر، قال: حدثنا محمد بن يوسف بن مطر، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت حاشد بن إسماعيل يقول: كنت بالبصرة فسمعت قدوم محمد بن إسماعيل، فلما قدم قال محمد بشار: دخل اليوم سيد الفقهاء.

وأخبرني الحسن، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر، قال: أخبرنا أبو شجاع الفضيل بن العباس بن الخصيب التميمي، قال: حدثنا أبو قريش محمد بن جمعة بن خلف، قال: سمعت بندارا محمد بن بشار يقول: حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري، ومسلم بن الحجاج بنيسابور، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى.

أخبرني أبو الوليد الدربندي، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سلمان، قال: حدثنا

خلف بن محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا عمر بن محمد بن بجير، قال: سمعت محمد بن بشار العبدي بندارا يقول: عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وأبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي، غلماني خرجوا من تحت كرسي.

وقال خلف: سمعت أبا علي الحسين بن إسماعيل الفارسي، يقول: سمعت محمد ابن إبراهيم البوشنجي، يقول: سمعت بندارا محمد بن بشار، سنة ثمان وعشرين ومائتين يقول: ما قدم علينا مثل محمد بن إسماعيل.

قرأت على الحسين بن محمد أخي الخلال، عن أبي سعد الإدريسي، قال: حدثنا محمد بن حام بن ناقب البخاري بسمرقند، قال: حدثنا محمد بن يوسف الفربري، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: لما دخلت البصرة صرت إلى مجلس محمد بن بشار، فلما خرج وقع بصره علي، فقال: من أين الفتى؟ قلت: من أهل بخارى. قال كيف تركت أبا عبد الله؟ فأمسكت. فقال له أصحابه: رحمك الله هو أبو عبد الله. فقام فأخذ بيدي وعانقني، وقال: مرحبا بمن افتخر به منذ سنين.

أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، قال: أخبرنا محمد بن نعيم الضبي، قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن يوسف بن ريحان الأمير ببخارى، قال حدثني أبي يوسف بن ريحان، قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: كان علي بن المديني يسألني عن شيوخ خراسان، فكنت أذكر له محمد بن سلام فلا يعرفه إلى أن قال لي يوما: يا أبا عبد الله كل من أثنيت عليه فهو عندنا الرضا.

أخبرنا أبو حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم العبدوبي، قال: سمعت محمد بن محمد بن العباس يقول: سمعت جدي أحمد بن عبد الله يقول: سمعت جدي محمد بن يوسف يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني، وربما كنت أغرب عليه.

حدثني عبد الله بن أحمد بن علي السوذرجاني لفظا، قال: حدثنا علي بن محمد بن الحسين الفقيه، قال: حدثنا خلف الخيام، قال سمعت إسحاق بن أحمد بن خلف يقول: سمعت محمد بن إسماعيل غير مرة يقول: ما تصاغرت نفسي عند أحد إلا عند علي ابن المديني، ما سمعت الحديث من في إنسان أشهى عندي أن أسمعه من في علي.

وقال إسحاق: حدثني حامد بن أحمد، قال: ذكر لعلي بن المديني قول محمد بن إسماعيل: ما تصاغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني، فقال: ذروا قوله، هو ما رأى مثل نفسه.

أخبرنا علي بن أبي علي المعدل، قال: أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد بن إبراهيم الحازمي البخاري، قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن حريث، قال: حدثنا أحمد بن سلمة، قال: حدثني فتح بن نوح النيسابوري، قال: أتيت علي بن المديني فرأيت محمد ابن إسماعيل جالسا عن يمينه، وكان إذا حدث التفت إليه كأنه يهابه.

حدثني أبو النجيب الأرموي، قال: حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني، قال: أخبرني محمد بن إدريس الوراق، قال: حدثنا محمد بن حام، قال: أخبرنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: ذاكرني أصحاب عمرو بن علي بحديث، فقلت: لا أعرفه، فسروا بذلك، وساروا إلى عمرو بن علي فقالوا له: ذاكرنا محمد بن إسماعيل البخاري بحديث فلم يعرفه. فقال عمرو ابن علي: حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث.

أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، قال أخبرنا محمد بن أبي بكر، قال: حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد التاجر، قال: حدثنا محمد بن يوسف بن مطر، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: سمعت محمد بن قتيبة- قريب أبي عبد الله محمد بن إسماعيل- يقول كنت عند أبي عاصم النبيل فرأيت عنده غلاما فقلت له: من أين أنت؟ قال: من بخارى. قلت ابن من؟ فقال: ابن إسماعيل. فقلت له: أنت قرابتي، فعانقته، فقال لي رجل في مجلس أبي عاصم: هذا الغلام يناطح الكباش.

أخبرني أبو الوليد، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد، قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الخولاني، قال: حدثنا أبو ذر محمد بن محمد بن يوسف القاضي، قال: سمعت أبا معشر حمدويه بن الخطاب يقول: لما قدم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل من العراق قدمته الأخيرة وتلقاه من تلقاه من الناس وازدحموا عليه وبالغوا في بره، فقيل له في ذلك وفيما كان من كرامة الناس وبرهم له؟ فقال: فكيف لو رأيتم يوم دخولنا البصرة.

وصف أهل الحجاز والكوفة له:

أخبرني أبو الوليد الدربندي، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان الحافظ، قال:

حدثنا محمد بن سعيد التاجر، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا محمد ابن أبي حاتم، قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كان إسماعيل بن أبي أويس إذا انتخبت من كتابه نسخ تلك الأحاديث لنفسه. وقال: هذه أحاديث انتخبها محمد ابن إسماعيل من حديثي.

قال محمد بن أبي حاتم: وسمعت حاشد بن عبد الله يقول قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر المديني: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر من ابن حنبل. فقال له رجل من جلسائه: جاوزت الحد، فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت: كلاهما واحد في الفقه والحديث .

أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، قال أخبرنا محمد بن أبي بكر، قال: حدثنا خلف بن محمد، قال: حدثنا أبو عمرو عامر بن المنتجع، قال: حدثنا أحمد بن الضوء، قال: سمعت أبا بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير يقولان: ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل.

أخبرني أبو الوليد، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد، قال: حدثنا محمد بن سعيد، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت محمود بن النضر أبا سهل الشافعي، يقول: دخلت البصرة، والشام، والحجاز، والكوفة، ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم.

ذكر عقد البخاري مجلس التحديث ببغداد وامتحان البغداديين له:

أخبرني الحسن بن محمد، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر، قال: حدثنا أبو نصر أحمد بن أبي حامد الباهلي، قال: سمعت إسحاق بن أحمد بن خلف، قال: سمعت أبا علي صالح ابن محمد البغدادي يقول: كان محمد بن إسماعيل يجلس ببغداد وكنت أستملى له ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفا.

وقال محمد بن أبي بكر: سمعت أبا صالح خلف بن محمد يقول: سمعت محمد بن يوسف بن عاصم يقول: رأيت لمحمد بن إسماعيل ثلاثة مستملين ببغداد، وكان اجتمع في مجلسه زيادة على عشرين ألف رجل.

حدثني محمد بن أبي الحسن الساحلي، قال: أنبأنا أحمد بن الحسن الرازي، قال: سمعت أبا أحمد بن عدي يقول: سمعت عدة مشايخ يحكون، أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها،

وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس يلقون ذلك على البخاري، وأخذوا الموعد للمجلس فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين. فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاري: لا أعرفه. فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، فما زال يلقى عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول: لا أعرفه. فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: الرجل فهم، ومن كان منهم غير ذلك يقضى على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم. ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري لا أعرفه. فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال لا أعرفه. فلم يزل يلقى عليه واحدا بعد آخر حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول: لا أعرفه. ثم انتدب له الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على لا أعرفه. فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم، فقال أما حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها. فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل. وكان ابن صاعد إذا ذكر محمد بن إسماعيل يقول: الكبش النطاح.

ذكر البغداديين فضله:

أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر، قال: حدثنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن يوسف الأزدي، قال: حدثنا أبو عمرو محمد بن عمر بن الأشعث البيكندي، قال: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان أبو زرعة الرازي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، والحسن بن شجاع البلخي.

وأخبرني الحسن بن محمد، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر، قال: حدثنا أبو نصر محمد ابن أحمد بن موسى البزاز، قال: سمعت أبا بكر عبد الرحمن بن محمد بن علوية الأبهري يقول:

سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل.

أخبرني أبو الوليد الدربندي، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان، قال: حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد، قال: سمعت محمد بن يوسف بن مطر يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم يقول: حدثني حاشد بن عبد الله بن عبد الواحد، قال: سمعت يعقوب بن إبراهيم الدورقي يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة .

أخبرني أبو الوليد، قال: أخبرنا محمد، قال: حدثنا أحمد بن أبي حامد الباهلي، قال: سمعت أبا سعيد حاتم بن محمد بن حازم يقول: سمعت موسى بن هارون الحمال ببغداد يقول: عندي لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن ينصبوا مثل محمد بن إسماعيل آخر ما قدروا عليه.

أخبرني محمد بن علي المقري، قال: أخبرنا أبو مسلم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مهران الحافظ، قال: أخبرنا عبد المؤمن بن خلف النسفي، قال: سألت أبا علي صالح بن محمد عن محمد بن إسماعيل، وأبي زرعة، وعبد الله بن عبد الرحمن، فقال: عن أي شيء تسأل؟ فهم مختلفون في أشياء. فقلت: من أعلمهم بالحديث؟ فقال: محمد ابن إسماعيل، وأبو زرعة أحفظهم وأكثرهم حديثا. فقلت: وعبد الله بن عبد الرحمن؟ فقال ليس من هؤلاء في شيء.

أخبرنا أبو بكر البرقاني قال: قال محمد بن العباس العصمي: حدثنا يعقوب بن إسحاق بن محمود، قال: قال أبو علي صالح بن محمد الأسدي- وذكر البخاري- فقال: ما رأيت خراسانيا أفهم منه.

أخبرني أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الواحد المنكدري، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نعيم الضبي الحافظ، قال: سمعت يحيى بن عمرو بن صالح الفقيه يقول: سمعت أبا العباس محمد بن عبد الرحمن الفقيه يقول: كتب أهل بغداد إلى محمد ابن إسماعيل:

المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد.

أخبرنا أبو حازم العبدوي، قال: سمعت محمد بن محمد بن العباس الضبي، يقول: سمعت أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن مطر يقول: سمعت جدي محمد ابن يوسف يقول:

سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: دخلت بغداد آخر ثمان مرات كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل، فقال لي في آخر ما ودعته: يا أبا عبد الله تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان؟ قال أبو عبد الله: فأنا الآن أذكر قوله.

أخبرنا أحمد بن محمد بن غالب، قال: أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي، قال أخبرني عبد الله بن محمد الفرهياني، قال: حضرت مجلس ابن إشكاب فجاءه رجل ذكر اسمه من الحفاظ، فقال: ما لنا بمحمد بن إسماعيل البخاري طاقة، فقام وترك المجلس. أي: أتقول هذا وأنا بالحضرة؟

قول أهل الري فيه:

أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر، قال: أخبرنا خلف بن محمد، قال سمعت أبا بكر محمد بن حريث يقول: سمعت أبا زرعة الرازي يقول- وسألته عن ابن لهيعة فقال: تركه أبو عبد الله. قال محمد بن حريث: فذكرت ذلك لمحمد بن إسماعيل، فقال: بره لنا قديم.

وقال خلف: سمعت أبا بكر محمد بن حريث يقول: سمعت الفضل بن العباس الرازي وسألته فقلت: أيهما أحفظ أبو زرعة أم محمد بن إسماعيل؟ فقال: لم أكن التقيت مع محمد بن إسماعيل، فاستقبلني ما بين حلوان وبغداد، قال: فرجعت معه مرحلة، قال وجهدت الجهد على أن أجيء بحديث لا يعرفه فما أمكنني. قال: وانا أغرب على أبي زرعة عدد شعره.

أخبرني أبو الوليد الدربندي، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان، قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن الحسين بن علي بن يعقوب الجوبياري، قال حدثنا أحمد بن محمد بن عمر المنكدري، قال: حدثنا إسحاق بن أحمد بن زيرك، قال: سمعت محمد بن إدريس الرازي يقول: في سنة سبع وأربعين ومائتين يقدم عليكم رجل من أهل خراسان لم يخرج منها أحفظ منه ولا قدم العراق أعلم منه. فقدم علينا بعد ذلك محمد بن إسماعيل بأشهر.

قال: وقال أبو حاتم الرازي في هذا المجلس: محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق، ومحمد بن يحيى أعلم من بخراسان اليوم من أهل الحديث، ومحمد بن أسلم أورعهم، وعبد الله بن عبد الرحمن أثبتهم.

ما حفظ عن أهل خراسان وما وراء النهر من القول فيه:

أخبرني أبو الوليد الدربندي، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان، قال: حدثنا

محمد بن سعيد التاجر، قال: حدثنا محمد بن يوسف بن مطر، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت عمر بن حفص الأشقر يقول: سمعت عبدان يقول: ما رأيت بعيني شابا أبصر من هذا، وأشار بيده إلى محمد بن إسماعيل.

قال: وسمعت صالح بن مسمار يقول: سمعت نعيم بن حماد يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: قال لي محمد بن سلام: انظر في كتبي فما وجدت فيها من خطأ فأضرب عليه، كي لا أرويه، ففعلت ذل. وكان محمد بن سلام كتب عند الأحاديث التي احكمها محمد بن إسماعيل: رضي الفتى. وفي الأحاديث الضعيفة: لم يرض الفتى. فقال له بعض أصحابه: من هذا الفتى؟ فقال: هو الذي ليس مثله، محمد بن إسماعيل.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت يحيى بن جعفر يقول: لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموت محمد ابن إسماعيل ذهاب العلم .

حدثني أبو النجيب الأرموي، قال: حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني، قال: أخبرني أحمد بن علي الفارسي، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن محمد، قال: حدثنا جدي محمد ابن يوسف، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: سمعت سليم بن مجاهد يقول: كنت عند محمد بن سلام البيكندي، فقال لي: لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث. قال: فخرجت في طلبه حتى لقيته، فقلت: أنت الذي تقول أنا أحفظ سبعين ألف حديث؟ قال: نعم، وأكثر منه، ولا أجيئك بحديث من الصحابة أو التابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثا من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولي في ذلك أصل، أحفظ حفظا عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، قال أخبرنا محمد بن أبي بكر البخاري، قال: حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ ،قال: حدثنا أبو بكر محمد بن يعقوب بن يوسف البيكندي، قال: سمعت علي بن الحسين بن عاصم البيكندي يقول: قدم علينا محمد بن إسماعيل فاجتمعنا عنده، ولم يكن يتخلف عنه من المشايخ أحد، فتذاكرنا عنده، فقال رجل من أصحابنا، أراه حامد بن حفص: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: كأني أنظر إلى سبعين

ألف حديث من كتابي. قال: فقال محمد بن إسماعيل: أو تعجب من هذا؟ لعل في هذا الزمان من ينظر إلى مائتي ألف حديث من كتابه. وإنما عني به نفسه.

أخبرنا أبو سعد الماليني قراءة، قال أخبرنا عبد الله بن عدي الحافظ، قال: حدثني محمد بن أحمد القومسي، قال: سمعت محمد بن حمدويه يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مئتي ألف حديث غير صحيح.

حدثني أبو النجيب الأرموي، قال: حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني، قال أخبرني محمد بن إدريس الوراق، قال: حدثنا محمد بن حام، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سئل محمد بن إسماعيل عن خبر حديث، فقال: يا أبا فلان، تراني أدلس؟ تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل لي فيه نظر، وتركت مثله أو أكثر منه لغيره لي فيه نظر.

أخبرني أبو الوليد، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان، قال: حدثنا محمد بن سعيد، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت أبا عمرو المستنير بن عتيق البكري، قال: سمعت رجاء بن المرجى يقول: فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء. فقال له رجل: يا أبا محمد، كل ذلك بمرة؟ فقال: هو آية من آيات الله يمشي على ظهر الأرض.

أخبرني الأشقر، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر، قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن هارون الملاحمي، قال: حدثنا أبو ذر محمد بن محمد بن يوسف القاضي، قال: سمعت عمر بن حفص الأشقر يقول: لما قدم رجاء بن مرجى المروزي الحافظ بخارى يريد الخروج إلى الشاش نزل الرباط وصار إليه مشايخنا وصرت فيمن صار إليه، فسألني عن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل فأخبرته بسلامته، وقلت له: لعله يجيئك الساعة، فأملى علينا وانقضى المجلس ولم يجئ أبو عبد الله. فلما كان اليوم الثاني لم يجئه، فلما كان اليوم الثالث قال رجاء: إن أبا عبد الله لم يرنا أهلا للزيارة فمروا بنا إليه نقضي حقه. فأبى على الخروج، وكان كالمترغم عليه، فجئنا بجماعتنا إليه، ودخلنا على أبي عبد الله، وسأل به، فقال له رجاء: يا أبا عبد الله كنت بالأشواق إليك وأشتهي أن تذكر شيئا من الحديث، فأبى على الخروج. قال: ما شئت؟ فألقى عليه رجاء شيئا من حديث أيوب، وأبو عبد الله يجيب إلى أن سكت رجاء عن الإلقاء، فقال لأبي عبد الله: ترى بقي شيء لم نذكره؟ فأخذ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل

يلقي، ويقول رجاء: من روى هذا؟ وأبو عبد الله يجيء بإسناده إلى أن ألقى قريبا من بضعة عشر حديثا أو أكثر أعدها. وتغير رجاء تغيرا شديدا، وحانت من أبي عبد الله نظرة إلى وجهه فعرف التغير فيه، فقطع الحديث. فلما خرج رجاء قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: أردت أن أبلغ به ضعف ما ألقيته إلا أني خشيت أن يدخله شيء فأمسكت.

أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، قال أخبرنا محمد بن أبي بكر، قال: حدثنا خلف بن محمد، قال: حدثنا أبو عمرو نصر بن زكريا المروزي، قال: سمعت أبا رجاء قتيبة بن سعيد يقول: شباب خراسان أربعة، محمد بن إسماعيل، وعبد الله بن عبد الرحمن، وزكريا بن يحيى اللؤلؤي، والحسن بن شجاع البلخي.

وقال خلف: حدثنا إسحاق بن أحمد بن خلف، قال: سمعت أبا عيسى محمد بن عيسى الترمذي يقول: كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله بن منير، فلما قام من عنده. قال يا أبا عبد الله جعلك الله زين هذه الأمة. قال أبو عيسى: فاستجيب له فيه.

أخبرنا أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد الوكيل، قال: أخبرنا الحسن بن محمد بن أحمد بن شعبة السنجي المروزي، قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب، قال: حدثنا أبو عيسى الترمذي، قال: ولم أر أحدا بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل.

أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، قال: أخبرني محمد بن عبد الله الضبي في كتابه. وأخبرني أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الواحد المروروذي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نعيم الضبي الحافظ، قال: سمعت أبا الطيب محمد بن أحمد المذكر يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق يقول: ما رأيت تحت أديم هذه السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخاري.

أخبرني أبو الوليد الدربندي، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان، قال: حدثنا محمد بن سعيد، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت حاشد بن عبد الله بن عبد الواحد يقول: رأيت عمرو بن زرارة ومحمد بن رافع عند محمد بن إسماعيل وهما يسألا عن علل الحديث، فلما قاما قالا لمن حضر المجلس: لا تخدعوا عن أبي عبد الله فإنه افقه منا واعلم وأبصر.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت حاشد بن إسماعيل يقول: رأيت إسحاق بن راهويه جالسا على السرير ومحمد بن إسماعيل معه، فأنكر عليه محمد بن إسماعيل شيئا، فرجع إلى قول محمد، وقال إسحاق بن راهويه: يا معشر أصحاب الحديث انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه، فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن لاحتاج إليه الناس لمعرفته بالحديث وفقهه.

أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر، قال أخبرنا خلف بن محمد، قال: سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر الخفاف يقول: محمد بن إسماعيل أعلم بالحديث من إسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، وغيره بعشرين درجة. قال أبو عمرو الخفاف: ومن قال في محمد بن إسماعيل شيئا فمني عليه ألف لعنة.

قال: وسمعت أبا عمرو الخفاف يقول: لو دخل محمد بن إسماعيل البخاري من هذا الباب لملئت منه رعبا- يعني لا أقدر أن أحدث بين يديه-. وقال خلف: سمعت أبا عمرو الخفاف يقول: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري التقي النقي العالم الذي لم أر مثله.

أخبرني الأشقر، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر، قال: حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله ابن يوسف الشافعي، وخلف بن محمد، قالا: سمعنا أبا جعفر محمد بن يوسف بن الصديق الوراق يقول: سمعت عبد الله بن حماد الآملي يقول: وددت أني شعرة في صدر محمد بن إسماعيل.

قرأت على الحسين بن محمد أخي الخلال عن أبي سعد الإدريسي، قال: حدثني محمد بن حام بن ناقب البخاري بسمرقند، قال: حدثنا محمد بن يوسف الفربري، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت علي بن حجر يقول: أخرجت خراسان ثلاثة، أبا زرعة الرازي بالري، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى، وعبد الله بن عبد الرحمن بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل عندي أبصرهم وأعلمهم وأفقههم.

أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، قال: أخبرنا محمد بن نعيم الضبي، قال أخبرني أبو بكر محمد بن خالد المطوعي ببخارى، قال: أخبرنا مسبح بن سعيد البخاري، قال: سمعت عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي يقول: قد رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراقين فما رأيت فيهم أجمع من أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.

أخبرني أبو الوليد الدربندي، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان، قال: أخبرنا

أبو الحسن محمد بن الحسين بن علي بن يعقوب، قال: حدثنا إسحاق بن أحمد بن خلف، قال: سمعت العباس بن سورة يقول: سمعت أبا جعفر عبد الله بن محمد الجعفي المسندي يقول: محمد بن إسماعيل إمام فمن لم يجعله إماما فأتهمه.

أخبرنا أبو حازم العبدويي، قال: سمعت الحسن بن أحمد الزنجويي يقول: سمعت أحمد بن حمدون الحافظ يقول: كنا عند محمد بن إسماعيل البخاري فجاء مسلم بن الحجاج فسأله عن حديث عبيد الله بن عمر عن أبي الزبير عن جابر قال: بعثنا رسول الله ﷺفي سرية ومعنا أبو عبيدة. قال محمد بن إسماعيل: حدثنا ابن أبي أويس، قال: حدثني أخي أبو بكر عن سليمان بن بلال، عن عبيد الله، عن أبي الزبير، عن جابر، القصة بطوله. فقرأ عليه إنسان حديث حجاج بن محمد، عن ابن جريج، عن موسى بن عقبة، قال: حدثني سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: (كفارة المجلس إذا قام العبد أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك). فقال له مسلم: في الدنيا أحسن من هذا الحديث؟ ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل. يعرف بهذا الإسناد في الدنيا حديثا؟ قال له محمد لا. إلا أنه معلول. فقال مسلم: لا إله إلا الله وارتعد. قال: أخبرني به. قال: استر ما ستر الله، فإن هذا حديث جليل رواه الخلق عن حجاج بن محمد، عن ابن جريج، فألح عليه وقبل رأسه وكاد أن يبكي مسلم، فقال له أبو عبد الله: اكتب إن كان لا بد: حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا وهيب، قال: حدثني موسى بن عقبة، عن عون بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «كفارة المجلس». فقال له مسلم: لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك.

أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، قال: أخبرنا محمد بن نعيم الضبي، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ يقول: سمعت أبي يقول: رأيت مسلم بن الحجاج بين يدي محمد بن إسماعيل البخاري وهو يسأله سؤال الصبي المتعلم.

أخبرني أبو الوليد الدربندي، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان الحافظ، قال: حدثنا أبو الحسن عبد الله بن موسى بن الحسين البغدادي، قال: حدثنا عبد المؤمن بن خلف التميمي، قال: سمعت الحسين بن محمد المعروف بعبيد العجل يقول: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، ومسلم الحافظ لم يكن يبلغ محمد بن إسماعيل. ورأيت أبا زرعة وأبا حاتم

يستمعون إلى محمد بن إسماعيل أي شيء يقول يجلسون بجنبه، فذكرت له قصة محمد بن يحيى، فقال: ماله ولمحمد بن إسماعيل كان محمد ابن إسماعيل أمة من الأمم، وكان أعلم من محمد بن يحيى بكذا وكذا، وكان محمد بن إسماعيل دينا فاضلا يحسن كل شيء.

حدثني أبو النجيب الأرموي، قال: حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني، قال: حدثني أحمد بن علي السليماني، قال: حدثني أحمد بن محمد القارئ، قال: سمعت أبا حسان مهيب بن سليم يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: الحامد والذام عندي سواء.

ذكر قصة البخاري مع محمد بن يحيى الذهلي بنيسابور:

أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، قال: أخبرنا محمد بن نعيم الضبي، قال: سمعت محمد بن حامد البزاز يقول: سمعت الحسن بن محمد بن جابر يقول: سمعت محمد بن يحيى يقول لما ورد محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور، قال: اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح العالم فاسمعوا منه. قال: فذهب الناس إليه واقبلوا على السماع منه حتى ظهر الخلل في مجالس محمد بن يحيى، فحسده بعد ذلك وتكلم فيه.

أخبرنا أحمد بن محمد بن غالب، قال: أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن سيار، قال: حدثني محمد بن خشنام وسمعته يقول: سئل محمد بن إسماعيل بنيسابور عن اللفظ فقال: حدثني عبيد الله بن سعيد– يعني أبا قدامة– عن يحيى بن سعيد، قال: أعمال العباد كلها مخلوقة. فمرقوا عليه، قال: فقالوا له بعد ذلك: ترجع عن هذا القول حتى يعودوا إليك؟ قال: لا أفعل إلا أن تجيئوا بحجة فيما يقولون أقوى من حجتي. وأعجبني من محمد بن إسماعيل ثباته.

أخبرني محمد بن علي بن أحمد المقرئ، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله النيسابوري الحافظ، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أبي الهيثم المطوعي ببخارى، قال: حدثنا محمد بن يوسف الفربري، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: أما أفعال العباد فمخلوقة، فقد حدثنا علي بن عبد الله، قال: حدثنا مروان بن معاوية، قال: حدثنا أبو مالك، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة قال: قال النبي ﷺ: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته» .

قال أبو عبد الله: وسمعت عبيد الله بن سعيد يقول: سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون إن أفعال العباد مخلوقة. قال أبو عبد الله البخاري: حركاتهم وأصواتهم،

واكتسابهم، وكتابتهم، مخلوق. فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعى في القلوب، فهو كلام الله ليس بخلق، قال الله تعالى: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ [العنكبوت 49] .

أخبرنا أبو حازم العبدوبي، قال: سمعت الحسن بن أحمد بن شيبان يقول: سمعت أبا حامد الأعمشي يقول: رأيت محمد بن إسماعيل البخاري في جنازة أبي عثمان سعيد ابن مروان ومحمد بن يحيى يسأله عن الأسامي والكنى وعلل الحديث، ويمر فيه محمد بن إسماعيل مثل السهم كأنه يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾، فما أتى على هذا شهر حتى قال محمد بن يحيى: ألا من يختلف إلى مجلسه لا يختلف إلينا، فإنهم كتبوا إلينا من بغداد أنه تكلم في اللفظ ونهيناه فلم ينته، فلا تقربوه، ومن يقربه فلا يقربنا. فأقام محمد بن إسماعيل ها هنا مدة وخرج إلى بخارى.

أخبرنا أبو سعيد محمد بن حسنويه بن إبراهيم الأبيوردي، قال: أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون، قال: سمعت أبا حامد الشرقي يقول: سمعت محمد بن يحيى يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق من جميع جهاته وحيث يتصرف، فمن لزم هذا استغنى عن اللفظ وعما سواه من الكلام في القرآن، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر وخرج عن الإيمان، وبانت منه امرأته، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وجعل ماله فيئا بين المسلمين، ولم يدفن في مقابر المسلمين. ومن وقف وقال: لا أقول مخلوق أو غير مخلوق، فقد ضاهى الكفر، ومن زعم أن لفظي بالقرآن مخلوق فهذا مبتدع لا يجالس ولا يكلم، ومن ذهب بعد مجلسنا هذا إلى محمد بن إسماعيل البخاري فاتهموه، فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مثل مذهبه.

أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر، قال: حدثنا أبو صالح خلف بن محمد بن إسماعيل، قال: سمعت أبا عمر وأحمد بن نصر بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالخفاف ببخارى يقول: كنا يوما عند أبي إسحاق القيسي ومعنا محمد بن نصر المروزي، فجرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري فقال محمد ابن نصر: سمعته يقول: من زعم أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب، فإني لم أقله. فقلت له: يا أبا عبد الله قد خاض الناس في هذا وأكثروا فيه؟ فقال: ليس إلا ما أقول وأحكي لك عنه. قال أبو عمرو الخفاف: فأتيت محمد بن إسماعيل فناظرته في شيء من الأحاديث حتى طابت نفسه، فقلت: يا أبا

عبد الله ها هنا أحد يحكي عنك أنك قلت هذه المقالة. فقال: يا أبا عمرو احفظ ما أقول لك، من زعم من أهل نيسابور، وقومس، والري، وهمذان، وحلوان، وبغداد، والكوفة، والمدينة، ومكة، والبصرة أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب فإني لم أقل هذه إلا أني قلت: أفعال العباد مخلوقة.

أخبرني أبو الوليد الدربندي، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان، قال: حدثنا أبو نصر أحمد بن سهل بن حمدويه، قال: حدثنا أبو العباس الفضل بن بسام، قال: سمعت إبراهيم بن محمد يقول: أنا توليت دفن محمد بن إسماعيل لما أن مات بخرتن أردت حمله إلى مدينة سمرقند أن أدفنه بها فلم يتركني صاحب لنا فدفناه بها. فلما أن فرغنا ورجعت إلى المنزل الذي كنت فيه قال لي صاحب القصر: سألته أمس فقلت: يا أبا عبد الله ما تقول في القرآن؟ فقال: القرآن كلام الله غير مخلوق. قال: فقلت له: إن الناس يزعمون أنك تقول: ليس في المصاحف قرآن ولا في صدور الناس. فقال: استغفر الله أن تشهد علي بشيء لم تسمعه مني. أقول كما قال الله تعالى: ﴿والطور وكتاب مسطور﴾ أقول في المصاحف قرآن وفي صدور الناس قرآن، فمن قال غير هذا يستتاب، فإن تاب وإلا فسبيله سبيل الكفر.

ذكر خبر البخاري مع خالد بن أحمد الأمير بعد عودته إلى بخارى:

أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر الحافظ، قال: سمعت أبا عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ يقول: سمعت أبا بكر بن منير بن خليد بن عسكر يقول: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل، أن احمل إلي كتاب «الجامع» و «التاريخ» وغيرهما لأسمع منك. فقال محمد بن إسماعيل لرسوله: أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فاحضرني في مسجدي أو في داري، وإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، لأني لا أكتم العلم لقول النبي ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار ». قال: فكان سبب الوحشة بينهما هذا.

أخبرني محمد بن علي بن أحمد المقرئ، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، قال: سمعت محمد بن العباس الضبي يقول: سمعت أبا بكر بن أبي عمرو الحافظ يقول: كان سبب مفارقة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري البلد– يعني بخارى– أن خالد بن أحمد الذهلي الأمير

خليفة الطاهرية ببخارى، سأل أن يحضر منزله فيقرأ «الجامع» و «التاريخ» على أولاده فامتنع أبو عبد الله عن الحضور عنده، فراسله أن يعقد مجلسا لأولاده لا يحضره غيرهم فامتنع عن ذلك أيضا، وقال: لا يسعني أن أخص بالسماع قوما دون قوم، فاستعان خالد بن أحمد بحريث بن أبي الورقاء وغيره من أهل العلم ببخارى عليه، حتى تكلموا في مذهبه ونفاه عن البلد، فدعا عليهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، قال: اللهم أرهم ما قصدوني به في أنفسهم وأولادهم وأهاليهم. فأما خالد فلم يأت عليه إلا أقل من شهر حتى ورد أمر الطاهرية بأن ينادى عليه، فنودي عليه وهو على أتان، وأشخص على أكاف ثم صار عاقبة أمره إلى ما قد اشتهر وشاع. وأما حريث بن أبي الورقاء فإنه ابتلى بأهله فرأى فيها ما يجل عن الوصف.

وأما فلان أحد القوم– وسماه– فإنه ابتلي بأولاده، وأراه الله فيهم البلايا .

حدثني محمد بن أبي الحسن الساحلي، قال: أخبرنا أحمد بن الحسن الرازي، قال: سمعت أبا أحمد بن عدي الحافظ الجرجاني يقول: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد بن إسماعيل إلى خرتنك– قرية من قرى سمرقند– على فرسخين منها وكان له بها أقرباء فنزل عندهم، قال: فسمعته ليلة من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يدعو ويقول في دعائه: اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت فاقبضني إليك. قال: فما تم الشهر حتى قبضه الله تعالى وقبره بخرتنك.

أخبرنا علي بن أبي أحمد الأصبهاني في كتابه، قال: حدثنا محمد بن محمد بن مكي الجرجاني، قال: سمعت عبد الواحد بن آدم الطواويسي، قال: رأيت النبي ﷺفي النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع– ذكره– فسلمت عليه فرد السلام، فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ فقال: أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري. فلما كان بعد أيام بلغني موته فنظرنا فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت النبي ﷺفيها.

أخبرني أبو الوليد الدربندي، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان الحافظ، قال: حدثنا أبو عمر أحمد بن محمد بن المقرئ، وأبو عبيد أحمد بن عروة بن أحمد بن إبراهيم قالا: سمعنا أبا الحسن مهيب بن سليم بن مجاهد يقول: توفي أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ليلة السبت ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومئتين".

22- التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح.

أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف بن سعد (المتوفى: 474هـ)

قال رحمه الله: باب نسب محمد بن إسماعيل البخاري وتاريخ مولده ووفاته.

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي، وبردزبة مجوسي مات عليها، والمغيرة بن بردزبة أسلم على يدي النعمان البخاري الجعفي والي بخارى، وهو جد عبد الله بن محمد بن عبد الله المسندي.

وولد محمد بن إسماعيل يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة، لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة، وتوفي ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد الظهر مستهل شوال من شهور سنة ست وخمسين ومائتين بخرتنك، قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها، وكان له بها قرابة فتوفي عندهم.

باب في وصف حياته وعلمه.

قال أبو أحمد بن عدي الجرجاني الحافظ: "سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري، قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل منهم عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس يلقون ذلك على البخاري. وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين. فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة وسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه. فسأل عن آخر فقال البخاري: لا أعرفه. ثم سأل عن آخر فقال: لا أعرفه. فما زال يلقي بمثله واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول لا أعرفه. فكان الفهماء ممن حضر

المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون الرجل فهمنا، ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم. ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه. فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه. فسأل عن آخر فقال: لا أعرفه. فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه. ثم انتدب الثالث إليه، والرابع إلى تمام العشرة، حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على: لا أعرفه. فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا، التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فهو كذا وحديثك الثاني فهو كذا والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه، وفعل الآخرين مثل ذلك ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها، فأقر له الناس بالحفظ والعلم وأذعنوا له بالفضل ". وكان بن صاعد إذا ذكر محمد بن إسماعيل يقول: الكبش النطاح.

باب في ذكر تأليفه للكتاب الجامع وحكم الكتاب ومعناه.

قال الحاكم أبو عبد الله: حدثونا عن محمد بن إسماعيل أنه قال: كنت على باب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه بنيسابور، فسمعت أصحابنا يقولون: لو جمع جامع مختصر صحيح الحديث تعرف به الآثار، فأخذت في جمع هذا الكتاب.

وقال أبو أحمد بن عدي: سمعت الحسن بن الحسين البزار يقول: سمعت إبراهيم بن معقل النسفي يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: ما أدخلت في هذا الكتاب –يعني جامعه الصحيح– إلا ما صح، وتركت من الصحاح حتى لا يطول الكتاب.

وإنما أدخلت هذه الحكاية لئلا يعتقد من لا يحسن هذا الباب أن ما ليس في الصحيحين ليس بصحيح، بل قد تصح أحاديث ليست في صحيحي البخاري ومسلم، ولذلك قد خرج الشيخ أبو الحسن الدارقطني، والشيخ أبو ذر الهروي في كتاب (الإلزامات) من الصحيح ما ألزماهما إخراجه.

وكما أنه قد وجد في الكتابين ما فيه الوهم، وأخرج ذلك الشيخ أبو الحسن الدارقطني وجمعه في جزء. وإنما ذلك بحسب الاجتهاد، فمن كان من أهل الاجتهاد والعلم بهذا الشأن لزمه أن ينظر في صحة الحديث وسقمه بمثل ما نظرا. ومن لم يكن تلك حاله لزمه تقليدهما فيما ادعيا صحته، والتوقف فيما لم يخرجاه في الصحيح.

وقد أخرج البخاري أحاديث اعتقد صحتها تركها مسلم، لما اعتقد فيها غير ذلك. وأخرج مسلم أحاديث اعتقد صحتها، تركها البخاري لما اعتقد فيها غير معتقده، وهو يدل على أن الأمر طريقه الاجتهاد لمن كان من أهل العلم بهذا الشأن وقليل ما هم.

وقال أبو أحمد بن عدي: سمعت عبد القدوس بن همام يقول: سمعت عدة من المشايخ يقولون: حول محمد بن إسماعيل البخاري تراجم جامعه بين قبر النبي ﷺ ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين.

وقد أخبرنا أبو ذر عبد بن أحمد الهروي الحافظ رحمه الله، حدثنا أبو إسحاق المستملي إبراهيم بن أحمد، قال: انتسخت كتاب البخاري من أصله كان عند محمد بن يوسف الفربري، فرأيته لم يتم بعد، وقد بقيت عليه مواضع مبيضة كثيرة منها: تراجم لم يثبت بعدها شيئا، ومنها: أحاديث لم يترجم عليها، فأضفنا بعض ذلك إلى بعض.

ومما يدل على صحة هذا القول: أن رواية أبي إسحاق المستملي، ورواية أبي محمد السرخسي، ورواية أبي الهيثم الكشميهني، ورواية أبي زيد المروزي، وقد نسخوا من أصل واحد، فيها التقديم والتأخير، وإنما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم فيما كان في طرة أو رقعة مضافة أنه من موضع ما، فأضافه إليه. ويبين ذلك أنك تجد ترجمتين وأكثر من ذلك متصلة ليس بينهما أحاديث، وإنما أوردت هذا لما عني به أهل بلدنا من طلب معنى يجمع بين الترجمة والحديث الذي يليها، وتكلفهم في تعسف التأويل ما لا يسوغ.

ومحمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله وإن كان من أعلم الناس بصحيح الحديث وسقيمه، فليس ذلك من علم المعاني، وتحقيق الألفاظ وتمييزها بسبيل، فكيف وقد روى أبو إسحاق

المستملي العلة في ذلك وبينها أن الحديث الذي يلي الترجمة ليس بموضوع لها ليأتي قبل ذلك بترجمته، ويأتي بالترجمة التي قبله من الحديث بما يليق بها.[1]

23- تقييد المهمل وتمييز المشكل[2]

أبو علي الحسين بن محمد الغساني (المتوفى: 498 هـ)

قال رحمه الله: " أخبار أبي عبد الله البخاري وفضائله، وما ذكر من حفظه وإمامته، وبدء طلبه للعلم، ومحنته مع أهل عصره، وتاريخ ولادته ووفاته -رحمه الله-

ذكر أبو بكرٍ أحمد بن علي بن ثابتٍ الخطيب في (تاريخ مدينة السلام بغداد) أبا عبد الله البخاري فقال:

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله الجعفي البخاري، الإمام في علم الحديث، صاحب (الجامع) و(التاريخ). رحل في طلب العلم إلى سائر محدثي الأمصار، وكتب بخراسان والجبال ومدن العراق كلها، وبالحجاز والشام ومصر. وسمع مكي بن إبراهيم، وعبدان بن عثمان، وعبيد الله بن موسى العبسي، وأبا عاصمٍ الشيباني، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، ومحمد بن يوسف الفريابي، وأبا نعيم، وأبا غسان النهدي، وسليمان بن حربٍ، وأبا سلمة التبوذكي، وعفان بن مسلم، وعارم بن الفضل، وأبا الوليد الطيالسي، وأبا معمر المنقري، والقعنبي، وأبا بكر الحميدي، وسعيد بن أبي مريم، ويحيى بن بكيرٍ، والأويسي عبد العزيز بن عبد الله، وإسماعيل بن أبي أويسٍ، وأبا اليمان الحمصي، وعبد القدوس بن الحجاج،

---

[1] التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح 1/307-311
ت: أبو لبابة حسين. دار اللواء للنشر والتوزيع – الرياض. الطبعة الأولى، 1406 - 1986

[2] تقييد المهمل وتمييز المشكل 1/10 ت: علي بن محمد العمران، ومحمد عزيز شمس
دار عالم الفوائد. الطبعة الأولى 1421 هـ - 2000 م

وحجاج بن منهال، ومحمد بن كثيرٍ العبدي، وخالد بن مخلدٍ القطواني، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبلٍ، ويحيى بن معينٍ، وخلقاً سواهم.

وورد بغداد دفعاتٍ، وحدث بها، فروى عنه من أهلها: إبراهيم بن إسحاق الحربي، وعبد الله بن محمد بن ناجية، وقاسم بن زكريا المطرز، ومحمد بن محمد الباغندي، ويحيى بن محمد بن صاعدٍ، ومحمد بن هارون الحضرمي، وآخر من حدث عنه بها الحسين بن إسماعيل المحاملي.

حدثني أبو النجيب عبد الغفار بن عبد الواحد الأرموي، قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن أحمد الأصبهاني، أخبرني أحمد بن علي الفارسي، قال: نا أحمد بن عبد الله بن محمد، قال: سمعت جدي محمد بن يوسف بن مطرٍ الفربري، يقول: نا أبو جعفرٍ محمد بن أبي حاتمٍ الوراق النحوي، قال: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في المكتب، قال: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من المكتب بعد العشر، فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يوماً فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له: يا أبا فلانٍ، إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك. فدخل، فنظر فيه، ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو عن الزبير بن عدي عن إبراهيم. فأخذ القلم مني، وأحكم كتابه، فقال: صدقت. فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت إذ رددت عليه؟ فقال: ابن إحدى عشرة. فلما طعنت في ست عشرة حفظت كتب ابن المبارك ووكيعٍ، وعرفت كلام هؤلاء، ثم خرجت مع أخي أحمد وأمي إلى مكة، فلما حججت رجع أخي بها، وتخلفت بها في طلب الحديث. فلما طعنت في ثماني عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وذلك أيام عبيد الله بن موسى، وصنفت كتاب (التاريخ) إذ ذاك عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة. وقال: قل اسم في (التاريخ) إلا وله عندي قصةٌ، إلا أني كرهت تطويل الكتاب.

وروي عن محمد بن أبي حاتمٍ بغير هذا الإسناد قال: سمعت البخاري يقول: لو نشر بعض أستاذي هؤلاء لم يفهموا كيف صنفت كتاب (التاريخ) ولا عرفوه. ثم قال: صنفته ثلاث مراتٍ.

وروي عن محمد بن أبي حاتمٍ قال: سمعت البخاري يقول: أخذ إسحاق بن راهويه كتاب (التاريخ) الذي صنفت، فأدخله على عبد الله بن طاهرٍ، فقال: أيها الأمير، ألا أريك سحراً؟ قال: فنظر فيه عبد الله بن طاهر، فتعجب منه وقال: لست أفهم تصنيفه.

أخبرني أبو القاسم الأزهري قال: سمعت محمد بن حميد اللخمي، قال: سمعت القاضي أبا الحسن محمد بن صالحٍ الهاشمي يقول: سمعت أبا العباس بن سعيدٍ يقول: لو أن رجلاً كتب ثلاثين ألف حديثٍ لما استغنى عن كتاب (تاريخ البخاري) محمد بن إسماعيل.

وروي عن أبي بكرٍ المديني قال: كنا يوماً بنيسابور عند إسحاق ابن راهويه ومحمد بن إسماعيل حاضرٌ، فمر إسحاق بحديثٍ من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وكان دون صاحب النبي صلى الله عليه وسلم عطاء الكيخاراني، فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله، أيشٍ كيخاران؟ قال: قريةٌ باليمن كان معاوية بن أبي سفيان قد بعث هذا الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، فسمع منه عطاءٌ حديثين. فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله، كأنك قد شهدت القوم.

وروي عن البخاري أنه قال: أخرجت هذا الكتاب –يعني (الصحيح)– من زهاء ست مئة ألف حديثٍ.

حدثني أبو الحسين علي بن محمد بن جعفر العطار الأصبهاني بالري، قال: سمعت أبا الهيثم الكشميهني يقول: سمعت محمد بن يوسف الفربري يقول: قال لي محمد بن إسماعيل البخاري: ما وضعت في كتاب (الصحيح) حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.

أخبرنا القاضي أبو بكرٍ أحمد بن الحسن الحيري بنيسابور قال: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الفقيه البلخي يقول. ح وسمعت أبا العباس أحمد بن عبد الله الصفار البلخي يقول: سمعت أبا إسحاق المستملي يروي عن محمد بن يوسف الفربري أنه كان يقول: سمع كتاب (الصحيح) لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجلٍ، فما بقي أحدٌ يرويه غيري.

وروي عن محمد بن أبي حاتمٍ قال: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل: أتحفظ جميع ما أدخلت في المصنف؟ قال: لا يخفى علي جميع ما فيه.

وروي عن الفربري قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي: أين تريد؟ فقلت: أريد محمد بن إسماعيل البخاري، قال: أقرأه مني السلام.

وروي عن البخاري أنه قال: رب حديثٍ سمعته بالبصرة كتبته بالشام، وحديثٍ سمعته بالشام كتبته بمصر، فقيل له: يا أبا عبد الله! بكماله؟ قال: فسكت.

أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، قال: نا محمد بن نعيم الضبي، قال: أخبرني محمد بن خالد المطوعي، قال: نا مسبح بن سعيدٍ، قال: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلةٍ من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه، فيصلي بهم، ويقرأ في كل ركعةٍ عشرين آيةً، وكذلك إلى أن يختم القرآن. وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختم عند السحر في كل ثلاث ليالٍ، وكان يختم بالنهار كل يومٍ ختمةً، ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلةٍ، ويقول: عند كل ختمةٍ دعوةٌ مستجابةٌ.

حدثني أبو النجيب الأرموي، حدثني محمد بن إبراهيم بن محمد الأصبهاني، أخبرني أحمد بن علي الفارسي، نا أحمد بن عبد الله بن محمد، قال: حدثني جدي محمد بن يوسف الفربري، نا محمد بن أبي حاتمٍ قال: دعي محمد بن إسماعيل إلى بستان بعض إخوانه، فلما حضرت صلاة الظهر صلى بالقوم، ثم قام للتطوع، وأطال القيام، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل

قميصه، فقال لبعض من معه: انظر هل ترى تحت قميصي شيئاً؟ فإذا زنبورٌ قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعاً، وقد تورم من ذلك جسده، وكانت آثار الزنبور في جسده ظاهرةً، فقال له بعضهم: كيف لم تخرج من الصلاة في أول ما أبرك؟ فقال: كنت في سورةٍ فأحببت أن أتمها.

وروي عن البخاري أنه قال: إني لأرجو أن ألقى الله تعالى ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً.

وروي عن حفص بن عمر الأشقر قال: كنا مع محمد بن إسماعيل البخاري بالبصرة نكتب الحديث، ففقدناه أياماً، فطلبناه، فوجدناه في بيتٍ وهو عريانٌ، وقد نفد ما عنده، ولم يبق معه شيءٌ، فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم، حتى اشترينا له ثوباً وكسوناه، ثم اندفع معنا في كتابة الحديث.

وروي عن البخاري أنه قال: صنفت كتاب (الصحيح) لست عشرة سنةً، خرجته من ست مئة ألف حديثٍ، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى.

أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، أنا محمد بن أبي بكرٍ الحافظ، سمعت أبا القاسم منصور بن إسحاق بن إبراهيم الأسدي، سمعت أبا محمدٍ عبد الله بن محمد بن إبراهيم الدغولي يقول: سمعت يوسف بن موسى المروروذي قال: كنت بالبصرة في جامعها إذ سمعت منادياً ينادي: يا أهل العلم! قد قدم محمد بن إسماعيل البخاري، فقاموا في طلبه، وكنت معهم، فرأينا رجلاً شاباً لم يكن في لحيته شيءٌ من البياض، يصلي خلف الأسطوانة، فلما فرغ من الصلاة أحدقوا به، وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء، فأجابهم إلى ذلك. فقام المنادي ثانياً، فنادى في جامع البصرة: قد قدم محمد بن إسماعيل البخاري، فسألناه أن يعقد مجلس الإملاء، وقد أجاب بأن يجلس غداً في موضع كذا.

قال: فلما أن كان بالغداة حضر الفقهاء والمحدثون والحفاظ والنظار، حتى اجتمع قريبٌ من كذا وكذا ألفاً، فجلس أبو عبد الله محمد بن إسماعيل للإملاء، فقال: -قبل أن أخذ في الإملاء-: يا أهل البصرة! أنا شاب، وقد سألتموني أن أحدثكم، وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم يستفيد الكل منكم. قال: فبقي الناس وتعجبوا من قوله. ثم أخذ في الإملاء فقال: حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة ابن أبي رواد العتكي بلديكم، قال: أنا أبي، عن شعبة، عن منصورٍ وغيره، عن سالم بن أبي الجعد، عن أنس بن مالكٍ: أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: يا رسول الله! الرجل يحب القوم، فذكر حديث: (المرء مع من أحب).

ثم قال محمد بن إسماعيل: هذا ليس عندكم، إنما هو عندكم عن غير منصورٍ عن سالم. قال يوسف بن موسى: وأملى عليهم مجلساً على هذا النسق، يقول في كل حديثٍ: روى شعبة هذا الحديث عندكم كذا، فأما من رواية فلان فليس عندكم، أو كلاماً هذا معناه.

ذكر وصف البصريين للبخاري ومدحهم له

أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، أنا محمد بن أبي بكرٍ، نا محمد ابن سعيدٍ التاجر، نا محمد بن يوسف بن مطرٍ، نا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت حاشد بن إسماعيل قال: كنت بالبصرة وسمعت بقدوم محمد بن إسماعيل، فلما قدم قال محمد بن بشارٍ: دخل اليوم سيد الفقهاء.

وسمع بندار محمد بن بشارٍ يقول: حفاظ الدنيا أربعةٌ: أبو زرعة -يعني الرازي- بالري، ومسلم بن الحجاج بنيسابور، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى.

وفي حكايةٍ أخرى عن بندارٍ قال: هؤلاء غلماني خرجوا من تحت كرسيي.

وقال محمد بن إبراهيم البوسنجي: سمعت محمد بن بشارٍ بنداراً سنة ثمانٍ وعشرين ومئتين يقول: ما قدم علينا مثل محمد بن إسماعيل.

قرأت على الحسين بن محمد أخي الخلال عن أبي سعدٍ الإدريسي، قال: حدثني محمد بن حم بن ناقبٍ البخاري بسمرقند، نا محمد بن يوسف الفربري، نا محمد بن أبي حاتمٍ قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري قال: لما دخلت البصرة سرت إلى مجلس محمد بن بشارٍ، فلما خرج وقع بصره علي، فقال: من أين الفتى؟ قلت: من أهل بخارى، قال: كيف تركت أبا عبد الله؟ فأمسكت، فقال له أصحابه: رحمك الله، هو أبو عبد الله، فقام فأخذ بيدي وعانقني، وقال: مرحباً بمن أفتخر به منذ سنين.

وروي عن البخاري أنه قال: ما استصغرت نفسي عند أحدٍ إلا عند علي بن المديني، وربما كنت أغرب عليه.

وفي رواية أخرى عنه متصلاً بهذا الكلام: ما سمعت الحديث من في إنسانٍ أشهى عندي من أن أسمعه من في علي.

قيل: وذكر قول البخاري لعلي بن المديني: (ما تصاغرت نفسي عند أحدٍ إلا عند علي)؛ فقال: ذروا قوله، هو ما رأى مثل نفسه.

حدثني أبو النجيب الأرموي، حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني، أخبرني محمد بن إدريس الوراق، نا محمد بن حم، أنا محمد بن يوسف، نا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: ذاكرني أصحاب عمرو بن علي بحديثٍ، فقلت: لا أعرفه، فسروا بذلك، وساروا إلى عمرو بن علي، فقالوا له: ذاكرنا محمد بن إسماعيل بحديثٍ فلم يعرفه، فقال عمرو بن علي: حديثٌ لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديثٍ.

أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، أنا محمد بن أبي بكر، نا أبو نصرٍ محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد التاجر، نا محمد بن يوسف بن مطرٍ، نا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: سمعت محمد بن قتيبة قريب أبي عبد الله محمد بن إسماعيل قال: كنت عند أبي عاصم النبيل فرأيت عنده غلاماً، فقلت له: من أين أنت؟ فقال: من بخارى، فقلت: ابن من؟ فقال: ابن إسماعيل، فقلت له: أنت قرابتي، فعانقته، فقال لي رجلٌ في مجلس أبي عاصمٍ: هذا غلامٌ يناطح الكباش.

وقيل: إنه لما قدم البخاري من العراق قدمته الآخرة، وتلقاه من تلقاه من الناس، وازدحموا عليه وبالغوا في بره، فقيل له في ذلك وفيما كان من كرامة الناس وبرهم له، فقال: فكيف لو رأيتم يوم دخولنا البصرة!

وصف أهل الحجاز والكوفة له

روي عن محمد بن إسماعيل قال: كان إسماعيل بن أبي أويسٍ إذا انتخبت من كتابه نسخ تلك الأحاديث لنفسه، وقال: هذه أحاديث انتخبها محمد بن إسماعيل من حديثي.

وروى محمد بن أبي حاتم قال: سمعت حاشد بن عبد الله يقول: قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر المدني: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر من ابن حنبلٍ، فقال رجلٌ من جلسائه: جاوزت الحد، فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكاً ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت: كلاهما واحدٌ في الفقه والحديث.

وروي عن أبي بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير أنهما كانا يقولان: ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل.

وروي عن محمد بن أبي حاتمٍ قال: سمعت محمود بن النضر أبا سهلٍ الشافعي يقول: دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة، ورأيت علماءها، فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم.

ثناء البغداديين عليه

وروي عن صالح بن محمد البغدادي -ويعرف بجزرة، وكان من الحافظ- قال: كان محمد بن إسماعيل يجلس ببغداد، وكنت أستملي له، ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفاً.

وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه قال: انتهى الحفظ إلى أربعةٍ من أهل خراسان: أبو زرعة الرازي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، والحسن بن شجاع البلخي.

وروى عبد الرحمن بن محمد بن علوية الأبهري، قال: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه قال: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل البخاري.

وروي عن محمد بن يوسف بن مطرٍ قال: سمعت أبا جعفرٍ محمد ابن أبي حاتمٍ يقول: حدثني حاشد بن عبد الله بن عبد الواحد قال: سمعت يعقوب بن إبراهيم الدورقي يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

وروي عن موسى بن هارون الحمال أنه قال: لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن ينصبوا مثل محمد بن إسماعيل البخاري آخر ما قدروا عليه.

وسئل أبو علي صالح بن محمد -هو جزرة- عن البخاري وأبي زرعة وعبد الله بن عبد الرحمن، فقال: عن أي شيء تسأل؟ فهم مختلفون في أشياء، فقلت: من أعلمهم بالحديث؟ فقال: محمد بن إسماعيل، وأبو زرعة أحفظهم وأكثرهم حديثاً، فقلت: عبد الله بن عبد

الرحمن؟ فقال: ليس من هؤلاء في شيءٍ. وفي روايةٍ أخرى عن صالحٍ هذا قال: ما رأيت خراسانياً أفهم منه.

وروي عن البخاري أنه قال: دخلت بغداد آخر ثماني مراتٍ، كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل، فقال لي في آخر ما ودعته: يا أبا عبد الله، تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان. قال أبو عبد الله: فأنا لا أزال أذكر قوله.

قال أبو علي: وأخبرونا عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري الحاكم قال: سمعت أبا الطيب محمد بن أحمد المذكر يقول: سمعت أبا بكرٍ محمد بن إسحاق –يعني ابن خزيمة– يقول: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخاري.

قال الحاكم: وسمعت أبا زكريا يحيى بن عمرو بن صالح الفقيه يقول: سمعت محمد بن عبد الرحمن أبا العباس الفقيه يقول: كتب أهل بغداد إلى محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله:

المسلمون بخيرٍ ما بقيت لهم ... وليس بعدك خيرٌ حين تفتقد

وذكر أبو بكر الخطيب هذه الحكاية بإسناده إلى يحيى بن عمرو ابن صالحٍ بمثله.

قول أهل الري فيه

سئل أبو زرعة عن ابن لهيعة فقال: تركه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، وسئل عن محمد بن حميد فقال: تركه أبو عبد الله. فذكر ذلك لمحمد بن إسماعيل فقال: بره لنا قديمٌ.

وسئل الفضل بن العباس الرازي أيهما أحفظ: أبو زرعة أم محمد بن إسماعيل؟ فقال: لم أكن التقيت مع محمد بن إسماعيل، فاستقبلني ما بين حلوان وبغداد، قال: فرجعت معه مرحلةً،

قال: وجهدت الجهد على أن أجيء بحديثٍ لا يعرفه، فما أمكنني، وأنا أغرب على أبي زرعة عدد شعره.

وقال محمد بن إدريس الرازي في سنة سبع وأربعين ومئتين: يقدم عليكم رجلٌ من أهل خراسان لم يخرج منها أحفظ منه، ولا قدم العراق أعلم منه. فقدم علينا بعد ذلك محمد بن إسماعيل بأشهرٍ.

وقال أبو حاتم الرازي في هذا المجلس: محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق، ومحمد بن يحيى أعلى من بخراسان اليوم من أهل الحديث، ومحمد بن أسلم أورعهم، وعبد الله بن عبد الرحمن أثبتهم.

ما حفظ عن أهل خراسان وما وراء النهر من القول فيه

روي عن عبدان أنه قال: ما رأيت بعيني شاباً أبصر من هذا، وأشار بيده إلى محمد بن إسماعيل.

وقال نعيم بن حماد: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

وروي عن البخاري أنه قال: قال لي محمد بن سلامٍ: انظر في كتبي، فما وجدت فيها من خطأٍ فاضرب عليه كيلا أرويه، ففعلت ذلك. فكان محمد بن سلامٍ عند الأحاديث التي أحكمها محمد بن إسماعيل يقول: (رضي الفتى)، وفي الأحاديث الضعيفة: (لم يرض الفتى). فقال له بعض أصحابه: من هذا الفتى؟ فقال: هو الذي ليس مثله، محمد بن إسماعيل.

وقال محمد بن أبي حاتمٍ: سمعت يحيى بن جعفر يقول: لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت، فإن موتي يكون موت رجلٍ واحدٍ، وموت محمد بن إسماعيل ذهاب العلم.

وذكر أحمد بن سيارٍ، قال: محمد بن إسماعيل الجعفي طلب العلم وجالس الناس، ورحل في الحديث، ومهر فيه وأبصر، وكان حسن المعرفة حسن الحفظ، وكان يتفقه.

قال الشيخ الحافظ أبو علي -رحمه الله-: أحمد بن سيار يكنى أبا الحسن، مروزي.

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: رأيت أبي يطنب في مدحه، ويذكره بالعلم والفقه.

قال أبو بكر: وروى سليم بن مجاهدٍ قال: كنت عند محمد بن سلامٍ فقال: لو جئت قبل لرأيت صبياً يحفظ سبعين ألف حديثٍ، قال: فخرجت في طلبه حتى لقيته، فقلت: أنت الذي تقول: أنا أحفظ سبعين ألف حديثٍ؟ قال: نعم وأكثر منه، ولا أجيئك بحديثٍ من الصحابة والتابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثاً من حديث الصحابة والتابعين إلا لي في ذلك أصلٌ أحفظه حفظاً عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعن محمد بن أبي حاتمٍ قال: سمعت حاشد بن عبد الله بن عبد الواحد يقول: رأيت عمرو بن زرارة ومحمد بن رافعٍ عند محمد بن إسماعيل، وهما يسألان محمد بن إسماعيل عن علل الحديث، فلما قاما قالا لمن حضر المجلس: لا تخدعوا عن أبي عبد الله، فإنه أفقه منا وأعلم وأبصر.

وقال علي بن الحسين بن عاصم البيكندي: قدم علينا محمد ابن إسماعيل فاجتمعنا عنده، ولم يكن يتخلف عنه من المشايخ أحدٌ، فتذاكرنا عنده، فقال رجل من أصحابنا -أراه حامد بن حفصٍ-: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: كأني أنظر إلى سبعين ألف حديثٍ من كتابي! قال: فقال محمد بن إسماعيل: أو تعجب من هذا؟ لعل في هذا الزمان من ينظر إلى مئتي ألف حديثٍ من كتابه. وإنما عنى به نفسه.

وروي عن البخاري أنه قال: أحفظ مائه ألف حديثٍ صحيحٍ، وأحفظ مئتي ألف حديثٍ غير صحيحٍ.

وذكر عمر بن حفصٍ الأشقر قال: لما قدم رجاء بن مرجى الحافظ بخارى يريد الخروج إلى الشاش نزل الرباط، وسار إليه مشايخنا، وسرت فيمن سار إليه، فسألني عن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، فأخبرته بسلامته، وقلت له: لعله يجيئك الساعة. فأملى علينا، وانقضى المجلس، ولم يجيء أبو عبد الله، فلما كان اليوم الثاني لم يجئه، فلما كان اليوم الثالث قال رجاءٌ: إن أبا عبد الله لم يرنا أهلاً للزيارة، فمروا بنا إليه نقض حقه، فإني على الخروج، وكان كالمترغم عليه. فجئنا بجماعتنا إليه، ودخلنا على أبي عبد الله، وسأل به، فقال له رجاءٌ: يا أبا عبد الله، كنت بالأشواق إليك، وأشتهي أن تذكر شيئاً من الحديث، فإني على الخروج، قال: ما شئت. فألقى عليه رجاءٌ شيئاً من حديث أيوب، وأبو عبد الله يجيبه، إلى أن سكت رجاءٌ عن الإلقاء، فقال لأبي عبد الله: ترى بقي شيءٌ لم نذكره؟ فأخذ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل يلقي، ويقول رجاءٌ: من روى هذا؟ وأبو عبد الله يجيء بإسناده، إلى أن ألقى قريباً من بضعة عشر حديثاً أو أكثر أعدها، وتغير رجاءٌ تغيراً شديداً، وحانت من أبي عبد الله نظرةٌ إلى وجهه، فعرف التغير فيه، فقطع الحديث. فلما خرج رجاءٌ قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: أردت أن أبلغ به ضعف ما ألقيت، إلا أني خشيت أن يدخله شيءٌ، فأمسكت.

وذكر أبو عيسى الترمذي قال: كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله بن منيرٍ، فلما قام من عنده قال: يا أبا عبد الله، جعلك الله زين هذه الأمة. قال أبو عيسى: فاستجيب له فيه.

وقال أبو عيسى الترمذي: لم أر أحداً بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت حاشد بن إسماعيل يقول: رأيت إسحاق بن راهويه جالساً على السرير، ومحمد بن إسماعيل معه، فأنكر عليه محمد بن إسماعيل شيئاً، فرجع إلى قول محمد. وقال إسحاق: يا معشر أصحاب الحديث، انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه، فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن لاحتاج إليه الناس، لمعرفته بالحديث وفقهه.

أخبرني الحسن بن محمد الأشقر قال: أنا محمد بن أبي بكر، أنا خلف بن محمد قال: سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر الخفاف يقول: محمد بن إسماعيل أعلم بالحديث من إسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل وغيرهما بعشرين درجةً.

قال أبو عمرو الخفاف: ومن قال في محمد بن إسماعيل شيئاً فمني عليه ألف لعنةٍ.

قال: وسمعت أبا عمرو الخفاف يقول: لو دخل محمد بن إسماعيل البخاري من هذا الباب لملئت منه رعباً. يعني أني لا أقدر أن أحدث بين يديه.

وقال خلفٌ: سمعت أبا عمرو الخفاف يقول: نا محمد بن إسماعيل التقي النقي العالم الذي لم أر مثله.

وروي عن محمد بن أبي حاتمٍ قال: سمعت علي بن حجرٍ قال: أخرجت خراسان ثلاثةً: أبا زرعة الرازي بالري، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل عندي أبصرهم وأعلمهم وأفقههم.

وروي عن عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي قال: قد رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراقيين، فما رأيت فيهم أجمع من أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.

وروي عن الحسين بن محمد المعروف بعبيد العجل قال: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، ومسلم الحافظ لم يكن يبلغ محمد بن إسماعيل، ورأيت أبا زرعة وأبا حاتمٍ يستمعان إلى محمد بن إسماعيل أي شيء يقول، يجلسان إلى جنبه. فذكر له قصة محمد بن يحيى، فقال: ماله ولمحمد بن إسماعيل؟ كان محمد بن إسماعيل أمةً من الأمم، وكان أعلم من محمد بن يحيى بكذا وكذا، وكان محمد بن إسماعيل ديناً فاضلاً يحسن كل شيء.

حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي الصوري، قال: نا عبد الغني بن سعيدٍ، أنا أبو الفضل جعفر بن الفضل، نا محمد بن موسى بن يعقوب ابن المأمون قال: سئل أبو عبد الرحمن –

يعني النسائي- عن العلاء وسهيلٍ، فقال: هما خيرٌ من فليح، ومع هذا فما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل. يعني أن البخاري خرج عن فليحٍ، ولم يخرج عن العلاء وسهيلٍ.

قال أبو علي: وروينا عن محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري قال: نا أبو نصر أحمد بن محمد الوراق، قال: سمعت أبا حامدٍ أحمد ابن حمدون القصار يقول: سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد ابن إسماعيل البخاري، فقبل بين عينيه، وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله، حدثك محمد بن سلامٍ قال: نا مخلد بن يزيد الحراني، قال: أنا ابن جريجٍ، عن موسى بن عقبة، عن سهيلٍ، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في كفارة المجلس، فما علته؟ قال محمد بن إسماعيل: هذا حديثٌ مليحٌ، ولا أعلم في الدنيا غير هذا الحديث الواحد في هذا الباب، إلا أنه معلولٌ، حدثنا به موسى بن إسماعيل، قال: نا وهيبٌ قال: نا سهيلٌ عن عون بن عبد الله قوله. قال محمد بن إسماعيل: وهذا أولى، فإنه لا يذكر لموسى بن عقبة سماعٌ من سهيلٍ.

وذكرها أبو بكرٍ، وفي آخرها: فقال له مسلمٌ: لا يبغضك إلا حاسدٌ، وأشهد أنه ليس في الدنيا مثلك.

ذكر قصة البخاري مع محمد بن يحيى الذهلي

قال أبو بكر: وقال الحسن بن محمد بن جابر: سمعت محمد ابن يحيى لما ورد محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور قال: اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح العالم، فاسمعوا منه. قال: فذهب الناس إليه، وأقبلوا على السماع منه، حتى ظهر الخلل في مجالس محمد بن يحيى، فحسده بعد ذلك وتكلم فيه.

أخبرنا أحمد بن محمد بن غالبٍ، قال: أنا أبو بكرٍ الإسماعيلي، قال: أنا عبد الله بن محمد بن سيارٍ، قال: حدثني محمد بن خشنام، وسمعته يقول: سئل محمد بن إسماعيل بنيسابور عن اللفظ فقال: حدثني عبيد الله بن سعيد -يعني أبا قدامة- عن يحي بن سعيد قال: أعمال العباد كلها مخلوقةٌ. فمزقوا عليه، قال: فقالوا له بعد ذلك: ترجع عن هذا القول حتى نعود إليك، قال: لا أفعل إلا أن تجيئوا بحجةٍ فيما تقولون أقوى من حجتي. فأعجبني من محمد بن إسماعيل ثباته.

أخبرنا محمد بن علي بن أحمد المقرئ، قال: أنا محمد بن عبد الله النيسابوري الحافظ، قال: نا أبو بكر محمد بن أبي الهيثم المطوعي ببخارى، قال: نا محمد بن يوسف الفربري، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: أما أفعال العباد فمخلوقةٌ، فقد حدثنا علي بن عبد الله، قال: نا مروان بن معاوية، قال: أنا أبو مالكٍ عن ربعي بن حراشٍ عن حذيفة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يصنع كل صانعٍ وصنعته).

قال أبو عبد الله: وسمعت عبيد الله بن سعيدٍ يقول: سمعت يحيى بن سعيدٍ يقول: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقةٌ. قال أبو عبد الله البخاري: حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقةٌ، فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعى في القلوب فهو كلام الله، ليس بخلقٍ، قال الله تعالى: {بل هو آياتٌ بيناتٌ في صدور الذين أوتوا العلم}.

أخبرنا أبو حازمٍ العبدويي قال: سمعت الحسن بن أحمد بن سنانٍ يقول: سمعت أبا حامدٍ الأعشى يقول: رأيت محمد بن إسماعيل البخاري في جنازة أبي عثمان سعيد بن مروان، ومحمد بن يحيى يسأله عن الأسامي والكنى وعلل الحديث، ويمر فيه محمد بن إسماعيل مثل السهم، كأنه يقرأ {قل هو الله أحدٌ}، فما أتى على هذا شهرٌ حتى قال محمد بن يحيى: ألا من يختلف إلى مجلسه لا يختلف إلينا، فإنهم كتبوا إلينا من بغداد أنه تكلم في اللفظ، ونهيناه

فلم ينته، ولا تقربوه، ومن يقربه فلا يقربنا. فأقام محمد بن إسماعيل ههنا مدة، وخرج إلى بخارى.

أخبرنا أبو سعيدٍ محمد بن حسنوية بن إبراهيم الأبيوردي قال: أنا أبو سعيدٍ محمد بن عبد الله بن حمدون، قال: سمعت أبا حامدٍ الشرقي يقول: سمعت محمد بن يحيى يقول: القرآن كلام الله غير مخلوقٍ من جميع جهاته وحيث يتصرف، فمن لزم استغنى عن اللفظ وغيره من الكلام في القرآن، ومن زعم أن القرآن مخلوقٌ فقد كفر، وخرج عن الإيمان، وبانت منه امرأته، يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وجعل ماله فيئاً بين المسلمين، ولم يدفن في مقابر المسلمين. ومن وقف وقال: لا أقول (مخلوق) ولا (غير مخلوق) فقد ضاهى الكفر. ومن زعم أن لفظي بالقرآن مخلوقٌ فهذا مبتدعٌ، لا يجالس ولا يكلم، ومن ذهب بعد مجلسنا هذا إلى محمد بن إسماعيل البخاري فاتهموه، فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مثل مذهبه.

أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، أنا محمد بن أبي بكر، نا أبو صالحٍ خلف بن محمد بن إسماعيل قال: سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالخفاف ببخارى يقول: كنا يوماً عند أبي إسحاق القيسي ومعنا محمد بن نصرٍ المروزي، فجرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري، فقال محمد بن نصرٍ: سمعته يقول: من زعم أني قلت: (لفظي بالقرآن مخلوقٌ) فهو كاذبٌ، فإني لم أقله. فقلت له: يا أبا عبد الله! قد خاض الناس في هذا وأكثروا فيه، فقال: ليس إلا ما أقول وأحكي لك عنه.

قال أبو عمرو الخفاف: فأتيت محمد بن إسماعيل، فناظرته في شيء من الحديث حتى طابت نفسه، فقلت له: يا أبا عبد الله أههنا أحدٌ يحكي عنك أنك قلت هذه المقالة، فقال: يا أبا عمرو! احفظ ما أقول لك: من زعم من أهل نيسابور وقومس والري وهمذان وحلوان وبغداد والكوفة والمدينة ومكة والبصرة أني قلت: (لفظي بالقرآن مخلوق) فهو كذابٌ، فإني لم أقل هذه المقالة، إلا أني قلت: (أفعال العباد مخلوقةٌ).

أخبرني أبو الوليد الدربندي قال: أنا محمد بن أحمد بن سليمان، قال: نا أبو نصر أحمد بن سهل بن حمدوية، قال: نا أبو العباس الفضل بن بسامٍ، قال: سمعت إبراهيم بن محمد يقول: أنا توليت دفن محمد بن إسماعيل، لما أن مات بخرتنك أردت حمله إلى مدينة سمرقند لأدفنه بها، فلم يتركني صاحبٌ لنا، فدفناه بها، فلما فرغنا ورجعت إلى المنزل الذي كنت فيه قال لي صاحب القصر: سألته أمسٍ، فقلت: يا أبا عبد الله، ما تقول في القرآن؟ فقال: القرآن كلام الله غير مخلوقٍ، قال: فقلت له: إن الناس يزعمون أنك تقول: ليس في المصاحف قرآنٌ ولا في صدور الناس، فقال: أستغفر الله أن تشهد علي بشيء لم تسمعه مني، قال: أقول كما قال الله تعالى: {والطور. وكتابٍ مسطور}، أقول: في المصحف قرآنٌ، وفي صدور الناس قرآن، فمن قال غير هذا يستتاب، فإن تاب وإلا فسبيله سبيل الكفر.

ذكر خبره مع خالدٍ بن أحمد والي بخارى

أخبرنا الحسن بن محمد الأشقر، قال: أنا محمد بن أبي بكر الحافظ، قال: سمعت أبا عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ يقول: سمعت أبا سعيد بكر بن منير بن خليد بن عسكر يقول: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل أن احمل إلي كتاب (الجامع) و(التاريخ) وغيرهما لأسمع منك، فقال محمد بن إسماعيل لرسوله: أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كانت لك إلى شيء منه حاجةٌ فاحضرني في مسجدي أو في داري، وإن لم يعجبك هذا فأنت سلطانٌ فامنعني من المجلس، ليكون لي عذرٌ عند الله يوم القيامة، لأني لا أكتم العلم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من سئل عن علمٍ فكتمه ألجم بلجامٍ من نارٍ). قال: فكان سبب الوحشة بينهما هذا.

وأخبرني محمد بن علي بن أحمد المقرئ، أنا محمد بن عبد الله الحافظ، قال: سمعت محمد بن العباس الضبي يقول: سمعت أبا بكر ابن أبي عمرو الحافظ يقول: كان سبب مفارقة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البلد –يعني بخارى– أن خالد بن أحمد الذهلي الأمير خليفة الطاهرية

ببخارى سأل أن يحضر منزله، فيقرأ (الجامع) و(التاريخ) على أولاده فامتنع أبو عبد الله من الحضور عنده، فراسله أن يعقد مجلساً لأولاده لا يحضره غيرهم، فامتنع من ذلك -أيضاً-، وقال: لا يسعني أن أخص بالسماع قوماً دون قومٍ. فاستعان خالد بن أحمد بحريث بن أبي الورقاء وغيره من أهل العلم ببخارى عليه، حتى تكلموا في مذهبه، ونفاه عن البلد، فدعا عليهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل فقال: (اللهم أرهم ما قصدوني به في أنفسهم وأولادهم وأهاليهم)؛ فأما خالدٌ فلم يأت عليه إلا أقل من شهرٍ حتى ورد أمر الطاهرية بأن ينادى عليه؛ فنودي عليه وهو على أتانٍ، وأشخص على إكافٍ، ثم صارت عاقبة أمره إلى ما قد اشتهر وشاع. وأما حريث بن أبي الورقاء فإنه ابتلي بأهله، فرأى فيها ما يجل عن الوصف، وأما فلانٌ أحد القوم -وسماه- فإنه ابتلي بأولاده، وأراه الله فيهم البلايا.

وأخبرنا علي بن أبي حامدٍ الأصبهاني في كتابه، قال: نا محمد بن محمد بن مكي الجرجاني، قال: سمعت عبد الواحد بن آدم الطواويسي، قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ومعه جماعةٌ من أصحابه، وهو واقفٌ في موضعٍ -ذكره-، فسلمت عليه، فرد السلام، فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ فقال: أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري. فلما كان بعد أيامٍ بلغني موته، فنظرنا فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيها.

انتهى ما كتبناه عن أبي بكرٍ الخطيب -رحمه الله-

ومما رويناه عن غير أبي بكر الخطيب

ذكر عن أحمد بن منصور بن محمد الشيرازي قال: حدثني محمد بن يعقوب الأخرم، قال: سمعت أصحابنا يقولون: لما قدم محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور استقبله أربعة آلاف رجلٍ ركبانٌ على الخيل، سوى من ركب بغلاً أو حماراً، وسوى الرجالة، فحضر الكل مجلسه، إلى أن أظهر ما أظهر من قوله، فبلغ ذلك محمد بن يحيى الذهلي، فقال محمد بن يحيى الذهلي: من حضر مجلسي فلا يحضر مجلس هذا، فإنه قد أظهر خلاف السنة، قال: فجفي،

فلم يقربه أحدٌ إلا مسلم ابن الحجاج وأحمد بن سلمة، فلما كان في اليوم الثاني حضرا عند محمد بن يحيى، فقال محمد بن يحيى: أحظر على من قال: (لفظي بالقرآن) أن يقرب مجلسي. قال: فقام مسلم بن الحجاج فخرج، وتبعه أحمد بن سلمة، فقال محمد بن يحيى: لا يساكني هذا الرجل في البلد. فخشي البخاري أن يلحقه منه مكروهٌ، فخرج.

فسمعت القاسم بن القاسم يقول: سمعت إبراهيم وراق أحمد بن سيار يقول: لما قدم البخاري مرو استقبله أحمد بن سيارٍ فيمن استقبله، فقال له أحمد بن سيارٍ: يا أبا عبد الله، نحن لا نخالفك فيما تقول، ولكن العامة لا تحتمل ذا منك، فقال: إني أخشى النار أسأل عن شيء أعلمه حقاً أن أقول غيره. فانصرف عنه أحمد بن سيار.

قال: وسمعت بعض أصحابنا يقول: لما قدم بخارى نصبت له القباب على فرسخٍ من البلد، واستقبله عامة أهل البلد، حتى لم يبق مذكورٌ إلا وقد استقبله، ونثر عليه الدنانير والدراهم والسكر الكثير، قال: فبقي أياماً، قال: فكتب بعد ذلك محمد بن يحيى إلى خالد بن أحمد – وكان أمير بخارى– فقال: إن هذا الرجل قد أظهر خلاف السنة فقرأ كتابه على أهل بخارى، فقالوا: لا نفارقه، فأمره الأمير بالخروج عن البلد، فخرج.

قال أحمد بن منصور: فحكى لي بعض أصحابنا عن إبراهيم بن معقلٍ قال: رأيت محمد بن إسماعيل في اليوم الذي أخرج فيه من بخارى، قال: فتقدمت إليه، فقلت: يا أبا عبد الله، كيف ترى هذا اليوم من ذلك اليوم الذي نثر عليك فيه ما نثر؟ فقال: لا أبالي إذا سلم ديني.

قال: فخرج إلى بيكند، فصار الناس معه حزبين: حزب معه، وحزبٌ عليه، إلى أن كتب إليه أهل سمرقند، فسألوه أن يقدم عليهم، فقدم إلى أن وصل بعض قرى سمرقند، فوقع بين أهل سمرقند فتنةٌ من سببه، قومٌ يريدون إدخاله البلد، وقومٌ لا يريدون ذلك، إلى أن اتفقوا على أن يدخل إليهم، فاتصل به الخبر وما وقع بينهم بسببه. فخرج يريد أن يركب، فلما استوى على

دابته قال: (اللهم خر لي) ثلاثاً، فسقط ميتاً، فاتصل بأهل سمرقند، فأتوا بأجمعهم، فصلوا عليه، ويزار بها قبره إلى اليوم، رحمه الله.

قال أبو علي –رحمه الله– أخبرني أبو الحسن طاهر بن مفوز ابن عبد الله بن مفوز المعافري صاحبنا رحمه الله، قال: أخبرني أبو الفتح وأبو الليث نصر بن الحسن التنكتي المقيم بسمرقند –قدم عليهم بلنسية عام أربعةٍ وستين وأربعمئة– قال: قحط المطر عندنا بسمرقند في بعض الأعوام، قال: فاستسقى الناس مراراً فلم يسقوا، قال: فأتى رجلٌ من الصالحين معروفٌ بالصلاح مشهورٌ به إلى قاضي سمرقند، فقال له: إني قد رأيت رأياً أعرضه عليك، قال: وما هو؟ قال: أرى أن تخرج ويخرج الناس معك إلى قبر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله– وقبره بخرتنك، ونستسقي عنده، فعسى الله أن يسقينا، قال: فقال القاضي: نعما رأيت. فخرج القاضي وخرج الناس معه، واستسقى القاضي بالناس، وبكى الناس عند القبر، وتشفعوا بصاحبه، فأرسل الله تبارك وتعالى السماء بماءٍ عظيم غزيرٍ أقام الناس من أجله بخرتنك سبعة أيامٍ أو نحوها، لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند من كثرة المطر وغزارته، وبين خرتنك وسمرقند ثلاثة أميالٍ أو نحوها.

ومن كتاب أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني الحافظ في تسمية رجال البخاري –رحمه الله-

وذكر في صدره مولده وصفته ومناقبه وعلمه وحفظه وما امتحن به، أخبرنا به الفقيه أبو الوليد سليمان بن خلفٍ الباجي، قال: أنا أبو بكر بن سختويه، وأخبرنا به أيضاً أبو العباس أحمد بن عمر العذري، قال: أنا أبو العباس أحمد بن الحسن بن بندارٍ الرازي –بمكة في المسجد الحرام– قالا: أنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني الحافظ أنه قال في **نسب أبي عبد الله البخاري وتاريخ مولده:**

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن يزذبة البخاري الجعفي، ويزذبة مجوسي مات عليها، والمغيرة أسلم على يدي اليمان البخاري الجعفي والي بخارى، وهو جد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر ابن اليمان المسندي.

ثم قال: ولد محمد بن إسماعيل يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلةً خلت من شوال سنة أربعٍ وتسعين ومئةٍ.

وقال في صفته: سمعت الحسن بن الحسين البزاز يقول: رأيت محمد بن إسماعيل شيخاً نحيف الجسم، ليس بالطويل ولا بالقصير.

ثم قال: سمعت محمد بن يوسف بن بشرٍ الفربري يقول: سمعت النجم بن فضيلٍ –وكان من أهل المعرفة والفضل– يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، وقد خرج من باب ماستين –قرية ببخارى– وخلفه محمد بن إسماعيل البخاري، فكلما خطا النبي صلى الله عليه وسلم خطوةً خطا محمد ابن إسماعيل خطوة النبي صلى الله عليه وسلم ووضع قدمه على أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم.

قال أبو علي: وقد حدثني بهذا الحديث شيخنا أبو شاكر عبد الواحد بن محمد التجيبي قال: نا أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي، قال: نا أبو أحمد الجرجاني، قال: نا محمد بن يوسف، قال: أخبرني النجم البخاري بخوارزم قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يمشي، كلما رفع قدمه وضع محمد بن إسماعيل قدمه في ذلك الموضع. قال محمد بن يوسف، ورأيت محمد بن إسماعيل في النوم وهو يجتني لنا تمراً بكلتا يديه.

وبالإسناد المتقدم إلى أبي أحمد بن عدي قال: وسمعت عبد القدوس بن همام يقول: سمعت عدةً من المشايخ يقولون: دون محمد بن إسماعيل البخاري تراجم (جامعه) بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمةٍ ركعتين.

قال: وسمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري -رحمه الله- قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا، وعمدوا إلى مئة حديثٍ، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتنٍ آخر، ودفعوها إلى عشرة أنفسٍ، لكل رجلٍ منهم عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري، وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعةٌ من أصحاب الحديث، من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجلٌ من المجلس من العشرة، فسأله عن حديثٍ من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، ثم سأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، فما زال يلقي عليه واحداً بعد واحدٍ حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه، فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعضٍ، ويقولون: الرجل فهمٌ، ومن كان منهم غير فهمٍ يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم.

ثم انتدب رجلٌ آخر من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه، وسأله عن آخر فقال: لا أعرفه، وسأله عن آخر فقال: لا أعرفه، فلم يزل يلقي عليه واحداً بعد آخر حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه. ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة، حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على: لا أعرفه.

فلما عرف البخاري أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث والرابع على الولاء، حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متنٍ إلى إسناده، وكل إسنادٍ إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها. فأقر له الناس بالحفظ والعلم، وأذعنوا له بالفضل.

قال: وكان ابن صاعدٍ إذا ذكر محمد بن إسماعيل البخاري يقول: الكبش النطاح.

وذكر أبو بكر الخطيب هذه الحكاية عن أبي أحمد بن عدي كما تقدم سواءً.

ذكر امتحانه

قال ابن عدي: ذكر لي جماعةٌ من المشايخ أن محمد بن إسماعيل -رحمه الله- لما ورد نيسابور واجتمع الناس وعقد له المجلس، حسده بعض من كان في ذلك الوقت من مشايخ نيسابور، لما رأى إقبال الناس إليه واجتماعهم عليه، فقال لأصحاب الحديث: إن محمد بن إسماعيل يقول: (اللفظ بالقرآن مخلوق)، فامتحنوه به في المجلس.

فلما حضر الناس مجلس البخاري قام إليه رجلٌ، فقال: يا أبا عبد الله! ما تقول في اللفظ بالقرآن؟ أمخلوقٌ هو أم غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجبه، فقال الرجل: يا أبا عبد الله! فأعاد عليه القول، فأعرض عنه ولم يجبه، ثم قال في الثالثة: فالتفت إليه محمد ابن إسماعيل. وقال: (القرآن كلام الله غير مخلوقٍ، وأفعال العباد مخلوقةٌ والامتحان بدعةٌ). فشغب الرجل وشغب الناس، وتفرقوا عنه، وقعد البخاري في منزله.

قال أبو أحمد بن عدي: وسمعت الحسن بن الحسين البزاز يقول: سمعت إبراهيم بن معقل يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: ما أدخلت في هذا الكتاب -يعني (جامعه الصحيح) - إلا ما صح، وتركت من الصحاح كيلا يطول الكتاب.

قال: وسمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد بن إسماعيل إلى خرتنك -قريةٌ من قرى سمرقند على فرسخين منها- وكان له بها أقرباء، فنزل عندهم، قال: فسمعته ليلةً من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يدعو، ويقول في دعائه: اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك، قال: فما تم الشهر حتى قبضه الله. وقبره -رحمه الله- بخرتنك.

ذكر وفاته –رحمه الله-

قال: وسمعت الحسن بن الحسين البزاز البخاري يقول: توفي محمد بن إسماعيل ليلة السبت في ليلة الفطر عند صلاة العشاء، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت مستهل شوال من شهور سنة ست وخمسين ومئتين، وعاش اثنتين وستين إلا ثلاثة عشر يوماً.

قال الفقيه أبو علي: حدثونا عن أبي ذر الهروي قال: أنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملي ببلخ، قال: سمعت محمد بن يوسف بن ريحان البخاري ببخارى يقول: نا أبو عبد الله محمد بن محمد الساماني ببخارى، قال: حدثني أبو الحسن محمد بن نوحٍ، قال: سمعت أحمد بن محمد بن الفضل البلخي قال: سمعت أبي يقول: كان محمد بن إسماعيل قد ذهب بصره في صباه، وكانت له والدةٌ متعبدةٌ، فرأت إبراهيم خليل الله صلوات الله عليه في المنام، فقال لها: إن الله تبارك وتعالى قد رد بصر ابنك عليه بكثرة دعائك وبكائك، قال: فأصبحت وقد رد الله عليه بصره.

وحدثت عن أبي بكر بن ثابتٍ، قال: حدثني أبو القاسم عبد الله ابن أحمد بن علي السوذرجاني بأصبهان من لفظه، نا علي بن محمد بن الحسن الفقيه، نا خلف بن محمد الخيام قال: سمعت أبا محمدٍ المؤذن عبد الله بن محمد بن إسحاق السمسار يقول: سمعت شيخي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره، فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، فقال لها: يا هذه، قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك، أو لكثرة دعائك. قال: فأصبح وقد رد الله عليه بصره.

24- طبقات الحنابلة[1]

أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: 526هـ)

قال رحمه الله: " محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله الجعفي البخاري، صاحب الجامع الصحيح، والتاريخ، وغيرهما من التصانيف.
رحل في طلب العلم إلى أكثر محدثي الأمصار، سمع مكي بن إبراهيم البلخي، وعبدان بن عثمان المروزي، وعبيد الله بن موسى العبسي، وأبا عاصم الشيباني، وأبا بكر الحميدي، ويحي بن معين، وعلي بن المديني، وإمامنا أحمد، وحدث عن رجل عنه.

وقد تقدم ذكره وورد بغداد دفعات وحدث بها، فروى عنه من أهلها: إبراهيم الحربي، وعبد الله بن محمد بن ناجية في آخرين، وآخر من حدث عنه ببغداد: الحسين بن إسماعيل المحاملي.
أخبرنا أحمد نزيل دمشق قراءة قال: أخبرنا أبو عمر ابن مهدي، حدثنا القاضي الحسين المحاملي إملاء، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان عن أبي بردة قال: أخبرني جدي أبو بردة عن أبيه أبي موسى قال: قال رسول الله - ﷺ (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه)، وكان رسول الله ﷺ جالسا إذ جاءه رجل أو طالب حاجة فأقبل علينا بوجهه فقال:(اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان رسوله ما شاء).
أنبأنا الوالد السعيد، أخبرنا أبو الفتح بن أبي الفوارس، أخبرنا أحمد السرخسي، أخبرنا محمد الفربري، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثني أبي عن ثمامة عن أنس: أن أبا بكر لما استخلف كتب له فكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر: (محمد

[1] طبقات الحنابلة (1/271-279) المحقق: محمد حامد الفقي. الناشر: دار المعرفة - بيروت

سطر، و (رسول) سطر، و (الله) سطر.

قال أبو عبد الله – يعني– البخاري: وزادني أحمد –يعني– ابن حنبل قال: حدثنا الأنصاري حدثنا أبي عن ثمامة عن أنس قال: كان خاتم النبي – صلى الله عليه وسلم – في يده، وفي يد أبي بكر بعده، وفي يد عمر بعد أبي بكر، قال: فلما كان عثمان جلس ببئر أريس، قال: فأخرج الخاتم فجعل يعبث به فسقط، قال: فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان فننزح البئر فلم نجده.

وبه، حدثنا أبو عبد الله البخاري في كتاب النكاح في باب ما يحرم من النساء وما لا يحرم، وقال لنا أحمد بن حنبل: حدثنا يحي بن سعيد عن سفيان، حدثنا حبيب عن سعيد، عن ابن عباس: حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع، ثم قرأ ﴿حرمت عليكم أمهاتكم ﴾.

ذكر أبو إسحاق الحبال المضري رحمه الله، أخبر عبد الغني الحافظ، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن المسور الحميري، حدثنا أبو بكر عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز العمري، قال: سألت محمد بن إسماعيل البخاري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أيحتج به؟ فقال: رأيت أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، والحميدي، وإسحاق بن راهويه يحتجون به ما يكون ما تركه أحد من المسلمين وصدقه وأبو عبيد وعامة أصحابنا لا أعلم تركه أحد.

وبه أخبرنا عبد الغني الحافظ المصري، حدثني إبراهيم بن محمد الرعيني، حدثنا دعلج بن أحمد، حدثنا أبو محمد الجارودي وهو عبد الله بن علي، حدثني محمد ابن إسماعيل الصائغ، قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: اجتمع علي ابن المديني، ويحيى بن معين، وأحمد، وأبو خيثمة، وشيوخ من شيوخ العلم، فتذاكروا حديث عمرو بن شعيب فثبتوه وذكروا أنه حجة.

أخبرنا محمد بن أحمد الأصفهاني، أخبرنا أبو سعيد إسماعيل بن عمرو بن أبي عمرو البحتري النيسابوري، قدم علينا قال: أخبرنا عمي أبو عثمان سعيد بن محمد النيسابوري إجازة، قال: أخبرنا أبو نصر أحمد بن الحسين بن أحمد بن حمويه الوراق، حدثنا أبو حامد أحمد بن حمدون بن رستم، قال: سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري فقبل ما بين عينيه وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله. حدثنا محمد بن سلام حدثنا محمد بن يزيد الحراني قال: أخبرنا ابن جريج

قال: حدثنا موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: أبو حامد وحدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا أحمد بن محمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو خيثمة قالوا: حدثنا حجاج ابن محمد عن ابن جريح، قال: حدثني موسى بن عقبة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في الكفارة في المجلس: (إذا قام من مجلسه سبحانك ربنا وبحمدك فهو كفارته)، قال محمد بن إسماعيل: هذا حديث مليح ولا أعلم بهذا الإسناد في الدنيا حديثا غير هذا إلا أنه معلول، حدثنا به موسى بن إسماعيل قال: حدثنا وهيب قال: حدثني سهيل عن عون بن عبد الله بن علية. قوله قال: محمد بن إسماعيل أولى ولا يذكر لموسى بن عقبة سماعا من سهيل وهو سهيل بن ذكوان مولى جويرية وهم إخوة سهل وسهيل وعثمان وصالح بنو أبي صالح وهو من أهل المدينة.

أنبأنا خال أمي على بن البسري، عن ابن بطة، قال: سمعت الحسين بن إسماعيل المحاملي يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: إنما الناس بشيوخهم فإذا ذهب الشيوخ تودع من العيش؟

أخبرنا أحمد البغدادي، حدثني علي بن أحمد الأصبهاني، قال: سمعت أبا الهيثم الكشميهني يقول: سمعت محمد بن يوسف الفربري يقول قال: لي محمد بن إسماعيل البخاري ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.

أخبرنا أبو بكر المؤرخ قال: أخبرنا القاضي أبو بكر الحيري قال: سمعت إبراهيم بن أحمد الفقيه البلخي يقول: سمعت أحمد بن عبد الله الصفار البلخي يقول: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملي يروي عن محمد بن يوسف الفربري أنه كان يقول: سمع كتاب الصحيح لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يرويه عنه غيري.

أخبرنا أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن علي السوذرجاني بأصبهان من لفظه، حدثنا علي بن محمد بن الحسين الفقيه، حدثنا خلف هو ابن صالح الخيام، سمعت أبا محمد المؤذن عبد الله بن محمد ابن إسحاق السمسار، سمعت شيخي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: لها يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك ولكثرة دعائك، قال:

فأصبح وقد رد الله عليه بصره.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن ثابت المحدث، قال: كتب إلى علي بن أبي حامد محمد الأصفهاني يذكر أن: أبا أحمد محمد بن أحمد بن مكي الجرجاني حدثهم قال: سمعت السعداني يقول: سمعت بعض أصحابنا يقول قال: محمد بن إسماعيل أخرجت هذا الكتاب يعني الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث.

وجدت عن يوسف التفلري الزنجاني، حدثنا أحمد بن علي، حدثنا أبو سعد الماليني، حدثنا عبد الله بن عدي الحافظ، حدثني محمد بن أحمد القومسي، قال: سمعت محمد بن حمدويه يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح.

أخبرنا أحمد بن مهدي، أخبرنا أبو سعد الماليني، أخبرنا عبد الله بن عدي، قال: سمعت الحسن بن الحسين البخاري، سمعت إبراهيم بن معقل يقول: سمعت محمدا البخاري يقول: ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صح وتركت من الصحاح لحال الطوال.

أخبرنا أبو بكر بن ثابت، أخبرني الحسن بن محمد بن علي الدربندي، أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان الحافظ ببخارى، أخبرنا أبو عمرو أحمد بن محمد المقرىء، قال: سمعت أبا حسان مهيب بن سليم يقول: سمعت جعفر بن محمد القطان إمام الجامع بكرمينية يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: كتبت عن ألف شيخ، وأكثر ما عندي حديث إلا أذكر إسناده.

أخبرنا أحمد بن ثابت المؤرخ، أخبرنا الحسن بن محمد البلخي، أخبرنا محمد بن أبي بكر الحافظ ببخارى، حدثنا أحمد بن محمد بن عمر المقرىء، حدثنا بكر بن منير، سمعت أبا عبد الله البخاري يقول: منذ ولدت ما اشتريت من أحد بدرهم شيئا قط، ولا بعت من أحد بدرهم شيئا. فسألوه عن شراء الحبر والكواغد؟ فقال: كنت آمر إنسانا يشتري لي.

أخبرنا أبو بكر البغدادي، أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، أخبرنا محمد بن نعيم الضبي، أخبرنا محمد بن خالد المطوعي، حدثنا مسيح بن سعيد، قال: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، يجمع إليه أصحابه فيصلي بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أن يختم القرآن، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من

القرآن، فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار كل يوم ختمة ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة، يقول: عند كل ختم دعوة مستجابة.

أخبرنا الخطيب، أخبرني أبو الوليد الدرنبدي، أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان الحافظ، حدثنا أحمد بن محمد بن عمر المقرىء، قال: سمعت بكر بن منير يقول: كان محمد بن إسماعيل البخاري يصلي ذات يوم فلسعته الزنبور سبع عشرة مرة، فلما قضى صلاته قال: انظروا إيش هذا الذي آذاني في صلاتي؟ فنظروا، فإذا الزنبور قد ورمه في سبعة عشر موضعا ولم يقطع صلاته.

أخبرنا المؤرخ أبو بكر، أخبرنا الحسين بن محمد الأشقر، أخبرنا محمد بن أبي بكر البخاري الحافظ، حدثنا أحمد بن محمد المقرئ، سمعت بكر بن منير، سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا.

أخبرنا أحمد المؤرخ، حدثنا أبو الوليد الدربندي، سمعت محمد بن الفضل سمعت أبا إسحاق الزنجاني، سمعت بعبد الرحمن بن رساس البخاري يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: صنفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى.

أخبرنا أحمد الحافظ، أخبرنا أبو الوليد، أخبرنا محمد بن أحمد الحافظ، حدثنا محمد ابن سعيد التاجر، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم، سمعت حاشد بن إسماعيل يقول: كان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري يختلف معنا إلى مشايخ الحديث في البصرة وهو غلام، فلا يكتب حتى أتى علي ذلك أيام فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب فما معناك فيما تصنع؟ فقال لنا بعد ستة عشر يوما: إنكما قد أكثرتما علي وألححتما فأعرضا علي ما كتبتما، فأخرجنا ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب، حتى جعلنا نحكم كتبنا على حفظه ثم قال: أترون أني أختلف هدرا وأضيع أيامي؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد. قال: وكان أهل المعرفة من أهل البصرة يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب، حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه. قال: وكان عند ذلك شابا لم يخرج وجهه.

أخبرنا أحمد بن علي، أخبرني الحسن بن محمد، أخبرنا محمد بن أبي بكر، حدثنا أبو نصر

محمد بن أحمد بن موسى البزار، قال: سمعت أبا بكر عبد الرحمن بن محمد ابن علوية الأبهري يقول: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل البخاري.

أخبرنا أحمد بن ثابت، أخبرنا أبو حازم العبدوي، قال: سمعت محمد بن محمد بن العباس الضبي يقول: سمعت أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن مطر يقول: سمعت جدي محمد بن يوسف يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: دخلت بغداد آخر ثمان مرات كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل، فقال: لي في آخر ما ودعته: يا أبا عبد الله تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان؟ قال البخاري: فأنا الآن أذكر قوله.

أخبرنا أحمد البغدادي، أخبرنا الحسن بن محمد الأشقر، أخبرنا محمد بن أبي بكر، حدثنا أبو صالح خلف بن محمد بن إسماعيل، قال: سمعت أبا عمر أحمد بن نصر بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالخفاف ببخارى يقول: كنا يوما عند أبي إسحاق القيسي ومعنا محمد بن نصر المروزي، فجرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري فقال: محمد بن نصر سمعته يقول: من زعم أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب فإني لم أقله. فقلت: يا أبا عبد الله قد خاض الناس في هذا وأكثروا فيه، فقال: ليس إلا ما أقول لك وأحكي لك عنه. قال أبو عمر الخفاف: فأتيت محمد بن إسماعيل فناظرته في شيء من الأحاديث حتى طابت نفسه فقلت: يا أبا عبد الله ههنا أحد يحكي عنك أنك قلت هذه المقالة، فقال: يا أبا عمر احفظ ما أقول لك: من زعم من أهل نيسابور، وقومس، والري، وهمدان، وحلوان، وبغداد، والكوفة، والمدينة، ومكة، والبصرة، أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب، فإني لم أقل هذه المقالة.

أخبرنا أحمد بن مهدي، أخبرني أبو الوليد الدربندي، أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان، حدثنا أبو نصر أحمد بن سهل بن حمدويه، حدثنا أبو العباس الفضل بن بسام، قال: سمعت إبراهيم بن محمد يقول: أنا توليت دفن محمد بن إسماعيل لما أن مات بخرتنك، أردت حمله إلى مدينة سمرقند أن أدفنه بها فلم يتركني صاحب لنا فدفناه فيها، فلما أن فرغنا ورجعت إلى المنزل الذي كنت فيه قال لي صاحب القصر: سألته أمس فقلت: يا أبا عبد الله ما تقول في القرآن؟ فقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، قال: فقلت: له إن الناس يزعمون أنك تقول ليس في المصاحف قرآن ولا في صدور الناس قرآن، فقال: أستغفر الله أن تشهد

علي بشيء لم تسمعه مني، أقول لك كما قال الله تعالى: ﴿ والطور وكتاب مسطور ﴾ أقول في المصاحف قرآن، وفي صدور الناس قرآن، فمن قال غير هذا يستتاب فإن تاب وإلا فسبيله سبيل الكفر.

أخبرنا أحمد بن ثابت، أخبرنا أبو سعد الماليني، سمعت الحسن بن الحسين البزار ببخارى يقول: رأيت محمد بن إسماعيل شيخا نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير، ولد يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة، وتوفي ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت غرة شوال سنة ست وخمسين ومائتين، عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما.

وقال محمد بن إسماعيل البخاري: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: أنا رجل مبتلى قد أبتليت أن لا أقول لك ولكن أقول، فإن أنكرت شيئا فردني عنه: القرآن من أوله إلى آخره كلام الله ليس شيء منه مخلوق، ومن قال إنه مخلوق أو شيء منه مخلوق فهو كافر، ومن زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق فهو جهمي كافر قال: نعم."

25- **تاريخ دمشق**

أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، ابن عساكر (ت 571هـ)[1]

قال رحمه الله: " محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله الجعفي البخاري الإمام صاحب الصحيح والتاريخ.

سمع بدمشق: هشام بن عمار، وإسحاق بن إبراهيم أبا النضر، وسليمان بن عبد الرحمن، ودحيم بن إبراهيم ، ومحمد بن وهب بن عطية، وإبراهيم بن عبد الله بن العلاء بن زبر الدمشقيين، وبغيرها: أبا المغيرة، وأبا اليمان، وعصام بن خالد، وعلي بن عياش

[1] تاريخ دمشق ج52ص50 ت: عمرو بن غرامة العمروي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- 1995

الحمصيين، ومحمد بن يوسف الفريابي، وإسماعيل بن أبي أويس، وأبا همام الصلت بن محمد، وأبا نعيم، ومكي بن إبراهيم، وأبا عاصم النبيل، ومحمد بن سابق، وسريج بن النعمان، ومعاوية بن عمرو، وعاصم بن علي، وعفان بن مسلم، وأبا زيد سعيد بن أوس، ومحمد بن كثير، وعثمان بن الهيثم، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، وعمر بن عاصم الكلابي، وأبا حذيفة موسى بن مسعود، ومحمد بن الفضل عارما، وعبيد الله بن موسى، وإسماعيل بن أبان الوراق، وخالد بن مخلد القطواني، وثابت بن محمد الكتاني، وقبيصة بن عقبة، ومطرف بن عبد الله اليساري، وإبراهيم بن حمزة، وأيوب بن سليمان بن بلال، وعبد العزيز بن عبد الله الأويسي، وأبا ثابت محمد بن عبيد الله المدينيين، وأبا عبد الرحمن المقرئ، وأبا الوليد أحمد بن محمد الأزرقي، وعبد الله بن الزبير الحميدي، ويحيى بن فزعة بمكة، وعبد الله بن صالح، وسعيد بن الحكم بن أبي مريم، وعثمان بن صالح السهمي، وسعيد بن كثير بن عفير المصريين، وخطاب بن عثمان الفوزي بحمص، وآدم بن ابي إياس، وعلي بن حفص بعسقلان، وغير من سميت جماعة يكثر تعدادهم.

روى عنه : أبو الحسين مسلم بن الحجاج، وأبو حاتم، وأبو زرعة الرازيان، وعبيد الله بن واصل البخاري، ومحمد بن نصر المروزي، وصالح بن محمد الأسدي البغدادي جزرة، وأبو بكر بن خزيمة، ويحيى بن محمد بن صاعد، والحسين بن محمد بن زياد القباني، ومحمود بن عنبر بن نعيم بن حبيب النسفي، وأبو هارون سهل بن شاذوية، وأحمد بن نصر الفقيه، وأحمد بن سهل بن مالك، وأبو يحيى زكريا بن يحيى البزاز، وأبو العباس احمد بن محمد بن الأزهر الأزهري، وأبو حامد أحمد بن محمد بن عمارة الأعمشي، وأبو قريش محمد بن جمعة، ومحمد بن واصل البيكندي، ومحمد بن يوسف الفربري، ومحمد بن إبراهيم بن شعيب، ومحمد بن سهل المقرئ، وأبو القاسم بن الأشقر، وغيرهم.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد، وأبو سهل محمد بن أحمد بن عبيد الله. ح:وأخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الخطيب، وأبو حفص عمر ابن أبي الفضل محمد بن علي، وأبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن أبي بكر، وأبو الفتح محمد بن الحسن بن أبي بكر، وابو بكر عبد الله بن أبي مطيع الهروي، وأبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الصمد، وابو الحسن بن عبد الرحيم بن أحمد المراوزة، قالوا: أنبأنا أبو الخير محمد بن موسى بن عبد الله قالا أنبأنا أبو الهيثم محمد بن المكي بن محمد. ح وأخبرنا أبو محمد عبد الله الفراوي، أنبأنا أبو عثمان سعيد بن أحمد بن محمد، أنبأنا أبو علي محمد بنت عمر بن شبوية.

ح وأخبرنا أبو الفتح المختار بن عبد الحميد، وابو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب، قالا: أنبأنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر، أنبأنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حموية.

ح وأخبرنا أبو بكر خلف بن عطاء بن أبي عاصم الماوردي، أنبأنا أبو عمر عبد الواحد ابن احمد بن أبي القاسم المليحي الوراق، أنبأنا أبو حامد أحمد بن محمد بن نعيم النعيمي.

قالوا: أنبأنا أبو عبد الله محمد ين يوسف بن بشر بن مطر بن صالح الفربري بها، حدثنا الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، حدثنا مكي بن إبراهيم، حدثنا يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة أنه أخبره قال: خرجت من المدينة ذاهبا نحو الغابة، حتى إذا كنت بثنية الغابة لقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف، قلت: ويحك ما بك؟ قال: أخذت لقاح رسول الله ﷺ، قلت: من أخذها؟ قال :غطفان وفزارة، فصرخت ثلاث صرخات أسمعت ما بين لابتيها: يا صباحاه، يا صباحاه، ثم اندفعت حتى ألقاهم وقد أخذوها فجعلت أرميهم وأقول: " أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع " فاستنقذتها منهم قبل أن يشربوا، فأقبلت بها أسوقها فلقيني النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله إن القوم عطاش، وإني أعجلتهم أن يشربوا

سقيهم فابعث في أثرهم، فقال:(يا ابن الأكوع ملكت فاسجح، إن القوم يقرون في قومهم). أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم، وأبو الحسن بن قبيس، قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أنبأنا إبراهيم بن مخلد، أنبأنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن رميح النسوي، قال: سمعت أحمد بن محمد بن عمر بن بسطام المروزي، يقول: سمعت احمد ين سيار يقول: ومحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو عبد الله، طلب العلم وجالس الناس، ورحل في الحديث ومهر فيه، وأبصر، وكان حسن المعرفة، حسن الحفظ، وكان يتفقه.

أخبرنا أبو القاسم، وابو الحسن، قالا: حدثنا أبو منصور، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أنبأنا أبو سعد الماليني قراءة عليه.

ح وأخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد، أنبأنا إسماعيل بن مسعدة، أنبأنا حمزة بن يوسف، قالا: أنبأنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ، قال: سمعت محمد بن أحمد بن سعدان البخاري يقول: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مغيرة بن بردزية البخاري، وبردزبة مجوسي مات عليها، والمغيرة بن بردزية أسلم على يدي يمان البخاري والي بخارى، ويمان هذا هو أبو جد عبد الله بن محمد المسندي، وعبد الله بن محمد هو ابن جعفر بن يمان البخاري الجعفي، والبخاري قيل له جعفي لأن أبا جده أسلم علي يدي أبي جد عبد الله المسندي، ويمان جعفي، فنسب إليه لأنه مولاه من فوق وعبد الله مسندي لأنه كان يطلب المسند من حداثته.

أنبأنا أبو الحسين القاضي، وأبو عبد الله الأديب، قالا: أنبأنا أبو القاسم بن مندة، أنبأنا أبو علي إجازة.

ح قال: وأنبأنا أبو طاهر، أنبأنا علي، قالا: أنبأنا ابن أبي حاتم، قال: محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله، قدم عليهم الري سنة مائتين وخمسين، روى عن عبدان المروزي، وابن

همام الصلت بن محمد، والفريابي، وابن أبي أويس. سمع منه أبي وأبو زرعة ثم تركا حديثه عندما كتب إليهما محمد بن يحيى النيسابوري أنه أظهر عندهم أن لفظه بالقرآن مخلوق.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن، أنبأنا أبو المظفر هناد بن إبراهيم النسفي، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد البخاري المعروف بغنجار، قال: ذكر أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف الجعفي الإمام الفاضل صاحب الجامع الصحيح، والتاريخ الكبير، توفي بخرتنك من قرى سمرقند ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين. روى عنه مسلم بن الحجاج القشيري، وأبو زرعة، وأبو حاتم الرازيان، وعبيد الله بن واصل، ومحمد بن نصر المروزي، وصالح بن محمد الأسدي البغدادي.

أنبأنا أبو جعفر محمد بن أبي علي، أنبأنا أبو بكر الصفار، أنبأنا أحمد بن علي بن منجوية، أنبأنا أبو أحمد الحاكم، قال: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري الحافظ، سمع أبا عبد الله محمد بن يوسف الفريابي، وعبد الله بن يوسف التنيسي، روى عنه: أبو علي الحسين بن محمد القباني، وأبو بكر بن خزيمة، ويحيى بن صاعد، وكان أحد الأئمة في معرفة الحديث وجمعه، ولو قلت إني لم أر تصنيفا يشبه تصنيفه في المبالغة والحسن، أو لم أسمع بآدمي يسرول في باب الحديث مثله رجوت أن أكون صادقا في قولي، نسبه وكناه لنا محمد بن سليمان بن فارس.

كتب إلي أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب، وحدثني أبو بكر اللفتواني عنه، أنبأنا عمي أبو القاسم، عن أبيه أبي عبد الله قال: قال لنا أبو سعيد بن يونس: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، من أهل بخارى قدم مصر، وكتب بها، وكتب عنه، يكنى أبا عبد الله توفي بعد سنة خمسين ومائتين.

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم، وأبو الحسن بن أحمد، وأبو منصور بن عبد الملك، قالوا: قال لنا أبو بكر الخطيب: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله الجعفي البخاري الإمام في علم الحديث، صاحب الجامع الصحيح، والتاريخ. رحل في طلب العلم

إلى سائر محدثي الأمصار، وكتب بخراسان، والجبال، ومدن العراق كلها، وبالحجاز، والشام، وبمصر، وسمع مكي بن إبراهيم البلخي، وعبدان بن عثمان المروزي، وعبيد الله بن موسى العبسي، وأبا عاصم الشيباني، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، ومحمد ابن يوسف الفريابي، وأبا نعيم الفضل بن دكين، وأبا غسان النهدي، وسليمان بن حرب الواشجي، وأبا سلمة التبوذكي، وعفان بن مسلم، وعارم بن الفضل، وأبا الوليد الطيالسي، وأبا معمر المنقري، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، وأبا بكر الحميدي، وسعيد بن أبي مريم المصري، ويحيى بن بكير المخزومي، وعبد الله بن يوسف التنيسي، وعبد العزيز بن عبد الله الأويسي، وأبا اليمان الحمصي، وإسماعيل بن أبي أويس المديني، وعبد القدوس بن الحجاج، وحجاج بن المنهال، ومحمد بن كثير العبدي، وخالد بن مخلد القطواني، وعلي ابن المديني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وخلقا سواهم يتسع ذكرهم. وورد بغداد دفعات وحدث بها، فروى عنه من أهلها: إبراهيم بن إسحاق الحربي، وعبد الله بن محمد ابن ناجية، وقاسم بن زكريا المطرز، ومحمد بن محمد الباغندي، ويحيى بن محمد بن صاعد، ومحمد بن هارون الحضرمي، وآخر من حدث عنه بها الحسين بن إسماعيل المحاملي.

أخبرنا أبو الحسن الموحد، أنبأنا هناد القاضي، أنبأنا محمد بن أحمد الغنجار، حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد التاجر، حدثنا محمد بن يوسف بن مطر، حدثنا أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق، قال، قال لي أبو عمرو المستنير بن عتيق: سألت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل متى ولدت؟ فاخرج لي خط أبيه: ولد محمد بن إسماعيل يوم الجمعة بعد الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة وتوفي ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين.

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم، وأبو الحسن علي بن أحمد، قالا: وحدثنا أبو منصور العطار، قال: أنبأنا أبو بكر الخطيب، أنبأنا أبو سعد الماليني، وأخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأنا أبو القاسم بن مسعدة، أنبأنا أبو القاسم السهمي، قالا: أنبأنا أبو عبد الله

بن عدي قال: سمعت الحسن بن الحسين البزاز ببخارى يقول: رأيت محمد بن إسماعيل بن إبراهيم شيخا نحيف الجسم، ليس بالطويل ولا بالقصير، ولد يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شوال من سنة أربع وتسعين ومائة، وتوفي ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت لغرة شوال من سنة ست وخمسين ومائتين، عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما.

أخبرنا أبو سعد محمد بن أحمد بن محمد بن الخليل، أنبأنا أبو محمد الحسن بن احمد أحمد السمرقندي الحافظ، أنبأنا جعفر بن المعتمر المستغفري، حدثنا محمد بن احمد بن سليمان الحافظ، حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين، حدثنا أبو يعلى التميمي، قال: سمعت جبريل بن ميكائيل بمصر يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: لما بلغت خراسان أصبت ببصرى، فأخبرني بعض من رآني فقال: أعلمك شيئا إن رد الله عليك بصرك على شرط أن لا تخبر به أحدا، فقال: احلق رأسك واغلفه بالخطمي، أظنه قال ثلاث مرات، قال: ففعلت فرد الله علي بصري، وجعلت على نفسي أن لا يستخبرني أحد إلا أخبرته أو كلاما هذا معناه .

قال أبو علي: علمت أقواما وقد روي في رد بصره: ما أنبأنا أبو القاسم النسيب، وأبو الحسن المالكي، قال: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، حدثني أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن علي السوذرجاني بأصبهان من لفظه، حدثنا علي بن محمد بن الحسين الفقيه، حدثنا خلف بن محمد الخيام، قال: سمعت أبا محمد المؤذن عبد الله بن محمد بن إسحاق السمسار يقول: سمعت شيخي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل فقال: يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك، أو لكثرة دعائك، قال: فأصبح وقد رد الله عليه بصره.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد، أنبأنا هناد بن إبراهيم، أنبأنا أبو عبد الله الغنجار، حدثنا خلف بن محمد، قال: سمعت أبا محمد أحمد بن محمد بن الفضل البلخي يقول: سمعت أبي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل البخاري في صغره فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل

فقال لها: يا هذه قد رد الله على ابنك بصرة لكثرة بكائك، أو لكثرة دعائك –الشك من أبي محمد البلخي –قال: فأصبحنا وقد رد الله عليه بصره.

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الملك، أنبأنا أبو طاهر بن محمود، أنبأنا أبو بكر ابن المقرئ، قال: سمعت أبا أحمد محمد بن إسحاق النيسابوي يقول: سمعت أحمد بن يوسف السلمي يقول: رأيت محمد بن إسماعيل البخاري في مجلس مالك بن إسماعيل وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ قال: لا يمكنني أن أكتب ولا ان أضبط، ثم جعله الله محمد بن إسماعيل كما رأيتم.

أخبرنا أبو القاسم الحسيني، وأبو الحسن الغساني، قالا: حدثنا أبو منصور بن عبد الملك، أنبأنا أبو بكر الخطيب، وحدثني أبو النجيب عبد الغفار بن عبد الواحد الأرموي، حدثني محمد بن إبراهيم بن أحمد الأصبهاني، أخبرني أحمد بن علي الفارسي، حدثنا أحمد بن عبد الله بن محمد، قال: سمعت جدي محمد بن يوسف بن مطر الفربري يقول: حدثنا أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق النحوي، قال: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري كيف كان بدو أمرك في طلب الحديث؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب. قال: وكم أتى عليك إذ ذاك ؟ فقال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، وقال يوما فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له: يا أبا فلان إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كانت عندك، فدخل ونظر فيه ثم خرج، فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم، فاخذ القلم مني واحكم كتابه، فقال: صدقت. فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت إذ رددت عليه؟ فقال: ابن إحدى عشرة، فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك، ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخي بها وتخلفت بها في طلب الحديث. فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وذلك أيام عبيد الله ابن موسى،

وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر الرسول ﷺ في الليالي المقمرة، وقال: كل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة إلا أني كرهت تطويل الكتاب.

أخبرنا أبو الحسن بن البقشلان، أنبأنا أبو المظفر النسفي، أنبأنا محمد بن أحمد البخاري، حدثنا خلف بن محمد، قال: سمعت إسحاق بن أحمد بن خلف يقول: رحل محمد بن إسماعيل إلى العراق في آخر سنة عشر ومائتين، وكذلك سفيان بن عبد الحكم، وموسى بن قريش.

قال وأنبأنا البخاري، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن هارون الملاحمي، قال: سمعت ابا بكر محمد بن صابر بن كاتب يقول: سمعت عمر بن حفص الأشقر يقول: كنا مع محمد بن إسماعيل البخاري بالبصرة نكتب الحديث، ففقدناه أياما فطلبناه فوجدناه في بيت وهو عريان، وقد نفذ ما عنده ولم يبق معه شيء، فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثوبا وكسوناه، ثم اندفع معنا في كتابة الحديث.

قال وأنبأنا البخاري، حدثنا خلف بن محمد، قال: سمعت الحسن بن الحسن بن الوضاح، ومكي بن خلف بن عفان، قالا: سمعنا محمد بن إسماعيل يقول: كتبت على ألف نفر من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عن من قال: الإيمان يقول وعمل، ولم أكتب عن من يقول الإيمان قولي.

قال: وأبنأنا البخاري، حدثنا أبو عمر أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، قال: سمعت حسان مهيب بن سليم يقول: سمعت جعفر بن محمد القطان إمام الجامع بكرمينية يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: كتبت عن ألف شيخ وأكثر، عن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر، ما عندي حديث إلا وأذكر إسناده.

قال وأنبأنا البخاري، حدثنا أبو الحسين محمد بن عمران بن موسى الجرجاني، قال: سمعت أبا محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن البخاري بالشاش يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري يقول: "لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم: أهل الحجاز، ومكة،

والمدينة، والكوفة، والبصرة، وواسط، وبغداد، والشام، ومصر، لقيتهم كرات قرنا بعد قرن، ثم قرنا بعد قرن، أدركتهم وهم متوافرون أكثر من ست وأربعين سنة. أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين، وبالبصرة أربع مرات في سنين ذوي عدد، وبالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثي أهل خراسان، منهم: المكي بن إبراهيم، ويحيى بن يحيى، وعلي بن الحسن بن سفيان، وقتيبة بن سعيد، وشهاب بن معمر، وبالشام محمد بن يوسف الفريابي، وأبا مسهر عبد الأعلى بن مسهر، وأبا المغيرة عبد القدوس بن الحجاج، وأبا اليمان الحكم بن نافع، ومن بعدهم عدة كثيرة. وبمصر: يحيي بن بكير، وأبا صالح كاتب الليث بن سعد، وسعيد بن أبي مريم، وأصبغ بن الفرج، ونعيم بن حماد. وبمكة: عبد الله بن يزيد المقرئ، والحميدي، وسليمان بن حرب قاضي مكة، وأحمد بن محمد الأزرقي. وبالمدينة: إسماعيل بن أبي أويس، ومطرف بن عبد الله، وعبد الله بن نافع الزبيري، وأحمد بن أبي بكر الزهري أبا مصعب، وإبراهيم بن حمزة الزبيري، وإبراهيم بن المنذر الحزامي. وبالبصرة: أبا عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، وأبا الوليد هشام بن عبد الملك، والحجاج بن المنهال، وعلي بن عبد الله بن جعفر المديني. وبالكوفة: أبا نعيم الفضل بن دكين، وعبيد الله بن موسى، وأحمد بن يونس، وقبيصة بن عقبة، وابن نمير، وعبد الله وعثمان ابني أبي شيبة. وببغداد: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبا معمر، وأبا خيثمة، وأبا عبيد القاسم بن سلام. ومن أهل الجزيرة: عمرو بن حماد الحراني، وبواسط: عمرو بن عون، وعاصم بن علي، وبمرو: صدقة بن الفضل، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي، واكتفينا بتسمية هؤلاء حتى يكون مختصرا وأن لا يطول ذلك، فما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء: أن الدين قول وفعل، وذلك لقول الله ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾. وأن القرآن كلام الله، قال أبو عبد الله: كلام غير مخلوق، لقوله:﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾. قال أبو عبد الله: قال ابن

عيينة: فبين الله الخلق من الأمر لقوله ﴿ألا لله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين﴾. وان الخير والشر بقدر لقوله:﴿ قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ﴾،﴿والله خلقكم وما تعملون ﴾ ولقوله ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾. ولم يكونوا يكفرون أحدا من أهل القبلة بالذنب لقول:﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾. وما رأيت أحدا منهم يتناول أصحاب محمد ﷺ،قالت عائشة: أمروا أن يستغفروا لهم وذلك قوله﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم﴾. وكانوا ينهون عن البدع وما لم يكن عليه النبي ﷺ وأصحابه لقول الله ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ولقوله ﴿ وان تطيعوه تهتدوا ﴾. ويحثون على ما عليه النبي ﷺ وأتباعه لقوله ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾. وأن لا ينازع الأمر أهله لقولي النبي ﷺ (ثلاث لا يغل عليهم قلب امرئ مسلم إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائه)، ثم أكد في قوله تعالى ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم ﴾. وأن لا يرى السيف على أمة محمد ﷺ. وقال الفضيل بن عياض: لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام، لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد. وقال ابن المبارك: يا معلم الخير من يجترئ على هذا غيرك".

أخبرنا أبو المظفر بن القشيري، أنبأنا أبو بكر البيهقي، أنبأنا أبو حازم عمر بن أحمد العبدوي الحافظ، قال: سمعت أبا ذهل محمد بن العباس العصمي.

ح أخبرنا أبو القاسم الحسيني، وأبو الحسن علي بن أحمد، قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أنبأنا أبو حازم العبدوي، قال: سمعت محمد بن محمد بن العباس الضبي يقول: سمعت أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن مطر- زاد البيهقي: الفربري- يقول: سمعت جدي محمد بن يوسف يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري

يقول: دخلت بغداد آخر ثمان مرات كل – وقال البيهقي في كل –ذلك أجالس أحمد بن حنبل، فقال لي في آخر ما ودعته: يا أبا عبد الله تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان؟

قال البخاري: – وقال الخطيب قال أبو عبد الله– فأنا الآن أذكر قوله.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد، أنبأنا هناد بن إبراهيم، أنبأنا محمد بن أحمد بن حمد، حدثنا خلف بن محمد، قال: سمعت أبا العباس الفضل بن إسحاق البزاز يقول: حدثنا أحمد بن المنهال العابد، حدثنا أبو بكر الأعين قال: كتبنا عن محمد بن إسماعيل على باب محمد بن يوسف الفريابي وما في وجهه شعرة، قلت: ابن كم انت؟ قال: ابن سبع عشرة سنة.

أخبرنا أبو العباس عبد الله بن الفضل بن سهل البوشنجي بها، حدثني أحمد أبو علي بن عبد الله بن عمر بن خلف الشيرازي إملاء بنيسابور، أنبأنا الشيخ أبو طاهر أحمد بن عبد الله بن مهروية الفارسي، أنبأنا أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف الفربري، حدثنا جدي قال: سمعت محمد بن أبي حاتم البخاري يقول: سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أبو عبد الله–يعني– محمد بن إسماعيل البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب فما معناك فيما تصنع؟ قال لنا يوما بعد ستة عشر يوما: إنكما قد أكثرتما علي وألححتما فأعرضا علي ما كتبتما، فأخرجنا ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها على ظهر القلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه، ثم قال: أترون أني اختلف هدرا وأضيع أيامي؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد.

أخبرنا أبو الحسن الموحد، أنبأنا أبو المظفر النسفي، أنبأنا أبو عبد الله الغنجار، حدثنا محمد بن سعيد –يعني– أبا نصر التاجر، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: سمعت حاشد بن إسماعيل يقول: كان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له إنك

تختلف معنا وما تكتب معنا فما تصنع؟ فقال لنا بعد ستة عشر يوما: إنكما قد أكثرتما علي والحتما فأعرضا علي ما كتبتما، فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها على ظهر القلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه، ثم قال: أترون أني اختلف هدرا وأضيع أيامي؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد.

قال: وسمعتهما يقولان: كان أهل المعرفة من أهل البصرة يغدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب، حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه، وكان أبو عبد الله عند ذلك شاب لم يخرج وجهه.

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم، وأبو الحسن بن قبيس، قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أخبرني أبو الحسن بن محمد بن الأشقر، أنبأنا محمد بن أبي بكر، حدثنا أبو الحسين احمد بن يوسف الأزدي، حدثنا أبو عمرو محمد بن عمر بن الأشعث البيكندي، قال: سمعت عبد الله بن احمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان: أبو زرعة الرازي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، والحسن بن شجاع البلخي. وقد أوردت هذه الحكاية عالية في ترجمة الحسن بن شجاع.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن الموحد، أنبأنا أبو المظفر هناد بن إبراهيم، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد البخاري، حدثنا أبو صخر محمد بن مالك بن الحسن السعدي، قال: سمعت أبا عمرو محمد بن أحمد بن الصباح المقرئ المروزي يقول: سمعت أحمد بن سيار يقول: حفاظ زماننا أربعة: أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بالري، وإبراهيم بن خالد الجرميهني بمرو، ومحمد بن إسماعيل ببخارى، وعبد الله بن أبي عرابة بالشاش.

قال: وأنبأنا أبو عبد الله البخاري، حدثنا أبو محمد بن سهل بن عثمان بن سعيد السلمي، قال: سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن منصور السني يقول: سمعت أبا حامد أحمد بن عيسى المخلوق يقول: سمعت العباس بن سورة يقول: سمعت أبا جعفر المسندي يقول:

حفاظ زماننا ثلاثة: محمد بن إسماعيل، وحاشد بن إسماعيل، ويحيى بن سهيل.

أخبرنا أبو القاسم بن أبي الجن، وأبو الحسن علي بن أبي العباس، قالا: حدثنا أبو منصور بن عبد الملك، أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي، أنبأنا أحمد بن محمد بن غالب، أنبأنا أبو بكر الإسماعيلي، أخبرني عبد الله بن محمد الفرهياني، قال: حضرت مجلس ابن أشكاب، فجاءه رجل ذكر اسمه من الحفاظ، فقال: ما لنا بمحمد بن إسماعيل البخاري طاقة، فقام وترك المجلس. أي أتقول هذا وأنا بالحضرة؟ .

قال وحدثني أبو النجيب الأرموي، حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني، أخبرني أحمد بن علي الفارسي، حدثنا أحمد بن عبد الله بن محمد، حدثنا جدي محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: سمعت سليم بن مجاهد يقول: كنت عند محمد بن سلام البيكندي، فقال لي: لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث، قال: فخرجت في طلبه حتى لقيته فقلت: أنت الذي تقول أنا أحفظ سبعين ألف حديث؟ قال: نعم وأكثر منه، ولا أجيئك بحديث من الصحابة أو التابعين إلا عرفت مولد أكثرهم، ووفاتهم، ومساكنهم، ولست أروي حديثا من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولي في ذلك أصل، أحفظ حفظا عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

أخبرنا أبو الحسن بن البقشلان، أنبأنا هناد بن إبراهيم، أنبأنا أبو عبد الله غنجار، حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، حدثنا أبو بكر محمد بن يعقوب بن يوسف البيكندي، قال: سمعت علي بن الحسين بن عاصم البيكندي يقول: قدم علينا محمد ابن إسماعيل فاجتمعنا عنده ولم يكن يتخلف عنه من المشايخ أحد، فتذاكرنا عنده، فقال رجل من أصحابنا- أراه حامد بن حفص-: سمعت إسحاق بن راهوية يقول: كأني أنظر إلى سبعين ألف حديث من كتابي، فقال محمد بن إسماعيل: أو تعجب من هذا؟ لعل في هذا الزمان من ينظر إلى مائتي ألف حديث من كتابه، وإنما عنى به نفسه.

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم، وأبو الحسن بن قبيس، وأبو محمد هبة الله بن أحمد، قالوا:

نا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أنبأنا أبو سعد الماليني قراءة عليه، ح وأخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأنا إسماعيل بن مسعدة، أنبأنا أبو القاسم حمزة بن يوسف، قالا: أنبأنا عبد الله بن عدي الحافظ، حدثني محمد بن أحمد القومسي، قال: سمعت محمد بن حمدوية يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد، أنبأنا أبو المظفر النسفي، أنبأنا محمد بن أحمد بن محمد، حدثنا أبو الحسين محمد بن الحسين بن علي بن يعقوب الجويباري، حدثنا أحمد ابن محمد بن عمر المنكدري، حدثنا إسحاق بن أحمد بن زبرك، قال: سمعت محمد بن إدريس الرازي يقول: في سنة سبع وأربعين ومائتين يقدم عليكم رجل من أهل خراسان ولم يخرج منها أحفظ منه، ولا قدم العراق أعلم منه، فقدم علينا بعد ذلك محمد بن إسماعيل بأشهر. قال: وقال أبو حاتم الرازي في هذا المجلس: محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق، ومحمد بن يحيى أعلى من بخراسان اليوم من أهل الحديث، ومحمد بن أسلم أورعهم، وعبد الله بن عبد الرحمن أثبتهم. قال: وأنبأنا محمد بن أحمد بن محمد، حدثنا خلف بن محمد، قال: سمعت أبا بكر محمد بن حريث يقول: سمعت الفضل بن العباس الرازي، وسألته فقلت: أيهما أحفظ أبو زرعة أو محمد بن إسماعيل؟ فقال لي: لم أكن التقيت مع محمد بن إسماعيل فاستقبلني ما بين حلوان وبغداد، قال: فرجعت معه مرحلة، قال: وجهدت على أن أجيء بحديث لا يعرفه فما أمكنني، قال: وأنا أغرب على أبي زرعة عدد شعره.

أخبرنا أبو الحسن مسافر، وأبو محمد أحمد ابنا محمد بن علي البسطامي، قالا: أنبأنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر البوشنجي، وأخبرنا أبو سعد إسماعيل بن أبي صالح، وأبو الحسن مكي بن أبي طالب، قالا: أنبأنا أبو بكر بن خلف، وأخبرنا أبو المعالي محمد بن إسماعيل، أنبأنا أبو بكر البيهقي، قالوا: أنبأنا أبو عبد الله، قال: سمعت أبا الطيب محمد بن أحمد المذكر–وقال البيهقي الكرابيسي بدل المذكر–يقول: سمعت محمد ابن إسحاق–يعني ابن

خزيمة- يقول: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد ابن إسماعيل البخاري، وفي رواية البيهقي: أحفظ لحديث رسول الله ﷺ ولا أعرف به من محمد بن إسماعيل البخاري.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد، أنبأنا هناد بن إبراهيم، أنبأنا محمد بن أحمد بن محمد قال: سمعت أبا عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ يقول: سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد بن عمر الأديب يقول: سمعت أحيد بن أبي جعفر والي بخارى يقول: قال محمد بن إسماعيل يوما: رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر، قال: فقلت له: يا أبا عبد الله بكماله، قال: فسكت.

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم، وأبو الحسن علي بن أحمد، قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، حدثني محمد بن أبي الحسن الساحلي، أنبأنا أحمد بن الحسن الرازي، قال: سمعت أبا أحمد بن عدي يقول.

ح وأخبرنا أبو القاسم الخضر بن الحسين بن عبدان، أنبأنا أبو القاسم بن أبي العلاء، أنبأنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الحسين النيسابوري، حدثنا أبو العباس أحمد بن الحسن الرازي، حدثنا أبو أحمد بن عدي، قال: سمعت عدة مشايخ يحكون: أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا لإسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس يلقون ذلك على البخاري وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من اهل خراسان وغيرها ومن البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث - زاد ابن عبدان- المقلوبة وقالوا: فقال البحاري: لا أعرفه، فسأله عن الآخر فقال: لا أعرفه، فما زال يلقي عليه واحد بعد واحد حتى فرغ من عشرته

والبخاري يقول: لا أعرفه. فكان الفهماء فمن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: الرجل فهم، ومن كان منهم غير ذلك يقتضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم. ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه، فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد آخر حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول: لا أعرفه. ثم انتدب إليه الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على: لا أعرفه، فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها، فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل، وكان ابن صاعد إذا ذكر محمد بن إسماعيل يقول: الكبش النطاح.

أخبرنا أبو الحسن بن البقشلان، أنبأنا أبو المظفر النسفي، أنبأنا أبو عبد الله الغنجار، قال: سمعت أبا القاسم منصور بن إسحاق بن إبراهيم الأسدي يقول: سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم الداغوني يقول: سمعت يوسف بن موسى المروروذي يقول: كنت بالبصرة في جامعها إذ سمعت مناديا ينادي: يا أهل العلم لقد قدم محمد بن إسماعيل البخاري فقاموا في طلبه وكنت معهم، فرأينا رجلا شابا لم يكن في لحيته شيء من البياض يصلي خلف الأصطوانة، فلما فرغ من الصلاة أحدقوا به وسألوه بأن يعقد لهم مجلس الإملاء، فأجابهم إلى ذلك فقام المنادي ثانيا فنادى في جامع البصرة: لقد قدم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري فسألناه بأن يعقد مجلس الإملاء، فقد أجاب أن يجلس غدا في موضع كذا، قال: فلما أن كان بالغداة حضر الفقهاء، والمحدثون، والحفاظ، والنظارة، حتى اجتمع قريب من كذا وكذا ألف، فجلس أبو عبد الله محمد بن إسماعيل للإملاء فقال: قبل أن آخذ في

الإملاء قال لهم: يا أهل البصرة، أنا شاب وقد سألتموني أن أحدثكم وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدون الكل. قال: فبقى الناس وتعجبوا من قوله ثم أخذ في الإملاء فقال: حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد العتكي بلديكم، حدثنا أبي عن شعبة عن منصور وغيره، عن سالم بن أبي الجعد، عن أنس بن مالك، أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله الرجل يحب، فذكر حديث (المرء مع من أحب)، ثم قال محمد بن إسماعيل: هذا ليس عندكم إنما عندكم عن غير منصور عن سالم. قال يوسف بن موسى: وأملى عليهم مجلسا على هذا النسق، فيقول في كل حديث: روى شعبة هذا الحديث عندكم كذا، فأما من رواية فلان ليس عندكم أو كلام ذا معناه. قال يوسف بن موسى: وكان دخولي البصرة أيام محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، وهلال الرأي، وأحمد بن عبدة الضبي، وحميد بن مسعدة، وغيرهم، ثم دخلت البصرة مرات بعد ذلك.

قال: وأنبأنا الغنجار، حدثنا أحمد بن أبي حامد الباهلي، قال: سمعت أبا سعيد حاتم بن محمد بن حازم بن محمد بن فروخ يقول: سمعت إبراهيم بن فهد البصري بالبصرة يقول: لو أن صاحبكم -يعني محمد بن إسماعيل البخاري- أقام فينا سنة صرنا إلى خير.

قال: وأنبأنا الغنجار، حدثنا أبو الحسين محمد بن الحسين بن علي بن يعقوب، حدثنا إسحاق بن أحمد بن خلف، قال: سمعت العباس بن سورة يقول: سمعت أبا جعفر عبد الله بن محمد الجعفي المسندي يقول: محمد بن إسماعيل إمام فمن لم يجعله إماما فاتهمه.

قال: وأنبأنا الغنجار، حدثنا أبو نصر أحمد بن أبي حامد الباهلي، قال: سمعت إسحاق ابن أحمد بن خلف يقول: سمعت أبا علي صالح بن محمد البغدادي يقول: كان محمد بن إسماعيل يجلس ببغداد، وكنت أستملي له ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفا.

أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر، أنبأنا أبو عثمان سعيد بن أحمد بن محمد البحيري قراءة عليه وأنا حاضر، أنبأنا أبو نصر أحمد بن الحسن بن أحمد بن حموية الوراق، حدثنا أبو حامد أحمد بن حمدون بن رستم، قال: سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل

البخاري فقبل بين عينيه، فقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله.

أخبرنا أبو المعالي محمد بن إسماعيل، أنبأنا أبو بكر البيهقي، أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ، قال: سمعت أبا نصر أحمد بن محمد الوراق يقول: سمعت أبا حامد أحمد بن حمدون يقول: سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري فقبل بين عينيه وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، ويا طبيب الحديث في علله. حدثنا محمد بن سلام، حدثنا مخلد بن يزيد الحراني، أنبأنا ابن جريج، حدثني موسى بن عقبة، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ فقال البخاري: وحدثنا أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، قالا: حدثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، حدثني موسى بن عقبة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن ابي هريرة، أن النبي ﷺ في كفارة المجلس أن يقول:(إذا قام من مجلسه أن يقول سبحانك ربنا وبحمدك). فقال محمد بن إسماعيل: هذا حديث مليح، ولا أعلم بهذا الإسناد في الدنيا حديثا غير هذا إلا أنه معلول، حدثنا به موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثنا سهيل، عن عون بن عبد الله. قوله: قال محمد بن إسماعيل هذا أولى لا يذكر لموسى بن عقبة مسند عن سهيل، وهو سهيل ابن ذكوان مولى جويريه وهم أخوة سهيل، وعباد، وصالح بنو أبي صالح، وهم من أهل المدينة.

أخبرنا أبو القاسم العلوي، وأبو الحسن الغساني، قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أنبأنا أبو حازم العبدوي، قال: سمعت الحسن بن أحمد الزنجوي يقول: سمعت أحمد بن حمدون الحافظ يقول: كنا عند محمد بن إسماعيل البخاري، فجاء مسلم بن الحجاج فسأله عن حديث عبيد الله بن عمر عن أبي الزبير عن جابر، قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية ومعنا أبو عبيدة، فقال محمد بن إسماعيل: حدثنا ابن أبي أويس، حدثني أخي أبو بكر، عن سليمان بن بلال، عن عبيد الله، عن أبي الزبير، عن جابر القصة بطوله، فقرأ عليه إنسان حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج عن موسى بن عقبة، حدثني سهيل بن

أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: كفارة المجلس إذا قام العبد أن يقول (سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله أنت أستغفرك وأتوب إليك)، فقال له مسلم: في الدنيا أحسن من هذا الحديث؟ ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل يعرف بهذا الأسناد في الدنيا حديثا؟ قال محمد: لا. إلا أنه معلول، فقال مسلم: لا إله إلا الله وارتعد، قال: أخبرني به، قال: استر ما ستر الله، فإن هذا حديث جليل رواه الخلق عن حجاج بن محمد، عن ابن جريج، فالح عليه وقبل رأسه وكاد أن يبكي مسلم، فقال له أبو عبد الله: اكتب إن كان لا بد، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثني موسى بن عقبة، عن عون بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ (كفارة المجلس)، فقال له مسلم: لا يبغضك إلا حاسد وأشهد ان ليس في الدنيا مثلك.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن، أنبأنا هناد بن إبراهيم بن محمد، أنبأنا محمد بن أحمد بن محمد، حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت حاشد بن عبد الله بن عبد الواحد يقول: رأيت عمرو بن زارة ومحمد بن رافع عند محمد بن إسماعيل وهما يسألان محمد بن إسماعيل عن علل الحديث، فلما قاما قالا لمن حضر المجلس: لا تخدعوا عن أبي عبد الله فإنه أفقه منا وأعلم وأبصر.

أخبرنا أبو القاسم الحسيني، وأبو الحسن المالكي، قالا حدثنا أبو منصور العطار، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أنبأنا أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد الوكيل، أنبأنا الحسن ابن محمد بن أحمد بن شعبة السنجي المروزي، أنبأنا أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب، حدثنا أبو عيسى الترمذي قال: ولم أر أحدا بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل.

أخبرنا أبو الحسن علي بن المسلم الفقيه، وابو القاسم إسماعيل بن أحمد، قالا: أنبأنا أبو نصر بن طلاب، أنبأنا أبو الحسين بن جميع، حدثني أحمد بن محمد -هو ابن آدم بن عبيد- أبو سعيد، حدثني محمد بن يوسف البخاري، قال: كنت عند محمد بن إسماعيل البخاري بمنزله

ذات ليلة، فأحصيت عليه أنه قام وأسرج يستذكر أشياء يعلقها في ليلة ثمان عشرة مرة.

أخبرنا أبو القاسم بن أبي الجن، وأبو الحسن بن قبيس، قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، حدثني أبو النجيب الأرموي، حدثني محمد ابن إبراهيم الأصبهاني، اخبرني محمد بن إدريس الوراق، حدثنا محمد بن حم، أنبأنا محمد ابن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: كان أبا عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا ببيت واحد إلا في القيظ أحيانا، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري نارا بيده ويسرج ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها ثم يضع رأسه، وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم فقلت له: إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني، قال: أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك، ورأيته أستلقى على قفاه يوما ونحن بفربر في تصنيف كتاب التفسير، وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث، فقلت له: يا أبا عبد الله سمعتك تقول يوما: إني ما أتيت شيئا بغير علم قط منذ عقلت، فأي علم في هذا الاستلقاء؟ فقال: أتعبنا أنفسنا في هذا اليوم وهذا ثغر من الثغور خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو، فأحببت أن أستريح وآخذ أهبة ذلك، فإن غافصنا العدو كان بنا حراك.

قال الخطيب: وحدثني محمد بن أبي الحسن الساحلي، أنبأنا أحمد بن الحسن الرازي قال: سمعت عبد الله بن عدي يقول: وأخبرنا أبو القاسم بن عبدان، أنبأنا أبو القاسم بن أبي العلاء، أنبأنا عبد الله بن أحمد بن الحسن الخفاف، حدثنا أحمد بن الحسن، حدثنا أبو أحمد بن عدي قال: سمعت عبد القدوس بن همام يقول: سمعت عدة من المشايخ يقولون حول محمد ابن إسماعيل البخاري تراجم جامعه بين قبر النبي ﷺ ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين.

أخبرنا أبو القاسم النسيب، وأبو الحسن الزاهد، قالا: حدثنا أبو منصور بن عبد الملك، أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي، حدثني أبو الحسين علي بن محمد بن جعفر العطار الأصبهاني

بالري، قال: سمعت أبا الهيثم الكشميهني يقول: سمعت محمد بن يوسف الفربري يقول: قال لي محمد بن إسماعيل البخاري: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.

أنبأنا أبو نصر بن القشيري، أنبأنا أبو بكر البيهقي، أنبأنا أبو عبد الله الحاكم، حدثني أبو عمرو بن إسماعيل، حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي، قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: أقمت بالبصرة خمس سنين ومعي كتبي أصنف وأحج في كل سنة وأرجع من مكة إلى البصرة، فأنا أرجو أن الله تبارك وتعالى يبارك للمسلمين في هذه المصنفات، قال أبو عمرو: قال أبو عبد الله: فلقد بارك الله فيها.

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم، وأبو الحسن علي بن احمد، قالا: حدثنا أبو منصور بن عبد الملك، أنبأنا أبو بكر الحافظ، أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، أنبأنا محمد بن نعيم الضبي، قال: سمعت خلف بن محمد بن إسماعيل البخاري يقول: سمعت إبراهيم بن معقل النسفي يقول: سمعت أبا عبد الله بن محمد إسماعيل يقول: كنت عند إسحاق بن راهوية فقال لنا بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبي ﷺ فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب-يعني كتاب الجامع -.

قال أبو بكر: وكتب إلي علي بن أبي حامد الأصبهاني يذكر أن أبا أحمد محمد بن محمد بن مكي الجرجاني حدثهم، قال: سمعت السعداني يقول: سمعت بعض اصحابنا يقول: قال محمد بن إسماعيل: أخرجت هذا الكتاب -يعني الصحيح- من زهاء ستمائة ألف حديث.

وقال: وحدثني أبو الوليد الدربندي، قال: سمعت محمد بن الفضل المفسر يقول: سمعت أبا إسحاق الريحاني يقول: سمعت عبد الرحمن بن رساين البخاري يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: صنفت كتابي الصحاح في ستة عشر سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى.

أخبرنا أبو الحسن الموحد، أنبأنا أبو المظفر النسفي، أنبأنا أبو عبد الله غنجار، حدثنا أبو

الحسين محمد بن عمران بن موسى الجرجاني، حدثنا الحسن بن جعفر بن محمد الشاشي، قال: سمعت إبراهيم بن معقل النسفي بسمرقند يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: خرجت كتابي الجامع في بضع عشرة سنة وجعلته فيما بيني وبين الله حجة. قال: وأنبأنا غنجار، حدثنا أبو الحسين محمد بن الحسين بن علي بن يعقوب الكاتب، قال: سمعت إبراهيم بن معقل النسفي يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صح وتركت من الصحاح لحال الطول.

أخبرنا أبو المعالي محمد بن إسماعيل، أنبأنا أبو بكر البيهقي. ح وأخبرنا أبو القاسم بن أبي الحسن، وأبو الحسين بن أبي العباس، وأبو محمد بن الأكفاني، قالا: حدثنا أبو منصور بن عبد الملك، أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، قالا: أنبأنا أبو سعد الماليني. ح وأخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأنا أبو القاسم بن مسعدة، أنبأنا حمزة بن يوسف، قالا: أنبانا أبو أحمد عبد الله بن عدي، قال: سمعت الحسن بن الحسين البخاري يقول: سمعت إبراهيم بن معقل يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صح وتركت من الصحاح لحال الطول- وفي حديث الخطيب في كتاب الجامع وفيه لحال الطوال. أخبرنا أبو القاسم بن أبي الجن، وأبو الحسن بن قبيس، قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، قال: قرأت على الحسين بن محمد أخي الخلال، عن عبد الرحمن بن محمد الإدريسي، حدثني محمد بن حم، حدثنا محمد بن يوسف الفربري، حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل، تحفظ جميع ما أدخلت في المصنف فقال لا يخفي علي جميع ما فيه.

قال وحدثني محمد بن علي الصوري، حدثنا عبد الغني بن سعيد الحافظ، أنبأنا أبو الفضل جعفر بن الفضل، أنبأنا محمد بن موسى بن يعقوب بن المأمون، قال: سئل أبو عبد الرحمن -يعني النسائي- عن العلاء وسهيل فقال: هما خير من فليح، ومع هذا فما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل البخاري.

قال: وأنبأنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري بنيسابور، قال: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الفقيه البلخي يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن عبد الله الصفار البلخي يقول: سمعت أبا إسحاق المستملي يروي عن محمد بن يوسف الفربري أنه كان يقول: سمع كتاب الصحيح لمحمد بن إسماعيل البخاري تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يروي عنه غيري.

أنشدنا أبو المحاسن عبد الرزاق بن محمد بن أبي نصر الطبسي، أنشدنا الشيخ الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن محمد الدقاق لفظا بنيسابور، أنشدنا أبو عامر الفضل ابن إسماعيل الجرجاني الأديب لنفسه بجرجان:

صحيح البخاري لو أنصفوه ..... لما خط إلا بماء الذهب
هو الفرق بين الهدي والعمى ..... هو السد بين الفتى والعطب
أسانيد مثل نجوم السماء ...... أمام متون كمثل الشهب
به قام ميزان دين النبي ...... ودان به العجم بعد العرب
حجاب من النار لا شك فيه ... يميز بين الرضا والغضب
وستر رقيق إلى المصطفى .... ونور مبين لكشف الريب
فيا عالما أجمع العالمون ...... على فضل رتبته في الرتب
سبقت الأئمة فيما جمعت .... وفزت على رغمهم بالقصب
نفيت السقيم من الناقلين ..... ومن كان متهما بالكذب
وأثبت من عدلته الرواة ..... وصحت روايته في الكتب
وأبرزت في حسن ترتيبه ...... وتبويبه عجبا للعجب
فأعطاك ربك ما تشتهيه ..... وأجزل حظك فيما يهب
وخصك في عرصات الجنان .... بنعم تدوم ولا تنقضب.

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم، وأبو الحسن على بن أحمد، قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي، أخبرني محمد بن علي بن أحمد المقرئ، أنبأنا أبو بكر

محمد بن أحمد بن الحسن الجرجاني في كتابه، وحدثني عنه أبو عمرو البحيري، أنبأنا خلف بن محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم وراق البخاري قال: سمعت البخاري يقول: لو نشر بعض أستاذي هؤلاء لم يفهموا كيف صنفت كتاب التاريخ ولا عرفوه، ثم قال: صنفته ثلاث مرات.

قال وحدثني أبو النجيب الأرموي، حدثني محمد بن إبراهيم بن أحمد الأصبهاني، أخبرني محمد بن إدريس الوراق، حدثنا محمد بن حم البخاري، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أخذ إسحاق بن راهوية كتاب التاريخ الذي صنفت فأدخله على عبد الله بن طاهر، فقال: أيها الأمير ألا أريك سحرا؟ قال: فنظر فيه عبد الله بن طاهر فتعجب منه وقال: لست أفهم تصنيفه.

قال: وأخبرني عبيد الله بن أبي الفتح، قال: سمعت محمد بن حميد اللخمي يقول: سمعت القاضي أبا الحسن محمد بن صالح الهاشمي يقول: سمعت أبا العباس بن سعيد يقول: لو أن رجلا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن كتاب تاريخ محمد بن إسماعيل البخاري.

قال: وقرأت على الحسين بن محمد بن الحسن المؤدب أخي أبي محمد الخلال، عن أبي سعيد عبد الرحمن بن محمد الإدريسي الحافظ، حدثني محمد بن عبد الله بن سعيد الحافظ أبو عبد الله السرخسي بسمرقند، حدثني الحسن بن الحسين البخاري، حدثنا عامر المنتجع قال: سمعت أبا بكر المديني يقول: كنا يوما بنيسابور عند إسحاق بن راهوية ومحمد بن إسماعيل حاضر في المجلس، فمر إسحاق بحديث من أحاديث النبي ﷺوكان دون صاحب النبي ﷺ عطاء الكيخاراني، فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله أيش كيخاران؟ قال: قرية باليمن كان معاوية بن أبي سفيان بعث هذا الرجل من أصحاب النبي ﷺ إلى اليمن فسمع منه عطاء حديثين، فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله كأنك قد شهدت القوم.

أخبرنا أبو الحسن الموحد، أنبأنا أبو المظفر النسفي، أنبأنا أبو عبد الله غنجار، أنبأنا خلف بن محمد، قال سمعت أبا بكر محمد بن حريث يقول: سمعت أبا زرعة الرازي يقول: وسألته عن ابن لهيعة فقال: تركه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، وسألته عن محمد بن حميد الرازي فقال: تركه أبو عبد الله، فقال محمد بن حريث: فذكرت ذلك لمحمد بن إسماعيل فقال: بره لنا قديم.

أخبرنا أبو القاسم الخطيب، وأبو الحسن المالكي، قالا: حدثنا أبو منصور ابن خيرون، أنبانا أبو بكر الحافظ، أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، أنبأنا محمد بن نعيم الضبي، أنبأنا أبو الفضل محمد بن يوسف ريحان الأمير ببخارى، حدثني أبي يوسف بن ريحان قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: كان علي بن المديني يسألني عن شيوخ خراسان، فكنت أذكر له محمد بن سلام لا يعرفه إلى أن قال لي يوما: يا أبا عبد الله كل من أثنيت عليه فهو عندنا الرضا.

أخبرنا أبو الحسن بن البقشلان، أنبأنا هناد بن إبراهيم، أنبأنا أبو عبد الله البخاري، حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم قال: وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: قال لي محمد بن سلام: أنظر في كتبي فما وجدت فيها من خطأ فاضرب عليه كي لا أرويه، ففعلت ذلك وكان محمد بن سلام كتب -يعني- في تلك الأحاديث التي أحكمها محمد بن إسماعيل زهاء ألفين رضي الفتى، وفي الأحاديث الضعيفة لم يرضى الفتى، فقال له بعض أصحابه: من هذا الفتى؟ فقال: هذا الذي ليس مثله، هو محمد بن إسماعيل.

قال: وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: كان إسماعيل بن أبي أويس إذا انتخب من كتابه نسخ تلك الأحاديث لنفسه وقال: هذه أحاديث انتخبها محمد بن إسماعيل من حديثي.

أخبرنا أبو القاسم النسيب، وأبو الحسن الزاهد، قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، حدثني أبو النجيب الأرموي، حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني، أخبرني محمد بن إدريس الوراق، حدثنا محمد بن حم، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم قال: سئل محمد بن إسماعيل عن خبر حديث فقال: يا أبا فلان تراني أدلس، تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل لي فيه نظر، وتركت مثله أو أكثر منه لغيره لي فيه نظر.

قال: وأنبانا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نصروية السمرقندي، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن مت الأشتيخني بها، حدثنا الفربري محمد بن يوسف قال: سمعت محمد بن البخاري بخوارزم يقول: رأيت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل -يعني في المنام- خلف النبي ﷺ والنبي ﷺ يمشي، فكلما رفع النبي ﷺقدمه وضع أبو عبد الله محمد بن إسماعيل قدمه في ذلك الموضع.

أخبرنا أبو الحسن الموحد، أنبأنا أبو المظفر النسفي، أنبأنا محمد بن أحمد بن محمد، حدثنا خلف بن محمد، وأبو بكر محمد بن أحمد بن مت الشافعي، وأبو نصر أحمد ابن أبي حامد

الباهلي، قالوا: سمعنا محمد بن يوسف بن مطر يقول: سمعت نجم بن الفضيل من قريتي ماستي بخوارزم يقول: رأيت فيما يرى النائم كأني في قريتي ببخارى جالس على طريق المدينة، ورأيت رسول اللهﷺكأنه يخرج من المدينة راجلا ومحمد بن إسماعيل على أثره ينظر كلما رفع النبي ﷺ قدمه فيضع قدمه في ذلك المكان.

أخبرنا أبو القاسم بن أبي الجن، وأبو الحسن بن قبيس، قالا: حدثنا أبو منصور العطار، أنبأنا أبو بكر الحافظ، أنبانا أبو سعد الماليني، وأخبرنا أبو القاسم بن الأشعث، أنبأنا أبو القاسم الإسماعيلي، أنبأنا أبو القاسم السهمي، قالا: أنبأنا عبد الله بن عدي قال: سمعت محمد بن يوسف الفربري قال: سمعت النجم بن الفضيل –وكان من أهل الفهم– يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام خرج من قرية ماستي ومحمد بن إسماعيل خلفه، فكان النبي ﷺ إذا خطا خطوة يخطو محمد ويضع قدمه على خطوه النبي ﷺ ويتبع أثره.

أخبرنا أبو القاسم، وأبو الحسن، قالا: حدثنا أبو منصور العطار، أنبأنا أبو بكر الخطيب، قال: كتب إلي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن الحسين الجرجاني من أصبهان، يذكر أنه سمع أبا أحمد محمد بن محمد بن مكي الجرجاني يقول: سمعت محمد بن يوسف الفربري يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي: أين تريد؟ فقلت أريد محمد بن إسماعيل البخاري فقال: أقرئه مني السلام.

أخبرنا أبو الحسن الموحد، أنبأنا هناد بن إبراهيم، أنبأنا محمد بن أحمد، أنبأنا خلف ابن محمد، قال: سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر الخفاف يقول: محمد بن إسماعيل أعلم في الحديث من إسحاق بن راهوية، وأحمد بن حنبل وغيره بعشرين درجة. قال أبو عمرو الخفاف: ومن قال في محمد بن إسماعيل شيء فمني عليه ألف لعنة. قال: وسمعت أبا عمرو الخفاف يقول: لو دخل محمد بن إسماعيل من هذا الباب لملئت منه رعبا– يعني– لا أقدر أن أحدث بين يديه. قال: وأنبأنا محمد بن أحمد، أنبأنا خلف بن محمد، حدثنا إسحاق بن أحمد بن خلف، قال: سمعت أبا عيسى محمد بن عيسى الترمذي يقول: كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله ابن منير فلما قام من عنده قال له: يا أبا عبد الله جعلك الله زين هذه الأمة، قال أبو عيسى: استجيب له فيه، قال إسحاق بن احمد: أبو عيسى الترمذي أدرك عبد الله بن منير.

أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر، أنبأنا أبو بكر البيهقي، أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، اخبرني محمد بن خالد المطوعي، حدثنا مسبح بن سعيد، قال: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلي بهم، فيقرأ في كل ركعة عشرين آية وكذلك إلى أن يختم القرآن، وكذلك يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار كل يوم ختمة ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة، ويقول: عند كل ختم دعوة مستجابة.

أخبرنا أبو الحسن الموح، أنبأنا أبو المظفر النسفي، أنبأنا أبو عبد الله الغنجار، حدثنا أحمد بن محمد بن عمر المقرئ قال: سمعت أبا سعيد بكر بن منير يقول: كان محمد ابن إسماعيل يصلي ذات يوم فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة، فلما قضى صلاته قال: انظروا إيش هذا الذي أذاني في صلاتي؟ فنظروا فإذا الزنبور قد ورمه في سبعة عشر موضعا ولم يقطع صلاته.

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم، وأبو الحسن المالكين، قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبانا أبو بكر أحمد بن علي، حدثني أبو النجيب الأرموي، حدثني محمد بن إبراهيم بن محمد الأصبهاني، أخبرني أحمد بن علي الفارسي، حدثنا أحمد بن عبد الله بن محمد، حدثنا جدي محمد بن يوسف الفربري، حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: دعي محمد بن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه فلما حضرت صلاة الظهر صلى بالقوم، ثم قام للتطوع فأطال القيام، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه فقال لبعض من معه: انظر هل ترى تحت قميصي شيئا؟ فإذا زنبور قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعا، وقد تورم من ذلك جسده وكان آثار الزنبور في جسده ظاهرة، فقال له بعضهم: كيف لم تخرج من الصلاة في أول ما أبرك؟ فقال: كنت في سورة فأحببت أن أتمها.

حدثنا أبو المحاسن عبد الرزاق بن محمد الطبسي لفظا، قال سمعت الشيخ الإمام أبا محمد فضل الله بن محمد بن أحمد يقول: سمعت الإمام والدي أبا الفضل رحمه الله يقول: سمعت القاضي أبا بكر الحيري يقول: سمعت الإمام الزاهد أبا الحسن يوسف بن ابي ذر البخاري يقول: مرض محمد بن إسماعيل البخاري فعرض ماؤه على الأطباء فقالوا: لو أن هذا الماء ماء بعض أساقفة النصارى فإنهم لا يأتدمون، فصدقهم محمد بن إسماعيل وقال: لم أئتدم منذ أربعين سنة، فسألوا عن علاجه فقالوا: علاجه الإدام، فامتنع عن ذلك حتى ألح عليه المشايخ

ببخارى أهل العلم إلى أن أجابهم أن يأكل بقية عمره في كل يوم سكرة واحدة مع رغيف.

أخبرنا أبو القاسم الحسيني، وأبو الحسن الغساني، قالا: حدثنا أبو منصور ابن خيرون، أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي، حدثني أبو النجيب الأرموي، حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني، قال: سمعت أحمد بن علي السليماني يقول: سمعت علي بن محمد بن منصور يقول: سمعت أبي يقول: كنا في مجلس أبي عبد الله محمد بن إسماعيل فرفع إنسان من لحيته قذاه فطرحها على الأرض، قال: فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس، فلما غفل الناس رأيته مد يده فرفع القذاة من الأرض فادخلها في كمه، فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها فطرحها على الأرض.

أخبرنا أبو الحسن الموحد، أنبأنا أبو المظفر النسفي، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد، حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، حدثنا أبو سعيد بكر بن منير، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: مذ ولدت ما اشتريت من أحد بدرهم شيئا قط، ولا اشتريت من أحد بدرهم شيئا، فسألوه عن شراء الحبر والكواغد؟ فقال: كنت آمر إنسانا يشتري لي. قال: وأنبأنا محمد، حدثنا أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، حدثنا أبو سعيد بكر بن منير، قال: كان حمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه ابنه أحمد أبو حفص، فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية فطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم فقال لهم: انصرفوا الليلة. فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه تلك البضاعة بربح عشرة آلاف درهم فردهم وقال: إني نويت البارحة أن أدفع إليهم بما طلبوا، -يعني- الذين طلبوا أول مرة ودفع إليهم بربح خمسة آلاف درهم وقال: لا أحب أن أنقض نيتي.

قال: وأنبأنا محمد، حدثنا أبو عمرو المقرئ، قال: سمعت بكر بن منير يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني أغتبت أحدا. قال: وأنبأنا محمد، حدثنا أبو عمرو المقرئ قال: سمعت بكر بن منير يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: لا أعرف بخراسان مرجئا.

قال: وأنبأنا محمد، حدثنا أبو نصر محمد بن أحمد بن موسى البزاز قال: سمعت أبا بكر عبد الرحمن بن محمد بن علوية الأبهري يقول: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل البخاري.

أخبرنا أبو القاسم بن أبي الحسين، وأبو الحسن بن أبي العباس، قالا: حدثنا أبو منصور بن عبد الملك، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أنبأنا أبو حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم العبدوي، قال: سمعت محمد بن محمد بن العباس يقول: سمعت جدي أحمد بن عبد الله يقول: سمعت جدي محمد بن يوسف يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني وربما كنت أغرب عليه.

أخبرنا أبو الحسن بن البقشلان، أنبأنا هناد بن إبراهيم، أنبأنا محمد بن أحمد غنجار، حدثنا أبو علي الحسن بن يوسف بن يعقوب الخفاف، حدثنا إسحاق بن أحمد بن خلف، قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: ما تصاغر نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني، وما سمعت الحديث من في إنسان أشهى عندي أن أسمعه من في علي بن المديني وربما كنت أغرب عليه وأغرب.

قال: وأنبأنا محمد، حدثنا خلف بن محمد، حدثنا إسحاق بن أحمد بن خلف قال: سمعت ابن إسماعيل يقول: ما تصاغرت إلي نفسي إلا عند علي بن المديني. قال إسحاق: وسمعت أحمد بن عبد السلام يقول: ذكرنا قول محمد بن إسماعيل هذا لعلي بن المديني فقال: دعوا هذا فإن محمد بن إسماعيل لم ير مثل نفسه.

أخبرنا أبو القاسم الحسيني، وأبو الحسن المالكي، قال: حدثنا أبو منصور ابن خيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، حدثني عبد الله بن أحمد بن علي السوذرجاني لفظا، حدثنا علي بن محمد بن الحسن الفقيه، حدثنا خلف الخيام قال: سمعت إسحاق بن أحمد بن خلف يقول: سمعت محمد بن إسماعيل غير مرة يقول: ما تصاغرت نفسي عند أحدا إلا عند علي بن المديني، ما سمعت الحديث من في إنسان أشهى عندي أن أسمعه من في علي.

وقال إسحاق: حدثني حامد بن أحمد، قال: ذكر لعلي بن المديني قول محمد بن إسماعيل: ما تصاغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني، فقال: ذروا قوله، هو ما رأى مثل نفسه.

قال: وأنبأنا علي بن أبي علي المعدل، أنبأنا أبو نصر أحمد بن محمد بن إبراهيم الحازمي البخاري، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن حريث، حدثنا أحمد بن سلمة، حدثني فتح بن النيسابوري قال: أتيت علي بن المديني فرأيت محمد بن إسماعيل جالسا عن يمينه، وكان إذا حدث التفت إليه كأنه يهابه.

قال: وحدثني أبو النجيب الأرموي، حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني، أخبرني محمد بن إسحاق الوراق، حدثنا محمد بن حم، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: ذاكرني أصحاب عمرو بن علي بحديث فقلت لا أعرفه، فسروا بذلك وساروا إلى عمرو بن علي فقالوا له: ذاكرنا محمد بن إسماعيل البخاري بحديث فلم يعرفه، فقال عمرو بن علي: حديث لا يعرفه محمد ابن إسماعيل ليس بحديث.

أخبرنا أبو الحسن الموحد، أنبأنا أبو المظفر النسفي، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد، حدثنا خلف بن محمد، حدثنا أبو عمرو عامر بن المنتجع، حدثنا أحمد بن الضوء قال: سمعت أبا بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير، يقولان: ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل.

قال: وحدثنا خلف بن محمد، قال: سمعت أبا علي الحسين بن إسماعيل الفارسي يقول: سمعت محمد بن إبراهيم البوشنجي يقول: سمعت بندارا محمد بن بشار سنة ثمان وعشرين ومائتين، يقول: ما قدم علينا مثل محمد بن إسماعيل.

أخبرنا أبو القاسم العلوي، وأبو الحسن بن قبيس، قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، قال: قرأت على الحسين بن محمد أخي الخلال، عن أبي سعد الإدريسي، حدثني محمد بن حم بن ناقب البخاري بسمرقند، حدثنا محمد بن يوسف الفربري، حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: لما دخلت البصرة صرت إلى مجلس محمد بن بشار فلما خرج وقع بصره علي فقال: من أين الفتى؟ قلت: من أهل بخارى، قال: كيف تركت أبا عبد الله؟ فأمسكت، فقال له أصحابه: رحمك الله هو أبو عبد الله، فقام فأخذ بيدي وعانقني وقال: مرحبا بمن أفتخر به منذ سنين.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد، أنبأنا هناد بن إبراهيم، أنبأنا محمد بن أحمد البخاري، حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم قال: سمعت حاشد بن إسماعيل يقول: كنت بالبصرة فسمعت بقدوم محمد بن إسماعيل، فلما قدم قال محمد بن بشار: اليوم دخل سيد الفقهاء.

قال: وأنبأنا محمد، حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد، قال: سمعت محمد بن يوسف بن مطر يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم يقول: حدثني حاشد بن عبد الله بن عبد الواحد قال: سمعت يعقوب بن إبراهيم الدورقي يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

قال: وأنبأنا محمد، حدثنا أحمد بن أبي حامد الباهلي، قال: سمعت أبا سعيد حاتم بن محمد بن حازم يقول: سمعت موسى بن هارون الحمال ببغداد يقول عندي: لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن ينصبوا مثل محمد بن إسماعيل آخر ما قدروا عليه.

قال: وأنبأنا محمد، حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم قال: سمعت عبد الله بن سعيد بن جعفر يقول: سمعت العلماء بالبصرة يقولون: ما في الدنيا مثل محمد بن إسماعيل في المعرفة والصلاح، قال عبد الله بن سعيد: وأنا أقول مثل قولهم.

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم، وأبو الحسن علي بن أحمد، قالا: حدثنا أبو منصور محمد بن عبد الملك، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أخبرني الحسن بن محمد الأشقر.

ح وأنبأنا أبو طالب بن يوسف، وأبو نصر المعمر بن محمد البيع، قالا: أنبأنا أبو المظفر هناد بن إبراهيم النسفي، قالا: أنبأنا محمد بن أبي بكر، حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد التاجر، حدثنا محمد بن يوسف بن مطر، حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق قال: سمعت محمد بن قتيبة قريب أبي عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: كنت عند أبي عاصم النبيل فرأيت عنده غلاما فقال له من أين أنت؟ قال: من بخارى، قلت: ابن من ؟ فقال: ابن إسماعيل، فقلت له: أنت قرابتي فعانقته. فقال لي رجل في مجلس أبي عاصم: هذا الغلام يناطح الكباش.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن الموحد، أنبأنا أبو المظفر هناد بن إبراهيم، أنبأنا أبو عبد الله الغنجار، حدثنا أبو الحسن عبد الله بن موسى بن الحسين البغدادي، حدثنا عبد المؤمن بن خلف التميمي قال: سمعت الحسين بن محمد المعروف بعبيد لعجل يقول: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، ومسلم الحافظ لم يكن يبلغ محمد ابن إسماعيل. ورأيت أبا زرعة وأبا حاتم يستمعون إلى محمد بن إسماعيل أي شيء يقول يجلسون بجنبه، فذكرت له قصة محمد بن يحيى فقال: ما له ولمحمد بن إسماعيل، كان محمد بن إسماعيل أمة من الأمم، وكان أعلم من محمد بن يحيى بكذا وكذا، وكان محمد ابن إسماعيل دينا فاضلا يحسن كل شيء.

أخبرنا أبو القاسم الحسيني، وأبو الحسن الغساني، قالا: حدثنا أبو منصور ابن خيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، قال: وأخبرني محمد بن علي المقرئ، أنبأنا أبو مسلم عبد الرحمن بن محمد

بن عبد الله بن مهران الحافظ، أنبأنا عبد المؤمن بن خلف النسفي، قال: سألت أبا علي صالح بن محمد عن محمد بن إسماعيل، وأبي زرعة، وعبد الله ابن عبد الرحمن، فقال: عن أي شيء تسأل فهم مختلفون في أشياء؟ فقلت: من أعلمهم بالحديث؟ فقال: محمد بن إسماعيل، وأبو زرعة أحفظهم وأكثرهم حديثا، فقلت عبد الله ابن عبد الرحمن؟ فقال: ليس هو من هؤلاء في شيء.

قال وأنبأنا أبو بكر البرقاني، قال: قال محمد بن العباس العصمي: حدثنا يعقوب بن إسحاق بن محمود، قال: قال أبو علي صالح بن محمد الأسدي، وذكر البخاري فقال: ما رأيت خراسانيا أفهم منه.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد، أنبأنا هناد بن إبراهيم، أنبأنا محمد بن أحمد البخاري، حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أبي حاتم قال: وسمعت حاشد بن عبد الله يقول: قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر المديني: محمد بن إسماعيل أفقه ممن عندنا وأبصر، فقال رجل من جلسائه: جاوزت الحد فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت كلاهما واحد في الفقه والحديث. قال وسمعت حاشد بن إسماعيل يقول: رأيت إسحاق بن راهوية جالسا على السرير ومحمد بن إسماعيل معه، وإسحاق يقول: حدثنا عبد الرزاق حتى مر على حديث فأنكر عليه محمد بن إسماعيل فرجع إلى قول محمد، فقال إسحاق بن راهوية: يا معشر أصحاب الحديث أنظر إلى هذا الشاب واكتبوا عنه، فإنه لو كان في زمان الحسن بن أبي الحسن لاحتاج إليه الناس لمعرفته بالحديث وفهمه.

أخبرنا أبو سعد إسماعيل بن أبي صالح، وأبو الحسن مكي بن أبي طالب، قالا: أنبأنا أبو بكر بن خلف، أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، حدثني أبو سعيد أحمد بن محمد النسوي، حدثني أبو حسان مهيب بن سليم، قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: إعتللت بنيسابور علة خفيفة وذلك في شهر رمضان، فعادني إسحاق بن راهوية في نفر من أصحابه فقال لي: أفطرت يا أبا عبد الله؟ فقلت: نعم، فقال: خشيت أن تضعف عن قبول الرخصة! فقلت: اخبرنا عبدان عن ابن المبارك عن ابن جريج قال: قلت لعطاء من أي المرض أفطر؟ قال: من أي مرض كان كما قال الله عز وجل ﴿فمن كان منكم مريضا﴾ قال البخاري: ولم يكن هذا

عند إسحاق.

أخبرنا أبو الحسن بن البقشلان، أنبأنا أبو المظفر النسفي، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد، حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد التاجر، حدثنا محمد بن يوسف بن مطر، حدثنا محمد ابن أبي حاتم الوراق، قال: سمعت عمر بن حفص الأشقر يقول: سمعت عبدان يقول: ما رأيت بعيني شابا أبصر من هذا -وأشار بيده إلى محمد بن إسماعيل-

قال: وسمعت صالح بن مسمار يقول: سمعت نعيم بن حماد يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة. قال: وأنبأنا محمد بن أحمد، حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، وأبو نصر أحمد بن أبي حامد الباهلي، قال: سمعنا أبا سعيد بكر بن منير يقول، سمعت محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي يقول: كنت عند أبي حفص أحمد بن حفص أسمع كتاب الجامع - -جامع سفيان- من كتاب والدي، فمر أبو حفص على حرف ولم يكن عندي ما ذكر فراجعته، فقال: الثانية كذلك، فراجعته الثانية فقال كذلك، فراجعته الثالثة، سكت سويعة ثم قال: من هذا؟ فقالوا: هذا ابن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبة، فقال أبو حفص: هو كما قال وأحفظوا فإن هذا يصير يوما رجلا.

قال: أبو نصر الباهلي، سمعت بكر بن منير يقول: ابن بردزبة هو بالبخارية وبالعربية الزراع.

قال: وأنبأنا محمد حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا أبن أبي حاتم قال: سمعت أبا عمرو المستنير بن عتيق البكري يقول: سمعت رجاء بن المرجى يقول: فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء، فقال له رجل: يا أبا محمد كل ذلك بمرة؟ فقال: هو آية من آيات الله يمشي على ظهر الأرض.

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم، وأبو الحسن بن قبيس، قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي، قال: قرأت على الحسين بن محمد أخي الخلال، عن أبي سعد الإدريسي، حدثني محمد بن حم بن ناقب البخاري بسمرقند، حدثنا محمد بن يوسف الفربري، حدثنا محمد بن أبي حاتم قال: سمعت علي بن حجر يقول: أخرجت خراسان ثلاثة: أبا زرعة الرازي بالري، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى، وعبد الله بن عبد الرحمن بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل عندي أبصرهم وأعلمهم وأفقههم.

أخبرنا بها عالية أبو الحسن علي بن أحمد، أنبأنا هناد بن إبراهيم، أنبأنا أبو عبد الله غنجار،

حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد التاجر، حدثنا محمد بن يوسف بن مطر قال: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق يقول: سمعت علي بن حجر يقول: أخرجت خراسان ثلاثة: أبو زرعة، ومحمد بن إسماعيل ببخارى، وعبد الله بن عبد الرحمن بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل عندي أبصرهم وأعلمهم وأفقههم.

أخبرنا أبو القاسم النسيب، وأبو الحسن المالكي، قالا: حدثنا أبو منصور العطار، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أخبرني الحسن بن محمد بن الأشقر، أنبأنا محمد بن أبي بكر، حدثنا خلف بن محمد حدثنا أبو عمرو نصر بن زكريا المروزي، قال: سمعت أبا رجاء قتيبة بن سعيد يقول: شباب خراسان أربعة: محمد بن إسماعيل، وعبد الله بن عبد الرحمن، وزكريا بن يحيى اللؤلؤي، والحسن بن شجاع البلخي.

أخبرنا أبو الحسن الموحد، أنبانا أبو المظفر النسفي، أنبأنا أبو عبد الله البخاري، حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد التاجر، حدثنا محمد بن يوسف بن مطر، حدثنا محمد بن ابي حاتم الوراق، قال سمعت يحيى بن جعفر يقول: لو قدرت أن أزيد —يعني– من عمري في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموت محمد بن إسماعيل ذهاب العلم.

أخبرنا أبو القاسم العلوي، وأبو الحسن الزاهد، قالا: حدثنا أبو منصور بن عبد الملك، أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، أنبانا محمد بن نعيم الضبي، أخبرني أبو بكر محمد بن خالد المطوعي ببخارى، أنبأنا مسبح بن سعيد البخاري قال: سمعت عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي يقول: قد رأيت العلماء بالحرمين، والحجاز، والشام، والعراقين، فما رأيت فيهم أجمع من أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.

قال: وأنبأنا محمد بن نعيم الضبي، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ يقول: سمعت أبي يقول: رأيت مسلم بن الحجاج بين يدي محمد بن إسماعيل البخاري وهو يسأله سؤال الصبي المتعلم.

أخبرنا أبو الحسن الشافعي الموحد، أنبأنا هناد النسفي، أنبأنا محمد بن أحمد غنجار، حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن يوسف الشافعي، وخلف بن محمد، قالا: سمعنا أبا جعفر محمد بن يوسف بن الصديق الوراق يقول: سمعت عبد الله بن حماد الآملي يقول: وددت أني

شعرة في صدر محمد بن إسماعيل.

قال: وأنبأنا غنجار، أنبأنا خلف بن محمد، قال: سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر الخفاف يقول: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري التقي النقي العالم الذي لم أر مثله.

قال: وأنبأنا غنجار، حدثنا محمد بن سعيد حدثنا محمد بن يوسف، قال: قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم: وسمعت محمود بن النضر أبا سهل الشافعي يقول: دخلت البصرة، والشام، والحجاز، والكوفة، ورأيت علماءها، فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم.

قال: وأنبأنا غنجار، حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الخولاني، حدثنا أبو ذر محمد ابن محمد بن يوسف القاضي، قال: سمعت أبا معشر حمدوية بن الخطاب يقول: لما قدم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل من العراق قدمته الأخيرة، وتلقاه من تلقاه من الناس وازدحموا عليه وبالغوا في بره، فقيل له في ذلك وفيما كان من كرامة الناس وبرهم له فقال: فكيف لو رأيتم يوم دخولنا البصرة؟.

قال: وأنبأنا غنجار، قال: سمعت أبا صالح خلف بن محمد يقول: سمعت محمد بن يوسف بن عاصم يقول: رأيت لمحمد بن إسماعيل ثلاث مستملين ببغداد، وكان اجتمع في مجلسه زيادة على عشرين ألف رجل.

قال: وأنبأنا غنجار، حدثنا خلف بن محمد قال: سمعت إسحاق بن أحمد بن خلف يقول: سمعت أبا علي صالح بن محمد يقول: حزرت في مجلس محمد بن إسماعيل بضعة عشر أو خمسة عشر ألفا. قال: وأنبأنا غنجار، حدثنا خلف بن محمد حدثنا إسحاق بن أحمد بن خلف، قال: سمعت أبا سعيد الحسن بن محمد الذهبي يقول: حزرت في مجلس محمد بن إسماعيل عشرين ألفا، قال: وكان أبو علي صالح بن عبد محمد مستملي محمد بن إسماعيل ببغداد. أخبرنا أبو سعد إسماعيل بن أحمد بن عبد الملك، وابو الحسن مكي بن أبي طالب، قالا: أنبأنا أحمد بن علي بن خلف، أنبأنا أبو عبد الله الحاكم، قال: سمعت يحيى بن عمرو بن صالح الفقيه يقول: سمعت أبا العباس محمد بن عبد الرحمن الفقيه يقول: كتب أهل بغداد إلى محمد بن إسماعيل البخاري. ح وأخبرنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الملك، أنبأنا سعيد بن أحمد بن محمد قال: سمعت أبا بكر الجوزقي يقول: سمعت أبا العباس الدغولي يقول:

سمعت عبد المجيد بن إبراهيم يقول. ح وأخبرنا أبو الحسن الموحد، أنبأنا أبو المظفر النسفي، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد، حدثنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن حامد بن إدريس البخاري، ومحمد بن العباس بن أحمد الهروي، قالا: سمعنا محمد بن عبد الرحمن الدغولي يقول: سمعت عبد المجيد بن إبراهيم البوشنجي يقول: كتب إلى محمد بن إسماعيل البخاري من العراق:

المسلمون بخير ما بقيت لهم .... وليس بعدك خير حين تفتقد

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي الفقيه، وأبو الحسن عبيد الله بن محمد ابن أحمد، قالا: أنبأنا أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحافظ، أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانئ يقول: سمعت محمد بن علي الشحامي يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، عليه أدركنا علماء: أهل الحجاز، أهل مكة، والمدينة، وأهل الكوفة، والبصرة، وأهل الشام، ومصر، وعلماء أهل خراسان.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد، أنبأنا هناد القاضي، أنبأنا أبو عبد الله البخاري قال: سمعت أبا بشر محمد بن أحمد بن حاضر العبسي يقول: سمعت محمد بن يوسف بن مطر يقول: سألت محمد بن إسماعيل عن الإيمان؟ فقال: قول وعمل بلا شك، والقرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر.

أخبرنا أبو القاسم بن أبي الجن، وأبو الحسن بن قبيس، قالا: حدثنا أبو منصور العطار، أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي، أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، أنبأنا محمد بن نعيم الضبي قال: سمعت محمد بن حامد البزاز يقول: سمعت الحسن بن محمد ابن جابر يقول: سمعت محمد بن يحيى لما ورد محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور قال: اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح فاسمعوا منه، قال: فذهب الناس إليه وأقبلوا على السماع منه حتى ظهر الخلل في مجالس محمد بن يحيى فحسده بعد ذلك وتكلم فيه.

أخبرنا أبو القاسم الخضر بن الحسين بن عبدان، أنبأنا علي بن محمد المصيصي، أنبأنا عبد الله بن أحمد بن الحسن النيسابوري، حدثنا أبو العباس أحمد بن الحسن الرازي، حدثنا أبو

أحمد بن عدي قال: ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل لما ورد نيسابور اجتمع الناس عليه وعقد له المجلس، حسده من كان في ذلك الوقت من مشايخ نيسابور لما رأى إقبال الناس إليه واجتماعهم. فقال لأصحاب الحديث: إن محمد بن إسماعيل يقول اللفظ بالقرآن مخلوق فامتحنوه به في المجلس، فلما حضر الناس مجلس البخاري قام إليه رجل فقال: يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجبه، فقال الرجل: يا أبا عبد الله! وأعاد عليه القول، فأعرض عنه ولم يجبه، ثم قال في الثالثة فالتفت إليه محمد بن إسماعيل، قال: القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة، فشغب الرجل وشغب الناس وتفرقوا عنه، وقعد البخاري في منزله.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد، أنبأنا القاضي أبو المظفر هناد بن إبراهيم النسفي، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد البخاري، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد ابن حمدان بن غارم الزندي، وأبو عمرو أحمد بن عمر المقرئ، قالا: حدثنا أبو سعيد حاتم بن أحمد بن محمود الكندي، قال سمعت مسلم بن الحجاج يقول: لما قدم محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور ما رأيت واليا ولا عالما فعل به أهل نيسابور ما فعلوا بمحمد بن إسماعيل، استقبلوه من مرحلتين وثلاث مراحل. وقال محمد بن يحيى الذهلي في مجلسه: من اراد أن يستقبل محمد بن إسماعيل غدا فليستقبله فإني استقبله، فاستقبله محمد بن يحيى وعامة علماء أهل نيسابور، فدخل البلد فنزل دار البخاريين، قال: فقال لنا محمد بن يحيى: لا تسألوه عن شيء من الكلام فإنه إن أجاب بخلاف ما نحن فيه وقع بيننا وبينه، ثم شمت بنا كل حروري، وكل رافضي، وكل جهمي، وكل مرجئ بخراسان. قال فازدحم الناس على محمد بن إسماعيل حتى امتلأ الدار والسطوح، قال: فلما كان يوم الثاني أو الثالث قام إليه رجل فسأله عن اللفظ بالقرآن؟ فقال: أفعالنا مخلوقة وألفاظنا من أفعالنا، قال: فوقع بين الناس اختلاف، فقال بعضهم قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وقال بعضهم: لم يقل، فوقع بينهم اختلاف حتى تواثب بعضهم إلى بعض، فاجتمع أهل الدار فاخرجوا الناس من الدار.

أخبرنا أبو عبد الله الفراوي، وأبو الحسن سبط البيهقي، قالا: أنبأنا أبو بكر البيهقي، أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو بكر محمد بن أبي الهيثم المطوعي ببخارى، أنبأنا محمد بن يوسف الفربري، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري يقول: أما أفعال العباد

مخلوقة، فقد حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا مروان بن معاوية، حدثنا أبو مالك، عن ربيع بن خراش، عن حذيفة، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أن الله يصنع كل صانع وصنعته)، وتلا بعضهم ذلك ﴿والله خلقكم وما تعملون ﴾. قال أبو عبد الله البخاري: وسمعت عبيد الله ابن سعيد يقول: سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: أفعال العباد مخلوقة. قال البخاري: حركاتهم وأصواتهم وأكسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور والمكتوب الموعى في القلوب فهو كلام الله ليس بمخلوق، قال الله عز وجل ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾، قال البخاري: وقال إسحاق بن إبراهيم: فأما الأوعية فمن يشك في خلقها، قال الله عز وجل ﴿وكتاب مسطور في رق منشور ﴾ وقال ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾، فذكر أنه يحفظ ويسطر وقال: ﴿ وما يسطرون ﴾ قال محمد بن إسماعيل: حدثنا روح بن عبد المؤمن، حدثنا يزيد بن زريع، أنبأنا سعيد عن قتادة ﴿ والطور وكتاب مسطور ﴾ قال: المسطور المكتوب، ﴿في رق منشور ﴾ هو الكتاب. قال محمد بن إسماعيل: حدثنا آدم، حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿وكتاب مسطور﴾ صحف مكتوبة ﴿ في رق منشور ﴾ في صحف.

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم، وأبو الحسن المالكي، قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أنبأنا أحمد بن محمد بن غالب، أنبأنا أبو بكر الإسماعيلي، أنبأنا عبد الله بن محمد بن سيار، حدثني محمد بن خشنام، وسمعه يقول: سئل محمد بن إسماعيل بنيسابور عن اللفظ فقال: حدثني عبيد الله بن سعيد -يعني أبا قدامة- عن يحيى بن سعيد، قال: أعمال العباد كلها مخلوقة، فمرقوا عليه، قال: فقالوا له بعد ذاك ترجع عن هذا القول حتى يعودوا إليك، قال: لا أفعل إلا أن تجيئوا بحجة فيما تقولون أقوى من حجتي، وأعجبني من محمد بن إسماعيل ثباته.

أخبرنا أبو القاسم بن عبدان، أنبأنا أبو القاسم بن أبي العلاء، أنبانا أبو محمد النيسابوري، حدثنا أبو العباس الرازي، أنبأنا أبو أحمد بن عدي، قال: سمعت أبا بكر الإسماعيلي يقول: سمعت الفرهياني يقول: قيل لمحمد بن إسماعيل ترجع عما قلت ليعود الناس إليك! قال: لا حاجة لي فيهم.

أخبرنا أبو القاسم النسيب، وأبو الحسن بن قبيس، قالا: حدثنا أبو منصور بن عبد الملك، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أنبانا أبو سعيد محمد بن حسنوية بن إبراهيم البيوردي، أنبأننا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون، قال: سمعت أبا حامد الشرقي يقول: سمعت محمد بن يحيى يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق من جميع جهاته وحيث يتصرف، فمن لزم استغنى عن اللفظ وعما سواه من الكلام في القرآن، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر وخرج عن الإيمان وبانت منه امرأته، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وجعل ماله فيئا بين المسلمين ولم يدفن في مقابر المسلمين، ومن وقف وقال لا أقول مخلوق أو غير مخلوق فقد ضاهى الكفر، ومن زعم ان لفظي بالقرآن مخلوق فهذا مبتدع لا يجالس ولا يكلم، ومن ذهب بعد مجلسنا هذا إلى محمد بن إسماعيل البخاري فاتهموه فأنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مثل مذهبه.

قال: وأنبأنا أبو حازم العبدوي، قال: سمعت الحسن بن أحمد بن شيبان يقول: سمعت أبا حامد الأعمشي يقول: رأيت محمد بن إسماعيل البخاري في جنازة أبي عثمان سعيد بن مروان ومحمد بن يحيى يسأله عن الأسامي والكنى وعلل الحديث، ومر فيه محمد بن إسماعيل مثل السهم كأنه يقرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾، فما أتى على هذا شهر حتى قال محمد بن يحيى: ألا من يختلف إلى مجلسه لا يختلف إلينا، فإنهم كتبوا إلينا من بغداد أنه تكلم في اللفظ ونهيناه فلم ينته، ولا تقربوه ومن يقربه فلا يقربنا، فأقام محمد بن إسماعيل ههنا مدة وخرج إلى بخارى.

أخبرنا أبو القاسم بن عبدان، أنبأنا أبو القاسم بن أبي العلاء، أنبأنا أبو محمد عبد الله ابن أحمد، حدثنا أحمد بن إسماعيل الرازي، حدثنا أبو أحمد بن عدي، قال: سمعت عبد المجيد يقول: سمعت أبي يقول: سمعت حيكان بن محمد بن يحيى يقول: قلت لأبي: يا أبة ما لك ولهذا الرجل- يعني محمد بن إسماعيل- ولست من رجاله في العلم ؟ قال: رأيته بمكة يتبع شمخصة كوفي قدري، فبلغ ذلك محمد بن إسماعيل فقال: دخلت مكة ولم أعرف بها أحدا من المحدثين، وكان شمخصة هذا قد عرف المحدثين فكنت أتبعه ليفيدني من المحدثين فأي عتب في هذا ؟!

أخبرنا أبو الحسن بن البقشلان، أنبأنا هناد بن إبراهيم، أنبأنا أبو عبد الله الغنجار، حدثنا أبو

صالح خلف بن محمد بن إسماعيل، قال: سمعت أبا عمر أحمد بن نصر بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالخفاف ببخارى يقول: كنا يوما عند أبي إسحاق القرشي ومعنا محمد بن نصر المروزي، فجرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري فقال محمد بن نصر: سمعته يقول من زعم أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب فإني لم أقله، فقلت له: يا أبا عبد الله فقد خاض الناس في هذا وأكثروا فيه، فقال: ليس إلا ما أقول وأحكي له عني . قال أبو عمرو الخفاف: فأتيت محمد بن إسماعيل فناظرته في شيء من الحديث حتى طابت نفسه، فقلت: يا أبا عبد الله ههنا رجل يحكي عنك أنك قلت هذه المقالة! فقال لي: يا أبا عمرو أحفظ ما أقول: من زعم من أهل نيسابور، وقومس، والري، وهمذان، وحلوان، وبغداد، والكوفة، والمدينة، ومكة، والبصرة، أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب، فإني لم أقل هذه المقالة إلا أني قلت أفعال العباد مخلوقة.

قال: وأنبأنا أبو عبد الله، حدثنا أبو نصر أحمد بن سهل بن حمدوية، حدثنا أبو العباس الفضل بن بسام، قال سمعت إبراهيم بن محمد يقول: أنا توليت دفن محمد بن إسماعيل لما مات بخرتنك ، أردت حمله إلى مدينة سمرقند لأجل أن أدفنه بها فلم يتركني صاحب لنا من أهل سكجكث فدفناه بها، فلما أن فرغنا ورجعت إلى المنزل الذي كنت فيه، قال لي صاحب القصر: قال سألته أمس قلت: يا أبا عبد الله ما تقول في القرآن؟ قال: القرآن كلام الله غير مخلوق. قال: فقلت له إن الناس يزعمون أنك تقول ليس في المصاحف قرآن ولا في صدور الناس، فقال: أستغفر الله أن تشهد علي بشيء لم تسمعه مني، إني أقول كما قال الله ﴿ والطور وكتاب مسطور﴾، أقول: في المصاحف قرآن وفي صدور الناس قرآن فمن قال غير هذا يستتاب فإن تاب وإلا فسبيله سبيل الكفر .

قال: وأنبأنا أبو عبد الله، قال: سمعت أبا عمرو أحمد بن محمد المقرئ يقول: سمعت أبا سعيد بكر بن منير بن خليد بن عسكر يقول: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل أن أحمل إلى كتاب الجامع والتاريخ وغيرهما لأسمع منك! فقال محمد بن إسماعيل لرسوله: أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فاحضرني في مسجدي أو في داري، وإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، لأني لم أكتم العلم لقول النبي ﷺ: (من سئل عن

علم فكتمه ألجم بلجام من نار)، قال: فكان سبب الوحشة بينهما هذا.
أخبرنا أبو القاسم العلوي، وأبو الحسن الغساني، قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أخبرني محمد بن علي بن أحمد المقرئ، أنبأنا محمد ابن عبد الله الحافظ، قال: سمعت محمد بن العباس الضبي يقول: سمعت أبا بكر بن أبي عمرو الحافظ يقول: كان سبب مفارقة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري البلد -يعني بخارى- أن خالد بن أحمد الذهلي الأمير خليفة الطاهرية ببخارى، سأل أن يحضر منزله فيقرأ الجامع والتاريخ على أولاده فامتنع أبو عبد الله عن الحضور عنده، فراسله أن يعقد مجلسا لأولاده لا يحضره غيرهم فامتنع عن ذلك أيضا وقال: لا يسعني أن أخص بالسماع قوما دون قوم، فاستعان خالد بن أحمد بحريث بن أبي الورقاء وغيره من اهل العلم ببخارى عليه حتى يكلموه في مذهبه ونفاه عن البلد فدعا عليهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل فقال: اللهم أرهم ما قصدوني به في أنفسهم أولادهم وأهاليهم. فأما خالد فلم يأت عليه إلا أقل من شهر حتى ورد أمر الطاهرية بأن ينادى عليه، فنودي عليه وهو على أتان وأشخص على أكاف ثم صار عاقبة أمره إلى ما قد اشتهر وشاع. وأما حريث بن أبي الورقاء فإنه ابتلى باهله فرأى فيها ما يجل عن الوصف، وأما فلان أحد القوم وسماه فإنه ابتلي بأولاده أراه الله فيهم البلايا.
قال الخطيب: وحدثني محمد بن أبي الحسن الساحلي، أنبأنا أحمد بن الحسن الرازين قال: سمعت أبا أحمد بن عدي يقول:

ح وأخبرنا أبو القاسم الأزدي، أنبأنا أبو القاسم المصيصي، أنبأنا أبو محمد النيسابوري الخفاف، حدثنا أبو العباس أحمد بن الحسن الرازي، حدثنا أبو أحمد بن عدي، قال: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد بن إسماعيل إلى خرتنك قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها وكان له بها أقرباء فنزل عندهم، قال: فسمعته ليلة من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يدعو ويقول في دعائه: اللهم أنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت فاقبضني إليك، قال: فما تم الشهر حتى قبضه الله تعالى وقبره بخرتنك.
أخبرنا أبو القاسم بن أبي الجن، وأبو الحسن بن أبي العباس، قالا: حدثنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أنبأنا علي بن أبي حامد الأصبهاني في كتابه، حدثنا محمد بن محمد بن مكي الجرجاني قال: سمعت عبد الواحد بن آدم الطواويسي، قال: رأيت النبي

ﷺ ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع ذكره، فسلمت عليه فرد السلام فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ فقال: أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري، فلما كان بعد ايام بلغني موته فنظرنا فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت النبي ﷺ فيها.

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم، حدثنا أبو بكر الخطيب، أنبأنا السمسار، أنبأنا الصفار، أنبأنا ابن قانع: أن محمد بن إسماعيل البخاري مات في سنة ست وخمسين ومائتين.

قرأت على أبي محمد السلمي، عن ابي محمد التميمي، أنبأنا مكي بن محمد، أنبأنا أبو سليمان بن زبر، قال: وفيها -يعني سنة ست وخمسين ومائتين- مات محمد بن إسماعيل البخاري.

أخبرنا أبو الحسن الموحد، أنبأنا أبو المظفر النسفي، أنبأنا أبو عبد الله البخاري، حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، وأبو عبيد أحمد بن عروة بن أحمد بن إبراهيم، قالا: سمعنا أبا حسان مهيب بن سليم بن مجاهد يقول: توفي أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ليلة السبت ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين.

أخبرنا أبو القاسم العلوي، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أخبرني أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الماليني قراءة عليه. ح وأخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأنا أبو القاسم بن مسعدة، أنبأنا حمزة بن يوسف، قالا: أنبأنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ، قال: سمعت الحسن بن الحسين البزار ببخارى يقول: توفي محمد بن إسماعيل ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت لغرة شوال من سنة ست وخمسين ومائتين، زاد حمزة: عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما ".

26- فوائد ابن بشكوال

أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود ابن بشكوال القرطبي (ت 578هـ)

قال رحمه الله في " الفوائد المنتخبة والحكايات المستغربة"[1] : "من أخبار محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله.

أنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز رحمه الله قراءة عليه وأنا أسمع، قال: قرأت على أبي عبد الله محمد بن سعدون، قال: نا محمد بن علي الغازي، قال: نا أبو عبد الله بن البيع، قال: سمعت أبا الطيب محمد بن أحمد المذكر، يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق، يقول: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخاري.

وأخبرنا أبو عبد الله، أنا محمد بن سعدون، نا محمد بن علي، نا ابن البيع، قال: سمعت أبا زكرياء يحيى بن عمرو بن صالح الفقيه، يقول: سمعت محمد بن عبد الرحمن، أنا العباس الفقيه يقول: كتب أهل بغداد إلى محمد بن إسماعيل البخاري: المسلمون بخير ما بقيت لهم ... وليس بعدك خير حين تفتقد.

قرأت بخط أبي عمرو عثمان بن أبي بكر السفاقسي، وأخبرني به أبو محمد بن عباب عنه، قال: ومن أراد الإطلاع على الحديث وشرفه فعليه بكتاب محمد بن إسماعيل البخاري، فإني سمعت محمد بن علي الحافظ يقول: سمعت أبا أحمد الحاكم الحافظ، يقول: كان البخاري أحد الأئمة في معرفة الحديث وجمعه، ولو قلت إني لم أر تصنيفا يفوق تصنيفه في المبالغة والحسن، أو لم أسمع بآدمي يسروِل في باب الحديث مثله، رجوت أن أكون صادقا في قوله.

قال أبو عمرو: سمعت إسماعيل بن عبد الرحمن الحافظ، يقول: سمعت محمد بن عبد الله الحافظ، يقول: سمعت أبا نصر الكرابيسي الحافظ، يقول: سمعت أبا بكر بن خزيمة الإمام بلا مدافعة، يقول: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد بن إسماعيل البخاري.

---

[1] الفوائد المنتخبة والحكايات المستغربة لابن بشكوال ج397/1-407 ط دار ابن حزم

قال أبو عمرو: سمعت أبا الحسين الكازروني، يقول: سمعت إبراهيم بن محمد الرازي، يقول: سمعت المحاملي، يقول: سمعت أبا عمرو الخفاف، يقول: ما أرى كان منذ مائة سنة رجلا أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخاري ولا علي بن المديني ولا يحيى بن معين، حجة من حجج الله تعالى على أهل الأرض ميزان من موازين الله في الأرض، فلقد لقيت أكثر من خمسمائة عالم، فما رأيت مثله.

قال أبو عمرو: سمعت أحمد بن عبد الله، يقول: سمعت عبد الله بن محمد، يقول: سمعت إسحاق بن أحمد، يقول: سمعت البخاري يقول في حديث: "لا تزال طائفة من أمتي..." قال: هم أصحاب الحديث.

قرأت على القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بجامع قرطبة صانه الله، قال: أنا أبو محمد السراج، قال: أنا أبو بكر بن ثابت، قال: قرأت على محمد بن أحمد بن يعقوب، عن محمد بن عبد الله الحافظ قال: سمعت خلف بن محمد البخاري، يقول: سمعت إبراهيم بن معقل، يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، يقول: كنا ثلاثة أو أربعة على باب علي بن عبد الله، فقال: إني لأرجو أن تأويل هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم" إني لأرجو أن تأويل هذا الحديث أنتم، لأن التجار قد شغلوا أنفسهم بالصناعات، والملوك قد شغلوا أنفسهم بالمملكة، وأنتم تحيون سنة النبي.

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني مكاتبة، قال: سمعت أحمد بن حمد بن القاسم الأردستاني في آخرين بأصبهان، قالوا: سمعنا أبا عثمان سعيد بن أحمد بن نعيم النيسابوري، قال: سمعت أبا محمد الحسن بن أحمد بن مخلد المعدل، يقول: سمعت أحمد بن حمدون الأعمشي، يقول: سمعت مسلم بن الحجاج يقول لمحمد بن إسماعيل البخاري: لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك.

قال: وسمعت الأعمشي، يقول: رأيت محمد بن إسماعيل البخاري في جنازة أبي عثمان سعيد بن مروان، ومحمد بن يحيي يسأله عن الأسامي والكنى في علل الحديث، ويمر فيه محمد بن إسماعيل مثل السهم كأنه يقرأ قل هو الله أحد.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز سماعا، قال: قرأت على أبي عبد الله القروي، قال: أنا محمد بن علي الغازي، قال: نا أبو عبد الله البيع، قال: حدثني أبو سعيد أحمد بن محمد النسوي، قال: نا أبو حسان صهيب بن سليم، قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري، يقول: اعتللت بنيسابور علة خفيفة وذلك في شهر رمضان، فعادني إسحاق بن راهويه في نفر من أصحابه، فقال لي: أفطرت يا أبا عبد الله؟ فقلت: نعم، فقال: خشيت أن تضعف عن قبول الرخصة، فقلت: أنا عبدان، عن ابن المبارك، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء من أي المرض أفطر؟ قال: من أي مرض كان كما قال الله: {فمن كان منكم مريضا} [سورة البقرة الآية: 183]. قال البخاري: ولم يكن عند إسحاق هذا الحديث.

أخبرنا القاضي الإمام أبو علي حسين بن محمد الصدفي إجازة خطها بيده، قال: أنا عبد الله بن محمد بن أبي نصر الحميدي، قال: نا أبو القاسم رمضان بن علي بن عبد السلام بقراءتي عليه بتنيس، قال: نا أبو القاسم ميمون ابن القاسم بن الأصبغ بن غزوان، قال: نا أبو بكر أحمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بابن الحداد، قال: نا أبو محمد عبد الله بن علي بن الجارود، قال: نا بكر بن أسباط – قال أبو محمد: وكان من أهل السنة، قال: قرأت على محمد بن إسماعيل البخاري سورة من القرآن، فقلت له: هذا المسموع الذي وقع في أذنك من قراءتي، ايش هو؟ قال: كلام الله غير مخلوق.

وأخبرنا أبو علي، قال: أنا الحميدي، قال: نا رمضان، قال: نا ميمون بن القاسم، قال: حدثنا أبو بكر بن الحداد، قال: نا أبو سعيد المفضل بن محمد الجندي بمكة، قال: رأيت

محمد بن إسماعيل البخاري في هاهنا سنة تسع وأربعين، وإن له لجلالة عند أصحاب الحديث، ويقولون: هذا أمير المؤمنين في الحديث.

وأخبرنا أبو محمد بن عباب وغيره إجازة، عن أبي عمر النمري، قال: نا أبو القاسم خلف بن أحمد الأموي، نا أحمد بن سعيد بن حزم، نا صالح بن محمد بن شاذان بمكة، قال: نا إسحاق بن هبيرة بن معبد الخرساني، قال: سئل محمد بن إسماعيل البخاري عن دواء الحفظ، فقال: مداومة النظر في الكتب.

وأخبرني أبو بكر ابن العربي، قال: أنا أبو محمد جعفر ابن أحمد، قال: أنا أبو بكر بن ثابت، قال: أخبرني أبو الوليد الحسن بن محمد الدربندي، قال: أنا محمد بن أحمد بن سلمان، قال: نا أبو نصر أحمد بن أبي حامد الباهلي، قال: سمعت إسحاق بن أحمد بن خلف، يقول: سمعت أبا علي صالح بن محمد البغدادي، يقول: كان محمد بن إسماعيل يجلس ببغداد، وكنت أستملي له، ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفا.

أخبرنا الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري بقراءتي عليه بمدينة إشبيلية، ونقلته من كتابه سنة ست عشرة وخمسمائة، قال: أنا الأمير أبو محمد هبة الله بن محمد الأكفاني بدمشق يوم عرفة لفظا، نا عبد العزيز بن أحمد أبو محمد الكتاني الحافظ لفظا، نا أبو عصمة نوح بن نصر بن محمد بن أحمد الفرغاني ببغداد سنة سبع عشرة، قال: سمعت أبا المظفر عبد الله بن محمد بن جبريل بن من الخزرجي بنسف، وأبا بكر محمد بن عيسى بن عبد الله البخاري بكس، يقولان: سمعنا أبا ذر عمار ابن محمد بن مخلد التميمي البغدادي، يقول: سمعت أبا المظفر محمد بن أحمد بن حامد بن الفضيل البخاري يقول: لما عزل أبو العباس الوليد بن إبراهيم بن زيد الهمداني عن قضاء الري، وورد بخارى سنة ثمان عشرة وثلاثمائة لتجديد مودة كانت بينه وبين أبي الفضل البلعمي، فنزل في جوارنا، قال: فحملني إليه معلمي أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الختلي، فقال له: أسألك أن تحدث هذا الصبي بما سمعت من

مشايخك، قال: ما لي سماع، قال: فكيف وأنت فقيه؟ فما هذا؟ قال: لأني لما بلغت مبلغ الرجال تاقت نفسي إلى معرفة الحديث ودراسة الأخبار وسماعها، فقصدت محمد بن إسماعيل البخاري صاحب التاريخ، والمنظور إليه في معرفة الحديث، وأعلمته بمرادي، وسألته الإقبال على ذلك، فقال لي: يا بني لا تدخل في أمر إلا بعد معرفة حدوده والوقوف على مقاديره، فقلت له: عرفني رحمك الله حدود ما قصدتك له، ومقادير ما سألتك عنه.

فقال لي: اعلم أن الرجل لا يصير محدثا كاملا في حديثه إلا بعد أن يكتب أربعا مع أربع، كأربع مثل أربع، في أربع عند أربع، فأربع على أربع، عن أربع لأربع، وكل هذه الرباعيات لا تتم إلا بأربع في أربع، فإذا تمت له كلها هان عليه أربع، وابتلي بأربع، فإذا صبر على ذلك أكرمه الله تعالى في الدنيا بأربع، وأثابه في الآخرة بأربع.

قال: قلت له: فسر لي رحمك الله ما ذكرت من أحوال هذه الرباعيات، عن قلب صاف، بشرح كاف، وبيان شاف، طلبا للأجر الواف، فقال: نعم، أما الأربعة التي تحتاج إلى كتبتها هي أخبار الرسول وشرائعه، والصحابة ومقاديرهم، والتابعين وأحوالهم، وسائر العلماء وتواريخهم، مع أسماء رجالهم، وكناهم، وأمكنتهم، وأزمنتهم، كالتحميد مع الخطب، والدعاء مع الرسل، والبسم مع السور، والتكبير مع الصلوات، مثل المسندات، والمرسلات، والموقوفات، والمقطوعات، في صغره، وفي إدراكه، وفي كهولته، وفي شبابه، عند فراغه، وعند شغله، وعند فقره، وعند غناه، فالجبال، والبحار، والبلدان، والبراري، على الأحجار، والأصداف، والجلود، والأكتاف، إلى الوقت الذي يمكنه نقلها إلى الأوراق، عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه، وعن كتاب أبيه يتيقن أنه بخط أبيه دون غيره، لوجه الله تعالى، طالبا لمرضاته، والعمل بما وافق كتاب الله منها، ونشرها بين طالبيها ومحبيها، والتأليف في إحياء ذكره بعده.

ثم لا تتم هذه الأشياء إلا بأربع هي من كسب العبد، أعني: معرفة الكتابة، واللغة، والصرف، والنحو، مع أربع من عطاء الله تعالى، أعني: القدرة، والصحة، والحرص، والحفظ، فإذا تمت له هذه الأشياء كلها هان عليه أربع: الأهل، والولد، والمال، والوطن، وابتلي بأربع: بشماتة الأعداء، وملامة الأصدقاء، وطعن الجهلاء، وحسد العلماء، فإذا صبر على هذه المحن أكرمه الله في الدنيا بأربع: بعز القناعة، وبهيبة النفس، ولذة العلم، وحبرة الأبد، وأثابه في الآخرة بأربع: بالشفاعة لمن أراد من إخوانه، وبظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، ويسقي من أراد من حوض نبيه، وبجوار النبيين في أعلى عليين في الجنة.

فقد أعلمتك يا بني مجملا جميع ما كنت سمعته من مشايخي مفترقا في هذا الباب، فأقبل الآن على ما قصدتني له أو دع. قال: فهالني قوله، فسكت متفكرا، وأطرقت نادما، فلما رأى ذلك مني قال: وإلا تظن احتمال هذه المشاق كلها فعليك بالفقه الذي يمكنك تعلمه وأنت في بيتك، قار ساكن، لا تحتاج إلى بعد الأسفار، ووطء الديار، وركوب البحار، وهو مع ذا ثمرة الحديث، وليس ثواب الفقيه بدون ثواب المحدث في الآخرة، ولا عزه بأقل من عز المحدث، قال: فلما سمعت ذلك نقض عزمي في طلب الحديث، وأقبلت على دراسة الفقه وتعلمه إلى أن صرت فيه متقدما، ووقفت على علم ما أمكنني من علمه بتوفيق الله ومنه، فلذلك لم يكن عندي ما أمليه على هذا الصبي يا إبراهيم، قال: فقال له أبو إبراهيم: إن هذا الحديث الواحد الذي لا يوجد عند غيرك خير للصبي من ألف حديث يجده عند غيرك".

27- أسامي شيوخ البخاري وكناهم وأنسابهم وتواريخ وفياتهم وأسامي من رووا عنهم وكناهم وأنسابهم[1]

الحسن بن محمد بن الحسن رضي الدين الصغاني (650هـ)

قال رحمه الله:" بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وصحابته وصحابتهم أجمعين .

قال الملتجئ إلى حرم الله تعالى الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي بن إسماعيل العمري الصغاني، أنزله الله من التقوى منزلة يغبطه بها المتقون، ويستأنس بمكان قبره أهل المعلاة والحجون. هذا كتاب جمعت فيه أسامي شيوخ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف البخاري الجعفي _قدس الله روحه، ونور ضريحه_ الذين ذكرهم في «الجامع الصحيح» فقط؛ فإن شيوخه _رحمه الله تعالى وإياهم_ فيهم كثرة، والحاجة بمن يعنى بمعرفة كتابه إلى معرفتهم أمس .

ورتبتها على حروف المعجم؛ تسهيلا على الطالب، والله ولي التوفيق.

وقبل أن نشرع في ذكر شيوخه نذكر شيئا من فضائله:

ذكر أبو سعد محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الإدريسي الإستراباذي، صاحب «تأريخ سمرقند»، فيه؛ وقال: حدثني محمد بن حم البخاري: حدثنا محمد بن يوسف الفربري: حدثنا أبو جعفر محمد بن أبي حاتم؛ قال: سمعت أبا منصور غالب بن جبرئيل _وهو الذي نزل عليه البخاري_: أنه لما دفن فاحت من تراب قبره رائحة المسك، أطيب من المسك، فدام ذلك أياما، ثم علت سوار بيض في السماء مستطيلة بحذاء قبره؛ فجعل الناس يختلفون، ويتعجبون، وأما التراب؛ فإنهم كانوا يرفعونه من القبر؛ حتى ظهر اللبن، فلم نقدر على حفظ

---

[1] أسامي شيوخ البخاري وكناهم وأنسابهم وتواريخ وفياتهم وأسامي من رووا عنهم وكناهم وأنسابهم ص41. ت حسنين سلمان مهدي. دار الكمال المتحدة

القبر بالحراس، وغلبنا على أنفسنا، فنصبنا على القبر خشبا مسندة، لم يقدر أحد على الوصول إلى القبر، فكانوا يرفعون مما حول القبر من التراب، ولم يكونوا يخلصون إلى القبر.

وأما الريح الطيبة؛ فإنها قد دامت أياما كثيرة؛ حتى تحدث بها أهل البلد، وتعجبوا من ذلك، وظهر عند مخالفيه أمره بعد وفاته، وخرج بعض مخالفيه إلى قبره وأظهروا التوبة والندامة على ما كانوا شرعوا فيه من مذموم المذهب.

ودفن بقرية على فرسخين من سمرقند، تدعى الآن بـ (خرتنك)؛ وإنما سميت بذلك لأن الناس استأجروا الحمير من سمرقند للذهاب إليها والصلاة عليه، حتى ضاقت الحمر في البلد، فكان يكترى حمار بجملة، و(خر) بالفارسية: الحمار، و(تنك): الضيق، وكانت القرية اسمها قبل ذلك: (جرماباذ).

وقال أبو حامد الأنماطي _هكذا يقول أصحاب الحديث، والصواب: النمطي_: كنت ببغداد ويحيى بن معين وأحمد بن محمد بن حنبل والبخاري يناظرون، فلما قام البخاري قال أحمد ليحيى: ترى هذا الخراساني أرجح منا؟ قال: بكثير!

وكتب إلى البخاري من بغداد:

المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة _وهو إمام أهل الحديث_: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من البخاري.

وكان مسلم بن الحجاج صاحب «الصحيح» يسأل البخاري سؤال الصبي المتعلم المعلم، وكان مسلم يقبل ما بين عيني البخاري ويقول: دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، ويا طبيب الحديث في علله، أشهد أنه: لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أنه: ليس في الدنيا مثلك.

وذهبت عينا البخاري في صغره، فرأت والدته إبراهيم الخليل صلوات الله عليه في المنام، فقال لها: يا هذه، قد رد الله على ابنك بصره؛ بكثرة بكائك. أو: بكثرة دعائك. فأصبح وقد رد الله عليه بصره.

ورأى محمد بن الفضيل البخاري والي خوارزم _بها_ في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه يخرج من المدينة راجلا، والبخاري على أثره، كلما رفع النبي صلى الله عليه وسلم قدمه، وضع البخاري قدمه في ذلك المكان.

وحج البخاري مع والده وهو ابن ست عشرة سنة، وتخلف بمكة _حرسها الله تعالى_ في طلب الحديث، فلما طعن في الثامنة عشرة جعل يصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم.

قال البخاري: صنفت كتاب «التأريخ» عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، في الليالي المقمرة، وقل اسم في «التأريخ» إلا وله عندي قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتاب.

قال: وأخرجت «الجامع الصحيح» من زهاء ست مئة ألف حديث مسموع، وجعلته حجة بيني وبين الله تعالى، وكتبت تراجم أبوابه بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره، وما وضعت فيه حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.

وقال الفربري: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي: أين تريد؟ قلت: أريد محمد بن إسماعيل البخاري. فقال: أقرئه مني السلام.

ولما دخل البخاري بغداد عمد أصحاب الحديث إلى مئة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوها إلى عشرة رجال، إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم أن يحضروا المجلس ويلقوا ذلك على البخاري، وأخذوا المواعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث، من الغرباء من أهل خراسان وغيرها، ومن البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاري: لا أعرفه. فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه. فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد، حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه. فكان

الفهماء ممن حضر يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: فهم الرجل. وغيرهم يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهـم، ثم انتدب رجل آخر من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه. إلى آخر العشرة، فلم يزل يلقي عليه واحد بعد واحد، حتى فرغوا من المئة، والبخاري لا يزيدهم على: لا أعرفه.. فلما فرغوا التفت إلى الأول منهم، فقال: أما حديثك الأول؛ فهو كذا، وأما حديثك الثاني؛ فهو كذا. حتى أتى على العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك؛ فأقر له الناس بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل.

ولد أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري يوم الجمعة، بعد الصلاة، لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال، سنة أربع وتسعين ومئة.

وتوفي ليلة الفطر، ليلة السبت، سنة ست وخمسين ومئتين، وقت العشاء، في دار مسافر بن أسد، وقيل: في دار أبي منصور غالب بن جبرئيل. رحمنا الله وإياه.

28- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك[1]

أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)

قال رحمه الله: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله الجعفي البخاري. صاحب «الجامع الصحيح» و «التاريخ» ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة. وإنما قيل له: الجعفي، لأن أبا جده أسلم- وكان مجوسيا- على يدي يمان الجعفي، وكان يمان والي بخاري، فنسب إليه. ورحل محمد بن إسماعيل في طلب العلم، وكتب بخراسان، والجبال، ومدن العراق، والحجاز، والشام، ومصر،

[1] المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1992 م

وسمع بكر بن إبراهيم، وعبدان، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، وأبا نعيم، وعفان، وأبا الوليد الطيالسي، والقعنبي، والحميدي، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وخلقا يطول ذكرهم.

وورد إلى بغداد دفعات. وحدث بها فروى عنه من أهلها: إبراهيم الحربي، والباغندي، وابن صاعد، وغيرهم، وآخر من حدث عنه بها: الحسين بن إسماعيل المحاملي. ومهر البخاري في علم الحديث، ورزق الحفظ له والمعرفة له .

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال: حدثني عبد الغفار بن عبد الواحد الأرموي قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن أحمد الأصبهاني قال: أخبرني أحمد بن علي الفارسي حدثنا أحمد بن عبد الله بن محمد قال: سمعت جدي محمد بن يوسف الفربري يقول : حدثنا أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق النحوي قال: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب، قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره. فقال يوما فيما كان يقرأ للناس: سفيان، عن أبي الزبير، عن إبراهيم. فقلت أنا له: يا أبا فلان، إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم. فانتهرني. فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك. فدخل ونظر فيه، ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي، عن إبراهيم. فأخذ القلم مني وأحكم كتابه، وقال: صدقت. فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت إذ رددت عليه؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة، فلما طعنت في ست عشرة حفظت كتب ابن المبارك، ووكيع، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخي، وتخلفت بها في طلب الحديث، فلما طعنت في ثمانية عشرة سنة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وصنفت كتاب «التاريخ» ذاك عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة، وقل اسم في «التاريخ» إلا وله عندي قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتاب.

وفي رواية ابن البخاري: كتب تراجم جامعة بين قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين. وقال: كتبت عن ألف شيخ. قال: وأخرجت هذا الكتاب من زهاء ستمائة ألف حديث، وما وضعت في كتاب الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك

وصليت ركعتين.

قال الفربري: سمع هذا الكتاب تسعون ألف رجل ما بقي أحد يرويه غيري.

أخبرنا عبد الرحمن القزاز قال أخبرنا الخطيب أحمد بن علي بن ثابت قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن علي الصوري، أخبرنا محمد بن أحمد بن جميع الغساني قال: حدثنا أحمد بن محمد بن آدم قال: حدثنا محمد بن يوسف قال: كنت عند محمد بن إسماعيل البخاري في منزله ذات ليلة، فأحصيت أنه قد قام وأسرج يستذكر أشياء يعلقها في ليلة ثماني عشرة مرة.

وروي عنه بعض رفقائه أنه كان يختلف معهم إلى مشايخ البصرة وهو غلام، ولا يكتب فسألوه بعد أيام: لم لا تكتب. فقرأ عليهم جميع ما سمعوه من حفظه، وكان يزيد على خمسة عشر ألف حديث، وكان بندار يقول: ما قدم علينا مثل محمد بن إسماعيل.

ودخل مرة إلى مجلس بندار فما عرفه، فقيل له: هذا أبو عبد الله. فقام فأخذ بيده وعانقه، وقال: مرحبا بمن أفتخر به منذ سنين.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير: ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل.

وقال أبو بكر الأعين: كتبنا عن محمد بن إسماعيل على باب محمد بن يوسف الفريابي وما في وجهه شعرة.

وقال أحمد بن حنبل: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل البخاري.

وقال إسحاق بن راهويه، وعنده البخاري: يا معشر أصحاب الحديث، انظروا إلى هذا الشاب، واكتبوا عنه، فإنه لو كان في زمن الحسن لاحتاج إليه الناس لمعرفته بالحديث وفهمه.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي الحافظ الخطيب قال: حدثني عبد الله بن أحمد الصيرفي قال: سمعت الدارقطني يقول: لولا البخاري ما ذهب مسلم ولا جاء.

أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: حدثني محمد بن أبي الحسن الساحلي قال: أخبرنا أحمد بن الحسن الرازي قال: سمعت أبا أحمد بن عدي الحافظ يقول: سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم إلى بغداد فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث قلبوا أسانيدها ومتونها وجعلوا متن هذا لإسناد آخر وإسناد هذا لمتن آخر، ودفعوها إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس يلقون ذلك على البخاري، فحضروا فانتدب رجل من العشرة فسأله عن

حديث من تلك الأحاديث، فقال: لا أعرفه. فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه. فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد، حتى فرغ من العشرة، والبخاري يقول: لا أعرفه. فكان بعض الفهماء يقول: الرجل فهم. وبعضهم يقضي عليه بالعجز. ثم انتدب رجل آخر فسأله عن حديث من الأحاديث وهو يقول في الحديث: لا أعرفه حتى فرغ من عشرته، ثم الثالث، ثم الرابع، إلى تمام العشرة، والبخاري لا يزيدهم على: لا أعرفه، فلما فرغوا التفت البخاري إلى الأول وقال: أما حديثك الأول فهو كذا، والحديث الثاني كذا، والثالث كذا، حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك فأقر له الناس بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل. وكان ابن صاعد إذا ذكره يقول: الكبش النطاح !.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا الخطيب أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرني الحسن بن محمد البلخي، حدثنا محمد بن أبي بكر الحافظ، أخبرنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، حدثنا أبو سعيد بكر بن منير قال: كان حمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه فلان، فاجتمع التجار بالعشية فطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال لهم: انصرفوا الليلة. فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه تلك البضاعة بربح عشرة آلاف درهم، فردهم وقال: إني نويت البارحة أن أدفع إلى أولئك، ولا أحب أن أنقض نيتي. فدفعها إليهم.

أخبرنا عبد الرحمن القزاز قال أخبرنا الخطيب أحمد بن علي بن ثابت أخبرنا الحسن بن محمد الأشقر قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر البخاري الحافظ قال: حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد المقرئ قال: سمعت بكر بن منير يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أرجو أن ألقى الله سبحانه ولا يحاسبني أن اغتبت أحدا.

كان البخاري قد قال: أفعال العباد مخلوقة، فقلت له: قد قلت لفظي بالقرآن مخلوق، فقال: أنا لا أقول هذا وإنما أقول أفعال العباد مخلوقة. فهجره محمد بن يحيى الذهلي، ومنع الناس من الحضور عنده، واتفق أن خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى سأله أن يحضر عنده ليسمع منه «الكتاب الصحيح» و «التاريخ» فقال: أنا لا أذل العلم، إن أراد سماع ذلك فليحضر عندي. فاحتال عليه حتى نفاه من البلد، فمضى إلى «خرتنك» وهي قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها، فتوفي هناك.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت الخطيب أخبرنا أبو

سعد الماليني، أخبرنا عبد الله بن عدي قال: سمعت الحسن بن الحسين التمار يقول: رأيت محمد بن إسماعيل شيخا نحيف الجسم، ليس بالطويل ولا بالقصير، توفي ليلة السبت عند صلاة العشاء، وكانت ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر لغرة شوال سنة ست وخمسين ومائتين، وعاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما.

29- صفة الصفوة لابن الجوزي[1]

قال رحمه الله: ذكر المصطفين من أهل بخارى، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري يكنى أبا عبد الله.

أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق قال: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: كيف كان بدو أمرك في طلب الحديث؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب. قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك فقال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره. فقال يوماً، فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم. فقلت له: يا أبا فلان إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك. فدخل فنظر فيه ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم. فأخذ القلم مني فأحكم كتابه وقال: صدقت. فقال له بعض أصحابه: أبن كم كنت إذ رددت عليه؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة. فلما طعنت في سن ست عشرة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، ثم خرجت مع أمي وأخي إلى مكة فلما

---

[1] صفة الصفوة 168/4- دار المعرفة – بيروت. الطبعة الثانية، 1399 - 1979
ت: محمود فاخوري – د. محمد رواس قلعه جي

حججت رجع أخي وتخلفت بها في طلب الحديث، فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وصنفت كتاب التاريخ عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة.

أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن البخاري قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم من أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر.

السعداني قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: قال محمد بن إسماعيل أخرجت هذا الكتاب، يعني الصحيح، من زهاء ستمائة ألف حديث.

محمد بن يوسف الفربري قال: قال محمد بن إسماعيل: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.

بكر بن منير قال: كان حمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه فلان. فاجتمع التجار إليه بالعشية فطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال لهم: انصرفوا الليلة فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه تلك البضاعة بربح عشرة آلاف درهم فردهم، وقال: إني نويت البارحة أن أدفع إليهم بما طلبوا – يعني الذين طلبوا أول مرة – ففعل وقال: لاأحب أن أنقض نيتي.

مسبح بن سعيد قال: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان في أول ليلة من رمضان يجتمع إليه أصحابه، فيصلي بهم فيقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال ويقول: عند كل ختمة دعوة مستجابة.

علي بن محمد بن منصور قال: سمعت أبي يقول: كنا في مجلس أبي عبد الله محمد بن إسماعيل فرفع إنسان من لحيته قذاة فطرحها على الأرض، فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس فلما غفل الناس رأيته مد يده فرفع القذاة من الأرض فأدخلها في كمه، فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها فطرحها على الأرض.

محمد بن أبي حاتم قال: كنت أرى أبا عبد الله يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري نارا ويسرج ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها ثم يضع رأسه، وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة.

بكر بن منير قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا.

قلت: فضائل البخاري كثيرة، وحفظه للحديث حفظ غزير قد شهد له الأكابر به، حتى قال أحمد بن حنبل: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل. وكان نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير، ولد يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة. وتوفي ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر وذلك لغرة شوال من سنة ست وخمسين ومائتين، وقبره بخرتنك.

30- جامع الأصول في أحاديث الرسول[1]

مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد، ابن الأثير (ت 606هـ)

قال رحمه الله: " الإمام البخاري، هو أبو عبد الله: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجُعفي البخاري. وإنما قيل له: الجُعفي، لأن المغيرة – أبا جده – كان مجوسيًا، أسلم على يد يمان البخاري، وهو الجعفي والي بخارى، فنُسب إليه حيث أسلم على يده. وجُعفي أبو قبيلة من اليمن، وهو جُعفي بن سعد العشيرة بن مَذْحج، والنسبة إليه كذلك.

ولد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة، وتوفي ليلة الفطر

[1] جامع الأصول في أحاديث الرسول1 /185-186- مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان. الطبعة الأولى

سنة ست وخمسين ومائتين، وعمره اثنتان وستون سنة، إلا ثلاثة عشر يومًا، ولم يُعقب ذَكَرًا. والبخاري – الإمام في علم الحديث – رحل في طلب العلم إلى جميع مُحَدِّثي الأمصار، وكتب بخراسان والجبال، والعراق والحجاز، والشام ومصر، وأخذ الحديث عن المشايخ الحفَّاظ، منهم: مكي بن إبراهيم البلخي، وعبدان بن عثمان المروزي، وعبيد الله بن موسى العبسي، وأبو عاصم الشيباني، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، ومحمد بن يوسف الفريابي، وأبو نعيم الفضل بن دُكين، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وإسماعيل بن أبي أويس المدني، وغير هؤلاء من الأئمة. وأخذ عنه الحديث خلقٌ كثير في كل بلدة حدَّث بها.

قال الفرَبري: " سمع كتاب البخاري تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يروي عنه غيري"، وكذلك لا يُرْوَى اليوم – «صحيح البخاري» – عن أحد سواه. وردَّ على المشايخ وله إحدى عشرة سنة، وطلب العلم وله عشر سنين.

قال البخاريُّ: " خرَّجتُ كتاب الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث، وما وضعت فيه حديثًا إلا صليت ركعتين ". وقدم البخاري بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوها إلى عشرة أنفس، لكل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوها على البخاري، فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث، فلم اطمأن المجلس بأهله، انتُدِبَ إليه رجل من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال: لا أعرفه، فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، حتى فرغ من العشرة، والبخاري يقول: لا أعرفه. فأما العلماء فعرفوا بإنكاره أنه عارف، وأما غيرهم فلم يدركوا ذلك منه، ثم انتُدِبَ رجل آخر من العشرة فكان حاله معه كذلك، ثم انتدب آخر بعد آخر، إلى تمام العشرة، والبخاري لا يزيدهم على قوله: لا أعرفه. فلما فرغوا التفت إلى الأول منهم، فقال: أما حديثك الأول، فهو كذا، والثاني كذا، على النسق، إلى آخر العشرة، فردَّ كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، ثم فعل بالباقين مثل ذلك، فأقر له الناس بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل."

31- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد[1]

ابن نقطة الحنبلي البغدادي (المتوفى: 629هـ)

قال رحمه الله: " محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله الجعفي البخاري الإمام، طاف البلاد وسمع بالعراق والحجاز والشام ومصر وخراسان، سمع بالبصرة من أبي عاصم النبيل ومحمد بن عبد الله الأنصاري وأبي الوليد سليمان بن عبد الملك الطيالسي، وبالكوفة من عبيد الله بن موسى وأبي نعيم الفضل بن دكين ، وبمصر من أحمد بن صالح و يحيى بن عبد الله بن بكير ونعيم بن حماد ، و بالشام من أبي السمان الحكم بن نافع ومحمد بن يوسف الفريابي وهشام بن عمار الدمشقي والربيع بن نافع الحلبي، و ببغداد من أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وبمكة من عبد الله بن الزبير الحميدي في خلق كثير وجم غفير في هذه البلاد وغيرها.

حدث عنه أبو عيسى الترمذي، وأبو محمد بن محمد بن صاعد، والحسين ابن محمد بن حاتم الحافظ المعروف بعبيد العجل، وأبو حامد أحمد بن محمد بن الشرقي، وأخوه عبد الله، وأبو بكر بن صدقة، وأحمد بن عبدان الأهوازي، وغيرهم من الحفاظ.

وقال محمد بن طاهر المقدسي: روى هذا الكتاب -يعني الصحيح- عن البخاري جماعة غير الفربري منهم: حماد بن شاكر، وإبراهيم بن معقل النسفي، وطاهر بن محمد بن مخلد النسفي. وقال الأمير أبو نصر بن ماكولا: أحد من حدث عن البخاري بالصحيح أبو طلحة منصور بن محمد بن علي بن قرينة البزدوي، من أهل بزدة وكان ثقة، توفي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة.

أخبرنا أحمد بن الحسن العاقولي، أنا أبو منصور القزاز، أنا أبو بكر الخطيب، قال: وأخبرني الحسن بن محمد يعني الأشقر، أنا محمد بن أبي بكر، أنا أبو نصر محمد بن أحمد بن موسى البزاز، قال: سمعت أبا بكر عبد الرحمن بن محمد بن علوية الأبهري يقول: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول : ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل

[1] التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد- ت: كمال يوسف الحوت. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988

البخاري.

وأخبرنا أحمد بن الحسن الديري، أنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، أنا الخطيب، قال: أخبرني أبو الوليد الدربندي، أنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان، أنا أحمد بن أبي حامد الباهلي، قال: سمعت أبا سعيد حاتم بن محمد بن حازم يقول: سمعت موسى بن هارون الحمال يقول عندي : " لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن ينصبوا مثل محمد بن إسماعيل ماقدروا عليه ".

أخبرنا زاهر بن أحمد الثقفي بأصبهان، أنا إسماعيل بن محمد بن الفضل الجوزي الحافظ، أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي، أنا أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، قال: سمعت أبا الطيب محمد بن أحمد المذكر يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق يعني ابن خزيمة يقول : " ماتحت أديم هذه السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخاري ".

أخبرنا أحمد بن الحسن البطي، أنا أبو منصور القزاز، أنا أحمد بن علي الخطيب، قال: أخبرني محمد بن علي المقري، أنا أبو مسلم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مهران الحافظ، قال: أنا عبد المؤمن بن خلف النسفي، قال: سألت أبا علي صالح بن محمد عن محمد بن إسماعيل، وأبي زرعة، وعبد الله بن عبد الرحمن -يعني الدارمي- فقال: محمد بن إسماعيل وأبو زرعة احفظهم وأكثرهم حديثا، فقلت: عبد الله بن عبد الرحمن؟ فقال: ليس من هؤلاء في شيء بالإسناد.

أخبرنا الخطيب، أنا أبو بكر البرقاني، أنا محمد بن العباس العصمي، أنا يوسف بن إسحاق بن محمود، قال: قال أبو علي صالح بن محمد الأسدي -وذكر البخاري- فقال: ما رأيت خراسانيا أفهم منه.

وأخبرنا أحمد بن الحسن المقري، أنا أبو منصور القزاز، أنا أحمد بن علي الحافظ، أنا أبو حازم العبدوي قال : سمعت محمد بن محمد بن العباس الضبي يقول : سمعت أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن مطر يقول: سمعت جدي محمد بن يوسف يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول : دخلت بغداد آخر ثمان مرات كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل فقال لي في آخر ما ودعته: يا أبا عبد الله تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان!. قال أبو

عبد الله : فأنا الآن أذكر قوله.

أخبرنا زاهر بن أحمد الثقفي بأصبهان، أنا قوام السنة إسماعيل بن محمد الحافظ، أنا أحمد بن خلف بنيسابور، أنا الحاكم أبو عبد الله، قال: سمعت يحيى ابن عمرو بن صالح البخاري يقول: سمعت أبا العباس محمد بن عبد الرحمن الفقيه يقول: كتب أهل بغداد إلى محمد بن إسماعيل البخاري :

المسلمون بخير ما بقيت لهم ... وليس بعدك خير حين تفتقد

أخبرنا أحمد بن الحسن العاقولي، أنا أبو منصور القزاز أنا أحمد بن علي الخطيب، قال: أنا الحسن بن محمد الأشقر، أنا محمد بن أبي بكر أنا خلف بن محمد، سمعت أبا بكر محمد بن حريث يقول: سمعت الفضل بن العباس الرازي وسألته فقلت: أيهما أحفظ أبو زرعة أو محمد بن إسماعيل؟ فقال: لم أكن التقيت مع محمد بن إسماعيل فاستقبلني ما بين حلوان وبغداد قال: فرجعت معه مرحلة، قال: وجهدت الجهد على أن أجئ بحديث لا يعرفه فما أمكنني، قال: وأنا أغرب على أبي زرعة عدد شعره. وبالإسناد أنا الخطيب، أنا أبو سعد الماليني، أنا عبد الله بن عدي الحافظ، قال: حدثني محمد بن أحمد القومسي، قال: سمعت محمد بن حمدوية يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح.

أخبرنا زاهر بن أبي طاهر بأصبهان، أنا زاهر بن طاهر، أنا أبو عثمان سعيد بن محمد البحيري، أنا أبو نصر أحمد بن الحسين بن أحمد بن حموية الوراق، أنا أبو حامد أحمد بن حمدون بن رستم قال: سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري فقبل بين عينيه وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله.

حدثنا محمد بن سلام، أنا مخلد بن يزيد الحراني، أنا ابن جريج، قال: حدثني موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة، قال: أبو حامد: فحدثنا محمد بن إسماعيل، أنا أحمد بن حنبل، ويحي بن معين، وأبو خيثمة، قالوا: أنا حجاج بن محمد عن ابن جريح، حدثني موسى بن عقبة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال في الكفارة إذا قام من مجلسه: (سبحانك اللهم وبحمدك فهو كفارته)، قال محمد بن

إسماعيل: هذا حديث مليح ولا أعلم بهذا الإسناد في الدنيا حديثا غير هذا إلا أنه معلول.
حدثنا به موسى بن إسماعيل، قال: أخبرنا وهيب، قال: حدثني موسى بن عقبة، عن عون بن عبد الله بن عتبة، قوله. قال محمد بن إسماعيل: هذا أولى، ولا يذكر لموسى بن عقبة سماعا من سهيل، وهو سهيل بن ذكوان مولى جويرية وهم أخوة: سهيل، وعباد، وصالح بنو أبي صالح، وهم من أهل المدينة.
أخبرنا أحمد بن الحسين الديري، أنا القزاز، أنا الخطيب، قال: أخبرني أبو الوليد الدربندي، أنا محمد بن أحمد بن سليمان الحافظ، أنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقري، وأبو عبيد أحمد بن عروة بن أحمد بن إبراهيم، قالا: سمعنا أبا الحسن مهيب بن سليم بن مجاهد يقول: توفي أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ليلة السبت ليلة الفطر من سنة ست وخمسين ومائتين".

32- المعلم بشيوخ البخاري ومسلم[1]

أبو بكر محمد بن إسماعيل بن خلفون (المتوفى 636 هـ)

قال رحمه الله: " باب في ذكر إمامة محمد بن إسماعيل البخاري، وثقته، وإتقانه، ومعرفته، بالحديث وعلله، وتاريخ وفاته رحمه الله. إسماعيل البخاري ثقة مأمون صاحب التصانيف الكثيرة ..
أبو داود سمعت علي بن حجر قال: ما أخرجت خراسان مثل أبا زرعة الرازي بالري، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل عندي أبصرهم، وأعلمهم وأفقههم.

[1] المعلم بشيوخ البخاري ومسلم 15-26- ت: عادل بن سعد. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى

وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه قال: انتهى الحديث إلى أربعة من أهل خراسان، أبو زرعة الرازي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، والحسن بن شجاع البلخي.

وروي عن بندار محمد بن بشار أنه قال: حفاظ الدنيا أربعة: الرازي بالري، ومسلم بن الحجاج بنيسابور، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخاري.

وروي عن نعيم بن حماد المروزي، ويعقوب بن إبراهيم الدورقي أنهما قالا: محمد بن إسماعيل ففيه. وروي عن عبدان بن عثمان قال: ما رأيت بعيني شابًا أبصر من هذا وأشار إلى محمد بن إسماعيل. وقال محمد بن أبي خزيم: سمعت يحيى بن جعفر يقول: لو قدر لي أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت، فإن موتى يكون موت رجل واحد، وموت محمد بن إسماعيل ذهاب العلم. وقال أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي في سنة سبع وأربعين ومائتين: يقدم عليكم رجل من أهل خراسان لم يخرج منها أحفظ منه، ولا قدم العراق أعلم منه، فقدم بعد ذلك محمد بن إسماعيل بأشهر.

وروى عن سليم بن مجاهد قال: كنت عند محمد بن سلام فقال لو جئت قبل لرأيت صبيًا يحفظ سبعين ألف حديث، قال: فخرجت لأطلبه حتى لقيته فقلت: أنت الذي تقول: أنا أحفظ سبعين ألف حديث. قال: نعم وأكثر منه، ولا أجيئك بحديث عن الصحابة والتابعين إلا عرفت مولد أكثر منه ووفاتهم ومساكنهم ولست أروي حديثًا من حديث الصحابة والتابعين إلا لي في ذلك أصل أحفظه عن كتاب الله، وسنة رسول الله ـ ﷺ.

وروي عن أبي حامد بن حمدون القطان أنه قال: سمعت مسلم بن الحجاج، وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري فقبل بين عينيه وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث وعلله حدثك محمد بن سلام قال: حدثنا مخلد بن يزيد الحراني قال: نا ابن جريج، عن موسى ابن عقبة، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ـ ﷺ في كفارة المجلس. فما علته، قال محمد بن إسماعيل: هذا حديث مليح ولا أعلم في الدنيا غير هذا الحديث الواحد في هذا الباب إلا أنه معلول ثنا به موسى بن إسماعيل قال: ثنا وهيب قال: ثنا سهيل عن عوف بن عبد الله قوله، قال محمد ابن إسماعيل: وهذا أولى فإنه لا يذكر

لموسى بن عقبة سماع من سهيل، فقال له مسلم، لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أنه ليس في الدنيا مثلك.

وروي عن محمد بن أبي حاتم الوراق النحوي قال: قلت لأبي عبد الله محمد ابن إسماعيل ـ يعني البخاري ـ: تحفظ جميع ما أدخلت في المصنف، قال: لا يخفى على جميع ما فيه.

وروي عن البخاري أنه قال: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح.

وروى عنه أنه قال: أخرجت هذا الكتاب ـ يعني الجامع الصحيح ـ من زهاء ستمائة ألف حديث، وحدثني الشيخ الحافظ أبو (..) ـ رحمه الله فيما كتبه: قال: حدثنا أبو بحر الأسدي قال: ثنا أبو العباس العذري قال: حدثنا أبو العباس العذري قال: نا أبو أحمد بن عدي قال: وسمعت عبد القدوس ابن همام يقول: وسمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري ـ رحمه الله ـ قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا، وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذه المتن لمتن آخر، ودفعوا إلى عشرة أنفس، لكل رجل منهم عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا بها على البخاري، فأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان، وغيرهم، من البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من المجلس من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه، ثم سأله عن آخر فقال: لا أعرفه، فما زال يلقي عليه واحدًا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه، فكان العلماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: الرجل فهم، ومن كان منهم غير ذلك فهو يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم، ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه، وسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، فسأل عن آخر فقال: لا أعرفه، فلم يزل يلقي عليه واحدًا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه، ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة، حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة والبخاري لا يزيدهم على أن يقول: لا أعرفه (..). فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديث الأول فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث

والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، ثم فعل بالآخرين مثل ذلك، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها، فأقر له الناس بالحفظ والعلم، وأذعنوا له بالفضل.

قال: وكذا ابن صاعد ـ رحمه الله ـ إذا ذكر محمد بن إسماعيل البخاري ـ رحمه الله ـ يقول: الكبش النطاح. وقال أحمد بن عدي: وسمعت الحسن بن الحسين البزار يقول: سمعت إبراهيم بن معقل يقول سمعت محمد بن إسماعيل البخاري ـ رحمه الله ـ يقول: ما أدخلت في هذا الكتاب ـ يعني جامعه الصحيح ـ إلا ما صح، وتركت من الصحيح حتى لا يطول الكتاب.

قال محمد: البخاري إمام من أئمة الحديث وعلله ورجاله، روى عنه جماعة من أئمة الحديث وحفاظهم، فممن روى عنه: أبو علي الحسين بن محمد بن زياد القباني الحافظ، وأبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، وأبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، وأبو عيسى محمد بن عيسى السلمي الترمذي، وأبو العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم الثقفي السراج، وأبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي، وأبو محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري، وأبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد البغدادي، وأبو عبد الله الحسن بن إسماعيل الضبي البغدادي، وأبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي، وأبو بكر محمد بن سليمان الباغندي، وأبو محمد بن عبد الله بن محمد بن فاختة المخزومي، وغيرهم رحمة الله عليهم أجمعين.

باب ذكر إمامته وزهده وورعه.

روى عن محمد بن أبي حاتم سار يعني محمد بن إسماعيل البخاري إلى بستان بعض أصحابه (...) صلى بالقوم ثم قام للتطوع وأطال القيام، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه، فقال لبعض من معه: انظر هل ترى تحت قميصي شيئًا، وإذا زنبورًا قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعًا، وقد تورم من ذلك جسده، وكان أثر الزنبور في جسده ظاهرًا، فقال له بعضهم: كيف لم تخرج من الصلاة في أول ما أبرك؟ قال: كنت في سورة فأحببت أن أتمها.

وروى عن حفص بن عمر الأشقر قال: كنا مع محمد بن إسماعيل البخاري بالبصرة نكتب الحديث ففقدناه يومًا فطلبناه، فوجدناه في بيت وهو عريان وقد نفد ما عنده ولم يبق معه

شيء، فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا ثوبًا وكسوناه، ثم اندفع معنا في كتابة الحديث.

وروي عن أبي عبد الله البخاري ـ رحمه الله ـ أنه قال: إني لأرجو أن ألقى الله تعالى ولا يحاسبني أن اغتبت أحدًا.

وقال أبو أحمد بن عدي: سمعت محمد بن يوسف بن بشر الفربري يقول: سمعت النجم بن فضل وكان من أهل المعرفة والفضل يقول: رأيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المنام وقد خرج من باب ماشيًا في قرية ببخاري وخلفه محمد بن إسماعيل البخاري، فكلما خطا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطوة خطا محمد بن إسماعيل خطوة النبي ﷺ ووضع قدمه على موضع قدم النبي عليه العلم.

قال: وسمعت عبد القدوس بن همام يقول سمعت عدة من المشايخ يقولون: حاول محمد بن إسماعيل البخاري تراجم بين قبر ﷺ ومنبره وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين.

قال محمد: وروى عن أبي الهيثم الكشميهني قال: سمعت محمد بن يوسف الفربري يقول: قال لي محمد بن إسماعيل البخاري: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثًا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.

صفته رحمه الله.

حدثنا الشيخ الحافظ أبو بكر البيهقي فيما كتب إليّ قال: ثنا أبو بجر الأسدي، عن أبي العباس العذري. وحدثني صاحب لنا قراءة مني عليه، عن أبي القاسم خلف بن عبد الملك الأنصاري قال: قرأته على القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز الأنصاري، عن أبي العباس العُذري، عن أبي العباس الرازي، عن أبي أحمد بن عدي قال: سمعت الحسن بن الحسين البزار يقول: رأيت محمد بن إسماعيل البخاري شيخًا نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير.

ذكر امتحانه وخبره مع خالد بن أحمد الأمير وإلى بخاري

قال أبو أحمد بن عدي: ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل ـ رحمه الله ـ لما ورد نيسابور اجتمع الناس إليه وعقد له المجلس حتى بغض من كان في ذلك الوقت من مشايخ نيسابور لما رأى من إقبال الناس إليه واجتماعهم عليه فقال لأصحاب الحديث: إن محمد بن

إسماعيل البخاري يقول اللفظ بالقرآن مخلوق فامتحنوه في المجلس، فلما حضر الناس مجلس البخاري قام إليه رجل فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو أو غير مخلوق، فأعرض عنه (...) ثم أعاد عليه القول فأعرض عنه، ولم يجبه ثم قال في الثالثة (...) محمد بن إسماعيل وقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة، فشغب الرجل وشغب الناس وتفرقوا عنه، وقعد البخاري في منزله.

قال ابن عدي: وسمعت الإسماعيلي يقول: سمعت الفرهباني يقول: سمعت عمرو بن منصور النيسابوري يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري وسُئل عن اللفظ بالقرآن فقال: سمعت عبيد الله بن سعيد أبا قدامة السرخسي يقول: سمعت يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي يقولان: أفعال العباد مخلوقة.

قال ابن عدي: وسمعت أبا بكر الإسماعيلي يقول: سمعت الفرهباني يقول: قيل لمحمد بن إسماعيل: ترجع عما قلت ليعود الناس إليك فقال: لا حاجة لي فيهم.

قال ابن عدي: وسمعت عبد الحميد يقول: سمعت أبي يقول: سمعت حيان ابن محمد بن يحيى يقول: قلت لأبي يا أبة، مالك ولهذا الرجل (يعني محمد بن إسماعيل) ولست من رجاله في العلم؟ قال: رأيته بمكة يتبع شمخصة، وكان شمخصة كوفيًا قد فبلغ ذلك محمد بن إسماعيل يقول: دخلت مكة ولم أعرف بها أحدًا من المحدثين، وكان شمخصة هذا قد عرف المحدثين فكنت أتبعه ليقيدني من المحدثين، وأي عيب في هذا.

قال محمد: وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري الحافظ: ثنا أبو بكر محمد بن أبي الهيثم المطوعي ببخاري قال: ثنا محمد بن يوسف الفربري قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: أما أفعال العباد فمخلوقة، فقد حدثنا علي بن عبد الله قال: ثنا مروان بن معاوية قال: نا أبو مالك عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال: قال النبي ـ ﷺ: "إن الله يصنع كل صانع وصنعته".

قال أبو عبد الله: سمعت عبيد الله بن سعيد يقول: سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة، فقال أبو عبد الله البخاري: حركاتهم، وأصواتهم، وأكسابهم وكتابتهم مخلوقة فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب

الموعي في القلوب، فهو كلام الله ليس بخلق قال الله تعالى: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾.

قال محمد: وروى عن أبي سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون قال: سمعت أبا حامد الشرقي يقول: سمعت محمد بن يحيى يعني الذهلي يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق من جميع جهاته وحيث يتصرف فمن لزم استغنى عن ذلك اللفظ، وعما سواه من الكلام في القرآن، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر، وخرج عن الإيمان، وبانت منه امرأته ويستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وجعل ماله فيئًا بين المسلمين ولم يدفن في مقابر المسلمين قال: ومن وقف فقال لا أقول مخلوق أو غير مخلوق فقد ضاهى الكفر، ومن زعم أن لفظي بالقرآن مخلوق هذا مبتدع لا يجالس ولا يكلم، ومن ذهب بعد مجلسنا هذا إلى محمد بن إسماعيل البخاري فاتهموه فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مثل مذهبه.

وروى عن أحمد بن منصور بن محمد الشيرازي قال: حدثني محمد بن يعقوب الأخرم قال: سمعت أصحابنا يقولون: لما قدم محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور استقبله أربعة آلاف رجل ركبان على الخيل سوى من ركب بغلاً أو حمارًا، وسوى الرحالة فحضر الكل مجلسه إلى أن أظهر من قوله ما أظهر فبلغ ذلك محمد بن يحيى الذهلي (...) مسلم بن الحجاج (...) حضر عند محمد بن يحيى فقال محمد بن يحيى: أحكم على من قال لفظي بالقرآن أن يترك مجلسي قال: فقام مسلم فخرج وتبعه أحمد بن سلمة فقال محمد بن يحيى: لا يساكني هذا الرجل في بلد فخشي البخاري أن يلحقه منه مكروه فخرج فسمعت القاسم بن القاسم: سمعت إبراهيم وراق أحمد بن سيار: يقول: لما قدم البخاري مرو استقبله أحمد بن سيار فيمن استقبله فقال له أحمد بن سيار: يا أبا عبد الله، نحن لا نخالفك فيما تقول لكن العامة لا تحتمل ذا منك، فقال: إني أخشى الله أن أسأل عن شيء أعلمه حقًا أن أقول غيره، فانصرف عنه أحمد بن سيار.

قال محمد: وذكر أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي محمد بن إسماعيل البخاري في كتاب الجرح والتعديل فقال: قدم عليهم من الري سنة مائتين وخمسين، سمع منه أبي، وأبو زرعة ترك حديثه عندما كتب إليهما محمد ابن يحيى النيسابوري أنه أظهر عندهم أن لفظه بالقرآن مخلوق.

وروي عن أبي عمرو أحمد بن نصر بن إبراهيم النيسابوري الخفاف أنه قال: أتيت محمد بن إسماعيل فناظرته في شيء من الأحاديث حتى طابت نفسه فقلت: يا أبا عبد الله، ها هنا أحد يحكي عنك أنه قلت هذا المقالة، فقال: يا أبا عمرو، احفظ ما أقول لك، من زعم من أهل نيسابور وقومس والري وهمذان وحلوان وبغداد والكوفة ومكة والبصرة أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب فإني لم أقل هذه المقالة إلا أني قلت: أفعال العباد مخلوقة.

وروي عن أبي إسماعيل بكر بن منير أنه قال: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخاري إلى محمد بن إسماعيل أن احمل إلى كتاب الجامع والتاريخ وغيرهما لأسمع منها، فقال محمد بن إسماعيل لرسوله: أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كان لك إلى شيء منه حاجة فاحضرني في مسجدي، وفي داري، وإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجس ليكون لي عذرًا عند الله تعالى يوم القيامة. لأني لا أكتم العلم لقول النبي ﷺ: (من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار) قال بكار: سبب الوحشة بينهما هذا.

وروى عن محمد بن عبد الله الحافظ قال: سمعت محمد بن العباس الضبي يقول: سمعت أبا بكر بن أبي عمرو الحافظ يقول: كان سبب مفارقة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البلد ـ يعني بخاري ـ أن خالد بن أحمد الذهلي الأمير خليفة الطاهرية ببخارى سأل أن يحضر منزله فيقرأ الجامع والتاريخ على أولاده، فامتنع أبو عبد الله عن الحضور عنده، فراسله أن يعقد مجلسًا لأولاده ولا يحضره غيرهم، فامتنع عن ذلك أيضًا، وقال: لا يسعني أن أخص بالسماع قومًا دون قوم، فاستعان خالد بن أحمد بحريث بن أبي الورقاء وبغيره من أهل العلم ببخاري عليه حتى تكلموا في مذهبه ونفاه عن البلد، فدعا عليهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل فقال: اللهم أرهم ما قصدوني به في أنفسهم وأولادهم، وأهاليهم، فأما خالد فلم يأت عليه أقل من شهر حتى ورد أمر الظاهرية بأن ينادي عليه فنودي عليه وهو على أتان وأشخص على إكاف ثم صار عاقبة أمره إلى ما قد انتشر وشاع، وأما حريث بن أبي الورقاء فإنه ابتلي في أهله فرأى فيها ما يحل عن الوصف وأما فلان (...) يبتلى بأولاده، وأراه الله فيهم البلايا.

تاريخ موته ـ رحمه الله ـ

قال أبو أحمد بن عدي: وسمعت الحسن بن الحسين البزار البخاري يقول: توفي محمد بن إسماعيل البخاري ـ رحمه الله ـ ليلة السبت عند صلاة العشاء، في ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر

بعد صلاة الظهر، يوم السبت مستهل شوال من شهور سنة ست وخمسين ومائتين، وعاش اثنتين وستين سنة، إلا ثلاثة عشر يومًا ـ رحمه الله ـ.

وروى عن أبي العباس الفضل بن بسام قال: سمعت إبراهيم بن محمد يقول: أنا توليت دفن محمد بن إسماعيل لما أن مات بخرتنك أردت حمله إلى مدينة سمرقند أن أدفنه بها، فلم يتركني صاحب لنا فدفناه بها، فلما أن فرغنا ورجعت إلى المنزل الذي كنت فيه قال لي صاحب القصر سألته أمس فقلت: يا أبا عبد الله، ما تقول في القرآن، فقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، قال: فقلت: إن الناس يزعمون أنك تقول: ليس في المصاحف قرآن ولا في صدور الناس، فقال: أستغفر الله أن تشهد علي بشيء لم تسمعه مني، قال: أقول كما قال الله تعالى: ﴿والطور وكتاب مسطور﴾ وأقول في المصحف قرآن، وفي صدور الناس قرآن، فمن قال غير هذا يستتاب، فإن تاب وإلا فسبيله سبيل الكفر.

وروى عن إبراهيم بن مغفل: رأيت محمد بن إسماعيل في اليوم الذي أخرج فيه من بخارى، قال: فتقدمت إليه فقلت: يا أبا عبد الله، كيف ترى هذا اليوم من ذلك اليوم الذي نثر عليك فيه نثر، فقال: لا أبالي إذا سلم ديني، قال: فخرج إلى بيكند، فصار الناس معه حزبين، حزب معه، وحزب عليه إلى أن كتب إليه أهل سمرقند فسألوه أن يقدم عليهم، فقدم إلى أن وصل بعض قرى سمرقند فوقع بين أهل سمرقند فتنة من سببه قوم يريدون إدخاله البلد وقوم لا يريدون دخوله. أن اتفقوا على أن يرحل (...) الخير وما وقع بينهم فخرج يريد أن يركب فلما استوى على دابته قال: اللهم خر لي: (...) ميتًا.

واتصل بأهل سمرقند فأتوا بأجمعه فصلوا عليه (...) رحمه الله.

وقال أبو أحمد بن عدي: وسمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد بن إسماعيل إلى خرتنك قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها، وكان له بها أقارب فنزل عندهم، قال: فسمعته ليلة من الليالي، وقد فرغ من صلاة الليل يدعو ويقول في دعائه: اللهم قد ضاقت على الأرض بما رحبت فاقبضني إليك، قال: فما تم الشهر حتى قبضه الله، وقبره بخرتنك، ـ رحمه الله ـ.

وقال أبو علي حسين بن محمد الجياني: أخبرني أبو الحسن طاهر بن معوذ ابن عبد الله بن معوذ المعافري صاحبنا ـ رحمه الله ـ قال: أنا أبو الفتح وأبو الليث نصر بن الحسن التنكتي

المقيم بسمرقند قدم عليهم بلنسية عام أربعة وستين وأربعمائة، قال: قحط المطر عندنا بسمرقند في بعض الأعوام، قال: فاستسقى الناس مرارًا فلم يسقوا، قال: فأتى رجل من الصالحين معروف بالصلاح مشهور به إلى قاضي سمرقند فقال له: إني قد رأيت رأيًا أعرضه عليك، قال: وما هو؟ قال: أرى أن تخرج ويخرج الناس إلى قبر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري - رحمه الله - وقبره بخرتنك وتستسقوا عنده، فعسى أن يسقينا، قال: فقال القاضي: نعم رأيت، فخرج القاضي وخرج الناس معه، واستسقى القاضي بالناس وبكى الناس عند القبر وتشفعوا بصاحبه، فأرسل الله تعالى السماء بماء عظيم غزير، أقام الناس من أجله بخرتنك سبعة أيام أو نحوها، لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند من كثرة المطر .. وبين خرتنك وسمرقند ثلاثة أميال أو نحوها".

33- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان[1]

يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله، سبط ابن الجوزي (ت 654 هـ)

قال رحمه الله: محمدُ بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة بن بَذْدِزْبة، أبو عبد الله، البخاريّ، الجعفيّ مولاهم. وكان المغيرةُ مجوسيًّا، أسلم على يدي يمان البخاريِّ الجعفيّ والي بخارى، نُسِب إليه. وُلِدَ البخاريُّ يومَ الجمعة بعد الصلاة، لثلاث عشرة ليلة خَلت من شوال، سنة أربع وتسعين ومئة، وكان نحيفَ الجسم، ليس بالطويل ولا بالقصير.

رحلَ في طلب العلم إلى سائر محدِّثي الأمصار، وكتبَ بخراسان، والجبال، ومدن العراق، والشام، ومصر، والحجاز، وصنَّفَ "الجامع الصحيح" و"التفسير" و"التاريخ".

---

[1] مرآة الزمان في تواريخ الأعيان. دار الرسالة العالمية، دمشق الطبعة الأولى، 1434 هـ - 2013 م

وكان قد ذهبَ بصرُه في صغره، فكانت أمُّه تبكي، فرأت في منامها إبراهيمَ الخليل – عليه السلام – وهو يقول لها: يا هذه، قد ردَّ الله على ابنك بصرَه؛ لكثرة بكائك ودعائك، فأصبح وقد عادَ بصرُه. ومَهرَ في معرفة الحديث، ورُزِقَ الحفظَ له. وقال محمد بن أبي حاتم الورَّاق: قلت للبخاري: كيف كان بدءُ أمرك في طلب الحديث؟ فقال: أُلهِمتُ حفظَ الحديث وأنا في الكُتَّاب، قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين أو أقل، ثمَّ خرجتُ من الكتَّابِ بعد العشر، فجعلتُ أختلف إلى الدَّاخلي وغيره، فقال يومًا في إملائه على النَّاس: عن سفيان، عن أبي الزبير، عن إبراهيم، قلت له: يا أبا فلان، إنَّ أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل، فدخل ثم خرج، وقال: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم، فأخذَ القلم منِّي، وأحكمَ كتابه، وقال: صدقت، فقال له بعض أصحابه: ابن كم أنت إذ ذاك؟ فقال: ابن أحد عشرة سنة، قال: فلمَّا طعنتُ في ستَّ عشرة سنة حفظتُ كتبَ ابن المبارك ووكيع، ثم خرجتُ مع أخي إلى مكَّة في طلب الحديث، ورجعَ أخي بعدما حجّ، وأقمتُ بها، فلما طعنتُ في ثمانِ عشرةَ سنة جعلتُ أصنِّفُ قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وصنفتُ كتابَ "التاريخ" إذ ذاك عندَ قبر النبي – ﷺ– في الليالي المقْمرة، وقلَّ اسمٌ في التاريخ إلَّا وله عندي قصَّة، إلَّا أنِّي كرهتُ تطويلَ الكتاب. وفي رواية عنه قال: كتبتُ تراجمَ الجامع الصحيح بين قبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومنبره، كنتُ أصلِّي لكل ترجمة ركعتين. وكتبتُ عن ألف شيخ، وأخرجتُ هذا الكتابَ من زهاء ستِّ مئةِ ألف حديث وأكثر. ما وضعتُ في كتاب "الصحيح" حديثًا إلَّا اغتسلتُ قبلَ ذلك وصلَّيت ركعتين. وقال الفَرَبْرِيّ: سمع كتاب "الصحيح" تسعون ألف رجل، ما بقي أحدٌ منهم يرويه غيري.

وروي عن البخاريِّ أنَّه قال: كتبتُ عن ألف شيخ، عن كلِّ واحدٍ عشرة آلاف حديث وأكثر، وما عندي حديثٌ إلا وأنا ذاكرٌ إسنادَه.

قال: ودخلتُ مرارًا بغداد، كل مرة أجالسُ أحمد بن حنبل، فقال لي في آخر ما ودَّعته: تتركُ العلمَ والناسَ وتصيرُ إلى خراسان؟! قال: فأنا الآن أذكرُ قول. يعني لما امتُحن.

وقال محمد بن يوسف: كنتُ أنامُ عند البخاريّ، فنمتُ عندَه ليلةً، فأحصيت أنَّه قام ثماني عشرة مرَّة، يوقدُ المصباح ويكتب ما يذكره.

وكان البخاريُّ حافظ زمانه، وكان الإمام أحمد يقول: البخاري من حفَّاظ زماننا. وكان يختلفُ إلى البصرة ولا يكتب، فقال له بعض رفقائه: لم لا تكتب؟ فقرأ عليهم جميعَ ما سمعوه من حفظه، وكان يزيد على خمسةَ عشر ألف حديث. وكان بُندار يقول: ما قدمَ علينا مثلُ محمد بن إسماعيل. وقال محمد بن نُمير: ما رأينا مثل البخاري. وقال الإمام أحمد: ما أخرجت خراسانُ مثلَ البخاري. وقال إسحاق بن راهويه وعنده البخاري: يا معاشرَ أصحاب الحديث، اكتبُوا عن هذا الشاب، فإنَّه لو كان في زمنِ الحسن لاحتاجَ الناسُ إليه؛ لمعرفته بالحديث وفهمه. وقال الدارقطنيُّ: لولا البخاريُّ ما ذهبَ مسلم ولا جاء.

وقال محمد بن حَمْدويه: سمعتُ البخاري يقول: أحفظُ مئةَ ألف حديث صحيحة، ومئتي ألف غير صحيحة.

وقال أبو أحمد بن عدي الحافظ: سمعتُ عدَّة مشايخ يحكون أنَّ البخاريَّ قدمَ بغداد، فسَمِعَ به أصحابُ الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مئة حديث، فقلبوا متونَها وأسانيدَها، وجعلُوا متنَ هذا الإسناد لإسنادٍ آخر، وإسناد هذا المتن لمتنٍ آخر، ودفعوها إلى عشرة أنفس، إلى كل نفسٍ عشرةَ أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس يُلقونها على البخاريّ، فحضرُوا، فانتدَب رجل من العشرة، فسأله عن متن حديث من تلك الأحاديث، فقال: لا أعرفه، وسأله آخر، فقال: لا أعرفه، فما زال يُلقي عليه واحدًا بعد واحد، حتى فرغَ العشرة، والبخاريُّ يقول: لا أعرفه، فكان بعض الفُهماء قال: الرجُلُ فهِم، وبعضهم قال: الرجلُ عاجز، ثم انتدبَ رجلٌ آخر، فسألَه عن الأحاديث، ولا يزيده على: ما أعرفه، فلمَّا مسألة العشرة، التفتَ إلى الأوَّل فقال: أمَّا حديثُك الأول فهو كذا، والثاني كذا، والثالث كذا، حتى أتى على العشرة، فردَّ كل متنٍ على إسناده، وكلَّ إسنادٍ على متنه، وفعل بالجميع كذلك، فأقرَّ له الناسُ بالحفظ، وأذعنُوا له بالفضل. وكان ابنُ صاعدٍ إذا ذكرَه يقول: ذاك الكبشُ النَّطَّاح.

وذكر الخطيبُ أنّه حُمِل إلى البخاريِّ بضاعةٌ، أنفذَها إليه فلانٌ، فاجتمعَ إليه التجَّارُ بالعشيَّة، وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال لهم: انصرفُوا الليلةَ، فجاءَ من الغد تجَّارٌ آخرون، وطلبوها بربح عشرة آلاف درهم، فقال: إنِّي نويتُ البارحةَ أنِّي أدفعُها إلى أولئك، وما أحب أن أغيِّرَ نيَّتي، فدفعها إلى الأُوَل.

وكان البخاري يقول: أرجو أنْ ألقَى الله ولا يحاسبَني أنَّني اغتبتُ مسلمًا. وكان يختم القرآنَ كلَّ ثلاثِ ليالٍ، ويقول: في عند كل ختمةٍ دعوةٌ مستجابة. وقال: جمعتُ الصحيحَ في ستة عشر سنة، وجعلتُه حُجَّةَ فيما بيني وبين الله تعالى. وقال الخطيب: كان البخاريُّ يصلِّي، فدخلَ زُنْبُورٌ بين ثيابه وجسده، فلسعَه في سبعة عشر موضعًا، ولم يقطع صلاته.

وقال الفضلُ بن إسماعيل الجُرْجَاني:

صحيحُ البخاري لو أنصفوه ... لما خُطَّ إلَّا بماءِ الذهبْ

أسانيدُ مثلُ نجومِ السماء ... أمامَ متونٍ كمثلِ الشُّهُبْ

فيا عالما أجمعَ العالمون ... على فضل رُتْبتِه في الرُّتَبْ

نَفَيْتَ السقيمَ من النَّاقلين ... ومن كان متَّهمًا بالكذِبْ

وأثبَتَّ من عدَّلتهُ الرواة ... وصحَّتْ روايتُه في الكُتُبْ

وأبرزتَ من حسن ترتيبِه ... وتبويبه عجبًا للعجبْ

ذكر قدومه نيسابور ومحنته ووفاته:

ورد البخاريُّ نيسابور، فقال يحيى بن محمد الذُّهْلِيّ: اذهبُوا إلى هذا الرجل العالم، فاسمعوا منه، فأقبلوا على السماع منه حتى ظهرَ الخللُ في مجالس محمد بن يحيى، فقال لهم: قد بلغني أنه يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فامتحنُوه، فقامَ إليه رجلٌ من المحدِّثين فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في اللفظ بالقرآن، مخلوقٌ أو غير مخلوق؟ فقال البخاريُّ: كلامُ الله غير مخلوفٍ، وأفعالُ العِباد مخلوقة، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، فحركاتهم وأصواتُهم وكتابتهم

مخلوقة، فصرَّح بأنَّ اللفظَ بالقرآن مخلوق، فشغبوا به وهجروه. وبلغ محمد بن يحيى فقال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق. فقد ابتدع، ولا يجالسُ ولا يُكَلَّم، ومن ذهب إلى البخاري بعدَ هذا فاتَّهموه، فإنّه لا يحضرُ مجلسَه إلا من هو على مثل هذا. فخرج البخاريُّ إلى بُخارى، وترك نَيسابور، فلمَّا دخلَ بُخارى، أرسلَ إليه أميرُها خالد بن أحمد الذهلي: احمل إلينا "الجامع" و"التاريخ" وغيرهما لنسمعَها عليك، فقال البخاريُّ لرسوله: أنا لا أذلُّ العلم وأحملُه إلى أبواب الناس، فإنْ أرادَ السماع فليحضر إلى مسجدي، وإن لم يعجبه فيمنعني من الحديث؛ ليكون لي عذرٌ عند الله يوم القيامة، فكان ذلك سببًا للوحشة بينهما، فاحتال عليه الوالي حتَّى أخرجَه من بُخَارى، فنزل قريةً من قرى سمرقند يقال لها: خَرتَنْك، على فرسخين منها، وله أقارب بها. وسببُ نفيه من نيسابور أنَّ أهلَها كتبوا إلى خالد بن أحمد الذهليّ يقولون بأنَّ البخاريَّ يقول: لفظي بالقران مخلوق، فقال الذُّهْليُّ: وما المحدث وهذا؟! وأراد قتلَه، فهرب، وكان خالدٌ من العلماءِ الأفاضل. وقال عبد القدُّوس السمرقندي: سمعتُ البخاري لما أُخرج من بُخارى يقول في الليل: اللهم إنِّي قد ضاقت عليَّ الأرضُ بما رحبتْ، فاقبضني إليك، ودخل في الصلاة، فما تم التشهُّد حتَّى مات. وكانت وفاتُه ليلةَ السبت عندَ صلاة العشاء الآخرة ليلةَ الفطر، ودفن يوم الفطر بعدَ صلاة الظهر بهذه القرية، وعمرُه اثنان وستون سنةً إلَّا أيَّامًا. وقيل: إلَّا ثلاثةَ عشر يومًا، ودُفن بخَرتَنْك رحمه الله. وقال عبد الواحد بن آدم الطَّواويسي: رأيتُ النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – في المنام ومعه جماعةٌ، وهو واقف، فسلَّمت عليه وقلت: يا رسولَ الله، ما وقوفك هاهنا؟ فقال: أنتظرُ محمَّد بن إسماعيل البخاريَّ، فماتَ في تلك الساعة.

وقال ابن أبي حاتم قدمَ البخاريُّ الريَّ سنةَ خمسٍ وخمسين ومئتين، وسمع منه أبي وأبو زُرْعة، ثم تَركا حديثَه عندما كتبَ إليهما محمد بن يحيى النيسابوريّ الذهليّ أنَّه أظهر عندهم أنَّ لفظَه بالقرآن مخلوق. وحكى ابن عساكر عن البخاريِّ أنَّه كان يقول: كلامُ الله غيرُ مخلوق، عليه أدركنا علماء الأمصار. وقال الخطيب: قال البخاري: حركاتُ العباد وأكسابُهم وكتابتُهم

مخلوقةٌ، فأمَّا القرآنُ المبين، المثبتُ في المصاحف، المسطور الموعى، فهو كلامُ الله ليس بمخلوق، قال اللهُ تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [1]

أسندَ البخاريُّ عن خلقٍ كثير، فمن أعيانهم الإمامُ أحمد بن حنبل، ويحيى بن مَعين، ومكِّي بن إبراهيم، ومحمدُ بن عبد الله الأنصاري، والفضلُ بن دُكين، وعفَّانُ بن مسلم، وأبو الوليد الطيالسي، والحُمَيديّ، والقَعنَبيّ، وعليّ بن المديني، وأبو اليمان الحمصي، وأبو عاصم النبيل، وغيرهم. وروى عنه إبراهيم الحربيّ، ومسلمُ بن الحجَّاج، وأبو حاتم وأبو زُرْعة الرازيَّان، ويحيى بنُ صاعد في آخرين. وقال ابن المدينيّ: ما رأى البخاريُّ مثله. وكان مسلمٌ يجلسُ بين يديه ويسالُه سؤال الصبيِّ المتعلِّم.

34- اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه[2]

أبو العباس القرطبي أحمد بن عمر الأنصاري (578 هـ - 656 هـ)

قال رحمه الله:" ورضي الله عن جميع صحابته، الملتئم من كل صديقة وصديق.

أما بعد، فلما قضت نتائج العقول، وأدلة الشرع المنقول بأن سعادة الدارين لا تنال إلا بمتابعة هذا الرسول، وأن الهداية الحقة باقتفاء سنته، وسنته واجبة الحصول - انتهضت همم أعلام العلماء، والسادة الفضلاء من الصحابة السابقين والتابعين اللاحقين إلى البحث عن سنته، وآثاره، وأقواله وفعاله، فحصلوا ذلك ضبطا وحفظا، وقيدوه معنى ولفظا، واستنبطوا معانيه فقها وعقلا، وبلغوها إلى غيرهم مشافهة ونقلا.

---

[1] [العنكبوت: 49].

[2] اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه1/3-11- ت: رفعت فوزي عبد المطلب. دار النوادر، دمشق الطبعة الأولى، 1435 هـ - 2014 م

ثم لم يزل أهل العلم يتناقلون ذلك جيلا بعد جيل، ويتوارثونه جليلا بعد جليل، إلى أن انتهى ذلك إلى عصر الأئمة المصنفين الذين اختارهم الله لحفظ هذا الدين، وارتضاهم لإظهار سنة سيد المرسلين. فأولهم تصنيفا وترصيفا، وأولاهم إمامة وتشريفا أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي فهو الذي حاز قصبات السباق؛ إذ هو المشهود له بأنه أمير المؤمنين في الحديث والعلم بالاتفاق. ثم تلاه أئمة المصنفين، متسابقين، مصلين وتالين ومسلين، وكل من بعده منهم لم يغرف إلا من فضالته، ولم يسر ذلك المسرى إلا بدلالته.

وهؤلاء الأئمة هم: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، البخاري، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، وأبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، وأبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، وأبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي.

فهؤلاء صدور الأئمة الأبرار الذين هجروا في طلب حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الأوطان والأوطار، وأنفقوا في تحصيله نفائس الأموال والأعمار، وارتحلوا في جمعه إلى متفرقات البلدان والأقطار، وبذلوا وسعهم في تمييز صحيحه من سقيمه، ومعوجه من مستقيمه. ثم دونوا وألفوا، وأسندوا وصنفوا، ثم بذلوا لمن ابتغاه، قاصدين بذلك وجه الإله، فأجورهم دائمة الاستمرار والاستقامة؛ "من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة"، خصوصا إمامي علماء الصحيح، المبرزين في علم الجرح والتعديل: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري؛ فإنهما جمعا كتبهما على شرط الصحيح، وبذلا جهدهما في ترتيبهما من كل علة، فتم لهما المراد، وانعقد الإجماع على تلقيهما باسم الصحيحين أو كاد. فجازى الله جميعهم عن الإسلام أحسن الجزاء، ووفاهم من أجر من انتفع بكتبهم أفضل الإجزاء؛ فلقد حفظ الله بهذين الإمامين الصحيح من سنن الدين، وأنهض بكتبهما حجة المحدثين والعلماء الراسخين. غير أن أئمة النقل، وجهابذة النقد اختلفوا فيمن السابق منهما ومن المصلي؛ إذ ليس في حلبتهما تال ولا مسلي. فذهبت طائفة إلى ترجيح البخاري وكتابه، وإليه ذهب أكثر المشارقة.

وذهبت طائفة أخرى إلى ترجيح مسلم وكتابه، وإليه ذهب أكثر المغاربة، واحتجت كل طائفة منها بما انتهى إليها من مناقب مرجحها. ونحن ننقل من عيون أخبارهما ما يدل على مناقبهما؛ لتعرف مقاديرهما، محذوفة الإسناد؛ لشهرتها في كتب المؤرخين النقاد على منهاج المباحث الفقهية، وتقرير الطريقة النظرية. ومما يحتج به للطائفة البخارية ما قاله أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة: "ما تحت أديم السماء أعلم من البخاري بالحديث" وقال مسلم بن الحجاج للبخاري، وقد مسألة عن علة حديث خفيت على مسلم فأجابه عن ذلك بما أعجبه، فقال له: "لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك." وقال أبو بكر الجوزقي: سمعت أبا حامد الشرقي يقول: رأيت مسلم ابن الحجاج بين يدي البخاري كالصبي بين يدي معلمه. وقال الدارقطني: "لولا البخاري ما ذهب مسلم ولا جاء". وقال أحمد بن محمد الكرابيسي: رحم الله الإمام أبا عبد الله البخاري؛ فإنه الذي ألف الأصول، وبين للناس، وكل من عمل بعده قد أخذ من كتابه، كمسلم بن الحجاج، فرق كتبه في كتابه، وتجلد فيه حق الجلادة، حيث لم ينسبه إلى قائله. ومنهم من أخذ كتابه فنقله بعينه كأبي زرعة وأبي حاتم. وقال أبو المصعب: محمد بن إسماعيل عندنا؛ لو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل، لقلت: كلاهما واحد في الفقه والحديث. وقال يعقوب الدورقي: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة. وذكر أبو أحمد بن عدي أن البخاري لما قدم بغداد امتحنه المحدثون بأن قلبوا أسانيد مئة حديث، فخالفوا بين أسانيدها ومتونها، ثم فرقوها على عشرة من طلحة الحديث، لكل منهم عشرة. فلما استقر بالبخاري المجلس قام إليه واحد من العشرة، فذكر له حديثا من عشرته وسأله عنه فقال: لا أعرف هذا، ثم سأله عن بقية العشرة واحدا واحدا، والبخاري يقول في كل ذلك: لا أعرف، ثم قام بعده ثان ففعل مثل ذلك، فأجابه البخاري: بلا أعرف، ثم قام ثالث كذلك، إلى أن أكمل العشرة المئة الحديث المقلوبة، فظن كل من في المجلس عجز البخاري وانقطاعه، فعند ذلك دعا البخاري الأول فرد متون أحاديثه إلى أسانيدها، وكذلك فعل بجميعهم، فبهت السائلون، وأعجب بذلك الحاضرون والسامعون. وقال محمد بن حمدويه: سمعت البخاري يقول: أحفظ مئة ألف حديث صحيح،

وأعرف مئتي ألف حديث غير صحيح. وقال جعفر بن محمد القطان: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كتبت عن أكثر من ألف شيخ، ما عندي حديث إلا أذكر سنده. ونقل أبو الفرج ابن الجوزي عن البخاري أنه قال: صنفت كتاب "الصحيح" في ست عشرة سنة، من ست مئة ألف حديث، وجعلته حجة بيني وبين الله. وقال إبراهيم بن معقل: سمعت البخاري يقول: ما أدخلت في كتاب "الجامع" إلا ما صح، وقد تركت من الصحيح. وقال محمد بن مطر: قال لي محمد بن إسماعيل: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا إلا اغتسلت وصليت ركعتين. وقال عبد القدوس بن همام: سمعت عدة من المشايخ يقولون: دون البخاري تراجم كتابه بين قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين. ولما علم أهل زمانه فضله على أقرانه وتقدمه على علماء أوانه كان يجتمع عليه في مجلسه أكثر من عشرين ألفا. وقال الفربري: سمع كتاب البخاري تسعون ألفا، فما بقي أحد يرويه غيري.

هذا مع علو إسناده، فقد أدرك جماعة ممن أدركوا متأخري التابعين كمكي بن إبراهيم البلخي، وأبي عاصم النبيل، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، وعصام بن خالد الحمصي. وقد روى عنه جماعة من الأئمة؛ كمسلم بن الحجاج، وأبي حاتم الرازي، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة، وأبي حامد بن الشرقي، وأبي عيسى الترمذي، وإبراهيم بن إسحاق الحربي، في آخرين يطول ذكرهم. فقد حصل بالنقل المتواتر، والإتفاق أن البخاري حاز قصب السباق.

وللطائفة النيسابورية أن تقول: نحن لا ننازع في صحة ما نقلتم، ولا ننكر فضل من فضلتم، ولكنا ننقل من فضائل صاحبنا وأخباره نحو ما ذكرتم، ثم نثبت له ولكتابه من المزية ما يوجب لها أولوية. فمن ذلك ما قاله أبو علي الحسن بن علي النيسابوري: "ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم، وما رأيت أحفظ منه". ويلزم من هذا القول أنه أعلم بالصحيح من كل من تحت أديم السماء، وهذا نحو مما قاله ابن خزيمة في البخاري. وكان أبو زرعة وأبو حاتم يقدمان مسلما على مشايخ عصرهما، والبخاري من مشايخ عصرهما، فقد حكما لمسلم بالتقدم على البخاري. وقال أبو مروان الطنبي: كان من شيوخي من يفضل كتاب مسلم على كتاب البخاري. وقال مسلمة بن قاسم في تاريخه: مسلم جليل القدر من أئمة المحدثين،

وذكر كتابه في الصحيح وقال: لم يضع أحد مثله. وقال أبو حامد الشرقي: سمعت مسلما يقول: ما وضعت شيئا في هذا المسند إلا بحجة، وما أسقطت شيئا منه إلا بحجة. وقال أبو محمد بن أبي حاتم: مسلم بن الحجاج ثقة من الحفاظ له معرفة بالحديث، سئل أبي عنه فقال: صدوق. وقال إبراهيم بن سفيان: قال لي مسلم: ليس كل الصحيح وضعت هنا، إنما وضعت ما أجمعوا عليه. وقال الحسن بن محمد الماسرجسي: سمعت أبي يقول: سمعت مسلم ابن الحجاج يقول: صنفت هذا المسند من ثلاث مئة ألف حديث مسموعة. وقال مسلم بن الحجاج: لو أن أهل الحديث يكتبون الحديث مئتي سنة فمدارهم على هذا المسند، ولقد عرضت كتابي هذا على أبي زرعة الرازي، وكل ما أشار أن له علة تركته، وما قال: هو صحيح أخرجته. وقال أبو يعلى الخليلي الحافظ: مسلم بن الحجاج القشيري صاحب الصحيح هو أشهر من أن تذكر فضائله، رحل إلى العراق، والحجاز، والشام، ومصر، سمع يحيى النيسابوري، وقتيبة بن سعيد، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، ومسلم بن إبراهيم، وأبا بكر وعثمان ابني أبي شيبة، ومحمد بن بشار بندار، ومحمد ابن المثنى، وخلقا كثيرا يطول ذكرهم، وروى عنه إبراهيم بن محمد بن سفيان المرضي الزاهد، وأبو محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن المغيرة بن عبد الرحمن القلانسي، ولا يروى كتابه إلا من طريقهما. وروى عنه أيضا مكي بن عبدان، وأبو حامد بن الشرقي، ويحيى بن محمد بن صاعد، ومحمد بن مخلد، وآخرون. وسمع منه أبو حاتم مع جلالته، وابنه عبد الرحمن. وعند تقابل هذه الفضائل يتوقف في الترجيح بينهما كل منصف فاضل. وأما نكتة المزية الموحية للأولوية فهي أن مسلما متفق على إمامته، مجمع على قبول قوله وحديثه، كما حكى القاضي أبو الفضل عياض، وليس كذلك البخاري؛ فإن أبا محمد بن أبي حاتم قال في البخاري: إن أبي وأبا زرعة تركا حديثه عندما كتب إليهما محمد بن يحيى النيسابوري أنه أظهر عندهم أن لفظه بالقرآن مخلوق".

35- الدر الثمين في أسماء المصنفين[1]

علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله، ابن الساعي (المتوفى674هـ)

قال رحمه الله: " محمد بن إسماعيل البخاريّ، أبو عبد الله الشافعيّ، صاحب كتاب الصحيح. كان من أصحاب الشافعيّ، وقد روى عنه. له من الكتب: التاريخ الكبير، وكتاب التاريخ الصغير، وكتاب الأسماء والكنى، وكتاب الضّعفاء، وكتاب الصّحيح، وكتاب السّنن في الفقه، وكتاب الأدب، وكتاب رفع اليدين، وكتاب القراءة خلف الإمام. "

36- تهذيب الأسماء واللغات[2]

أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)

قال رحمه الله: محمد بن إسماعيل البخاري الإمام صاحب الصحيح، هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه، بباء موحدة مفتوحة، ثم راء ساكنة، ثم دال مهملة مكسورة، ثم زاي ساكنة، ثم باء موحدة، ثم هاء، هكذا قيده الأمير أبو نصر بن ماكولا، وقال: هو بالبخارية، ومعناه بالعربية الزراع.

وروينا عن الخطيب الحافظ أبي بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادي قال: بردزبه مجوسي مات عليها. قال: وابنه المغيرة أسلم على يد اليمان البخاري الجعفي، وإلى بخارى ويمان هذا هو أبو عبد الله محمد بن جعفر بن يمان المسندي، بفتح النون، شيخ البخاري، وإنما قيل للبخاري جعفي؛ لأنه مولى يمان الجعفي ولاء إسلام.

---

[1] الدر الثمين في أسماء المصنفين 172-173

تحقيق وتعليق: أحمد شوقي بنبين - محمد سعيد حنشي

دار الغرب الاسلامي- الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009م.

[2] تهذيب الأسماء واللغات 67/1-77- دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان

واتفقوا على أن البخاري، رحمه الله، ولد بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شوال سنة أربع وتسعين ومائة، وأنه توفى ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة عيد الفطر، ودفن يوم الفطر بعد الظهر سنة ست وخمسين ومائتين، ودفن بخرتنك، قرية على فرسخين من سمرقند. وروينا من أوجه، عن الحسن بن الحسين البزاز، بزاءين، قال: رأيت محمد بن إسماعيل البخاري نحيف الجسم، ليس بالطويل ولا بالقصير. وهذه نبذة من عيون أخباره أشير إليها بأقرب الإشارات، وهي عندي بأسانيدها المهذبات المشهورات:

روينا عنه أنه قال: أما المادح والذام عندي سواء. وقال: أرجو أن ألقى الله عز وجل ولا يطالبني أنى اعتبت أحدًا. وقال: ما اشتريت منذ وليت من أحد بدرهم، ولا بعت أحدًا شيئًا، فسُئل عن الورق والحبر، فقال: كنت آمر إنسانًا أن يشترى لي.

وروينا عن أبى عبد الله محمد بن يوسف الفربري راوية صحيح البخاري، قال: رأيت النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في النوم، فقال: أين تريد؟ قلت: أريد محمد بن إسماعيل البخاري، فقال: أقرئه منى السلام.

وروينا عن الفربري، قال: رأيت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، رحمه الله، في النوم خلف النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، والنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يمشى، كلما رفع قدمه وضع البخاري قدمه في ذلك الموضع.

وعن محمد بن حمدويه، قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح.

وروينا عن الإمام أحمد بن حنبل، قال: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل. وعنه قال: انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان: أبو زرعة الرازي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، يعنى الدارمي، والحسن بن شجاع البلخي.

وعن الحافظ أبى على صالح بن محمد بن جزرة، قال: ما رأيت خراسانيًا أفهم من البخاري.

وعنه قال: أعلمهم بالحديث البخاري، وأحفظهم أبو زرعة، وهو أكثرهم حديثًا.

وعن محمد بن بشار شيخ البخاري ومسلم، قال: حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري، ومسلم بن الحجاج بنيسابور، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل

ببخارى. وعنه قال: ما قدم علينا، يعنى البصرة، مثل البخاري. وعنه أنه قال حين دخل البخاري البصرة: دخل اليوم سيد الفقهاء.

وعنه أنه حين قدم البخاري البصرة قام إليه فأخذ بيده وعانقه، وقال: مرحبًا بمن أفتخر به منذ سنين. وروينا عن إسحاق بن أحمد بن خلف، قال: سمعت البخاري غير مرة يقول: ما تصاغرت نفسي عند أحد إلا عند على بن المديني، فذكر لعلى بن المديني قول البخاري هذا، فقال: ذروا قوله، هو ما رأى مثل نفسه.

وروينا عن محمد بن عبد الله بن نمير، وأبى بكر بن أبى شيبة، قالا: ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل. وروينا عن عمرو بن على القلاس، قال: حديث لا يعرفه البخاري ليس بحديث. وروينا عن عبدان شيخ البخاري، قال: ما رأيت شابًا أبصر من هذا، وأشار إلى البخاري. وروينا عن عبد الله بن محمد المسندي، بفتح النون، قال: محمد بن إسماعيل إمام، فمن لم يجعله إمامًا فاتهمه. وروينا عن الإمام أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، قال: رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق، فما رأيت فيهم أجمع من أبى عبد الله البخاري. وروينا عن ابن سهل محمود بن النصر، قال: دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة، ورأيت علماءها، فكلما جرى ذكر البخاري فَضَّلوه على أنفسهم. وروينا عن على بن حجر، قال: أخرجت خراسان ثلاثة: أبا زرعة بالري، ومحمد بن إسماعيل ببخارى، والدارمي بسمرقند. قال: والبخاري عندي أعلمهم وأبصرهم وأفهمهم. وروينا عن أبى حامد الأعمش، قال: رأيت محمد بن إسماعيل البخاري في جنازة، ومحمد بن يحيى الذهلي، يعنى شيخ البخاري، وإمام نيسابور يسأله عن الأسماء والكنى، وعلل الحديث، والبخاري يمر فيها مثل السهم، كأنه يقرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [1]

وروينا عن حاشد، بالحاء المهملة وكسر الشين المعجمة، ابن إسماعيل، قال: رأيت إسحاق بن راهوية جالسًا على السرير ومحمد بن إسماعيل معه، فأنكر عليه محمد بن إسماعيل شيئًا، فرجع إسحاق إلى قول محمد، وقال إسحاق: يا معشر أصحاب الحديث، اكتبوا عن هذا الشاب، فإنه لو كان في زمن الحسن البصري لاحتاج الناس إليه؛ لمعرفته بالحديث وفهمه.

---

[1] [الإخلاص: 1].

وروينا عن أبي عمرو أحمد بن نصر الخفاف، قال: حدثني محمد بن إسماعيل البخاري التقي، النقي، العالم الذي لم أر مثله. وروينا عن أبي عيسى الترمذي، قال: لم أر بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل. وروينا عن عبد الله بن حماد الآملي، وهو شيخ البخاري: وددت أني شعرة في صدر محمد بن إسماعيل.

وروينا عن محمد بن يعقوب الحافظ، عن أبيه، قال: رأيت مسلم بن الحجاج بين يدي البخاري يسأله سؤال الصبي لمعلم. وروينا عن الإمام مسلم بن الحجاج أنه قال للبخاري: لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أنه ليس في الدنيا مثلك.

وروى الحاكم أبو عبد الله في تاريخ نيسابور بإسناده، عن أحمد بن حمدون، قال: جاء مسلم بن الحجاج إلى البخاري، فقبل بين عينيه، وقال: دعني أُقَبِّل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، ويا طبيب الحديث في علله.

وروينا عن حاشد بن إسماعيل، قال: كان أهل البصرة يعدون خلف البخاري في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه، ويجلسوه في الطريق، ويجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه، وكان البخاري إذ ذاك شابًا لم يخرج وجهه. وروينا عن أبي بكر الأغر، قال: كتبنا عن محمد بن إسماعيل على باب محمد بن يوسف الفريابي وما في وجهه شعرة.

وروينا عن الحافظ صالح بن محمد جزرة، قال: كان البخاري يجلس ببغداد، وكنت أستملي له، ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفًا. وروينا عن محمد بن يوسف بن عاصم، قال: كان للبخاري ثلاثة مستملين، واجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفًا. وروينا عن إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة، قال: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من محمد بن إسماعيل.

قال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي: وحسبك بإمام الأئمة ابن خزيمة يقول فيه هذا القول مع لقيه الأئمة والمشايخ شرقًا وغربًا.

قال أبو الفضل: ولا عجب فيه، فإن المشايخ قاطبة أجمعوا على قدمه، وقَدَّمُوُه على أنفسهم في عنفوان شبابه، وابن خزيمة إنما رآه عند كبره وتفرده في هذا الشأن.

وروينا عن إبراهيم بن محمد بن سلام، بتخفيف اللام على الأصح، وقيل: بتشديدها، قال: إن الرتوت من أصحاب الحديث مثل سعيد بن أبي مريم المصري، ونعيم بن حماد، والحميدي،

والحجاج بن منهال، وإسماعيل بن أبي أويس، والعدني، والحسن الخلال، ومحمد بن ميمون صاحب ابن عيينة، ومحمد بن العلاء، والأشج، وإبراهيم بن المنذر الخزامى، وإبراهيم بن موسى الفراء، كلهم كانوا يهابون محمد بن إسماعيل، ويقضون له على أنفسهم في النظر والمعرفة. قلت: الرتوت: الرؤساء، قاله ابن الأعرابي وغيره. وذكره الحاكم أبو عبد الله البخاري، فقال: هو إمام أهل الحديث بلا خلاف بين أهل النقل.

واعلم أن وصف البخاري، رحمه الله، بارتفاع المحل والتقدم في هذا العلم على الأماثل والأقران، متفق عليه فيما تأخر وتقدم من الأزمان، ويكفي في فضله أن معظم من أثنى عليه ونشر مناقبه شيوخه الأعلام المبرزون، والحُذَّاق المتقنون.

فصل في الإشارة إلى بعض شيوخه والآخذين عنه، والمنتمين إليه، والمستفيدين منه

هذا الباب واسع جدًا لا يمكن استقصاؤه، فأنبه على جماعة من كل إقليم وبلد؛ ليستدل بذلك على اتساع رحلته، وكثرة روايته، وعظم عنايته.

فأما شيوخه، فقال الحاكم أبو عبد الله في تاريخ نيسابور: ممن سمع منه البخاري، رحمه الله تعالى، بمكة: أبو الوليد أحمد بن محمد الأزرقي، وعبد الله بن يزيد المقري، وإسماعيل بن سالم الصائغ، وأبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، وأقرانهم. وبالمدينة: إبراهيم بن المنذر الخزامى، ومطرف بن عبد الله، وإبراهيم بن حمزة، وأبو ثابت محمد بن عبيد الله، وعبد العزيز بن عبد الله الأويسي، وأقرانهم. وبالشام: محمد بن يوسف الفريابي، وأبو نصر إسحاق بن إبراهيم، وآدم بن أبي إياس، وأبو اليمان الحكم بن نافع، وحيوة بن شريح، وأقرانهم.

وببخاري: محمد بن سلام البيكندي، وعبد الله بن محمد المسندي، وهارون بن الأشعث، وأقرانهم. وبمرو: على بن الحسن بن شقيق، وعبدان، ومحمد بن مقاتل، وأقرانهم. وببلخ: مكي بن إبراهيم، ويحيى بن بشر، ومحمد بن أبان، والحسن بن شجاع، ويحيى بن موسى، وقتيبة، وأقرانهم، وقد أكثر بها. وبهراة: أحمد بن أبي الوليد الحنفي. وبنيسابور: يحي بن يحيى، وبشر بن الحكم، وإسحاق بن راهوية، ومحمد بن رافع، ومحمد بن يحيى الذهلي، وأقرانهم. وبالري: إبراهيم بن موسى. وببغداد: محمد بن عيسى الطباع، ومحمد بن سائق، وسريج، بالسين المهملة والجيم، ابن النعمان، وأحمد بن حنبل، وأقرانهم، وبواسط: حسان بن حسان، وحسان بن عبد الله، وسعيد بن عبد الله ابن سليمان، وأقرانهم.

وبالبصرة: أبو عاصم النبيل، وصفوان بن عيسى، وبدل بن المحرب، بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة، وحرمى بن عمارة، وعفان بن مسلم، ومحمد بن عرعرة، وسليمان بن حرب، وأبو الوليد الطيالسي، وعارم، ومحمد بن سنان، وأقرانهم. وبالكوفة: عبد الله بن موسى، وأبو نعيم، وأحمد بن يعقوب، وإسماعيل بن أبان، والحسن بن الربيع، وخالد بن مخلد، وسعيد بن حفص، وطلق بن غنام، وعمرو بن حفص، وعروة، وقبيصة بن عقبة، وأبو غسان، وأقرانهم. وبمصر: عثمان بن صالح، وسعيد بن أبي مريم، وعبد الله بن صالح، وأحمد بن صالح، وأحمد بن شبيب، وأصبغ ابن الفرج، وسعيد بن عيسى، وسعيد بن كثير بن عفير، ويحيى بن عبد الله بن بكير، وأقرانهم. وبالجزيرة: أحمد بن عبد الملك الحراني، وأحمد بن يزيد الحراني، وعمرو بن خلف، وإسماعيل بن عبد الله الرقى، وأقرانهم.

قال الحاكم أبو عبد الله: قد رحل البخاري، رحمه الله، إلى هذه البلاد المذكورة في طلب العلم، وأقام في كل مدينة منها على مشايخها. قال: وإنما سميت من كل ناحية جماعة من المتقدمين؛ ليستدل به على إسناده، وبالله التوفيق. وروينا عن الخطيب البغدادي، رحمه الله، قال: رحل البخاري، رحمه الله تعالى، إلى محدثي الأمصار، وكتب بخراسان، والجبال، ومدن العراق كلها، وبالحجاز، والشام، ومصر، وورد بغداد دفعات. وروينا من جهات عن جعفر بن محمد القطان، قال: سمعت البخاري يقول: كتبت عن ألف شيخ من العلماء وزيادة، وليس عندي حديث إلا أذكر إسناده.

وأما الآخذون عن البخاري، فأكثر من أن يحصروا، وأشهر من أن يذكروا. وقد روينا عن الفربري، قال: سمع الصحيح من البخاري سبعون ألف رجل، فما بقي أحد يرويه غيرى. وقد روى عنه خلائق غير ذلك، وقد قدمنا أنه كان يحضر مجلسه أكثر من عشرين ألفًا يأخذون عنه، وممن روى عنه من الأئمة الأعلام: الإمام أبو الحسين مسلم ابن الحجاج صاحب الصحيح، وأبو عيسى الترمذي، وأبو عبد الرحمن النسائي، وأبو حاتم، وأبو زرعة الرازيان، وأبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي الإمام، وصالح بن محمد جزرة الحافظ، وأبو بكر بن خزيمة، ويحيى بن محمد بن صاعد، ومحمد بن عبد الله مطين، وكل هؤلاء أئمة حفاظ، وآخرون من الحفاظ وغيرهم. قال الخطيب: آخر مَن حدَّث ببغداد عن البخاري: الحسين بن إسماعيل المحاملي.

فصل في اسم صحيح البخاري، وتعريف محله وسبب تصنيفه، وكيفية جمعه وتأليفه

أما اسمه: فسماه مؤلفه البخاري، رحمه الله: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وسننه وأيامه.

وأما محله: فقال العلماء: هو أول مُصَنَّف صُنِّف في الصحيح المجرد. واتفق العلماء على أن أصح الكتب المصنفة صحيحا البخاري ومسلم. واتفق الجمهور على أن صحيح البخاري أصحهما صحيحًا، وأكثرهما فوائد. وقال الحافظ أبو على النيسابوري وبعض علماء المغرب: صحيح مسلم أصح. وأنكر العلماء ذلك عليهم، والصواب ترجيح صحيح البخاري. وقد قرر الإمام الحافظ أبو بكر الإسماعيلي في كتابه المدخل ترجيح صحيح البخاري على صحيح مسلم، وذكر دلائله. وقال النسائي: أجود هذه الكتب كتاب البخاري. وأجمعت الأمة على صحة هذين الكتابين، ووجوب العمل بأحاديثهما.

وأما سبب تصنيفه وكيفية تأليفه:

فروينا عن إبراهيم بن معقل النسفي، قال: قال البخاري، رحمه الله: كنت عند إسحاق بن راهوية، فقال لنا بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابًا مختصرًا في الصحيح لسنن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فوقع ذلك في قلبي، وأخذت في جمع هذا الكتاب. وروينا من جهات عن البخاري، رحمه الله، قال: صنفت كتاب الصحيح لست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة بيني وبين الله. وروينا عنه قال: رأيت النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في المنام، وكأني واقف بين يديه، وبيدي مروحة أذب عنه، فسالت بعض المعبرين، فقال: أنت تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الصحيح. وروينا عنه، قال: ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صح، وتركت من الصحاح طحال القول.

وروينا عن الفربري، قال: قال البخاري: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثًا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين. وروينا عن عبد القدوس بن همام، قال: سمعت عدة من المشايخ يقولون: حول البخاري تراجم جامعه بين قبر النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ومنبره، وكان يصلى لكل ترجمة ركعتين. وقال آخرون، منهم أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي: صنفه ببخارى، وقيل: بمكة، وقيل: بالبصرة، وكل هذا صحيح، ومعناه أنه كان يصنف فيه في كل بلدة من هذه البلدان، فإنه بقي في تصنيفه ست عشرة سنة كما سبق. قال الحاكم أبو عبد

الله: حدثنا أبو عمرو إسماعيل، حدثنا أبو عبد الله محمد بن على، قال: سمعت البخاري يقول: أقمت بالبصرة خمس سنين مع كتبي أصنف وأحج في كل سنة، وأرجع من مكة إلى البصرة. قال البخاري: وأنا أرجو أن يبارك الله تعالى للمسلمين في هذه المصنفات. وبلغني عن الشيخ أبي زيد المروزي، من أصحابنا، وهو أجل من روى صحيح البخاري، عن الفربري، قال: رأيت النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في المنام، فقال لي: إلى متى تدرس الفقه ولا تدرس كتابي؟ قلت: وما كتابك يا رسول الله؟ قال: جامع محمد بن إسماعيل البخاري، أو كما قال.

فصل.

جملة ما في صحيح البخاري من الأحاديث المسندة سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثًا بالأحاديث المكررة، وبحذف المكررة نحو أربعة آلاف، وقد ذكرتها مفصلة مختصرة في أول شرح صحيح البخاري، وذكرت فيه جملة من أحوال البخاري، وورعه، وتعظيمه للعلم، وما يتعلق بصحيحه، كبيان فائدة إعادته الحديث الواحد في أبواب، وفائدة تحديثه عن واحد في موضع، ثم يروى في موضع آخر عن رجل أو رجلين عنه، وبيان التعليق الذي فيه، وغير ذلك.

فصل. روينا عن محمد بن أبي حاتم وراق البخاري، قال: كان البخاري إذا كنت معه في سفر جمعنا بيت، إلا في القيظ أحيانًا، فكنت أراه يقوم في ليلته خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل مرة يأخذ القداحة فيورى نارًا بيده ويسرج، ثم يخرج أحاديث يعلمها، ثم يضع رأسه، وكان يصلى في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة، ورأيته استلقى على قفاه يومًا ونحن بفربر في تصنيف كتاب التفسير، وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث، فقلت له: يا أبا عبد الله، سمعتك تقول: ما أتيت شيئًا بغير علم قط منذ عقلت، فأي علم في هذا الاستلقاء؟ فقال: أتعبنا أنفسنا في هذا اليوم، وهذا ثغر خشيت أن يحدث حدث في أمر العدو، فأحببت أن أستريح وآخذ أهبة ذلك، فإن غافصنا عدو كان بنا حراك، فهذه الحكاية وإن اشتملت على نفائس، مقصودي فيها التنبيه على قوله: ما أتيت شيئًا بغير علم.

فهذه أحرف من عيون مناقبه وصفاته، ودرر شمائله وحالاته، أشرت إليها إشارات لكونها من المعروفات الواضحات، ومناقبه لا تستقصى؛ لخروجها عن أن تحصى، وهى منقسمة إلى حفظ، ودراية، واجتهاد في التحصيل، ورواية، ونسك، وإفادة، وورع، وزهادة، وتحقيق، وإتقان، وتمكن، وعرفان، وأحوال، وكرامات، وغيرها من أنواع المكرمات، ويوضح ذلك ما أشرت إليه من أقوال أعلام المسلمين أولى الفضل والورع، والدين، والحفاظ والنقاد المتقنين، الذين لا يجازفون في العبارات، بل يتأملونها ويحررونها، ويحافظون على صيانتها أشد المحافظات، وأقاويلهم بنحو ما ذكرته غير منحصرة، وفيما أشرت إليه أبلغ كفاية للمستبصر، رضى الله عنه وأرضاه، وجمع بيني وبينه وجميع أحبابنا في دار كرامته مع من اصطفاه، وجزاه عنى وعن سائر المسلمين أكمل الجزاء، وحباه من فضله أبلغ الحباء.

37- التلخيص شرح الجامع الصحيح للبخاري

قال رحمه الله[1]: " **فصل في أحوال البخاري** هو: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة – بضم الميم على المشهور، ويجوز كسرها في لُغةٍ – ابن بَرْدِزُبَه – بموحدة مفتوحة، ثم راء ساكنة، ثم دال مهملة مكسورة، ثم زاي ساكنة، ثم باء موحدة، ثم هاء –. هكذا قيده الأمير أبو نصر ابن مَاكُولا وقال: هو بالبخارية، ومعناه بالعربية: الزراع.

روينا عن الخطيب الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، قال: بَرْدِزْبَه مجوسي، مات عليها. قال: وابنه المغيرة أسلم على يد يمان البخاري الجعفي، والي «بخارا». ويمان هذا هو: أبو جد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن يمان المسندي، شيخ البخاري. ويُقال للبخاري: جُعْفي؛ لأنه مولى يمان الجعفي ولاء إسلام.

واتفق العلماء على أن البخاري رحمه الله تعالى ولد بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين وما ومئة؛ وأنه توفي ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر،

---

[1] التلخيص شرح الجامع الصحيح للبخاري ج1/192-238 تحقيق الفريابي – دار طيبة 1429-2007 ط1

ودفن يوم الفطر بعد الظهر سنة ست وخمسين ومئتين، ودفن بخرتنك قرية على فرسخين بسمرقند. وروينا من أوجه عن الحسن بن الحسين البزاز – بزايين – قال: رأيتُ محمد بن إسماعيل البخاري نحيف الجسم، لا بالطويل ولا بالقصير. وهذه أحرف من طرف أخباره أشير إليها إشارات، وهي عندي بالأسانيد المتصلة المشهورات.

قال البخاري رحمه الله تعالى: المادح والذام عندي سواء. وقال: أرجو أن ألقى الله تعالى ولا يُطالبني أني أغتبت أحدا. وقال: ما اشتريت منذ ولدت من أحد بدرهم، ولا بعتُ أحدًا شيئًا، فسئل عن الكواغذ والحبر، فقال: كنتُ أمر إنساناً يشتري لي.

وروينا عن الفِرَبْرِي رحمه الله، قال: رأيتُ النبي ﷺ في النوم، فقال: أين تريد؟ قلت: أريدُ محمد بن إسماعيل البخاري. فقال: أقرئه مني السلام. وروينا عن الفِرَبْرِي، قال: رأيتُ أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله في النوم خلف النبي، والنبي ﷺ يمشي كلما رفع قدمه، وضع البخاري قدمه في ذلك الموضع.

وعن محمد بن حمدويه، قال: سمعتُ محمَّد بن إسماعيل البخاري، يقول: أحفظ مئة ألف حديث صحيح، ومئتي ألف حديث غير صحيح.

وروينا عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، قال: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل. وعنه قال: انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خُراسان: أبي زرعة الرازي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي الدارمي، والحسن بن شجاع البلخي.

وعن الحافظ أبي علي صالح بن محمد جَزَرةَ، قال: ما رأيتُ خُراسانيا أفهم منه. وقال: أعلمهم بالحديث البخاري، وأحفظهم أبو زرعة، وهو أكثرهم حديثا. وعن محمد بن بشار، قال: حُفّاظ الدُّنيا أربعة: أبو زرعة بالري، ومسلم بن الحجاج بنيسابور، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارا. وعنه: قال: ما قدم علينا مثل

البخاري. وعنه: أنه قال حين دخل البخاري البصرة: دخل اليوم سيد الفقهاء. وعنه: أنه حين قدم البخاري البصرة قام إليه فأخذ بيده وعانقه، فقال: مرحبا بمن أفتخر به منذ سنين.

وروينا عن إسحاق بن أحمد بن خَلفٍ، قال: سمعت البخاري غير مرة يقول: ما تصاغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني، وذكر لعلي بن المديني قول البخاري هذا، فقال: ذَرُوا قوله، هو ما رأى مثل نفسه. وروينا عن محمد بن عبد الله بن نمير، وأبي بكر بن أبي شيبة، قالا: ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل. وروينا عن عَمْرو بن علي الفلاس، قال: حديث لا يعرفه محمدُ بنُ إسماعيل ليس بحديث. وروينا عن عبدان قال: ما رأيتُ شابا أبصر من هذا، وأشار إلى البخاري. وروينا عن عبد الله بن محمد المسندي – بفتح النون – قال: محمدُ بنُ إسماعيل إمام، فمن لم يجعله إماما فاتهمه.

وروينا عن الإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، قال: رأيت العلماء بالحَرَمين والحِجَازِ والشَّامِ والعِراق، فما رأيتُ فيهم أجمع من أبي عبد الله البخاري. وروينا عن أبي سهل محمود بن النَّضِر، قال: دخلت البصرة والشَّامَ والحجاز والكوفة ورأيتُ علماءها، وكلّما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضَّلُوهُ على أنفسهم. وروينا عن علي بن حُجْرٍ، قال: أخرجتْ خُراسان ثلاثة: أبا زرعة بالري، ومحمد بن إسماعيل ببخارا، والدارمي بسمرقند. قال: ومحمد عندي أعلمهم وأبصرهم وأفقههم.

وروينا عن أبي حامد الأَعْمَشِي قال: رأيتُ محمد بن إسماعيل البخاري في جنازة، ومحمد بن يحيى، يعني: الذهلي يسأله عن الأسماء والكنى، وعلل الحديث، ويمر فيها البخاري مثل السهم، كأَنَّه يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ﴾.

وروينا عن حَاشِد – بالحاء المهملة والشين المعجمة – ابن إسماعيل، قال: رأيت إسحاق ابن راهويه جالسًا على السرير، ومحمد بن إسماعيل معه، فأنكر عليه محمد بن إسماعيل شيئًا، فرجع إسحاق إلى قول محمد بن إسماعيل. وقال إسحاق: يا معشر أصحاب الحديث اكتبوا

عن هذا الشاب، فإنَّه لو كان في زمن الحسن البصري لاحتاج إليه النَّاسُ؛ لمعرفته بالحديث وفقهه.

وروينا عن أبي عمرو أحمد بن نصر الخَفَّافِ، قال: حدثني محمدُ بنُ إسماعيل البخاري، التقيُّ، النقي، العالم الذي لم أر مثله. وروينا عن أبي عيسى الترمذي، قال: لم أر بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ، ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل. وروينا عن عبد الله بن حماد الأملي قال: وددت أني شعرةٌ في صَدرِ محمد بن إسماعيل.

وروينا عن محمد بن يَعْقُوب الحافظ، عن أبيه، قال: رأيتُ مسلم بن الحجاج بين يدي البخاري يسأله سؤالَ الصَّبِيّ المعَلِّمَ. وروينا عن الإمام مسلم بن الحجاج، أنه قال للبخاري: لا يُبْغِضك إلا حاسد، وأشهد أنَّه ليسَ فِي الدُّنيا مثلك. وذكر الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ في «تاريخ نيسابور» بإسناده عن أحمد بن حمدون قال: جاء مسلم بن الحجاج إلى البخاري، فقبل بين عينيه، وقال: دعني أقبلُ رِجلَك، يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، ويا طبيب الحديث في علله.

وروينا عن حَاشِد بن إسماعيل، قال: كان أهل المعرفة من أهل البصرة يَعْدُون خلف البخاري في طلب الحديث، وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه، ويُجْلِسُوه في بعض الطريق، ويجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه، وكان البخاري إذ ذاك شابًا لم يخرج وجهه. وروينا عن أبي بكر الأعين، قال: كتبنا عن محمد بن إسماعيل على باب محمد بن يوسف الفريابي، وما في وجهه شعرة. وروينا عن الحافظ صالح بن محمَّدٍ جَزَرَةَ، قال: كان البخاري يجلس ببغداد، وكنت استملي له، ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفا. وروينا عن محمد بن يوسف بن عَاصِم، قال: كان لمحمد بن إسماعيل ثلاثة مُسْتَملين، واجتمع في مجلسه زيادة على عشرين ألفا.

وروينا عن إمام الأئمة محمَّد بن إسحاق بن خُزَيْمة، قال: ما رأيتُ تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ من محمد بن إسماعيل البخاري. قال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي: وحسبك بإمام الأئمة ابن خزيمة يقول فيه هذا القول، مع لُقِيّه المشايخ والأئمة شَرقًا وغربًا. قال أبو الفضل: ولا عَجَب. فإنَّ المشايخ قاطبة أجمعوا على قدمه وقدموه على أنفسهم في عنفوانِ شبابه، وابن خزيمة إنَّما رآه عند كبره وتفرده في هذا الشأن.

وروينا عن إبراهيم بن محمد بن سلام، قال: إنَّ الرُّتوت من أصحاب الحديث مثل: سعيد بن أبي مريم المصري، ونعيم بن حماد، والحميدي، والحجاج بن منهال، وإسماعيل بن أبي أُوَيْس، والعَدَني، والحَسَن الخلال، ومحمد بن ميمون صاحب ابن عيينة، ومحمد بن العلاء، والأشج، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، وإبراهيم بن موسى الفراء، كلهم كانوا يهابون محمد بن إسماعيل. ويَقْضُون له على أنفسهم في النظر والمعرفة. قلتُ: الرُّتُوْتُ: الرُّؤساء، قاله ابن الأعرابي وغيره. وذكر الحاكم أبو عبد الله النيسابوري رحمه الله تعالى البخاري، فقال: هو إمام أهل الحديث بلا خلاف بين أئمة النقل.

واعلم أن وصف البخاري الله بارتفاع المحل، والتقدم في هذا العلم على الأماثل والأقران متفق عليه، فيما تأخر وتقدم من الأزمان، ويكفي في فَضلِه أَنَّ مُعظم من أثنى عليه ونشر مناقبه: شيوخه الأعلامُ المبرَّزونَ والحَذَّاقُ المتقنون. فهذه أَحْرُفٌ من عُيونِ مناقبه وصفاته، ودُرَرِ شمائله وحالاته أشرتُ إليها إشارات؛ لكونها من المعروفات المشهورات، ومناقبه لا تستقصى لخروجها عن أن تحصى، وهي منقسمة إلى حفظ ودراية، واجتهاد في التحصيل، ورواية ونسك وإفادة، وورع، وزهادة، وتحقيق، وإتقان، وتمكن، وعرفان، وأحوال وكرامات وغيرها من أنواع المكرمات، ويُوضّح لك ذلك ما أشرت إليه من أقوال أعلام أئمة المسلمين أُولي الورع والدِّينِ، والحفاظ النقادِ المتقِنِينَ الَّذينَ لا يُجَازِفُونَ في العِباراتِ بل يتأملونها ويُحرِّرونها،

ويُحافظون على صيانتها أشد المحافظات، وأقوالهم بنحو ما ذكرته غير منحصرة، وفيما أشرتُ أبلغ كفاية للمُستبصر.

فصل في الإشارة إلى بعض شيوخه والآخذين عنه، والمنتمين إليه، والمستفيدين منه

هذا باب واسع جدا لا يمكن استقصاؤه، فأنبه على جماعة من كل إقليم وبلد؛ ليستدل بذلك على اتساع رحلته، وكثرة روايته، وعظيم عنايته.

فأما شيوخه: فقال الحاكم أبو عبد الله في «تاريخ نيسابور»: «ممن سمع منه البخاري رحمه الله تعالى: **بمكة**: أبو الوليد أحمد بن محمد الأزرقي، وعبد الله بن يزيد المقري، وإسماعيل بن سالم الصائغ، وأبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، وأقرانهم. **وبالمدينة:** إبراهيم بن المنذر الحزامي، ومُطرف بن عبد الله، وإبراهيم بن حمزة، وأبو ثابت محمد بن عُبيد الله، وعبد العزيز بن عبد الله الأويسي، ويحيى بن قَزَعَة وأقرانهم».

قال: «وممن سمع منه **بالشَّام:** محمَّد بن يُوسُف الفريابي، وأبو النَّضِر إسحاق بن إبراهيم، وآدم بن أبي إياس، وأبو اليمان الحكم بن نافع، وحيوة ابن شُرَيْح، وخالد بن خلي قاضي حمص، وخطاب بن عُثمان، وسليمان بن عبد الرحمن، وأبو المغيرة عبد القدوس وأقرانهم. وممن سمع منه **بخارا:** محمد بن سلام البيكندي، ومحمد بن يوسف، وعبد الله بن محمد المسندي، وهارون بن الأشعث وأقرانهم. وممن سمع منه **بمرو:** علي بن الحسن بن شَقِيق، وعَبْدان بن عُثمان، ومحمد بن مُقَاتِل، وعَبْدَة بن سُلَيْمان، ومحمد بن يحيى الصَّائِغ، وحِبَّان بن موسى وأقرانهم.

وممن سمع منهم من أهل **بلخ:** مَكي بن إبراهيم، ويحيى بن بشر، ومحمد بن أبان، والحسن بن شجاع، ويحيى بن موسى، وقتيبة بن سعيد وأقرانهم، وقد أكثر بها. وممن سمع منهم من أهل **هَرَاة:** أحمد بن أبي الوليد الحَنَفِيُّ. وممن سمع منهم من أهل **نَيْسَابُور:** يحيى بن يحيى التميمي،

وبشر بن الحكم، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي، ومحمد بن رافع، وأحمد ابن حفص، ومحمد بن يحيى الذهلي وأقرانهم. **وممن سمع منهم من أهل الري**: إبراهيم بن موسى.

وممن سمع منهم من أهل بغداد: محمد بن عيسى الطباع، ومحمد ابن سابق، وأحمد بن النُّعْمَان، وأحمد بن حنبل، وأبو بكر بن أبي الأسود، وإسماعيل بن الخليل، وأبو مسلم عبد الرحمن بن يونس المِسْتَمْلِيُّ وأقرانهم. **وممن سمع منهم من أهل واسط**: حسان بن حسان، وصفوان بن عيسى، وبدل بن المحبَّر، وحَرَمِيّ بن حَفْص، وعَفَّان بن مسلم، ومحمَّد بن عَرْعَرَة، وسُلَيْمان بن حرب، وأبو حُذَيْفَة النَّهْدي، وأبو الوليد الطيالسي، وعارم، ومحمد بن سنان وأقرانهم.

وممن سمع منهم بالكوفة: عُبيد الله بن موسى، وأبو نُعَيم، وأحمد بن يَعْقُوب، وإسماعيل بن أبان، والحسن بن الربيع، وخالد بن مخلد، وسعد بن حَفْص، وطلق بن غَنَّام - بالمعجمة -، وعُمر بن حَفْص، وفَرْوَة بن أبي المِغْرَاء، وقُبَيْصَة بن عُقْبَة، وأبو غَسَّان وأقرانهم. **وممن سمع منهم بمصر**: عُثمان بن صالح، وسعيد بن أبي مَرْيَم، وعبد الله بن صالح، وأحمد بن صالح، وأحمد بن شبيب، وأصبغ بن الفرج، وسعيد بن عيسى، وسعيد بن كثير بن عُفَيْر، ويحيى بن عبد الله ابن بكير وأقرانهم.

وممن سمع منهم بالجزيرة: أحمد بن عبد الملك الحراني، وأحمد بن يَزِيد الحراني، وعُمَرو بن خَالِد، وإسماعيل بن عبد الله الرقي وأقرانهم.

قال الحاكم: فقد دخل البخاري رحمه الله تعالى إلى هذه البلاد المذكورة في طلب العلم، وأقام بها في كل مدينة منها على مشايخها. قال: وإنما سميتُ من كل ناحية من المتقدمين؛ ليستدل به على عالي إسناده، وبالله التوفيق».

ورويناعن الخطيب رحمه الله تعالى قال: رحل البخاري رحمه الله تعالى إلى محدثي الأمصار وكتب بخراسان والجبال، ومدن العراق كلها، وبالحجاز، والشام، ومصر، وورد بغداد دفعات. وروينا من جهات عن جعفر بن محمد القطان، قال: سمعت البخاري رحمه الله يقول: كتبت عن ألفِ ثقة من العُلماء وزيادة، وليس عندي حديث إلا أذكر إسناده.

وأما الآخذون عن البخاري رحمه الله تعالى: فأكثر من أن يُحصروا، وأشهر من أن يُذكروا، وقد قدمنا عن الفِرَبْرِي قالَ: سَمِعَ «الصحيح» من البخاري تسعون ألف رجل. وقد روى عنه خلائق غير ذلك، وقد قدمنا أنه كان يحضر مجلسه أكثر من عشرين ألفا يأخذون عنه.

وممن روى عنه من الأعلام: الإمام أبو الحسين مُسلم بن الحجاج بن مُسلم صاحب «الصحيح»، وأبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، وأبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، وأبو حاتم وأبو زرعة الرازيان، وأبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي الإمام، وصالح بن محمد جزرة، وأبو بكر بن خزيمة، ويحيى بن محمد بن صاعد، ومحمد بن عبد الله مُطَيّن، وكلُّ هؤلاء أئمة حفاظ أعلام، وآخرون من الحفاظ وغيرهم.

قال الخطيب: آخر من حدَّث عن البخاري ببغداد الحسين بن إسماعيل المحاملي.

فصل

في بيان اسم «صحيح البخاري» وتعريف محله، وسبب تصنيفه وكيفية جمعه وتأليفه

أما اسمه :فقد سماه مؤلفه أبو عبد الله البخاري رحمه الله تعالى ورضي عنه: «الجَامِعُ المسنَدُ الصَّحِيحُ المختَصرُ من أُمُورِ رسول الله ﷺ وَسُنَنه وأَيَّامِه»

وأما محله :فقال العلماء: هو أول كتاب صنف في الحديث الصحيح المجرد .واتفق العلماء على أن أصح الكتب المصنفة: صحيحا البخاري ومسلم. واتفق الجمهور على أنَّ «صحيح البخاري» أصحهما صحيحًا، وأكثرهما فوائد .وقال الحافظ أبو علي النيسابوري شيخ الحاكم

أبي عبد الله: «صحيح مسلم أصح». ووافقه بعض علماء المغرب، وأنكر ذلك عليهم . والصواب: ترجيح صحيح البخاري .وقد قرر الإمام الحافظ أبوبكر الإسماعيلي في كتابه «المدخل» ترجيح «صحيح البخاري» على مسلم وذكر دلائله .وروينا عن الإمام أبي عبد الرحمن النسائي رحمه الله تعالى، قال: ما في هذه الكتب أجود من كتاب البخاري.

قلت: ومن أخص ما يُرجحُ به اتفاق العلماء على أنَّ البخاري أجل من مُسلم، وأصدق بمعرفة الحديث ودقائقه، وقد انتخب علمه، ولخص ما ارتضاه في هذا الكتاب .واعلم أنَّ الأمة اجتمعت على صحة هذين الكتابين، ومعنى هذا أنه يجب العمل بأحاديثهما، وإنما يُفيدُ الظَّنَّ إلا ما تواتر منهما، فيُفيد العلم .وقد ذهب قوم من أهل الحديث إلى أنها كلّها تفيد العلم القطعي، وأنكره الجمهور والمحققون، والله أعلم .

وأما سبب تصنيفه وكيفية تأليفه:

فقد روينا عن إبراهيم بن مَعْقِل النسفي، قال: قال أبو عبد الله البخاري رحمه الله: كنتُ عند إسحاق بن راهويه رحمه الله تعالى، فقال لنا بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابًا مختصرًا في الصحيحِ لِسُنن رسول الله ﷺ، فوقع ذلك في قلبي، وأخذتُ في جمع هذا الكتاب .وروينا من جهات عن البخاري رحمه الله تعالى، قال: صنفتُ كتاب «الصحيح» لست عشرة سنة، خرَّجتُه من ست مئة ألف حديث، وجعلته حجة بيني وبين الله عز وجل .وروينا عنه، قال: رأيتُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام كأني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب عنه، فسألتُ بعض المعبرين، فقَالُوا: أنتَ تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج «الصحيح».

وروينا عنه، قال: ما أدخلتُ في كتاب «الجامع» إلا ما صح، وتركتُ من الصحاح لحال الطول .وروينا عن الفِرَبْرِي، قال: قال البخاري رحمه الله تعالى: ما وضعت في كتابي «الصحيح» حديثًا إلا اغتسلت قبل ذلك، وصليت ركعتين .وروينا عن عبد القدوس بن

همام، قال: سمعتُ عدة من المشايخ يقولون: حول البخاري تراجم جامعه بين قبر النبي ﷺ ومنبره، وكان يُصلي لكل ترجمة ركعتين .

وبلغنا عن الإمام الفقيه الصالح الزاهد أبي زيد محمد بن أحمد بن عبد الله ابن محمد المروزي رحمه الله تعالى قال: رأيتُ النبي ﷺ في المنام، فقال لي: إلى متى تدرس الفقه، ولا تدرس كتابي. قلت: وما كتابك يا رسول الله ﷺ؟ قال: «جامع» محمد بن إسماعيل البخاري، أو كما قال.

وقال الحاكم أبو عبد الله في «تاريخ نيسابور»: حدثنا أبو عمرو إسماعيل، حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي، قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري، يقول: أقمتُ بالبَصْرة خمس سنين معي كتبي أصنف، وأحج في كل سنة، وأرجع من مكة إلى البصرة. قال: وأنا أرجو أنَّ الله تعالى يُبارك للمسلمين في هذه المصنفات .وروينا عن الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي في الجزء الذي صنفه في: جواب متعنّت البخاري رحمه الله تعالى، قال: صنَّف البخاري صحيحه ببخارا. قال: وقيل: صنفه بمكة .ثم روى بإسناده عن عُمر بن محمد بن يحيى، قال: سمعت أبا عبد الله البخاري، يقول: صنفتُ كتاب «الجامع» في المسجد الحرام، وما أدخلت فيه حديثا إلا بعد ما استخرتُ الله تعالى، وصليت ركعتين وتيقنتُ صحته .قال المقدسي: والقول الأول عندي أصح.

.قلت (النووي): الجمع بين هذا كله ممكن؛ بل متعين، فإنه قد قدمنا عنه أنَّه صنفه في ست عشرة سنة، فكان يصنف منه بمكة والمدينة والبصرة وبخارا، والله أعلم .

وروينا عن بكر بن منير، قال: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارا إلى محمد بن إسماعيل أن أحمل إلي كتاب «الجامع» و«التاريخ» وغيرهما؛ لأسمع منك. فقال البخاري لرسوله: أنا لا أذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب النَّاسِ. فإن كان لك إلى شيء منه حاجة،

فاحضرني في مسجدي، أو في داري .وفي رواية عن غير ابن مُنير قال: وراسله أن يعقد مجلسًا لأولاده لا يحضره غيرهم فامتنع، وقال: لا يسعني أن أخص بالسَّماع قوما دون قوم .

فصل.

جملة ما في: «صحيح البخاري» من الأحاديث المسندة: سبعة آلافٍ ومئتان وخمسة وسبعون حديثًا، بالأحاديث المكرَّرة، وبحذف المكررة، نحو: أربعة آلاف .وقد رأيت أن أذكر مفصَّلة؛ لتكون كالفهرست لأبواب الكتاب، ويَسْهُل معرفة مظان أحاديثه على الطلاب .روينا بإسنادنا الصحيح عن الحمويي رحمه الله تعالى، قال: عدد أحاديث صحيح البخاري رحمه الله تعالى :١ – بدء الوحي: خمسة أحاديث .٢ – الإيمان: خمسون ٣ –العلم: خمسة وسبعون .٤ – الوضوء: مئة وتسعة أحاديث .٥ – غُسل الجنابة: ثلاثة وأربعون .٦ – الحيض: سبعة وثلاثون .٧ –التيمم: خمسة عشر .٨ – فرض الصَّلاةِ: حديثان .٩ – الصلاة في الثياب: تسعة وثلاثون .١٠ – القبلة: ثلاثة عشر .١١ –المساجد: ستة وسبعون .١٢ – سترةُ المصَلِّي: ثلاثون .١٣ – مواقيت الصَّلاةِ: خمسة وسبعون .١٤ – الأذان: ثمانية وعشرون .١٥ – فضل صلاة الجماعة وإقامتها: أربعون .١٦ – الإمامة: أربعون .١٧ – إقامة الصفوف: ثمانية عشر .١٨ – افتتاح الصَّلاةِ: ثمانية وعشرون .١٩ – القراءة: ثلاثون .٢٠ – الركوع والسجود والتشهد: اثنان وخمسون .٢١ –انقضاء الصَّلاةِ: سبعة عشر .٢٢ –اجتناب أكل الثوم: خمسة أحاديث .٢٣ – صلاة النساء والصبيان: خمسة عشر .٢٤ –الجمعة: خمسة وستون .٢٥ – صلاة الخوف: ستة أحاديث .٢٦ – العيد: أربعون .٢٧ – الوِتْرُ: خمسة عشر .٢٨ – الاستسقاء: خمسة وثلاثون .٢٩ – الكسوف: خمسة وعشرون .٣٠ – سُجُودُ القرآن: أربعة عشر .٣١ –القصر: ستة وثلاثون .٣٢ –الاستخارة: ثمانية .٣٣ –التحريض على قيام الليل: أحد وأربعون .٣٤ – النَّوافِلُ: ثمانية عشر .٣٥ –الصلاة بمسجد مكة: تسعة .٣٦ –العمل في الصلاة: ستة

وعشرون .٣٧ – السهو: أربعة عشر .٣٨ – الجنائز: مئة وأربعة وخمسون .٣٩ –الزكاة: مئة وثلاثة عشر .٤٠ – صدقة الفطر: عشرة .٤١ – الحج: مئتان وأربعون .٤٢ – العُمْرةُ: [اثنان وأربعونَ] .٤٣ –الإحصار: أربعون .٤٤ – جزاء الصيد: أربعون .٤٥ –الإحرام وتوابعه: اثنان وثلاثون .٤٦ – فضل المدينة: أربعة وعشرون .٤٧ – الصَّومُ: ستة وستون . ٤٨ – ليلة القدر: عشرة .٤٩ –قيام رمضان: ستة .٥٠ – الاعتكاف: عشرون .٥١ – البيوع: مئة وأحد وتسعون .٥٢ – السلم: تسعة عشر .٥٣ – الشفعة: ثلاثة أحاديث . ٥٤ –الإجارة: أربعة وعشرون .٥٥ – الحوالة: ثلاثون .٥٦ – الكفالة: ثمانية أحاديث . ٥٧ – الوكالة: سبعة عشر .٥٨ –المزارعة والشرب: تسعة وعشرون .٥٩ – الاستقراض وأداء الديون: خمسة وعشرون .٦٠ – الأشخاص: ثلاثة عشر .٦١ – الملازمة: حديثان . ٦٢ – اللقطة: خمسة عشر .٦٣ – المظالم والغَصْبُ: أحد وأربعون .٦٤ – الشركة: ثلاثة وعشرون .٦٥ – الرَّهْنُ: ثمانية أحاديث .٦٦ – العِتْقُ: أربعة وثلاثون .٦٥ – المكاتبة: ستة .٦٦ – الهبة: تسعة وستون .٦٧ – الشهادات: ثمانية وخمسون .٦٨ – الصلح: اثنان وعشرون .٦٩ – الشروط: أربعة وعشرون .٧٠ – الوصايا: أحد وأربعون .٧١ – الجهاد والسير: مئتان وخمسة وخمسون .٧٢ – بقية الجهاد أيضا: اثنان وأربعون .٧٣ – فرضُ الخُمْسِ: ثمانية وخمسون .٧٤ –الجزية والموادعة: ثلاثة وستون .٧٥ –بدء الخَلْقِ: مئتان وحديثان .٧٦ –الأنبياء والمغازي: أربع مئة وثمانية وعشرون .٧٧ –جزء آخر بعد المغازي: مئة وثمانية .٧٨ – التفسير: خمس مئة وأربعون .٧٩ – فضائل القرآن: أحد وثمانون .٨٠ – النكاح والطلاق: مئتان وأربعة وأربعون .٨١ –النفقات: اثنان وعشرون .٨٢ – الأَطْعِمةُ: سبعون .٨٣ – العقيقةُ: أحد عشر .٨٤ –الصيد والذبائح وغيره: تسعون .٨٥ –الذبائح والأضاحي: ثلاثون .٨٦ –الأشربة: خمس وستون .٨٧ – الطب: تسعة وسبعون .٨٨ – اللباس: مئة وعشرون .٨٩ – المرْضَى: أحد وأربعون .٩٠ – اللباس أيضا: مئة .٩١ – الأدب: مئتان وستة وخمسون .٩٢ – الاستئذان: سبعة وسبعون .٩٣ –الدعوات: ستة

وسبعون .٩٤ – ومَنَ الدَّعوات: ثلاثون .٩٥ – الرقاق: مئة .٩٦ – الحوضُ: ستة عشر . ٩٧ – الجنَّةُ والنَّارُ: سبعة وخمسون .٩٨ – القدر: ثمانية وعشرون .٩٩ –الأيمان والنذور: أحد وثلاثون .١٠٠ – كفَّارَةُ اليَمِينِ: خمسة عشر .١٠١ – الفرائض: خمسة وأربعون . ١٠٢ – الحدود: ثلاثون .١٠٣ – المحاربون: اثنان وخمسون .١٠٤ – الديات: أربعة وخمسون .١٠٥ – استتابة المرتدين: عشرون .١٠٦ – الإكراه: ثلاثة عشر .١٠٧ –ترك الحيل: ثلاثة وعشرون .١٠٨ – التعبير: ستُّونَ .١٠٩ – الفتن: ثمانون .١١٠ – الأحكام: اثنان وثمانون .١١١ – التمني: اثنان وعشرون .١١٢ – إجازة خبر الواحد: تسعة عشر . ١١٣ – الاعتصام: ستة وتسعون .١١٤ – التوحيد وعظمةُ الرَّبِ سبحانه وتعالى، وغير ذلك إلى آخر الكتاب: مئة وتسعون .هذا عد الحمويي. وقد رويناه عَنِ الحافظ أبي الفضل محمد بن الطاهر المقدسي، بإسناده عن الحمويي أيضًا هكذا .وهذا فصل نفيس، يُغتبط به أهل العناية، والله أعلم .

فصل في بيان فائدة إعادة البخاري رحمه الله تعالى الحديث في الأبواب وتكريره بعضها في مواضع كثيرة من الكتاب.

اعلم أن البخاري رحمه الله تعالى كانت له الغاية المرضية من التمكن في أنواع العلوم، وأما دقائق الحديث واستنباط اللطائف منه، فلا يكاد أحد يُقاربه فيها .وقد قدمنا عن أعلام الحديث العُلماء من شيوخه وغيرهم ما يدلك على هذا، وإذا نظرت في كتابه جزمت بذلك بلا شك، ثم ليس مقصوده بهذا الكتاب الاقتصار على الحديث، وتكثير المتون؛ بل مراده الاستنباط منها، والاستدلال لأبواب أرادها من الأصول والفروع، والزهد، والأداب، والأمثال، وغيرها من الفنون .ولهذا المعنى أخلى كثيرًا من الأبواب عن إسناد الحديث، واقتصر على قوله فيه: «فلان الصحابي، عن النبي ﷺ»، أو: «فيه: حديث فلان»، ونحو ذلك. وقد يذكر متن الحديث بغير إسناد، وقد يحذف من أوَّلِ الإسناد واحدًا فأكثر، وهذان النوعان

يُسمَّيان تعليقا، كما سأذكره إن شاء الله تعالى .وإنَّما يَفْعَلُ هذا؛ لأنه أراد الاحتجاج بالمسألة التي ترجم لها، واستغنى عن ذكر إسناد الحديث أو عن إسناده ومتنه وأشار إليه؛ لكونه معلوما، وقد يكون مما تقدم، وربما تقدَّم قريبا.

وذكر في تراجم الأبواب آيات كثيرة من القرآن العزيز، وربما اقتصر في بعض الأبواب عليها، ولا يذكر معها شيئًا أصلاً. وذكر أيضاً في تراجم الأبواب أشياء كثيرة جدا من فتاوى الصحابة والتابعينَ فَمَنْ بَعْدِهم. وهذا يصرح لك بما ذكرناه، وإذا عرفت أنَّ مقصوده ما ذكرناه، فلا حجر في إعادة الحديث في مواضع كثيرة لائقة به .روينا عن الحافظ أبي الفضل المقدسي قال: كان البخاري رحمه الله تعالى يذكر الحديث في مواضع يستخرج منه بحسن استنباطه وغزارة فقهه معنى يقتضيه الباب، وقلَّ ما يُورد حديثًا في موضعين بإسناد واحد ولفظ واحد؛ بل يورده ثانيا من طريق صحابي آخر أو تابعي أو غيره؛ ليقوي الحديث بكثرة طرقه، أو يختلف لفظه، أو تختلف الرواية في وصله، أو زيادة راو في الإسناد، أو نَقْصِه، أو يكون في الإسناد الأول مدلِّس أو غيره لم يذكر لفظ السَّماعِ، فَيُعِيدُه بطريق فيه التصريح بالسَّماع أو غير ذلك، والله أعلم.

فصل.

روينا عن أبي الفضل المقدسي، قال: الذين حدث عنهم البخاري في صحيحه خمس طبقات :**الأولى** :لم يقع حديثهم إلا كما وقع من طريقه إليهم .منهم: محمد بن عبد الله الأنصاري، حدَّث عنه، عن حُميد، عن أنس .ومنهم مكي بن إبراهيم، وأبو عاصم النبيل، حدث عنهما، عن يزيد ابن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع .ومنهم: عبيد الله بن موسى، حدث عنه، عن مَعْرُوف، عن أبي الطفيل، عن علي. وحدث عنه، عن هشام بن عروة، وإسماعيل بن أبي خالد، وهما تابعيان .ومنهم: أبو نعيم، حدَّث عنه، عن الأعمش. والأعمش تابعي .ومنهم: علي بن بن عياش، حدَّث عنه، عن حريز بن عُثمان، عن عبد الله بن بشر

الصحابي .فهؤلاء وأشباههم: الطبقة الأولى، فكأن البخاري سمع مالكا، والثوري، وشُعبة وغيرهم؛ فإنَّهم حدَّثوا عن هؤلاء وعن طبقتهم.

الطبقة الثانية من مشايخه :قوم حدثوا عن أئمة حدثوا عن التابعين، وهم شيوخه الذين روى عنهم، عن ابن جُرَيْجٍ، ومالك، وابن أبي ذئب، وابن عيينة بالحجاز، وشعيب، والأوزاعي وطبقتهما بالشام، والثوري، وشعبة، وحماد، وأبي عوانة، وهمام بالعِراقِ واللَّيثِ، ويعقوب بن عبد الرحمن بمصر، وفي هذه الطبقة كثرة.

الثالثة :قوم حدثوا عن قوم أدرك زمانهم، وأمكنه لقيهم؛ لكن لم يسمعهم، كيزيد بن هارون، وعبد الرزاق.

الرابعة :قوم في طبقته، حدَّث عنهم عن مشايخه، كأبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، حدَّث عنه في صحيحه ولم ينسبه عن يحيي بن صالح.

الخامسة :قوم حدث عنهم، وهم أصغر منه في الإسناد والسن والوفاة والمعرفة، منهم: عبد الله بن حماد الأملي وحسين القباني وغيرهما.

فهذا تفصيل طبقاتهم مختصرًا، نبهتُ عليه؛ لئلا يظن من لا معرفة له إذا حدث البخاري: عن مكي، عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة. ثم حدث في موضع آخر، عن قتيبة، عن بكر بن مُضَرٍ، عن عَمْرو بن الحارث، عن بكير بن عبد الله بن الأشج، عن يزيد بن أبي عبيد، عن سَلَمَةَ، أن الإسناد الأوَّلَ سقط منه شيء. وعلى هذا سائر الأحاديث.

وكان البخاري رحمه الله تعالى يُحدِّث بالحديث في موضع نازلاً، وفي موضع عاليًا، فقد حدث في مواضع كثيرة جدا: عن رجل، عن مالك. وحدث في موضع: عن عبد الله بن محمد المسندي، عن معاوية بن عمرو، عن أبي إسحاق الفَزَارِي، عن مالك .وحدث في مواضع:

عن رجل، عن شعبة. وحدث في مواضع: عن ثلاثة عن شعبة .منها: حديثه عن حماد بن حُميد، عن عبيد الله بن معاذ، عن أبيه، عن شعبة.

وحدث في مواضع: عن رجل، عن الثوري. وحدث في موضع: عن ثلاثة عنه، فحدث عن أحمد بن عُمر، عن أبي النضر، عن عبيد الله الأَشْجَعي، عن الثوري .وأعجب من هذا كله أنَّ عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى أصغر من مالك، وسُفْيَان، وشعبة، ومتأخر الوفاة. وحدث البخاري عن جماعة من أصحابه عنه، وتأخرت وفاتهم، ثم حدث عن سَعِيد بن مروان، عن محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة، عن أبي صَالِحٍ سَلْمَوَيْه، عن عبد الله بن المبارك، فقس على هذا أمثاله.

وقد حدَّث البخاري عن قوم خارج «الصحيح»، وحدث عن رجل عنهم في «الصحيح». منهم: أحمد بن منيع، وداود بن رشيد .وحدث عن قوم في «الصحيح»، وحدث عن آخرين عنهم. منهم: أبو نعيم، وأبو عَاصِم، والأنصاري، وأحمد بن صالح، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين. وفيهم كثرة، فإذا رأيت مثل هذا فأصله ما ذكرنا .وقد روينا عنه قال: لا يكون المحدث محدثًا كاملاً حتى يكتب عمن هو فوقه وعمن هو مثله، وعمن هو دونه. وروينا هذا الكلام أيضًا عن وكيع .هذا آخر كلام المقدسي رحمه الله تعالى .

فصل. قد ذكرتُ ممَّا يتعلق بالإمام أبي عبد الله البخاري و«صحيحه»، ما يُستدل به على عظيم محلهما وكبير قدرهما. وها أنا أختم أحواله بأمدح ما وصف به إنسان.

روينا عن محمد بن أبي حاتم وراق البخاري، قال: كان البخاري إذا كنتُ معه في سفر جمعنا بيت إلا في القيظ أحيانًا، فكنتُ أراه يقوم في ليلة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل مرة يأخذ القداحة، فيوري نارًا بيده ويُسرج، ثم يخرج أحاديث يُعَلِّمُ عليها، ثم يضع رأسه، وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة .ورأيته استلقى على قفاه يوما ونحن بفربر في تصنيف كتاب التفسير، وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في كثرة إخراج

الحديث. فقلت له: يا أبا عبد الله! سمعتك تقول: ما أتيتُ شئيا بغير علم قط منذ عَقِلتُ، فأيُّ علم في هذا الاستلقاء؟ فقال: أتعبنا أنفسنا في هذا اليوم، وهذا ثغر من الثغور خشيت أن يحدث حدث من أمر العدوّ، فأحببتُ أن استريح، وآخذَ أُهْبَةَ ذلك، فإنْ غَافَصنا العدو، كان بنا حراك.

قلت: هذه الحكاية وإن اشتملت على نفائس، فمقصودي التنبيه على قوله: «ما أتيتُ شيئًا بغير علم .«رضي الله عنه وأرضاه، وجمع بيننا وبينه في دار كرامته مع من اصطفاه، وجزاه عني وعن سائر المسلمين أبلغ الجزاء، وحباه أكمل الحباء .

38- وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان [1]

أحمد بن محمد بن إبراهيم، ابن خلكان الإربلي (المتوفى: 681هـ)

قال رحمه الله: أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف يزذبه وقال ابن ماكولا: هو يزدزبه الجعفي بالولاء، البخاري الحافظ الإمام في علم الحديث، صاحب الجامع الصحيح والتاريخ، رحل في طلب الحديث إلى أكثر محدثي الأمصار، وكتب بخراسان والجبال ومدن العراق والحجاز والشام ومصر، وقدم بغداد، واجتمع إليه أهلها واعترفوا بفضله وشهدوا بتفرده في علم الرواية والدراية، وحكى أبو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس والخطيب في تاريخ بغداد أن البخاري لما قدم بغداد سمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقبلوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد إسناد آخر، ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس يلقون ذلك على البخاري، وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله

---

[1] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان 4/188-191. ت: إحسان عباس. دار صادر – بيروت

انتدب إليه واحد من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال للبخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه، فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه، فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: الرجل فهم، ومن كان منهم ضد ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم. ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه، فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه، ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على قوله: لا أعرفه، فلما علم البخاري أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث والرابع على الولاء، حتى أتى تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين كذلك، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها، فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل.

وكان ابن صاعد إذا ذكره يقول: الكبش النطاح، ونقل عنه محمد بن يوسف الفربري أنه قال: ما وضعت في كتابي الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين. وعنه أنه قال: صنفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله عز وجل.

وقال الفربري: سمع صحيح البخاري تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يروي عنه غيري.

وروى عنه أبو عيسى الترمذي.

وكانت ولادته يوم الجمعة بعد الصلاة، لثلاث عشرة، وقيل لاثنتي عشرة ليلة خلت منن شوال سنة أربع وتسعين ومائة، وقال أبو يعلى الخليلي في كتاب الإرشاد: إن ولادته كانت لاثنتي عشرة ليلة خلت من الشهر المذكور.

وتوفي ليلة السبت بعد صلاة العشاء، وكانت ليلة عيد الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر، سنة ست وخمسين ومائتين بخرتنك، رحمه الله تعالى.

وذكر ابن يونس في تاريخ الغرباء أنه قدم مصر وتوفي بها، وهو غلط، والصواب ما ذكرناه ها هنا رحمه الله تعالى. وكان خالد بن أحمد بن خالد الذهلي أمير خراسان قد اخرجه من بخارى

إلى خرتنك، ثم حج خالد المذكور فوصل إلى بغداد فحبسه الموفق بن المتوكل أخو المعتمد الخليفة، فمات في حبسه.

وكان شيخا نحيف الجسم، لا بالطويل ولا بالقصير. وقد اختلف في اسم جده، فقيل إنه يزذبه – بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الزاي وكسر الذال المعجمة وبعدها باء موحدة ثم هاء ساكنة، وقال أبو نصر بن ماكولا في كتاب الإكمال: هو يزدزبه – بدال وزاي وباء معجمة بواحدة – والله أعلم، وقال غيره: هذا الجد مجوسيا مات على دينه، وأول من أسلم منهم المغيرة، ووجدته في موضع آخر عوض يزذبه الأحنف ولعل يزذبه كان أحنف الرجل، والله أعلم. والبخاري: بضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة وبعد الألف راء، هذه النسبة إلى بخارا، وهي من أعظم مدن ما وراء النهر، بينها وبين سمرقند مسافة ثمانية أيام.

وخرتنك: بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح التاء المثناة من فوقها وسكون النون وبعدها كاف، وهي قرية من قرى سمرقند.

وقد سبق الكلام على الجعفي، ونسبة البخاري إلى سعيد بن جعفر والي خراسان، وكان له عليهم الولاء فنسبوا إليه.

39– المتواري على تراجم ابواب البخاري[1]

أحمد بن محمد بن منصور، ابن المنير الإسكندراني (المتوفى: 683هـ)

قال رحمه الله: ترجمة الإمام البخاري وسأذكر من مناقبه الدالة على علو مقامه ما يوجب التقديم لكلامه، والاعتقاد في كماله وتمامه. ونستتبع ذلك ذكر نسبه ومولده ورحلته ووفاته مما اشتمل عليه تاريخ الخطيب – رحمه الله – وقد حدثنا بجملته والدي – رحمه الله – القاضي الرئيس العدل الثقة الأمين وجيه الدين أبو المعالي محمد بن الشيخ الصالح أبي علي منصور بن

[1] المتواري علي تراجم أبواب البخاري– ت: صلاح الدين مقبول أحمد. مكتبة المعلا – الكويت

أبي القاسم بن المختار بن أبي بكر بن علي الجذامي الجروي – رحمه الله ورحمة واسعة – قال: حدثنا الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبو العباس أحمد – صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين – ولم تتسع مدة خليفة في الإسلام كاتساع مدته، وكانت نحوا من ثمان وأربعين سنة، قال – صلوات الله عليه – حدثنا الإمام الحافظ أبو العز عبد المغيث بن زهير الحربي قال: حدثنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز البغدادي قال: حدثنا الخطيب الحافظ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي بتأريخه الكبير سماعا عليه، وبعض ما أوردناه مختصر اللفظ وافي المعنى – إن شاء الله.-

قال الخطيب: " محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله الجعفي البخاري الإمام في علم الحديث صاحب الجامع الصحيح والتأريخ، رحل في طلب العلم إلى سائر الأمصار وكتب بخراسان والجبال والعراق والحجاز والشام ومصر، وروى عن خلق يتسع ذكرهم.

أخبرنا أبو سعيد الماليني بإسناده إلى محمد بن أحمد بن سعدان البخاري قال: محمد بن إسماعيل البخاري جده بردزبه، وبردزبه مجوسي مات عليها، وكان زراعا، والمغيرة ابنه أسلم على يد يمان والي بخارى – وكان جعفيا – فنسب إلى من أسلم على يديه وهو أيضا مولاه.

وقال الحسين البخاري: رأيت محمد بن إسماعيل شيخا نحيفا معتدلا، ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة، وتوفي ليلة السبت غرة شوال سنة ست وخمسين ومائتي، عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما.

وقيل لأبي عبد الله: كيف كان بدؤك في طلب الحديث؟ قال: ألهمت حفظه وأنا في الكتاب، ولي عشر سنين تقديرا، ثم اختلفت إلى الداخلي وغيره، وقال يوما فيما يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له: ارجع إلى الأصل، فدخل فنظر فيه ثم خرج، فقال كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير عن عدي عن إبراهيم، فأخذ القلم مني وأصلحه، وقال: صدقت. فسئل البخاري: ابن كم كنت يؤمئذ؟ قال إحدى عشرة سنة.

قال: وحفظت كتب ابن المبارك ووكيع وأنا ابن ست عشرة سنة، وخرجت إلى الحج، وجاورت في طلب الحديث وصنفت التأريخ وأنا ابن ثماني عشرة سنة عند قبر النبي ﷺ، وقل أن يكون فيه اسم إلا وله عندي قصة حققت بذكرها، وصنفته ثلاث مرات.

وقال: أبو بكر المديني: كنا يوما عند إسحاق بن راهويه بنيسابور، والبخاري حاضر، فمر

إسحاق بذكر عطاء الكيخاراني في عد التابعين، فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله ايش كيخاران؟ فقال قرية باليمن، كان معاوية بعث إليها أحد الصحابة، فسمع عطاء منه حديثين: هذا أحدهما فقال إسحاق: كأنك شهدت القوم. وروى السعداني عن بعض إخوانه أن البخاري قال: أخرجت هذا الصحيح من زهاء ست مائة ألف حديث.

وعن البخاري أيضا: ما وضعت فيه حديثا حتى اغتسلت وصليت ركعتين لكل حديث قبل أن أثبته. وعن بعض المشايخ أن البخاري دون تراجم كتابه في الروضة يغتسل ويصلي لكل ترجمة. وقال الفربري: سمع كتاب البخاري تسعون ألف رجل ما بقي منهم غيري.

وقال محمد البخاري بخوارزم: رأيت أبا عبد الله في المنام يمشي بأثر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يتحرى مواضع قدميه. وقيل: إن عينيه ذهبتا في صغره، فدعت أمه وابتهلت فرأت إبراهيم الخليل عليه السلام – فقال لها: قد رد الله على ابنك بصره رحمة لبكائك ودعائك، فأصبح يبصر.

وعن البخاري: كتبت عن ألف شيخ وأكثر، ما عندي حديث إلا أحفظ إسناده.

زهده وورعه

ومن مناقبه في ورعه مطلقا، أنه قال: منذ ولدت ما بعت ولا اشتريت بدرهم حتى الكاغد والحبر، كنت أوكل من يفعل ذلك.

قلت: كأنه يقلد الوكيل ويخلص من عهدة التصرف مباشرة.

وكان عنده بضاعة أعطى بها خمس مائة ألف، فلم يتفق له بيعها. فلما كان الغد أعطاه بها آخر عشرة آلاف فقال: كنت البارحة نويت أن أبيعها لمن أعطى خمسة فلا أغير نيتي وأمضاها. وكان في رمضان يختم كل ليلة عند الإفطار ولثلاث عند السحر.

ولسعه الزنبور وهو يصلي في سبعة عشرة موضعا من بدنه، ما تغير حاله ولا انتقد ثوبه حتى سلم. وقال محمد بن منصور: كنا في مجلس البخاري في المسجد، فأخذ أحد الحاضرين من لحية البخاري قذاة فطرحها، فرأيت البخاري ينظر إليها وإلى الناس يستغفلهم حتى إذا غفلوا في ظنه أخذها وأدخلها في كمه، فلما خرج من المسجد مد يده إلى كمه فأخذها وطرحها في

الأرض. قلت: فهم من قوله عز وجل: ﴿ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ [1]في تلك القذاة من ذرة. وكأنه تورع أن ينزه لحيته عن شيء ولا ينزه عنه المسجد.

حفظه

ومن نوادر المنقول في حفظه، أن أهل بغداد امتحنوه بمائة حديث حولوا أسانيدها وبدلوها، ثم عرضها عليه عارض في المحفل، فجعل يقول في كل حديث: لا أعرفه. فاستقصر النظارة حفظه، فلما أتم المعارض المائة عطف البخاري عليها فجعل يقول: أما الحديث الأول فهو كذا، وإسناده عندي كذا، إلى أن انتهى إلى آخر فجودها من حفظه، فأقر الكل له بالفضل وبإحراز الحصل.

ومن مناقبه الدينية ومآثره الدالة على خلوص النية أنه امتحن بمناوأة محمد بن يحي الذهلي، وكان محمد هذا من جملة مشايخه، ومتعينا في عصره، متقدما بالسن، ومتخصصا بالفضل، وانتصابا للإفادة، واشتهارا زائدا على العادة، وأمرا مطاعا حقا مراعا. واقتضى له مجموع هذه الأحوال أن ظهر على البخاري، وعبر في وجه وجاهته، ووكر في اعتقاد الخلق صفو نزاهته، إلى أن نادى عليه أن لا يجلس أحد إليه، فأقام البخاري برهة من الزمان وحيدا فريدا، ثم لم يكفه حتى أجلاه عن الوطن غريبا شريدا، وانقسم الناس في حقه إلى قسمين: أحنهما عليه وأدناهما إليه، هو الذي يظن فيه الاعتقاد ولا يتجاسر على إظهار تعظيمه خشية الانتقاد؛ حتى قيل عنه – رضي الله عنه – إنه دعا في سجوده ذات ليلة دعوة ورخها من كان معه وأجابها من قبل دعاءه وسمعه، وذلك أنه قال: اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت فاقبضني إليك، فقبض لشهر من هذه الدعوة. ثم لم يكن إلا أن اجتمع الخصمان في دار الجزاء، وقدما على الحكم العدل المنصف في القضاء فانقلب خمول البخاري ظهورا، وظهور غيره دثورا، وقطع الناس بتعظيم البخاري أعصرا ودهورا وقطع ذكر الذهلي حتى كأن لم يكن شيئا مذكورا، فهو إلى الآن لا يعرف اسمه إلا متوغل في معرفة أسماء المشاهير والخاملين، ولا يمر ذكره على الألسنة إلا في الحين بعد الحين، والعاقبة للمتقين والعمل على الخواتم وعندها يزول الشك باليقين.

---

[1] [الزلزلة: 8]

وقصته مع محمد بن يحيى الذهلي أسند الخطيب وهذا معناه: قال: حدثني محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن نعيم، قال سمعت محمد بن حامد يقول سمعت الحسن بن محمد يقول، سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول لما ورد محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور: اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح العالم فاسمعوا منه، فذهب الناس إليه وأقبلوا بالكلية عليه، حتى ظهر الخلل في مجلس الذهلي فحسده بعد ذلك وتكلم فيه.

قلت: تحسين الظن يوجب تحرير هذه العبارة وكأنه أراد – والله أعلم –: فعل معه فعل الحاسدين بتأويل عنده – والله أعلم.-

قال: وأخبرنا أبو حازم قال، سمعت الحسن بن أحمد بن شيبان يقول، سمعت أبا حامد يقول: رأيت محمد بن إسماعيل في جنازة أبي عثمان والذهلي يسأله عن الأسماء والكنى والعلل، وهو يمر كأنه السهم. فما أتى على ذلك شهر حتى تكلم فيه وقال: من اختلف إليه، لا يختلف إلينا، وتعلل بأن أهل بغداد كاتبوه بأنه تكلم في اللفظ. وكان الذهلي يقول: من قال: " لفظي بالقرآن مخلوق " فهو مبتدع يزجر ويهجر، ومن قال: القرآن مخلوق فهو كافر يقتل ولا ينظر. والذي صح عن البخاري – رحمه الله – أنه سئل عن اللفظ، وضايقه السائل فقال: أفعال العباد كلها مخلوقة. وكان يقول مع ذلك: القرآن كلام الله غير مخلوق. وذكر أن مسلم بن الحجاج رحمه الله ثبت معه في المحنة، وقال يوما الذهلي – ومسلم في مجلسه –: من كان يختلف إلى هذا الرجل، فلا يختلف إلينا، فعلم مسلم أنه المراد، فأخذ طيلسانه وقام على رؤوس الأشهاد، فبعث إلى الذهلي بجميع الأجزاء التي كان أخذها عنه.

ومن تمام رسوخ البخاري في الورع أنه كان يحلف بعد هذه المحنة، أن الحامد والذام عنده من الناس سواء، يريد أنه لا يكره ذامه طبعا. ويجوز أن يكرهه شرعا، فيقوم بالحق لا بالحظ، ويحقق ذلك من حاله أنه لم يمح اسم الذهلي من جامعه، بل أثبت روايته عنه، غير أنه لم يوجد في كتابه إلا على أحد وجهين: إما أن يقول: (حدثنا محمد) ويقتصر. وإما أن يقول: (حدثنا محمد بن خالد). فينسبه إلى جد أبيه. فإن قلت: فما له أجمله، وأنفي أن يذكر بنسبه المشهور؟ قلت: لعله لما اقتضى التحقيق عنده أن يبقى روايته عنده خشية أن يكتم علما رزقه الله على يديه وعذره في قدحه فيه بالتأويل والتعويل على تحسين الظن، خشي على الناس أن

يقعوا فيه بأنه قد عدل من جرحه، وذلك يوهم أنه صدقه على نفسه فيجر ذلك إلى البخاري وهنا، فأخفى اسمه وغطى رسمه وما كتم علمه، فجمع بين المصلحتين، والله أعلم بمراده من ذلك.

هذا آخر ما سنح لنا إثباته من مناقبه، ليعظم بذلك وقع العلم عند طالبه. رزقنا الله العمل بما علمنا، والعذر فيما جهلنا، والتوفيق فيما قلنا، أو فعلنا، وأداء الأمانة فيما حملنا.

وهذا أوان نفتح المطلوب بعون الله وتيسيره، وعلى الله قصد السبيل في تحري الصواب وتحريره، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

40- شرح الإلمام بأحاديث الأحكام[1]

تقي الدين محمد بن علي بن وهب، ابن دقيق العيد (ت 706 هـ)

قال رحمه الله: وأما البخاري: فهو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف بن بردزبه - مفتوح الباء الموحدة، ساكن الراء مكسور الدال المهملتين، ساكن الزاي المعجمة، مكسور الباء الموحدة، وآخرها هاء -، جبل في هذا العلم شامخ، وعالم بالصناعة راسخ، طاف وجال، ووسع الطلب المجال، فضله كبير، والثناء عليه كثير.

قال الحاكم أبو عبد الله الحافظ في "تاريخ نيسابور": محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله الجعفي، إمام أهل الحديث بلا خلاف أعرفه بين أئمة أهل النقل فيه، إلا أن يكون كما قال الأول:

بحسبك أني لا أرى لك عائبا ... سوى حاسد والحاسدون كثير

قال الحاكم: سمعت أبا الطيب محمد بن أحمد المذكر يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق

---

[1] شرح الإلمام بأحاديث الأحكام 310/1.حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: محمد خلوف العبد الله.. دار النوادر، سوريا- الطبعة: الثانية، 1430 هـ - 2009 م

بن خزيمة يقول: ما رأيت تحت أديم هذه السماء أعلم بحديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأحفظ من محمد بن إسماعيل البخاري.

قال: وسمعت يحيى بن عمرو بن صالح يقول: سمعت أبا العباس محمد بن إبراهيم الفقيه يقول: كتب إلى محمد بن إسماعيل البخاري من بغداد:

والمسلمون بخير ما بقيت لهم ... وليس بعدك خير حين تفتقد

قال: وسمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ يقول: سمعت أبي يقول: رأيت مسلم بن الحجاج بين يدي محمد بن إسماعيل البخاري، وهو يسأله سؤال الصبي المتعلم.

قال: وسمعت أبا نصر أحمد بن محمد الوراق يقول: سمعت أبا حامد أحمد بن حمدون يقول: سمعت مسلم بن الحجاج، وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري، فقبل بين عينيه، وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، ويا سيد المحدثين، ويا طبيب الحديث في علله، حدثك محمد بن سلام ... فذكر بقية الحكاية.

وروى الخطيب بسنده إلى أحمد بن سيار قال: محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبو عبد الله، طلب العلم، وجالس الناس، ورحل في الحديث، ومهر فيه، وتبصر وخالط، وكان حسن المعرفة وحسن الحفظ، وكان يتفقه.

وروى الحافظ عبد الغني بن سعيد، عن أبي الفضل جعفر بن الفضل قال: أخبرنا محمد بن موسى بن يعقوب بن المأمون قال: سئل أبو عبد الرحمن النسائي عن العلاء وسهيل فقال: هما خير من فليح، ومع هذا ما في الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل البخاري.

وذكره الحافظ أبو أحمد في كتابه "الأسماء والكنى" وقال: كان أحد الأئمة في معرفة الحديث وجمعه، ولو قلت: إني لم أر تصنيفا يفوق تصنيفه في المبالغة والحسن، أو لم أسمع بأذني في باب الحديث مثله، رجوت أن أكون صادقا في قولي.

وروى الخطيب من حديث أبي الهيثم الكشميهني قال: سمعت محمد بن يوسف الفربري يقول: قال محمد بن إسماعيل البخاري: ما وضعت في كتاب "الصحيح" حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك، وصليت ركعتين.

وذكر أيضا عن أبي إسحاق المستملي، عن محمد بن يوسف الفربري: أنه كان يقول: سمع كتاب "الصحيح" لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يرويه عنه غيري.

قلت: وهذه الرواية في "صحيح البخاري" من جهة الفربري هي المشهورة شرقا وغربا، وللمغاربة رواية أخرى من جهة إبراهيم بن معقل النسفي عن البخاري موجودة في فهارسهم وغيرها، ولا أعلمها اليوم في جهة أهل الشرق.

وكانت وفاة البخاري – رحمه الله تعالى – ليلة عيد الفطر، سنة ست وخمسين ومئتين بخرتنك، مكسور الخاء المعجمة، ساكن الراء، مفتوح ثالث الحروف، ساكن النون، وآخره كاف.

41- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر [1]

محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور (المتوفى: 711هـ)

قال رحمه الله: " محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله الجعفي البخاري الإمام صاحب الصحيح والتاريخ. سمع بدمشق.

حدث الإمام البخاري عن مكي بن إبراهيم بسنده إلى سلمة أنه أخبره قال: خرجت من المدينة ذاهباً نحو الغابة، حتى إذا كنت بثنية الغابة، لقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف، قلت: ويحك ما بك؟ قال: أخذت لقاح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قلت: من أخذها؟ قال: غطفان وفزارة. فصرخت ثلاث صرخات أسمعت ما بين لابتيها: يا صاحباه، يا صاحباه! ثم اندفعت حتى ألقاهم، وقد أخذوها، فجعلت أرميهم وأقول:

أنا ابن الأكوع ... واليوم يوم الرضع

فاستنقذتها منهم قبل أن يشربوا، فأقبلت بها أسوقها، فلقيني النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلت: يا رسول الله، إن القوم عطاش، وإني أعجلتهم أن يشربوا سقيهم، فابعث في أثرهم. فقال: " يا ابن الأكوع، ملكت، فأسجح، إن القوم يقرون في قومهم ".

قال أحمد بن سعدان البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مغيرة بن بردزبه البخاري، وبردزبه مجوسي مات عليها. والمغيرة بن بردزبه أسلم على يدي يمان البخاري والي بخارى،

---

[1] مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ج22/ 31-22 دار الفكر-الطبعة الأولى، 1402 هـ - 1984م -

ويمان هذا هو أبو جد عبد الله بن محمد المسندي. وعبد الله بن محمد هو ابن جعفر بن يمان البخاري الجعفي. والبخاري قيل له جعفي لأن أبا جده أسلم على يدي أبي جد عبد الله المسندي، ويمان جعفي، فنسب إليه لأنه مولاه من فوق. وعبد الله قيل له مسندي لأنه كان يطلب المسند من حداثته.

قال بكر بن منير: بردزبه هو بالبخارية. وبالعربية الزراع.

قال أبو عمرو المستنير: سألت أبا عبد الله بن محمد بن إسماعيل: متى ولدت؟ فأخرج لي خط أبيه: ولد محمد بن إسماعيل يوم الجمعة، بعد الجمعة، لثلاث عشرة ليلة مضت من شوال، سنة أربع وتسعين ومئة.

قال الحسن بن الحسين البزاز: رأيت محمد بن إسماعيل بن إبراهيم شيخاً نحيف الجسم، ليس بالطويل، ولا بالقصير.

حدث محمد بن الفضل البلخي قال: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل البخاري في صغره، فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل، فقال لها: يا هذه، قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك، أو لكثرة دعائك، قال: فأصبحنا وقد رد الله عليه بصره.

حدث محمد بن أبي حاتم الوراق النحوي قال: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟ قال: ألهمت حفظ الحديث، وأنا في الكتاب. قال: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ قال: عشر سنين أو اقل. ثم خرجت من الكتاب بعد العشر، فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، وقال يوماً فيما يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم فقلت له: يا أبا فلان، إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم. فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل، إن كان عندك. فدخل ونظر فيه، ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم. فأخذ القلم مني، وأحكم كتابه، فقال: صدقت. فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت إذ رددت عليه؟ فقال: ابن إحدى عشرة. فلما طعنت في ست عشرة، حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء. ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة. فلما حججت، رجع أخي، وتخلفت بها في طلب الحديث. فلما طعنت في ثمان عشرة، جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وذلك أيام عبيد الله بن موسى. وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الليالي

المقمرة. وقال: كل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة. إلا أني كرهت تطويل الكتاب.

وقال البخاري أيضاً: كتبت على ألف نفر من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل، ولم أكتب قمن يقول: الإيمان قولي.

سمع حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل يختلف معنا إلى مشايخ البصرة، وهو غلام، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام. فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما معناك فيما تصنع؟ فقال لنا بعد ستة عشر يوماً: إنكما قد أكثرتما علي وألححتما، فاعرضا علي ما كتبتما. فأخرجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها على ظهر القلب، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه. ثم قال: أترون أني أختلف هدراً وأضيع أيامي؟! فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد.

وقال أحمد بن حنبل: انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان: أبو زرعة الرازي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، والحسن بن شجاع البلخي.

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخاري – وفي رواية – أحفظ لحديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أعرف به من محمد بن إسماعيل البخاري.

وسمع عدة مشايخ يحكون: أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا، وعمدوا إلى مئة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوا إلى عشرة أنفس، إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس يلقون ذلك على البخاري، وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين. فلما اطمأن المجلس بأهله، انتدب إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن الآخر، فقال: لا أعرفه. فما زال يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه. فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: الرجل فهم. ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم. ثم انتدب رجل آخر من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر،

فقال: لا أعرفه. فلم يزل يلقي عليه واحداً بعد آخر حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه. ثم انتدب إليه الثالث والرابع، إلى تمام العشرة، حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على لا أعرفه. فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا، التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث والرابع على الولاء، حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها، فأقر الناس له بالحفظ وأذعنوا له بالفضل. وكان ابن صاعد إذا ذكر محمد بن إسماعيل يقول: الكبش النطاح.

قال أبو حامد أحمد بن حمدون: سمعت مسلم بن الحجاج، وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري، فقبل بين عينيه وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين، ويا طبيب الحديث في علله! وحدث أبو عيسى الترمذي قال: لم أر بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل.

وحدث محمد بن أبي حاتم الوراق قال: كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد، إلا في القيظ أحياناً، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري ناراً بيده، ويسرج، ثم يخرج أحاديث، فيعلم عليها، ثم يضع رأسه. وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم. فقلت: إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني! قال: أنت شاب، فلا أحب أن أفسد عليك نومك.

قال محمد بن إسماعيل البخاري: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين. وقال: صنفت كتابي الصحاح ست عشرة سنة، خرجته من ست مئة ألف حديث، وجعلته حجة بيني وبين الله تعالى.

حدث محمد بن أبي حاتم وراق البخاري قال: سمعت البخاري يقول: لو نشر بعض أستاذي هؤلاء، لم يفهموا كيف صنفت كتاب التاريخ، ولا عرفوه. ثم قال: صنفته ثلاث مرات.

وقال أيضاً: دعي محمد بن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه، فلما حضرت صلاة الظهر صلى بالقوم. ثم قام للتطوع، فأطال القيام، فلما فرغ من صلاته، رفع ذيل قميصه فقال لبعض من معه: انظر، هل ترى تحت قميصي شيئاً؟ فإذا زنبور قد أبره في ستة عشر أو سبعة

عشر موضعاً، وقد تورم من ذلك جسده، وكان آثار الزنبور في جسده ظاهرة، فقال له بعضهم: كيف لم تخرج من الصلاة في أول ما أبرك؟! فقال: كنت في سورة فأحببت أن أتمها.

قال محمد بن منصور: كنا في مجلس بي عبد الله محمد بن إسماعيل، فرفع إنسان من لحيته قذاة، فطرحها على الأرض. قال: فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس، فلما غفل الناس رأيته مد يده، فرفع القذاة من الأرض، فأدخلها في كمه. فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها فطرحها على الأرض.

حدث أبو سعيد بكر بن منير قال: كان حمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه ابنه أحمد أبو حفص، فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية، فطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال لهم: انصرفوا الليلة. فجاءه من الغد تجار آخرون، فطلبوا منه تلك البضاعة بربح عشرة آلاف درهم، فردهم وقال: إني نويت البارحة أن أدفع إليهم بما طلبوا – يعني الذين طلبوا أول مرة – ودفع إليهم بربح خمسة آلاف درهم، وقال: لا أحب أن أنقض نيتي.

وقال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً.

وثقه علماء الحجاز والعراق والشام وخراسان وسائر الأمصار وأقروا له بالفضل.

حدث إسحاق بن أحمد بن خلف قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: ما تصاغرت إلي نفسي إلا عند علي بن المديني. قال إسحاق: وسمعت أحمد بن عبد السلام يقول: ذكرنا قول محمد بن إسماعيل هذا لعلي بن المديني فقال: دعوا هذا فإن محمد بن إسماعيل لم ير مثل نفسه.

وقال يحيى بن جعفر: لو قدرت أن أزيد – يعني من عمري – في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموت محمد بن إسماعيل ذهاب العلم.

قال محمد بن يوسف بن عاصم: رأيت لمحمد بن إسماعيل ثلاث مستملين ببغداد، وكان اجتمعوا في مجلسه زيادة على عشرين ألف رجل.

قال محمد بن جابر: سمعت محمد بن يحيى لما ورد محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور قال: اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح فاسمعوا منه. قال: فذهب الناس إليه، وأقبلوا على السماع منه، حتى ظهر الخلل في مجالس محمد بن يحيى، فحسده بعد ذلك، وتكلم فيه.

وقال مسلم بن الحجاج: لما قدم محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور، ما رأيت والياً ولا عالماً

فعل به أهل نيسابور ما فعلوا بمحمد بن إسماعيل؛ استقبلوه مرحلتين وثلاث مراحل! وقال محمد بن يحيى الذهلي في مجلسه: من أراد أن يستقبل محمد بن إسماعيل غداً، فليستقبله، فإني أستقبله. فاستقبله محمد بن يحيى وعامة من أهل نيسابور، فدخل البلد، فنزل دار البخاريين.

قال: فقال لنا محمد بن يحيى: لا تسألوه عن شيء من الكلام، فإنه إن أجاب بخلاف ما نحن فيه، وقع بيننا وبينه، ثم شمت بنا كل حروري وكل رافضي وكل جهمي وكل مرجئ بخراسان.

قال: فازدحم الناس على محمد بن إسماعيل، حتى امتلأ الدار والسطوح. قال: فلما كان اليوم الثاني أو الثالث، قام إليه رجل فسأله عن اللفظ بالقرآن، فقال: أفعالنا مخلوقة، وألفاظنا من أفعالنا. قال: فوقع بين الناس اختلاف؛ فقال بعضهم: قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وقال بعضهم: لم يقل. فوقع بينهم اختلاف، حتى تواثب بعضهم إلى بعض. فاجتمع أهل الدار، فأخرجوا الناس من الدار.

قال أبو حامد الأعمشي: رأيت محمد بن إسماعيل البخاري في جنازة أبي عثمان سعيد بن مروان، ومحمد بن يحيى فسأله عن الأسامي والكنى وعلل الحديث.. ومر فيه محمد بن إسماعيل مثل السهم، كأنه يقرأ " قل هو الله أحد " فما أتى على هذا شهر، حتى قال محمد بن يحيى: ألا من يختلف إلى مجلسه لا يختلف إلينا، فإنهم كتبوا إلينا من بغداد أنه تكلم في اللفظ. ونهيناه فلمينته. ولا تقربوه، ومن يقربه فلا يقربنا. فأقام محمد بن إسماعيل ههنا مدة، وخرج إلى بخارى.

وحدث أبو عمرو أحمد بن نصر النيسابوري المعروف بالخفاف، ببخارى، قال: كنا يوماً عند أبي إسحاق القرشي، ومعنا محمد بن نصر المروزي، فجرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري، فقال محمد بن نصر: سمعته يقول: من زعم أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو كذاب، فإني لم أقله. فقلت له: يا أبا عبد الله فقد خاض الناس في هذا وأكثروا فيه. فقال: ليس إلا ما أقول. واحكي له عني. قال أبو عمرو الخفاف: فأتيت محمد بن إسماعيل، فناظرته في شيء من الحديث حتى طابت نفسه، فقلت: يا أبا عبد الله، ههنا رجل يحكي عنك أنك قلت هذه المقالة، فقال لي: يا أبا عمرو، احفظ ما أقول، من زعم من أهل نيسابور وقومس والري وهمذان وحلوان وبغداد والكوفة والمدينة ومكة والبصرة أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو كذاب، فإني لم أقل هذه المقالة. إلا أني قلت: أفعال العباد مخلوقة.

حدث أبو سعيد بكر بن منير قال: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي، والي بخارى، إلى محمد بن إسماعيل أن أحمل إلي كتاب الجامع والتاريخ وغيرهما لأسمع منك. فقال محمد بن إسماعيل لرسوله: أنا لا أذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب الناس. فإن كنت لك إلى شيء منه حاجة، فاحضرني في مسجدي أو في داري. وإن لم يعجبك هذا، فأنت سلطان، فامنعني من المجلس، ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، لأني لم أكتم العلم، لقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار ". قال: فكان سبب الوحشة بينهما هذا .قال عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي: جاء محمد بن إسماعيل إلى خرتنك، قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها، وكان له بها أقرباء فنزل عندهم. قال: فسمعته ليلة من الليالي، وقد فرغ من صلاة الليل، يدعو، ويقول في دعائه: اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك. قال: فما تم شهر حتى قبضه الله تعالى. وقبره بخرتنك.

توفي محمد بن إسماعيل البخاري ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومئتين.

42- المختصر في أخبار البشر[1]

أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: 732هـ)

قال أبو الفداء عماد الدين إسماعيل في حوادث سنة ست وخمسين ومائتين" وفي هذه السنة توفي الإمام محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي صاحب المسند الصحيح، الذي هو الدرجة العالية في الصحة، المتفق على تفضيله والأخذ منه، والعمل به، ورحل في طلب الحديث إلى الأمصار، وكان مولده سنة أربع وتسعين ومائة لثلاث عشرة خلت من شوال.

قال البخاري: ألهِمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب، ابن عشر سنين، فلما بلغت ثماني عشرة سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وصنفت كتاب التاريخ، إذ ذاك، عند

[1] الكتاب: المختصر في أخبار البشر 48/2- المطبعة الحسينية المصري. الطبعة الأولى

قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أخرجت الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث، وما أدخلت فيه إلا ما صح.

وورد مرة إلى بغداد، فعمد أهل الحديث إلى مائة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، ووضعوا عشرة أنفس، فأورد واحد بعد آخر الأحاديث المذكورة، والبخاري يقول في كل حديث منها: لا أعرفه. فلما فرغوا قال: أما الحديث الأول فهو كذا، ورده إلى حقيقته، وأما الثاني فهو كذا، حتى ذكرها عن آخرها على حقيقتها.

ووقع بين البخاري وأمير بخارى واسمه خالد وحشة، فدسّ خالد من قال إن البخاري يقول بخلق الأفعال للعباد، وبخلق القرآن فتبرأ البخاري من ذلك وأنكره، وعظم عليه فارتحل، ونزل عند بعض أقاربه، بقرية من قرى سمرقند على فرسخين منها، اسمها خرشك فمات بها ليلة عيد الفطر من هذه السنة."

43- تهذيب الكمال في أسماء الرجال[1]

يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج المزي (ت 742هـ)

قال رحمه الله: ت، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بذدزبة، وقيل: بردزبة، وقيل: ابن الأحنف الجعفي مولاهم، أبو عبد الله بن أبي الحسن البخاري الحافظ، صاحب "الصحيح". إمام هذا الشأن والمقتدى به فيه والمعول على كتابه بين أهل الإسلام.
رحل في طلب الحديث إلى سائر محدثي الأمصار، وكتب بخراسان والجبال، ومدن العراق كلها، وبالحجاز، والشام، ومصر.
روى عن: إبراهيم بن حمزة الزبيري، وإبراهيم بن المنذر الحزامي (ت) ، وإبراهيم بن موسى

[1] تهذيب الكمال في أسماء الرجال 24/430-467
ت: بشار عواد معروف. مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الأولى، 1400 - 1980

الرازي (ت) ، وأحمد بن حنبل، وأحمد بن صالح المصري، وأحمد بن أبي الطيب المروزي (ت) ، وأحمد بن محمد الأزرقي، وآدم بن أبي إياس العسقلاني، وأبي النضر إسحاق بن إبراهيم الفراديسي، وإسحاق ابن راهويه، وإسماعيل بن أبان الوراق، وإسماعيل بن أبي أويس(ت) ، وأيوب بن سليمان بن بلال، وبدل بن المحبر، وثابت بن محمد الشيباني الزاهد، وجعفر بن عبد الله السلمي البلخي، وحجاج بن منهال الأنماطي، والحسن بن بشر البجلي (ت) ، والحسن بن الربيع البوراني (ت) ، وأبي عمر حفص بن عمر الحوضي، وأبي اليمان الحكم بن نافع، وخالد بن مخلد، وخلاد ابن يحيى (ت) ، وداود بن شبيب الباهلي، والربيع بن يحيى الأشناني، وزكريا بن يحيى البلخي، وسريج بن النعمان الجوهري، وسعيد بن الحكم بن أبي مريم (ت) ، وسعيد بن سليمان الواسطي (ت) ، وسعيد بن كثير بن عفير، وسليمان بن حرب (ت) ، وسليمان بن عبد الرحمن الدمشقي (ت) ، وشهاب بن عباد العبدي (ت) ، وصدقة بن الفضل المروزي، والصلت بن محمد الخاركي، وأبي عاصم الضحاك بن مخلد، وطلق بن غنام النخعي، وأبي بكر عبد الله بن أبي الأسود (ت) ، وعبد الله بن الزبير الحميدي (ت) ، وأبي معمر عبد الله بن عمرو المنقري، وعبد الله بن محمد الجعفي المسندي (ت) ، وأبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ (ت) ، وعبد الله بن يوسف التنيسي، وعبد الرحمن بن إبراهيم دحيم، وعبد العزيز بن عبد الله الأويسي، وأبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الخولاني، وعبدان بن عثمان المروزي، وعبيد الله بن موسى (ت) ، وعفان بن مسلم، وعلي بن المديني (ت) ، وأبي نعيم الفضل بن دكين (ت) ، وقبيصة بن عقبة، وقتيبة ابن سعيد، وقيس بن حفص الدارمي، وأبي غسان مالك بن إسماعيل النهدي (ت) ، ومحمد بن بشار بندار، ومحمد بن سعيد ابن الأصبهاني (ت) ، ومحمد بن سنان العوقي (ت) ، ومحمد بن الصباح الدولابي (ت) ، ومحمد بن عبد الله بن نمير (ت) ، ومحمد ابن عبد الله الأنصاري، وأبي ثابت محمد بن عبيد الله (١) المديني، ومحمد بن الفضل السدوسي عارم، ومحمد بن كثير العبدي (ت) ، وأبي موسى محمد بن المثنى، ومحمد بن يوسف الفريابي، ومطرف بن عبد الله المدني، ومكي بن إبراهيم البلخي، وأبي سلمة موسى بن إسماعيل التبوذكي (ت) ، وأبي حذيفة موسى بن مسعود النهدي، ونعيم بن حماد المروزي، وأبي الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسي، وهشام بن عمار الدمشقي (ت) ، والوليد بن صالح النخاس (٢) ، ويحيى بن

صالح الوحاظي (ت) ، ويحيى بن عبد الله بن بكير، ويحيى بن معين، وخلق سواهم في "الجامع الصحيح. وروى في غير "الجامع "عن إبراهيم بن بشار الرمادي (ت) ، وإبراهيم بن محمد بن يحيى بن عباد بن هانئ الشجري (ت) ، وأبي حفص أحمد بن حفص البخاري، وأحمد بن خالد الوهبي (ت) ، وإسماعيل بن سالم الصائغ، وبشر بن شعيب بن أبي حمزة، والحسن بن شجاع البلخي (ت) ، والحسن بن واقع الرملي (ت) ، والحسين بن الضحاك النيسابوري، وظليم بن خطيط الجهضمي الدبوسي وهو من أقرانه، وأبي صالح عبد الله بن صالح المصري (ت) ، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت) ، وأبي مسهر عبد الاعلى بن مسهر الغساني، وعثمان بن هارون القرشي الانماطي، وعلي بن عبد الحميد المعني (ت) ، ومحمد بن مسلمة المخزومي، ومحمد بن وهب بن عطية الدمشقي، ومعقل بن مالك الباهلي (ت) ، وهشام بن إسماعيل العطار الدمشقي (ت) .

روى عنه: الترمذي، وإبراهيم بن إسحاق الحربي، وإبراهيم ابن معقل النسفي، وإبراهيم بن موسى الجوزي، وأبو حامد أحمد بن حمدون بن أحمد بن رستم الأعمشي النيسابوري، وأحمد بن سهل بن مالك، وأبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، وأبو العباس أحمد بن محمد بن الأزهر الأزهري النيسابوري، وأحمد بن محمد بن الجليل - بالجيم - البزاز البخاري، وأبو بكر أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي، وأبو حامد أحمد بن محمد بن عمار النيسابوري، وأبو عمرو أحمد بن نصر بن إبراهيم الخفاف النيسابوري، وأحيد بن أبي جعفر والي بخارى، وآدم بن موسى الخواري، وإسحاق بن أحمد بن خلف البخاري، وإسحاق بن أحمد بن زيرك الفارسي، وإسحاق بن داود الصواف التستري، وأبو سعيد بكر بن منير بن خليد بن عسكر البخاري، وجعفر بن محمد ابن موسى النيسابوري الحافظ، وجعفر بن محمد القطان إمام جامع كرمينية، وحاتم بن خجيم الأفراني، وحاشد بن إسماعيل البخاري، وحاشد بن عبد الله بن عبد الواحد، والحسن بن الحسين القزاز البخاري، والحسين بن إسماعيل المحاملي وهو آخر من روى عنه ببغداد، والحسين بن محمد بن حاتم عبيد العجل، والحسين بن محمد بن زياد القباني، وأبو يحيى زكريا بن يحيى البزاز، وزنجويه بن محمد اللباد النيسابوري، وسليم بن مجاهد ابن يعيش الكرماني، وأبو هارون سهل بن شاذويه البخاري، وأبو النضر شريح بن أبي عبد الله واسمه شرغه بن إسماعيل النسفي الزاهد، وصالح بن محمد الأسدي الحافظ، وعبد الله بن

أحمد بن عبد السلام الخفاف النيسابوري، وأبو بكر عبد الله بن أبي داود، وأبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، وعبد الله بن عبد الرحمن ابن الأشقر القاضي البصري، وعبد الله بن محمد بن ناجية البغدادي، وعبد الرحمن بن رسائن البخاري، وعبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي، وأبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي، وعبيد الله بن واصل البخاري، وعلي بن العباس البجلي المقانعي، وعمر ابن حفص الأشقر، وعمر بن محمد بن بجير البجيري، وغفير بن جرير الحداد النسفي، وأبو معشر الفضل بن أحمد بن يعقوب بن أشرس الضبي النسفي الأعمى الحافظ، والفضل بن العباس الرازي الحافظ المعروف بفضلك، والفضل بن محمد بن عقيل بن خويلد الخزاعي فضلان، والفضل بن موسى بن الهذيل النسفي، والقاسم ابن إسماعيل المحاملي، والقاسم بن زكريا المطرز، وأبو الحسين محمد بن إبراهيم بن شعيب الغازي، وأبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، وأبو حاتم محمد بن إدريس الرازي، وأبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وأبو قريش محمد بن جمعة بن خلف القهستاني الحافظ، وأبو جعفر محمد بن أبي حاتم البخاري النحوي الوراق، وأبو بكر محمد بن حريث، ومحمد بن حمدويه، وأبو أحمد محمد بن سليمان بن فارس راوية "التأريخ الكبير "، ومحمد بن سهل المقرئ الفسوي، ومحمد بن عبد الله بن الجنيد، ومحمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، ومحمد بن قتيبة البخاري قرابته، ومحمد بن محمد بن سليمان الباغندي، ومحمد بن موسى بن الهذيل النسفي، ومحمد بن موسى النهرتيري، ومحمد بن نصر المروزي الفقيه، ومحمد بن هارون الحضرمي البغدادي، ومحمد بن واصل البيكندي، ومحمد بن يوسف بن عاصم، ومحمد بن يوسف الفربري راوية "الصحيح"، ومحمود بن إسحاق الخزاعي، ومحمود بن عنبر بن يغنم بن حبيب النسفي، وأبو جعفر مسبح بن سعيد البخاري، ومسلم بن الحجاج في غير (الصحيح، وأبو طلحة منصور بن محمد بن علي البزوري النسفي، قال جعفر بن محمد المستغفري: وهو آخر من روى عنه (الجامع) ومات سنة تسع وعشرين وثلاث مئة، وأبو حسان مهيب بن سليم ابن مجاهد بن يعيش الكرماني، وأبو عمر نافع بن شعيب القسام، ويحيى بن محمد بن صاعد البغدادي، ويعقوب بن يوسف الشيباني الأخرم والد أبي عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ، ويوسف بن ريحان، ويوسف بن موسى المرورذي.

وروى النسائي في الصيام من (سننه) عن محمد بن إسماعيل، عن حفص بن عمر بن الحارث،

عن حماد، عن معمر والنعمان بن راشد، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: (ما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعنة تذكر ...) الحديث. هكذا رواه أبو القاسم حمزة بن محمد الكناني الحافظ، وأبو علي الحسن بن الخضر الأسيوطي، وأبو الحسن بن حبويه النيسابوري عن النسائي، عن محمد بن إسماعيل حسب. وفي أصل الحافظ أبي عبد الله الصوري الذي كتبه بخطه، عن أبي محمد بن النحاس، عن حمزة، عن النسائي: حدثنا محمد بن إسماعيل وهو أبو بكر الطبراني.

وقال أبو بكر بن السني وحده عن النسائي: حدثنا محمد ابن إسماعيل البخاري، ولم نجد للنسائي عنه رواية سوى هذا الحديث إن كان ابن السني حفظه عن النسائي، ولم ينسبه من تلقاء نفسه معتقدا أنه البخاري، والله أعلم. وقد روى النسائي الكثير عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، وهو ابن علية وهو يشارك البخاري في بعض شيوخه كما سيأتي في ترجمته.

وروى في كتاب (الكنى) عن عبد الله بن أحمد بن عبد السلام الخفاف عن البخاري عدة أحاديث، فهذه قرينة ظاهرة في أنه لم يلق البخاري ولم يسمع منه، والله أعلم.

قال أبو أحمد بن عدي الحافظ: سمعت محمد بن أحمد بن سعدان البخاري يقول: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مغيرة ابن بذدزبه البخاري، وبذدزبه مجوسي مات عليها، والمغيرة بن بذدزبه أسلم على يدي يمان البخاري والي بخاري، ويمان هذا هو أبو جد عبد الله بن محمد المسندي الجعفي، وعبد الله بن محمد هو ابن جعفر بن يمان البخاري الجعفي، والبخاري قيل له: جعفي لأن أبا جده أسلم على يدي أبي جد عبد الله المسندي، ويمان جعفي فنسب إليه لأنه مولاه من فوق، وعبد الله قيل له: مسندي لأنه كان يطلب المسند في حداثته.

وقال بكر بن منير : بردزبه هو بالبخارية، وبالعربية: الزراع.

وقال أيضا: سمعت أبا الحسن بن الحسين البزاز ببخاري يقول: رأيت محمد بن إسماعيل بن إبراهيم شيخا نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير، ولد يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شوال سنة أربع وتسعين ومئة، وتوفي ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت لغرة شوال من سنة ست وخمسين ومئتين، عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما.

وقال أحمد بن سيار المروزي: ومحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبو عبد الله،

طلب العلم وجالس الناس ورحل في الحديث ومهر فيه وأبصر، وكان حسن المعرفة، حسن الحفظ، وكان يتفقه.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن البخاري بقراءتي عليه، وأبو العباس أحمد بن أبي بكر بن سليمان الواعظ قراءة عليه، قالا: أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي، قال: أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد الشيباني، قال: أخبرنا أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ، قال: حدثني أبو النجيب عبد الغفار بن عبد الواحد الأرموي، قال: حدثني محمد بن إبراهيم ابن أحمد الأصبهاني، قال: أخبرني أحمد بن علي الفارسي، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن محمد، قال: سمعت جدي محمد بن يوسف بن مطر الفربري يقول: حدثنا أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق النحوي، قال: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: كيف كان بدأ أمرك في طلب الحديث؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب. قال: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي، وغيره، وقال يوما فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له: يا أبا فلان إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرني. فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك، فدخل ونظر فيه ثم خرج. فقال لي: كيف هو يا غلام؟ فقلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم (د س)، فأخذ القلم مني وأحكم كتابه، وقال: صدقت. فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت إذ رددت عليه؟ فقال: ابن إحدى عشرة، فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت، رجع أخي وتخلفت بها في طلب الحديث، فلما طعنت في ثماني عشرة جعلت أصنف فضائل الصحابة والتابعين وأقاويلهم وذلك أيام عبيد الله بن موسى، وصنفت كتاب (التأريخ) إذ ذاك عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة.

وقال: قل اسم في (التأريخ) إلا وله عندي قصة إلا إني كرهت تطويل الكتاب.

وبهذا الإسناد إلى أبي بكر بن ثابت الحافظ، قال: أخبرني محمد بن علي بن أحمد المقرئ، قال: أخبرنا أبو بكر محمد ابن أحمد بن الحسن الجرجاني في كتابه إلي وحدثني عنه أبو عمرو البختري، قال: أخبرنا خلف بن محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال:

حدثنا محمد بن أبي حاتم وراق البخاري، قال: سمعت البخاري يقول: لو نشر بعض أستاذي هؤلاء لم يفهموا كيف صنفت كتاب (التأريخ) ولا عرفوه ثم قال: صنفته ثلاث مرات.

وبه، قال: حدثني أبو النجيب الأرموي، قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن أحمد الأصبهاني، قال: أخبرني محمد بن إدريس الوراق، قال: حدثنا محمد بن حم البخاري، قال: أخبرنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أخذ إسحاق بن راهويه كتاب(التأريخ) الذي صنفت فأدخله على عبد الله بن طاهر، فقال: أيها الأمير ألا أريك سحرا؟ قال: فنظر فيه عبد الله بن طاهر، فتعجب منه، وقال: لست أفهم تصنيفه.

وبه، قال: أخبرني عبيد الله بن أبي الفتح، قال: سمعت محمد بن حميد اللخمي، يقول: سمعت القاضي أبا الحسن محمد بن صالح الهاشمي يقول: سمعت أبا العباس بن سعيد يقول: لو أن رجلا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن كتاب (تاريخ) محمد بن إسماعيل البخاري.

وبه، قال: قرأت على الحسين بن محمد بن الحسن المؤدب أخي أبي محمد الخلال، عن أبي سعد عبد الرحمن بن محمد الإدريسي الحافظ، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد الحافظ أبو عبد الله السرخسي بسمرقند، قال: حدثني الحسن بن الحسين البخاري، قال: حدثنا عامر بن المنتجع، قال: سمعت أبا بكر المديني يقول: كنا يوما بنيسابور عند إسحاق بن راهويه ومحمد بن إسماعيل حاضر في المجلس فمر إسحاق بحديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وكان دون صاحب النبي صلى الله عليه وسلم عطاء الكيخاراني فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله إيش كيخاران؟ قال: قرية باليمن كان معاوية بن أبي سفيان بعث هذا الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فسمع منه عطاء حديثين. فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله كأنك قد شهدت القوم.

وبه، قال: أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، قال: أخبرنا محمد بن نعيم الضبي، قال: سمعت خلف بن محمد بن إسماعيل البخاري يقول: سمعت إبراهيم بن معقل النسفي يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: كنت عند إسحاق ابن راهويه فقال لنا بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبي صلى الله عليه وسلم، فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب، يعني: كتاب الجامع.

وبه، قال: كتب إلي علي بن أبي حامد الأصبهاني يذكر أن أبا أحمد محمد بن محمد بن مكي الجرجاني حدثهم، قال: سمعت السعداني يقول: سمعت بعض أصحابنا يقول: قال محمد ابن إسماعيل: أخرجت هذا الكتاب يعني "الصحيح" من زهاء ست مئة ألف حديث.

وبه، قال: أخبرنا أبو سعد الماليني، قال: أخبرنا عبد الله بن عدي، قال: سمعت الحسن بن الحسين البخاري يقول: سمعت إبراهيم بن معقل يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: ما أدخلت في كتابي (الجامع) إلا ما صح وتركت من الصحاح لحال الطول.

وبه، قال: حدثني محمد بن علي الصوري، قال: حدثنا عبد الغني بن سعيد الحافظ، قال: أخبرنا أبو الفضل جعفر بن الفضل، قال: أخبرنا محمد بن موسى بن يعقوب بن المأمون، قال: سئل أبو عبد الرحمن يعني النسائي عن العلاء وسهيل فقال: هما خير من فليح ومع هذا فما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل البخاري.

وبه، قال: حدثني أبو الحسين علي بن محمد بن جعفر العطار الأصبهاني بالري، قال: سمعت أبا الهيثم الكشميهني يقول: سمعت محمد بن يوسف الفربري، يقول: قال لي محمد ابن إسماعيل البخاري: ما وضعت في كتاب (الصحيح) حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.

وبه، قال: حدثني محمد بن أبي الحسن الساحلي، قال: أخبرنا أحمد بن الحسن الرازي، قال: سمعت عبد الله بن عدي يقول: سمعت عبد القدوس بن همام يقول: سمعت عدة من المشايخ يقولون: حول محمد بن إسماعيل البخاري تراجم جامعة بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين.

وبه، قال: أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري بنيسابور، قال: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الفقيه البلخي يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن عبد الله الصفار البلخي يقول: سمعت أبا إسحاق المستملي يروي عن محمد بن يوسف الفربري أنه كان يقول: سمع كتاب (الصحيح) لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل فما بقي أحد يروي عنه غيري.

وبه، قال: قرأت على الحسين بن محمد أخي الخلال، عن عبد الرحمن بن محمد الإدريسي، قال: حدثني محمد بن حم، قال: حدثنا محمد بن يوسف الفربري، قال: حدثنا محمد بن أبي

حاتم، قال: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل: تحفظ جميع ما أدخلت في المصنف؟ فقال: لا يخفى علي جميع ما فيه.

أخبرنا أبو الحسن بن البخاري، وأحمد بن أبي بكر الواعظ، قالا: أخبرنا أبو اليمن الكندي، قال: أخبرنا أبو منصور الشيباني، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نصرويه السمرقندي، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن مت الاشتيخني بها، قال: حدثنا الفربري محمد بن يوسف، قال: سمعت البخاري بخوارزم يقول: رأيت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يعني في المنام خلف النبي صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم يمشي، فكلما رفع النبي صلى الله عليه وسلم قدمه وضع أبو عبد الله محمد بن إسماعيل قدمه في ذلك الموضع.

وبهذا الإسناد إلى الحافظ أبي بكر بن ثابت، قال: أخبرنا أبو سعد الماليني، قال: أخبرنا عبد الله بن عدي، قال: سمعت محمد بن يوسف الفربري، قال: سمعت النجم بن فضيل وكان من أهل الفهم يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام خرج من قرية ماستين ومحمد بن إسماعيل خلفه، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطا خطوة يخطو محمد ويضع قدمه على خطوة النبي صلى الله عليه وسلم ويتبع أثره.

وبه، قال: كتب إلي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد ابن الحسين الخرجاني من أصبهان يذكر أنه سمع أبا أحمد محمد بن محمد بن مكي الجرجاني يقول: سمعت محمد بن يوسف الفربري يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي: أين تريد؟ فقلت: أريد محمد بن إسماعيل البخاري. فقال: أقرئه مني السلام.

وبه، قال: حدثني أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن علي السوذرجاني بأصبهان من لفظه، قال: حدثنا علي بن محمد بن الحسين الفقيه، قال: حدثنا خلف بن محمد الخيام، قال: سمعت أبا محمد المؤذن عبد الله بن محمد بن إسحاق السمسار يقول: سمعت شيخي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة دعائك أو لكثرة بكائك. قال: فأصبح وقد رد الله عليه بصره.

وبه، قال: أخبرني أبو الوليد الحسن بن محمد بن علي الدربندي، قال: أخبرنا أبو عبد الله

محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن كامل الحافظ ببخارى، قال: حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، قال: سمعت أبا حسان مهيب بن سليم يقول: سمعت جعفر بن محمد القطان إمام الجامع بكرمينية يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: كتبت عن ألف شيخ وأكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده.

وبه، قال: أخبرني أبو الوليد، قال: قال أبو عبد الله: سمعت أبا عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ يقول: سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد بن عمر الأديب يقول: سمعت أحيد بن أبي جعفر والي بخارى يقول: قال محمد بن إسماعيل يوما: رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر. قال: فقلت له: يا أبا عبد الله بكماله؟ قال: فسكت.

وبه، قال: أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، قال: أخبرنا محمد بن نعيم الضبي، قال: أخبرني محمد بن خالد المطوعي، قال: حدثنا مسبح بن سعيد، قال: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلي بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية. وكذلك إلى أن يختم القرآن، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار كل يوم ختمة، وتكون ختمة عند الإفطار كل ليلة، ويقول: عند كل ختم دعوة مستجابة.

وبه، قال: أخبرني أبو الوليد الدربندي، قال: أخبرنا محمد ابن أحمد بن محمد بن سليمان الحافظ، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، قال: سمعت أبا سعيد بكر بن منير يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: إني أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا.

وبه، قال: كان محمد بن إسماعيل يصلي ذات يوم فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة، فلما قضى صلاته قال: انظروا أيش هذا الذي آذاني في صلاتي، فنظروا فإذا الزنبور قد ورمه في سبعة عشر موضعا ولم يقطع صلاته.

وبه، قال: حدثني أبو النجيب الأرموي، قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن محمد الأصبهاني، قال: أخبرني أحمد بن علي الفارسي، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله بن محمد، قال: حدثني جدي محمد بن يوسف الفربري، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: دعي محمد بن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه، فلما حضرت صلاة الظهر صلى بالقوم ثم قام للتطوع،

فأطال القيام فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه فقال لبعض من معه: انظر هل ترى تحت قميصي شيئا فإذا زنبور قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعا وقد تورم من ذلك جسده، وكان آثار الزنبور في جسده ظاهرة، فقال له بعضهم: كيف لم تخرج من الصلاة في أول ما أبرك؟ فقال: كنت في سورة فأحبب أن أتمها!

وبه، قال: حدثني أبو النجيب الأرموي، قال: حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني، قال: أخبرني محمد بن إدريس الوراق، قال: حدثنا محمد بن حم، قال: أخبرنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ أحيانا فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري نارا بيده، ويسرج، ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها، ثم يضع رأسه. وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم. فقلت له: إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني؟ قال: أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك. ورأيته استلقى على قفاه يوما ونحن بفربر في تصنيف كتاب (التفسير) وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث. فقلت له: يا أبا عبد الله سمعتك تقول يوما: إني ما أتيت شيئا بغير علم قط منذ عقلت، فأي علم في هذا الاستلقاء؟ فقال: أتعبنا أنفسنا في هذا اليوم، وهذا ثغر من الثغور خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو فأحببت أن استريح وآخذ أهبة ذلك، فإن غافصنا العدو كان بنا حراك.

وبه، قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن علي الصوري ببغداد، وأبو محمد عبد الله بن علي بن عياض بن أبي عقيل القاضي بصور، وأبو نصر علي بن الحسين بن أحمد بن أبي سلمة الوراق بصيدا، قالوا: أخبرنا محمد بن أحمد بن جميع الغساني، قال: حدثني أحمد بن محمد بن آدم بن عبيد أبو سعيد، قال: حدثنا محمد بن يوسف البخاري، قال: كنت عند محمد بن إسماعيل البخاري بمنزله ذات ليلة فأحصيت عليه أنه قام وأسرج يستذكر أشياء يعلقها في ليلة ثماني عشرة مرة.

وبه، قال: حدثني أبو الوليد الدربندي، قال: سمعت محمد ابن الفضل المفسر يقول: سمعت أبا إسحاق الزنجاني يقول: سمعت عبد الرحمن بن رساين البخاري يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: صنفت كتاب (الصحاح) ستة عشر سنة خرجته من ست مئة ألف

حديث، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى.

وبه، قال: أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر الحافظ، قال: حدثنا خلف بن محمد، قال: سمعت أبا العباس الفضل بن إسحاق بن الفضل البزاز يقول: حدثنا أحمد بن المنهال العابد، قال: حدثنا أبو بكر الأعين، قال: كتبنا عن محمد بن إسماعيل على باب محمد بن يوسف الفريابي وما في وجهه شعرة. فقلت: ابن كم كنت؟ قال: ابن سبع عشرة سنة.

وبه، قال: أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر، قال: حدثنا محمد بن سعيد التاجر، قال: حدثنا محمد بن يوسف بن مطر، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت حاشد بن إسماعيل يقول: كنت بالبصرة فسمعت بقدوم محمد بن إسماعيل فلما قدم قال محمد بن بشار: دخل اليوم سيد الفقهاء.

وبه، قال: أخبرني الحسن، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر، قال: أخبرنا أبو شجاع الفضيل بن العباس بن الخصيب التميمي، قال: حدثنا أبو قريش محمد بن جمعة بن خلف، قال: سمعت بندارا محمد بن بشار يقول: حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري، ومسلم بن الحجاج بنيسابور، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى.

وبه، قال: أخبرني أبو الوليد الدربندي، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان، قال: حدثنا خلف بن محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا عمر بن محمد بن بجير، قال: سمعت محمد بن بشار العبدي بندارا يقول: عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، ومحمد ابن إسماعيل البخاري، وأبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي غلماني خرجوا من تحت كرسيي.

وبه، قال: وقال خلف: سمعت أبا علي الحسين بن إسماعيل الفارسي يقول: سمعت محمد بن إبراهيم البوشنجي يقول: سمعت بندارا محمد بن بشار يقول سنة ثمان وعشرين ومئتين: ما قدم علينا مثل محمد بن إسماعيل.

وبه، قال: قرأت على الحسين بن محمد أخي الخلال، عن أبي سعيد الإدريسي، قال: حدثني محمد بن حم البخاري بسمرقند، قال: حدثنا محمد بن يوسف الفربري، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: لما دخلت البصرة صرت إلى مجلس محمد بن بشار، فلما خرج وقع بصره علي فقال: من أين الفتى؟ قلت: من أهل

بخارى. قال: كيف تركت أبا عبد الله؟ فأمسكت. فقال له أصحابه: رحمك الله هو أبو عبد الله! فقام فأخذ بيدي وعانقني وقال: مرحبا بمن أفتخر به منذ سنين.

وبه، قال: أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، قال: أخبرنا محمد بن نعيم الضبي، قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن يوسف ابن ريحان الأمير ببخارى، قال: حدثني أبي يوسف بن ريحان، قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: كان علي بن المديني يسألني عن شيوخ خراسان، فكنت أذكر له محمد بن سلام فلا يعرفه إلى أن قال لي يوما: يا أبا عبد الله كل من اثنيت عليه فهو عندنا الرضا.

وبه، قال: أخبرنا أبو حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم العبدوي، قال: سمعت محمد بن محمد بن العباس يقول: سمعت جدي أحمد بن عبد الله يقول: سمعت جدي محمد بن يوسف يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني وربما كنت أغرب عليه.

وبه، قال: حدثني عبد الله بن أحمد بن علي السوذرجاني لفظا، قال: حدثنا علي بن محمد بن الحسين الفقيه، قال: حدثنا خلف الخيام، قال: سمعت إسحاق بن أحمد بن خلف يقول: سمعت محمد بن إسماعيل غير مرة يقول: ما تصاغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني، ما سمعت الحديث من في إنسان أشهى عندي أن أسمعه من في علي.

قال: وقال إسحاق: حدثني حامد بن أحمد، قال: ذكر لعلي بن المديني قول محمد بن إسماعيل: ما تصاغرت نفسي. عند أحد إلا عند علي بن المديني، فقال: ذروا قوله، هو ما رأى مثل نفسه!

وبه، قال: أخبرنا علي بن أبي علي المعدل، قال: أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد بن إبراهيم الحازمي البخاري، قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن حريث، قال: حدثنا أحمد بن سلمة، قال: حدثني فتح بن نوح النيسابوري، قال: أتيت علي ابن المديني فرأيت محمد بن إسماعيل جالسا عن يمينه، وكان إذا حدث التفت إليه كأنه يهابه.

وبه، قال: حدثني أبو النجيب الأرموي، قال: حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني، قال: أخبرني محمد بن إدريس الوراق، قال: حدثنا محمد بن حم، قال: أخبرنا محمد بن يوسف قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: ذاكرني

أصحاب عمرو بن علي بحديث، فقلت: لا أعرفه فسروا بذلك، وصاروا إلى عمرو بن علي، فقالوا له: ذاكرنا محمد بن إسماعيل البخاري بحديث فلم يعرفه. فقال عمرو ابن علي: حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث.

وبه، قال: أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر، قال: حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد التاجر، قال: حدثنا محمد بن يوسف بن مطر، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: سمعت محمد بن قتيبة قريب أبي عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: كنت عند أبي عاصم النبيل فرأيت عنده غلاما، فقلت له: من أين أنت؟ قال: من بخارى. قلت: ابن من؟ فقال: ابن إسماعيل. فقلت له: أنت قرابتي، فعانقته. فقال لي رجل في مجلس أبي عاصم: هذا الغلام يناطح الكباش.

وبه، قال: أخبرني أبو الوليد، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد، قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الخولاني، قال: حدثنا أبو ذر محمد بن محمد بن يوسف القاضي، قال: سمعت أبا معشر حمدويه بن الخطاب يقول: لما قدم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل من العراق قدمته الأخيرة وتلقاه من تلقاه من الناس، وازدحموا عليه، وبالغوا في بره، فقيل له في ذلك، وفيما كان من كرامة الناس وبرهم له، قال: فكيف لو رأيتم يوم دخولنا البصرة؟ !

وبه، قال: أخبرني أبو الوليد الدربندي، قال: أخبرنا محمد بن أحمد، ومحمد بن سليمان الحافظ، قال: حدثنا محمد بن سعيد التاجر، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كان إسماعيل بن أبي أويس إذا انتخبت من كتابه نسخ تلك الأحاديث لنفسه وقال: هذه أحاديث انتخبها محمد بن إسماعيل من حديثي.

قال محمد بن أبي حاتم: وسمعت حاشد بن عبد الله يقول: قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر المديني: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر من ابن حنبل. فقال رجل من جلسائه: جاوزت الحد. فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت كلاهما واحد في الفقه والحديث.

وبه، قال: أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، قال: حدثنا محمد بن أبي بكر، قال: حدثنا خلف بن محمد، قال: حدثنا أبو عمرو عامر بن المنتجع، قال: حدثنا أحمد بن الضوء، قال:

سمعت أبا بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير يقولان: ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل.

وبه، قال: أخبرني أبو الوليد، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد، قال: حدثنا محمد بن سعيد قال: حدثنا محمد بن يوسف قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت محمود بن النضر أبا سهل الشافعي يقول: دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم.

وبه، قال: أخبرني الحسن بن محمد، قال: أخبرنا محمد ابن أبي بكر، قال: حدثنا أبو نصر أحمد بن أبي حامد الباهلي، قال: سمعت إسحاق بن أحمد بن خلف، قال: سمعت أبا علي صالح بن محمد البغدادي يقول: كان محمد بن إسماعيل يجلس ببغداد، وكنت أستملي له، ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفا.

قال: وقال محمد بن أبي بكر: سمعت أبا صالح خلف بن محمد، سمعت محمد بن يوسف بن عاصم يقول: رأيت لمحمد ابن إسماعيل ثلاثة مستملين ببغداد وكان اجتمع في مجلسه زيادة على عشرين ألف رجل.

وبه، قال: حدثني محمد بن أبي الحسن الساحلي، قال: أخبرنا أحمد بن الحسن الرازي، قال: سمعت أبا أحمد بن عدي، يقول: سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا، وعمدوا إلى مئة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث وأمروهم إذا حضروا المجلس يلقون ذلك على البخاري، وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاري: لا أعرفه. فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: الرجل فهم، ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم. ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه،

فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه، فلم يزل يلقي عليه واحده بعد آخر حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول: لا أعرفه. ثم انتدب له الثالث والرابع إلى تمام العشرة، حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على لا أعرفه. فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم، فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها، فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل. قال ابن عدي. وكان ابن صاعد إذا ذكر محمد بن إسماعيل يقول: الكبش النطاح.

وبه، قال: أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر قال: حدثنا أبو الحسين أحمد بن يوسف الأزدي، قال: حدثنا أبو عمرو محمد بن عمرو بن الأشعث البيكندي، قال: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان: أبو زرعة الرازي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، والحسن بن شجاع البلخي.

وبه، قال: أخبرني الحسن بن محمد، قال: أخبرنا محمد ابن أبي بكر، قال: حدثنا أبو نصر محمد بن أحمد بن موسى البزاز، قال: سمعت أبا بكر عبد الرحمن بن محمد بن علويه الأبهري يقول: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل البخاري.

وبه، قال: أخبرني أبو الوليد الدربندي، قال: أخبرنا محمد ابن أحمد بن محمد بن سليمان، قال: حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد، قال: سمعت محمد بن يوسف بن مطر، يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم يقول: حدثني حاشد بن عبد الله بن عبد الواحد، قال: سمعت يعقوب بن إبراهيم الدورقي، يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

وبه، قال: أخبرني أبو الوليد، قال: أخبرنا محمد، قال: حدثنا أحمد بن أبي حامد الباهلي، قال: سمعت أبا سعيد حاتم ابن محمد بن حازم يقول: سمعت موسى بن هارون الحمال ببغداد، يقول: عندي لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن ينصبوا مثل محمد بن إسماعيل آخر ما قدروا عليه.

وبه، قال: أخبرني محمد بن علي المقرئ، قال: أخبرنا أبو مسلم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مهران الحافظ، قال: أخبرنا عبد المؤمن بن خلف النسفي، قال: سألت أبا علي صالح بن محمد، عن محمد بن إسماعيل وأبي زرعة، وعبد الله بن عبد الرحمن، فقال: عن أي شيء تسأل؟ فهم مختلفون في أشياء. فقلت: من أعلمهم بالحديث؟ فقال: محمد ابن إسماعيل، وأبو زرعة أحفظهم وأكثرهم حديثا. فقلت: عبد الله بن عبد الرحمن؟ فقال: ليس من هؤلاء في شيء.

وبه، قال: أخبرنا أبو بكر البرقاني، قال: قال محمد بن العباس العصمي: حدثنا يعقوب بن إسحاق بن محمود، قال: قال أبو علي صالح بن محمد الأسدي وذكر البخاري فقال: ما رأيت خراسانيا أفهم منه.

وبه، قال: أخبرني أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الواحد المنكدري، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نعيم الضبي الحافظ، قال: سمعت يحيى بن عمرو بن صالح الفقيه يقول: سمعت أبا العباس محمد بن عبد الرحمن الفقيه يقول: كتب أهل بغداد إلى محمد بن إسماعيل: المسلمون بخير ما بقيت لهم، وليس بعدك خير حين تفتقد.

وبه، قال: أخبرنا الحسن بن محمد الأشقر، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر، قال: أخبرنا خلف بن محمد، قال: سمعت أبا بكر محمد بن حريث يقول: سمعت أبا زرعة الرازي يقول، وسألته عن ابن لهيعة، فقال: تركه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. وسألته عن محمد بن حميد الرازي، فقال: تركه أبو عبد الله. قال محمد بن حريث: فذكرت ذلك لمحمد بن إسماعيل فقال: بره لنا قديم.

قال: وقال خلف: سمعت أبا بكر محمد بن حريث يقول: سمعت الفضل بن العباس الرازي وسألته فقلت: أيهما أحفظ أبو زرعة أو محمد بن إسماعيل؟ فقال: لم أكن التقيت مع محمد ابن إسماعيل فاستقبلني ما بين حلوان وبغداد. قال: فرجعت معه مرحلة. قال: وجهدت الجهد على أن أجئ بحديث لا يعرفه فما أمكنني. قال: وأنا أغرب على أبي زرعة عدد شعره!

وبه، قال: أخبرني أبو الوليد الدربندي، قال: أخبرنا محمد ابن أحمد بن محمد بن سليمان، قال: حدثنا أبو الحسين محمد ابن الحسين بن علي بن يعقوب الجويباري، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر المنكدري، قال: حدثنا إسحاق بن أحمد بنزيرك، قال: سمعت محمد بن

إدريس الرازي يقول: في سنة سبع وأربعين ومئتين: يقدم عليكم رجل من أهل خراسان لم يخرج منها أحفظ منه، ولا قدم العراق أعلم منه. فقدم علينا بعد ذلك بأشهر محمد بن إسماعيل. قال: وقال أبو حاتم الرازي في هذا المجلس: محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق، ومحمد بن يحيى أعلم من بخراسان اليوم من أهل الحديث، ومحمد بن أسلم أورعهم، وعبد الله بن عبد الرحمن أثبتهم.

وبه، قال: أخبرنا أبو الوليد الدربندي، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان، قال: حدثنا محمد بن سعيد التاجر، قال: حدثنا محمد بن يوسف بن مطر، قال: حدثنا محمد ابن أبي حاتم، قال: سمعت عمر بن حفص الأشقر يقول: سمعت عبدان يقول: ما رأيت بعيني شابا أبصر من هذا، وأشار بيده إلى محمد بن إسماعيل.

قال: وسمعت صالح بن مسمار يقول: سمعت نعيم من حماد يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة. قال: وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: قال لي محمد بن سلام: انظر في كتبي فما وجدت فيها من خطأ فاضرب عليه كي لا أرويه، ففعلت ذلك، وكان محمد ابن سلام كتب عند الأحاديث التي أحكمها محمد بن إسماعيل: رضي الفتى، وفي الأحاديث الضعيفة. لم يرض الفتى. فقال له: بعض أصحابه: من هذا الفتى؟ فقال: هو الذي ليس مثله محمد بن إسماعيل.

قال: وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت يحيى بن جعفر يقول: لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموت محمد بن إسماعيل ذهاب العلم.

وبه، قال: حدثني أبو النجيب الأرموي، قال: حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني، قال: أخبرني أحمد بن علي الفارسي، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن محمد، قال: حدثنا جدي محمد بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: سمعت سليم بن مجاهد يقول عند محمد بن سلام البيكندي، فقال لي: لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث.

قال: فخرجت في طلبه حتى لقيته، فقلت: أنت الذي تقول: أنا أحفظ سبعين ألف حديث؟ قال: نعم، وأكثر منه ولا أجيئك بحديث من الصحابة أو التابعين إلا عرفت مولد

أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثا من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولي في ذلك أصل أحفظ حفظا عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبه، قال: أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر البخاري، قال: حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن يعقوب ابن يوسف البيكندي، قال: سمعت علي بن الحسين بن عاصم البيكندي يقول: قدم علينا محمد بن إسماعيل، واجتمعنا عنده، ولم يكن يتخلف عنه من المشايخ أحد، فتذاكرنا عنده، فقال رجل من أصحابنا أراه حامد بن حفص: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: كأني أنظر إلى سبعين ألف حديث من كتابي. قال: فقال محمد بن إسماعيل: أو تعجب من هذا؟ لعل في هذا الزمان من ينظر إلى مئتي ألف حديث من كتابه، وإنما عني به نفسه.

وبه، قال: أخبرنا أبو سعد الماليني قراءة عليه، قال: أخبرنا عبد الله بن عدي الحافظ، قال: حدثني محمد بن أحمد القومسي، قال: سمعت محمد بن حمدويه يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أحفظ مئة ألف حديث صحيح، وأحفظ مئتي ألف حديث غير صحيح.

إلى هنا عن أبي بكر بن ثابت الحافظ عن شيوخه.

وأخبرنا إسماعيل بن أبي عبد الله بن حماد، قال: أخبرنا أبو أحمد عبد الوهاب بن علي بن علي في كتابه إلينا من بغداد، قال: أخبرنا أبو الفضل أحمد بن طاهر بن سعيد بن فضل الله الميهني قراءة عليه، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد السمرقندي، قال: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن محمد بن صالح بن خلف وأبا الحسن علي بن أحمد بن خنباج بن إبراهيم الكاتب، وأبا الحسن علي بن أحمد بن يونس بن عبيد التميمي، قالوا: سمعنا أبا ذر عمار بن محمد بن مخلد التميمي البغدادي، قال: سمعت أبا المظفر محمد بن أحمد بن حامد بن إبراهيم بن الفضل البخاري، قال: لما عزل أبو العباس الوليد بن إبراهيم بن زيد الهمذاني عن قضاء الري ورد بخارى سنة ثماني عشرة وثلاث مئة لتجديد مودة كانت بينه وبين أبي الفضل محمد بن عبيد الله البلعمي – سماه أبو الحسن التميمي – فنزل في جوارنا. قال: فحملني معلمي أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الختلي إليه، وقال له: أسألك أن تحدث هذا الصبي بما سمعت من مشايخك رحمهم الله. فقال: مالي سماع. قال: فكيف وأنت فقيه، فما هذا؟ قال: لأني لما بلغت مبلغ الرجال تاقت نفسي إلى طلب الحديث، ومعرفة الرجال، ودراية الأخبار،

وسماعها، فقصدت محمد بن إسماعيل البخاري ببخارى صاحب (التاريخ) والمنظور إليه في معرفة الحديث، فأعلمته مرادي، وسألته الإقبال علي بذلك. فقال لي: يا بني لا تدخل في أمر إلا بعد معرفة حدوده والوقوف على مقاديره. قال: فقلت له: عرفني حدود ما قصدت له ومقادير ما سألتك عنه. قال: اعلم أن الرجل لا يصير محدثا كاملا في حديثه إلا بعد أن يكتب أربعا مع أربع كأربع مثل أربع في أربع عند أربع بأربع على أربع عن أربع لأربع، وكل هذه الرباعيات لا تتم إلا بأربع مع أربع، فإذا تمت له كلها هانت عليه أربع وابتلي بأربع، فإذا صبر على ذلك أكرمه الله تعالى في الدنيا بأربع وأثابه في الآخرة بأربع.

قال: قلت له: فسر لي رحمك الله ما ذكرت من أحوال هذه الرباعيات عن قلب صاف بشرح كاف، وبيان شاف طلبا للأجر الوافي. قال: نعم. أما الأربعة التي تحتاج إلى كتبتها هي: أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وشرائعه، والصحابة ومقاديرهم، والتابعين وأحوالهم، وسائر العلماء وتواريخهم، مع أسماء رجالها، وكناهم، وأمكنتهم، وأزمنتهم، كالتحميد مع الخطب والدعاء مع الترسل، والبسملة مع السور، والتكبير مع الصلوات، مثل المسندات، والمرسلات، والموقوفات، والمقطوعات، في صغره، وفي إدراكه، وفي شبابه، وفي كهولته، عند شغله، وعند فراغه، وعند فقره وعند غناه، بالجبال، والبحار، والبلدان والبراري، على الأحجار والأصواف والجلود والأكتاف، إلى الوقت الذي يمكنه نقلها إلى الأوراق عن من هو فوقه وعن من هو مثله وعن من هو دونه، وعن كتاب أبيه، يتيقن أنه بخط أبيه دون غيره لوجه الله تعالى طالبا لمرضاته، والعمل بما وافق كتاب الله منها، ونشرها بين طالبيها ومحبيها والتأليف في إحياء ذكره بعده ثم لا تتم له هذه الأشياء إلا بأربع التي هي: من كسب العبد أعني: معرفة الكتابة، واللغة، والصرف، والنحو، مع أربع هي: من إعطاء الله عز وجل، أعني: الصحة، والقدرة والحرص والحفظ. فإذا تمت له هذه الأشياء هان عليه أربع: الأهل، والولد، والمال، والوطن، وابتلي بأربع: بشماتة الأعداء، وملامة الأصدقاء، وطعن الجهلاء، وحسد العلماء.

فإذا صبر على هذه المحن أكرمه الله تعالى في الدنيا بأربع: بعز القناعة، وبهيبة النفس، وبلذة العلم، وبحيوة الأبد. وأثابه في الآخرة بأربع: بالشفاعة لمن أراد من إخوانه، وبظل العرش حيث لا ظل إلا ظله، وبسقي من أراد حوض نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبجوار النبيين في أعلى عليين في الجنة. فقد أعلمتك يا بني مجملا جميع ما كنت سمعت من مشايخي متفرقا في

هذا الباب، فأبل الآن على ماقصدتني له، أو دع. قال: فهالني قوله وسكت متفكرا، وأطرقت نادما، فلما رأى ذلك مني قال: فإن لا تطق احتمال هذه المشاق كلها فعليك بالفقه الذي يمكنك تعلمه وأنت في بيتك قار ساكن لا تحتاج إلا بعد الأسفار ووطي الديار، وركوب البحار، وهو مع ذا ثمرة الحديث، وليس ثواب الفقيه بدون ثواب المحدث في الآخرة، ولا عزة بأقل من عز المحدث. فلما سمعت ذلك نقص عزمي في طلب الحديث، وأقبلت على علم ما أمكنني من علمه بتوفيق الله ومنه، فلذلك لم يكن عندي، ما أمليه على هذا الصبي يا أبا إبراهيم. فقال: أبو إبراهيم: إن هذا الحديث الذي لا يوجد عند أحد غيرك خير من ألف حديث يوجد مع غيرك. وأخبرنا أبو الحسن بن البخاري، وأحمد بن أبي بكر الواعظ، قالا: أخبرنا أبو اليمن الكندي، قال: أخبرنا عبد الرحمن ابن محمد الشيباني، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت الحافظ، قال: أخبرني الحسن بن محمد الأشقر، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر الحافظ، قال: سمعت أبا عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ يقول: سمعت أبا سعيد بكر بن منير بن خليد بن عسكر يقول: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخاري إلى محمد ابن إسماعيل أن أحمل إلي كتاب (الجامع) و (التاريخ) وغيرهما لأسمع منك، فقال محمد بن إسماعيل لرسوله: أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فأحضرني في مسجدي أو في داري، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة إني لا أكتم العلم لقول النبي صلى الله عليه وسلم:(من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار) قال: وكان سبب الوحشة بينهما هذا. وبه، قال: أخبرني محمد بن علي بن أحمد المقرئ، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، قال: سمعت محمد بن العباس الضبي يقول: سمعت أبا بكر بن أبي عمرو الحافظ يقول: كان سبب مفارقة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري البلد، يعني بخارى – أن خالد بن أحمد الذهلي الأمير خليفة الطاهرية ببخارى سأل أن يحضر منزله فيقرأ (الجامع)و (التاريخ) على أولاده، فامتنع، أبو عبد الله عن الحضور عنده، فراسله أن يعقد مجلسا لأولاده لا يحضره غيرهم، فامتنع عن ذلك أيضا، وقال: لا يسعني أن أخص بالسماع قوما دون قوم، فاستعان خالد بن أحمد بحريث بن أبي الورقاء وغيره من أهل العلم ببخارى عليه حتى تكلموا في مذهبه، ونفاه عن البلد، فدعا عليهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل فقال: اللهم أرهم ما

قصدوني به في أنفسهم وأولادهم وأهاليهم، فأما خالد فلم يأت عليه إلا أقل من شهر حتى ورد أمر الطاهرية بأن ينادى عليه، فنودي عليه وهو على أتان، وأشخص على أكاف، ثم صار عاقبه أمره إلى ما قد اشتهر وشاع، وأما حريث بن أبي الورقاء فإنه ابتلي في أهله فرأى فيها ما يجل عن الوصف، وأما فلان أحد العلماء - وسماه - فإنه ابتلي بأولاده وأراه الله فيهم البلايا.

وبه، قال: حدثني محمد بن أبي الحسن الساحلي، قال: أخبرنا أحمد بن الحسن الرازي، قال: سمعت أبا أحمد بن عدي الحافظ الجرجاني، يقول: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد بن إسماعيل إلى خرتنك، قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها، وكان له بها أقرباء، فنزل عندهم. قال: فسمعته ليلة من الليالي، وقد فرغ من صلاة الليل، يدعو ويقول في دعائه: اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت فاقبضني إليك. قال: فما تم الشهر حتى قبضه الله تعالى، وقبره بخرتنك.

وبه، قال: أخبرنا علي بن أبي حامد الأصبهاني في كتابه، قال: حدثنا محمد بن محمد بن مكي الجرجاني، قال: سمعت عبد الواحد بن آدم الطواويسي، قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع ذكره، فسلمت عليه، فرد السلام، فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ فقال: أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري. فلما كان بعد أيام بلغني موته، فنظرنا فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت النبي ﷺ فيها.

وبه، قال: أخبرني أبو الوليد الدربندي، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان الحافظ، قال: حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، وأبو عبيد أحمد بن عروة ابن أحمد بن إبراهيم، قالا: سمعنا أبا الحسن مهيب بن سليم ابن مجاهد يقول: توفي أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ليلة السبت ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومئتين.

وكذلك قال الحسن بن الحسين البزاز في تاريخ وفاته. وقد تقدم في أوائل الترجمة.

44- طبقات علماء الحديث[1]

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي (ت744هـ)

قال رحمه الله: شيخُ الإسلام، وإمامُ الحفّاظ، أبو عبد الله، محمدُ بنُ إسماعيلَ بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجُعْفي مولاهم، صاحب "الصحيح" والتَّصانيف.

مولده في شوال سنة أربعٍ وتسعين ومئة، وأول سماعه للحديث سنةَ خمسٍ ومئتين، وحفظَ تصانيفَ ابن المبارك وهو صبي، ونشأ يتيمًا، ورحل مع أمِّه وأخيه سنةَ عشرٍ ومئتين بعد أن سمع مرويَّات بلده من محمد بن سَلام، والمسْنِدي، ومحمد بن يوسف البِيكَنْدي. وسمع ببلخٍ من مكي بن إبراهيم، وببغداد من عفّان، وبمكَّة من المقرئ، وبالبصرة من أبي عاصم، والأنصاري، وبالكوفة من عُبيد الله بن موسى، وبالشام من أبي المغِيرة، والفِرْيابي، وبعَسْقلان من آدم، وبحمص من أبي اليَمان، وبدمشقَ من أبي مُسْهر شيئًا. وصنَّف وحدَّث وما في وجهه شعرة، وكان رأسًا في الذَّكاء، والعلم، والورع، والعبادة.

روى عنه: التِّرمذي، ومحمدُ بنُ نَصر المرْوزي، وجَزَرَة، ومُطيَّن، وابنُ خزيمة، وأبو قُريش محمد بنُ جُمْعة، وأبنُ صاعد، وابنُ أبي داود، والفِرَبْري، وأبو حامد بن الشَّرقي، ومنصور بنُ محمد البَزْدوي، والمحَاملي، وخلائق.

وكان شيخًا نحيفًا، ليس بطويل ولا قصير، إلى السُّمرة.

وكان يقول: لما طعنتُ في ثماني عشرة سنة، جعلتُ أصنِّفُ قضايا الصَّحابة والتابعين وأقاويلَهم في أيام عُبيدالله بن موسى، وحينئذٍ صنفتُ "التاريخ" عند قبر النبي صلى اللّهُ عليه وسلم في الليالي المقْمرة.

وعنه قال: كتبتُ عن أكثرَ من ألف رجل. وقال ابن خُزيمة: ما تحت أديم السَّماء أعلمُ بالحديث من البُخاري. ومناقبُه وفضائلُه كثيرة جدًّا، مدوَّنة في كتب العلماء.

مات ليلة الفِطْر سنةَ ست وخمسين ومئتين.

---

[1] طبقات علماء الحديث 243/2

ت أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان الطبعة الثانية 1417 هـ - 1996 م

45- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام[1]

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي(ت748هـ)

قال رحمه الله: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الإمام العلم أبو عبد الله الجعفي، مولاهم البخاري، صاحب «الصحيح» والتصانيف. ولد في شوال سنة أربع وتسعين ومائة.

وأول سماعة سنة خمس ومائتين. وحفظ تصانيف ابن المبارك، وحبب إليه العلم من الصغر. وأعانه عليه ذكاؤه المفرط. ونشأ يتيما، وكان أبوه من العلماء الورعين.

قال أبو عبد الله البخاري: سمع أبي من مالك بن أنس ورأى حماد بن زيد، وصافح ابن المبارك. قلت: وحدث عن أبي معاوية، وجماعة. روى عنه: أحمد بن حفص، والحسن بن الحسين. قال أحمد بن حفص: دخلت على أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم عند موته فقال: لا أعلم في جميع مالي درهما من شبهة. قال أحمد: فتصاغرت إلي نفسي عند ذلك.

قلت: وربت أبا عبد الله أمه. ورحل سنة عشرة ومائتين بعد أن سمع الكثير ببلده من سادة وقته: محمد بن سلام البيكندي، ومحمد بن يوسف البيكندي، وعبد الله بن محمد المسندي، ومحمد بن غرير، وهارون بن الأشعث، وطائفة.

وسمع ببلخ من: مكي بن إبراهيم، ويحيى بن بشر الزاهد، وقتيبة، وجماعة.

وكان مكي أحد من حدثه عن ثقات التابعين.

وسمع بمرو من: علي بن الحسن بن شقيق، وعبدان، ومعاذ بن أسد، وصدقة بن الفضل، وجماعة. وسمع بنيسابور من: يحيى بن يحيى، وبشر بن الحكم، وإسحاق، وعدة. وبالري من: إبراهيم بن موسى الحافظ، وغيره. وببغداد من: محمد بن عيسى الطباع، وسريج بن النعمان، وعفان، ومعاوية بن عمرو الأزدي، وطائفة. وقال: دخلت على معلى بن منصور ببغداد سنة

---

[1] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام

ت: عمر عبد السلام التدمري. الناشر: دار الكتاب العربي – الطبعة: الثانية، 1413 هـ - 1993

عشر. وسمع بالبصرة من: أبي عاصم النبيل، وبدل بن المحبر، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، وعبد الرحمن بن حماد الشعيثي، وعمرو بن عاصم الكلابي، وعبد الله بن رجاء الغداني، وطبقتهم. وبالكوفة من: عبيد الله بن موسي، وأبي نعيم، وطلق بن غنام، والحسن بن عطية وهما أقدم شيوخه موتا، وخلاد بن يحيى، وخالد بن مخلد، وفروة بن أبي المغراء، وقبيصة، وطبقتهم. وبمكة من: أبي عبد الرحمن المقرئ، والحميدي، وأحمد بن محمد الأزرقي، وجماعة. وبالمدينة من: عبد العزيز الأويسي، ومطرف بن عبد الله، وأبي ثابت محمد بن عبيد الله، وطائفة. وبواسط من: عمرو بن عون، وغيره. وبمصر من: سعيد بن أبي مريم، وعبد الله بن صالح الكاتب، وسعيد بن تليد، وعمرو بن الربيع بن طارق، وطبقتهم، وبدمشق من أبي مسهر شيئا يسيرا، ومن أبي النضر الفراديسي، وجماعة. وبقيسارية من: محمد بن يوسف الفريابي. وبعسقلان: من آدم بن أبي إياس. وبحمص من: أبي المغيرة، وأبي اليمان، وعلي بن عياش، وأحمد بن خالد الوهبي، ويحيى الوحاظي. وذكر أنه سمع من ألف نفس. وقد خرج عنهم مشيخة وحدث بها، لم نرها. وحدث بالحجاز، والعراق، وخراسان، وما وراء النهر. وكتبوا عنه وما في وجهه شعرة. روى عنه أبو زرعة، وأبو حاتم قديما.

وروى عنه من أصحاب الكتب: ت. ن.، علي نزاع في ن. والأصح أنه لم يرو عنه شيئا. وروى عنه مسلم في غير «الصحيح» ، ومحمد بن نصر المروزي الفقيه، وصالح بن محمد جزرة الحافظ، وأبو بكر بن أبي عاصم، ومطين، وأبو العباس السراج، وأبو بكر بن خزيمة، وأبو قريش محمد بن جمعة، ويحيى بن محمد بن صاعد، وإبراهيم بن معقل النسفي، ومهيب بن سليم، وسهل بن شاذويه، ومحمد بن يوسف الفربري، ومحمد بن أحمد بن دلويه، وعبد الله بن محمد الأشقر، ومحمد بن هارون الحضرمي، والحسين بن إسماعيل المحاملي، وأبو علي الحسن بن محمد الداركي، وأحمد بن حمدون الأعمش، وأبو بكر بن أبي داود، ومحمود بن عنبر النسفي، ومطين ، وجعفر بن محمد بن الحسن الجروي ، وأبو حامد بن الشرقي، وأخوه أبو محمد عبد الله، ومحمد بن سليمان بن فارس، ومحمد بن المسيب الأرغياني، ومحمد بن هارون الروياني، وخلق. وآخر من روى عنه «الجامع الصحيح»: منصور بن محمد البزدوي المتوفى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة. وآخر من زعم أنه سمع من البخاري موتا أبو ظهير عبد الله بن فارس البلخي المتوفى سنة ست وأربعين وثلاثمائة.

وآخر من روي حديثه عاليا: خطيب الموصل في الدعاء للمحاملي، بينه وبينه ثلاثة رجال.

وأما جامعه الصحيح فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى. وهو أعلى شيء في وقتنا إسنادا للناس. ومن ثلاثين سنة يفرحون بعلو سماعه، فكيف اليوم؟ فلو رحل الشخص لسماعه من مسيرة ألف فرسخ لما ضاعت رحلته. وأنا أدري أن طائفة من الكبار يستقلون عقلي في هذا القول، ولكن ما يعرف الشوق إلا من يكابده، ولا الصبابة إلا من يعاينها، ومن جهل شيئا عاداه، ولا قوة إلا بالله.

فصل.

نقل ابن عدي وغيره أن مغيرة بن بردزبه المجوسي جد البخاري أسلم علي يد والي بخاري يمان الجعفي جد المحدث عبد الله بن محمد بن جعفر بن يمان الجعفي المسندي. فولاؤه للجعفيين بهذا الاعتبار.

وقال محمد بن أبي حاتم وراق البخاري: أخرج أبو عبد الله ولده بخط أبيه بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة مضت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة.

وقال ابن عدي: سمعت الحسن بن الحسين البزاز يقول: رأيت البخاري شيخا نحيفا، ليس بالطويل ولا بالقصير. عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما.

وقال أحمد بن الفضل البلخي: ذهبت عينا محمد في صغره، فرأت أمه إبراهيم عليه السلام، فقال: يا هذه قد رد الله علي ابنك بصرة بكثرة بكائك أو دعائك. فأصبح وقد رد الله عليه بصره. وعن جبريل بن ميكائيل: سمعت البخاري يقول: لما بلغت خراسان أصبت ببصري، فعلمني رجل أن أحلق رأسي وأغلفه بالخطمي، ففعلت، فرد الله علي بصري. رواها غنجار في تاريخه. وقال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق: قلت للبخاري: كيف كان بدو أمرك؟ قال: ألهمت حفظ الحديث في المكتب ولي عشر سنين أو أقل. وخرجت من الكتاب بعد العشر، فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يوما فيما يقرأ على الناس: سفيان، عن أبي الزبير عن إبراهيم. فقلت له إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم. فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل. فدخل ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي، عن إبراهيم. فأخذ القلم مني وأصلحه، وقال: صدقت. فقال للبخاري بعض أصحابه: ابن كم كنت؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة. فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك،

ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء. ثم خرجت مع أبي وأخي أحمد إلى مكة. فلما حججت رجع أخي بها وتخلفت في طلب الحديث. فلما طعنت في ثمان عشرة سنة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وذلك أيام عبيد الله بن موسى. وصنفت كتاب «التاريخ» إذ ذاك عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة. وقل اسم في «التاريخ» إلا وله عندي قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتاب.

وقال عمرو بن حفص الأشقر: كنا مع البخاري بالبصرة نكتب الحديث، ففقدناه أياما، ثم وجدناه في بيت وهو عريان وقد نفد ما عنده. فجمعنا له الدراهم وكسوناه.

وقال عبد الرحمن بن محمد البخاري: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: لقيت أكثر من ألف رجل، أهل الحجاز، والعراق، والشام، ومصر، وخراسان، إلى أن قال: فما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء: إن الدين قول وعمل، وأن القرآن كلام الله.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعته يقول: دخلت أصبهان مرات، كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل، فقال لي آخر ما ودعته: يا أبا عبد الله تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان؟! فأنا الآن أذكر قول أحمد.

وقال أبو بكر الأعين: كتبت عن البخاري على باب محمد بن يوسف الفريابي وما في وجهه شعرة. وقال محمد بن أبي حاتم وراق البخاري: سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان البخاري يختلف معنا إلى السماع وهو غلام، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام. فكنا نقول له، فقال: إنكما قد أكثرتما علي، فاعرضا علي ما كتبتما.

فأخرجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه. ثم قال: أترون أني أختلف هدرا وأضيع أيامي؟! فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد. قالا: فكان أهل المعرفة يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف أكثر هم ممن يكتب عنه، وكان شابا لم يخرج وجهه ..

وقال محمد بن أبي حاتم: وسمعت سليم بن مجاهد يقول: كنت عند محمد بن سلام البيكندي فقال لي: لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث. قال: فخرجت في طلبه وتلقيته، فقلت: أنت الذي تقول: أنا أحفظ سبعين ألف حديث؟

قال: نعم وأكثر، ولا أجيئك بحديث عن الصحابة والتابعين إلا عرفت مولد أكثر هم ووفاتهم ومساكنهم. ولست أروي حديثا من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولي في ذلك أصل أحفظه حفظا عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

قال غنجار: ثنا أبو عمرو أحمد بن محمد المقرئ، ثنا محمد بن يعقوب بن يوسف البيكندي: سمعت علي بن الحسين بن عاصم البيكندي يقول: قدم علينا محمد بن إسماعيل، فاجتمعنا عنده ليلة، فقال بعضنا: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: كأني أنظر إلى سبعين ألف حديث من كتابي. فقال محمد: أو تعجب من هذا؟ لعل في هذا الزمان من ينظر إلى مائتي ألف حديث من كتابه. قال: وإنما عنى به نفسه.

وقال ابن عدي: حدثني محمد بن أحمد القومسي: سمعت محمد بن خمرويه يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح. وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخاري. وقال ابن عدي: سمعت عدة مشايخ يحكون أن البخاري قدم بغداد فاجتمع أصحاب الحديث، وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا لإسناد هذا، وإسناد هذا لمتن هذا، ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها علي البخاري في المجلس. فاجتمع الناس، وانتدب أحدهم فقال، وسأله عن حديث من تلك العشرة، فقال: لا أعرفه. فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه. حتى فرغ العشرة.

فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: الرجل فهم. ومن كان لا يدري قضى عليه بالعجز، ثم انتدب آخر ففعل كفعل الأول، والبخاري يقول لا أعرفه. إلى أن فرغ العشرة أنفس، وهو لا يزيدهم على: لا أعرفه. فلما علم أنهم قد فرغوا، التفت إلى الأول فقال: أما حديثك الأول فإسناده كذا وكذا، والثاني كذا وكذا، والثالث.... إلى آخر العشرة. فرد كل متن إلى إسناده، وفعل بالثاني مثل ذلك إلى أن فرغ، فأقر له الناس بالحفظ.

وقال يوسف بن موسى المروروذي: كنت بجامع البصرة إذا سمعت مناديا ينادي: يا أهل العلم، لقد قدم محمد بن إسماعيل البخاري. فقاموا في طلبه، وكنت فيهم، فرأيت رجلا شابا يصلي خلف الأصطوانة، فلما فرغ أحدقوا به، وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء، فأجابهم. فلما كان من الغد اجتمع كذا كذا ألف، فجلس للإملاء وقال: يا أهل البصرة أنا شاب،

وقد سألتموني أن أحدثكم وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدون الكل: ثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد بلديكم، ثنا أبي، نا شعبة، عن منصور، وغيره، عن سالم بن أبي الجعد، عن أنس أن أعرابيا قال: يا رسول الله الرجل يحب القوم. الحديث. ثم قال: هذا ليس عندكم، إنما عندكم عن غير منصور. وأملى مجلسا على هذا النسق .

قال يوسف: وكان دخولي البصرة أيام محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب .

وقال محمد بن حمدون بن رستم: سمعت مسلم بن الحجاج يقول للبخاري: دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله .

وقال الترمذي: لم أر أحدا بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل.

وقال إسحاق بن أحمد الفارسي: سمعت أبا حاتم يقول سنة سبع وأربعين ومائتين: محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق ، ومحمد بن يحيى أعلم من بخراسان اليوم، ومحمد بن أسلم أورعهم، وعبد الله الدارمي أثبتهم. وعن أحمد بن حنبل قال: انتهى الحفظ إلى أربعه من أهل خراسان: أبو زرعة، ومحمد بن إسماعيل، والدارمي، والحسن بن شجاع البلخي.

وقال أبو أحمد الحاكم: كان البخاري أحد الأئمة في معرفة الحديث وجمعه. ولو قلت إني لم أر تصنيف أحد يشبه تصنيفه في المبالغة والحسن لزجوت أن أكون صادقا.

قرأت على عمر بن القواس: أخبركم أبو القاسم بن الحرستاني حضورا، أنا جمال الإسلام، أنا ابن طلاب، أنا ابن جميع: حدثني أحمد بن محمد بن آدم: حدثني محمد بن يوسف البخاري قال: كنت عند محمد بن إسماعيل بمنزله ذات ليلة، فأحصيت عليه أنه قام وأسرج يستذكر أشياء يعلقها في ليلة ثمان عشرة مرة.

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ أحيانا. فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري نارا ويسرج، ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها، ثم يضع رأسه. وكان يصلي وقت السحر ثلاث عشرة ركعة. وكان لا يوقظني في كل ما يقوم، فقلت له: إنك تحمل على نفسك في كل هذا ولا توقظني! قال: أنت شاب ولا أحب أن أفسد عليك نومك. وقال الفربري: قال لي محمد بن إسماعيل، ما وضعت في «الصحيح» حديثا إلا

اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين. يعني ما جلست لأضع في تصنيفه شيئا إلا وفعلت ذلك، لا إنه يفعل ذلك لكل حديث.

وقال إبراهيم بن معقل: سمعته يقول: كنت عند إسحاق بن راهويه، فقال رجل: لو جمعتم كتابا مختصرا للسنن. فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب.

وعن البخاري قال: أخرجت هذا الكتاب من نحو ستمائة ألف حديث، وصنفته ست عشرة سنة. وجعلته حجة فيما بيني وبين الله. رويت من وجهين ثابتين، عنه.

وقال إبراهيم بن معقل: سمعته يقول: ما أدخلت في «الجامع» إلا ما صح، وتركت من الصحاح لأجل الطول وقال محمد بن أبي حاتم: قلت لأبي عبد الله: تحفظ جميع ما في المصنف؟ قال: لا يخفي علي جميع ما فيه، ولو نشر بعض أستاذي هؤلاء لم يفهموا كتاب التاريخ ولا عرفوه. ثم قال: صنفته ثلاث مرات.

وقد أخذه ابن راهويه فادخله على عبد الله بن طاهر فقال: أيها الأمير ألا أريك سحرا. فنظر فيه عبد الله، فتعجب منه وقال: لست أفهم تصنيفه.

وقال الفربري: حدثني نجم بن الفضل، وكان من أهل الفهم، قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم خرج من قرية ومحمد بن إسماعيل خلفه، فإذا خطا خطوة يخطو محمد ويضع قدمه على قدمه ويتبع أثره.

وقال خلف الخيام: سمعت أبا عمرو بن نصر الخفاف يقول: محمد بن إسماعيل أعلم في الحديث من أحمد وإسحاق بعشرين درجة، ومن قال فيه شيء فمني عليه ألف لعنة. ولو دخل من هذا الباب لملئت منه رعبا. وقال أبو عيسى الترمذي: كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله بن منير، فلما قام من عنده قال له: يا أبا عبد الله جعلك الله زين هذه الأمة. قال أبو عيسى: استجيب له فيه.

وقال جعفر بن محمد المستغفري في «تاريخ نسف» ، وذكر البخاري: لو جاز لي لفضلته علي من لقي من مشايخه، ولقلت: ما رأى بعينه مثل نفسه.

دخل نسف سنة ست وخمسين وحدث بها بجامعه الصحيح، وخرج إلى سمرقند لعشر بقين من رمضان، ومات بقرية خرتنك ليلة الفطر.

وقال الحاكم: أول ما ورد البخاري نيسابور سنة تسع ومائتين، ووردها في الأخير سنة خمسين

ومائتين، فأقام بها خمس سنين يحدث على الدوام.

قال محمد بن أبي حاتم: بلغني أن أبا عبد الله شرب البلاذر للحفظ، فقلت له: هل من دواء يشربه الرجل للحفظ؟ فقال: لا أعلم. ثم أقبل علي وقال: لا أعلم شيئا أنفع للحفظ من نهمة الرجل ومداومة النظر. وذلك أني كنت بنيسابور مقيما، فكان يرد إلي من بخارى كتب، وكن قرابات لي يقرئن سلامهن في الكتب، فكنت أكتب إلى بخارى، وأردت أن أقرئهن سلامي، فذهب علي أساميهن حين كتبت كتابي، ولم أقرئهن سلامي، وما أقل ما يذهب عني من العلم، يعني ما أقل ما يذهب عنه من العلم لمداومة النظر والاشتغال، وهذه قراباته قد نسي أسماءهن. وغالب الناس بخلاف ذلك، فتراهم يحفظون أسماء أقاربهم ومعارفهم ولا يحفظون إلا اليسير من العلم.

قال محمد بن أبي حاتم: وسمعته يقول: لم تكن كتابتي للحديث كما يكتب هؤلاء، كنت إذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبه وعلة الحديث إن كان فهما، فإن لم يكن فهما سألته أن يخرج إلي أصله ونسخته. فأما الآخرون فإنهم لا يبالون ما يكتبون وكيف يكتبون.

وسمعت العباس الدوري يقول: ما رأيت أحدا يحسن طلب الحديث مثل محمد بن إسماعيل. كان لا يدع أصلا أو فرعا إلا قلعه. ثم قال لنا عباس: لا تدعوا شيئا من كلامه إلا كتبتموه .

سمعت إبراهيم الخواص مستملي صدقة يقول: رأيت أبا زرعة كالصبي جالسا بين يدي محمد بن إسماعيل يسأله عن علل الحديث.

فصل في ذكائه وسعة علمه

قال جعفر بن محمد القطان إمام كرمينية فيما رواه عنه مهيب بن سليم أنه سمع محمد بن إسماعيل يقول: كتبت عن ألف شيخ أو أكثر، عن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده.

وقال محمد بن أبي حاتم: قرأ علينا أبو عبد الله كتاب الهبة فقال: ليس في هبة وكيع إلا حديثان مسندان أو ثلاثة، وفي كتاب عبد الله بن المبارك خمسة أو نحوها، وفي كتابي هذا خمسمائة حديث أو أكثر.

وسمعت أبا عبد الله يقول: ما قدمت على أحد إلا كان انتفاعه بي أكثر من انتفاعي به.

قال محمد بن أبي حاتم: سمعت سليم بن مجاهد يقول: سمعت أبا الأزهر يقول: كان بسمرقند

أربعمائة ممن يطلبون الحديث، فاجتمعوا سبعة أيام وأحبوا مغالطة محمد بن إسماعيل، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وإسناد اليمن في إسناد الحرمين، فما تعلقوا منه بسقطة لا في الإسناد ولا في المتن. وقد ذكرت حكاية البغداديين في مثل هذا.

وقال الفربري: سمعت أبا عبد الله يقول: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني، وربما كنت أغرب عليه.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا عبد الله يقول: ما نمت البارحة حتى عددت كم أدخلت في مصنفاتي من الحديث، فإذا نحو مائتي ألف حديث مسندة.

وسمعته يقول: ما كتبت حكاية قط كنت أتحفظها. وسمعته يقول: لا أعلم شيئا يحتاج إليه إلا وهو في الكتاب والسنة. فقلت له: يمكن معرفة ذلك كله؟ قال: نعم.

وسمعته يقول: كنت في مجلس الفريابي فقال: ثنا سفيان، عن أبي عروة، عن أبي الخطاب، عن أنس «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه في غسل واحد». فلم يعرف أحد في المجلس أبا عروة، ولا أبا الخطاب. قال: أما أبو عروة فمعمر، وأبو الخطاب قتادة. قال: وكان الثوري فعولا، لهذا يكني المشهورين.

قال محمد بن أبي حاتم: قدم رجاء الحافظ فقال لأبي عبد الله: ما أعددت لقدومي حيث بلغك، وفي أي شيء نظرت؟ قال: ما أحدثت نظرا ولم أستعد لذلك، فإن أحببت أن تسأل عن شيء فافعل. فجعل يناظره في أشياء فبقي رجاء لا يدري، ثم قال له أبو عبد الله: هل لك في الزيادة؟ فقال استحياء وخجلا منه: نعم. قال: سل إن شئت.

فأخذ في أسامي أيوب، فعد نحوا من ثلاثة عشر، وأبو عبد الله ساكت، فظن رجاء أن قد صنع شيئا فقال: يا أبا عبد الله فاتك خير كثير. فزيف أبو عبد الله في أولئك سبعة، وأغرب عليه نحو أكثر من ستين رجلا. ثم قال له رجاء: كم رويت في العمامة السوداء؟

قال: هات كم رويت أنت؟ قال البخاري: نروي نحوا من أربعين حديثا. فخجل رجاء ويبس ريقه. وسمعت أبا عبد الله يقول: دخلت بلخ، فسألوني أن أملي عليهم لكل من كتبت عنه، فأمليت ألف حديث عن ألف شيخ.

وقال ابن أبي حاتم وراق أبي عبد الله: قال أبو عبد الله: سئل إسحاق بن إبراهيم عمن طلق ناسيا، فسكت. فقلت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت

به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم». وإنما يراد مباشرة هذه الثلاث: العمل، والقلب، أو الكلام والقلب، وهذا لم يعتقد بقلبه. فقال إسحاق: قويتني وأفتى به.

قال: وسمعت أبا عبد الله البخاري يقول: ما جلست للحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم، وحتى نظرت في عامة كتب الرأي، وحتى دخلت البصرة خمس مرات أو نحوها، فما تركت بها حديثا صحيحا إلا كتبته، إلا ما لم يظهر لي.

وسمعت بعض أصحابي يقول: كنت عند محمد بن سلام البيكندي، فدخل محمد بن إسماعيل، فلما خرج قال محمد بن سلام: كلما دخل على هذا الصبي تحيرت والتبس علي أمر الحديث، ولا أزال خائفا منه ما لم يخرج.

فصل في ثناء الأئمة على البخاري

قلت: فارق البخاري بخاري وله خمس عشرة سنة، ولم يره محمد بن سلام بعد ذلك، فقال سليم بن مجاهد: كنت عند محمد بن سلام البيكندي فقال: لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث، فخرجت حتى لحقته فقلت: أنت تحفظ سبعين ألف حديث؟ قال: نعم وأكثر، ولا أجيئك بحديث عن الصحابة والتابعين إلا عرفت مولد أكثر هم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثا من حديث الصحابة والتابعين إلا ولي من ذلك أصل أحفظه حفظا عن كتاب أو سنة.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت يحيى بن جعفر البيكندي يقول: لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل من عمري لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموته ذهاب العلم.

وسمعته يقول لمحمد بن إسماعيل: لولا أنت ما أستطبت العيش ببخارى.

وسمعت محمد بن يوسف يقول: كنت عند أبي رجاء، يعني قتيبة، فسئل عن طلاق السكران فقال: هذا أحمد بن حنبل، وابن المديني، وابن راهويه قد ساقهم الله إليك. وأشار إلى محمد بن إسماعيل. وكان مذهب محمد أنه إذا كان مغلوب العقل لا يذكر ما يحدث في سكره أنه لا يجوز عليه من أمره شيء.

وسمعت عبد الله بن سعيد يقول: لما مات أحمد بن حرب النيسابوري ركب محمد وإسحاق يشيعان جنازته، فكنت أسمع أهل المعرفة بنيسابور ينظرون ويقولون: محمد أفقه من إسحاق.

سمعت عمر بن حفص الأشقر يقول: سمعت عبدان يقول: ما رأيت بعيني شابا أبصر من

هذا. وأشار بيده إلى محمد بن إسماعيل.

سمعت صالح بن مسمار يقول: سمعت نعيم بن حماد يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة

وقال إسحاق بن أحمد بن خلف: سمعت أحمد بن عبد السلام يقول: ذكرنا قول البخاري لعلي بن المديني، يعني ما استصغرت نفسي إلا بين يدي علي بن المديني، فقال علي: دعوا هذا فإن محمد بن إسماعيل لم ير مثل نفسه.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا عبد الله يقول: ذاكرني أصحاب عمرو بن علي الفلاس بحديث، فقلت: لا أعرفه، فسروا بذلك وأخبروا عمرو. فقال: حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث.

قال: وسمعت حاشد بن عبد الله يقول: قال لي أبو مصعب الزهري: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر من أحمد بن حنبل، فقيل له: جاوزت الحد، فقال للرجل: لو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت كلاهما واحد في الفقه والحديث.

وسمعت علي بن حجر يقول: أخرجت خراسان ثلاثة: أبو زرعة، ومحمد بن إسماعيل، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي. ومحمد عندي أبصرهم وأعلمهم وأفقههم.

وقال أحمد بن الضو: سمعت أبا بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير يقولان: ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل. وقال محمد بن إبراهيم البوشنجي: سمعت محمد بن بشار يقول: ما قدم علينا مثل محمد بن إسماعيل. وروي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه قال: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل. وقال حاشد بن إسماعيل: كنت بالبصرة فقدم محمد بن إسماعيل فقال بندار: اليوم دخل سيد الفقهاء. وقال حاشد بن عبد الله بن عبد الواحد: سمعت يعقوب الدورقي يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

وجاء من غير وجه عن عبد الله الدارمي قال: محمد بن إسماعيل أبصر مني. وقال حاشد بن إسماعيل الحافظ: سمعت أحمد بن حنبل يقول: لم يجئنا من خراسان مثل محمد بن إسماعيل.

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ وأحفظ له من محمد بن إسماعيل. وقال مسبح بن سعيد البخاري: سمعت عبد الله بن عبد الرحمن يقول: قد رأيت العلماء بالحجاز والعراقين، فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن إسماعيل. وقال محمد بن حمدون الأعمش: سمعت مسلم بن الحجاج يقول للبخاري: دعني

أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله.

وقال أبو عيسى الترمذي: لم أر بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل. وقال صالح بن محمد جزرة: كان محمد بن إسماعيل يجلس ببغداد، وكنت أستملي له، ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفا. وقال إسحاق بن زبرك: سمعت أبا حاتم في سنة سبع وأربعين ومائتين يقول: يقدم عليكم رجل من خراسان لم يخرج منها أحفظ منه. ولا قدم العراق أعلم منه. فقدم علينا البخاري.

وقال أبو بكر الخطيب: سئل العباس بن الفضل الرازي الصائغ: أيهما أحفظ، أبو زرعة أبو البخاري؟ فقال: لقيت البخاري بين حلوان وبغداد، فرحلت معه مرحلة وجهدت أن أجيء بحديث لا يعرفه فما أمكن، وأنا أغرب على أبي زرعة عدد شعري.

وقال خلف الخيام: سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر الخفاف يقول: محمد بن إسماعيل أعلم بالحديث من إسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل وغيرهما بعشرين درجة. ومن قال فيه شيئا فمني عليه ألف لعنة. ثم قال: ثنا محمد بن إسماعيل التقي النقي العالم الذي لم أر مثله .

وقال عبد الله بن حماد الآملي: وددت أني شعرة في صدر محمد بن إسماعيل.

وقال محمد بن يعقوب بن الأخرم: سمعت أصحابنا يقولون: لما قدم البخاري نيسابور استقبله أربعة آلاف رجل على الخيل، سوى من ركب بغلا أو حمارا، وسوى الرجالة .

وقال أبو أحمد الحاكم في «الكنى» : عبد الله بن الديلمي أبو بسر، وقال البخاري ومسلم فيه أبو بشر، بشين معجمة. قال الحاكم : وكلاهما أخطأ، في علمي إنما هو أبو بسر، وخليق أن يكون محمد بن إسماعيل مع جلالته ومعرفته بالحديث اشتبه عليه، فلما نقله مسلم من كتابه تابعه على زلته. ومن تأمل كتاب مسلم في الأسماء والكنى علم أنه منقول من كتاب محمد بن إسماعيل حذو القذة بالقذة، حتى لا يزيد عليه فيه إلا ما يسهل عنده. وتجلد في نقله حق الجلادة، إذ لم ينسبه إلى قائله. وكتاب محمد بن إسماعيل في التاريخ كتاب لم يسبق إليه. منهم من نسبه إلى نفسه مثل أبي زرعة، وأبي حاتم، ومسلم. ومنهم من حكاه عنه. فالله يرحمه، فإنه الذي أصل الأصول. وذكر الحكم أبو أحمد كلاما سوى هذا.

فصل في ديانته وصلاحه

قال مسبح بن سعيد: كان البخاري يختم في رمضان كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل

ثلاثة ليال بختمة. وقال بكر بن منير: سمعت أبا عبد الله البخاري يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني إني اغتبت أحدا.

قلت: يشهد لهذه المقالة كلامه، رحمه الله، في التجريح والتضعيف، فإنه أبلغ منا. يقول في الرجل المتروك أو الساقط: «فيه نظر» أو. «سكتوا عنه»، ولا يكاد يقول: «فلان كذاب»، ولا «فلان يضع الحديث». وهذا من شدة ورعه. وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: ما أغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها.

قال: وكان أبو عبد الله يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم، فقلت: أراك تحمل على نفسك فلو توقظني. قال: أنت شاب، ولا أحب أن أفسد عليك نومك. وقال غنجار: سمعت أبا عمرو أحمد بن محمد المقرئ: سمعت بكر بن منير يقول: كان محمد بن إسماعيل يصلي ذات ليلة، فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة، فلما قضي الصلاة قال: انظروا إيش آذاني. وقال محمد بن أبي حاتم: دعي محمد بن إسماعيل إلى بستان، فلما صلى بهم الظهر قام يتطوع. فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه وقال لبعض من معه: أنظر هل ترى تحت القميص شيئا؟ فإذا زنبور قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعا، وقد تورم من ذلك عشرة، فقال له بعض القوم: كيف لم تخرج من الصلاة أول ما أبرك؟ قال: كنت في سورة فأحببت أن أتمه. وقال محمد بن أبي حاتم: رأيت أبا عبد الله استلقى على قفاه يوما ونحن بفربر في تصنيف كتاب «التفسير» وأتعب نفسه يومئذ، فقلت له: إني أراك تقول إني ما أتيت شيئا بغير علم قط منذ عقلت، فما الفائدة في الاستلقاء؟ قال: أتعبنا أنفسنا اليوم، وهذا ثغر من الثغور، وخشيت أن يحدث حدث من أمور العدو، وأحببت أن أستريح وآخذ أهبة، فإن غافصنا العدو كان منا حراك.

وكان يركب إلى الرمي كثيرا، فما أعلمني رأيته في طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين، فكان يصيب الهدف في كل ذلك. وكان لا يسبق. وسمعته يقول: ما أكلت كراثا قط ولا القنابرى. قلت: ولم ذاك؟ قال: كرهت أن أؤذي من معي من نتنها. قلت: فكذلك البصل النيء؟ قال: نعم.

وسمعته يقول: ما أردت أن أتكلم بكلام فيه ذكر الدنيا إلا بدأت بحمد الله والثناء عليه.

وقال له بعض أصحابه: يقولون إنك تناولت فلانا. قال: سبحان الله، ما ذكرت أحدا بسوء،

إلا أن أقول ساهيا. قال: وكان لأبي عبد الله غريم قطع عليه مالا كثيرا. فبلغه أنه قدم آمل ونحن عنده بفربر، فقلنا له: ينبغي أن تعبر وتأخذه بمالك. فقال: ليس لنا أن نردعه.

ثم بلغ غريمه فخرج إلى خوارزم، فقلنا: ينبغي أن تقول لأبي سلمة الكسائي عامل آمل ليكتب إلى خوارزم في أخذه. فقال: إن أخذت منهم كتابا طمعوا في كتاب، ولست أبيع ديني بدنياي. فجهدنا، فلم يأخذ حتى كلمنا السلطان عن غير أمره، فكتب إلى والي خوارزم. فلما بلغ أبا عبد الله ذلك وجد وجدا شديدا، وقال: لا تكونوا أشفق علي من نفسي. وكتب كتابا وأردف تلك الكتب بكتب. وكتب إلى بعض أصحابه بخوارزم أن لا يتعرض لغريمه، فرجع غريمه، وقصدنا ناحية مرو، فاجتمع التجار، وأخبر السلطان، فأراد التشديد على الغريم، فكره ذلك أبو عبد الله فصالح غريمه على أن يعطيه كل سنة عشرة دراهم شيئا يسيرا. وكان المال خمسة وعشرين ألفا. ولم يصل من ذلك إلى درهم، ولا إلى أكثر منه.

وسمعت أبا عبد الله يقول: ما توليت شراء شيء قط ولا بيعه. قلت: فمن يتولى أمرك في أسفارك؟ قال: كنت أكفى ذلك.

وقال لي يوما بفربر: بلغني أن نخاسا قدم بجواري، فتصير معي؟ قلت: نعم. فصرنا إليه، فأخرج جواري حسانا صباحا، ثم أخرج من خلالهن جارية خزرية دميمة، فمس ذقنها وقال: اشتر لنا هذه. فقلت: هذه دميمة قبيحة لا تصلح. واللاتي نظرنا إليهن يمكن شراءهن بثمن هذه. فقال: اشترها، فإني مسست ذقنها، ولا أحب أن أمس جارية ثم لا أشتريها. فاشتراها بغلاء خمسمائة درهم على ما قال أهل المعرفة. ثم لم تزل عنده حتى أخرجها معه إلى نيسابور.

وروي بكر بن منير، وابن أبي حاتم، واللفظ لبكر، قال: حمل إلى البخاري بضاعة أنفذها إليه ابنه أحمد. فاجتمع به بعض التجار وطلبوها بربح خمسة آلاف درهم. فقال: انصرفوا الليلة. فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوها منه بربح عشرة آلاف درهم، فقال: أني نويت البارحة بيعها للذين أتوا البارحة.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا عبد الله يقول: ما ينبغي للمسلم أن يكون بحالة إذا دعا لم يستجب له. فقالت له امرأة أخيه بحضرتي: فهل تبينت ذلك أيها الشيخ من نفسك أو جربت؟ قال: نعم، دعوت ربي عز وجل مرتين، فاستجاب لي، فلن أدعو بعد ذلك، فلعله ينقص من حسناتي أو يعجل لي في الدنيا. ثم قال: ما حاجة المسلم إلى البخل والكذب؟

وسمعته يقول: خرجت إلى آدم بن أبي إياس، فتخلفت عني نفقتي حتى جعلت أتناول الحشيش ولا أخبر بذلك أحدا. فلما كان اليوم الثالث أتاني آت لم أعرفه، فناولني صرة دنانير، وقال: أنفق على نفسك.

وسمعت سليم بن مجاهد يقول: ما رأيت بعيني منذ ستين سنة أفقه ولا أروع ولا أزهد في الدنيا من محمد بن إسماعيل، رحمه الله.

فصل في صفته وكرمه

قال ابن عدي: سمعت الحسن بن الحسين يقول: رأيت محمد بن إسماعيل شيخا نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير.

وقال محمد بن أبي حاتم: دخل أبو عبد الله الحمام بفربر، وكنت أنا في مسلخ الحمام أتعاهد ثيابه. فلما خرج ناولته ثيابه فلبسها، ثم ناولته الخف، فقال: مسست شيئا فيه شعر النبي صلى الله عليه وسلم. فقلت: في أي موضع هو من الخف؟ فلم يخبرني، فتوهمت أنه في ساقه بين الظهارة والبطانة. وكانت لأبي عبد الله قطعة أرض يكريها كل سنة سبعمائة درهم. وكان ذلك المكتري ربما حمل منها إلى أبي عبد الله قثاة أو قثاءتين، لأنه كان معجبا بالقثاء النضيج، وكان يؤثره على البطيخ أحيانا، فكان يهب للرجل مائة درهم كل سنة لحمله القثاء إليه أحيانا. وسمعته يقول: كنت أستغل كل شهر خمسمائة درهم، فأنفقت كل ذلك في طلب العلم.

فقلت: كم بين مثل من ينفق على هذا الوجه، وبين من كان خلوا من المال، فجمع وكسب بالعلم؟ وكنا بفربر، وكان أبو عبد الله يبني رباطا مما يلي بخارى. فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك، وكان ينقل اللبن، فكنت أقول: إنك تكفى. فيقول: هذا الذي ينفعنا. ثم أخذنا ننقل الزنبرات معه، وكان ذبح لهم بقرة، فلما أدركت القدور دعا الناس إلى الطعام، وكان بها مائة نفس أو أكثر، ولم يكن علم أنه اجتمع ما اجتمع. وكنا أخرجنا معه من فربر خبزا بثلاثة دراهم أو أقل، فألقينا بين أيديهم، فأكل جميع من حضر، وفضلت أرغفة صالحة. وكان الخبز إذ ذاك خمسة أمناء بدرهم. وقال لي مرة: أحتاج في السنة إلى أربعة آلاف أو خمسة آلاف درهم. وكان يتصدق بالكثير. يناول الفقير من أصحاب الحديث ما بين العشرين إلى الثلاثين، وأقل وأكثر من غير أن يشعر بذلك أحد. وكان لا يفارقه كيسه. ورأيته ناول رجلا

صرة فيها ثلاثمائة درهم. وكنت اشتريت منزلا بتسعمائة وعشرين درهما. فقال لي: ينبغي أن تصير إلى نوح الصيرفي وتأخذ منه ألف درهم وتحضرها. ففعلت، فقال: خذها فاصرفها في ثمن البيت. فقلت: قد قبلت منك. وشكرته. وأقبلنا على الكتابة. وكنا في تصنيف «الجامع». فلما كان بعد ساعة، قلت: عرضت لي حاجة لا أجترئ رفعها إليك. فظن أني طمعت في الزيادة، فقال: لا تحتشمني وأخبرني بما تحتاج فإني أخاف أن أكون مأخوذا بسببك. قلت له: كيف؟ قال: لأن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين أصحابه، فذكر حديث سعد، وعبد الرحمن. فقلت: قد جعلتك في حل من كل ما تقول، ووهبتك المال الذي عرضته علي، عنيت المناصفة، وذلك أنه قال: لي جوار وامرأة وأنت عزب، فالذي يجب علي أن أنا صفك لنستوي في المال وغيره، وأربح عليك في ذلك.

فقلت له: قد فعلت، رحمك الله، أكثر من ذلك، إذ أنزلتني من نفسك ما لم تنزل أحدا، وصلت منك محل الولد. ثم حفظ علي حديثي الأول، وقال: ما حاجتك؟

قلت: تقضيها؟ قال: نعم وأسر بذلك.

قلت: هذه الألف تأمر بقبوله وتصرفه في بعض ما تحتاج إليه فقبله، وذلك إنه ضمن إجابة قضاء حاجتي. ثم جلسنا بعد ذلك بيومين لتصنيف «الجامع» وكتبنا منه ذلك اليوم شيئا كثيرا إلى الظهر. ثم صلينا الظهر، وأقبلنا على الكتابة من غير أن نكون أكلنا شيئا. فرآني لما كان العصر شبه القلق المستوحش، فتوهم في ملالا، وإنما كان بي الحصر، غير أني لم أقدر على القيام، فكنت أتلوى اهتماما بالحصر. فدخل أبو عبد الله المنزل، وأخرج إلي، كاغدة فيها ثلاثمائة درهم، وقال: أما إذ لم تقبل ثمن المنزل فينبغي أن تصرف هذا في بعض حوائجك. فجهد بي، فلم أقبل، ثم كان بعد أيام كتبنا إلى الظهر أيضا، فناولني عشرين درهما وقال: أصرفها في شري الحصر. فاشتريت بها ما كنت أعلم أنه يلائمه، وبعثت به إليه، وأتيت فقال: بيض الله وجهك ليس فيك حيلة. فلا ينبغي أن نعني أنفسنا.

فقلت: إنك قد جمعت خير الدنيا والآخرة فأي رجل يبر خادمه بما تبرني؟

قصته مع الذهلي

قال الحسن بن محمد بن جابر: قال لنا محمد بن يحيى الذهلي لما ورد البخاري نيسابور: اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح فاسمعوا منه. فذهب الناس إليه، وأقبلوا على السماع منه حتى ظهر الخلل في مجلس الذهلي، فحسده بعد ذلك وتكلم فيه.

وقال أبو أحمد بن عدي: ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل لما ورد نيسابور واجتمعوا عليه، حسده بعض المشايخ فقال لأصحاب الحديث: إن محمد بن إسماعيل يقول: اللفظ بالقرآن مخلوق، فامتحنوه. فلما حضر الناس قام إليه رجل وقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في اللفظ بالقرآن، مخلوق هو أم غير مخلوق؟ فأعرض عنه ولم يجبه. فأعاد السؤال، فأعرض عنه: ثم أعاد، فالتفت إليه البخاري وقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة، والامتحان بدعة. فشغب الرجل وشغب الناس، وتفرقوا عنه. وقعد البخاري في منزله.

قال محمد بن يوسف الفربري: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أما أفعال العباد فمخلوقة، فقد ثنا علي بن عبد الله، نا مروان بن معاوية، ثنا أبو مالك، عن ربعي، عن حذيفة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته». وسمعت عبيد الله بن سعيد: سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة. قال البخاري: حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة. فأما القرآن المتلو المثبت في المصاحف، المسطور المكتوب الموعى في القلوب، فهو كلام الله ليس بمخلوق. قال الله تعالى: ﴿هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ .

وقال: يقال فلان حسن القراءة ورديء القراءة. ولا يقال: حسن القرآن، ولا رديء القرآن. وإنما ينسب إلى العباد القراءة، لأن القرآن كلام الرب، والقراءة فعل العبد. وليس لأحد أن يشرع في أمر الله بغير علم، كما زعم بعضهم أن القرآن بألفاظنا وألفاظنا به شيء واحد. والتلاوة هي المتلو، والقراءة هي المقرئ. فقيل له: إن القراءة فعل القارئ وعمل التالي، فرجع وقال: ظننتهما مصدرين، فقيل له: هلا أمسكت كما أمسك كثير من أصحابك؟ ولو بعثت إلى من كتب عنك واسترددت ما أثبت وضربت عليه. فزعم أن كيف يمكن هذا؟ وقال: قلت ومضى قولي، فقيل له: كيف جاز لك أن تقول في الله شيئا لا تقوم به شرحا وبيانا؟ إذ لم تميز بين التلاوة والمتلو، فسكت إذ لم يكن عنده جواب.

وقال أبو حامد الأعمش: رأيت البخاري في جنازة سعيد بن مروان، والذهلي يسأله عن

الأسماء والكنى والعلل، ويمر فيه البخاري مثل السهم، فما أتى على هذا شهر حتى قال الذهلي: إلا من يختلف إلى مجلسه فلا يأتنا، فإنهم كتبوا إلينا من بغداد أنه تكلم في اللفظ، ونهيناه فلم ينته فلا تقربوه، فأقام البخاري مدة وخرج إلى بخارى.

قال أبو حامد بن الشرقي: سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق من جميع جهاته وحيث تصرف. فمن لزم هذا استغنى عن اللفظ. ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر وبانت منه امرأته، يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وجعل ماله فيئا، ومن وقف فقد ضاهى الكفر، ومن زعم أن لفظي بالقرآن مخلوق فهذا مبتدع لا يجالس ولا يكلم، ومن ذهب بعد هذا إلى محمد بن إسماعيل فاتهموه، فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان علي مذهبه.

وقال الفربري: سمعت البخاري يقول: إني لأستجهل من لا يكفر الجهمية .

قال الحاكم: ثنا طاهر بن محمد الوراق: سمعت محمد بن شاذل يقول: دخلت على البخاري فقلت: إيش الحيلة لنا فيما بينك وبين محمد بن يحيى كل من يختلف إليك يطرد.

فقال: وكم يعتري محمد بن يحيى الحسد في العلم، والعلم رزق الله يعطيه من يشاء.

فقلت: هذه المسألة التي تحكي عنك؟

قال: يا بني، هذه مسألة مشئومة. رأيت أحمد بن حنبل وما ناله في هذه المسألة، وجعلت على نفسي أن لا أتكلم فيها. يعنى مسألة اللفظ.

وقال أبو عمرو أحمد بن نصر الخفاف: كنا يوما عند أبي إسحاق القيسي ومعنا محمد بن نصر المروزي، فجرى ذكر محمد بن إسماعيل، فقال محمد بن نصر: سمعته يقول: من زعم أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب فإني لم أقله.

فقلت له: يا أبا عبد الله قد خاص الناس في هذا وأكثروا فيه.

فقال: ليس إلا ما أقول.

قال أبو عمرو الخفاف: فأتيت البخاري فناظرته في شيء من الأحاديث حتى طابت نفسه، فقلت: يا أبا عبد الله هاهنا أحد يحكي عنك أنك قلت هذه المقالة.

فقال: يا أبا عمرو أحفظ ما أقول لك: من زعم من أهل نيسابور، وقومس، والري، وهمدان، وبغداد، والكوفة، والبصرة، ومكة، والمدينة، أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب، فإني لم أقله. إلا إني قلت: أفعال العباد مخلوقة.

وقال حاتم بن أحمد الكندي: سمعت مسلم بن الحجاج يقول: لما قدم محمد بن إسماعيل نيسابور ما رأيت واليا ولا عالما فعل به أهل نيسابور ما فعلوا به. أستقبلوه مرحلتين وثلاثة. فقال محمد بن يحيى: من أراد أن يستقبل محمد بن إسماعيل غدا فليستقبله. فاستقبله محمد بن يحيى وعامة العلماء، فقال لنا الذهلي: لا تسألوه عن شيء من الكلام، فإنه إن أجاب بخلاف ما نحن عليه وقع بيننا وبينه، ثم شمت بنا كل حروري، وكل رافضي وكل جهمي، وكل مرجئ بخراسان. قال: فازدحم الناس على محمد بن إسماعيل حتى امتلاء السطح والدار فلما كان اليوم الثاني أو الثالث قام إليه رجل، فسأله عن اللفظ بالقرآن، فقال:

أفعالنا مخلوقة، وألفاظنا من أفعالنا. فوقع بينهم اختلاف، فقال بعض الناس: قال لفظي بالقرآن مخلوق. وقال بعضهم: لم يقل حتى تواثبوا، فاجتمع أهل الدار وأخرجوهم. وكان قد نزل في دار البخاريين.

وقال أحمد بن سلمة: دخلت على البخاري فقلت: يا أبا عبد الله، هذا رجل مقبول، خصوصا في هذه المدينة، وقد لج في هذا الحديث حتى لا يقدر أحد منا أن يكلمه، فما ترى؟ فقبض على لحيته ثم قال: فأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد.

اللهم إنك تعلم أني لم أرد المقام بنيسابور أشرا ولا بطرا ولا طلبا للرئاسة.

وإنما أبت علي نفسي في الرجوع إلى وطني لغلبة المخالفين. وقد قصدني هذا الرجل حسدا لما آتاني الله لا غير. يا أحمد إني خارج غدا ليتخلصوا من حديثه لأجلي.

قال: فأخبرت أصحابنا، فو الله ما شيعه غيري. كنت معه حين خرج من البلد. وأقام بباب البلد ثلاثة أيام لإصلاح أمره.

وقال محمد بن يعقوب بن الأخرم: لما استوطن البخاري نيسابور أكثر مسلم الاختلاف إليه، فلما وقع بين الذهلي وبين البخاري ما وقع ونادى عليه ومنع الناس عنه انقطع أكثرهم غير مسلم. فقال الذهلي يوما: ألا من قال باللفظ لا يحل له أن يحضر مجلسنا. فأخذ مسلم الرداء فوق عمامته وقام على رءوس الناس. وبعث إلى الذهلي بما كتب عنه على ظهر حمال. وتبعه في القيام أحمد بن سلمة.

قال محمد بن أبي حاتم: أتى رجل أبا عبد الله، فقال: إن فلانا يكفرك فقال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما». وقال عبد الرحمن بن

أبي حاتم في كتاب «الجرح والتعديل»: قدم محمد بن إسماعيل الري سنة خمسين ومائتين، وسمع منه أبي وأبو زرعة، وتركا حديثه عند ما كتب إليهما محمد بن يحيى أنه أظهر عندهم أن لفظه بالقرآن مخلوق.

وقال أحمد بن منصور الشيرازي الحافظ: سمعت بعض أصحابنا يقول: لما قدم البخاري بخاري نصب له القباب على فرسخ من البلد، واستقبله عامة أهل البلد ونثر عليه الدنانير والدراهم والسكر الكثير، فبقي أياما، فكتب محمد بن يحيي الذهلي إلى أمير بخاري خالد بن أحمد الذهلي: إن هذا الرجل قد أظهر خلاف السنة. فقرأ كتابه على أهل بخاري، فقالوا: لا نفارقه، فأمره الأمير بالخروج من البلد، فخرج.

قال أحمد بن منصور: فحدثني بعض أصحابنا عن إبراهيم بن معقل النسفي قال: رأيت محمد بن إسماعيل في اليوم الذي أخرج فيه من بخارى، فقلت: يا أبا عبد الله كيف ترى هذا اليوم من يوم دخولك ؟ فقال: لا أبالي إذا سلم ديني. فخرج إلى بيكند، فسار الناس معه حزبين: حزب له وحزب عليه، إلى أن كتب إليه أهل سمرقند، فسألوه أن يقدم عليهم، فقدم إلى أن وصل بعض قري سمرقند، فوقع بين أهل سمرقند فتنة بسببه. قوم يريدون إدخاله البلد، وقوم يأبون، إلى أن اتفقوا على دخوله. فاتصل به ما وقع بينهم، فخرج يريد أن يركب، فلما استوى على دابته قال: اللهم جز لي، ثلاثا، فسقط ميتا، وحضره أهل سمرقند بأجمعهم. هذه حكاية منقطعة شاذة.

وقال بكر بن منير بن خليد البخاري: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي متولي بخارى إلى محمد بن إسماعيل أن أحمل إلى كتاب «الجامع»، «والتاريخ»، وغير هما لأسمع منك.

فقال لرسوله: أنا لا أذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كانت له إلى شيء منه حاجة فليحضر في مسجدي أو في داري. فإن لم يعجبه هذا فإنه سلطان، فليمنعني من الجلوس ليكون لي عند الله يوم القيامة، لأني لا أكتم العلم. فكان هذا سبب الوحشة بينهما.

وقال أبو بكر بن أبي عمرو البخاري: كان سبب منافرة البخاري أن خالد بن أحمد خليفة الظاهرية ببخارى سأله أن يحضر منزله فيقرأ «الجامع»، «والتاريخ» على أولاده، فامتنع، فراسله بأن يعقد مجلسا خاصا لهم، فامتنع، وقال: لا أخص أحدا.

فاستعان عليه بحريث بن أبي الورقاء وغيره، حتى تكلموا في مذهبه ونفاه من البلد، فدعا

عليهم. فلم يأت إلا شهر حتى ورد أمر الظاهرية بأن ينادي على خالد في البلد. فنودي عليه على أتان. وأما حريث فابتلي بأهله، ورأى فيها ما يجل عن الوصف، وأما فلان فابتلي بأولاده. رواها الحاكم عن محمد بن العباس الضبي عن أبي بكر هذا. قلت: كان حريث من كبار فقهاء الرأي ببخارى.

قال محمد بن واصل البيكندي: من الله علينا بخروج أبي عبد الله ومقامه عندنا حتى سمعنا منه هذه الكتب، وإلا من كان يصل إليه؟ وبمقامه في فربر وبيكند بقيت هذه الأمالي وتخرج الناس به. قال ابن عدي: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار يقول: جاء البخاري إلى قرية خرتنك على فرسخين من سمرقند، وكان له بها أقرباء فنزل عندهم، فسمعته ليلة يدعو وقد فرغ من صلاة الليل: اللهم قد ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك. فما تم الشهر حتى مات، وقبره بخرتنك.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت غالب بن جبريل، وهو الذي نزل عليه أبو عبد الله، يقول: أقام أبو عبد الله عندنا أياما فمرض، واشتد به المرض حتى وجه رسولا إلى سمرقند في إخراج محمد. فلما وافى تهيأ للركوب، فلبس خفيه وتعمم، فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها وأنا آخذ بعضده، ورجل آخر معي يقود الدابة ليركبها، فقال رحمه الله: أرسلوني فقد ضعفت. ودعا بدعوات، ثم اضطجع، فقضى رحمه الله، فسال منه من العرق شيء لا يوصف. فما سكن منه العرق إلى أن أدرجناه في ثيابه. وكان فيما قال لنا وأوصى إلينا أن: كفنوني في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة.

ففعلنا ذلك. فلما دفناه فاح من تراب قبره رائحة غالية أطيب من المسك، فدام ذلك أياما. ثم علت سواري بيض في السماء مستطيلة بحذاء قبره، فجعل الناس يختلفون ويتعجبون. وأما التراب فإنهم كانوا يرفعون عن القبر، ولم نكن نقدر على حفظ القبر بالحراس، وغلبنا على أنفسنا، فنصبنا على القبر خشبا مشبكا لم يكن أحد يقدر على الوصول إلى القبر.

وأما ريح الطيب فإنه تداوم أياما كثيرة، حتى تحدث أهل البلدة وتعجبوا من ذلك. وظهر عند مخالفيه أمره بعد وفاته. وخرج بعض مخالفيه إلى قبره، وأظهروا التوبة والندامة.

قال محمد: ولم يعش غالب بعده إلا القليل ودفن إلى جانبه.

وقال خلف الخيام: سمعت مهيب بن سليم يقول: مات عندنا أبو عبد الله ليلة الفطر سنة

ست وخمسين. وكان في بيت وحده. فوجدناه لما أصبح وهو ميت.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا ذر يقول: رأيت في المنام محمد بن حاتم الخلقاني، فسألته، وأنا أعرف أنه ميت، عن شيخي: هل رأيته؟ قال: نعم.

ثم سألته عن محمد بن إسماعيل البخاري فقال: رأيته. وأشار إلى السماء إشارة كاد أن يسقط منها لعلو ما يشير.

وقال أبو علي الغساني الحافظ: ثنا أبو الفتح نصر بن الحسن التنكتي السمرقندي: قدم علينا بلنسية عام أربعة وستين وأربعمائة قال: قحط المطر عندنا بسمرقند في بعض الأعوام، فاستسقى الناس مرارا، فلم يسقوا، فأتي رجل صالح معروف بالصلاح إلى قاضي سمرقند فقال له: إني قد رأيت رأيا أعرضه عليك.

قال: وما هو؟ قال: أرى أن تخرج وتخرج الناس معك إلى قبر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ونستسقي عنده، فعسى الله أن يسقينا. فقال القاضي: نعم ما رأيت.

فخرج القاضي والناس معه، واستسقى القاضي بالناس وبكى الناس عند القبر وتشفعوا بصاحبه، فأرسل الله تعالي السماء بماء عظيم غزير، أقام الناس من أجله سبعة أيام أو نحوها، لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند من كثرة المطر وغزارته. وبين سمرقند وخرتنك نحو ثلاثة أميال. ومناقب أبي عبد الله رضي الله عن كثيرة، وقد أفردتها في مصنف وفيها زيادات كثيرة هناك، والله أعلم.

46- سير أعلام النبلاء[1]

الذهبي (المتوفى: 748هـ)

قال رحمه الله: ذكر اسمه ونسبه ومولده

أبو عبد الله البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت، س)

[1] سير أعلام النبلاء

مؤسسة الرسالة– الطبعة : الثالثة ، 1405 هـ / 1985 م

ابن المغيرة بن بردزبه، وقيل: بذدزبه، وهي لفظة بخارية، معناها الزراع.
أسلم المغيرة على يدي اليمان الجعفي والي بخارى، وكان مجوسيا، وطلب إسماعيل بن إبراهيم العلم. فأخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا جعفر الهمداني، أخبرنا أبو طاهر بن سلفة، أخبرنا أبو علي البرداني، أخبرنا هناد بن إبراهيم، أخبرنا محمد بن أحمد الحافظ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد، ومحمد بن الحسين، قالا: حدثنا إسحاق بن أحمد بن خلف، أنه سمع البخاري يقول: سمع أبي من مالك بن أنس، ورأى حماد بن زيد، وصافح ابن المبارك بكلتا يديه.
قلت: وولد أبو عبد الله في شوال سنة أربع وتسعين ومائة.
قاله أبو جعفر محمد بن أبي حاتم البخاري، وراق أبي عبد الله في كتاب (شمائل البخاري) ، جمعه، وهو جزء ضخم.
أنبأني به أحمد بن أبي الخير، عن محمد بن إسماعيل الطرسوسي، أن محمد بن طاهر الحافظ أجاز له، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن خلف، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن عبد الله بن مهرويه الفارسي المؤدب، قدم علينا من مرو لزيارة أبي عبد الله السلمي، أخبرنا أبو محمد أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن مطر الفربري، حدثنا جدي، قال: سمعت محمد بن أبي حاتم، فذكر الكتاب فما أنقله عنه، فبهذا السند.
ثم إن أبا عبد الله فيما أخبرنا إسماعيل بن عبد الرحمن، أخبرنا عبد الله بن أحمد الفقيه سنة ست عشرة وست مائة، أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي، أخبرنا هبة الله بن الحسن الحافظ، أخبرنا أحمد بن محمد بن حفص، أخبرنا محمد بن أحمد بن سليمان، أخبرنا خلف بن محمد، حدثنا محمد بن أحمد بن الفضل البلخي، سمعت أبي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل - عليه السلام - فقال لها: يا هذه، قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك، أو كثرة دعائك - شك البلخي - فأصبحنا وقد رد الله عليه بصره.

بداية طلبه للعلم

وبالسند الماضي إلى محمد بن أبي حاتم، قال: قلت لأبي عبد الله: كيف كان بدء أمرك؟
قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب.

فقلت: كم كان سنك؟

فقال: عشر سنين، أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر، فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يوما فيما كان يقرأ للناس: سفيان، عن أبي الزبير، عن إبراهيم، فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم.

فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل فدخل فنظر فيه، ثم خرج، فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي، عن إبراهيم، فأخذ القلم مني، وأحكم كتابه، وقال: صدقت. فقيل للبخاري: ابن كم كنت حين رددت عليه؟

قال: ابن إحدى عشرة سنة، فلما طعنت في ست عشرة سنة، كنت قد حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخي بها! وتخلفت في طلب الحديث.

ذكر تسمية شيوخه وأصحابه

سمع ببخارى قبل أن يرتحل من: مولاه من فوق عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان الجعفي المسندي، ومحمد بن سلام البيكندي، وجماعة، ليسوا من كبار شيوخه.

ثم سمع ببلخ من: مكي بن إبراهيم، وهو من عوالي شيوخه. وسمع بمرو من: عبدان بن عثمان، وعلي بن الحسن بن شقيق، وصدقة بن الفضل، وجماعة. وبنيسابور من: يحيى بن يحيى، وجماعة. وبالري: إبراهيم بن موسى. وببغداد إذ قدم العراق في آخر سنة عشر ومائتين من: محمد بن عيسى بن الطباع، وسريج بن النعمان، ومحمد بن سابق، وعفان. وبالبصرة من: أبي عاصم النبيل، والأنصاري، وعبد الرحمن بن حماد الشعيثي صاحب ابن عون، ومن محمد بن عرعرة، وحجاج بن منهال، وبدل بن المحبر، وعبد الله بن رجاء، وعدة. وبالكوفة من: عبيد الله بن موسى، وأبي نعيم، وخالد بن مخلد، وطلق بن غنام، وخالد بن يزيد المقرئ ممن قرأ على حمزة. وبمكة من: أبي عبد الرحمن المقرئ، وخلاد بن يحيى، وحسان بن حسان البصري، وأبي الوليد أحمد بن محمد الأزرقي، والحميدي. وبالمدينة من: عبد العزيز الأويسي، وأيوب بن سليمان بن بلال، وإسماعيل بن أبي أويس. وبمصر: سعيد بن أبي مريم، وأحمد بن إشكاب، وعبد الله بن يوسف، وأصبغ، وعدة. وبالشام: أبا اليمان، وآدم بن أبي إياس، وعلي بن عياش، وبشر بن شعيب. وقد سمع من: أبي المغيرة عبد القدوس، وأحمد بن خالد

الوهبي، ومحمد بن يوسف الفريابي، وأبي مسهر، وأمم سواهم.

وقد قال وراقه محمد بن أبي حاتم: سمعته يقول: دخلت بلخ، فسألوني أن أملي عليهم لكل من كتبت عنه حديثا، فأمليت ألف حديث لألف رجل ممن كتبت عنهم.

قال: وسمعته قبل موته بشهر يقول: كتبت عن ألف وثمانين رجلا، ليس فيهم إلا صاحب حديث، كانوا يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص .

قلت: فأعلى شيوخه الذين حدثوه عن التابعين، وهم: أبو عاصم، والأنصاري، ومكي بن إبراهيم، وعبيد الله بن موسى، وأبو المغيرة، ونحوهم.

وأوساط شيوخه الذين رووا له عن الأوزاعي، وابن أبي ذئب، وشعبة، وشعيب بن أبي حمزة، والثوري. ثم طبقة أخرى دونهم كأصحاب مالك، والليث، وحماد بن زيد، وأبي عوانة.

والطبقة الرابعة من شيوخه مثل أصحاب ابن المبارك، وابن عيينة، وابن وهب، والوليد بن مسلم. ثم الطبقة الخامسة، وهو محمد بن يحيى الذهلي الذي روى عنه الكثير ويدلسه، ومحمد بن عبد الله المخرمي، ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة، وهؤلاء هم من أقرانه.

وقد سمع من أبي مسهر، وشك في سماعه، فقال: في غير (الصحيح): حدثنا أبو مسهر، أو حدثنا رجل عنه. وروى عن أحمد بن عبد الملك بن واقد الحراني، لقيه بالعراق، ولم يدخل الجزيرة. وقال: دخلت على معلى بن منصور الرازي ببغداد سنة عشر.

روى عنه خلق كثير، منهم: أبو عيسى الترمذي، وأبو حاتم، وإبراهيم بن إسحاق الحربي، وأبو بكر بن أبي الدنيا، وأبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، وصالح بن محمد جزرة، ومحمد بن عبد الله الحضرمي مطين، وإبراهيم بن معقل النسفي، وعبد الله بن ناجية، وأبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وعمر بن محمد بن بجير، وأبو قريش محمد بن جمعة، ويحيى بن محمد بن صاعد، ومحمد بن يوسف الفربري راوي (الصحيح)، ومنصور بن محمد مزبزدة، وأبو بكر بن أبي داود، والحسين والقاسم ابنا المحاملي، وعبد الله بن محمد بن الأشقر، ومحمد بن سليمان بن فارس، ومحمود بن عنبر النسفي، وأمم لا يحصون. وروى عنه: مسلم في غير (صحيحه) .

وقيل: إن النسائي روى عنه في الصيام من (سننه)، ولم يصح، لكن قد حكى النسائي في كتاب (الكنى) له أشياء عن عبد الله بن أحمد الخفاف، عن البخاري.

وقد رتب شيخنا أبو الحجاج المزي شيوخ البخاري وأصحابه على المعجم كعادته وذكر خلقا سوى من ذكرت.

وقد أنبأنا المؤمل بن محمد وغيره أن أبا اليمن اللغوي أخبرهم، أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا أبو بكر الخطيب، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي الحرشي بنيسابور، سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد البلخي، يروي عن محمد بن يوسف الفربري، أنه كان يقول: سمع كتاب (الصحيح) لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يرويه غيري .

وقال محمد بن طاهر المقدسي: روى (صحيح) البخاري جماعة، منهم: الفربري، وحماد بن شاكر، وإبراهيم بن معقل، وطاهر بن محمد بن مخلد النسفيان.

وقال الأمير الحافظ أبو نصر بن ماكولا: آخر من حدث عن البخاري بـ (الصحيح) أبو طلحة منصور بن محمد بن علي البزدي من أهل بزدة. وكان ثقة، توفي: سنة تسع وعشرين وثلاث مائة.

أخبرنا أبو المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي بقراءتي، أخبرنا أبو بكر زيد بن هبة الله البغدادي، أخبرنا أحمد بن المبارك بن قفرجل، أخبرنا عاصم بن الحسن، أخبرنا عبد الواحد بن محمد بن مهدي، حدثنا أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي سنة تسع وعشرين وثلاث مائة، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان – يعني: الثوري– عن أبي بردة، قال: أخبرني جدي أبو بردة، عن أبيه أبي موسى قال: قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا) وشبك بين أصابعه، وكان جالسا، فجاءه رجل أو طالب حاجة، فأقبل علينا بوجهه، فقال: (اشفعوا فلتؤجروا، وليقض الله على لسان رسوله ما شاء) .

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الهاشمي، أخبرنا محمد بن أحمد القطيعي ببغداد، أخبرنا محمد بن عبيد الله المجلد، أخبرنا محمد بن محمد الزينبي، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن المخلص، حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا حماد، عن يونس وحبيب، ويحيى بن عتيق، وهشام عن محمد بن سيرين، عن أم عطية، قالت: أمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أن تخرج ذوات الخدور يوم العيد. قيل: فالحيض؟ قال: (يشهدن الخير، ودعوة المسلمين).

هذان حديثان صحيحان من عالي ما وقع لنا من رواية أبي عبد الله سوى (الصحيح).
وأما الصحيح فهو أعلى ما وقع لنا من الكتب الستة في أول ما سمعت الحديث، وذلك في سنة اثنتين وتسعين وست مائة. فما ظنك بعلوه اليوم وهو سنة خمس عشرة وسبع مائة، لو رحل الرجل من مسيرة سنة لسماعه لما فرط! كيف وقد دام علوه إلى عام ثلاثين، وهو أعلى الكتب الستة سندا إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– في شيء كثير من الأحاديث، وذلك لأن أبا عبد الله أسن الجماعة، وأقدمهم لقيا للكبار، أخذ عن جماعة يروي الأئمة الخمسة ، عن رجل عنهم.

ذكر رحلته وطلبه وتصانيفه

قال محمد بن أبي حاتم البخاري: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: حججت، ورجع أخي بأمي، وتخلفت في طلب الحديث فلما طعنت في ثمان عشرة، جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وذلك أيام عبيد الله بن موسى .
وصنفت كتاب (التاريخ) إذ ذاك عند قبر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في الليالي المقمرة، وقل اسم في التاريخ إلا وله قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتاب .
وكنت أختلف إلى الفقهاء بمرو وأنا صبي، فإذا جئت أستحي أن أسلم عليهم، فقال لي مؤدب من أهلها: كم كتبت اليوم؟
فقلت: اثنين، وأردت بذلك حديثين، فضحك من حضر المجلس.
فقال شيخ منهم: لا تضحكوا، فلعله يضحك منكم يوما!
وسمعته يقول: دخلت على الحميدي وأنا ابن ثمان عشرة سنة، وبينه وبين آخر اختلاف في حديث، فلما بصر بي الحميدي قال: قد جاء من يفصل بيننا، فعرضا علي، فقضيت للحميدي على من يخالفه، ولو أن مخالفه أصر على خلافه، ثم مات على دعواه، لمات كافرا.
أخبرنا أبو علي بن الخلال، أخبرنا أبو الفضل الهمداني، أخبرنا السلفي، أخبرنا أبو علي البرداني، وابن الطيوري، قالا: أخبرنا هناد بن إبراهيم، أخبرنا محمد بن أحمد غنجار، أخبرنا خلف بن محمد الخيام، سمعت الفضل بن إسحاق البزاز، حدثنا أحمد بن منهال العابد، حدثنا أبو بكر الأعين قال: كتبنا عن البخاري على باب محمد بن يوسف الفريابي، وما في وجهه شعرة. فقلنا: ابن كم أنت؟ قال: ابن سبع عشرة سنة.

وقال خلف الخيام: سمعت إبراهيم بن معقل، سمعت أبا عبد الله يقول: كنت عند إسحاق بن راهويه، فقال بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبي -صلى الله عليه وسلم- فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب.

وعن[1] .... أن البخاري قال: أخرجت هذا الكتاب من زهاء ست مائة ألف حديث.

أنبأنا المؤمل بن محمد وغيره، أنبأنا أبو اليمن الكندي، أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا أبو بكر الخطيب، حدثني علي بن محمد العطار بالري، سمعت أبا الهيثم الكشميهني، سمعت الفربري يقول: قال لي محمد بن إسماعيل: ما وضعت في كتابي (الصحيح) حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك، وصليت ركعتين .

أخبرنا ابن الخلال، أخبرنا الهمداني، أخبرنا السلفي، أخبرنا أبو عبد الله الرازي، حدثنا عبد الله بن الوليد، أخبرنا أحمد بن الحسن بن بندار، أخبرنا أبو أحمد بن عدي، سمعت الحسن بن الحسين البزاز، سمعت إبراهيم بن معقل، سمعت البخاري يقول: ما أدخلت في هذا الكتاب إلا ما صح، وتركت من الصحاح كي لا يطول الكتاب .

وقال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم، قلت لأبي عبد الله: تحفظ جميع ما أدخلت في المصنف؟ فقال: لا يخفى علي جميع ما فيه. وسمعته يقول: صنفت جميع كتبي ثلاث مرات.

وسمعته يقول: لو نشر بعض أستاذي هؤلاء لم يفهموا كيف صنفت (التاريخ) ، ولا عرفوه، ثم قال: صنفته ثلاث مرات .

وسمعته يقول: أخذ إسحاق بن راهويه كتاب (التاريخ) الذي صنفت، فأدخله على عبد الله بن طاهر، فقال: أيها الأمير، ألا أريك سحرا؟ قال: فنظر فيه عبد الله، فتعجب منه، وقال: لست أفهم تصنيفه .

---

[1] قال محقق الكتاب: بياض في الأصل. وكذا في نسخة أحمد الثالث.

وجاء في " طبقات الحنابلة " 1 / 274، 275: أخبرنا أبو بكر أحمد بن ثابت المحدث، قال: كتب إلي علي بن أبي حامد محمد الاصفهاني يذكر أن أبا أحمد محمد بن أحمد بن مكي الجرجاني حدثهم، قال: سمعت السعداني يقول: سمعت بعض أصحابنا يقول: قال محمد بن إسماعيل: أخرجت هذا الكتاب - يعني: " الصحيح " - من زهاء ست مئة ألف حديث.

وكذا هو في " تاريخ بغداد " 2 / 8، و" تهذيب الكمال ": 1169.

وقال خلف الخيام: سمعت إسحاق بن أحمد بن خلف يقول: دخل محمد بن إسماعيل إلى العراق في آخر سنة عشر ومائتين.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت البخاري يقول: دخلت بغداد آخر ثمان مرات، في كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل، فقال لي في آخر ما ودعته: يا أبا عبد الله، تدع العلم والناس، وتصير إلى خراسان؟! قال: فأنا الآن أذكر قوله.

وقال أبو عبد الحاكم: أول ما ورد البخاري نيسابور سنة تسع ومائتين، ووردها في الأخير سنة خمسين ومائتين، فأقام بها خمس سنين يحدث على الدوام.

أخبرنا أبو حفص بن القواس، أخبرنا أبو القاسم بن الحرستاني قراءة عليه سنة تسع وست مائة وأنا حاضر، أخبرنا أبو الحسن علي بن المسلم الفقيه، أخبرنا الحسين بن محمد الخطيب، أخبرنا محمد بن أحمد الغساني، حدثني أحمد بن محمد بن آدم، حدثنا محمد بن يوسف البخاري، قال: كنت مع محمد بن إسماعيل بمنزله ذات ليلة، فأحصيت عليه أنه قام وأسرج يستذكر أشياء يعلقها في ليلة ثمان عشرة مرة .

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: كان أبو عبد الله، إذا كنت معه في سفر، يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ أحيانا، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة، فيوري نارا، ويسرج، ثم يخرج أحاديث، فيعلم عليها .

وقال ابن عدي: سمعت عبد القدوس بن همام يقول: سمعت عدة من المشايخ، يقولون: حول محمد بن إسماعيل تراجم جامعه بين قبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين .

وقال[1]:.... سمعت البخاري يقول: صنفت (الصحيح) في ست عشرة سنة، وجعلته حجة

---

[1] قال محقق الكتاب: بياض في الأصل. وكذا في نسخة أحمد الثالث.

وجاء في " طبقات الحنابلة " 1 / 276: أخبرنا أحمد المؤرخ، حدثنا أبو الوليد الدربندي، سمعت محمد بن الفضل، سمعت أبا إسحاق الزنجاني، سمعت عبد الرحمن بن رساس البخاري يقول: سمعت محمد ابن إسماعيل البخاري يقول: صنفت كتابي " الصحيح " لست عشرة سنة، خرجته من ست مئة ألف حديثه، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى.

وفي " تاريخ بغداد " 2 / 14 بالسند نفسه ولكن فيه " الريحاني " و" رساين " بدل: " الزنجاني " و" رساس ".

فيما بيني وبين الله تعالى.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت هانئ بن النضر يقول: كنا عند محمد بن يوسف –يعني: الفريابي– بالشام وكنا نتنزه فعل الشباب في أكل الفرصاد ونحوه، وكان محمد بن إسماعيل معنا، وكان لا يزاحمنا في شيء مما نحن فيه، ويكب على العلم.

وقال محمد: سمعت النجم بن الفضيل يقول: رأيت النبي –صلى الله عليه وسلم– في النوم، كأنه يمشي، ومحمد بن إسماعيل يمشي خلفه، فكلما رفع النبي –صلى الله عليه وسلم– قدمه، وضع محمد بن إسماعيل قدمه في المكان الذي رفع النبي –صلى الله عليه وسلم– قدمه .

سمعت أبا عبد الله يقول: كان شيخ يمر بنا في مجلس الداخلي، فأخبره بالأحاديث الصحيحة مما يعرض علي، وأخبره بقولهم، فإذا هو يقول لي يوما: يا أبا عبد الله، رئيسنا في أبو جاد، وقال: بلغني أن أبا عبد الله شرب دواء الحفظ يقال له: بلاذر، فقلت له يوما خلوة: هل من دواء يشربه الرجل، فينتفع به للحفظ؟ فقال: لا أعلم، ثم أقبل علي، وقال: لا أعلم شيئا أنفع للحفظ من نهمة الرجل، ومداومة النظر .

قال: وذاك أني كنت بنيسابور مقيما، فكان ترد إلي من بخارى كتب، وكن قرابات لي يقرئن سلامهن في الكتب، فكنت أكتب كتابا إلى بخارى، وأردت أن أقرئهن سلامي، فذهب علي أساميهن حين كتبت كتابي، ولم أقرئهن سلامي، وما أقل ما يذهب عني من العلم.

وقال: سمعته يقول: لم تكن كتابتي للحديث كما كتب هؤلاء.

كنت إذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبته وحمله الحديث، إن كان الرجل فهما.

وفي " تهذيب الأسماء واللغات " 1 / 74 / 1: وروينا من جهات عن البخاري رحمه الله قال: صنفت ... والخبر في " وفيات الأعيان " 4 / 190.

و" تهذيب لكمال ": 1170.

وقال السبكي في " طبقات الشافعية " 2 / 221: " قال شيخنا أبو عبد الله الحافظ: روي من وجهين ثابتين عن البخاري أنه قال: أخرجت هذا الكتاب من نحو ست مئة ألف حديث، وصنفته في ست عشرة سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله.

وانظر " مقدمة الفتح ": 490.

فإن لم يكن سألته أن يخرج إلي أصله ونسخته.

فأما الآخرون لا يبالون ما يكتبون، وكيف يكتبون.

وقال: سمعت العباس الدوري يقول: ما رأيت أحدا يحسن طلب الحديث مثل محمد بن إسماعيل، كان لا يدع أصلا ولا فرعا إلا قلعه. ثم قال لنا: لا تدعوا من كلامه شيئا إلا كتبتموه. وقال: كتب إلى أبي عبد الله بعض السلاطين في حاجة له، ودعا له دعاء كثيرا. فكتب إليه أبو عبد الله: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: وصل إلي كتابك وفهمته، وفي بيته يؤتى الحكم والسلام.

وقال: سمعت إبراهيم الخواص، مستملي صدقة، يقول: رأيت أبا زرعة كالصبي جالسا بين يدي محمد بن إسماعيل، يسأله عن علل الحديث.

ذكر حفظه وسعة علمه وذكائه

قال محمد بن أحمد غنجار في (تاريخ بخارى) : سمعت أبا عمرو أحمد بن محمد المقرئ، سمعت مهيب بن سليم، سمعت جعفر بن محمد القطان إمام كرمينية يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كتبت عن ألف شيخ وأكثر، عن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر ، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده .

قال غنجار: وحدثنا محمد بن عمران الجرجاني، سمعت عبد الرحمن بن محمد البخاري، سمعت محمد بن إسماعيل يقول: لقيت أكثر من ألف رجل أهل الحجاز والعراق والشام ومصر، لقيتهم كرات، أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين، وأهل البصرة أربع مرات، وبالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثي خراسان، منهم: المكي بن إبراهيم، ويحيى بن يحيى، وابن شقيق، وقتيبة، وشهاب بن معمر، وبالشام: الفريابي، وأبا مسهر، وأبا المغيرة، وأبا اليمان، وسمى خلقا.

ثم قال: فما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء أن الدين قول وعمل، وأن القرآن كلام الله.

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أبو عبد الله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام،

فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما تصنع؟

فقال لنا يوما بعد ستة عشر يوما: إنكما قد أكثرتما علي وألححتما، فاعرضا علي ما كتبتما.

فأخرجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر القلب، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه.

ثم قال: أترون أني أختلف هدرا ، وأضيع أيامي؟! فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد.

قال: وسمعتهما يقولان: كان أهل المعرفة من البصريين يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه، ويجلسوه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف، أكثرهم ممن يكتب عنه. وكان شابا لم يخرج وجهه.

وقال أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ: سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد هذا، وإسناد هذا المتن هذا، ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها على البخاري في المجلس، فاجتمع الناس، وانتدب أحدهم، فسأل البخاري عن حديث من عشرته، فقال: لا أعرفه. وسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه.

وكذلك حتى فرغ من عشرته. فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: الرجل فهم.

ومن كان لا يدري قضى على البخاري بالعجز، ثم انتدب آخر، ففعل كما فعل الأول.

والبخاري يقول: لا أعرفه. ثم الثالث وإلى تمام العشرة أنفس، وهو لا يزيدهم على: لا أعرفه.

فلما علم أنهم قد فرغوا، التفت إلى الأول منهم، فقال: أما حديثك الأول فكذا، والثاني كذا، والثالث كذا إلى العشرة، فرد كل متن إلى إسناده. وفعل بالآخرين مثل ذلك.

فأقر له الناس بالحفظ. فكان ابن صاعد إذا ذكره يقول: الكبش النطاح .

وقال غنجار: حدثنا منصور بن إسحاق الأسدي، سمعت عبد الله بن محمد بن إبراهيم الزاغوني، سمعت يوسف بن موسى المروروذي يقول: كنت بالبصرة في جامعها، إذ سمعت مناديا ينادي: يا أهل العلم، قد قدم محمد بن إسماعيل البخاري، فقاموا في طلبه، وكنت معهم، فرأينا رجلا شابا، يصلي خلف الأسطوانة.

فلما فرغ من الصلاة، أحدقوا به، وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء، فأجابهم.

فلما كان الغد اجتمع قريب من كذا كذا ألف فجلس للإملاء وقال: يا أهل البصرة، أنا

شاب وقد سألتموني أن أحدثكم، وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدون الكل .
ثم قال: حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد بلديكم، قال: حدثنا أبي، عن شعبة، عن منصور وغيره، عن سالم بن أبي الجعد، عن أنس، أن أعرابيا جاء إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: يا رسول الله، الرجل يحب القوم، وذكر الحديث . ثم قال: ليس هذا عندكم، إن ما عندكم عن غير منصور، عن سالم. وأملى مجلسا على هذا النسق يقول في كل حديث: روى شعبة هذا الحديث عندكم كذا، فأما من رواية فلان، فليس عندكم، أو كلاما هذا معناه.

قال يوسف: وكان دخولي البصرة أيام محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب.

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: قرأ علينا أبو عبد الله كتاب (الهبة)، فقال: ليس في هبة وكيع إلا حديثان مسندان أو ثلاثة. وفي كتاب عبد الله بن المبارك خمسة أو نحوه. وفي كتابي هذا خمس مائة حديث أو أكثر.

وقال: سمعت أبا عبد الله يقول: تفكرت أصحاب أنس، فحضرني في ساعة ثلاث مائة.

قال: وسمعته يقول: ما قدمت على أحد إلا كان انتفاعه بي أكثر من انتفاعي به .

قال: وسمعت سليم بن مجاهد، سمعت أبا الأزهر يقول: كان بسمرقند أربع مائة ممن يطلبون الحديث، فاجتمعوا سبعة أيام، وأحبوا مغالطة محمد بن إسماعيل، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وإسناد اليمن في إسناد الحرمين، فما تعلقوا منه بسقطة لا في الإسناد، ولا في المتن.

وقال الفربري: سمعت أبا عبد الله يقول: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني، وربما كنت أغرب عليه .

وقال أحيد بن أبي جعفر والي بخارى: قال محمد بن إسماعيل يوما: رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر. فقلت له: يا أبا عبد الله بكماله؟ قال: فسكت.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا عبد الله يقول: ما نمت البارحة حتى عددت كم أدخلت مصنفاتي من الحديث، فإذا نحو مئتي ألف حديث مسندة. وسمعته يقول: ما كتبت حكاية قط، كنت أتحفظها. وسمعته يقول: صنفت كتاب (الاعتصام) في ليلة. وسمعته يقول: لا أعلم

شيئا يحتاج إليه إلا وهو في الكتاب والسنة. فقلت له: يمكن معرفة ذلك كله.

قال: نعم. وسمعته يقول: كنت بنيسابور أجلس في الجامع، فذهب عمرو بن زرارة، وإسحاق بن راهويه إلى يعقوب بن عبد الله، والي نيسابور، فأخبروه بمكاني، فاعتذر إليهم، وقال: مذهبنا إذا رفع إلينا غريب لم نعرفه حبسناه حتى يظهر لنا أمره.

فقال له بعضهم: بلغني أنه قال لك: لا تحسن تصلي، فكيف تجلس؟

فقال: لو قيل لي شيء من هذا ماكنت أقوم من ذلك المجلس حتى أروي عشرة آلاف حديث، في الصلاة خاصة. وسمعته يقول: كنت في مجلس الفريابي، فقال: حدثنا سفيان، عن أبي عروة، عن أبي الخطاب، عن أنس: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يطوف على نسائه في غسل واحد. فلم يعرف أحد في المجلس أبا عروة، ولا أبا الخطاب. فقلت: أما أبو عروة فمعمر، وأبو الخطاب قتادة. قال: وكان الثوري فعولا لهذا، يكني المشهورين.

قال محمد بن أبي حاتم: قدم رجاء الحافظ، فصار إلى أبي عبد الله، فقال لأبي عبد الله: ما أعددت لقدومي حين بلغك؟ وفي أي شيء نظرت؟

فقال: ما أحدثت نظرا، ولم أستعد لذلك، فإن أحببت أن تسأل عن شيء، فافعل.

فجعل يناظره في أشياء، فبقي رجاء لا يدري أين هو.

ثم قال له أبو عبد الله: هل لك في الزيادة؟ فقال استحياء منه وخجلا: نعم.

قال: سل إن شئت؟ فأخذ في أسامي أيوب، فعد نحوا من ثلاثة عشر، وأبو عبد الله ساكت. فلما فرغ قال له أبو عبد الله: لقد جمعت، فظن رجاء أنه قد صنع شيئا، فقال لأبي عبد الله: يا أبا عبد الله، فاتك خير كثير. فزيف أبو عبد الله في أولئك سبعة أو ثمانية، وأغرب عليه أكثر من ستين. ثم قال له رجاء: كم رويت في العمامة السوداء؟

قال: هات كم رويت أنت؟ ثم قال: نروي نحوا من أربعين حديثا.

فخجل رجاء من ذاك، وييس ريقه.

قال محمد: سمعت أبا عبد الله يقول: دخلت بلخ، فسألني أصحاب الحديث أن أملي عليهم لكل من كتبت عنه حديثا.

فأمليت ألف حديث لألف رجل ممن كتبت عنهم.

وقال محمد بن أبي حاتم: قال أبو عبد الله: سئل إسحاق بن إبراهيم عمن طلق ناسيا.

فسكت ساعة طويلة متفكرا، والتبس عليه الأمر.

فقلت أنا: قال النبي –صلى الله عليه وسلم-: (إن الله عز وجل تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم).

وإنما يراد مباشرة هذه الثلاث العمل والقلب أو الكلام والقلب وهذا لم يعتقد بقلبه.

فقال إسحاق: قويتني، وأفتى به .

وقال محمد: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كان إسماعيل بن أبي أويس إذا انتخبت من كتابه، نسخ تلك الأحاديث، وقال: هذه الأحاديث انتخبها محمد بن إسماعيل من حديثي.

وقال محمد: سمعت الفربري يقول: رأيت عبد الله بن منير يكتب عن البخاري .

وسمعته يقول: أنا من تلاميذ محمد بن إسماعيل، وهو معلم .

قلت: وقد روى البخاري أحاديث في (صحيحه) عن عبد الله بن منير، عن يزيد بن هارون، وجماعة. وكان زاهدا عابدا حتى قال البخاري: لم أر مثله.

قلت: وتوفي هو والإمام أحمد في سنة.

قال محمد: وسمعت أبا بكر المديني بالشاش زمن عبد الله بن أبي عرابة يقول: كنا بنيسابور عند إسحاق بن راهويه، وأبو عبد الله في المجلس، فمر إسحاق بحديث كان دون الصحابي عطاء الكيخاراني.

فقال إسحاق: يا أبا عبد الله، أيش كيخاران؟ فقال: قرية باليمن، كان معاوية بن أبي سفيان بعث هذا الرجل، وكان يسميه أبو بكر، فأنسيته إلى اليمن، فمر بكيخاران، فسمع منه عطاء حديثين. فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله، كأنك شهدت القوم.

وقال ابن عدي: حدثني محمد بن أحمد القومسي، سمعت محمد بن خميرويه، سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح .

قال: وسمعت أبا بكر الكلواذاني يقول: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، كان يأخذ الكتاب من العلماء، فيطلع عليه اطلاعة، فيحفظ عامة أطراف الأحاديث بمرة .

قال محمد بن يوسف الفربري: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق يقول في الزيادات المذيلة على شمائل أبي عبد الله – قلت: وليست هي داخلة في رواية ابن خلف الشيرازي – قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: ما جلست للحديث حتى عرفت الصحيح

من السقيم، وحتى نظرت في عامة كتب الرأي، وحتى دخلت البصرة خمس مرات أو نحوها، فما تركت بها حديثا صحيحا إلا كتبته، إلا ما لم يظهر لي.

وقال غنجار في (تاريخه) : حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد المقرئ، حدثنا أبو بكر محمد بن يعقوب بن يوسف البيكندي، سمعت علي بن الحسين بن عاصم البيكندي يقول: قدم علينا محمد بن إسماعيل، قال: فاجتمعنا عنده.

فقال بعضنا: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: كأني أنظر إلى سبعين ألف حديث من كتابي.

فقال محمد بن إسماعيل: أو تعجب من هذا؟! لعل في هذا الزمان من ينظر إلى مئتي ألف حديث من كتابه. وإنما عنى به نفسه.

ذكر ثناء الأئمة عليه

قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم: سمعت بعض أصحابي يقول:

كنت عند محمد بن سلام، فدخل عليه محمد بن إسماعيل، فلما خرج قال محمد بن سلام: كلما دخل علي هذا الصبي تحيرت، وألبس علي أمر الحديث وغيره، ولا أزال خائفا ما لم يخرج .

قال أبو جعفر: سمعت أبا عمر سليم بن مجاهد يقول: كنت عند محمد بن سلام البيكندي، فقال: لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث.

قال: فخرجت في طلبه حتى لحقته.

قال: أنت الذي يقول: إني أحفظ سبعين ألف حديث؟

قال: نعم، وأكثر، ولا أجيئك بحديث من الصحابة والتابعين إلا عرفتك مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثا من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولي من ذلك أصل أحفظه حفظا عن كتاب الله، وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- .

وقال أبو جعفر: حدثني بعض أصحابي: إن أبا عبد الله البخاري صار إلى أبي إسحاق السرماري عائدا، فلما خرج من عنده قال أبو إسحاق: من أراد أن ينظر إلى فقيه بحقه وصدقه، فلينظر إلى محمد بن إسماعيل وأجلسه على حجره .

وقال أبو جعفر: قال لي بعض أصحابي: كنت عند محمد بن سلام، فدخل عليه محمد بن

إسماعيل حين قدم من العراق، فأخبره بمحنة الناس، وما صنع ابن حنبل وغيره من الأمور.

فلما خرج من عنده قال محمد بن سلام لمن حضره: أترون البكر أشد حياء من هذا؟

وقال أبو جعفر: سمعت يحيى بن جعفر يقول: لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل من عمري لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموته ذهاب العلم .

قال: وسمعت يحيى بن جعفر – وهو البيكندي – يقول لمحمد بن إسماعيل: لولا أنت ما استطبت العيش ببخارى.

وقال: سمعت محمد بن يوسف يقول: كنا عند أبي رجاء، هو قتيبة، فسئل عن طلاق السكران، فقال: هذا أحمد بن حنبل وابن المديني وابن راهويه قد ساقهم الله إليك، وأشار إلى محمد بن إسماعيل.

وكان مذهب محمد أنه إذا كان مغلوب العقل حتى لا يذكر ما يحدث في سكره، أنه لا يجوز عليه من أمره شيء.

قال محمد: وسمعت عبد الله بن سعيد بن جعفر يقول: لما مات أحمد بن حرب النيسابوري ركب محمد وإسحاق يشيعان جنازته.

فكنت أسمع أهل المعرفة بنيسابور ينظرون، ويقولون: محمد أفقه من إسحاق.

وقال: سمعت عمر بن حفص الأشقر، سمعت عبدان يقول: ما رأيت بعيني شابا أبصر من هذا، وأشار بيده إلى محمد بن إسماعيل.

وقال: سمعت صالح بن مسمار المروزي يقول: سمعت نعيم بن حماد يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

وقال: سمعت إبراهيم بن خالد المروزي، يقول: قال مسدد: لا تختاروا على محمد بن إسماعيل، يا أهل خراسان.

وقال: سمعت موسى بن قريش يقول: قال عبد الله بن يوسف للبخاري: يا أبا عبد الله، انظر في كتبي، وأخبرني بما فيه من السقط. قال: نعم.

وقال محمد: حدثني محمد بن إسماعيل، قال: كنت إذا دخلت على سليمان بن حرب يقول: بين لنا غلط شعبة .

قال: وسمعته يقول: اجتمع أصحاب الحديث، فسألوني أن أكلم إسماعيل بن أبي أويس

ليزيدهم في القراءة، ففعلت، فدعا إسماعيل الجارية، وأمرها أن تخرج صرة دنانير، وقال: يا أبا عبد الله، فرقها عليهم .قلت: إنما أرادوا الحديث. قال: قد أجبتك إلى ما طلبت من الزيادة، غير أني أحب أن يضم هذا إلى ذاك ليظهر أثرك فيهم.

وقال: حدثني حاشد بن إسماعيل قال: لما قدم محمد بن إسماعيل على سليمان بن حرب نظر إليه سليمان، فقال: هذا يكون له يوما صوت .

وقال خلف الخيام: حدثنا إسحاق بن أحمد بن خلف، سمعت أحمد بن عبد السلام: قال: ذكرنا قول البخاري لعلي بن المديني –يعني: ما استصغرت نفسي إلا بين يدي علي بن المديني– فقال علي: دعوا هذا، فإن محمد بن إسماعيل لم ير مثل نفسه .

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا عبد الله يقول: ذاكرني أصحاب عمرو بن علي الفلاس بحديث، فقلت: لا أعرفه، فسروا بذلك، وصاروا إلى عمرو، فأخبروه.

فقال: حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث .

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت حاشد بن عبد الله يقول: قال لي أبو مصعب الزهري: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر بالحديث من أحمد بن حنبل.

فقيل له: جاوزت الحد. فقال للرجل: لو أدركت مالكا، ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل، لقلت: كلاهما واحد في الفقه والحديث.

قال: وسمعت حاشد بن إسماعيل يقول: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: اكتبوا عن هذا الشاب –يعني: البخاري– فلو كان في زمن الحسن لاحتاج إليه الناس لمعرفته بالحديث وفقهه. قال: وسمعت علي بن حجر يقول: أخرجت خراسان ثلاثة: أبو زرعة، ومحمد بن إسماعيل، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ومحمد عندي أبصرهم وأعلمهم وأفقههم.

قال: وأوردت على علي بن حجر كتاب أبي عبد الله، فلما قرأه قال: كيف خلفت ذلك الكبش؟ فقلت: بخير. فقال: لا أعلم مثله.

وقال أحمد بن الضوء: سمعت أبا بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير يقولان: ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل .

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل .

وقال محمد بن إبراهيم البوشنجي: سمعت بندارا محمد بن بشار سنة ثمان وعشرين ومائتين يقول: ما قدم علينا مثل محمد بن إسماعيل .

وقال حاشد بن إسماعيل: كنت بالبصرة، فسمعت قدوم محمد بن إسماعيل، فلما قدم قال بندار: اليوم دخل سيد الفقهاء .

وقال محمد: سمعت أبا عبد الله يقول: قال لي محمد بن بشار: إن ثوبي لا يمس جلدي مثلا، ما لم ترجع إلي، أخاف أن تجد في حديثي شيئا يسقمني.

فإذا رجعت فنظرت في حديثي طابت نفسي، وأمنت مما أخاف.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت إبراهيم بن خالد المروزي يقول: رأيت أبا عمار الحسين بن حريث يثني على أبي عبد الله البخاري، ويقول: لا أعلم أني رأيت مثله، كأنه لم يخلق إلا للحديث.

وقال محمد: سمعت محمود بن النضر أبا سهل الشافعي يقول: دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة، ورأيت علماءها، كلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم .

وقال: سمعت محمد بن يوسف يقول: لما دخلت البصرة صرت إلى بندار، فقال لي: من أين أنت؟ قلت: من خراسان.

قال: من أيها؟ قلت: من بخارى. قال: تعرف محمد بن إسماعيل؟ قلت: أنا من قرابته.

فكان بعد ذلك يرفعني فوق الناس.

قال محمد: وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: لما دخلت البصرة صرت إلى مجلس بندار، فلما وقع بصره علي، قال: من أين الفتى؟ قلت: من أهل بخارى. فقال لي: كيف تركت أبا عبد الله؟

فأمسكت، فقالوا له: يرحمك الله هو أبو عبد الله، فقام، وأخذ بيدي، وعانقني، وقال: مرحبا بمن أفتخر به منذ سنين .

قال: وسمعت حاشد بن إسماعيل، سمعت محمد بن بشار يقول: لم يدخل البصرة رجل أعلم بالحديث من أخينا أبي عبد الله. قال: فلما أراد الخروج ودعه محمد بن بشار، وقال: يا أبا عبد الله موعدنا الحشر أن لا نلتقي بعد.

وقال أبو قريش محمد بن جمعة الحافظ: سمعت محمد بن بشار يقول: حفاظ الدنيا أربعة: أبو

زرعة بالري، والدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل ببخارى، ومسلم بنيسابور.

وقال محمد بن عمر بن الأشعث البيكندي: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل، سمعت أبي يقول: انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان: أبو زرعة الرازي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، والحسن بن شجاع البلخي .

قال ابن الأشعث: فحكيت هذا لمحمد بن عقيل البلخي، فأطرى ذكر ابن شجاع.

فقلت له: لم لم يشتهر؟ قال: لأنه لم يمتع بالعمر.

قلت: هذا ابن شجاع رحل وسمع: مكي بن إبراهيم، وعبيد الله بن موسى، وأبا مسهر.

وتوفي: سنة أربع وأربعين.

وقال نصر بن زكريا المروزي: سمعت قتيبة بن سعيد يقول: شباب خراسان أربعة: محمد بن إسماعيل، وعبد الله بن عبد الرحمن -يعني: الدارمي- وزكريا بن يحيى اللؤلؤي ، والحسن بن شجاع. وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت جعفرا الفربري يقول: سمعت عبد الله بن منير يقول: أنا من تلاميذ محمد بن إسماعيل، وهو معلمي ورأيته يكتب عن محمد.

وقال محمد: حدثنا حاشد بن عبد الله بن عبد الواحد، سمعت يعقوب بن إبراهيم الدورقي يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة .

عن أبي جعفر المسندي قال: حفاظ زماننا ثلاثة: محمد بن إسماعيل، وحاشد بن إسماعيل، ويحيى بن سهل وقال محمد: حدثني جعفر بن محمد الفربري قال: خرج رجل من أصحاب عبد الله بن منير -رحمه الله- إلى بخارى في حاجة له.

فلما رجع قال له ابن منير: لقيت أبا عبد الله؟ قال: لا.

فطرده، وقال: ما فيك بعد هذا خير، إذ قدمت بخارى ولم تصر إلى أبي عبد الله محمد بن إسماعيل. وقال محمد: سمعت إبراهيم بن محمد بن سلام يقول: حضرت أبا بكر بن أبي شيبة، فرأيت رجلا يقول في مجلسه: ناظر أبو بكر أبا عبد الله في أحاديث سفيان، فعرف كلها، ثم أقبل محمد عليه، فأغرب عليه مائتي حديث.

فكان أبو بكر بعد ذلك يقول: ذاك الفتى البازل - والبازل الجمل المسن - إلا أنه يريد ها هنا البصير بالعلم، الشجاع.

وسمعت إبراهيم بن محمد بن سلام يقول: إن الرتوت من أصحاب الحديث مثل: سعيد بن

أبي مريم، ونعيم بن حماد، والحميدي، وحجاج بن منهال، وإسماعيل بن أبي أويس، والعدني ، والحسن الخلال بمكة، ومحمد بن ميمون صاحب ابن عيينة، ومحمد بن العلاء، والأشج، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، وإبراهيم بن موسى الفراء، كانوا يهابون محمد بن إسماعيل، ويقضون له على أنفسهم في المعرفة والنظر.

وقال محمد: حدثني حاتم بن مالك الوراق؟ قال: سمعت علماء مكة يقولون: محمد بن إسماعيل إمامنا وفقيهنا وفقيه خراسان.

وقال محمد: سمعت أبي –رحمه الله– يقول: كان محمد بن إسماعيل يختلف إلى أبي حفص أحمد بن حفص البخاري وهو صغير، فسمعت أبا حفص يقول: هذا شاب كيس، أرجو أن يكون له صيت وذكر.

وقال محمد: سمعت أبا سهل محمودا الشافعي يقول: سمعت أكثر من ثلاثين عالما من علماء مصر، يقولون: حاجتنا من الدنيا النظر في (تاريخ) محمد بن إسماعيل.

وقال محمد: حدثني صالح بن يونس، قال: سئل عبد الله بن عبد الرحمن –يعني: الدارمي– عن حديث سالم بن أبي حفصة ، فقال: كتبناه مع محمد، ومحمد يقول: سالم ضعيف.

فقيل له: ما تقول أنت؟ قال: محمد أبصر مني.

قال: وسئل عبد الله بن عبد الرحمن عن حديث محمد بن كعب: (لا يكذب الكاذب إلا من مهانة نفسه عليه). وقيل له: محمد يزعم أن هذا صحيح، فقال: محمد أبصر مني، لأن همه النظر في الحديث، وأنا مشغول مريض، ثم قال: محمد أكيس خلق الله، إنه عقل عن الله ما أمره به، ونهى عنه في كتابه، وعلى لسان نبيه، إذا قرأ محمد القرآن، شغل قلبه وبصره وسمعه، وتفكر في أمثاله، وعرف حلاله وحرامه .

وقال: كتب إلي سليمان بن مجالد: إني سألت عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي عن محمد، فقال: محمد بن إسماعيل أعلمنا وأفقهنا وأغوصنا، وأكثرنا طلبا.

وقال: سمعت أبا سعيد المؤدب يقول: سمعت عبد الله بن عبد الرحمن يقول: لم يكن يشبه طلب محمد للحديث طلبنا، كان إذا نظر في حديث رجل أنزفه.

وقال: حدثني إسحاق وراق عبد الله بن عبد الرحمن، قال: سألني عبد الله عن كتاب (الأدب) من تصنيف محمد بن إسماعيل، فقال: احمله لأنظر فيه، فأخذ الكتاب مني، وحبسه

ثلاثة أشهر، فلما أخذت منه، قلت: هل رأيت فيه حشوا، أو حديثا ضعيفا؟

فقال ابن إسماعيل: لا يقرأ على الناس إلا الحديث الصحيح ، وهل ينكر على محمد؟!

وقال: سمعت أبا الطيب حاتم بن منصور الكسي يقول: محمد بن إسماعيل آية من آيات الله في بصره ونفاذه من العلم.

قال: وسمعت أبا عمرو المستنير بن عتيق يقول: سمعت رجاء الحافظ يقول: فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء. فقال له رجل: يا أبا محمد، كل ذلك بمرة؟! فقال: هو آية من آيات الله يمشي على ظهر الأرض.

قال: وسمعت محمد بن يوسف يقول: سأل أبو عبد الله أبا رجاء البغلاني –يعني: قتيبة– إخراج أحاديث ابن عيينة، فقال: منذ كتبتها ما عرضتها على أحد، فإن احتسبت ونظرت فيها، وعلمت على الخطأ منها فعلت، وإلا لم أحدث بها، لأني لا آمن أن يكون فيها بعض الخطأ، وذلك أن الزحام كان كثيرا، وكان الناس يعارضون كتبهم، فيصحح بعضهم من بعض، وتركت كتابي كما هو، فسر البخاري بذلك، وقال: وفقت.

ثم أخذ يختلف إليه كل يوم صلاة الغداة، فينظر فيه إلى وقت خروجه إلى المجلس، ويعلم على الخطأ منه. فسمعت البخاري رد على أبي رجاء يوما حديثا، فقال: يا أبا عبد الله، هذا مما كتب عني أهل بغداد، وعليه علامة يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، فلا أقدر أغيره.

فقال له أبو عبد الله: إنما كتب أولئك عنك لأنك كنت مجتازا، وأنا قد كتبت هذا عن عدة على ما أقول لك، كتبته عن يحيى بن بكير، وابن أبي مريم، وكاتب الليث عن الليث، فرجع أبو رجاء، وفهم قوله، وخضع له.

قال: وسمعت محمد بن يوسف يقول: كان زكريا اللؤلؤي والحسن بن شجاع ببلخ يمشيان مع أبي عبد الله إلى المشايخ إجلالا له وإكراما.

قال: وسمعت حاشد بن إسماعيل يقول: رأيت إسحاق بن راهويه جالسا على السرير، ومحمد بن إسماعيل معه وإسحاق يقول: حدثنا عبد الرزاق حتى مر على حديث، فأنكر عليه محمد، فرجع إلى قول محمد. ثم رأيت عمرو بن زرارة ومحمد بن رافع عند محمد بن إسماعيل يسألانه عن علل الحديث، فلما قاما قالا لمن حضر: لا تخدعوا عن أبي عبد الله، فإنه أفقه منا وأعلم وأبصر. قال: وسمعت حاشد بن عبد الله يقول: كنا عند إسحاق وعمرو بن زرارة ثم، وهو

يستملي على البخاري، وأصحاب الحديث يكتبون عنه، وإسحاق يقول: هو أبصر مني.
وكان محمد يومئذ شابا. وقال: حدثني محمد بن يوسف قال: كنا مع أبي عبد الله عند محمد بن بشار، فسأله محمد بن بشار عن حديث، فأجابه، فقال: هذا أفقه خلق الله في زماننا.
وأشار إلى محمد بن إسماعيل. قال: وسمعت سليم بن مجاهد يقول: لو أن وكيعا وابن عيينة وابن المبارك كانوا في الأحياء لاحتاجوا إلى محمد بن إسماعيل. قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: قال لي إسماعيل بن أبي أويس: انظر في كتبي وما أملكه لك، وأنا شاكر لك ما دمت حيا. وقال: قال لي أبو عمرو الكرماني: سمعت عمرو بن علي الصيرفي يقول: أبو عبد الله صديقي، ليس بخراسان مثله. فحكيت لمهيار بالبصرة عن قتيبة بن سعيد أنه قال: رحل إلي من شرق الأرض وغربها، فما رحل إلي مثل محمد بن إسماعيل، فقال مهيار: صدق.
أنا رأيته مع يحيى بن معين، وهما يختلفان جميعا إلى محمد بن إسماعيل، فرأيت يحيى ينقاد له في المعرفة. وقال: سمعت أبا سعيد الأشج، وخرج إلينا في غداة باردة، وهو يرتعد من البرد، فقال: أيكون عندكم مثل ذا البرد؟ فقلت: مثل ذا يكون في الخريف والربيع، وربما نمسي والنهر جار، فنصبح ونحتاج إلى الفأس في نقب الجمد. فقال لي: من أي خراسان أنت؟ قلت: من بخارى. فقال له ابنه: هو من وطن محمد بن إسماعيل، فقال له: إذا قدم عليك من يتوسل به فاعرف له حقه، فإنه إمام.
وقال: سمعت أحمد بن عبد الله بن ثابت الشاشي، سمعت إسماعيل بن أبي أويس يقول: ما أخذ عني أحد ما أخذ عني محمد، نظر إلى كتبي، فرآها دارسة، فقال لي: أتأذن لي أن أجددها؟ فقلت: نعم. فاستخرج عامة حديثي بهذه العلة.
وقال: سمعت أبا إسحاق المروزي يقول: دخلت على علي بن حجر ساعة ودعه عبد الله بن عبد الرحمن، فسمعته يقول: قل في أدب عبد الله بن عبد الرحمن ما شئت، وقل في علم محمد ما شئت. وقال: سمعت محمد بن الليث يقول: وذكر عنده عبد الله ومحمد، فسمع بعض الجماعة يفضل عبد الله على محمد، فقال: إذا قدمتوه فقدموه في الشعر والعربية، ولا تقدموه عليه في العلم. وقال: سمعت حاشد بن إسماعيل يقول: كان عبد الله بن عبد الرحمن يدس إلي أحاديث من أحاديثه المشكلة عليه، يسألني أن أعرضها على محمد، وكان يشتهي أن لا يعلم محمد، فكنت إذا عرضت عليه شيئا يقول: من ثم جاءت؟ وعن قتيبة قال: لو كان محمد في

الصحابة لكان آية. وقال محمد بن يوسف الهمذاني: كنا عند قتيبة بن سعيد، فجاء رجل شعراني يقال له: أبو يعقوب، فسأله عن محمد بن إسماعيل، فنكس رأسه، ثم رفعه إلى السماء، فقال: يا هؤلاء، نظرت في الحديث، ونظرت في الرأي، وجالست الفقهاء والزهاد والعباد، ما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل.

وقال حاشد بن إسماعيل: سمعت قتيبة يقول: مثل محمد بن إسماعيل عند الصحابة في صدقه وورعه كما كان عمر في الصحابة.

وقال حاشد بن إسماعيل: سمعت أحمد بن حنبل يقول: لم يجئنا من خراسان مثل محمد بن إسماعيل. وروينا عن أبي حاتم الرازي قال: محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق.

وقال أبو عبد الله الحاكم: محمد بن إسماعيل البخاري إمام أهل الحديث، سمع ببخارى هارون بن الأشعث، ومحمد بن سلام، وسمى خلقا من شيوخه.

ثم قال: سمعت أبا الطيب محمد بن أحمد المذكر، سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأحفظ له من محمد بن إسماعيل. ثم قال الحاكم: سمعت محمد بن يعقوب الحافظ يقول: سمعت أبي يقول: رأيت مسلم بن الحجاج بين يدي البخاري يسأله سؤال الصبي .

ثم قال: سمعت الحسن بن أحمد الشيباني المعدل، سمعت أحمد بن حمدون يقول: رأيت محمد بن إسماعيل في جنازة سعيد بن مروان، ومحمد بن يحيى الذهلي يسأله عن الأسامي والكنى والعلل، ومحمد بن إسماعيل يمر فيه مثل السهم ، كأنه يقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾[1]

أخبرنا محمد بن خالد المطوعي ببخارى، حدثنا مسبح بن سعيد البخاري، سمعت عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي يقول: قد رأيت العلماء بالحجاز والعراقين، فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن إسماعيل . وقال محمد بن حمدون بن رستم: سمعت مسلم بن الحجاج، وجاء إلى البخاري فقال: دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله. وقال أبو عيسى الترمذي: لم أر بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل. وقال أبو عيسى الترمذي: كان محمد بن إسماعيل عند

[1] صورة الإخلاص، الأية 1

عبد الله بن منير، فلما قام من عنده قال له: يا أبا عبد الله، جعلك الله زين هذه الأمة. قال الترمذي: استجيب له فيه.

قلت: ابن منير من كبار الزهاد، قال[1].... قيل: إن البخاري لما قدم من العراق، قدمته الآخرة، وتلقاه الناس، وازدحموا عليه، وبالغوا في بره.

قيل له في ذلك، فقال: كيف لو رأيتم يوم دخولنا البصرة ؟

وقال أبو علي صالح بن محمد جزرة: كان محمد بن إسماعيل يجلس ببغداد، وكنت أستملي له، ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفا.

وقال عبد المؤمن بن خلف النسفي: سألت أبا علي صالح بن محمد، عن الدارمي ومحمد بن إسماعيل وأبي زرعة، فقال: أعلمهم بالحديث محمد، وأحفظهم أبو زرعة.

وقال إسحاق بن زبرك : سمعت محمد بن إدريس الرازي يقول في سنة سبع وأربعين ومائتين: يقدم عليكم رجل من خراسان لم يخرج منها أحفظ منه، ولا قدم العراق أعلم منه، فقدم علينا البخاري . وقال أبو سعيد حاتم بن محمد: قال موسى بن هارون الحافظ: لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن ينصبوا آخر مثل محمد بن إسماعيل ما قدروا عليه.

وقال أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الفقيه الدغولي: كتب أهل بغداد إلى البخاري:

المسلمون بخير ما بقيت لهم ... وليس بعدك خير حين تفتقد

وقال أبو بكر الخطيب: سئل أبو زرعة عن ابن لهيعة، فقال: تركه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. وسئل عن محمد بن حميد، فقال: تركه أبو عبد الله. فذكر ذلك لأبي عبد الله، فقال: بره لنا قديم.

قال الخطيب: وسئل العباس بن الفضل الرازي الصائغ: أيهما أفضل، أبو زرعة أو محمد بن إسماعيل؟ فقال: التقيت مع محمد بن إسماعيل بين حلوان وبغداد، فرجعت معه مرحلة، وجهدت أن أجيء بحديث لا يعرفه، فما أمكنني، وأنا أغرب على أبي زرعة عدد شعره .

وقال أحمد بن سيار في (تاريخه) : محمد بن إسماعيل الجعفي طلب العلم، وجالس الناس،

---

[1] قال المحقق: بياض في كلا الاصلين قدر ثلث سطر، وجاء في " مقدمة الفتح ": وقال حمدويه بن الخطاب: لما قدم البخاري قدمته الأخيرة ...

ورحل في الحديث، ومهر فيه وأبصر، وكان حسن المعرفة، والحفظ، وكان يتفقه .
قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: رأيت أبي يطنب في مدح أحمد بن سيار، ويذكره بالعلم والفقه.
وذكر عمر بن حفص الأشقر، قال: لما قدم رجاء بن مرجى بخارى يريد الخروج إلى الشاش، نزل الرباط، وسار إليه مشايخنا، وسرت فيمن سار إليه، فسألني عن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، فأخبرته بسلامته، وقلت: لعله يجيئك الساعة، فأملى علينا، وانقضى المجلس، ولم يجئ. فلما كان اليوم الثاني لم يجئه.
فلما كان اليوم الثالث قال رجاء: إن أبا عبد الله لم يرنا أهلا للزيارة، فمروا بنا إليه نقض حقه، فإني على الخروج – وكان كالمترغم عليه – فجئنا بجماعتنا إليه، فقال رجاء: يا أبا عبد الله، كنت بالأشواق إليك، وأشتهي أن تذكر شيئا من الحديث، فإني على الخروج.
قال: ما شئت. فألقى عليه رجاء شيئا من حديث أيوب، وأبو عبد الله يجيب إلى أن سكت رجاء عن الإلقاء. فقال لأبي عبد الله: ترى بقي شيء لم نذكره، فأخذ محمد يلقي، ويقول رجاء: من روى هذا؟ وأبو عبد الله يجيء بإسناده إلى أن ألقى قريبا من بضعة عشر حديثا. وتغير رجاء تغيرا شديدا، وحانت من أبي عبد الله نظرة إلى وجهه، فعرف التغير فيه، فقطع الحديث. فلما خرج رجاء قال محمد: أردت أن أبلغ به ضعف ما ألقيته، إلا أني خشيت أن يدخله شيء، فأمسكت.
وقال خلف بن محمد: سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر الخفاف يقول: محمد بن إسماعيل أعلم بالحديث من إسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل وغيرهما بعشرين درجة؛ ومن قال فيه شيئا، فمني عليه ألف لعنة. ثم قال: حدثنا محمد بن إسماعيل التقي النقي العالم الذي لم أر مثله.
وروي عن الحسين بن محمد المعروف بعبيد العجل، قال: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، ولم يكن مسلم بن الحجاج يبلغ محمد بن إسماعيل.
ورأيت أبا زرعة وأبا حاتم يستمعان إلى محمد أي شيء يقول، يجلسون إلى جنبه، فذكر لعبيد العجل قصة محمد بن يحي، فقال: ما له ولمحمد بن إسماعيل؟ كان محمد بن إسماعيل أمة من الأمم، وكان أعلم من محمد بن يحي بكذا وكذا، وكان دينا فاضلا يحسن كل شيء .
وقال أبو حامد أحمد بن حمدون القصار: سمعت مسلم بن الحجاج، وجاء إلى البخاري، فقبل بين عينيه، وقال: دعني أقبل رجليك.

ثم قال: حدثك محمد بن سلام، حدثنا مخلد بن يزيد الحراني، أخبرنا ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل، عن أبيه عن أبي هريرة، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في كفارة المجلس ، فما علته؟ قال محمد بن إسماعيل: هذا حديث مليح، ولا أعلم بهذا الإسناد في الدنيا حديثا غير هذا الحديث الواحد في هذا الباب، إلا أنه معلول حدثنا به موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثنا سهيل، عن عون بن عبد الله قوله، قال محمد: وهذا أولى، فإنه لا يذكر لموسى بن عقبة سماع من سهيل. فقال له مسلم: لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أنه ليس في الدنيا مثلك.

وقال محمد بن يعقوب بن الأخرم: سمعت أصحابنا يقولون: لما قدم البخاري نيسابور استقبله أربعة آلاف رجل ركبانا على الخيل، سوى من ركب بغلا أو حمارا وسوى الرجالة.

وقال عبد الله بن حماد الآملي: وددت أني شعرة في صدر محمد بن إسماعيل.

وقال محمد بن أبي حاتم، سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أهل المعرفة بالبصرة يعدون خلف البخاري في طلب الحديث، وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه، ويجلسوه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه.

قالا: وكان أبو عبد الله عند ذلك شابا لم يخرج وجهه .

أخبرني الحسن بن علي، أخبرنا عبد الله بن عمر، أخبرنا عبد الأول بن عيسى، أخبرنا عبد الله بن محمد الأنصاري، أخبرنا أحمد بن محمد بن إسماعيل المهدوي، سمعت خالد بن عبد الله المروزي، سمعت أبا سهل محمد بن أحمد المروزي، سمعت أبا زيد المروزي الفقيه يقول: كنت نائما بين الركن والمقام، فرأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال لي: يا أبا زيد، إلى متى تدرس كتاب الشافعي، ولا تدرس كتابي؟ فقلت: يا رسول الله وما كتابك؟ قال: (جامع) محمد بن إسماعيل.

وجدت فائدة منقولة عن أبي الخطاب بن دحية، أن الرملي الكذابة قال: البخاري مجهول، لم يرو عنه سوى الفربري. قال أبو الخطاب: والله كذب في هذا وفجر، والتقم الحجر، بل البخاري مشهور بالعلم وحمله؛ مجمع على حفظه ونبله، جاب البلاد، وطلب الرواية والإسناد. روى عنه جماعة من العلماء إلى أن قال: وأما كتابه فقد عرضه على حافظ زمانه

أبي زرعة، فقال: كتابك كله صحيح إلا ثلاثة أحاديث[1] .

ذكر عبادته وفضله وورعه وصلاحه

قال الحاكم: حدثنا محمد بن خالد المطوعي، حدثنا مسبح بن سعيد قال: كان محمد بن إسماعيل يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التروايح كل ثلاث ليال بختمة .

وقال بكر بن منير: سمعت أبا عبد الله البخاري يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا .

قلت: صدق -رحمه الله- ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس، وإنصافه فيمن يضعفه، فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر ، ونحو هذا. وقل أن يقول: فلان كذاب، أو كان يضع الحديث.

حتى إنه قال: إذا قلت: فلان في حديثه نظر، فهو متهم واه.

وهذا معنى قوله: لا يحاسبني الله أني اغتبت أحدا، وهذا هو والله غاية الورع.

قال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعته -يعني: البخاري- يقول: لا يكون لي خصم في الآخرة، فقلت: إن بعض الناس ينقمون عليك في كتاب (التاريخ) ويقولون: فيه اغتياب الناس، فقال: إنما روينا ذلك رواية لم نقله من عند أنفسنا، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : (بئس مولى العشيرة) يعني: حديث عائشة .

وسمعته يقول: ما اغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها.

قال: وكان أبو عبد الله يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم. فقلت: أراك تحمل على نفسك، ولم توقظني. قال: أنت شاب، ولا أحب أن أفسد

---

[1] قال محقق الكتاب: جاء في الأصل حاشية بخط مغاير ما نصه: هذه من غلطات ابن دحية ووهمه، فإن الذي عرض كتابه على أبي زرعة مسلم لا البخاري، ثم إن البخاري أحفظ من أبي زرعة بكثير وأعلم، فهو أولى منه بأن يكون حافظ زمانه.

قلت: وما في هذه الحاشية هو الصواب كما سيذكره المؤلف في ترجمة مسلم في الصفحة 423، وعجب من المصنف رحمه الله كيف فاته التنبيه هنا على هذا الوهم.

عليك نومك. وقال غنجار: حدثنا أبو عمرو أحمد بن المقرئ، سمعت بكر بن منير قال: كان محمد بن إسماعيل يصلي ذات ليلة، فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة. فلما قضى الصلاة، قال: انظروا أيش آذاني. وقال محمد بن أبي حاتم: دعي محمد بن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه، فلما صلى بالقوم الظهر، قام يتطوع، فلما فرغ من صلاته، رفع ذيل قميصه، فقال لبعض من معه: انظر هل ترى تحت قميصي شيئا؟ فإذا زنبور قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعا، وقد تورم من ذلك جسده. فقال له بعض القوم: كيف لم تخرج من الصلاة أول ما أبرك؟ قال: كنت في سورة، فأحببت أن أتمها.

وقال: سمعت عبد الله بن سعيد بن جعفر يقول: سمعت العلماء بالبصرة يقولون: ما في الدنيا مثل محمد بن إسماعيل في المعرفة والصلاح.

وقال أبو جعفر محمد بن يوسف الوراق: حدثنا عبد الله بن حماد الآملي قال: وددت أني شعرة في صدر محمد بن إسماعيل.

وقال أبو عمرو أحمد بن نصر الخفاف: حدثنا محمد بن إسماعيل التقي النقي العالم الذي لم أر مثله. وقال الحاكم: حدثنا محمد بن حامد البزاز: سمعت الحسن بن محمد بن جابر، سمعت محمد بن يحيى الذهلي لما ورد البخاري نيسابور يقول: اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح، فاسمعوا منه. وقال ابن عدي: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد إلى أقربائه بخرتنك، فسمعته يدعو ليلة إذ فرغ من ورده: اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك. فما تم الشهر حتى مات.

وقد ذكرنا أنه لما ألف (الصحيح) كان يصلي ركعتين عند كل ترجمة.

وروى الخطيب بإسناده، عن الفربري، قال: رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- في النوم، فقال لي: أين تريد؟

فقلت: أريد محمد بن إسماعيل البخاري، فقال: أقرئه مني السلام.

وقال محمد بن أبي حاتم: ركبنا يوما إلى الرمي، ونحن بفربر، فخرجنا إلى الدرب الذي يؤدي إلى الفرضة، فجعلنا نرمي، وأصاب سهم أبي عبد الله وتد القنطرة الذي على نهر ورادة، فانشق الوتد. فلما رآه أبو عبد الله نزل عن دابته، فأخرج السهم من الوتد، وترك الرمي. وقال لنا: ارجعوا. ورجعنا معه إلى المنزل، فقال لي: يا أبا جعفر، لي إليك حاجة تقضيها؟

قلت: أمرك طاعة. قال: حاجة مهمة، وهو يتنفس الصعداء. فقال لمن معنا: اذهبوا مع أبي جعفر حتى تعينوه على ما سألته. فقلت: أية حاجة هي؟ قال لي: تضمن قضاءها؟ قلت: نعم، على الرأس والعين. قال: ينبغي أن تصير إلى صاحب القنطرة، فتقول له: إنا قد أخللنا بالوتد، فنحب أن تأذن لنا في إقامة بدله، أو تأخذ ثمنه، وتجعلنا في حل مما كان منا، وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر الفربري.

فقال لي: أبلغ أبا عبد الله السلام، وقل له: أنت في حل مما كان منك، وقال جميع ملكي لك الفداء، وإن قلت: نفسي، أكون قد كذبت غير أني لم أكن أحب أن تحتشمني في وتد أو في ملكي فأبلغته رسالته، فتهلل وجهه، واستنار، وأظهر سرورا، وقرأ في ذلك اليوم على الغرباء نحوا من خمس مائة حديث، وتصدق بثلاث مائة درهم.

قال: وسمعته يقول لأبي معشر الضرير: اجعلني في حل يا أبا معشر. فقال: من أي شيء؟ قال: رويت يوما حديثا، فنظرت إليك، وقد أعجبت به، وأنت تحرك رأسك ويدك، فتبسمت من ذلك. قال: أنت في حل، رحمك الله يا أبا عبد الله.

قال: ورأيته استلقى على قفاه يوما، ونحن بفربر في تصنيفه كتاب (التفسير).

وأتعب نفسه ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث. فقلت له: إني أراك تقول: إني ما أثبت شيئا، بغير علم قط منذ عقلت، فما الفائدة في الاستلقاء؟ قال: أتعبنا أنفسنا اليوم، وهذا ثغر من الثغور، خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو، فأحببت أن أستريح، وآخذ أهبة، فإن غافصنا العدو كان بنا حراك. قال: وكان يركب إلى الرمي كثيرا، فما أعلمني رأيته في طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين، فكان يصيب الهدف في كل ذلك، وكان لا يسبق. قال: وسمعته يقول: ما أكلت كراثا قط، ولا القنابرى. قلت: ولم ذاك؟ قال: كرهت أن أوذي من معي من نتنهما. قلت: وكذلك البصل النيء؟ قال: نعم.

قال: وحدثني محمد بن العباس الفربري، قال: كنت جالسا مع أبي عبد الله البخاري بفربر في المسجد، فدفعت من لحيته قذاة مثل الذرة أذكرها، فأردت أن ألقيها في المسجد، فقال: ألقها خارجا من المسجد. قال: وأملى يوما علي حديثا كثيرا، فخاف ملالي، فقال: طب نفسا، فإن أهل الملاهي في ملاهيهم، وأهل الصناعات في صناعاتهم، والتجار في تجاراتهم، وأنت مع النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه.

فقلت: ليس شيء من هذا، يرحمك الله إلا وأنا أرى الحظ لنفسي فيه.
قال: وسمعته يقول: ما أردت أن أتكلم بكلام فيه ذكر الدنيا إلا بدأت بحمد الله والثناء عليه.
وقال له بعض أصحابه: يقولون: إنك تناولت فلانا. قال: سبحان الله، ما ذكرت أحدا بسوء إلا أن أقول ساهيا، وما يخرج اسم فلان من صحيفتي يوم القيامة.
قال: وضيفه بعض أصحابه في بستان له، وضيفنا معه، فلما جلسنا أعجب صاحب البستان بستانه، وذلك أنه كان عمل مجالس فيه، وأجرى الماء في أنهاره.
فقال له: يا أبا عبد الله، كيف ترى؟ فقال: هذه الحياة الدنيا.
قال: وكان لأبي عبد الله غريم قطع عليه مالا كثيرا، فبلغه أنه قدم آمل، ونحن عنده بفربر، فقلنا له: ينبغي أن تعبر وتأخذه بمالك. فقال: ليس لنا أن نروعه. ثم بلغ غريمه مكانه بفربر، فخرج إلى خوارزم، فقلنا: ينبغي أن تقول لأبي سلمة الكشاني عامل آمل ليكتب إلى خوارزم في أخذه، واستخراج حقك منه. فقال: إن أخذت منهم كتابا طمعوا مني في كتاب، ولست أبيع ديني بدنياي. فجهدنا، فلم يأخذ حتى كلمنا السلطان عن غير أمره. فكتب إلى والي خوارزم. فلما أبلغ أبا عبد الله ذلك، وجد وجدا شديدا. وقال: لا تكونوا أشفق علي من نفسي. وكتب كتابا، وأردف تلك الكتب بكتب، وكتب إلى بعض أصحابه بخوارزم أن لا يتعرض لغريمه إلا بخير. فرجع غريمه إلى آمل، وقصد إلى ناحية مرو.
فاجتمع التجار، وأخبر السلطان بأن أبا عبد الله خرج في طلب غريم له.
فأراد السلطان التشديد على غريمه، وكره ذلك أبو عبد الله، وصالح غريمه على أن يعطيه كل سنة عشرة دراهم شيئا يسيرا. وكان المال خمسة وعشرين ألفا.
ولم يصل من ذلك المال إلى درهم، ولا إلى أكثر منه.
قال: وسمعت أبا عبد الله، يقول: ما توليت شراء شيء ولا بيعه قط.
فقلت له: كيف وقد أحل الله البيع؟ قال: لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط، فخشيت إن توليت أن أستوي بغيري. قلت: فمن كان يتولى أمرك في أسفارك ومبايعتك؟ قال: كنت أكفى ذلك. قال: وسمعت محمد بن خداش يقول: سمعت أحمد بن حفص، يقول: دخلت على أبي الحسن -يعني: إسماعيل- والد أبي عبد الله عند موته، فقال: لا أعلم من مالي درهما من حرام، ولا درهما من شبهة. قال أحمد: فتصاغرت إلي نفسي عند ذلك.

ثم قال أبو عبد الله: أصدق ما يكون الرجل عند الموت.

قال: وكان أبو عبد الله اكترى منزلا، فلبث فيه طويلا، فسمعته يقول: لم أمسح ذكري بالحائط، ولا بالأرض في ذلك المنزل. فقيل له: لم؟ قال: لأن المنزل لغيري.

قال: وقال لي أبو عبد الله يوما بفربر: بلغني أن نخاسا قدم بجواري، فتصير معي؟

قلت: نعم، فصرنا إليه فأخرج جواري حسانا صباحا.

ثم خرج من خلالهن جارية خزرية دميمة عليها شحم، فنظر إليها، فمس ذقنها فقال: اشتر هذه لنا منه. فقلت: هذه دميمة قبيحة لا تصلح، واللاتي نظرنا إليهن يمكن شراءهن بثمن هذه. فقال: اشتر هذه، فإني قد مسست ذقنها، ولا أحب أن أمس جارية، ثم لا أشتريها. فاشتراها بغلاء خمس مائة درهم على ما قال أهل المعرفة. ثم لم تزل عنده حتى أخرجها معه إلى نيسابور.

وقال غنجار: أنبأنا أبو عمرو أحمد بن محمد المقرئ: سمعت بكر بن منير – وقد ذكر معناها محمد بن أبي حاتم، واللفظ لبكر – قال: كان حمل إلى البخاري بضاعة أنفذها إليه ابنه أحمد، فاجتمع بعض التجار إليه، فطلبوها بربح خمسة آلاف درهم، فقال: انصرفوا الليلة. فجاءه من الغد تجار آخرون، فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف. فقال: إني نويت بيعها للذين أتوا البارحة .

وقال غنجار: حدثنا إبراهيم بن حمد الملاحمي، سمعت محمد بن صابر بن كاتب، سمعت عمر بن حفص الأشقر قال: كنا مع البخاري بالبصرة نكتب، ففقدناه أياما، ثم وجدناه في بيت وهو عريان، وقد نفد ما عنده، فجمعنا له الدراهم، وكسوناه .

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا عبد الله يقول: ما ينبغي للمسلم أن يكون بحالة إذا دعا لم يستجب له، فقالت له امرأة أخيه بحضرتي: فهل تبينت ذلك أيها الشيخ من نفسك؛ أو جربت؟ قال: نعم، دعوت ربي عز وجل مرتين، فاستجاب لي، فلن أحب أن أدعو بعد ذلك، فلعله ينقص من حسناتي، أو يعجل لي في الدنيا. ثم قال: ما حاجة المسلم إلى الكذب والبخل؟!

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت البخاري يقول: خرجت إلى آدم بن أبي إياس، فتخلفت عني نفقتي، حتى جعلت أتناول الحشيش، ولا أخبر بذلك أحدا. فلما كان اليوم الثالث أتاني

آت لم أعرفه، فناولني صرة دنانير، وقال: أنفق على نفسك.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت الحسين بن محمد السمرقندي يقول: كان محمد بن إسماعيل مخصوصا بثلاث خصال مع ما كان فيه من الخصال المحمودة: كان قليل الكلام، وكان لا يطمع فيما عند الناس، وكان لا يشتغل بأمور الناس، كل شغله كان في العلم.

وقال: سمعت سليم بن مجاهد يقول: ما بقي أحد يعلم الناس الحديث حسبة غير محمد بن إسماعيل، ورأيت سليم بن مجاهد يسأل أبا عبد الله أن يحدثه كل يوم بثلاثة أحاديث، ويبين له معانيها وتفاسيرها وعللها. فأجابه إلى ذلك قدر مقامه، وكان أقام في تلك الدفعة جمعة.

وسمعت سليما يقول: ما رأيت بعيني منذ ستين سنة أفقه، ولا أورع، ولا أزهد في الدنيا، من محمد بن إسماعيل. قال عبد المجيد بن إبراهيم: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، كان يسوي بين القوي والضعيف.

ذكر كرمه وسماحته وصفته وغير ذلك

قال محمد بن أبي حاتم: كانت له قطعة أرض يكريها كل سنة بسبع مائة درهم.

فكان ذلك المكتري ربما حمل منها إلى أبي عبد الله قثاة أو قثاتين، لأن أبا عبد الله كان معجبا بالقثاء النضيج، وكان يؤثره على البطيخ أحيانا، فكان يهب للرجل مائة درهم كل سنة لحمله القثاء إليه أحيانا.

قال: وسمعته يقول: كنت أستغل كل شهر خمس مائة درهم، فأنفقت كل ذلك في طلب العلم. فقلت: كم بين من ينفق على هذا الوجه، وبين من كان خلوا من المال، فجمع وكسب بالعلم، حتى اجتمع له.

فقال أبو عبد الله: ﴿ما عند الله خير وأبقى﴾ [1]

قال: وكنا بفربر، وكان أبو عبد الله يبني رباطا مما يلي بخارى، فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك، وكان ينقل اللبن، فكنت أقول له: إنك تكفى يا أبا عبد الله، فيقول: هذا الذي ينفعنا. ثم أخذ ينقل الزنبرات معه، وكان ذبح لهم بقرة، فلما أدركت القدور، دعا الناس إلى الطعام، وكان بها مائة نفس أو أكثر، ولم يكن علم أنه يجتمع ما اجتمع، وكنا أخرجنا معه

---

[1] [الشورى: 36]

من فربر خبزا بثلاثة دراهم أو أقل، فألقينا بين أيديهم، فأكل جميع من حضر، وفضلت أرغفة صالحة. وكان الخبز إذ ذاك خمسة أمناء بدرهم.

قال: وكان أبو عبد الله ربما يأتي عليه النهار، فلا يأكل فيه رقاقة، إنما كان يأكل أحيانا لوزتين أو ثلاثا. وكان يجتنب توابل القدور مثل الحمص وغيره، فقال لي يوما شبه المتفرج بصاحبه: يا أبا جعفر، نحتاج في السنة إلى شيء كثير. قلت له: قدر كم؟

قال: أحتاج في السنة إلى أربعة آلاف درهم، أو خمسة آلاف درهم.

قال: وكان يتصدق بالكثير، يأخذ بيده صاحب الحاجة من أهل الحديث، فيناوله ما بين العشرين إلى الثلاثين، وأقل وأكثر، من غير أن يشعر بذلك أحد.

وكان لا يفارقه كيسه، ورأيته ناول رجلا مرارا صرة فيها ثلاث مائة درهم – وذلك أن الرجل أخبرني بعدد ما كان فيها من بعد – فأراد أن يدعو، فقال له أبو عبد الله: ارفق، واشتغل بحديث آخر كيلا يعلم بذلك أحد.

قال: وكنت اشتريت منزلا بتسع مائة وعشرين درهما، فقال: لي إليك حاجة تقضيها؟

قلت: نعم، ونعمى عين. قال: ينبغي أن تصير إلى نوح بن أبي شداد الصيرفي، وتأخذ منه ألف درهم، وتحمله إلي، ففعلت.

فقال لي: خذه إليك، فاصرفه في ثمن المنزل. فقلت: قد قبلته منك وشكرته.

وأقبلنا على الكتابة، وكنا في تصنيف (الجامع). فلما كان بعد ساعة، قلت: عرضت لي حاجة لا أجترئ رفعها إليك، فظن أني طمعت في الزيادة.

فقال: لا تحتشمني، وأخبرني بما تحتاج، فإني أخاف أن أكون مأخوذا بسببك.

قلت له: كيف؟ قال: لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– آخى بين أصحابه.

فذكر حديث سعد وعبد الرحمن. فقلت له: قد جعلتك في حل من جميع ما تقول، ووهبت لك المال الذي عرضته علي، عنيت المناصفة. وذلك أنه قال: لي جوار وامرأة، وأنت عزب، فالذي يجب علي أن أناصفك لنستوي في المال وغيره، وأربح عليك في ذلك.

فقلت له: قد فعلت – رحمك الله – أكثر من ذلك إذ أنزلتني من نفسك ما لم تنزل أحدا، وحللت منك محل الولد، ثم حفظ علي حديثي الأول، وقال: ما حاجتك؟

قلت: تقضيها؟ قال: نعم، وأسر بذلك. قلت: هذه الألف، تأمر بقبوله، واصرفه في بعض ما

تحتاج إليه، فقبله، وذلك أنه ضمن لي قضاء حاجتي.

ثم جلسنا بعد ذلك بيومين لتصنيف (الجامع) ، وكتبنا منه ذلك اليوم شيئا كثيرا إلى الظهر، ثم صلينا الظهر، وأقبلنا على الكتابة من غير أن نكون أكلنا شيئا، فرآني لما كان قرب العصر شبه القلق المستوحش، فتوهم في ملالا.

وإنما كان بي الحصر غير أني لم أكن أقدر على القيام، وكنت أتلوى اهتماما بالحصر.

فدخل أبو عبد الله المنزل، وأخرج إلي كاغدة فيها ثلاث مائة درهم، وقال: أما إذ لم تقبل ثمن المنزل، فينبغي أن تصرف هذا في بعض حوائجك، فجهدني، فلم أقبل. ثم كان بعد أيام، كتبنا إلى الظهر أيضا، فناولني عشرين درهما، فقال: ينبغي أن تصرف هذه في شراء الخضر ونحو ذلك، فاشتريت بها ما كنت أعلم أنه يلائمه، وبعثت به إليه، وأتيت.

فقال لي: بيض الله وجهك، ليس فيك حيلة، فلا ينبغي لنا أن نعني أنفسنا.

فقلت له: إنك قد جمعت خير الدنيا والآخرة، فأي رجل يبر خادمه بمثل ما تبرني، إن كنت لا أعرف هذا؛ فلست أعرف أكثر منه.

سمعت عبد الله بن محمد الصارفي يقول: كنت عند أبي عبد الله في منزله، فجاءته جارية، وأرادت دخول المنزل، فعثرت على محبرة بين يديه، فقال لها: كيف تمشين؟

قالت: إذا لم يكن طريق، كيف أمشي؟ فبسط يديه، وقال لها: اذهبي فقد أعتقتك.

قال: فقيل له فيما بعد: يا أبا عبد الله، أغضبتك الجارية؟ قال: إن كانت أغضبتني فإني أرضيت نفسي بما فعلت.

وقال عبد الله بن عدي الحافظ: سمعت الحسن بن الحسين البزاز يقول: رأيت محمد بن إسماعيل شيخا نحيف الجسم، ليس بالطويل ولا بالقصير .

وقال غنجار: حدثنا أحمد بن محمد بن حسين التميمي، حدثنا أبو يعلى التميمي، سمعت جبريل بن ميكائيل بمصر يقول: سمعت البخاري يقول: لما بلغت خراسان أصبت ببعض بصري، فعلمني رجل أن أحلق رأسي، وأغلفه بالخطمي ففعلت، فرد الله علي بصري.

وقال محمد الوراق: دخل أبو عبد الله بفربر الحمام، وكنت أنا في مشلح الحمام، أتعاهد عليه ثيابه، فلما خرج ناولته ثيابه، فلبسها، ثم ناولته الخف، فقال: مسست شيئا فيه شعر النبي -صلى الله عليه وسلم-. فقلت: في أي موضع هو من الخف؟ فلم يخبرني. فتوهمت أنه في

ساقه بين الظهارة والبطانة.

ذكر قصته مع محمد بن يحيى الذهلي – رحمهما الله –

قال الحاكم أبو عبد الله: سمعت محمد بن حامد البزاز قال: سمعت الحسن بن محمد بن جابر يقول: سمعت محمد بن يحيى قال لنا لما ورد محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور: اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح فاسمعوا منه. فذهب الناس إليه، وأقبلوا على السماع منه، حتى ظهر الخلل في مجلس محمد بن يحيى، فحسده بعد ذلك، وتكلم فيه.

وقال أبو أحمد بن عدي: ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل لما ورد نيسابور اجتمع الناس عليه، حسده بعض من كان في ذلك الوقت من مشايخ نيسابور لما رأوا إقبال الناس إليه، واجتماعهم عليه، فقال لأصحاب الحديث: إن محمد بن إسماعيل يقول: اللفظ بالقرآن مخلوق، فامتحنوه في المجلس. فلما حضر الناس مجلس البخاري، قام إليه رجل، فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في اللفظ بالقرآن، مخلوق هو أم غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجبه. فقال الرجل: يا أبا عبد الله، فأعاد عليه القول، فأعرض عنه، ثم قال في الثالثة، فالتفت إليه البخاري، وقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة. فشغب الرجل، وشغب الناس، وتفرقوا عنه، وقعد البخاري في منزله.

أنبأنا المسلم بن محمد القيسي وغيره قالوا: أخبرنا زيد بن الحسن، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا أحمد بن علي الخطيب، أخبرنا أحمد بن محمد بن غالب أبو بكر البرقاني، أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن سيار، حدثني محمد بن مسلم خشنام قال: سئل محمد بن إسماعيل بنيسابور عن اللفظ، فقال: حدثني عبيد الله بن سعيد –يعني: أبا قدامة– عن يحيى بن سعيد هو القطان قال: أعمال العباد كلها مخلوقة. فمرقوا عليه، وقالوا له بعد ذلك: ترجع عن هذا القول، حتى نعود إليك؟ قال: لا أفعل إلا أن تجيئوا بحجة فيما تقولون أقوى من حجتي، وأعجبني من محمد بن إسماعيل ثباته .

وقال الحاكم: حدثنا أبو بكر محمد بن أبي الهيثم المطوعي ببخارى، حدثنا محمد بن يوسف الفربري، سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أما أفعال العباد فمخلوقة.

فقد حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا مروان بن معاوية، حدثنا أبو مالك، عن ربعي، عن حذيفة قال: قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (إن الله يصنع كل صانع وصنعته) .

وبه قال: وسمعت عبيد الله بن سعيد يقول: سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة . قال البخاري: حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة. فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف، المسطور المكتوب الموعى في القلوب، فهو كلام الله ليس بمخلوق. قال الله تعالى: {بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم}.[1]

وقال أبو حامد الأعمشي: رأيت محمد بن إسماعيل في جنازة أبي عثمان سعيد بن مروان، ومحمد بن يحيى يسأله عن الأسامي والكنى وعلل الحديث، ويمر فيه محمد بن إسماعيل مثل السهم. فما أتى على هذا شهر حتى قال محمد بن يحيى: ألا من يختلف إلى مجلسه فلا يختلف إلينا، فإنهم كتبوا إلينا من بغداد أنه تكلم في اللفظ، ونهيناه، فلم ينته، فلا تقربوه، ومن يقربه فلا يقربنا، فأقام محمد بن إسماعيل ها هنا مدة، ثم خرج إلى بخارى.

وقال أبو حامد بن الشرقي: سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق من جميع جهاته، وحيث تصرف، فمن لزم هذا استغنى عن اللفظ وعما سواه من الكلام في القرآن، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر، وخرج عن الإيمان، وبانت منه امرأته، يستتاب، فإن تاب، وإلا ضربت عنقه، وجعل ماله فيئا بين المسلمين ولم يدفن في مقابرهم، ومن وقف، فقال: لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق، فقد ضاهى الكفر، ومن زعم أن لفظي بالقرآن مخلوق، فهذا مبتدع، لا يجالس ولا يكلم ومن ذهب بعد هذا إلى محمد بن إسماعيل البخاري فاتهموه، فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مثل مذهبه.

وقال الحاكم: أخبرنا محمد بن أبي الهيثم ببخارى، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري، قال: نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رأيت أحدا أضل في كفرهم من الجهمية، وإني لأستجهل من لا يكفرهم.

وقال غنجار: حدثنا محمد بن أحمد بن حاضر العبسي، حدثنا الفربري، سمعت البخاري يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق فهو كافر.

وقال الحاكم: حدثنا طاهر بن محمد الوراق، سمعت محمد بن شاذل يقول: لما وقع بين محمد

---

[1] [العنكبوت:49].

بن يحيى والبخاري، دخلت على البخاري، فقلت: يا أبا عبد الله، أيش الحيلة لنا فيما بينك وبين محمد بن يحيى، كل من يختلف إليك يطرد؟

فقال: كم يعتري محمد بن يحيى الحسد في العلم، والعلم رزق الله يعطيه من يشاء.

فقلت: هذه المسألة التي تحكى عنك؟ قال: يا بني، هذه مسألة مشؤومة، رأيت أحمد بن حنبل، وما ناله في هذه المسألة، وجعلت على نفسي أن لا أتكلم فيها.

قلت: المسألة هي أن اللفظ مخلوق، سئل عنها البخاري، فوقف فيها، فلما وقف واحتج بأن أفعالنا مخلوقة، واستدل لذلك، فهم منه الذهلي أنه يوجه مسألة اللفظ، فتكلم فيه، وأخذه بلازم قوله هو وغيره .

وقد قال البخاري في الحكاية التي رواها غنجار في (تاريخه) حدثنا خلف بن محمد بن إسماعيل، سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر النيسابوري الخفاف ببخارى يقول: كنا يوما عند أبي إسحاق القيسي، ومعنا محمد بن نصر المروزي، فجرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري، فقال محمد بن نصر: سمعته يقول: من زعم أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب، فإني لم أقله. فقلت له: يا أبا عبد الله قد خاض الناس في هذا وأكثروا فيه.

فقال: ليس إلا ما أقول. قال أبو عمرو الخفاف: فأتيت البخاري، فناظرته في شيء من الأحاديث حتى طابت نفسه فقلت: يا أبا عبد الله، ها هنا أحد يحكي عنك أنك قلت هذه المقالة. فقال: يا أبا عمرو، احفظ ما أقول لك: من زعم من أهل نيسابور وقومس والري وهمذان وحلوان وبغداد والكوفة والبصرة ومكة والمدينة أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب، فإني لم أقله إلا أني قلت: أفعال العباد مخلوقة.

وقال أبو سعيد حاتم بن أحمد الكندي: سمعت مسلم بن الحجاج يقول: لما قدم محمد بن إسماعيل نيسابور ما رأيت واليا ولا عالما فعل به أهل نيسابور ما فعلوا به، استقبلوه مرحلتين وثلاثة. فقال محمد بن يحيى في مجلسه: من أراد أن يستقبل محمد بن إسماعيل غدا فليستقبله.

فاستقبله محمد بن يحيى وعامة العلماء، فنزل دار البخاريين، فقال لنا محمد بن يحيى: لا تسألوه عن شيء من الكلام، فإنه إن أجاب بخلاف ما نحن فيه، وقع بيننا وبينه، ثم شمت بنا كل حروري، وكل رافضي، وكل جهمي، وكل مرجئ بخراسان.

قال: فازدحم الناس على محمد بن إسماعيل، حتى امتلأ السطح والدار، فلما كان اليوم الثاني

أو الثالث، قام إليه رجل، فسأله عن اللفظ بالقرآن. فقال: أفعالنا مخلوقة، وألفاظنا من أفعالنا. فوقع بينهم اختلاف، فقال بعض الناس: قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وقال بعضهم: لم يقل، حتى تواثبوا، فاجتمع أهل الدار وأخرجوهم.

وقال الحاكم: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن الأخرم، سمعت ابن علي المخلدي، سمعت محمد بن يحيى يقول: قد أظهر هذا البخاري قول اللفظية، واللفظية عندي شر من الجهمية. وقال: سمعت محمد بن صالح بن هانئ: سمعت أحمد بن سلمة يقول: دخلت على البخاري، فقلت: يا أبا عبد الله، هذا رجل مقبول بخراسان خصوصا في هذه المدينة، وقد لج في هذا الحديث حتى لا يقدر أحد منا أن يكلمه فيه، فما ترى؟

فقبض على لحيته، ثم قال: ﴿وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد﴾ [1]اللهم إنك تعلم أني لم أرد المقام بنيسابور أشرا ولا بطرا، ولا طلبا للرئاسة، وإنما أبت علي نفسي في الرجوع إلى وطني لغلبة المخالفين، وقد قصدني هذا الرجل حسدا لما آتاني الله لا غير.

ثم قال لي: يا أحمد، إني خارج غدا لتتخلصوا من حديثه لأجلي. قال: فأخبرت جماعة أصحابنا، فوالله ما شيعه غيري، كنت معه حين خرج من البلد، وأقام على باب البلد ثلاثة أيام لإصلاح أمره. قال: وسمعت محمد بن يعقوب الحافظ يقول: لما استوطن البخاري نيسابور أكثر مسلم بن الحجاج الاختلاف إليه. فلما وقع بين الذهلي وبين البخاري ما وقع في مسألة اللفظ، ونادى عليه، ومنع الناس عنه، انقطع عنه أكثر الناس غير مسلم.

فقال الذهلي يوما: ألا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا، فأخذ مسلم رداءه فوق عمامته، وقام على رؤوس الناس، وبعث إلى الذهلي ما كتب عنه على ظهر جمال، وكان مسلم يظهر القول باللفظ ولا يكتمه . قال: وسمعت محمد بن يوسف المؤذن، سمعت أبا حامد بن الشرقي يقول: حضرت مجلس محمد بن يحيى الذهلي، فقال: ألا من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فلا يحضر مجلسنا، فقام مسلم بن الحجاج من المجلس، رواها أحمد بن منصور الشيرازي عن محمد بن يعقوب، فزاد: وتبعه أحمد بن سلمة.

قال أحمد بن منصور الشيرازي: سمعت محمد بن يعقوب الأخرم، سمعت أصحابنا يقولون: لما

---

[1] [غافر: 44]

قام مسلم وأحمد بن سلمة من مجلس الذهلي، قال الذهلي: لا يساكنني هذا الرجل في البلد. فخشي البخاري وسافر. وقال محمد بن أبي حاتم: أتى رجل عبد الله البخاري، فقال: يا أبا عبد الله، إن فلانا يكفرك! فقال: قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء به أحدهما)، وكان كثير من أصحابه يقولون له: إن بعض الناس يقع فيك، فيقول: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾[1] ويتلو أيضا: ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾[2]. فقال له عبد المجيد بن إبراهيم: كيف لا تدعو الله على هؤلاء الذين يظلمونك ويتناولونك ويبهتونك؟ فقال: قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (اصبروا حتى تلقوني على الحوض)، وقال: – صلى الله عليه وسلم –: (من دعا على ظالمه، فقد انتصر).

قال محمد بن أبي حاتم: وسمعته يقول: لم يكن يتعرض لنا قط أحد من أفناء الناس إلا رمي بقارعة، ولم يسلم، وكلما حدث الجهال أنفسهم أن يمكروا بنا رأيت من ليلتي في المنام نارا توقد ثم تطفأ من غير أن ينتفع بها، فأتأول قوله تعالى: ﴿كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله﴾[3]. وكان هجيراه من الليل إذا أتيته في آخر مقدمه من العراق: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾[4]

وقال أحمد بن منصور الشيرازي: سمعت القاسم بن القاسم يقول: سمعت إبراهيم وراق أحمد بن سيار يقول لما قدم البخاري مرو استقبله أحمد بن سيار فيمن استقبله، فقال له أحمد: يا أبا عبد الله، نحن لا نخالفك فيما تقول، ولكن العامة لا تحمل ذا منك.

فقال البخاري: إني أخشى النار، أسأل عن شيء أعلمه حقا أن أقول غيره، فانصرف عنه أحمد بن سيار.

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم في (الجرح والتعديل) : قدم محمد بن إسماعيل الري سنة خمسين ومائتين، وسمع منه أبي وأبو زرعة، وتركا حديثه عندما كتب إليهما محمد بن يحيي أنه أظهر عندهم بنيسابور أن لفظه بالقرآن مخلوق . قلت: إن تركا حديثه، أو لم يتركاه، البخاري

---

[1] [النساء 76]

[2] [فاطر: 43]

[3] [المائدة: 64].

[4] [آل عمران:160]

ثقة مأمون محتج به في العالم.

ذكر محنته مع أمير بخارى .

روى أحمد بن منصور الشيرازي قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: لما قدم أبو عبد الله بخارى نصب له القباب على فرسخ من البلد، واستقبله عامة أهل البلد حتى لم يبق مذكور إلا استقبله، ونثر عليه الدنانير والدراهم والسكر الكثير، فبقي أياما.

قال: فكتب بعد ذلك محمد بن يحيى الذهلي إلى خالد بن أحمد أمير بخارى: إن هذا الرجل قد أظهر خلاف السنة، فقرأ كتابه على أهل بخارى، فقالوا: لا نفارقه، فأمره الأمير بالخروج من البلد، فخرج .

قال أحمد بن منصور: فحكى لي بعض أصحابنا عن إبراهيم بن معقل النسفي قال: رأيت محمد بن إسماعيل في اليوم الذي أخرج فيه من بخارى، فتقدمت إليه، فقلت: يا أبا عبد الله، كيف ترى هذا اليوم من اليوم الذي نثر عليك فيه ما نثر؟ فقال: لا أبالي إذا سلم ديني.

قال: فخرج إلى بيكند، فسار الناس معه حزبين: حزب معه، وحزب عليه، إلى أن كتب إليه أهل سمرقند، فسألوه أن يقدم عليهم، فقدم إلى أن وصل بعض قرى سمرقند، فوقع بين أهل سمرقند فتنة من سببه، قوم يريدون إدخاله البلد، وقوم لا يريدون ذلك، إلى أن اتفقوا على أن يدخل إليهم، فاتصل به الخبر وما وقع بينهم بسببه، فخرج يريد أن يركب.

فلما استوى على دابته، قال: اللهم خر لي، ثلاثا، فسقط ميتا، فاتصل بأهل سمرقند، فحضروه بأجمعهم. هذه حكاية شاذة منقطعة، والصحيح ما يأتي خلافها.

قال غنجار في (تاريخه) : سمعت أبا عمرو أحمد بن محمد المقرئ، سمعت بكر بن منير بن خليد بن عسكر يقول: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل أن احمل إلي كتاب (الجامع) و (التاريخ) وغيرهما لأسمع منك، فقال لرسوله: أنا لا أذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة، فاحضر في مسجدي، أو في داري، وإن لم يعجبك هذا فإنك سلطان، فامنعني من المجلس، ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، لأني لا أكتم العلم لقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار) فكان سبب الوحشة بينهما هذا.

وقال الحاكم: سمعت محمد بن العباس الضبي يقول: سمعت أبا بكر بن أبي عمرو الحافظ

البخاري يقول: كان سبب منافرة أبي عبد الله أن خالد بن أحمد الذهلي الأمير خليفة الطاهرية ببخارى سأل أن يحضر منزله، فيقرأ (الجامع) و (التاريخ) على أولاده، فامتنع عن الحضور عنده، فراسله بأن يعقد مجلسا لأولاده، لا يحضره غيرهم، فامتنع، وقال: لا أخص أحدا. فاستعان الأمير بحريث بن أبي الورقاء وغيره، حتى تكلموا في مذهبه، ونفاه عن البلد، فدعا عليهم، فلم يأت إلا شهر حتى ورد أمر الطاهرية، بأن ينادى على خالد في البلد، فنودي عليه على أتان. وأما حريث، فإنه ابتلي بأهله، فرأى فيها ما يجل عن الوصف.

وأما فلان، فابتلي بأولاده، وأراه الله فيهم البلايا .

وقال الحاكم: حدثنا خلف بن محمد، حدثنا سهل بن شاذويه قال: كان محمد بن إسماعيل يسكن سكة الدهقان، وكان جماعة يختلفون إليه، يظهرون شعار أهل الحديث من إفراد الإقامة، ورفع الأيدي في الصلاة وغير ذلك.

فقال حريث بن أبي الورقاء وغيره: هذا رجل مشغب، وهو يفسد علينا هذه المدينة، وقد أخرجه محمد بن يحيى من نيسابور، وهو إمام أهل الحديث، فاحتجوا عليه بابن يحيى، واستعانوا عليه بالسلطان في نفيه من البلد، فأخرج. وكان محمد بن إسماعيل ورعا، يتجنب السلطان ولا يدخل عليهم.

قال الحاكم: سمعت أحمد بن محمد بن واصل البيكندي، سمعت أبي يقول: من الله علينا بخروج أبي عبد الله، ومقامه عندنا، حتى سمعنا منه هذه الكتب، وإلا من كان يصل إليه وبمقامه في هذه النواحي: فربر وبيكند بقيت هذه الآثار فيها، وتخرج الناس به.

قلت: خالد بن أحمد الأمير، قال الحاكم: له ببخارى آثار محمودة كلها، إلا موجدته على البخاري، فإنها زلة، وسبب لزوال ملكه. سمع: إسحاق بن راهويه، وعبيد الله بن عمر القواريري، وطائفة. حدثنا عنه بهمذان: عبد الرحمن الجلاب، وبمرو: علي بن محمد الأزرق، وكان قد مال إلى يعقوب بن الليث، فلما حج حبسوه ببغداد حتى مات لسنته، وهي سنة تسع وستين ومائتين.

ذكر وفاته:

قال ابن عدي: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد بن إسماعيل إلى خرتنك – قرية على فرسخين من سمرقند – وكان له بها أقرباء، فنزل عندهم، فسمعته ليلة

يدعو وقد فرغ من صلاة الليل: اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك، فما تم الشهر حتى مات، وقبره بخرتنك .

وقال محمد بن أبي حاتم، سمعت أبا منصور غالب بن جبريل، وهو الذي نزل عليه أبو عبد الله يقول: إنه أقام عندنا أياما، فمرض، واشتد به المرض، حتى وجه رسولا إلى مدينة سمرقند في إخراج محمد، فلما وافى تهيأ للركوب، فلبس خفيه، وتعمم، فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها وأنا آخذ بعضده ورجل أخذ معي يقوده إلى الدابة ليركبها، فقال -رحمه الله-: أرسلوني، فقد ضعفت، فدعا بدعوات، ثم اضطجع، فقضى -رحمه الله- فسال منه العرق شيء لا يوصف، فما سكن منه العرق إلى أن أدرجناه في ثيابه.

وكان فيما قال لنا وأوصى إلينا: أن كفنوني في ثلاثة أثواب بيض، ليس فيها قميص ولا عمامة، ففعلنا ذلك. فلما دفناه فاح من تراب قبره رائحة غالية أطيب من المسك، فدام ذلك أياما، ثم علت سواري بيض في السماء مستطيلة بحذاء قبره، فجعل الناس يختلفون ويتعجبون، وأما التراب فإنهم كانوا يرفعون عن القبر حتى ظهر القبر، ولم نكن نقدر على حفظ القبر بالحراس، وغلبنا على أنفسنا، فنصبنا على القبر خشبا مشبكا، لم يكن أحد يقدر على الوصول إلى القبر، فكانوا يرفعون ما حول القبر من التراب، ولم يكونوا يخلصون إلى القبر، وأما ريح الطيب فإنه تداوم أياما كثيرة حتى تحدث أهل البلدة، وتعجبوا من ذلك، وظهر عند مخالفيه أمره بعد وفاته، وخرج بعض مخالفيه إلى قبره، وأظهروا التوبة والندامة مما كانوا شرعوا فيه من مذموم المذهب .

قال محمد بن أبي حاتم: ولم يعش أبو منصور غالب بن جبريل بعده إلا القليل، وأوصى أن يدفن إلى جنبه. وقال محمد بن محمد بن مكي الجرجاني: سمعت عبد الواحد بن آدم الطواويسي يقول: رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- في النوم، ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع، فسلمت عليه، فرد علي السلام. فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ قال: أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري، فلما كان بعد أيام بلغني موته، فنظرت، فإذا قد مات في الساعة التي رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- فيها.

وقال خلف بن محمد الخيام: سمعت مهيب بن سليم الكرميني يقول: مات عندنا البخاري ليلة عيد الفطر، سنة ست وخمسين، وقد بلغ اثنتين وستين سنة، وكان في بيت وحده،

فوجدناه لما أصبح وهو ميت.

وقال ابن عدي: سمعت الحسن بن الحسين البزاز البخاري يقول: توفي البخاري ليلة السبت، ليلة الفطر، عند صلاة العشاء، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر، سنة ست وخمسين ومائتين، وعاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا ذر يقول: رأيت محمد بن حاتم الخلقاني في المنام، وكان من أصحاب محمد بن حفص، فسألته وأنا أعرف أنه ميت عن شيخي -رحمه الله- هل رأيته؟ قال: نعم، رأيته، وهو ذاك، يشير إلى ناحية سطح من سطوح المنزل.

ثم سألته عن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل. فقال: رأيته، وأشار إلى السماء إشارة كاد أن يسقط منها لعلو ما يشير.

وقال أبو علي الغساني: أخبرنا أبو الفتح نصر بن الحسن السكتي السمرقندي، قدم علينا بلنسية عام أربعين وستين وأربع مائة، قال: قحط المطر عندنا بسمرقند في بعض الأعوام، فاستسقى الناس مرارا، فلم يسقوا، فأتى رجل صالح معروف بالصلاح إلى قاضي سمرقند فقال له: إني رأيت رأيا أعرضه عليك. قال: وما هو؟ قال: أرى أن تخرج ويخرج الناس معك إلى قبر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، وقبره بخرتنك، ونستسقي عنده، فعسى الله أن يسقينا.

قال: فقال القاضي: نعم ما رأيت. فخرج القاضي والناس معه، واستسقى القاضي بالناس، وبكى الناس عند القبر، وتشفعوا بصاحبه، فأرسل الله -تعالى- السماء بماء عظيم غزير أقام الناس من أجله بخرتنك سبعة أيام أو نحوها، لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند من كثرة المطر وغزارته، وبين خرتنك وسمرقند نحو ثلاثة أميال.

وقال الخطيب في (تاريخه) : أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي الحرشي بنيسابور قال: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الفقيه البلخي (ح) ، قال الخطيب: سمعت أحمد بن عبد الله الصفار البلخي يقول: سمعت أبا إسحاق المستملي يروي عن: محمد بن يوسف الفربري أنه كان يقول: سمع كتاب (الصحيح) لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يرويه غيري .

ذكر الصحابة الذين أخرج لهم البخاري ولم يرو عنهم سوى واحد:

مرداس الأسلمي؛ عنه قيس بن أبي حازم، حزن المخزومي؛ تفرد عنه ابنه أبو سعيد المسيب

بن حزن، زاهر بن الأسود؛ عنه ابنه مجزأة، عبد الله بن هشام بن زهرة القرشي؛ عنه حفيده زهرة بن معبد، عمرو بن تغلب؛ عنه الحسن البصري، عبد الله بن ثعلبة بن صعير؛ روى عنه الزهري قوله، سنين أبو جميلة السلمي؛ عنه الزهري، أبو سعيد بن المعلى؛ تفرد عنه حفص بن عاصم، سويد بن النعمان الأنصاري شجري؛ تفرد بالحديث عنه بشير بن يسار، خولة بنت ثامر؛ عنها النعمان بن أبي عياش، فجملتهم عشرة.

فصل:

(تاريخ) البخاري، يشتمل على نحو من أربعين ألفا وزيادة، وكتابه في (الضعفاء) دون السبع مائة نفس، ومن خرج لهم في (صحيحه) دون الألفين.

قال ذلك أبو بكر الحازمي، ف (صحيحه) مختصر جدا . وقد نقل الإسماعيلي عمن حكى عن البخاري، قال: لم أخرج في الكتاب إلا صحيحا. قال: وما تركت من الصحيح أكثر.

لبعضهم:

(صحيح البخاري) لو أنصفوه ... لما خط إلا بماء الذهب
هو الفرق بين الهدى والعمى ... هو السد بين الفتى والعطب
أسانيد مثل نجوم السماء ... أمام متون كمثل الشهب
به قام ميزان دين الرسول ... ودان به العجم بعد العرب
حجاب من النار لا شك فيه ... تميز بين الرضى والغضب
وستر رقيق إلى المصطفى ... ونص مبين لكشف الريب
فيا عالما أجمع العالمون ... على فضل رتبته في الرتب
سبقت الأئمة فيما جمعت ... وفزت على رغمهم بالقصب
نفيت الضعيف من الناقلين ... ومن كان متهما بالكذب
وأبرزت في حسن ترتيبه ... وتبويبه عجبا للعجب
فأعطاك مولاك ما تشتهيه ... وأجزل حظك فيما وهب

47- تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال[1]

الذهبي (المتوفى: 748هـ)

قال رحمه الله: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَذْدِزْبَة، وقيل: بَرْدِزْبَة، وقيل: ابن المغيرة بن الأحنف الجعفي مولاهم، أبو عبد الله البخاري، الحافظ أمير المؤمنين في الحديث كتب بخراسان والجبال والعراق والحجاز والشام ومصر.

عن: مكي بن إبراهيم، وأبي عاصم، وعبيد الله بن موسى، والأنصاري، وأبي نعيم، وأبي عبد الرحمن المقرئ، والفريابي، وأبي المغيرة الخولاني، وأحمد بن خالد الوهبي، وطبقتهم، ثم عن: عفان، وأبي اليمان، وآدم بن أبي إياس، وسعيد بن أبي مريم، ويحيى بن صالح الوحاظي، وعبدان، وعلي بن الحسن بن شقيق، ومسلم بن إبراهيم، وطبقتهم، ثم عن: علي بن المديني، وأحمد، وابن معين، وإسحاق، وأحمد بن صالح، وهشام بن عمار، وطبقتهم

ثم عن: بندار، ومحمد بن يحيى الذهلي، ومحمد بن عبد الله المخرمي، وطبقتهم ثم عن أقرانه وأصغر منه، حتى كتب عن أزيد من ألف شيخ.

وعنه: (ت)، والنسائي -فيما قيل- ومسلم خارج الصحيح، وإبراهيم الحربي، وأبو زرعة، ومحمد بن نصر المروزي، وصالح بن محمد جزرة، ومطين، وابن خزيمة، وعمر البجيري، وابن صاعد، وإبراهيم بن معقل النسفي، وأحمد بن حمدون الأعمشي، ومهيب بن سليم، وسهل بن شاذويه ومحمود بن عنبر، ومحمد بن هارون الروياني، ومحمد بن المسيب الأرغياني، ومحمد بن يوسف الفربري، وأبو حامد بن الشرقي، ومحمد بن سليمان بن فارس، وعبد الله بن محمد الأشقر، والحسين المحاملي، وجعفر بن محمد بن الحسن بن عبد العزيز الجروي، ومحمد بن أحمد بن دلويه.

قلت: وآخر من روى عنه صحيحه: منصور بن محمد البزدوي، وآخر

---

[1] تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال 8/32-41

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر- الطبعة الأولى، 1425 هـ - 2004 م

من زعم أنه سمع منه أبو طهير عبد الله بن فارس البلخي المتوفى سنة ست وأربعين وثلاثمائة. وممن روى عنه: أحمد بن محمد بن الجليل -بالجيم- البخاري، وحاتم بن خجيم الأفراني، وشريح بن شرغة النسفي الزاهد، وعبد الرحمن بن رسائن البخاري، وغفير بن جرير النسفي الحداد، ذكرت هؤلاء لغرابتهم. قال (س) في الصيام: ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا حفص بن عمر بن الحارث عن حماد حديث "ما لعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ... " هكذا رواه حمزة الكناني والحسن بن الخضر الأسيوطي وابن حيويه النيسابوري عن النسائي وفي أصل الصوري بخطه عن ابن النحاس عن حمزة الكناني عن النسائي ثنا محمد بن إسماعيل وهو أبو بكر الطبراني، وقال ابن السني وحده: عن النسائي ثنا محمد بن إسماعيل البخاري.

قال المزي: ولم نجد للنسائي عنه غير ذا إن كان ابن السني حفظه، وما نسبه من عنده معتقدًا أنه البخاري، وقد روى النسائي الكثير عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم وهو ابن علية، وروى في كتاب "الكنى" له عن عبد الله بن أحمد الخفاف عن البخاري عدة أحاديث، فهذه قرينة في أنه لَمْ يلق البخاري، والله أعلم. قال ابن عدي: سمعت محمد بن أحمد بن سعدان البخاري يقول: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مغيرة بن بذدزبة البخاري، وبذدزبة مجوسي مات عليها وأسلم مغيرة ولده على يدي يمان البخاري والي بخارا، وهو جعفي فنسب إليه. وقال بكر بن منير: بردزبة هو بالبخارية يعني: الزارع.

وقال الحسن بن الحسين البزار ببخارا: رأيت البخاري ببخارا شيخًا نحيفًا ليس بالطويل، ولد في ثالث عشر شوال سنة أربع وتسعين ومائة يوم الجمعة بعد الصلاة.

وقال محمد ابن أبي حاتم النحوي وراق البخاري: قلت لأبي عبد الله: كيف كان بدء أمرك؟ قال: ألهمت حفظ الحديث في الكُتّاب ولي عشر سنين أو أقلّ، ثم خرجت من الكُتّاب بعد العشر فجعلت اختلف إلى الداخلي وغيره، وقال يومًا: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم فقلت له: يا أبا فلان، إن أبا الزبير لَمْ يرو عن إبراهيم! فانتهرني، فقلت" ارجع إلى الأصل. فدخل ونظر ثم خرج فقال: يا غلام، كيف هو؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم فأُخذ القلم مني وأحكم كتابه، وقال: صدقت. فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت يومئذ؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة فرجع أخي وتخلفت بها

أطلب، فلما طعنت في ثماني عشرة سنة جعلت أصنف فضائل الصحابة والتابعين، وذلك في أيام عبيد الله بن موسى فصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الليالي المقمرة، وقل اسم في التاريخ إلَّا وله عندي قصة، إلَّا أني كرهت تطويل الكتاب. وقال: صنفته ثلاث مرات فأخذه إسحاق بن راهويه فأدخله على ابن طاهر، فقال: أيها الأمير، ألا أريك سحرًا؟ فنظر فيه فتعجب منه وقال: لست أفهم تصنيفه. قال ابن عقدة ت لو كتب الرجل ثلاثين ألف حديث لا استغنى عن تاريخ البخاري. وروي أن البخاري كان حاضرًا في مجلس إسحاق بن راهويه، فسأله عن عطاء الكيخاراني فقال: كيخاران قرية باليمن كان معاوية قد بعث بهذا الصحابي إلى اليمن، فسمع منه عطاالله حديثين. فقال: يا أبا عبد الله، كأنك قد شهدت القوم. وقال إبراهيم بن معقل: سمعت البخاري يقول: كنت عند إسحاق فقال لنا بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابًا مختصرًا لسنن النَّبِيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب - يعني: الجامع. وعن البخاري قال: أخرجت هذا الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث، وقال البخاري: ما أدخلت في الجامع إلَّا ما صح وترك من الصحاح لحال الطول. قال النسائي: ما لحي هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل.

وقال الكُشْمِيهني: سمعت الفربري يقول: قال البخاري: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثًا إلَّا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين. وقال ابن عدي: سمعت عبد القدوس بن همام يقول: سمعت عدة من المشايخ تقول: حول محمد بن إسماعيل تراجم جامعه بين قبر النَّبِيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين. قال أبو إسحاق المستملي: سمعت أحمد بن عبد الله البلخي الصفار يروي عن ص الفربري أنه كان يقول: سمع الصحيح لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل؛ فما بقي أحد يروي عنه غيري. وقال الفربري: سمعت نجم ابن الفضيل وكان من أهل الفهم يقول: رأيت النَّبِيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في المنام ومحمد بن إسماعيل خلفه، فكان النَّبِيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذا خطأ خطوة يخطو محمد، ويضع قدمه على خطوة النَّبِيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ويتبع أثره. وقال الفربري: رأيت النَّبِيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في النوم فقال: أين تريد؟ قلت: أريد محمد بن إسماعيل البخاري، قال: أقرئه مني السلام. وعن بعضهم قال: ذهبت عينا البخاري في صغره فرأت أمه إبراهيم

عليه السلام فقال: يا هذه، قد رد الله على ابنك بصره، لكثرة بكائك أو دعائك، فأصبح وقد رد الله عليه بصره. وقال جعفر بن محمد القطان – إمام جامع كرمينية –: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: كتبت عن ألف شيخ، وأكثر ما عندي حديث إلَّا أذكر إسناده.
وعن البخاري قال: رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر.، قال مُسَبِّح ابن سعيد: كان البخاري يصلي بأصحابه في رمضان، ويقرأ في كُلّ ركعة عشرين آية إلى أن يختم القرآن، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختم عند السحر كلّ ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار كلّ يوم ختمة يختم عند الإفطار، ويقول: عند كلّ ختم دعوة مستجابة. وقال بكر بن منير: سمعت البخاري يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدًا.
وقال: كان البخاري يصلي ذات يوم فلسعه الزنبور سبع عشرة مرّة، فلما قضى صلاته قال: انظروا أيش هذا الذي آذاني في صلاتي، فنظروا فإذا هو زنبور، ولم يقطع صلاته. رواها أحمد بن محمد بن عمر المقرئ عن بكر. وقال الفربري: ثنا محمد بن أبي حازم قال دُعي محمد بن إسماعيل إلى بستات فصلى الظهر بالقوم ثم قام يتطوع فأطال القيام، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه، وقال لبعضهم: انظر هل ترى شيئًا؟ ! فإذا زنبور قد أبره في ستة عشر موضعًا وقد تورم، فقيل له: كيف لَمْ تخرج من الصلاة من الأول؟! قال: كنت في سورة فأحببت أن أتمها. وكان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد في القيظ أحيانًا، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرّة إلى عشرين، في كلّ ذلك يأخذ القداحة فيوري نارًا ويسرج، ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها ثم يضع رأسه، وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة، فقلت له: إنك تحمل على نفسك كلّ هذا ولا توقظني؟ قال: أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك. ورأيته استلقى على قفاه يوما ونحن بفربر في تصنيف كتاب التفسير، وكان قدْ أتعب نفسه في ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث فقلت له: يا أبا عبد الله، سمعتك تقول يومًا: إني ما أتيت شيئًا بغير علم قط منذ عقلت، قلت: وأي علم في هذا الاستلقاء؟ قال: أتعبنا أنفسنا في هذا اليوم، وهذا ثغر من الثغور، خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو، فأحببت أن أستريح وآخذ أهبة ذلك، فإن غَافَصْنا العدو كان بنا حراك.
وقال أحمد بن المنهال العابد: ثنا أبو بكر الأعين قال: كتبنا عن محمد بن إسماعيل على باب

محمد بن يوسف الفريابي، وما في وجهه شعرة. وقال حاشد ابن إسماعيل: كنت بالبصرة فسمعت بقدوم محمد بن إسماعيل، فلما قدم قال محيد بن بشار: دخل اليوم سيد الفقهاء.

وقال أبو قريش الحافظ: سمعت بندار يقول: حفاظ الدنيا أربعة أبو زرعة ومسلم والدارمي ومحمد بن إسماعيل البخاري. وقال محمد بن إبراهيم البوشنجي: "سمحت بندارًا يقول سنة ثمان وعشرين ومائتين: ما قدم علينا مثل محمد بن إسماعيل. وقال محمد بن أبي حازم: سمعت البخاري يقول: لما دخلت البصرة صرت إلى مجلس محمد ابن بشار، فلما خرج وقع بصره علي فقال: من أين الفتى؟ قلت: من أهل بخارا، قال: كيف تركت أبا عبد الله؟ فقال له أصحابه: هو أبو عبد الله! فقام وعانقني وقال: مرحبًا بمن أفتخر به منذ سنين.

وقال يوسف بن ريحان: سمعت البخاري يقول: كان علي بن المديني يسألني عن شيوخ خراسان، فكنت أذكر له محمد بن سلام، فلا يعرفه إلى أن قال لي يومًا يا أبا عبد الله، كلّ من أثنيت عليه فهو عندنا الرضا. قال الفربري: سمعت البخاري يقول: ما استصغرت نفسي عند أحد إلَّا عند علي بن المديني، وربما كنت أغرب عليه. وقال إسحاق بن أحمد بن خلف الحافظ: سمعت البخاري غير مرّة قال: ما تصاغرت نفسي عند أحد إلَّا عند علي بن المديني، ما سمعت الحديث من في إنسان أشهى عندي أن أسمعه من فِيّ علي. قال إسحاق: فحدثني حامد بن أحمد قال: ذُكر لعلي بن المديني قول محمد بن إسماعيل فقال: ذروا قوله؛ هو ما رأى مثل نفسه. وقال فتح بن نوح النيسابوري: أتيت علي بن المديني فرأيت محمد بن إسماعيل جالسًا عن يمينه، فكان إذا حدث التفت إليه كأنه يهابه.

وقال محمد بن أبي حاتم: قال محمد بن إسماعيل ذاكرني أصحاب الفلاس بحديث فلم أعرفه ففرحوا وأخبروا الفلاس، فقال: حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث. وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت حاشد بن عبد الله يقول: قال لي أبو مصعب: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر من ابن حنبل، فقال رجل من جلسائه: جاوزت الحد! فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكًا ونظرت إليه وإلى محمد بن إسماعيل لقلت: كلاهما واحد في الفقه والحديث.

وقال عامر بن المنتجع: ثنا أحمد بن الضوء سمعت أبا بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير يقولان: ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل وقال محمد ابن أبي حاتم: سمعت محمود بن النَّضر الشافعي يقول: دخلت العراق والحجاز والشام ورأيت علماءها، فكلما جرى ذكر محمد بن

إسماعيل فضلوه على أنَّفسهم. وقال أبو علي صالح جزرة: كان محمد بن إسماعيل ببغداد، وكنت أستملي له، ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفًا. وقال خلف الخيام: سمعت محمد بن يؤسف بن عاصم يقول: رأيت لمحمد بن إسماعيل ثلاثة مستملين ببغداد، وكان اجتمع في مجلسه زيادة على عشرين ألفًا.

قال ابن عدي: سمعت عدة مشايخ يحكون أن البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا أسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد هذا، ودفعوا إلى كلّ رجل عشرة أحاديث ليلقيها على البخاري إذا جلس، وحضروا فلما. اطمأن المجلس بأهله انتدب رحل من العشرة فسأله عن حديث، فقال: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه إلى أن فرغ من عشرته، فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: الرجل فهم، ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم، ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك فقال: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه فلم يزل يلقي عليه حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه، ثم انتدب له الثالث والرابع حتى فرغوا، والبخاري لا يزيدهم على: لا أعرفه، فلما علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم، فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، وأما الثالث، والرابع على الولاء، حتى أتى على تمام العشرة فرد كلّ من إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل. قال ابن عدي: وكان ابن صاعد إذا ذكر محمد بن إسماعيل قال: الكبش النطاح.

وعن أحمد بن حنبل قال: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل البخاري.

وقال حاشد بن عبد الله: سمعت يعقوب الدورقي يقول: محمد بن إسماعيل شقيه هذه الأمة.

وعن موسى بن هارون الحافظ قال: عندي لو أن هذه الأمة اجتمعوا على أن ينسجوا مثل البخاري آخر ما قدروا عليه.

وقال عبد المؤمن بن خلف النسفي: سألت أبا علي صالح بن محمد عن محمد بن إسماعيل، وأبي زرعة، والدارمي، فقال: عن أي شيء تسأل؟ هم مختلفون في أشياء فقلت. من أعلمهم بالحديث؟ قال: محمد بن إسماعيل، وأحفظهم أبو زرعة وأكثرهم حديثًا فقلت: فالدارمي؟

قال: ليس من هؤلاء في شيء. وقال يعقوب القراب: قال صالح بن محمد: ما رأيت خراسانيًّا أفهم من البخاري.

وقال خلف الخيام: سمعت أبا بكر محمد بن حريث يقول: سمعت الفضل بن العباس الرازي – وسألته: أيهما أحفظ أبو زرعة أو البخاري؟ فقال: لَمْ أكن التقيت مع البخاري، فاستقبلني ما بين حلوان وبغداد فرجعت معه مرحلة، وجهدت الجهد على. أن أجيء بحديث لا يعرفه، فما أمكنني وأنا أغرب على أبي زرعة عدد شعره. وعن أبي حاتم الرازي قال: محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق. وعن عبدان بن عثمان قال: ما رأيت بعيني شابًّا أبصر من هذا – وأشار إلى محمد بن إسماعيل. وقال محمد بن أبي حازم: سمعت صالح بن مسمار، سمعت نعيم بن حماد يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة. قال محمد بن أبي حازم: عنه قال لي محمد ابن سلام: انظر في كتبي؛ فما وجدت فيها من خطأ فاضرب عليه، ففعلت ذلك. وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت يحيى بن جعفر يقول: لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت؛ فإن موتي يكون موت واحد، وموت محمد ابن إسماعيل ذهاب العلم. قال محمد: وسمعت سليم بن مجاهد يقول: كنت عند محمد بن سلام البيكندي، فقال لي: لو جئت قبل لرأيت صبيًّا يحفظ سبعين ألف حديث يعني: البخاري. وروي أن بعض الطلبة قال. قال إسحاق ابن راهويه: فكأني انظر إلى سبعين ألف حديث من كتابي، فقال محمد ابن إسماعيل: أو تعجب من هذا؟ لعل في هذا الزمان من ينظر إلى مائتي ألف حديث من كتابه، يعني: نفسه. وقال ابن عدي: حدثني محمد بن أحمد القومسي، سمعت محمد بن حمدويه، سمعت البخاري يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح. وقال أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ: سمعت بكر بن منير يقول: بعث الأمير خالد ابن أحمد الذهلي والي بخارا إلى محمد بن إسماعيل أن احمل إلي كتاب الجامع والتاريخ وغيرهما لأسمع منك. فقال لرسوله: أنا لا أذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب الناس؛ فإن كانت لك إلي شيء منه حاجة فاحضرني في مسجدي أو في داري، فإن لَمْ يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، لأني لا أكتم العلم! فكان سبب الوحشة بينهما هذا.

وقال محمد بن العباس الضبي: سمعت أبا بكر بن أبي عمرو الحافظ يقول: كان سبب مفارقة أبي عبد الله البخاري بخارا أن خالد بن أحمد الأمير خليفة الطاهرية ببخارا، سأل أن يحضر مجلسه منزله ليقرأ الجامع والتاريخ على أولاده فامتنع، فراسله أن يعمَد مجلسًا لأولاده لا يحضره غيرهم، فامتنع أيضًا وقال: لا يسعني أن أخص بالسماع قومًا دون قوم فاستعان عليه بحريث بن أبي الورقاء وغيره من علماء بخارا حتى يكلموه في مذهبه، ونفاه من البلد فدعا عليهم. فقال: اللهم أرهم ما قصدوني به في أنفسهم وأهاليهم. فأما خالد بن أحمد فلم يأت عليه إلّا أقلّ من شهر، حتى ورد أمر الطاهرية بأن ينادى عليه، فنودي عليه وهو على أتان، وأشخص على إكاف، وأما حريث فإنه ابتلي في أهله فرأى فيها ما يجل عن الوصف، وأما فلان فإنه ابتلي بأولاده، وأراه الله فيهم البلايا. قال ابن عدي: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد بن إسماعيل إلى خرتنك – قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها – وكان له بها أقرباء فنزل عدهم، فسمعته ليلة من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يدعو ويقول: اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت فاقبضني إليك. فما تم الشهر حتى قبضه الله، وقبره بخرتنك. مات البخاري ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين، رحمه الله.

48- العبر في خبر من غبر [1]

الذهبي (المتوفى: 748هـ)

قال رحمه الله: الإمام حبر الإسلام، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري، مولى الجعفيين صاحب التصانيف. ولد سنة أربع وتسعين ومائة، وارتحل سنة عشر ومائتين، فسمع مكي بن إبراهيم وأبا عاصم النبيل، وخلائق عدتهم ألف شيخ، وكان من أوعية العلم، يتوقد ذكاء، ولم يخلف بعده مثله رحمة الله عليه.

[1] العبر في خبر من غبر 1/367-368

49- المغني في الضعفاء[1]

الذهبي (المتوفى: 748هـ).

قال رحمه الله: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري مولى الجعفيين فحجة إمام ولا عبرة بترك أبي زرعة وأبي حاتم له من أجل اللفظ لأنه مجتهد في المسألة بل ومصيب.

50- تاريخ ابن الوردي[2]

عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن الوردي (749هـ).

قال رحمه الله: وفيها: توفي الإمام محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي صاحب الصحيح المتفق على الأخذ منه والعمل به، رحل في طلب الحديث إلى الأمصار، ومولده سنة أربع وتسعين ومائة لثلاث عشرة خلت من شوال.
قال البخاري: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب ابن عشر سنين، فلما بلغت ثماني عشرة سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: وخرجت الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث وما أدخلت فيه إلا ما صح.
وورد مرة إلى بغداد فعمد أهل الحديث إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها ووضعوا عشرة أنفس فأورد واحد بعد الآخر الأحاديث المذكورة والبخاري يقول في كل حديث منها: لا أعرفه، فلما فرغوا قال: أما الحديث الأول فهو كذا وأما الثاني فهو كذا حتى ذكرها عن آخرها على حقيقتها متونا وأسانيد.

---

[1] المغني في الضعفاء 2/557 ت: الدكتور نور الدين عتر

[2] تاريخ ابن الوردي 1/ 226 دار الكتب العلمية - الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1996م

ووقع بين البخاري وبين خالد أمير بخارى وحشة، فدس خالد من قال: البخاري يقول بخلق الأفعال للعباد وبخلق القرآن، فتبرأ البخاري من ذلك وعظم عليه فارتحل ونزل عند بعض أقاربه بقرية خرتنك على فرسخين من سمرقند فمات بها ليلة عيد الفطر منها

51- الوافي بالوفيات[1]

صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت 764هـ)

قال رحمه الله: البخاري محمد بن اسمعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه بالباء الموحدة المفتوحة، والراء الساكنة، والدال المهملة المكسورة، والزاي الساكنة، والباء الموحدة المفتوحة، والهاء. الإمام العلم أبو عبد الله الجعفي مولاهم البخاري صاحب صحيح البخاري والتصانيف، ولد في شوال سنة أربع وتسعين ومائة، وأول سماعه سنة خمس ومائتين، وحفظ تصانيف ابن المبارك، وحبب إليه العلم في الصغر وأعانه عليه الذكاء المفرط. رحل سنة عشر ومائتين بعد أن سمع الكثير ببلده من سادة وقته: محمد بن سلام البيكندي، ومحمد بن يوسف البيكندي، وعبد الله بن محمد المسندي، ومحمد بن غرير، وهرون بن الأشعث وطائفة. وسمع ببلخ: مكي بن إبراهيم، ويحي بن بشر الزاهد، وقتيبة وجماعة، وكان مكي أحد من حدثه عن ثقات التابعين. وسمع بمرو من: علي بن الحسن بن شقيق، وعبدان، ومعاذ بن أسد، وصدقة بن الفضل وجماعة. وسمع بنيسابور من: يحي ابن يحيي، وبشر بن الحكم، واسحق وعدة. وبالري من: إبراهيم بن موسى الحافظ وغيره، وببغداد من: محمد بن عيسى الطباع، وسريج بن النعمان، وعفان ومعوية بن عمرو الازدي وطائفة. وبالبصرة من: أبي عاصم النبيل، وبدل بن المحبر، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، وعبد الرحمن بن حماد الشعيثي،

---

[1] الوافي بالوفيات 2/148-150

ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. دار إحياء التراث – بيروت 1420هـ- 2000م

وعمرو ابن عاصم الكلابي، وعبد الله بن رجاء الغداني وطبقتهم. وبالكوفة من: عبد الله بن موسى، وأبي نعيم، وطلق بن غنام، والحسن بن عطية، وهما أقدم شيوخه موتا، وخلاد بن يحيى، وخالد بن مخلد، وفروة بن أبي المغراء، وقبيصة وطبقتهم. وبمكة من أبي عبد الرحمن المقرئ، والحميدي، وأحمد بن محمد الأزرق وجماعة. بالمدينة من: عبد العزيز الأويسي، ومطرف بن عبد الله، وأبي ثابت محمد بن عبيد الله وطائفة. وبواسط من: عمرو بن عون وغيره، وبمصر من: سعيد بن أبي مريم، وعبد الله ابن صالح الكاتب، وسعيد بن تليد، وعمرو بن الربيع بن طارق وطبقتهم. وبدمشق من: أبي مسهر شيئا يسيرا، ومن أبي نضر الفراديسي وجماعة. وبقيسارية من: محمد بن يوسف الفريابي، وبعسقلان من: آدم بن أبي إياس، وبحمص من: أبي المغيرة، وأبي اليمان، وعلي بن عياش، وأحمد بن خالد الوهبي، ويحيى الوحاظي. وذكر أنه سمع من ألف نفس، وقد خرج عنهم مشيخة، وحدث بها، قال الشيخ شمس الدين: ولم نرها. وحدث بالحجاز، والعراق، وخراسان، ومن وراء النهر، وكتبوا عنه وما في وجهه شعرة. وروى عنه: أبو زرعة، وأبو حاتم قديما، وروى عنه من أصحاب الكتب: الترمذي، والنسائي على نزاع في النسائي والأصح انه لم يرو عنه شيئا، وروى عنه مسلم في غير الصحيح، وجماعة كبار، وآخر من روى عنه الجامع الصحيح منصور بن محمد البزدوى. وجامعه أجل كتب الإسلام في الحديث وأفضلها بعد كتاب الله تعالى، وهو أعلى شيء في وقتنا اسنادا للناس، قال الشيخ شمس الدين: ومن ثلثين سنة يفرحون الناس بعلو سنده فكيف اليوم؟ ولو رحل الإنسان لسماعه من ألف فرسخ لما ضاعت رحلته. وقال أحمد ابن الفضل البلخي: ذهبت عينا محمد في صغره فرأت أمه إبراهيم عليه السلام في المنام، فقال لها: يا هذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة بكائك أو دعائك فأصبح وقد رد الله عليه بصره. وعن جبريل بن ميكائيل: سمعت البخاري يقول: لما بلغت خراسان أصبت ببصرى فعلمني رجل أن احلق رأسي واغلفه بالخطمي، ففعلت فرد الله بصري. وقال: ما وضعت في الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين، وقال: أخرجت في هذا الكتاب من

نحو ست مائة ألف حديث، وصنفته في ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى. وقال الفربري: سمعته يقول: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند ابن المديني وربما كنت اغرب عليه. وقال: أرجو أني القى الله تعالى ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا. قال الشيخ شمس الدين: يشهد لهذا كلامه رحمه الله تعالى في التجريح والتضعيف، فإنه ابلغ ما يقول في الرجل المتروك أو الساقط: فيه نظر أو سكتوا عنه، ولا يكاد يقول: فلان كذاب، ولا فلان يضع الحديث، وهذا من شدة ورعه. وكان يركب إلى الرمي فكان لا يسبق ولا يكاد سهمه يخطئ الهدف، وكان كريما جوادا. وحديثه في امتحان أهل بغداد له في قلب المتون والأسانيد مشهور، وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا ذر يقول: رأيت في المنام محمد بن حاتم الحلقاني فسألته وأنا أعرف أنه ميت عن شيخي، هل رأيته؟ قال: نعم رأيته. ثم سألته عن محمد بن اسمعيل البخاري؟ فقال: رأيته، أشار إلى السماء إشارة كاد يسقط منها لعلو ما يشير.

واستسقى الناس بقبره في سمرقند وسقوا قال الشيخ شمس الدين: وقد افردت في مناقبه مصنفا، ومات ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين في بيت وحده، وفاح من تراب قبره مثل رائحة المسك، ثم علت سواري بيض في السماء مستطيلة بحذاء قبره، فجعل الناس يختلفون ويتحدثون. وأما تراب قبره فإنه كان يرفعون عنه حتى ظهر القبر ولم يقدر على حفظه بالحرس، وقال الفضل بن اسمعيل الجرجاني:

صحيح البخاري لو انصفوه ... لما خط إلا بماء الذهب

أسانيد مثل نجوم السماء ... أمام متون كمثل الشهب

فيا عالما اجمع العالمون ... على فضل رتبته في الرتب

نفيت السقيم من الناقلين ... ومن كان متهما بالكذب

واثبت من عدلته الرواة ... وصحت روايته في الكتب

وابرزت من حسن ترتيبه ... وتبويبه عجبا للعجب.

52- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان[1]

عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: 768هـ).

قال في حوادث سنة ست و خمسين:" وفي ليلة عيد الفطر منها توفي البخاري الحافظ الإمام قدوة الأنام وعالي المقام جامع أصح الكتب المصنفة في السنن والأحكام، إمام المحدثين وشيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزية البخاري مولى الجعفيين صاحب الجامع الصحيح وغيره من التصانيف، ولد سنة أربع وتسعين ومائة، ورحل سنة عشرة ومائتين، فسمع مكي بن إبراهيم وأبا عاصم النبيل وخلائق عدتهم ألف شيخ، وكتب بخراسان والجبال والعراق والحجاز والشام ومصر، وقدم بغداد فاجتمع إليه أهلها واعترفوا بفضله بفضله وشهدوا بتفرده في علم الرواية والدراية.

وحكى أبو عبد الله الحميدي في كتاب " جذوة المقتبس " والخطيب في " تاريخ بغداد " البخاري لما قدم بغداد سمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وأعدوا له مائة حديث، متونها وأسانيدها، وجعلوا متن كل واحد لإسناد آخر، ودفعوها إلى عشرة أنفس إلى كل واحد عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس يلقون ذلك على البخاري، وعين الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خرسان وغيرها. ومن البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب أو قال: ابتدر واحد لعشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه، فما زال يلقي عليه واحد بعد واحد حتى فرغ من عشرة، ثم كذلك كل واحد من العشرة جعلوا

---

[1] مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان
دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان-الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م

يسألونه عن الأحاديث المذكورة واحد بعد واحد والبخاري يقول: لا أعرفه. وكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعضهم، ويقولون: الرجل منهم. وما كان منهم ضد ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم، فلما علم البخاري أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم وقال: أما حديثك الأول فهو كذا، وأما الثاني فهو كذا، وكذلك الثالث والرابع وباقي أحاديثه إلى تمام العشرة على الولاء، يرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه. ثم كذلك فعل بكل واحد من التسعة حتى رتب المائة جميعها كل واحد منها في موضعه إسناداً ومتناً، فأقر له الناس بالحفظ فاعترفوا له بالفضل. وكان ابن صاعد إذا ذكره يقول: الكبس النطاح. ونقل الفربري عنه أنه قال: ما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين. وعنه أنه قال: صنفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة، خرجته من ست مائة ألف حديث، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى. قلت: وسيأتي إن شاء الله تعالى أن سنن أبي داود خرجها من خمس مائة ألف حديث.

وقال الفربري: سمع صحيح البخاري يعني عليه تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يروي عنه غيري. وممن روى عنه أبو عيسى الترمذي. وكانت ولادة البخاري يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة، وقيل اثنتي عشرة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة. وتوفي ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة عيد الفطر، ودفن يوم العيد بعد صلاة الظهر، رحمة الله عليه ورضوانه."

53- طبقات الشافعية الكبرى[1]

تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: 771هـ)

[1]طبقات الشافعية الكبرى *2/212-227*-ت: محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو- هجر للطباعة والنشر والتوزيع. ط2- 1413هـ

قال رحمه الله: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، بفتح الباء الموحدة بعدها راء ساكنة، ثم دال مكسورة مهملة، ثم زاي ساكنة، ثم باء موحدة مفتوحة، ثم هاء ابن بذذبه بباء موحدة مفتوحة، ثم ذال معجمة مكسورة، ثم ذال ثانية معجمة ساكنة، ثم باء موحدة مكسورة، ثم هاء. هذا ما كنا نسمعه من الشيخ الإمام الوالد رحمه الله، وقيل بدل بردزبه الأحنف وقيل غير ذلك.

هو إمام المسلمين، وقدوة الموحدين، وشيخ المؤمنين، والمعول عليه في أحاديث سيد المرسلين، وحافظ نظام الدين، أبو عبد الله الجعفى مولاهم البخاري صاحب الجامع الصحيح وساحب ذيل الفضل للمستميح.

علا عن المدح حتى ما يزان به ... كأنما المدح من مقداره يضع
له الكتاب الذى يتلو الكتاب هدى ... هذى السيادة طودا ليس ينصدع
الجامع المانع الدين القويم وسنة ... الشريعة أن تغتالها البدع
قاصى المراتب دانى الفضل تحسبه ... كالشمس يبدو سناها حين ترتفع
ذلت رقاب جماهير الأنام له ... فكلهم وهو عال فيهم خضعوا
لا تسمعن حديث الحاسدين له ... فإن ذلك موضوع ومنقطع
وقل لمن رام يحكيه اصطبارك لا ... تعجل فإن الذى تبغيه ممتنع
وهبك تأتى بما يحكى شكالته ... أليس يحكى محيا الجامع البيع

كان والده أبو الحسن إسماعيل بن إبراهيم من العلماء الورعين، سمع مالك بن أنس ورأى حماد بن زيد وصافح ابن المبارك، وحدث عن أبى معاوية وجماعة، روى عنه أحمد بن حفص، وقال: دخلت عليه عند موته فقال: لا أعلم في جميع مالي درهما من شبهة، قال أحمد بن حفص: فتصاغرت إلى نفسى عند ذلك.

ولد البخاري سنة أربع وتسعين ومائة ونشأ يتيما، وأول سماعه سنة خمس ومائتين وحفظ تصانيف ابن المبارك وحبب إليه العلم من الصغر وأعانه عليه ذكاؤه المفرط، ورحل سنة عشر ومائتين بعد أن سمع الكثير ببلده من محمد بن سلام البيكندي، ومحمد بن يوسف البيكندي، وعبد الله بن محمد المسندي، وهارون ابن الأشعث وطائفة.

وسمع ببلخ من مكى بن إبراهيم، ويحيى بن بشر الزاهد، وقتيبة وجماعة. وبمرو من على بن الحسن بن شقيق، وعبدان، وجماعة. وبنيسابور من يحيى بن يحيى، وبشر بن الحكم، وإسحاق وعدة. وبالري من إبراهيم بن موسى الحافظ، وغيره. وببغداد من شريح بن النعمان، وعفان وطائفة. وبالبصرة من أبي عاصم النبيل، وبدل بن المحبر، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، وغيرهم. وبالكوفة من أبي نعيم، وطلق بن غنام، والحسن بن عطية، وخلاد بن يحيى، وقبيصة وغيرهم. وبمكة من الحميدي وعليه تفقه عن الشافعي. وبالمدينة من عبد العزيز الأويسي، ومطرف بن عبد الله. وبواسط ومصر ودمشق وقيسارية وعسقلان وحمص من خلائق يطول سردهم. ذكر أنه سمع من ألف نفس، وقد خرج عنهم مشيخة وحدث بها ولم نرها. وفي (تاريخ نيسابور) للحاكم أنه سمع بالجزيرة من أحمد بن الوليد بن الورتنيس الحراني، وإسماعيل بن عبد الله بن زرارة الرقى، وعمرو بن خالد، وأحمد بن عبد الملك بن واقد الحراني. وهذا وهم، فإنه لم يدخل الجزيرة ولم يسمع من أحمد بن الوليد إنما روى عن رجل عنه، ولا من ابن زرارة إنما إسماعيل بن عبد الله الذى يروى عنه هو إسماعيل بن أبي أويس، وأما ابن واقد فإنه سمع منه ببغداد، وعمرو بن خالد سمع منه بمصر، نبه على هذا شيخنا الحافظ المزي فيما رأيته بخطه. وأكثر الحاكم في عد شيوخه وذكر البلاد التي دخلها، ثم قال: وإنما سميت من كل ناحية جماعة من المتقدمين ليستدل بذلك على عالي إسناده، فإن مسلم بن الحجاج لم يدرك أحدا ممن سميتهم إلا أهل نيسابور. واعترضه شيخنا الذهبي كما رأيته بخطه بأنه أدرك أحمد وعمر –بن حفص يعنى– وهما ممن عد الحاكم.

ذكر أبو عاصم العبادي أبا عبد الله في كتابه الطبقات، وقال: سمع من الزعفراني وأبي ثور والكرابيسى، قلت: وتفقه على الحميدي وكلهم من أصحاب الشافعي، قال: ولم يرو عن الشافعي في الصحيح لأنه أدرك أقرانه، والشافعى مات مكتهلا فلا يرويه نازلا، وروى عن الحسين وأبي ثور مسائل عن الشافعي. قلت: وذكر الشافعي في موضعين من صحيحه في باب في الركاز الخمس وفى باب تفسير العرايا من البيوع، ورقم شيخنا المزي في التهذيب للشافعى بالتعليق وذكر هذين المكانين.

حدث البخاري بالحجاز، والعراق، وخراسان، وما وراء النهر، وكتب عنه المحدثون وما في وجهه شعرة، روى عنه أبو زرعة، وأبو حاتم، والترمذي، ومسلم خارج الصحيح، ومحمد بن

نصر المروزي، وصالح بن محمد جزرة، وابن خزيمة، وأبو العباس السراج، وأبو قريش محمد بن جمعة، ويحيى بن محمد بن صاعد، وأبو حامد بن الشرقي، وخلق. وآخر من روى عنه الجامع الصحيح: منصور بن محمد البزدوي، المتوفى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وآخر من زعم أنه سمعه منه موتا أبو طهير عبد الله بن فارس البلخي، المتوفى سنة ست وأربعين وثلاثمائة، وآخر من روى حديثه عاليا خطيب الموصل في الدعاء للمحاملي بينه وبينه ثلاثة رجال.

وأما كتابه (الجامع الصحيح) فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله، ولا عبرة بمن يرجح عليه صحيح مسلم فإن مقالته هذه شاذة لا يعول عليها.

قال ابن عدى: سمعت الحسن بن الحسين البزار يقول: رأيت البخاري شيخا نحيفا ليس بالطويل ولا بالقصير، عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما.

وقال أحمد بن الفضل البلخي: ذهبت عينا محمد في صغره فرأت أمه إبراهيم عليه السلام فقال: يا هذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة بكائك أو دعائك، فأصبح وقد رد الله عليه بصره. وعن جبريل بن ميكائيل سمعت البخاري يقول: لما بلغت خراسان أصبت ببصرى، فعلمني رجل أن أحلق رأسي وأغلفه بالخطمي، ففعلت فرد الله على بصر، رواها غنجار في تاريخه. وقال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق: قلت للبخاري كيف كان بدء أمرك؟ قال: ألهمت حفظ الحديث في المكتب ولى عشر سنين أو أقل، وخرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يوما فيما يقرأ على الناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل، فدخل ثم خرج فقال لي: كيف يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدى عن إبراهيم، فأخذ القلم مني وأصلحه، وقال: صدقت. فقال للبخاري بعض أصحابه: ابن كم كنت؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة. فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك، ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء. ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخي بها وتخلفت في طلب الحديث، فلما طعنت في ثماني عشرة سنة جعلت أصنف (قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم)، وذلك أيام عبيد الله بن موسى، وصنفت (كتاب التاريخ) إذ ذاك عند قبر النبي –صلى الله عليه وسلم – في الليالي المقمرة وقل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة إلا أني كرهت تطويل الكتاب. وقال عمر بن حفص الأشقر كنا مع البخاري

بالبصرة نكتب الحديث ففقدناه أياما، ثم وجدناه في بيت وهو عريان وقد نفد ما عنده، فجمعنا له الدراهم وكسوناه.

وقال عبد الرحمن بن محمد البخاري: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: لقيت أكثر من ألف رجل من أهل الحجاز، والعراق، والشام، ومصر، وخراسان- إلى أن قال- فما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء: أن الدين قول وعمل، وأن القرآن كلام الله.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعته يقول: دخلت بغداد ثماني مرات، كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل، فقال لي آخر ما ودعته: يا أبا عبد الله تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان. فأنا الآن أذكر قول أحمد.

وقال أبو بكر الأعين: كتبنا عن البخاري على باب محمد بن يوسف الفريابي وما في وجهه شعرة. وقال محمد بن أبي حاتم وراق البخاري: سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان البخاري يختلف معنا إلى السماع وهو غلام فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أياما فكنا نقول له، فقال: إنكما قد أكثرتما على، فاعرضا على ما كتبتما؟! فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها على ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه، ثم قال: أترون أني اختلف هدرا وأضيع أيامى! فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد.

قالا: فكان أهل المعرفة يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه، وكان شابا لم يخرج وجهه. قال محمد بن أبي حاتم: وسمعت سليم بن مجاهد يقول: كنت عند محمد بن سلام البيكندي، فقال لي: لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث، قال: فخرجت في طلبه فلقيته، فقلت: أنت الذي تقول: أنا أحفظ سبعين ألف حديث؟ قال: نعم وأكثر، ولا أجيئك بحديث عن الصحابة أو التابعين إلا عرفت مولد أكثرهم، ووفاتهم، ومساكنهم، ولست أروى حديثا من حديث الصحابة أو التابعين، إلا ولي في ذلك أصل أحفظه حفظا عن كتاب الله، أو سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

قال غنجار: حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد المقري، حدثنا محمد بن يعقوب ابن يوسف البيكندي، سمعت على بن الحسين بن عاصم البيكندي، يقول: قدم علينا محمد بن إسماعيل فاجتمعنا عنده، فقال بعضنا: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: كأني أنظر إلى سبعين ألف

حديث من كتابي، فقال محمد: أو تعجب من هذا! لعل في هذا الزمان من ينظر إلى مائتي ألف حديث من كتابه. قال وإنما عنى به نفسه.

وقال ابن عدى: حدثني محمد بن أحمد القومسي، سمعت محمد بن خميرويه، يقول: سمعت محمد بن إسماعيل، يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح.

وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد ابن إسماعيل البخاري. وقال ابن عدى: سمعت عدة مشايخ يحكون: أن البخاري قدم بغداد فاجتمع أصحاب الحديث، فعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا لإسناد هذا وإسناد هذا لمتن هذا، ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها على البخاري في المجلس. فاجتمع الناس وانتدب أحدهم فقال: وسأله عن حديث من تلك العشرة فقال لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه، حتى فرغ من العشرة. فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون الرجل فهم ومن كان لا يدري قضى عليه بالعجز. ثم انتدب آخر ففعل كفعل الأول، والبخاري يقول: لا أعرفه إلى فراغ العشرة أنفس وهو لا يزيدهم على لا أعرفه. فلما علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول فقال: أما حديثك الأول، فإسناده كذا وكذا، والثاني كذا وكذا، والثالث إلى آخر العشرة، فرد كل متن إلى إسناده. وفعل بالثاني مثل ذلك إلى أن فرغ، فأقر له الناس بالحفظ.

وقال يوسف بن موسى المروروذي: كنت بجامع البصرة إذ سمعت مناديا ينادى: يا أهل العلم لقد قدم محمد بن إسماعيل البخاري، فقاموا في طلبه وكنت فيهم، فرأيت رجلا شابا يصلى خلف الأسطوانة، فلما فرغ أحدقوا به وسألوه أن يعقد لهم مجلسا للإملاء فأجابهم،

فلما كان من الغد اجتمع كذا وكذا ألف، فجلس وقال: يا أهل البصرة ، أنا شاب وقد سألتموني أن أحدثكم، وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدون الكل، حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبى رواد بلديكم، حدثنا أبى حدثنا شعبة عن منصور وغيره، عن سالم بن أبى الجعد، عن أنس، أن أعرابيا قال: يا رسول الله الرجل يحب القوم ... الحديث ثم قال: ليس هذا عندكم، إنما عندكم عن غير منصور، وأملى مجلسا على هذا النسق.

قال يوسف: وكان دخولي البصرة أيام محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب.

وقال الترمذي: لم أر أحدا بالعراق، ولا بخراسان، في معنى العلل والتاريخ، ومعرفة الأسانيد، أعلم من محمد بن إسماعيل.

وقال إسحاق بن أحمد الفارسي: سمعت أبا حاتم يقول سنة سبع وأربعين ومائتين: محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق، ومحمد بن يحيى أعلم من بخراسان اليوم، ومحمد بن أسلم أورعهم، وعبد الله الدارمي أثبتهم.

وعن أحمد بن حنبل قال: انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان: أبو زرعة، ومحمد بن إسماعيل، والدارمي، والحسن بن شجاع البلخي.

وقال أبو أحمد الحاكم :كان البخاري أحد الأئمة في معرفة الحديث وجمعه، ولو قلت إني لم أر تصنيف أحد يشبه تصنيفه في المبالغة والحسن، لرجوت أن أكون صادقا.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إذنا خاصا، قال: قرأت على عمر بن القواس، أخبركم أبو القاسم بن الحرستاني حضورا، أخبرنا جمال الإسلام، أخبرنا ابن طلاب، أخبرنا ابن جميع، حدثنا أحمد بن محمد بن آدم، حدثنا محمد بن يوسف البخاري، قال: كنت عند محمد بن إسماعيل بمنزله ذات ليلة، فأحصيت عليه أنه قام وأسرج ليستذكر أشياء يعلقها في ليله ثماني عشرة مرة. وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ أحيانا، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة فيورى نارا ويسرج، ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها ثم يضع رأسه، وكان يصلى وقت السحر ثلاث عشرة ركعة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم، فقلت له: إنك تحمل على نفسك في كل هذا ولا توقظني؟ قال: أنت شاب ولا أحب أن أفسد عليك نومك. وقال الفربري: قال لي محمد بن إسماعيل: ما وضعت في الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين. وقال إبراهيم بن معقل: سمعته يقول: كنت عند إسحاق بن راهويه، فقال رجل: لو جمعتم كتابا مختصرا للسنن فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب.

قال شيخنا أبو عبد الله الحافظ: روى من وجهين ثابتين عن البخاري، أنه قال: أخرجت هذا الكتاب من نحو ستمائة ألف حديث، وصنفته في ست عشرة سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله. وقال إبراهيم بن معقل: سمعته يقول: ما أدخلت في الجامع إلا ما صح وتركت من

الصحاح لأجل الطول.

وقال محمد بن أبي حاتم: قلت له: تحفظ جميع ما في المصنف؟ قال: لا يخفى على جميع ما فيه، ولو نشر بعض إسنادي هؤلاء لم يفهموا كتاب التاريخ ولا عرفوه، ثم قال: صنفته ثلاث مرات. وقد أخذه ابن راهويه فأدخله على عبد الله بن طاهر، فقال: أيها الأمير، ألا أريك سحرا، فنظر فيه عبد الله فتعجب منه، وقال: لست أفهم تصنيفه.

وقال الفربري: حدثني نجم بن الفضيل- وكان من أهل الفهم- قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم خرج من قرية، ومحمد بن إسماعيل خلفه، فإذا خطا خطوة يخطو محمد ويضع قدمه على قدمه ويتبع أثره.

وقال خلف الخيام: سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر الخفاف، يقول: محمد بن إسماعيل أعلم في الحديث من أحمد وإسحاق بعشرين درجة، ومن قال فيه شيء فعليه مني ألف لعنة، ولو دخل من هذا الباب لملئت منه رعبا.

وقال أبو عيسى الترمذي: كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله بن منير، فلما قام من عنده قال له: يا أبا عبد الله جعلك الله زين هذه الأمة. قال أبو عيسى: استجيب له فيه.

وقال جعفر بن محمد المستغفري في (تاريخ نسف) وذكر البخاري: لو جاز لي لفضلته على من لقى من مشايخه، ولقلت ما لقى بعينه مثل نفسه.

وقال إبراهيم الخواص: رأيت أبا زرعة كالصبي جالسا بين يدي محمد بن إسماعيل يسأله عن علل الحديث. وقال جعفر بن محمد القطان: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كتبت عن ألف شيخ أو أكثر، عن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده.

قلت: فارق البخاري بخارى وله خمس عشرة سنة، ولم يره محمد بن سلام البيكندي بعد ذلك. وقد قال سليم بن مجاهد: كنت عند محمد بن سلام البيكندي فقال: لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث، فخرجت حتى لحقته فقلت: أنت تحفظ سبعين ألف حديث؟ قال: نعم وأكثر، ولا أجيبك بحديث عن الصحابة والتابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروى حديثا من حديث الصحابة والتابعين إلا ولى من ذلك أصل أحفظه حفظا عن كتاب أو سنة.

وقال بعضهم: كنت عند محمد بن سلام البيكندي، فدخل محمد بن إسماعيل فلما خرج قال

محمد بن سلام: كلما دخل على هذا الصبى تحيرت والتبس علي أمر الحديث، ولا أزال خائفا ما لم يخرج.

وقال محمد بن أبى حاتم: سمعت محمد بن يوسف يقول: كنت عند أبي رجاء –يعنى قتيبة– فسئل عن طلاق السكران، فقال: هذا أحمد بن حنبل، وابن المديني، وابن راهويه، قد ساقهم الله إليك ،وأشار إلى محمد بن إسماعيل. وكان مذهب محمد: أنه إذا كان مغلوب العقل لا يذكر ما يحدث في سكره، أنه لا يجوز عليه من أمره شيء.

وسمعت عبد الله بن سعيد يقول: لما مات أحمد بن حرب النيسابوري ركب محمد وإسحاق يشيعان جنازته، فكنت أسمع أهل المعرفة بنيسابور ينظرون ويقولون: محمد أفقه من إسحاق.

وعن الفربري: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي: أين تريد؟ فقلت أريد البخاري، فقال: أقرأه منى السلام.

وكان البخاري يختم القرآن كل يوم نهارا، ويقرأ في الليل عند السحر ثلثا من القرآن، فمجموع ورده ختمة وثلث ختمة. وكان يقول أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني باغتياب أحد.

وكان يصلى ذات يوم، فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة، ولم يقطع صلاته ولا تغير حاله.

وعن الإمام أحمد: ما أخرجت خراسان مثل البخاري.

وقال يعقوب بن إبراهيم الدورقي: البخاري فقيه هذه الأمة.

وقال محمد بن إدريس الرازي، وقد خرج البخاري إلى العراق: ما خرج من خراسان أحفظ منه ولا قدم العراق أعلم منه.

قال الحاكم أبو عبد الله: سمعت أبا نصر أحمد بن محمد الوراق يقول: سمعت أبا حامد أحمد بن حمدون يقول: سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري، فقبل ما بين عينيه وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، ومسند المحدثين، ويا طبيب الحديث في علله. حدثك محمد بن سلام، حدثنا مخلد بن يزيد الحراني قال: أخبرنا ابن جريج قال: حدثني موسى ابن عقبة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم. فقال البخاري: وحدثنا أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، قالا: حدثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، قال حدثني موسى بن عقبة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: في كفارة المجلس أن يقول إذا قام من

مجلسه (سبحانك ربنا وبحمدك). فقال محمد بن إسماعيل: هذا حديث مليح ولا أعلم بهذا الإسناد في الدنيا حديثا غير هذا إلا أنه معلول، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثنا سهيل، عن عون بن عبد الله قوله. قال محمد بن إسماعيل: هذا أولى ولا نذكر لموسى بن عقبة مسندا عن سهيل، وهو سهيل بن ذكوان مولى جويرية وهم إخوة سهيل وعباد وصالح بنو أبي صالح وهم من أهل المدينة.

وقال نسج بن سعيد كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان تجتمع إليه أصحابه، فيصلى بهم، ويقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أن يختم القرآن، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار في كل يوم ختمة، ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة، ويقول: عند كل ختم دعوة مستجابة.

وقال بكر بن منير: سمعت البخاري، يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا.

قال شيخنا أبو عبد الله الحافظ: يشهد لهذه المقالة كلامه في الجرح والتعديل، فإنه أبلغ ما يقول في الرجل المتروك أو الساقط: فيه نظر، أو سكتوا عنه، ولا يكاد يقول: فلان كذاب، ولا فلان يضع الحديث، وهذا من شدة ورعه.

قلت: وأبلغ تضعيفه قوله في المجروح منكر الحديث.

قال ابن القطان: قال البخاري: كل من قلت فيه منكر الحديث، فلا تحل الرواية عنه.

وقال أبو بكر الخطيب: سئل العباس بن الفضل الرازي الصايغ: أيهما أحفظ، أبو زرعة أو البخاري؟ فقال: لقيت البخاري بين حلوان وبغداد، فرجعت معه مرحلة، وجهدت أن أجئ بحديث لا يعرفه، فما أمكن، وأنا أغرب على أبي زرعة عدد شعري.

وقال أبو عمرو أحمد بن نصر الخفاف: محمد بن إسماعيل أعلم بالحديث من إسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، وغيرهما، بعشرين درجة، ومن قال فيه شيئا فمني عليه ألف لعنة.

ثم قال: حدثنا محمد بن إسماعيل التقي، النقي، العالم الذى لم أر مثله.

وقال محمد بن يعقوب الأخرم: سمعت أصحابنا، يقولون: لما قدم البخاري نيسابور، استقبله أربعة آلاف رجل على الخيل، سوى من ركب بغلا أو حمارا، وسوى الرجالة.

وقال أبو أحمد الحاكم في (الكنى): عبد الله بن الديلمي، أبو بسر، وقال البخاري ومسلم

فيه: أبو بشر بشين معجمة. قال الحاكم: وكلاهما أخطأ في علمي، إنما هو أبو بسر، وخليق أن يكون محمد بن إسماعيل مع جلالته ومعرفته بالحديث اشتبه عليه، فلما نقله مسلم من كتابه تابعه على زلته، ومن تأمل كتاب مسلم في (الأسماء والكنى) علم أنه منقول من كتاب محمد بن إسماعيل، حذو القذة بالقذة، حتى لا يزيد عليه فيه إلا ما يسهل عده، وتجلد في نقله حق الجلادة، إذ لم ينسبه إلى قائله، وكتاب محمد بن إسماعيل في التاريخ (كتاب) لم يسبق إليه، ومن ألف بعده شيئا من التاريخ أو الأسماء أو الكنى لم يستغن عنه، فمنهم من نسبه إلى نفسه، مثل أبي زرعة، وأبي حاتم، ومسلم، ومنهم من حكاه عنه، فالله يرحمه، فإنه الذى أصل الأصول. وذكر الحاكم أبو أحمد كلاما سوى هذا.

وقال محمد بن أبي حاتم: رأيت أبا عبد الله استلقى على قفاه يوما، ونحن بفربر، في تصنيف (كتاب التفسير) وأتعب نفسه يومئذ، فقلت: إني أراك تقول: إني ما أتيت شيئا بغير علم قط منذ عقلت، فما الفائدة في الاستلقاء؟ قال: أتعبنا أنفسنا اليوم، وهذا ثغر من الثغور، خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو، فأحببت أن أستريح، وآخذ أهبة، فإن غافصنا العدو كان بنا حراك، وكان يركب إلى الرمي، فما أعلم أنى رأيته في طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف، إلا مرتين، وكان لا يسبق.

وسمعته يقول: ما أردت أن أتكلم بكلام فيه ذكر الدنيا، إلا بدأت بحمد الله والثناء عليه.

قال: وكان لأبى عبد الله غريم، قطع عليه مالا كثيرا، فبلغه أنه قدم آمل، ونحن بفربر، فقلنا له: ينبغي أن تعبر، وتأخذه بمالك، فقال: ليس لنا أن نروعه. ثم بلغ غريمه، فخرج إلى خوارزم، فقلنا: ينبغي أن تقول لأبى سلمة الكشاني عامل آمل، ليكتب إلى خوارزم في أخذه، فقال: إن أخذت منهم كتابا طمعوا منى في كتاب، ولست أبيع ديني بدنياي.

فجهدنا، فلم يأخذ، حتى كلمنا السلطان عن غير أمره، فكتب إلى والى خوارزم، فلما بلغ أبا عبد الله ذلك وجد وجدا شديدا، وقال: لا تكونوا أشفق على من نفسي. وكتب كتابا، وأردف تلك الكتب بكتب، وكتب إلى بعض أصحابه بخوارزم: أن لا يتعرض لغريمه.

فرجع غريمه، وقصد ناحية مرو، فاجتمع التجار، وأخبر السلطان، فأراد التشديد على الغريم، فكره ذلك أبو عبد الله، وصالح غريمه على أن يعطيه كل سنة عشرة دراهم، شيئا يسيرا، وكان المال خمسة وعشرين ألفا، ولم يصل من ذلك إلى درهم ولا إلى أكثر منه.

سمعت أبا عبد الله، يقول: ما توليت شراء شيء قط ولا بيعه.

قلت: فمن يتولى أمرك في أسفارك؟

قال: كنت أكفى أمر ذلك.

وذكر بكر بن منير: أنه حمل إلى البخاري بضاعة، أنفذها إليه ابنه أحمد، فاجتمع به بعض التجار، فطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال: انصرفوا الليلة. فجاءه من الغد تجار آخرون، فطلبوها منه بربح عشرة آلاف درهم، فقال: إني نويت البارحة بيعها للذين أتوا البارحة.

قلت: وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا عبد الله يقول: ما ينبغي للمسلم أن يكون بحالة إذا دعي لم يستجب له.

قال: وسمعته يقول: خرجت إلى آدم بن أبي إياس، فتخلفت عنى نفقتي، حتى جعلت أتناول الحشيش، ولا أخبر بذلك أحدا، فلما كان اليوم الثالث، آتاني أت لم أعرفه، فناولني صرة دنانير، وقال: أنفق على نفسك.

وسمعت سليم بن مجاهد يقول: ما رأيت بعيني منذ ستين سنة أفقه، ولا أورع، ولا أزهد في الدنيا، من محمد بن إسماعيل.

واعلم أن مناقب أبي عبد الله كثيرة، فلا مطمع في استيعاب غالبها، والكتب مشحونة به، وفيما أوردناه مقنع وبلاغ.

54- البداية والنهاية [1]

عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ابن كثير (700 - 774هـ)

قال رحمه الله: الإمام محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح، وقد ذكرنا له ترجمة حافلة في أول شرحنا لصحيحه، ولنذكر هاهنا نبذة يسيرة من ذلك، فنقول: هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بزدزبه الجعفي، مولاهم أبو عبد الله البخاري الحافظ، إمام أهل

---

[1] البداية والنهاية 11/30-33

الحديث في زمانه، والمقتدى به في أوانه، والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه، وكتابه الصحيح يستقى بقراءته الغمام، وأجمع العلماء على قبوله وصحة ما فيه، وكذلك سائر أهل الإسلام، ولد البخاري رحمه الله في ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال سنة أربع وتسعين ومائة، ومات أبوه وهو صغير فنشأ في حجر أمه فألهمه الله حفظ الحديث وهو في المكتب، وقرأ الكتب المشهورة وهو ابن ست عشرة سنة حتى قيل إنه كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سردا، وحج وعمره ثماني عشرة سنة.

فأقام بمكة يطلب بها الحديث، ثم رحل بعد ذلك إلى سائر مشايخ الحديث في البلدان التي أمكنته الرحلة إليها، وكتب عن أكثر من ألف شيخ.

وروى عنه خلائق وأمم.

وقد روى الخطيب البغدادي عن الفربري أنه قال: سمع الصحيح من البخاري معي نحو من سبعين ألفا لم يبق منهم أحد غيري.

وقد روي البخاري من طريق الفربري كما هي رواية الناس اليوم من طريقه، وحماد بن شاكر وإبراهيم بن معقل وطاهر بن مخلد.

وآخر من حدث عنه أبو طلحة منصور بن محمد بن علي البردي النسفي، وقد توفي النسفي هذا في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة. ووثقه الأمير أبو نصر بن ماكولا. وممن روى عن البخاري مسلم في غير الصحيح، وكان مسلم يتلمذ له ويعظمه، وروى عنه الترمذي في جامعه، والنسائي في سننه في قول بعضهم.

وقد دخل بغداد ثمان مرات، وفي كل منها يجتمع بالإمام أحمد فيحثه أحمد على المقام بغداد ويلومه على الإقامة بخراسان.

وقد كان البخاري يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه فيوقد السراج ويكتب الفائدة تمر بخاطره ثم يطفئ سراجه، ثم يقوم مرة أخرى وأخرى حتى كان يتعدد منه ذلك قريبا من عشرين مرة.

وقد كان أصيب بصره وهو صغير فرأت أمه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال: يا هذه قد رد الله على ولدك بصره بكثرة دعائك، أو قال بكائك، فأصبح وهو بصير.

وقال البخاري: فكرت البارحة فإذا أنا قد كتبت لي مصنفات نحوا من مائتي ألف حديث مسندة وكان يحفظها كلها.

ودخل مرة إلى سمرقند فاجتمع بأربعمائة من علماء الحديث بها، فركبوا أسانيد وأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق،

وخلطوا الرجال في الاسانيد وجعلوا متون الأحاديث على غير أسانيدها، ثم قرأوها على البخاري فرد كل حديث إلى إسناده، وقوم تلك الأحاديث والأسانيد كلها، وما تعنتوا عليه فيها، ولم يقدروا أن يعلفوا عليه سقطة في إسناد ولا متن.

وكذلك صنع في بغداد وقد ذكروا أنه كان ينظر في الكتاب مرة واحدة فيحفظه من نظرة واحدة. والأخبار عنه في ذلك كثيرة.

وقد أثنى عليه علماء زمانه من شيوخه وأقرانه:

فقال الإمام أحمد: ما أخرجت خراسان مثله.

وقال علي بن المديني: لم ير البخاري مثل نفسه.

وقال إسحاق بن راهويه: لو كان في زمن الحسن لاحتاج الناس إليه في الحديث ومعرفته وفقهه.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير: ما رأينا مثله.

وقال علي بن حجر: لا أعلم مثله.

وقال محمود بن النظر بن سهل الشافعي: دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها كلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري فضلوه على أنفسهم.

وقال أبو العباس الدعولي: كتب أهل بغداد إلى البخاري: المسلمون بخير ما حييت لهم * وليس بعدك خير حين تفتقد وقال الفلاس: كل حديث لا يعرفه البخاري فليس بحديث.

وقال أبو نعيم أحمد بن حماد: هو فقيه هذه الأمة.

وكذا قال يعقوب بن إبراهيم الدورقي.

ومنهم من فضله في الفقه والحديث على الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه.

وقال قتيبة بن سعيد: رحل إلي من شرق الأرض وغربها خلق فما رحل إلي مثل محمد بن إسماعيل البخاري.

وقال مرجى بن رجاء: فضل البخاري على العلماء كفضل الرجال على النساء – يعني في زمانه – وأما قبل زمانه مثل قرب الصحابة والتابعين فلا.

وقال هو آية من آيات الله تمشي على الأرض.

وقال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: محمد بن إسماعيل البخاري أفقهنا وأعلمنا وأغوصنا وأكثرنا طلبا.

وقال إسحاق بن راهويه: هو أبصر مني.

وقال أبو حاتم الرازي: محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق.

وقال عبد الله العجلي: رأيت أبا حاتم وأبا زرعة يجلسان إليه يسمعان ما يقول، ولم يكن مسلم يبلغه، وكان أعلم من محمد بن يحيى الذهلي بكذا وكذا، وكان حييا فاضلا يحسن كل شيء. وقال غيره: رأيت محمد بن يحيى الذهلي يسأل البخاري عن الأسامي والكنى والعلل، وهو يمر فيه كالسهم، كأنه يقرأ قل هو الله أحد.

وقال أحمد بن حمدون القصار: رأيت مسلم بن الحجاج جاء إلى البخاري فقبل بين عينيه وقال: دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله، ثم سأله عن حديث كفارة المجلس فذكر له علته فلما فرغ قال مسلم لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك.

وقال الترمذي: لم أر بالعراق ولا في خراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من البخاري، وكنا يوما عند عبد الله بن منير فقال للبخاري: جعلك الله زين هذه الأمة.

قال الترمذي: فاستجيب له فيه.

وقال ابن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحفظ له من محمد بن إسماعيل البخاري، ولو استقصينا ثناء العلماء عليه في حفظه وإتقانه وعلمه وفقهه وورعه وزهده وعبادته لطال علينا، ونحن على عجل من أجل الحوادث والله سبحانه المستعان.

وقد كان البخاري رحمه الله في غاية الحياء والشجاعة والسخاء والورع والزهد في الدنيا دار الفناء، والرغبة في الآخرة دار البقاء.

وقال البخاري: إني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد يطالبني أني اغتبته.

فذكر له التاريخ وما ذكر فيه من الجرح والتعديل وغير ذلك.
فقال: ليس هذا من هذا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إيذنوا له فلبئس أخو العشيرة " ونحن إنما روينا ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا.
وقد كان رحمه الله يصلي في كل ليلة ثلاث عشرة ركعة، وكان يختم القرآن في كل ليلة من رمضان ختمة، وكانت له جدة ومال جيد ينفق منه سرا وجهرا، وكان يكثر لصدقة بالليل والنهار، وكان مستجاب الدعوة مسدد الرمية شريف النفس، بعث إليه بعض السلاطين ليأتيه حيت يسمع أولاده عليه فأرسل إليه: في بيته العلم والحلم يؤتى – يعني إن كنتم تريدون ذلك فهلموا إلي – وأبى أن يذهب إليهم.
والسلطان خالد بن أحمد الذهلي نائب الظاهرية ببخارى، فبقي في نفس الأمير من ذلك، فاتفق أن جاء كتاب من محمد بن يحي الذهلي بأن البخاري يقول لفظه بالقرآن مخلوق – وكان قد وقع بين محمد بن يحي الذهلي وبين البخاري في ذلك كلام وصنف البخاري في ذلك كتاب أفعال العباد – فأراد أن يصرف الناس عن السماع من البخاري، وقد كان الناس يعظمونه جدا، وحين رجع إليهم نثروا على رأسه الذهب والفضة يوم دخل بخارى عائدا إلى أهله، وكان له مجلس يجلس فيه للإملاء بجامعها فلم يقبلوا من الأمير، فأمر عند ذلك بنفيه من تلك البلاد فخرج منها ودعا خالد بن أحمد فلم يمض شهر حتى أمر ابن طاهر بأن ينادى على خالد بن أحمد على أتان، وزال ملكه وسجن في بغداد حتى مات، ولم يبق أحد يساعده على ذلك إلا ابتلي ببلاء شديد، فنزح البخاري من بلده إلى بلدة يقال لها خرتنك على فرسخين من سمرقند، فنزل عند أقارب له بها وجعل يدعو الله أن يقبضه إليه حين رأى الفتن في الدين، لما جاء في الحديث: " وإذا أردت بقوم فتنة فتوفنا إليك غير مفتونين " .
ثم اتفق مرضه على إثر ذلك.
فكانت وفاته ليلة عيد الفطر – وكان ليلة السبت – عند صلاة العشاء، وصلي عليه يوم العيد بعد الظهر من هذه السنة – أعني سنة ست وخمسين ومائتين – وكفن في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة، وفق ما أوصى به، وحين ما دفن فاحت من قبره رائحة غالية أطيب من ريح المسك ثم دام ذلك أياما ثم جعلت ترى سواري بيض بحذاء قبره.
وكان عمره يوم مات ثنتين وستين سنة.

وقد ترك رحمه الله بعده علما نافعا لجميع المسلمين، فعلمه لم ينقطع بل هو موصول بما أسداه من الصالحات في الحياة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا مات ابن آدم انقطع علمه إلا من ثلاث، علم ينتفع به الحديث رواه مسلم وشرطه في صحيحه هذا أعز من شرط كل كتاب صنف في الصحيح، لا يوازيه فيه غيره، لا صحيح مسلم ولا غيره.

وما أحسن ما قاله بعض الفصحاء من الشعراء:

صحيح البخاري لو أنصفوه .... لما خط إلا بماء الذهب

هو الفرق بين الهدى والعمى .... هو السد بين الفتى والعطب

أسانيد مثل نجوم السماء .... أمام متون لها كالشهب

بها قام ميزان دين الرسول .... ودان به العجم بعد العرب

حجاب من النار لا شك فيه .... يميز بين الرضى والغضب

وستر رقيق إلى المصطفى .... ونص مبين لكشف الريب

فيا علما أجمع العالمون .... على فضل رتبته في الرتب

سبقت الأئمة فيما جمعت .... وفزت على زعمهم بالقصب

نفيت الضعيف من الناقلين .... ومن كان متهما بالكذب

وأبرزت في حسن ترتيبه .... وتبويبه عجبا للعجب

فأعطاك مولاك ما تشتهيه .... وأجزل حظك فيما وهب

55- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري[1]

محمد بن يوسف بن علي، شمس الدين الكرماني (ت 786هـ)

قال رحمه الله: " ترجمة البخاري رضي الله تعالى عنه، وأما البخاري فهو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة (بفتح الموحدة وإسكان الراء وكسر المهملة وتسكين

[1] الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري- دار إحياء التراث العربي-طبعة ثانية 1401هـ - 1981م

الزاي بالموحدة) الجعفي (بضم الجيم وسكون المهملة وبالفاء) بخاري، أسلم المغيرة وكان مجوسيا على يد اليماني الجعفي والي بخارى، وأبوه إسماعيل كان من خيار الناس ، وأمه كانت مجابة الدعوة، وكان البخاري رحمه الله قد ذهب بصره وهو صغير، فرأت أمه في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام، وقال: يا هذه قد ردّ الله على ابنك بصره لكثرة دعائك أو بكائك، فأصبح بصيرا.

ولد ببخارى سنة أربع وتسعين ومائة، وألهم حفظ الحديث في صغره وهو ابن عشر سنين أو أقل، ثم حجّ به أبوه[1]، فرجع أبوه وهو أقام بمكة المكرمة في طلب العلم، وذلك سنة ثمان عشرة من عمره، ورحل رحلات واسعة في طلب الحديث إلى أمصار الإسلام، وكتب عن شيوخ متوافرات، وأئمة متكاثرات، قال رحمه الله تعالى: كتبت عن ألف وثمانين رجلا ليس فيهم إلاّ صاحب حديث كلّهم كانوا يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. حتى صار إمام أئمة الحديث والمقتدى به في هذا الشأن، وأجمع المحققون على أن كتابه أصح كتاب بعد القرآن. وروى عنه خلائق كثيرون نحو من مائة ألف أو يزيدون، أو ينقصون، وعظمه العلماء غاية التعظيم وكرمه الفضلاء نهاية الإجلال والتكريم، حتى أنّ مسلما صاحب الصحيح كلما دخل عليه يسلم ويقول: دعني أقبل رجليك يا طبيب الحديث في علله، ويا أستاذ الأستاذين، ويا سيد المحدّثين.

وقال أبو عيسى الترمذي: لم أر مثله وجعله الله زين هذه الأمة. وقال أبو نعيم: إنه فقيه هذه الأمة. وقال محمد بن بشار (بإعجام الشين): وكان علماء مكة يقولون هو إمامنا وفقيهنا وفقيه خراسان. وقال ابن المديني: ما هو رأى مثل نفسه. وقال ابن خزيم (مصغّر الخزمة بالمعجمة والزاي): ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث منه وأحفظ. وقال بعضهم: هو آية من آيات الله يمشي على وجه الأرض، ونحو ذلك.

---

[1] الثابت أن البخاري حج مع أمه وأخيه أحمد، فرجعا هما وتخلف البخاري في طلب العلم.

وكان رحمه الله في سعة من الدنيا، وقد ورث من أبيه مالا، وكان يتصدّق به، وربما كان يأتي عليه نهار لا يأكل فيه وإنما كان يأكل أحيانا لوزتين أو ثلاثا، وكان يختم في كل ثلاث ليال، وكان حفظه الله في غاية الكمال.

وقال: خرجت هذا الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث، وقال: ما وضعت في كتابي هذا حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصلّيت ركعتين، وقيل كان ذلك بمكة المشرفة، شرّفها الله تعالى والغسل بماء زمزم والصلاة خلف المقام. وقيل كان بالمدينة صلى الله على صاحبها، وترجم أبوابه في الروضة المباركة، وصلى لكل ترجمة ركعتين. وقيل صنف الجامع في ست عشرة سنة والله أعلم بذلك.

ودخل بغداد مرات، وانقاد أهلها له في الحديث بلا منازعة، ولهم معه حكاية مشهورة في امتحانهم له بقلب الأسانيد والمتون، فصحح كلها في الساعة. وحين وقعت الفتنة واشتدت المحنة في مسالة خلق القرآن، رجع من بغداد إلى بخارى، فتلقاه أهلها في تحمل عظيم، ومقدم كريم، وبقي مدّة يحدّثهم في مسجده. فأرسل إليه أمير البلد خالد بن محمد الهذلي يتلطف معه ويسأله أن يأتيه بالصحيح، ويحدّثهم به في قصره، فامتنع البخاري من ذلك وقال: لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس. فحصلت وحشة بينهما فأمره الأمير بالخروج من البلد، ويقال: إنّ البخاري دعا عليه فلم يأت شهر حتى ورد أمر دار الخلافة بأن ينادى على خالد في البلد، فنودي عليه على أتان، وحبس إلى أن مات، ولما خرج من بخارى كتب إليه أهل سمرقند يخطبونه إلى بلدهم، فسار إليهم فلما كان بقرية خرتنك (بفتح المعجمة وإسكان الراء وفتح الفوقانية وسكون النون) وهي على فرسخين من سمرقند، بلغه أنه وقع بينهم بسببه فتنة فقوم يريدون دخوله وقوم يكرهونه، فأقام بها حتى ينجلي الأمر، فضجر ليلة ودعا- وقد فرغ من صلاة الليل-اللهم لقد ضاقت عليّ الأرض بما رحبت فاقبضني إليك، فمات في ذلك الشهر سنة ست وخمسين ومائتين وعمره اثنان وستون سنة، فإن قلت كيف استجاز الدعاء بالموت وقد خرّج هو في صحيحه (لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به) ؟، قلت: نصوا بأن المراد بالضرّ هو: الدّنيوي، وأمّا إذا نزل به ضرّ ديني فإنّه يجوز تمنيه خوفا من تطرّق الخلل في

الدّين. ولماّ دفن رحمة الله عليه فاح من تراب قبره رائحة الغالية أطيب من المسك، وظهر سوار بيض في السماء مستطيلة حذاء القبر، وكانوا يرفعون التراب منه للبركة حتى ظهرت الحفرة للناس، ولم يكن يقدر على حفظ القبر بالحرّاس، فنصب على القبر خشبات مشبكات، فكانوا يأخذون ما حواليه من التراب والحصيات، ودام ريح الطيب أيّاما كثيرة حتى تواتر عند جميع أهل تلك البلاد. وأمثال هذه الكرامات الإلهية لا يستعظم بالنسبة إلى أمثال هؤلاء العباد، رفع الله تعالى ذكره الشريف وقد فعل، وجعل له لسان صدق في الآخرين وقد جعل.

واعلم أن الحديث موضوعه: هو ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث أنه رسول الله وحده: هو علم يعرف به أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأفعاله، وأحواله.
وغايته: الفوز بسعادة الدارين. وان عدد كتب الجامع: مائة وشيء. وعدد الأبواب: ثلاثة آلاف وأربعمائة وخمسون بابا مع اختلاف قليل في نسخ الأصول. وعدد الأحاديث المسندة فيه سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثا. والمكررات منه قريب النصف، فأحاديثه بدون التكرار تقارب أربعة آلاف. وعدد مشايخه الذين خرج عنهم: فيه مائتان وتسعة وثمانون. وعدد من تفرّد بالرواية عنهم دون مسلم: مائة وأربعة وثلاثون، وتفرد أيضا بمشايخ لم تقع الرواية عنهم كبقية أصحاب الكتب الخمسة إلا بالواسطة. ووقع له اثنان وعشرون حديثا عاليا رفيعا، ثلاثي الإسناد. أعلى الله درجته ودرجتنا يوم التناد على رؤوس الأشهاد ورزقنا شفاعة من توسلنا إليه بكلامه، خير خلائقه وأفضل أنامه، وجمعنا عند حضرته الشريفة صلى الله عليه وسلم في دار الكرامة، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

56- العقد المذهب في طبقات حملة المذهب[1]

ابن الملقن سراج الدين عمر بن علي بن أحمد (ت 804 هـ)

قال رحمه الله: " محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري.
صاحب "الصحيح" قد أفردت ترجمته بالتصنيف. ولد سنة أربع وتسعين ومائة، ومات سنة ست وسبعين ومائتين، ذكره العبادي في طبقاته وقال: سمع من الزعفراني وأبي ثور والكرابيسى، ولم يرو عن الشافعي في الصحيح؛ لأنه أدرك أقرانه، والشافعي مات متكهلًا فلا يرويه نازلًا، وروى عن الحسين وأبي ثور مسائل عن الشافعي. قلت: وسمع هذا فلم يخل صحيحه من ذكره فذكره في الزكاة والعرايا".

57– التوضيح لشرح الجامع الصحيح[2]

ابن الملقن (المتوفى804 هـ)

قال رحمه الله: " **فصل**. صحيح الإمام أبي عبد الله البخاري، متواتر عنه، وأشهر من رواه الفربري عنه، قال أبو عبد الله الفربري: سمع "الصحيح" من أبي عبد الله تسعون ألف رجل فما بقي أحد يرويه غيري. قال الذهبي: وآخر من روى عنه صحيحه منصور بن محمد البزدوي، وآخر من زعم أنه سمع منه أبو ظهير عبد الله بن فارس البلخي سنة ست وأربعين وثلاثمائة. وقال الخطيب: آخر من حدث عن البخاري ببغداد: الحسين بن إسماعيل المحاملي. ورواه– أعني: "صحيحه"– عن الفربري خلائق منهم: أبو محمد الحموي، وأبو زيد المروزي

---

[1] العقد المذهب في طبقات حملة المذهب ص 54. المحقق: أيمن نصر الأزهري - سيد مهني
دار الكتب العلمية، لبنان. الطبعة: الأولي، 1417 هـ - 1997 م

[2] التوضيح لشرح الجامع الصحيح– دار النوادر، دمشق – سوريا–الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008

الفقيه الشافعي، وهو أجل من رواه عنه وأولهم، وأبو إسحاق المستملي، وأبو الحسن علي بن أحمد الجرجاني، وأبو الهيثم محمد بن مكي الكشميهني، وأبو علي إسماعيل بن محمد الكشاني، ومحمد بن أحمد بن مت – بفتح الميم وتشديد المثناة فوق– وآخرون. ورواه عن كل واحد من هؤلاء جماعات، واشتهر الآن من طريق أبي الوقت، عن الداودي، عن الحموي، عن الفربري، عن البخاري.

واسم صحيحه: "الجامع المسند الصحيح، المختصر من أمور رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وسننه، وأيامه" كذا سماه هو أول كتابه، وهو أول كتاب صنف في الحديث الصحيح المجرد، وهو أكثر فوائد من صحيح مسلم، وأصح على الصحيح عند الجمهور.

وقال النسائي: ما في هذه الكتب أجود منه. وقد قرر الإسماعيلي ترجيح كتابه في "مدخله"، ومما يرجح به أنه لابد من ثبوت اللقاء عنده، وخالفه مسلم واكتفى بإمكانه. وأجمعت الأمة على صحة كتابه وكتاب مسلم، ومعناه أنه يجب العمل بأحاديثهما، وأنهما يفيدان الظن، إلا ما تواتر منها، فيفيد العلم، وقال قوم: إنها كلها تفيد العلم القطعي، وأنكره الجمهور والمحققون.

فصل في سبب تصنيفه وكيفية تأليفه.

قال إبراهيم بن معقل النسفي: قال لنا أبو عبد الله البخاري: كنت عند إسحاق بن راهويه، فقال لنا بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابا مختصرا في الصحيح لسنن رسول – صلى الله عليه وسلم –، فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب. وروي من جهات عنه قال: صنفت كتاب الصحيح لست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة بيني وبين الله –عز وجل–. وعنه أنه قال: رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – في المنام كأني واقف بين يديه، وبيدي مروحة أذب عنه، فسألت بعض المعبرين فقال: أنت تذب الكذب؛ فهو الذي حملني على إخراج "الصحيح". وعنه قال: ما أدخلت في كتاب "الجامع" إلا ما صح، وتركت من الصحاح لحال الطول. وفي رواية عنه حكاها الحازمي في " شروط الأئمة الخمسة ": لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحا، وما تركته من الصحاح أكثر،

وهي بمعناها. وقال الفربري: قال لي البخاري: ما وضعت في كتاب "الصحيح" حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين. وقال عبد القدوس بن همام: سمعت عدة من المشايخ يقولون: حول البخاري تراجم جامعه بين قبر النبي – صلى الله عليه وسلم – ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين. وقال أبو زيد المروزي: رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – في المنام، فقال لي: "إلى متى تدرس الفقه، ولا تدرس كتابي؟ ". قلت: وما كتابك يا رسول الله؟ قال: "جامع محمد بن إسماعيل البخاري"، أو كما قال.

وفي "تاريخ نيسابور" للحاكم، عن أبي عمرو إسماعيل، ثنا أبو عبد الله محمد بن علي قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: أقمت بالبصرة خمس سنين معي كتبي أصنف وأحج في كل سنة، وأرجع من مكة إلى البصرة. قال: وأنا أرجو أن الله تعالى يبارك للمسلمين في هذه المصنفات. قال أبو عمرو: قال أبو عبد الله: فلقد بارك الله فيها.

وقال ابن طاهر: صنف صحيحه ببخارى. وقيل: بمكة. وقال ابن بجير: سمعت البخاري يقول: صنفته في المسجد الحرام، وما أدخلت فيه حديثا إلا بعد ما استخرت الله تعالى وصليت ركعتين، وتيقنت صحته. قال ابن طاهر: والقول الأول عندي أصح. وجمع النووي بين ذلك بأنه كان يصنف فيه بمكة، والمدينة، والبصرة، وبخارى، فإنه مكث في تصنيفه ست عشرة سنة كما سلف. وبعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى إليه: أن احمل إلي كتاب "الجامع"، و"التاريخ"، وغيرهما؛ لأسمع منك. فبعث إليه: أنا لا أذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كان لك إلى شيء منه حاجة فاحضرني في مسجدي أو في داري.

ويروى أنه بعث إليه أن يعقد مجلسا لأولاده لا يحضره غيرهم، فامتنع وقال: لا يسعني أن أخص بالسماع قوما دون قوم.

فصل في عدد أحاديثه.

جملة ما فيه من الأحاديث المسندة سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثا بالأحاديث المكررة. وبحذفها نحو أربعة آلاف، قد ذكرها مفصلة الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي بإسناده عن الحموي فقال: عدد أحاديث "صحيح البخاري"– رحمه الله–:

بدء الوحي: خمسة أحاديث.

الإيمان: خمسون.

العلم: خمسة وسبعون.

الوضوء: مائة وتسعة أحاديث.

غسل الجنابة: ثلاثة وأربعون.

الحيض: سبعة وثلاثون.

التيمم: خمسة عشر.

فرض الصلاة: حديثان.

الصلاة في الثياب: تسعة وثلاثون.

القبلة: ثلاثة عشر.

المساجد: ستة وسبعون.

سترة المصلي: ثلاثون.

مواقيت الصلاة: خمسة وسبعون.

الأذان: ثمانية وعشرون.

فضل صلاة الجماعة وإقامتها: أربعون.

الإمامة: أربعون.

إقامة الصفوف: ثمانية عشر.

افتتاح الصلاة: ثمانية وعشرون.

القراءة: ثلاثون.

الركوع والسجود والتشهد: اثنان وخمسون.

انقضاء الصلاة: سبعة عشر.

اجتناب أكل الثوم: خمسة أحاديث.

صلاة النساء والصبيان: خمسة عشر.

الجمعة: خمسة وستون.

صلاة الخوف: ستة أحاديث.

العيد: أربعون.

الوتر: خمسة عشر.

الاستسقاء: خمسة وثلاثون

الكسوف: خمسة وعشرون.

سجود القرآن: أربعة عشر.

القصر: ستة وثلاثون.

الاستخارة: ثمانية.

التحريض على قيام الليل: أحد وأربعون.

النوافل: ثمانية عشر.

الصلاة بمسجد مكة: تسعة.

العمل في الصلاة: ستة وعشرون.

السهو: أربعة عشر.

الجنائز: مائة وأربعة وخمسون.

الزكاة: مائة وثلاثة عشر.

صدقة الفطر: عشرة.

الحج: مائتان وأربعون.

العمرة: اثنان وثلاثون.

الإحصار: أربعون.

جزاء الصيد: أربعون.

الصوم: ستة وستون.

ليلة القدر: عشرة.

قيام رمضان: ستة.

الاعتكاف: عشرون.

البيوع: مائة وأحد وتسعون.

السلم: تسعة عشر.

الشفعة: ثلاثة أحاديث.

الإجارة: أربعة وعشرون.

الحوالة: ثلاثون.

الكفالة: ثمانية أحاديث.

الوكالة: سبعة عشر.

المزارعة والشرب: تسعة وعشرون.

الاستقراض وأداء الديون: خمسة وعشرون.

الإشخاص: ثلاثة عشر.

الملازمة: حديثان.

اللقطة: خمسة عشر.

المظالم والغصب: أحد أربعون.

الشركة: اثنان وسبعون.

الرهن: تسعة أحاديث.

العتق: أحد وعشرون.

المكاتب: ستة.

الهبة: تسعة وستون.

الشهادات: ثمانية وخمسون.

الصلح: اثنان وعشرون.

الشروط: أربعة وعشرون.

الوصايا: أحد وأربعون.

الجهاد والسير: مائتان وخمسة وخمسون.

بقية الجهاد أيضا: اثنان وأربعون.

فرض الخمس: ثمانية وخمسون.

الجزية والموادعة: ثلاثة وستون.

بدء الخلق: مائتان وحديثان.

الأنبياء والمغازي: أربعمائة وثمانية وعشرون.

جزء آخر بعد المغازي: مائة وثمانية وثلاثون

التفسير: خمسمائة وأربعون.

فضائل القرآن: أحد وثمانون.

النكاح والطلاق: مائتان وأربعة وأربعون.

النفقات: اثنان وعشرون.

الأطعمة: سبعون.

العقيقة: أحد عشر.

الصيد والذبائح وغيره: تسعون.

الذبائح والأضاحي: ثلاثون.

الأشربة: خمسة وستون.

الطب: تسعة وسبعون.

اللباس: مائة وعشرون.

المرضى: أحد وأربعون.

اللباس أيضا: مائة.

الأدب: مائتان وستة وخمسون

الاستئذان: سبعة وسبعون.

الدعوات: ستة وسبعون.

ومن الدعوات: ثلاثون.

الرقاق: مائة.

الحوض: ستة عشر.

الجنة والنار: سبعة وخمسون

القدر: ثمانية وعشرون.

الأيمان والنذور: أحد وثلاثون

كفارة اليمين: خمسة عشر.

الفرائض: خمسة وأربعون.

الحدود: ثلاثون.

المحاربون: اثنان وخمسون.

الديات: أربعة وخمسون.

استتابة المرتدين: عشرون.

الإكراه: ثلاثة عشر.

ترك الحيل: ثلاثة وعشرون.

التعبير: ستون.

الفتن: ثمانون.

الأحكام: اثنان وثمانون.

الأماني: اثنان وعشرون

إجازة خبر الواحد: تسعة عشر

الاعتصام: ستة وتسعون

التوحيد وعظمة الرب -سبحانه وتعالى- وغير ذلك إلى آخر الكتاب: مائة وسبعون .

وهذا فصل نفيس يغتبط به أهل العناية، فهو كالفهرست لأبواب الكتاب، فيسهل معرفة مظان أحاديثه على قاصديه.

وقال أبو حفص عمر بن عبد المجيد الميانشي في "إيضاح ما لا يسع المحدث جهله": الذي اشتمل عليه كتاب البخاري من الأحاديث سبعة آلاف وستمائة ونيف. قال: واشتمل كتابه وكتاب مسلم على ألف حديث ومائتي حديث من الأحكام، فروت عائشة من جملة الكتابين مائتين ونيفا وسبعين حديثا، لم يخرج غير الأحكام منها إلا يسيرا.

قال الحاكم: فحمل عنها ربع الشريعة. ومن الغريب ما رأيته في كتاب "الجهر بالبسملة" لأبي سعيد إسماعيل بن أبي القاسم البوشنجي نقل عن البخاري أنه صنف كتابا أورد فيه مائة ألف حديث صحيح.

فصل. قال الحاكم أبو عبد الله في "المدخل إلى معرفة المستدرك": عدد من أخرج لهم البخاري في "الجامع الصحيح"، ولم يخرج لهم مسلم أربعمائة وأربعة وثلاثون شيخا، وعدد من احتج به مسلم في "صحيحه"، ولم يحتج بهم البخاري في "جامعه" ستمائة وخمسة وعشرون شيخا.

فصل في نبذة من حال مصنفه مختصرة فإنها تحتمل تصنيفا.

هو أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة -بضم الميم على المشهور، ويجوز كسرها في لغة -بن بزدزبه-، بفتح أوله، وهو مثنى تحت، ثم زاي ساكنة، ثم دال مهملة مكسورة، ثم زاي، ثم باء موحدة، ثم هاء -ويقال: بردزبه -بموحدة في أوله بدل المثناة، ثم راء مهملة، والباقي مثله. كذا ضبطه أولا ابن خلكان عن بعضهم، ثم نقل الثاني عن ابن ماكولا قال -أعني ابن ماكولا-: هو بالبخارية، ومعناه بالعربية: الزراع.

وقال ابن دحية في كلامه على حديث "إنما الأعمال بالنيات": قال لي أهل خراسان بعد أن لم يعرفوا معنى هذه اللفظة: يقال للفلاحين بالفارسية برزكر-بباء موحدة، ثم راء ساكنة، ثم زاي مكسورة، ثم كاف غير صافية، ثم راء ساكنة -وهو لقب لكل من سكن البادية زراعا كان أو غيره، وقيل: إنه المغيرة بن الأحنف الجعفي مولاهم ولاء الإسلام؛ لأن جده المغيرة أسلم على يد يمان البخاري الجعفي والي بخارى. ويمان هذا هو أبو جد عبد الله بن محمد بن جعفر بن يمان المسندي شيخ البخاري.

ولد بإجماع بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة، وأجمعوا على أنه توفي ليلة السبت، عند صلاة العشاء ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد الظهر سنة ست وخمسين ومائتين بخرتنك - قرية على فرسخين من سمرقند- كتب - رضي الله عنه - بخراسان، والجبال، والعراق، والحجاز، والشام، ومصر، عن أبي نعيم، والفريابي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وخلق يزيدون على ألف. وروى عنه: الترمذي، والنسائي فيما قيل، ومسلم خارج "الصحيح" وإبراهيم الحربي، وأبو زرعة، ومحمد بن نصر المروزي، وصالح بن محمد بن جزرة -بفتح الجيم وكسرها- ومطين، وابن خزيمة. وكان يحضر مجلسه أكثر من عشرين ألفا يأخذون عنه. وصفته: أنه كان نحيف الجسم ليس بالطويل، ولا بالقصير.

ومن كلامه: المادح والذام عندي سواء، وأرجو أن ألقى الله ولا يطالبني أني اغتبت أحدا.

وقال: ما اشتريت منذ ولدت من أحد بدرهم، ولا بعت أحدا شيئا، فسئل عن الكاغد والحبر فقال: كنت آمر إنسانا يشتري لي. وقال: ما أتيت شيئا بغير علم. وقال: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح. وأقوال الأئمة في تفضيله، وتعظيمه،

وتفرده بهذا الشأن مشهورة، وقد ذكرت جملة منها في "الإعلام بفوائد عمدة الأحكام".

فائدة يتعين عليك حفظها: قد علمت أن البخاري مات سنة ست وخمسين ومائتين، ومات مسلم بنيسابور سنة إحدى وستين ومائتين، ومات أبو داود بالبصرة سنة خمس وسبعين ومائتين، ومات الترمذي بها سنة تسع وسبعين ومائتين، ومات النسائي بمكة سنة ثلاث وثلاثمائة. **فائدة ثانية:** قد أسلفت أن البخاري -رحمه الله- أمير المؤمنين في الحديث، وقد شاركه في ذلك جماعة أفردهم الحافظ أبو علي الحسن بن محمد البكري في كتابه "التبيين لذكر من يسمى بأمير المؤمنين" قال: وأول من سمي بهذا الاسم -فيما أعلمه وشاهدته ورويته، وسمي بالإمام في أول الإسلام- أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، وبعده إمام دار الهجرة: مالك بن أنس، ثم عد بعدهما: محمد بن إسحاق صاحب المغازي، وشعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، والبخاري، والواقدي، وإسحاق ابن راهويه، وعبد الله بن المبارك، والدارقطني وذكر فيه أن أبا إسحاق الشيرازي أمير المؤمنين فيما بين الفقهاء نقلا عن الموفق الحنفي إمام أصحاب الرأي ببغداد. هذا مجموع ما ذكره في تأليفه، وأغفل الإمام أبا عبد الله محمد بن يحيى الذهلي؛ فإن أبا بكر بن أبي داود قال: ثنا محمد بن يحيى، وكان أمير المؤمنين في الحديث. وأبا نعيم الفضل بن دكين الملائي الكوفي فإن الحاكم في "تاريخ نيسابور" قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحسين بن منصور قال: حدثني أبي ثنا محمد بن عبد الوهاب قال: سمعت بالكوفة يقولون: أمير المؤمنين في الحديث. وإنما يعنون أبا نعيم الفضل بن دكين لعلمه بالحديث. وكذلك هشام بن أبي عبد الله الدستوائي، فإن أبا داود الطيالسي قال: كان أمير المؤمنين في الحديث. ومسلم بن الحجاج جدير بأن يتلقب بذلك وإن لم أرهم نصوا عليه.

58- تحفة الإخباري بترجمة البخاري[1]

محمد بن عبد الله أبي بكر بن محمد، ابن ناصر الدين (ت 842هـ)

قال رحمه الله تعالى: " بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبنا ونعم الوكيل

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمدٍ خاتم النبيين والمرسلين، وأكرم الأولين والآخرين، المبعوث هادياً للأمة، كاشفاً للغمة، والمنعوت بالرأفة والرحمة، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الكرام المنتجبين، وتابعيهم بإحسانٍ إلي يوم الدين، وسلم تسليماً.

وبعد، فهذه ترجمةٌ محررةٌ، وحليةٌ محبرةٌ، تكشف عن شمائل سلطان المحدثين، بل أمير المؤمنين، المقدم في هذا الشأن على أقرانه، أبي عبد الله البخاري أوحد زمانه، سميتها: (تحفة الإخباري، بترجمة البخاري).

فهو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بذدزبة الجعفي، مولاهم البخاري، الإمام العلم، الحافظ أمير المؤمنين في الحديث، أبو عبد الله بن أبي الحسن رحمة الله عليه.

وجده بذدزبة مختلفٌ فيه فقيل فيه: بردزبه، (بالراء مكان الذال المعجمة)، ووجدته مقيداً في موضعين يزذبه بخط أبي جعفر بن أحمد بن محمد العبدري فيما قرأه على أبي مروان عبد الملك بن عبد الله بن مدرك العبدري في غرة شهر ربيع الآخر من سنة ستٍ وثمانين وأربع مئة.

وبذدزبة بالبخارية ومعناها: الزارع فيما ذكره أبو سعيد بكر بن منير بن خليد بن عسكر البخاري، وبذدزبة كان مجوسياً مات عليها. وأسلم ولده المغيرة على يدي اليمان بن أخنس بن خنيس والي بخارى جد المسندي أبي جعفر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان الجعفي، قال أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني الحافظ: (ومحمد بن إسماعيل جعفي) وقيل: لأن أبا جده أسلم على يدي أبي جد عبد الله بن محمد المسندي.

وقال أيضاً: سمعت الحسن بن الحسين، أبا علي البزاز البخاري يقول: ولد محمد بن إسماعيل البخاري –رحمه الله– يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع

---

[1] تحفة الإخباري بترجمة البخاري– ت: محمد بن ناصر العجمي– دار البشائر الإسلامية –ط الأولى 1413 هـ – 1993 م

وتسعين ومئةٍ. انتهى. وقال أبو عبد الله محمد بن يوسف الفربري، ثنا أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق: قال لي أبو عمرو المستنير بن عتيق: سألت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل متى ولدت فأخرج إلي خط أبيه: ولد محمد بن إسماعيل يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلةً مضت من شوالٍ سنة أربع وتسعين ومئة، قال مؤلفه -رحمه الله-: وكان مولده ببخارى وأضر في صغره. قال الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي في كتابه (كرامات أولياء الله عز وجل): أنا أحمد بن محمد بن حفص، أنا محمد بن أحمد بن سليمان، أنا خلف بن محمد، حدثنا محمد بن أحمد بن الفضل البلخي، سمعت أبي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل -يعني البخاري- في صغره فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل -عليه السلام- فقال لها: يا هذه، قد رد الله -عز وجل- على ابنك بصره لكثرة بكائك، أو كثرة دعائك -الشك من أبي محمد البلخي- فأصبحت وقد رد الله -تعالى- عليه بصره. وحدث به أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملي البلخي ببلخ فقال: سمعت محمد بن يوسف بن ديحان البخاري ببخارى أنبأ أبو عبد الله محمد بن محمدٍ البامياني ببخارى، حدثني أبو الحسن محمد بن نوح سمعت أحمد بن محمد بن الفضل البلخي، سمعت أبي يقول: كان محمد بن إسماعيل قد ذهب بصره في صباه، وكانت له والدة متعبدةٌ، فرأت إبراهيم خليل الرحمن -عليه السلام- في المنام فقال لها: إن الله -تبارك وتعالى- قد رد بصر ابنك عليه بكثرة دعائك، قال فأصبحت وقد رد الله عز وجل عليه بصره. وخرجه الحافظ أبو بكرٍ أحمد بن علي الخطيب في تاريخه من حديث علي بن محمد بن الحسين الفقيه، ثنا خلف بن محمد الختام، سمعت أبا محمدٍ المؤذن عبد الله بن محمد بن إسحاق السمسار، سمعت شيخي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره، فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل -عليه السلام- فقال لها: يا هذه، قد رد الله على ابنك بصره، لكثرة بكائك، أو لكثرة دعائك، قال: فأصبح وقد رد الله -عز وجل- عليه بصره. وقد بلغنا أن أباه أبا الحسن، إسماعيل، كان من خيار الناس، ووجدت في (التاريخ الكبير) لولده ما نصه: إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو الحسن رأى حماد بن زيد صافح ابن المبارك بكلتا يديه وسمع مالكاً. إن لم يكن هذا والد البخاري فلا أدري من هو؟، وأبو الحسن والد البخاري، لما حضرته الوفاة، قال لأحمد بن حفصٍ: لا أعلم من مالي درهماً من شبهة ولا من حرام. ولما توفي نشأ ولده أبو عبد الله يتيماً في حجر أمه فأسلمته إلى معلم

إلى أن كمل له عشر سنين.

روينا عن أبي جعفر محمد بن أبي حاتم وراق البخاري قال: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل: كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب. قلت: كم كان سنك؟ قال: عشر سنين، أو أقل. ثم خرجت من الكتاب بعد العشر، فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره. فقال يوماً فيما كان يقرأ للناس: سفيان، عن أبي الزبير، عن إبراهيم، فقلت: يا شيخ، إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل، فدخل فنظر فيه، ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي، عن إبراهيم، فأخذ القلم مني، وأحكم كتابه، فقال لي: صدقت. فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت حين رددت عليه؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة. فلما طعنت في ست عشرة سنة، كنت قد حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخي وتخلفت بها في طلب الحديث.

فلما طعنت في ثماني عشرة سنة، جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وصنفت كتاب (التاريخ) عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة. وقل اسمٌ في التاريخ إلا وله عندي قصةٌ، إلا أني كرهت تطويل الكتاب.

وقال أبو جعفر أيضاً: سمعت البخاري يقول: لو نشر بعض أستاذي هؤلاء لم يفهموا كيف صنفت كتاب (التاريخ) ولا عرفوه، ثم قال: صنفته ثلاث مرات. قال: وقال -يعني البخاري-: أخذ إسحاق بن راهويه كتاب (التاريخ) الذي صنفت، فأدخله على عبد الله بن طاهر، فقال: أيها الأمير، ألا أريك سحراً؟ فنظر فيه عبد الله بن طاهر، فتعجب منه وقال: لست أفهم تصنيفه. قال القاضي أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمي، سمعت أبا العباس بن سعيد يقول: لو أن رجلاً كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن كتاب (تاريخ محمد بن إسماعيل البخاري). خرجه الخطيب البغدادي في (تاريخه) من طريق الهاشمي. وقد بلغ رواة الحديث في (كتاب التاريخ) هذا قريباً من أربعين ألف رجل وامرأةٍ فيما قاله أبو الحسين بن محمد الماسرجسي وهذا هو (التاريخ الكبير). وكذا (التاريخ الأوسط). و(الصغير) أيضاً.

وله من المصنفات غير ذلك منها: كتاب (القراءة خلف الإمام). وكتاب (رفع اليدين في الصلاة). وكتاب (الأدب). وكتاب (الضعفاء الكبير) و(الصغير).وكتاب (المبسوط) الذي

جمع فيه كتبه على الأبواب فيما قيل. وكتاب (الفوائد) الذي ذكره الترمذي في (جامعه) في مناقب طلحة بن عبيد الله -رضي الله عنه-. وكتاب (أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) وأشار إليه في (التاريخ الكبير). وكتاب (الرد على الجهمية). وكتاب (خلق أفعال العباد).

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق فيما روينا عنه: سمعته -يعني البخاري- يقول: كنت أختلف إلى الفقهاء بمرو وأنا صبي، فإذا جئت أستحي أن أسلم عليهم، فقال لي مؤدبٌ من أهلها: كم كتبت اليوم؟ فقلت: اثنين، وأردت حديثين، فضحك من حضر المجلس. فقال شيخٌ منهم: لا تضحكوا، فلعله يضحك منكم يوماً. فكان كما قال الشيخ.

وقال أبو جعفر الوراق أيضاً سمعت محمد بن إسماعيل يقول: قال لي محمد بن سلام -يعني البيكندي-. انظر في كتبي فما وجدت فيها من خطأٍ فاضرب عليه، كي لا أرويه قال ففعلت ذلك، وكان محمد بن سلام كتب عند الأحاديث التي أحكمها محمد بن إسماعيل: رضي الفتى. وفي الأحاديث الضعيفة: لم يرض الفتى. فقال له بعض أصحابه: من هذا الفتى؟ فقال: هو الذي ليس مثله، محمد بن إسماعيل. وقد بلغنا أن البخاري فعل هذا بكتب البيكندي وهو ابن سبع عشرة سنةً أو دونها. ولم يزل -رحمه الله- مجتهداً من صغره إلى آخر عمره.

خرج الحافظ أبو بكر الخطيب في (تاريخه) من طريق أحمد بن محمد بن عمر بن بسام المروزي سمعت أحمد بن سيار يقول: ومحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو عبد الله، طلب العلم، وجالس الناس، ورحل في الحديث، ومهر فيه وأبصر، وكان حسن المعرفة، حسن الحفظ، وكان يتفقه.

كانت رحلة البخاري -رحمه الله- في طلب الحديث إلى معظم البلاد، وكتب بخراسان، والجبال، ومدن العراق كلها، وبالحجاز والشام ومصر، وأخذ عن الحفاظ النقاد، لقي مكي بن إبراهيم بخراسان، وأبا عاصم بالبصرة، وعبيد الله بن موسى بالكوفة، وأبا عبد الرحمن المقرئ بمكة، ومحمد بن يوسف الفريابي بالشام، وكتب عن خلق حتى عن أقرانه كأبي محمد الدارمي، وأبي زرعة، وأبي حاتم الرازيين، وأشباههم حتى كتب عمن هو دونه، كعبد الله بن حماد الأملي، وحسينٍ القباني وغيرهما.

قال وراقه محمد بن أبي حاتم: سئل محمد بن إسماعيل عن خبر حديث فقال يا أبا فلان: تراني أدلس؛ تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل لي فيه نظر، وتركت مثله أو أكثر منه لغيره لي فيه نظر.

وقال الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد غنجار في كتابه: (تاريخ بخارى): ثنا خلف بن محمد، سمعت الحسين بن الحسن بن الوضاح، ومكي بن خلف بن عفان قالا: سمعنا محمد بن إسماعيل البخاري يقول: كتبت عن ألف نفرٍ من العلماء وزيادةٍ ولم أكتب إلا عن من قال: الإيمان قولٌ وعملٌ، ولم أكتب عمن قال الإيمان قول.

وقال غنجار أيضاً: ثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، سمعت أبا حسان مهيب بن سليم، سمعت جعفر بن محمد القطان إمام الجامع بكرمينية، سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: كتبت عن ألف شيخ وأكثر، عن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر، ما عندي حديثٌ إلا أذكر إسناده. وقال أبو جعفر الوراق: سمعت البخاري يقول قبل موته بقليل: كتبت عن ألفٍ وثمانين رجلاً، كل يعتقد أن الإيمان قولٌ وعملٌ، ويزيد وينقص. وروينا عن البخاري أنه قال مرة لوراقه أبي جعفرٍ محمد بن أبي حاتم: لم تكن كتابتي للحديث كما كتب هؤلاء. كنت إذا كتبت عن رجلٍ سألته عن اسمه وكنيته ونسبه وعلة الحديث، إن كان الرجل فهماً. فإن لم يكن سألته أن يخرج إلي أصله ونسخته.

قال خلف بن محمد، ثنا إسحاق بن أحمد بن خلف، سمعت أبا عيسى محمد بن عيسى الترمذي، يقول: كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله بن منير، فلما قام من عنده قال: يا أبا عبد الله، جعلك الله زين هذه الأمة. قال أبو عيسى: فاستجيب له فيه. جعله الله زيناً للأمة وقدوةً للأئمة.

أخذ الحفاظ عنه وسمعوا منه.

روى عنه مسلم بن الحجاج خارج (صحيحه) والترمذي في (جامعه) والنسائي في رواية ابن السني وحده عنه حيث قال في (سننه): (ثنا) محمد بن إسماعيل البخاري، وساق بسنده عن الزهري، عن عروة عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: (ما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعنةٍ .. ..) الحديث. ورواه حمزة الكناني، وابن حيوية النيسابوري، وغيرهما، عن النسائي قال: ثنا محمد بن إسماعيل فقط وقع من طريق الصوري، عن ابن النحاس، عن حمزة

الكناني، عن النسائي، ثنا محمد بن إسماعيل وهو أبو بكر الطبراني، ويحتمل أن يكون محمد بن إسماعيل هو ابن علية فإنه يروي عنه كثيراً، وقد روى النسائي في كتابه (الكنى) عن عبد الله بن أحمد ابن عبد السلام الخفاف عن البخاري. فقيل: هذه قرينة في أنه لم يلق البخاري والله أعلم. وممن روى عنه إبراهيم بن إسحاق الحربي، وصالح بن محمد جزرة، وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان، ومحمد بن عبد الله الحضرمي مطين، وأبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، ويحيى بن محمد بن صاعد، ومحمد بن نصر المروزي، وخلق لا يحصون. قال الحافظ أبو بكر محمد بن أبي عتاب الأعين البغدادي، فيما خرجه الحافظ أبو بكر الخطيب في (تاريخه) من طريق أبي العباس الفضل بن إسحاق بن الفضل البزاز، ثنا أحمد بن المهنا العابد، ثنا أبو بكر الأعين قال: كتبنا عن محمد بن إسماعيل على باب محمد بن يوسف الفريابي، وما في وجهه شعرةٌ. قلت فقلت: ابن كم كنت؟ قال: ابن سبع عشرة سنةً.

وقال الخطيب في (تاريخه): أنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري بنيسابور، سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الفقيه البلخي، سمعت أبا العباس أحمد بن عبد الله البلخي الصفار، يقول سمعت أبا إسحاق المستملي، يروي عن محمد بن يوسف الفربري، أنه كان يقول: سمع كتاب (الصحيح) لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل، فما بقي أحدٌ يروي عنه غيري.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي فيما أنبأنا عنه: (الصفار): لا يدري من هو؟ انتهى. وآخر من روى عنه (صحيحه) فيما ذكره أبو العباس جعفر بن محمد المستغفري الحافظ في تاريخ (نسف) وأبو نصر ابن ماكولا وغيرهما: أبو طلحة منصور بن محمد بن علي بن مزينة، وقيل: قرينة بن سوية البزدوي النسفي الدهقان. مات سنة تسعٍ وعشرين وثلاثمائة، وهو ثقة لكن ضعفت روايته من جهة صغره.

وآخر من حدث عن البخاري ببغداد فيما ذكره الخطيب في (تاريخه) الحسين بن إسماعيل المحاملي، وآخر من زعم أنه سمع منه: أبو ظهير عبد الله بن فارس بن محمد بن علي بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي البلخي الذي مات سنة ستٍ وأربعين وثلاثمائة.

قال الفربري فيما خرجه الخطيب في (تاريخه)، ثنا محمد بن أبي حاتم، قال: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل: تحفظ جميع ما أدخلت في المصنف؟ قال: لا يخفى علي جميع ما فيه.

وخرج أيضاً من طريق محمد بن أبي حاتم الوراق سمعت حاشد بن إسماعيل يقول: كان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلامٌ، فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما معناك فيما تصنع؟ فقال لنا بعد ستة عشر يوماً: قد أكثرتما علي وألححتما، فاعرضا علي ما كتبتما. فأخرجنا ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديثٍ، فقرأها كلها على ظهر القلب، حتى جعلنا نحكم كتبنا على حفظه. ثم قال: أترون أني أختلف هدراً وأضيع أيامي؟! فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد. قال: وكان أهل المعرفة من أهل البصرة يغدون خلفه في طلب الحديث، وهو شابٌ حتى يغلبوه على نفسه، ويجلسونه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف، أكثرهم من يكتب عنه. قال وكان أبو عبد الله عند ذاك شاباً لم يخرج وجهه.

وخرج الخطيب وغنجار في (تاريخيهما) من طريق أبي ذر محمد بن محمد بن يوسف القاضي، سمعت أبا معشر حمدوية بن الخطاب يقول: لما قدم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل من العراق، قدمته الآخرة، وتلقاه من تلقاه من الناس، وازدحموا عليه، وبالغوا في بره. فقيل له في ذلك، وفيما كان من كرامة الناس، وبرهم له. فقال: فكيف لو رأيتم يوم دخولنا البصرة؟

وقال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم: سمعت سليم بن مجاهد: كنت عند محمد بن سلام البيكندي، فقال لي لو جئت قبل لرأيت صبياً يحفظ سبعين ألف حديثٍ. -يعني البخاري- قال فخرجت في طلبه حتى لقيته. فقلت: أنت الذي تقول: أنا أحفظ سبعين ألف حديث؟ قال: نعم؛ وأكثر منه، ولا أجيئك بحديثٍ من الصحابة أو التابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثاً من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولي في ذلك أصلٌ أحفظه حفظاً عن كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ.

وقال علي بن الحسين بن عاصم البيكندي: قدم علينا محمد بن إسماعيل فاجتمعنا عنده. ولم يكن يتخلف عنه من المشايخ أحد، فتذاكرنا عنده. فقال رجل من أصحابنا -أراه حامد بن حفص-: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: كأني أنظر إلى سبعين ألف حديثٍ من كتابي. قال فقال محمد بن إسماعيل: أو تعجب من هذا؟! لعل في هذا الزمان من ينظر إلى مائتي ألف حديث من كتابه. وإنما عنى به نفسه.

وقال أبو أحمد ابن عدي، حدثني محمد بن أحمد القومسي، سمعت محمد بن حمدويه، سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديثٍ غير صحيح. وروي أنه قدم بلخ فسأله أهلها أن يملي لكل واحدٍ من مشايخه حديثاً فأملى ألف حديث لألف شيخ ممن سمع منهم وما ظفروا منه بسقطه. وخرج الحافظ أبو بكر الخطيب في (تاريخه) من حديث يوسف بن موسى المروروذي قال: كنت بالبصرة في جامعها، إذ سمعت منادياً ينادي: يا أهل العلم، قد قدم محمد بن إسماعيل البخاري، فقاموا في طلبه، وكنت معهم، فرأيت رجلاً شاباً، لم يكن في لحيته شيء من البياض، يصلي خلف الأسطوانة. فلما فرغ من الصلاة، أحدقوا به، وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء، فأجابهم إلى ذلك. فقام المنادي ثانياً فنادى في جامع البصرة: قد قدم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري فسألناه أن يعقد مجلس الإملاء، فقد أجاب بأن يجلس غداً في موضع كذا، قال: فلما أن كان بالغداة حضر الفقهاء، والمحدثون، والحفاظ، والنظار، حتى اجتمع قريب من كذا وكذا ألفاً. فجلس أبو عبد الله محمد بن إسماعيل للإملاء فقال: قبل أن آخذ في الإملاء قال لهم: يا أهل البصرة أنا شاب وقد سألتموني أن أحدثكم، وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدون الكل فتعجب الناس من قوله، ثم أخذ في الإملاء، فقال: ثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد العتكي بلديكم، أنا أبي، عن شعبة، عن منصور وغيره، عن سالم بن أبي الجعد، عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله الرجل يحب القوم .. .. ؛ فذكر حديث (المرء مع من أحب) ثم قال محمد بن إسماعيل: هذا ليس عندكم إنما عندكم عن غير منصور، عن سالم، قال يوسف بن موسى: وأملي عليهم مجلساً على هذا النسق، يقول في كل حديث: روى شعبة هذا الحديث عندكم كذا فأما من رواية فلان فليس عندكم أو كلاماً ذا معناه.

وقال أبو علي صالح بن محمد البغدادي كان محمد بن إسماعيل يجلس ببغداد وكنت أستملي له ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفاً.

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب في (تاريخه): حدثني محمد بن أبي الحسن الساحلي: أنا أحمد بن الحسن الرازي، سمعت أبا أحمد بن عديٍ يقول: سمعت عدة مشايخ، يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة

حديثٍ، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسنادٍ آخر، وإسناد هذا المتن لمتنٍ آخر ودفعوها إلى عشرة أنفسٍ، إلى كل رجل عشرة أحاديث وأمروهم إذا حضر المجلس يلقون ذلك على البخاري، وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعةٌ من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان، وغيرهم، من البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخاري: لا أعرفه. فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه فما زال يلقى عليه واحداً بعد واحد. حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: الرجل فهم ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم. ثم انتدب رجل آخر من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه، فلم يزل يلقى عليه واحداً بعد واحد، حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه، ثم انتدب له الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري – رحمه الله– لا يزيدهم على (لا أعرفه). فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا، التفت إلى الأول منهم. فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متنٍ إلى إسناده. وكل إسناد إلى متنه وفعل بالآخرين مثل ذلك. ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها، فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل.

قال ابن عدي: وكان ابن صاعد إذا ذكر محمد بن إسماعيل يقول: الكبش النطاح، خرجه أبو أحمد بن عدي كما ساقه الخطيب إليه في كتابه (أسامي رجال البخاري).

وقال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا عمرو المستنير بن عتيق البكري، سمعت رجا بن المرجى يقول: فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء.

فقال له رجل: يا أبا محمد كل ذلك بمرة؟ فقال: هو آية من آيات الله يمشي على ظهر الأرض. وقال أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي في كتابه (الألقاب): أخبرني أبو الفضل يعقوب بن إسحاق .. ، أنا أبو يعلى عبد المؤمن بن خلف يعني التميمي، ثنا الحسين بن حاتم عبيدٌ العجل قال: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل البخاري. ومسلم بن الحجاج

الحافظ، لم يكن يبلغ محمد بن إسماعيل. ورأيت أبا زرعة وأبا حاتم يستمعون إلى محمد بن إسماعيل أي شيءٍ يقول: يجلسون تحته، قال: فذكر له قصة محمد بن يحي فقال: ما له ولمحمد بن إسماعيل؟ كان محمد أمةً من الأمم، وكان أعلم من محمد بن يحيي بكذا وكذا، ويجله، وكان محمد بن إسماعيل ديناً فاضلاً يحسن كل شيء. وخرجه الخطيب في (تاريخه) بنحوه. وفي هذه الرواية تفضيل البخاري، ومسلم والذهلي، وغيرهما.

وحكى الشيخ أبو زكريا النووي –رحمه الله–: اتفاق العلماء على أن البخاري أجل من مسلم، وأعلم بصناعة الحديث منه، قال: وقد صح أن مسلماً كان ممن يستفيد من البخاري، ويعترف بأنه ليس له نظيرٌ في علم الحديث. ويشهد لقول النووي –رحمه الله– ما قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم في كتابه (معرفة علوم الحديث) وحدث به البيهقي في (المدخل) عن الحاكم، حدثني أبو نصر أحمد بن محمد الوراق، سمعت أبا حامدٍ أحمد بن حمدون القصار –يعني الأعمش– سمعت مسلم بن الحجاج، وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري، فقبل بين عينيه، وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله، حدثك محمد بن سلام، ثنا مخلد بن يزيد الحراني، أنا ابن جريج، عن موسى بن عقبة، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة –رضي الله عنه–، عن النبي صلى الله عليه وسلم في (كفارة المجلس)، فما علته؟ وفي رواية البيهقي فقال البخاري: وثنا أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، قالا: ثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، حدثني موسى بن عقبة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في: كفارة المجلس أن يقول إذا قام من مجلسه: (سبحانك ربنا وبحمدك) فقال محمد بن إسماعيل: هذا حديثٌ مليح، ولا أعلم في الدنيا في هذا الباب غير هذا الحديث، إلا أنه معلولٌ، ثنا به موسى بن إسماعيل، ثنا وهيب، ثنا سهيلٌ، عن عون بن عبد الله قوله، قال: محمد بن إسماعيل: هذا أولى فإنه لا يذكر لموسى بن عقبة سماعاً من سهيل، وفي رواية البيهقي بعد هذا: وسهيل بن ذكوان مولى جويرية، وهم أخوةٌ سهيل، وعباد، وصالح بنو أبي صالح وهم من أهل المدينة. وهذه القصة خرجها أبو بكر الخطيب في (تاريخه) فقال: أنا أبو حازم العبدوي يعني –عمر بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري– قال: سمعت الحسن بن أحمد الزنجوي، سمعت أحمد بن حمدون الحافظ، يقول: كنا عند محمد بن إسماعيل البخاري، فجاء

مسلم بن الحجاج فسأله عن حديث عبيد الله بن عمر، عن أبي الزبير، عن جابر -رضي الله عنه- قال بعثنا رسول الله ﷺ في سريةٍ، ومعنا أبو عبيدة. فقال محمد بن إسماعيل: ثنا ابن أبي أويس، حدثني أخي أبو بكر، عن سليمان بن بلال، عن عبيد الله، عن أبي الزبير، عن جابر: القصة بطوله. فقرأ عليه إنسان حديث حجاج بن محمد، عن ابن جريج، عن موسى بن عقبة، حدثني سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: كفارة المجلس إذا قام العبد أن يقول: (سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك). فقال: أتعلم في الدنيا أحسن من هذا الحديث؟ ابن جريج عن موسى بن عقبة، عن سهيلٍ تعرف بهذا الإسناد في الدنيا حديثاً، قال له محمد: لا. إلا أنه معلول فقال، مسلم لا إله إلا الله! وارتعد!! قال: أخبرني به؟ قال: استر ما ستر الله. فإن هذا حديث جليل. رواه الخلق عن حجاج بن محمد، فألح عليه، وقبل رأسه، وكاد أن يبكي!! مسلم فقال له أبو عبد الله: اكتب إن كان لا بد: ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا وهيب، حدثني موسى بن عقبة، عن عون بن عبد الله قال رسول الله ﷺ: (كفارة المجلس): فقال له مسلم: لا يبغضك إلا حاسدٌ، وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك.

في رواية الخطيب هذه ثلاثة أمور أحدها: وقف رواية حجاج على أبي هريرة. فلم يرفعه، ولم أعلم أحداً ممن رواه من هذه الطريق، وقفه على أبي هريرة.

والثاني: إرساله عن عون بن عبد الله وهو ابن عتبة بن مسعود، عن النبي ﷺ، وإنما حكم البخاري بأنه من قوله كما تقدم من رواية الحاكم.

والثالث قوله: ثنا وهيب: حدثني موسى بن عقبة، عن عون بن عبد الله، ورواية الحاكم، ثنا وهيب، ثنا سهيل، عن عون بن عبد الله هي الصواب، والله أعلم مع أن وهيباً روى عن سهيل، وموسى بن عقبة. وكما ذكره الحاكم ذكره البخاري في (تاريخه الكبير) فقال: وقال موسى عن وهيب، ثنا سهيل، عن عون بن عبد الله بن عتبة قوله: وحديث وهيب أولى.

نعم، وقد تعجبت من الحاكم أبي عبد الله -رحمه الله- حيث روى القصة في تعليل البخاري الحديث في كتابه (علوم الحديث) وقول البخاري: إلا أنه معلول ثنا به موسى بن إسماعيل، ثنا سهيل، عن عون بن عبد الله قوله. وحيث قال في كتابه (المستدرك)، في كتاب الدعوات، ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي، ثنا محمد بن الفرج الأزرق، ثنا حجاج بن محمد قال:

قال ابن جريج، أخبرني موسى بن عقبة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة –رضي الله عنه– فذكره مرفوعاً، قال: هذا إسنادٌ صحيح على شرط مسلم، إلا أن البخاري قد علله بحديث وهيب، عن موسى بن عون، عن سهيل، عن أبيه، عن كعب الأحبار من قوله فالله أعلم. فانظر كيف حكى الحاكم عن البخاري في تعليل الحديث غير ما رواه عنه في كتابه (علوم الحديث)، ورواه الناس. وهذا عجيب منه! ولم أر أحداً نبه عليها.

قال الحاكم أبو عبد الله سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ يقول: سمعت أبي يقول: رأيت مسلم بن الحجاج بين يدي محمد بن إسماعيل البخاري، وهو يسأله سؤال الصبي المتعلم. وقال أبو يعلى الخليلي الحافظ وسمعت عبد الرحمن بن محمد بن فضالة الحافظ يقول: سمعت أبا أحمد محمد بن محمد بن إسحاق الكرابيسي الحافظ يقول: رحم الله الإمام محمد بن إسماعيل فإنه الذي ألف الأصول، وبين للناس. وكل من عمل بعده فإنما أخذ من كتابه كمسلم بن الحجاج فرق كتابه في كتبه وتجلد فيه حق الجلادة حيث لم ينسبه إلى قائله. ولعل من ينظر في تصانيفه لا يقع فيها ما يزيد إلا ما يسهل على من يعده عداً. ومنهم من أخذ كتابه فنقله بعينه إلى نفسه! كأبي زرعة وأبي حاتم! فإن عاند الحق معاند فيما ذكرت، فليس يخفى صورة ذلك على ذوي الألباب.

وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل، سمعت أبي يقول: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل البخاري. وقال وراقه ابن أبي حاتم: سمعت عمر بن حفص الأشقر، سمعت عبدان يقول: ما رأيت بعيني شاباً أبصر من هذا، وأشار بيده إلى محمد بن إسماعيل.

وقال الوراق أيضاً: حدثني حاشد بن عبد الله بن عبد الواحد، سمعت يعقوب بن إبراهيم الدورقي يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

وقال الوراق: سمعت حاشد بن عبد الله قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر المديني: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا، وأبصر من أحمد بن حنبل. فقال له رجل من جلسائه جاوزت الحد. فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكاً، ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت: كلاهما واحدٌ في الفقه والحديث.

وخرج أبو عبد الله محمد بن أحمد غنجار، وأبو بكر أحمد بن علي الخطيب في (تاريخهما) من طريق إسحاق بن أحمد بن زيرك، سمعت محمد بن إدريس الرازي –يعني أبا حاتم– يقول: في

سنة سبع وأربعين ومائتين: يقدم عليكم رجلٌ من أهل خراسان لم يخرج منها أحفظ منه، ولا قدم العراق أعلم منه، فقدم علينا بعد ذلك بأشهرٍ محمد بن إسماعيل.

وقال أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي في آخر (جامعه): ولم أر أحداً بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ، ومعرفة الأسانيد كثير أحدٍ أعلم من محمد بن إسماعيل. وقال إبراهيم بن محمد بن سلام: إن الرتوت من أصحاب الحديث مثل سعيد بن أبي مريم المصري، ونعيم بن حماد، والحميدي، والحجاج بن منهال، وإسماعيل بن أبي أويس، والعدني، والحسن الخلال بمكة، ومحمد بن ميمون صاحب ابن عيينة، ومحمد بن العلاء، والأشج، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، وإبراهيم بن موسى الفراء، كانوا يهابون محمد بن إسماعيل، ويقضون له على أنفسهم في المعرفة والنظر.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت محمود بن النضر أبا سهل الشافعي يقول: دخلت البصرة، والشام، والحجاز، والكوفة، ورأيت علماءها كلها فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم. وقال حاتم بن مالك الوراق: سمعت علماء مكة يقولون: محمد بن إسماعيل إمامنا وفقيهنا، وفقيه خراسان. وقال خلف بن محمد: سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر الخفاف يقول: محمد بن إسماعيل أعلم في الحديث من إسحاق بن راهوية، وأحمد بن حنبل، وغيره بعشرين درجةً؛ قال أبو عمرو الخفاف: ومن قال في محمد بن إسماعيل شيئاً فمني عليه ألف لعنةٍ. قال: وسمعت أبا عمرو والخفاف يقول: لو دخل محمد بن إسماعيل من هذا الباب لملئت منه رعباً، يعني لا أقدر أن أحدث بين يديه.

وقال خلف سمعت أبا عمرو الخفاف يقول: ثنا، محمد بن إسماعيل البخاري التقي النقي العالم الذي لم أر مثله.

وقال خلف بن محمد، وأبو أحمد عبد الله بن يوسف الشافعي سمعنا أبا جعفر محمد بن يوسف بن الصديق الوراق سمعت أبا محمد عبد الله بن حماد الأملي يقول: وددت أني شعرةٌ في صدر محمد بن إسماعيل.

وقال أبو سعيد حاتم بن محمد بن حازم: سمعت موسى بن هارون الحمال يقول: لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن ينصبوا مثل محمد بن إسماعيل آخر ما قدروا عليه.

وقال الحاكم أبو عبد الله سمعت يحيى بن عمرو بن صالح الفقيه يقول: سمعت أبا العباس محمد بن عبد الرحمن الفقيه يعني الدغولي يقول: كتب أهل بغداد إلى محمد بن إسماعيل البخاري:

المسلمون بخيرٍ ما بقيت لهم ... وليس بعدك خيرٌ حين تفتقد

وبلغنا أن البخاري -رحمه الله- دخل إلى بغداد ثماني مرات، وتخرج به أرباب الدراية، وانتفع به أهل الرواية، وكان فرد زمانه، حافظاً للسانه، ورعاً في جميع شأنه، هذا مع علمه العزيز، وإتقانه الكثير، وشدة عنايته بالأخبار، وجودة حفظه للسنن والآثار، ومعرفته بالتاريخ وأيام الناس ونقدهم، مع حفظ أوقاته وساعاته، والعبادة الدائمة إلى مماته.

خرج الخطيب في (تاريخه) من طريق أبي سعيد بكر بن منير: سمعت البخاري يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً.

وخرج أيضاً من حديث علي بن محمد بن منصور سمعت أبي يقول: كنا في مجلس أبي عبد الله محمد بن إسماعيل فرفع إنسان من لحيته قذاة، وطرحها على الأرض، قال: فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس، فلما غفل الناس رأيته مد يده فرفع القذاة من الأرض فأدخلها في كمه، فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها فطرحها على الأرض.

وخرج أيضاً من طريق غنجار في (تاريخه) ثنا أحمد بن محمد بن عمر المقري، سمعت أبا سعيد بكر بن منير يقول: كان محمد بن إسماعيل يصلي ذات يوم فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة. فلما قضي صلاته، قال انظروا أيش هذا الذي آذاني في صلاتي فنظروا فإذا الزنبور قد ورمه في سبعة عشر موضعاً ولم يقطع صلاته.

وخرج الخطيب أيضاً من طريق محمد بن أبي حاتم وراق البخاري قال: دعي محمد بن إسماعيل إلى بستان فصلى الظهر ثم قام يتطوع، فأطال القيام، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه، وقال لبعضهم: انظر هل ترى شيئاً؟ فإذا زنبورٌ قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعاً. وقد تورم من ذلك جسده وكان آثار الزنبور في جسده ظاهرة، فقال بعضهم: كيف لم تخرج من الصلاة في أول ما أبرك فقال: كنت في سورةٍ، فأحببت أن أتمها.

وقال أبو جعفر بن أبي حاتم: كان أبو عبد الله، إذا كنت معه في سفر، يجمعنا بيتٌ واحدٌ في القيظ أحياناً، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري ناراً ويسرج. ثم يخرج أحاديث ويعلم عليها ثم ينام.

وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعةٍ، فقلت له: إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني، قال: أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك، قال أبو جعفر: ورأيته استلقى على قفاه يوماً، ونحن بفربر في تصنيف كتاب (التفسير). وكان قد أتعب نفسه في ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث. فقلت له: يا أبا عبد الله: سمعتك تقول يوماً: إني ما أتيت شيئاً، بغير علمٍ قط منذ عقلت، قلت: وأي علم في هذا الاستلقاء؟ قال: أتعبنا أنفسنا في هذا اليوم. وهذا ثغرٌ من الثغور، خشيت أن يحدث حدثٌ من أمر العدو، فأحببت أن أستريح، وآخذ أهبة ذلك، فإن غافصنا العدو كان بنا حراك.

وقال الحاكم أبو عبد الله، حدثني أبو سعيد أحمد بن محمد النسوي، حدثني أبو حسان مهلب بن سليم، سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: اعتللت بنيسابور علة خفيفة وذلك في شهر رمضان فعادني إسحاق بن راهويه في نفر من أصحابه، فقال لي: أفطرت يا أبا عبد الله، فقلت: نعم، فقال لي: خشيت أن تضعف عن قبول الرخصة فقلت: أخبرنا عبدان، عن ابن المبارك، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاءٍ: من أي المرض أفطر؟ فقال: من أي مرض كان، كما قال الله عز وجل: {فمن كان منكم مريضاً}، قال البخاري: لم يكن هذا عند إسحاق.

وخرج أبو بكر الخطيب في (تاريخه) من طريق محمد بن يوسف الفربري، سمعت محمداً البخاري بخوارزم يقول: رأيت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل -يعني في المنام- خلف النبي ﷺ، والنبي ﷺ يمشي فكلما رفع النبي صلى الله عليه وسلم قدمه، وضع أبو عبد الله محمد بن إسماعيل قدمه في ذلك الموضع.

وخرج عبد الله بن عدي الحافظ في كتابه (أسامي رجال البخاري)، فقال محمد بن يوسف بن بشر الفربري يقول: سمعت النجم بن فضيل وكان من أهل المعرفة والفضل يقول: رأيت النبي - ﷺ- في المنام وقد خرج من باب ياسين قريةٍ ببخارى وخلفه محمد بن إسماعيل فكلما

خطا النبي – ﷺ– خطوة خطا محمد بن إسماعيل خطوة النبي ﷺ ووضع قدمه على قدم النبي ﷺ. وخرجه الخطيب في (تاريخه) من طريق ابن عدي.

وروينا عن أبي جعفر محمد بن أبي حاتم النحوي الوراق عن أبي عبد الله البخاري أنه قال له: ما توليت شراء شيءٍ ولا بيعه قط. فقال له أبو جعفر: كيف، وقد أحل الله البيع؟ قال: لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط، فخشيت أني إن توليت ذلك أن أستوي بغيري. فقال له: ومن كان يتولى أمرك في أسفارك ومبايعتك؟ قال: كنت أكفى ذلك.

وخرج الخطيب البغدادي في (تاريخه) من طريق أبي سعيدٍ بكر بن منيرٍ سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: منذ ولدت ما اشتريت من أحدٍ بدرهم شيئاً قط، ولا بعت من أحد بدرهم شيئاً قط، فسألوه عن شراء الحبر والكواغد فقال: كنت آمر إنساناً يشتري لي.

وقال أبو سعيد بكر بن منير: كان حمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعةٌ أنفذها إليه فلان، فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية، فطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم. فقال لهم: انصرفوا الليلة. فجاءه من الغد تجارٌ آخرون، فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف درهم فردهم، وقال: إني نويت البارحة أن أدفع إليهم بما طلبوا –يعني الذين طلبوا أول مرة– فدفع إليهم بربح خمسة آلاف، وقال: لا أحب أن أنقض نيتي.

وقد بلغنا أن تجارته كانت من مال ورثه من أبيه، وكان يعطيه مضاربةً لمن يتجر فيه، وكان يتصدق منه بالكثير ويبر الطلبة ويحسن إليهم.

روي أنه مرة ناول رجلاً من الطلبة صرةً فيها ثلاثمائة درهم خفيةً، فأراد الرجل أن يدعو له فقال له: ارفق، واشتغل بحديث آخر كيلا يعلم بذلك أحدٌ.

وروي أنه كانت له قطعة أرضٍ يكريها من رجل كل سنةٍ بسبعمائةٍ درهمٍ، فكان ذلك المكري يزرع فيها ما أحب من الربيعي والخريفي فربما حمل إلى أبي عبد الله البخاري قثاةً أو قثاتين، لأن أبا عبد الله كان معجباً بالقثاء النضيج، وكان يؤثره على البطيخ أحياناً، فكان يهب لهذا الزارع مائة درهم كل سنة بحمله القثاة إليه أحياناً.

وخرج الحافظ أبو بكر الخطيب في (تاريخه) من طريق أبي بكر محمد بن صابر بن كاتب سمعت عمر بن حفص الأشقر يقول: كنا مع محمد بن إسماعيل البخاري بالبصرة نكتب الحديث ففقدناه أياماً، فطلبناه فوجدناه في بيت وهو عريانٌ، وقد نفذ ما عنده ولم يبق معه

شيء، فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثوباً وكسوناه، ثم اندفع معنا في كتابة الحديث. وبلغنا أن البخاري ربما كان يأتي عليه نهارٌ لا يأكل فيه إلا لوزةٌ أو لوزتين، وأنه نفدت نفقته حين رحل إلى آدم بن أبي إياس العسقلاني فجعل يأكل من نبات الأرض ولا يخبر أحداً بذلك. وذكر حينئذٍ حديثاً قاله له محمد بن سلام بن عبدة، وأخبرنا به أبو إسحاق إبراهيم بن أبي عبد الله المجاور، أنا أحمد بن أبي طالب البناني، عن إبراهيم بن عثمان البغدادي، أنا محمد بن عبد الباقي الحاجب، وعلي بن عبد الرحمن الطوسي سماعاً قالا أنا مالك بن أحمد، أنا أحمد بن محمد الأهوازي، ثنا إبراهيم هو ابن عبد الصمد، ثنا أبو سعيد الأشج، ثنا عبدة، عن أبي رجاء الجزري، عن فرات بن سلمان، عن ميمون بن مهران، عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما صبر أهل بيت على جهدٍ ثلاثاً إلا أتاهم الله عز وجل برزق). لفظ الأشج ولفظ ابن سلام شيخ البخاري: (ما من أهل بيت يصبرون). فلما مضى للبخاري ثلاثة أيام وهو صابرٌ أتاه آتٍ لا يعلم من هو وناوله دنانير في صرةٍ وقال: أنفق عليك.

وكان -رحمه الله- صاحب عبادةٍ وأورادٍ، وكان يختم كل يوم في شهر رمضان ختمةً.

خرج الخطيب في (تاريخه) من طريق محمد بن خالد المطوعي، ثنا مسبح بن سعيد قال: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلةٍ من شهر رمضان، يجتمع إليه أصحابه فيصلي بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أن يختم القرآن.

وكان يقرأ من السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار في كل يوم ختمة ويكون ختمة عند الإفطار كل ليلة ويقول: (عند كل ختمة دعوةٌ مستجابة).

وخرج أيضاً في (التاريخ) فقال: كتب إلي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن الحسين الجرجاني من أصبهان، يذكر أنه سمع أبا أحمد محمد بن محمدٍ بن مكي الجرجاني يقول:

سمعت محمد بن يوسف الفربري يقول: رأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي: أين تريد؟ فقلت: أريد محمد بن إسماعيل البخاري، فقال: أقرأه مني السلام.

ولقد كان -رحمه الله تعالى- للسنة معظماً، وللعلم محترماً، قال أبو سعيد بكر بن منير بن خليد بن عسكر بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل، أن

أحمل إلي كتاب (الجامع) و(التاريخ) وغيرهما لأسمع منك. فقال محمد بن إسماعيل لرسوله: أنا لا أذل العلم، وأحمله إلى أبواب الناس. فإن كانت لك إلى شيءٍ منه حاجةٌ فاحضرني في مسجدي، أو في داري. فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس، ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، لأني لا أكتم العلم لقول النبي ﷺ: (من سئل عن علمٍ فكتمه ألجم بلجامٍ من نارٍ)، قال: فكان سبب الوحشة بينهما هذا.

خرجه الخطيب في (التاريخ)، وقال: أنا محمد بن علي بن أحمد المقرئ، أنا محمد بن عبد الله الحافظ، سمعت محمد بن العباس الضبي يقول: سمعت أبا بكر بن أبي عمرٍو الحافظ يقول: كان سبب مفارقة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري البلد -يعني بخارى- أن خالد بن أحمد الذهلي الأمير خليفة الظاهرية ببخارى سأل أن يحضر منزله، فيقرأ (الجامع) و(التاريخ) على أولاده، فامتنع أبو عبد الله عن الحضور عنده، فراسله أن يعقد مجلساً لأولاده لا يحضره غيرهم، فامتنع عن ذلك أيضاً. وقال: لا يسعني أن أخص بالسماع قوماً دون قوم؛ فاستعان خالد بن أحمد بحريث بن أبي الورقاء، وغيره من أهل العلم ببخارى عليه، حتى تكلموا في مذهبه، ونفاه عن البلد، ودعا عليهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل فقال: اللهم أرهم ما قصدوني به في أنفسهم وأولادهم وأهليهم. فأما خالد فلم يأتي عليه إلا أقل من شهر حتى ورد أمر الظاهرية أن ينادى عليه؛ فنودي عليه وهو على أتانٍ وأشخص على أكاف ثم صار عاقبة أمره إلى ما اشتهر وشاع. وأما حريث بن أبي الورقاء فإنه ابتلي بأهله، فرأى فيها ما يجل عن الوصف. وأما فلان أحد القوم -وسماه- فإنه ابتلي بأولاده وأراه الله فيهم البلايا.

وقال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم سمعت يحيى بن جعفر يقول: لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت فإني موتي يكون موت رجلٍ واحد، وموت محمد بن إسماعيل ذهاب العلم. وبلغنا أن أهل سمرقند كتبوا إلى أبي عبد الله البخاري ليسير إليهم ويقرأوا عليه فسار متوجهاً إليهم إلى أن وصل إلى خرتنك نزل على غالب بن جبريل فأقام عنده مدة فمرض واشتد مرضه.

قال أبو أحمد بن عدي، وسمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد بن إسماعيل إلى خرتنك (قرية) من قرى سمرقند على فرسخين منها: وكان له بها أقرباء، فنزل عندهم فسمعته ليلةً من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يدعو ويقول في دعائه. اللهم إنه قد

ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك، قال: فما تم الشهر حتى قبضه الله عز وجل وقبره بخرتنك -رحمة الله عليه-، هذا هو المعروف أن قبره بخرتنك، وهو الصحيح والله أعلم.

وذكر ابن يونس في (تاريخ الغرباء) أن البخاري مات بمصر بعد الخمسين ومائتين.

قال أبو الفضل بن العراقي: ولم أره لغيره والظاهر أنه وهم. انتهى.

وخرتنك بفتح الخاء المعجمة بعدها راء ساكنة، ثم مثناة من فوق مفتوحة بعدها نون ساكنة وآخرها كاف.

وقيدها بعضهم بكسر الخاء، والمعروف الفتح، والله أعلم.

وروي أن البخاري لما كان بخرتنك أتاه من سمرقند رسول يحثه على السفر، فلبس خفيه، وتعمم وتهيأ للركوب فعجز وضعف ثم دعا بدعواتٍ، فقضى في تلك الساعة -رحمة الله عليه-.

قال الحافظ أبو بكر الخطيب في (تاريخه)، أنا علي بن أبي حامد الأصبهاني في كتابه، ثنا محمد بن محمد بن مكي الجرجاني: سمعت عبد الواحد بن آدم الطواويسي قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، ومعه جماعةٌ من أصحابه، وهو واقف في موضع ذكره فسلمت عليه، فرد السلام، فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ فقال: أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري. قال: فلما كان بعد أيام بلغني موته، فنظرنا فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيها.

كانت وفاته -رحمه الله- فيما قاله أبو أحمد بن عدي، وسمعت الحسن بن الحسين البزاز البخاري يقول: توفي محمد بن إسماعيل البخاري ليلة السبت عند صلاة العشاء، ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر، يوم السبت مستهل شوال من شهور سنة ست وخمسين ومائتين، عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً -رحمه الله-.

وبلغنا: أنه لما دفن علت سوار بيض في السماء مستطيلةٌ بحذاء قبره، وجعل الناس يختلفون إليه ويتعجبون من أمره، ولم تزل الرائحة الطيبة تظهر من قبره أياماً كثيرة حتى تحدث الناس بذلك، وظهر عند مخالفيه أمره بعد وفاته، وكثر التعجب، وخرج بعض مخالفيه إلى قبره، وأظهروا التوبة مما كانوا أسرعوا فيه من مذموم المذهب.

قال أبو أحمد بن عدي، وسمعت الحسن بن الحسين البزاز يقول: رأيت محمد بن إسماعيل – رحمه الله– شيخاً نحيف الجسم، ليس بالطويل ولا بالقصير.

وخرجه الخطيب في (التاريخ) من طريق ابن عدي.

وفي شمائل البخاري غير ما ذكرناه، اكتفينا منه ما قدمناه، ولقد كان كبير الشأن، جليل القدر، عديم النظير، لم ير أحد شكله، ولم يخلف بعده مثله، فرحمه الله وأرضاه، وجعل جنة الفردوس مأواه، وأعاد علينا من بركته، وجمع بيننا وبينه في الجنة برحمته إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

59- عمدة القاري شرح صحيح البخاري[1]

أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى، بدر الدين العينى (ت 855هـ)

قال رحمه الله: الحافظ الحفيظ الشهير المميز الناقد البصير، الذي شهدت بحفظه العلماء الثقات، واعترفت بضبطه المشايخ الأثبات، ولم ينكر فضله علماء هذا الشأن ولا تنازع في صحة تنقيده اثنان. الإمام الهمام حجة الإسلام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري أسكنه الله تعالى بحابيح جنانه بعفوه الجاري، وقد دون في السنة كتابا فاق على أمثاله وتميز على أشكاله، ووشحه بجواهر الألفاظ من درر المعاني، ورشحه بالتبويبات الغريبة المباني بحيث قد أطبق على قبوله بلا خلاف علماء الأسلاف والأخلاف، فلذلك أصبح العلماء الراسخون الذين تلألأ في ظلم الليالي أنوار قرائحهم الوقادة، واستنار على صفحات الأيام آثار خواطرهم النقادة، قد حكموا بوجوب معرفته وأفرطوا في قريضته ومدحته. ثم تصدى لشرحه جماعة من الفضلاء وطائفة من الأذكياء من السلف النحارير المحققين، وممن

---

[1] عمدة القاري شرح صحيح البخاري 2/1– دار إحياء التراث العربي – بيروت

عاصرناهم من المهرة المدققين..

فوائد:

الأولى سمى البخاري كتابه ب (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) وهو أول كتابه وأول كتاب صنف في الحديث الصحيح المجرد، وصنفه في ست عشرة سنة ببخارى قاله ابن طاهر وقيل بمكة قاله ابن البجير، سمعته يقول: صنفت في المسجد الحرام وما أدخلت فيه حديثا إلا بعدما استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته، ويجمع بأنه كان يصنف فيه بمكة والمدينة والبصرة وبخارى فإنه مكث فيه ست عشرة سنة كما ذكرنا. وفي تاريخ نيسابور للحاكم عن أبي عمرو إسماعيل ثنا أبو عبد الله محمد بن علي قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: أقمت بالبصرة خمس سنين معي كتبي أصنف وأحج كل سنة وأرجع من مكة إلى البصرة، قال: وأنا أرجو أن الله تعالى يبارك للمسلمين في هذه المصنفات.

الثانية: اتفق علماء الشرق والغرب على أنه ليس بعد كتاب الله تعالى أصح من صحيحي البخاري ومسلم، فرجح البعض منهم المغاربة صحيح مسلم على صحيح البخاري والجمهور على ترجيح البخاري على مسلم لأنه أكثر فوائد منه، وقال النسائي: ما في هذه الكتب أجود منه . قال الإسماعيلي: ومما يرجح به أنه لا بد من ثبوت اللقاء عنده وخالفه مسلم واكتفى بأمكانه، وشرطهما أن لا يذكر إلا ما رواه صحابي مشهور عن النبي ﷺ له راويان ثقتان فأكثر، ثم يرويه عنه تابعي مشهور بالرواية عن الصحابة له أيضا راويان ثقتان فأكثر، ثم يرويه عنه من أتباع الأتباع الحافظ المتقن المشهور على ذلك الشرط ثم كذلك..

الثالثة قد قال الحاكم الأحاديث المروية بهذه الشريطة لم يبلغ عددها عشرة آلاف حديث وقد خالفا شرطهما، فقد أخرجا في الصحيحين حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إنما الأعمال بالنيات ولا يصح إلا فردا كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وحديث المسيب بن حزن والد سعيد بن المسيب في وفاة أبي طالب ولم يرو عنه غير ابنه سعيد، وأخرج مسلم حديث حميد بن هلال عن أبي رفاعة العدوي ولم يرو عنه غير حميد، وقال ابن الصلاح:

وأخرج البخاري حديث الحسن البصري عن عمرو بن ثعلب إني لأعطي الرجل والذي أدع أحب إلي لم يرو عنه غير الحسن، قلت: فقد روى عنه أيضا الحكم بن الأعرج نص عليه ابن أبي حاتم وأخرج أيضا حديث قيس بن أبي حازم عن مرداس الأسلمي: يذهب الصالحون الأول فالأول ولم يرو عنه غير قيس، قلت: فقد روى عنه أيضا زياد بن علاقة كما ذكره ابن أبي حاتم. وأخرج مسلم حديث عبد الله بن الصامت عن رافع بن عمرو الغفاري ولم يرو عنه غير عبد الله، قلت: ففي الغيلانيات من حديث سليمان بن المغيرة ثنا ابن حكم الغفاري حدثني جدي عن رافع بن عمرو فذكر حديثا وأخرج حديث أبي بردة عن الأغر المزني (إنه ليغان على قلبي) ولم يرو عنه غير أبي بردة قلت قد ذكر العسكري أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما روى عنه أيضا وروى عنه معاوية بن قرة أيضا وفي معرفة الصحابة لابن قانع قال ثابت البناني عن الأغر أغر مزينة وأغرب من قول الحاكم قول الميانشي في (إيضاح ما لا يسع المحدث جهله) شرطهما في صحيحيهما ألا يدخلا فيه إلا ما صح عندهما وذلك ما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنان من الصحابة فصاعدا وما نقله عن كل واحد من الصحابة أربعة من التابعين فأكثر وأن يكون عن كل واحد من التابعين أكثر من أربعة والظاهر أن شرطهما اتصال الإسناد بنقل الثقة عن الثقة من مبتداه إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة.

الرابعة جملة ما فيه من الأحاديث المسندة سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثا بالأحاديث المكررة وبحذفها نحو أربعة آلاف حديث وقال أبو حفص عمر بن عبد المجيد الميانشي الذي اشتمل عليه كتاب البخاري من الأحاديث سبعة آلاف وستمائة ونيف قال واشتمل كتابه وكتاب مسلم على ألف حديث ومائتي حديث من الأحكام فروت عائشة رضي الله تعالى عنها من جملة الكتاب مائتين ونيفا وسبعين حديثا لم تخرج غير الأحكام منها إلا يسيرا قال الحاكم فحمل عنها ربع الشريعة ومن الغريب ما في كتاب الجهر بالبسملة لابن سعد إسماعيل ابن أبي القاسم البوشنجي نقل عن البخاري أنه صنف كتابا أورد فيه مائة ألف حديث صحيح...

60- هداية الساري لسيرة البخاري[1]

الحافظ ابن حجر العسقلاني(ت852هـ)

قال رحمه الله: بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾ وهو حسبي وعوني.

الحمد لله الذي له الحمد في الأولى والآخرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة وجوه قائليها ناضرة، إلى ربها ناظرة، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين باطنة وظاهرة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أولي المناقب الباهرة، والآثار الزاهرة .

أما بعد :

فهذه نبذة من أخبار الإمام أبي عبد الله البخاري، منبهة على قدره وتفخيم أمره، وإن كان أمره شهيرا وقدره أثيرا، لكن في المفصل ما ليس في الجملة، وقد أوردتها مختصرة الإسناد غالبا.

وأكثر ما أوردته فمن كتاب «شمائل البخاري» تأليف وراقه الإمام أبي جعفر محمد بن أبي حاتم البخاري.

وقد أخبرني بجميعه أبو محمد عبد الله بن محمد المكي إذنا مشافهة عن كتاب سليمان بن حمزة عن عبد العزيز بن أحمد بن باقا، عن أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر، عن أبي بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي؛ قال: أخبرنا أبو طاهر أحمد بن عبد الله ابن مهرويه؛ قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف الفربري؛ قال :أخبرنا جدي؛ قال: أخبرنا أبو جعفر وهو جزء ضخم .

وأوردت كثيرا من «كتاب نيسابور» للحاكم أبي عبد الله، ومن «كتاب بغداد» للخطيب، ومن «كتاب دمشق» لابن عساكر، ومن غير هذه الكتب .

---

[1] هداية الساري لسيرة البخاري

ت: حسنين سلمان المهدي- دار الكمال المتحدة. الطبعة الأولى 1432

فما قلت فيه: (قال فلان) بصيغة الجزم؛ فهو مما لا أعلم بالإسناد إلى قائله مقالا.
وربما أسندت الشيء بعد الشيء، والله الموفق.

فصل: في ذكر نسبه ومولده وصفته

هو الإمام السيد، العلم الفرد، تاج الفقهاء، عمدة المحدثين: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه بن الأحنف الجعفي .

وبردزبه: بفتح الباء الموحدة، ثم راء ساكنة، ثم دال مهملة مكسورة، ثم زاي ساكنة، ثم باء موحدة مفتوحة، ثم هاء، هكذا قيده الأمير أبو نصر ابن ماكولا. وقيل فيه: بذدزبه، كما مضى، لكن بدل الراء ذال معجمة. وكان مجوسيا، فأسلم ابنه المغيرة على يدي اليمان والي بخارى، وكان اليمان جعفيا؛ فنسب البخاري إليه .

قال إسحاق بن أحمد بن خلف: سمعت البخاري يقول: سمع أبي من مالك بن أنس، ورأى حماد بن زيد قد صافح ابن المبارك بكلتا يديه.

وقال وراق البخاري: سمعت الحسن بن الحسين البزاز يقول: رأيت محمد بن إسماعيل شيخا نحيف الجسم، ليس بالطويل ولا بالقصير، ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومئة ببخارى .

وكذا حكاه المستنير بن عتيق: أن البخاري أخرج له به خط أبيه.

وقال الخليلي في «الإرشاد»: سمعت أحمد بن أبي مسلم الفارسي الحافظ يقول: سمعت محمد بن أحمد بن الفضل يقول: سمعت أبا حسان مهيب بن سليم يقول: سمعت البخاري يقول : ولدت يوم الجمعة بعد الصلاة، لثنتي عشر ليلة خلت من شوال، سنة أربع وتسعين ومئة.

فصل في نشأته وطلبه للحديث

قال وراق البخاري: قلت لأبي عبد الله: كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب. قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر، فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يوما فيما كان يقرأ للناس: سفيان، عن أبي الزبير، عن إبراهيم. فقلت: يا أبا فلان! إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم! فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك. فدخل ونظر فيه، ثم رجع، فقال لي: كيف هو يا غلام؟ فقلت: هو: الزبير بن عدي، عن إبراهيم. فأخذ القلم وأصلح

كتابه، فقال: صدقت. فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت إذ رددت عليه؟ فقال له :ابن إحدى عشرة سنة

قال: فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخي وتخلفت بها في طلب الحديث، فلما طعنت في ثماني عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وذلك في أيام عبيد الله بن موسى، وصنفت كتاب «التاريخ» إذ ذاك عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة. قال: وقل اسم في »التاريخ» إلا وله عندي قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتاب .

قال إسحاق بن أحمد بن خلف: رحل محمد بن إسماعيل إلى العراق في آخر سنة عشر ومئتين.

وقال بكر بن منير: سمعت البخاري يقول: كنت عند أبي حفص أحمد بن حفص أسمع كتاب «الجامع» لسفيان الثوري من كتاب والدي، فمر أبو حفص على حرف، ولم يكن عندي ما ذكر، فراجعته، فقال الثانية والثالثة، فراجعته، فسكت، وقال: من هذا؟ قالوا: ابن إسماعيل. فقال: هو كما قال، واحفظوا؛ فإن هذا يصير يوما رجلا.

وقال الوراق: سمعت البخاري يقول: كنت أختلف إلى الفقهاء بمرو وأنا صبي، فقال لي مؤدب من أهلها: كم كتبت اليوم؟ فقلت: آيتين. فضحك من حضر المجلس، فقال شيخ منهم: لا تضحكوا؛ فلعله يضحك منكم يوما .

وقال أبو محمد عبد الله بن محمد بن إسحاق السمسار الموقت: سمعت شيخي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره، فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل، فقال: يا هذه! قد رد الله على ابنك بصره؛ لكثرة دعائك، أو: لكثرة بكاءك. قال: فأصبح وقد رد الله عليه بصره.

وقال غنجار في «تاريخ بخارى»: حدثنا خلف بن محمد؛ قال: سمعت أحمد بن محمد بن الفضل البلخي يقول: سمعت أبي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره. وذكر مثله. ورواها الحافظ أبو القاسم اللالكائي في كتاب «كرامات الأولياء» له، عن شيخ له عن غنجار، أنبئت عن أبي نصر ابن الشيرازي، عن جده أبي نصر: أن الحافظ أبا القاسم

الدمشقي أخبره: أخبرنا الحسين بن عبد الملك: أخبرنا أبو طاهر ابن محمود :أخبرنا أبو بكر ابن المقرئ؛ قال: سمعت أبا أحمد النيسابوري؛ قال: سمعت أحمد بن يوسف السلمي؛ قال: رأيت محمد بن إسماعيل في مجلس مالك بن إسماعيل وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ قال: لا يمكنني أن أكتب ولا أن أضبط. ثم جعل الله محمد بن إسماعيل كما رأيتم !

وقال أبو حاتم سهل بن السري: قال محمد بن إسماعيل البخاري: لقيت أكثر من ألف شيخ من أهل الحجاز ومكة والمدينة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر، لقيتهم قرنا بعد قرن. وذكر أنه رحل إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين، وأتى البصرة أربع مرات، وأقام بالحجاز ستة أعوام. قال: ولا أدري كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثي خراسان.

وقال وراقه: سمعته يقول: دخلت بلخ، فسألني أصحاب الحديث أن أملي عليهم لكل من لقيت حديثا عنه، فأمليت ألف حديث لألف شيخ ممن كتبت عنه. ثم قال: كتبت عن ألف وثمانين نفسا ليس فيهم إلا صاحب حديث .

وقال أيضا: كتبت عن ألف نفس من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عن من قال: الإيمان قول وعمل .

وقال جعفر بن محمد القطان: سمعت البخاري يقول: كتبت عن ألف شيخ أو أكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده.

وقال وراقه: سمعت هانئ بن النضر يقول: كنا عند محمد بن يوسف ــيعني الفريابيــ بالشام، وكنا نتنزه، وكان محمد بن إسماعيل معنا، وكان لا يزاحمنا فيما نحن فيه، بل يكب على العلم .

قال: وسمعته يقول: لم تكن كتابتي الحديث كما كتب هؤلاء، كنت إذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبه، وعلة الحديث إن كان الرجل فهما، فإن لم يكن سألته أن يخرج لي أصله ونسخته، فأما الآخرون فلا يبالون ما يكتبون ولا كيف يكتبون .

قال وراقه: سمعت العباس الدوري يقول: ما رأيت أحسن طلبا للحديث من محمد بن إسماعيل؛ كان لا يدع أصلا ولا فرعا إلا قلعه. ثم قال لنا: لا تدعوا شيئا من كلامه إلا كتبتموه .

وقال أبو بكر الأعين: سمعنا على محمد بن إسماعيل وهو أمرد، على باب محمد بن يوسف الفريابي.

قلت: كان سن البخاري إذ ذاك بضع عشرة سنة، والأعين المذكور من أصحاب الإمام أحمد المشهورين، والفريابي من كبار شيوخ البخاري.

قال ابن طاهر: قدم البخاري بغداد سنة عشر ومئتين، وعزم على المضي إلى عبد الرزاق باليمن، فالتقى بيحيى بن جعفر البيكندي فاستخبره، فقال: مات عبد الرزاق. ثم تبين أنه لم يمت، فسمع البخاري حديث عبد الرزاق من يحيى بن جعفر.

قلت: ويحيى بن جعفر من الثقات الأثبات، وما أعتقد أنه افترى وفاة عبد الرزاق، بل حكاه لإشاعة لم تصح، وكان يحيى بن جعفر بعد ذلك يدعو لمحمد بن إسماعيل، ويفرط في مدحه، وسنبين ذلك.

وقال الخطيب: أخبرنا أبو حازم العبدوي: سمعت محمد بن محمد بن العباس الضبي: سمعت أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف يقول: سمعت جدي يقول: سمعت البخاري يقول: دخلت بغداد ثماني مرات، في كلها أجالس أحمد ابن حنبل، فقال لي: يا أبا عبد الله! تدع العلم وتصير إلى خراسان؟! قال: فأنا أذكر قوله الآن .

وقال الوراق عن حاشد بن إسماعيل: كان البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام، فلمناه، فقال لنا بعد ستة عشر يوما: قد كثرتم علي، فاعرضوا علي ما كتبتم! فأخرجناه، فزاد على خمسة عشر ألفا، فقرأها كلها عن ظهر قلب، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه، فعلمنا أنه لا يتقدمه أحد، فكان أهل المعرفة بالبصرة يعدون خلفه في طلب الحديث، فيكتبون عنه ـــوهو شابـــ حتى يغلبوه على نفسه، ويجلسونه في بعض الطريق، فيجتمعون عليه ألوف، أكثرهم ممن يكتب عنه، وكان إذ ذاك شابا لم يخرج وجهه.

وقال محمد بن الأزهر السجستاني: كنت بالبصرة في مجلس سليمان بن حرب والبخاري معنا يسمع لا يكتب، فقيل لبعضهم: ما له لا يكتب؟! فقال: يرجع إلى بخارى فيكتب من حفظه.

وقال الوراق: كان شديد الحياء في صغره، حتى قال شيخنا محمد بن سلام: أترون البكر أشد حياء من هذا الغلام؟ !

قال: وسمعته يقول: كنت في مجلس الفريابي، فقال: حدثنا سفيان، عن أبي عروة، عن أبي

الخطاب، عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه بغسل واحد. فلم يعرف أحد في المجلس أبا عروة ولا أبا الخطاب، فقلت: أما أبو عروة؛ فمعمر، وأما أبو الخطاب؛ فهو قتادة. قال: وكان الثوري فعولا لهذا؛ يكني المشهورين.

فصل في مراتب شيوخه الذين أدركهم وحدث عنهم في «الجامع» وغيره

وهم على خمس طبقات:

الطبقة الأولى: من حدثه عن التابعين، مثل: مكي بن إبراهيم، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، وعبيد الله بن موسى، وأبي عاصم النبيل، وأبي نعيم الملائي، وأبي المغيرة الخولاني، وخلاد بن يحيى، وغيرهم .

الطبقة الثانية: من كان في عصر هؤلاء وتأخر عنهم، مثل: آدم بن أبي إياس العسقلاني، وأبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر، وأيوب بن سليمان بن بلال، وحجاج بن منهال، وسعيد بن أبي مريم، وثابت بن محمد الزاهد، وغيرهم من أصحاب الأوزاعي وابن أبي ذئب والثوري وشعبة ومالك .

الطبقة الثالثة: أوساط مشايخه الذين شاركه في الرواية عنهم مسلم وغيره، كأحمد وإسحاق وابن معين وابن أبي شيبة وقتيبة وابن المديني ونعيم بن حماد، وجماعة من أصحاب حماد بن زيد والليث، ثم من أصحاب هشيم وابن المبارك وابن عيينة ونحوهم .

الطبقة الرابعة: رفقاؤه في الطلب وقرناؤه في الحديث، كمحمد بن يحيى الذهلي، وأبي حاتم الرازي، وأبي يحيى صاعقة، والدارمي، وعبد بن حميد، وأحمد بن النضر، ومحمد بن إبراهيم البوشنجي، وجماعة، وفيهم من هو أقدم سماعا منه قليلا.

الطبقة الخامسة: قوم في عداد طلبته في السن والإسناد، سمع منهم للفائدة، كعبد الله بن حماد الآملي، وحسين بن محمد القباني، وعبد الله بن أبي القاضي، ومحمد بن إسحاق السراج، وأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، وغيرهم .

وقد روي عن البخاري أنه قال: لا يكون المحدث كاملا حتى يكتب عن من هو فوقه، وعن من هو مثله، وعمن هو دونه.

وأنبئت عن أبي الفضل ابن حمزة، عن عيسى بن عبد العزيز: أن السلفي أخبرهم: أخبرنا أبو الحسين الطيوري: أخبرنا أبو الفرج الطناجيري: أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان: حدثنا محمد

بن أبي سعيد: حدثنا الحسن بن إدريس :حدثنا عثمان ابن أبي شيبة؛ قال: سمعت وكيعا يقول: لا يكون الرجل عالما حتى يحدث عن من هو فوقه، وعن من هو مثله، وعن من هو دونه.

فصل في سيرته وشمائله وزهده وفضائله

قال وراقه: سمعت محمد بن خداش يقول: سمعت أحمد بن حفص يقول: دخلت على إسماعيل والد أبي عبد الله عند موته، فقال: لا أعلم من مالي درهما من حرام، ولا درهما من شبهة.

قلت: وكان محمد بن إسماعيل قد ورث من أبيه مالا جليلا، فكان يعطيه مضاربة، فقطع له غريم خمسة وعشرين ألفا، فقيل له: استعين بكتاب الوالي. فقال: إن أخذت منهم كتابا طمعوا، ولن أبيع ديني بدنياي. ثم صالح غريمه على أن يعطيه كل سنة عشرة دراهم، نزرا يسيرا، وذهب ذلك المال. حكاها وراقه وطولها.

وقال البخاري: ما توليت شراء شيء قط، ولا بيعه، كنت أكفى ذلك. فقيل له: ولم؟ قال: لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط. فسألوه عن شراء الحبر والكواغد، فقال: كنت آمر إنسانا فيشتري لي.

وقال غنجار في «تاريخ بخارى»: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر المقرئ؛ قال: حدثنا أبو سعيد بكر بن منير، قال: كان حمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه أبو حفص، فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية، فطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال لهم: انصرفوا الليلة. فجاءه من الغد تجار آخرون، فطلبوا منه تلك البضاعة بربح عشرة آلاف درهم، فردهم؛ وقال: إني نويت البارحة أن أدفع إليهم ما طلبوا. يعني الذين طلبوا أول مرة؛ ودفعها إليهم؛ وقال: لا أحب أن أنقض نيتي.

وقال وراقه: سمعته يقول: خرجت إلى آدم بن أبي إياس، فتأخرت نفقتي حتى جعلت أتناول حشيش الأرض، فلما كان في اليوم الثالث أتاني رجل لا أعرفه، فوهبني عشرة دنانير .

وقال وراقه: سمعته يقول: كنت أستغل في كل شهر خمس مئة درهم، فأنفقها في الطلب، وما عند الله خير وأبقى.

وقال عبد الله بن محمد الصارفي: كنت عند أبي عبد الله محمد بن إسماعيل في منزله، فجاءته

جاريته وأرادت دخول المنزل، فعثرت على محبرة بين يديه، فقال لها: كيف تمشين؟! قالت: إذا لم يكن طريق كيف أمشي؟! فبسط يديه وقال: اذهبي؛ فقد أعتقتك. فقيل له: يا أبا عبد الله، أغضبتك الجارية. قال: إن كانت أغضبتني فقد أرضيت نفسي بما فعلت .

وقال وراقه: رأيته استلقى ونحن بفربر في تصنيف كتاب التفسير، وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في التخريج، فقلت له: إني أراك تقول: ما أتيت شيئا بغير علم، فما الفائدة في الاستلقاء؟ قال: أتعبت نفسي اليوم، وهذا ثغر، خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو، فأحببت أن أستريح وآخذ أهبة، فإن غافصنا العدو كان في حراك .

قال: وكان يركب إلى الرمي كثيرا، فما أعلمني رأيته في طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين، بل كان يصيب في كل ذلك ولا يسبق .

قال: وركبنا يوما إلى الرمي ونحن بفربر، فخرجنا إلى الدرب الذي يؤدي إلى الفرضة، فجعلنا نرمي، وأصاب سهم أبي عبد الله وتد القنطرة التي على النهر، فانشق الوتد، فلما رآه نزل عن دابته، فأخرج السهم من الوتد، وترك الرمي، وقال لنا: ارجعوا. فرجعنا، فقال لي: يا أبا جعفر، لي إليك حاجة. وهو يتنفس الصعداء، فقلت: نعم. فقال: تذهب إلى صاحب القنطرة، فتقول له: قد أخللنا بالوتد، فنحب أن تأذن لنا في إقامة بدله، أو تأخذ ثمنه، أو تجعلنا في حل مما كان منا. وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر، فقال لي: أبلغ أبا عبد الله السلام، وقل له: أنت في حل مما كان منك؛ فإن جميع ملكي لك الفداء. فأبلغته الرسالة، فتهلل وجهه وأظهر سرورا كبيرا، وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمس مئة حديث، وتصدق بثلاث مئة درهم .

قال: وسمعته يقول لأبي معشر الضرير: اجعلني في حل يا أبا معشر. فقال :من أي شيء؟ فقال: رويت حديثا يوما، فنظرت إليك وقد أعجبت به، وأنت تحرك رأسك ويدك، فتبسمت من ذلك. قال: أنت في حل رحمك الله يا أبا عبد الله .

قال: وسمعته يقول: دعوت ربي مرتين فاستجاب لي، فلن أحب أن أدعو بعد؛ فلعله تنقص حسناتي .

قال: وسمعته يقول: لا يكون لي خصم في الآخرة. فقلت: إن بعض الناس ينقمون عليك «التاريخ»؛ ويقولون: فيه اغتياب الناس! فقال: إنما روينا ذلك رواية، لم نقله من عند أنفسنا؛

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بئس أخو العشيرة ».
قال: وسمعته يقول: ما اغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها .
قلت: البخاري في كلامه عن الرجال في غاية التحري والتوقي، ومن تأمل كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه وإنصافه؛ فإن أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، تركوه، ونحو هذا، وقل أن يقول: فلان كذاب، أو: يضع الحديث، بل إذا قال ذلك عزاه إلى غيره بقوله :كذبه فلان، رماه فلان بالكذب، حتى إنه قال: من قلت فيه: في حديثه نظر؛ فهو متهم ، ومن قلت فيه: منكر الحديث؛ فلا تحل الرواية عنه.
أخبرني أحمد بن عمر بقراءتي عليه، عن الحافظ أبي الحجاج المزي: أن أبا الفتح الشيباني أخبرهم: أخبرنا أبو اليمن الكندي:/ أخبرنا أبو منصور القزاز: أخبرنا أحمد بن علي الحافظ : أخبرني أبو الوليد الدربندي:أخبرنا محمد بن أحمد بن سليمان الحافظ: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر المقرئ :سمعت أبا سعيد بكر بن منير يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا .
وبالسند إلى بكر؛ قال: كان محمد بن إسماعيل يصلي ذات يوم، فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة، فلما قضى صلاته قال: انظروا إيش هذا الذي آذاني في صلاتي؟ فنظروا، فإذا الزنبور قد ورمه في سبعة عشر موضعا، ولم يقطع صلاته.
قلت: ورواها وراقه بالمعنى، وزاد: قال: كنت في آية، فأحببت أن أتمها.
وقال وراقه: كنا بفربر، وكان أبو عبد الله يبني رباطا مما يلي بخارى، فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك، وكان ينقل اللبن، فكنت أقول له: يا أبا عبد الله! إنك تكفى ذلك. فيقول: هذا الذي ينفعني .
قال: وكان ذبح لهم بقرة، فلما أدركت القدور دعا الناس إلى الطعام، وكان معه مئة نفس أو أكثر، ولم يكن علم أنه يجتمع ما اجتمع، وكنا أخرجنا معه من فربر خبزا بثلاثة دراهم، وكان الخبز إذ ذاك خمسة أمناء بدرهم، فألقيناه بين أيديهم، فأكل جميع من حضر، وفضلت أرغفة صالحة .
قال: وكان قليل الأكل جدا، كثير الإحسان إلى الطلبة، مفرط الكرم .
قلت: وحكى أبو الحسن يوسف بن أبي ذر البخاري: أن البخاري مرض، فعرضوا ماءه على

الأطباء، فقالوا: إن هذا الماء يشبه ماء بعض أساقفة النصارى؛ فإنهم لا يأتدمون. فصدقهم محمد بن إسماعيل، وقال: لم أئتدم منذ أربعين سنة .فسألوا عن علاجه، فقالوا: علاجه الأدم. فامتنع حتى ألح عليه المشايخ وأهل العلم إلى أن أجابهم أن يأكل بقية عمره في كل يوم سكرة مع رغيف.

وقال الحاكم: أخبرني محمد بن خالد: حدثنا مسبح بن سعيد؛ قال: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه، فيصلي بهم، ثم يقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أن يختم القرآن، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار في كل يوم ختمة، ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة، ويقول: عند كل ختمة دعوة مستجابة .

وقال وراقه : كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ أحيانا، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة، فيوري نارا بيده ويسرج، ويخرج أحاديث فيعلم عليها، ثم يضع رأسه، وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة، يوتر منها بواحدة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم، فقلت له: إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني!؟ قال: أنت شاب، فلا أحب أن أفسد عليك نومك.

وقال الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي السليماني: سمعت علي بن محمد بن منصور يقول: سمعت أبي يقول: كنا في مجلس أبي عبد الله البخاري، فرفع إنسان من لحيته قذاة، فطرحها إلى الأرض. قال: فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس، فلما غفل الناس رأيته مد يده، فرفع القذاة من الأرض، فأدخلها في كمه، فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها فطرحها على الأرض.

قلت: وهذا في نهاية الورع والاحتياط، فكأنه تورع أن تنزه لحيته من شيء ولا ينزه عنه المسجد .

وقال وراقه: كان معه شيء من شعر النبي صلى الله عليه وسلم في ملبوسه، أظن في خفه .
قال: وسمعته يقول ــوقد سئل عن خبر حديثــ: يا أبا فلان! تراني أدلس؛ وقد تركت عشرة آلاف حديث لرجل لي فيه نظر؟!

وقال الحسن بن محمد السمرقندي: كان محمد بن إسماعيل مخصوصا بثلاث خصال: كان قليل الكلام، وكان لا يطمع فيما عند الناس، وكان لا يشتغل بأمور الناس.

قلت: وكان صاحب فنون ومعرفة باللغة والعربية والتصريف، ومن شعره:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع فعسى أن يكون موتك بغته

كم صحيح رأيت من غير سقم ذهبت نفسه الصحيحة فلته

رواها الحاكم في «تاريخه».

ولما بلغه موت عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي أطرق، ثم رفع رأسه هو يبكي، وأنشد:

إن عشت تفجع بالأحبة كلهم وبقاء نفسك لا أبا لك أفجع

فصل في ثناء مشايخه عليه

قال سليمان بن حرب _ونظر إليه يوما_: هذا يكون له صيت.

قلت: وقد تقدم نحوه لأحمد بن حفص.

وقال البخاري: كنت إذا دخلت على سليمان بن حرب يقول: بين لنا غلط شعبة.

وقال وراقه: سمعته يقول: كان إسماعيل ابن أبي أويس إذا انتخبت من كتابه نسخ تلك الأحاديث لنفسه، وقال: هذه أحاديث انتخبها محمد بن إسماعيل من حديثي.

وقال البخاري: اجتمع أصحاب الحديث، فسألوني أن أكلم إسماعيل بن أبي أويس ليزيدهم في القراءة، ففعلت، فدعا الجارية وأمرها أن تخرج صرة دنانير، وقال: يا أبا عبد الله، فرقها عليهم. قلت: إنما أرادوا الحديث. قال: قد أجبتك إلى ما طلبت من الزيادة، غير أني أحب أن تضم هذا إلى ذاك.

وقال البخاري: قال لي ابن أبي أويس: انظر في كتبي، وما أملكه لك، وأنا شاكر لك ما دمت حيا.

وقال حاشد بن إسماعيل: قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري المدني: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر من أحمد. فقال رجل من جلسائه: جاوزت الحد! فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت كلاهما واحد في الحديث والفقه.

وقال عبدان بن عثمان: ما رأيت بعيني شابا أنضر من هذا. وأشار بيده إلى محمد بن

إسماعيل .

وقال قتيبة: جالست الفقهاء والزهاد والعباد، وما رأيت منذ عقلت كمحمد بن إسماعيل، وهو في زمانه كعمر في الصحابة.

وعن قتيبة؛ قال: لو كان محمد بن إسماعيل في الصحابة لكان آية.

وقال محمد بن يوسف الهمذاني: كنا عند قتيبة، فجاء رجل شعراني يقال له :أبو يعقوب، فسأله عن محمد بن إسماعيل؛ فقال: يا هؤلاء! نظرت في الحديث، ونظرت في الرأي، وجالست الفقهاء والزهاد والعباد، ما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل.

وقال الفربري: كنا عند قتيبة، فسئل عن طلاق السكران؛ فقال: هذا أحمد وإسحاق وابن المديني قد ساقهم الله إليك. وأشار إلى البخاري .

وقال محمد بن قتيبة البخاري: كنت عند أبي عاصم النبيل، فرأيت عنده غلاما، فقلت له: من أين؟ قال: من بخارى. قلت: ابن من؟ قال: ابن إسماعيل. فقلت: أنت قرابتي! فقال لي رجل عند أبي عاصم: هذا الغلام يناطح الكباش. يعني: يقاوم الشيوخ .

وقال إبراهيم بن محمد بن سلام: كان الرتوت من أصحاب الحديث _مثل سعيد بن أبي مريم، والحجاج بن منهال، وإسماعيل بن أبي أويس، والحميدي، ونعيم بن حماد، والعدني، والخلال، ومحمد بن ميمون، وإبراهيم بن المنذر، وأبي كريب، وأبي سعيد الأشج، وإبراهيم بن موسى_ يقضون لأبي عبد الله البخاري على أنفسهم في النظر والمعرفة .

قلت: الرتوت _بالراء المهملة، والتاء المثناة من فوق، وبعدها واو، وبعدها تاء مثناة من فوق أيضا_ هم الرؤساء. قاله ابن الأعرابي.

وقال أحمد ابن حنبل: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل .

وقال يعقوب بن إبراهيم الدورقي: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

وقال نعيم بن حماد مثله.

وقال بندار: هو أفقه خلق الله في زماننا .

وقال موسى بن قريش: قال عبد الله بن يوسف التنيسي للبخاري: يا أبا عبد الله، انظر في كتبي، وأخبرني بما فيها من السقط. قال: نعم .

وقال البخاري: دخلت على الحميدي وأنا ابن ثمان عشرة سنة، وبينه وبين آخر اختلاف في

حديث، فلما بصر بي الحميدي قال: قد جاء من يفصل بيننا. فعرضا علي، فقضيت للحميدي؛ وكان الحق معه .

وقال البخاري: قال لي محمد بن سلام البيكندي: انظر في كتبي، فما وجدت فيها من خطأ فاضرب عليه .

وقيل: كان محمد بن سلام يقول: كلما دخل علي البخاري تحيرت، ولا أزال خائفا منه.

وقال سليم بن مجاهد: كنت عند محمد بن سلام، فقال: لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث .

وقال حاشد بن إسماعيل: رأيت إسحاق بن راهويه جالسا على المنبر ومحمد بن إسماعيل معه، فأنكر عليه محمد بن إسماعيل شيئا، فرجع إلى قول محمد، وقال إسحاق: يا معشر أصحاب الحديث! انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه؛ فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن لاحتاج إليه؛ لمعرفته بالحديث وفهمه.

وقال البخاري: أخذ إسحاق بن راهويه كتاب «التاريخ» الذي صنفته، فأدخله على عبد الله بن طاهر، وقال: أيها الأمير! ألا أريك سحرا؟

وقال البخاري: سئل إسحاق بن إبراهيم عمن طلق ناسيا، فسكت طويلا متفكرا، فقلت أنا: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل به أو تكلم»، وإنما يراد مباشرة هؤلاء الثلاث :العمل والقلب أو الكلام، وهذا لم يعتقد بقلبه. فقال إسحاق: قويتني. وأفتى به .

وقال أبو بكر المدني: كنا يوما عند إسحاق بن راهويه، ومحمد بن إسماعيل حاضر، فمر إسحاق بحديث ودون صحابيه عطاء الكيخاراني، فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله، إيش هي كيخاران؟ قال: قرية باليمن، كان معاوية بعث هذا الرجل الصحابي إلى اليمن، فسمع منه عطاء حديثين. فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله، كأنك شهدت القوم !

وقال البخاري: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي ابن المديني، وربما كنت أغرب عليه.

قال حامد بن أحمد: ذكر لعلي ابن المديني قول البخاري، فقال: ذروا قوله؛ هو ما رأى مثل نفسه.

وقال أبو الفضل أحمد بن سلمة: حدثني فتح بن نوح النيسابوري؛ قال: أتيت علي ابن المديني، فرأيت محمد بن إسماعيل جالسا عن يمينه، وكان إذا حدث التفت إليه؛ كأنه يهابه.

وقال البخاري: كان علي ابن المديني يسألني عن شيوخ خراسان، فكنت أذكر له محمد بن سلام فلا يعرفه، إلى أن قال لي يوما: يا أبا عبد الله، كل من أثنيت عليه فهو عندنا الرضى.

وقال أبو عمار الحسين بن حريث: لا أعلم أني رأيت مثله، كأنه لم يخلق إلا للحديث.

وقال رجاء بن مرجى: فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء.

وقال أيضا: هو آية من الآيات تمشي على ظهر الأرض .

وقال البخاري: ذاكرني أصحاب عمرو بن علي الفلاس بحديث، فقلت: لا أعرفه. فسروا بذلك، وصاروا إلى عمرو بن علي، فقالوا له: ذاكرنا محمد بن إسماعيل بحديث فلم يعرفه. فقال عمرو بن علي: حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث .

وقال جعفر بن محمد: خرج رجل من أصحاب عبد الله بن منير إلى بخارى، فلما رجع، قال له: لقيت أبا عبد الله؟ فقال: لا. فطرده؛ وقال: ما فيك خير؛ إذ قدمت بخارى ولم تصر إلى أبي عبد الله !

وقال أبو عيسى الترمذي: كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله بن منير، فقال له لما قام: يا أبا عبد الله، جعلك الله زين هذه الأمة .

قال الترمذي: فاستجيب له فيه.

وقال الفربري: رأيت عبد الله بن منير يكتب عن البخاري، وسمعته يقول: أنا من تلامذته .

قلت: وقد روى عنه البخاري في «الصحيح»، وقال: لم أر مثله، ومات مع الإمام أحمد في سنة واحدة.

وقال عبد الله بن محمد المسندي: محمد بن إسماعيل إمام، فمن لم يجعله إماما فاتهمه .

وقال أيضا: حفاظ زماننا ثلاثة، فبدأ بالبخاري.

وقال أحمد بن الضوء: سمعت أبا بكر ابن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير يقولان: ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل.

وكان أبو بكر ابن أبي شيبة يسميه: البازل. يعني: الكامل

وقال وراق البخاري: سمعت يحيى بن جعفر البيكندي يقول: لو قدرت أن أزيد في عمر محمد

بن إسماعيل لفعلت؛ فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموت محمد بن إسماعيل ذهاب العلم .

قال: وسمعته يقول: لولا أنت ما استطبت العيش ببخارى .

وقال علي بن حجر: أخرجت خراسان ثلاثة: البخاري وأبو زرعة والدارمي، ومحمد بن إسماعيل أبصرهم وأعلمهم وأفقههم.

وقال علي بن حجر أيضا: لا أعلم مثله.

وقال أحمد بن إسحاق السرماري: من أراد أن ينظر إلى فقيه بحقه وصدقه؛ فلينظر إلى محمد بن إسماعيل .

وقال حاشد بن عبد الله بن عبد الواحد: رأيت عمرو بن زرارة ومحمد بن رافع عند محمد بن إسماعيل وهما يسألان محمد بن إسماعيل عن علل الحديث، فلما قاما قالا لمن حضر المجلس: لا تخدعوا عن أبي عبد الله؛ فإنه أفقه منا وأعلم وأبصر.

قال: وكنا يوما عند إسحاق بن راهويه _وعمرو بن زرارة ثم_ وهو يستملي على أبي عبد الله، وأصحاب الحديث يكتبون عنه، وإسحاق يقول: هو أبصر مني .قال: وكان محمد يومئذ شابا.

وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي: أخبرني عبد الله بن محمد الفرهياني؛ قال: حضرت مجلس ابن إشكاب، فجاءه رجل _ذكر اسمه_ من الحفاظ فقال: ما لنا بمحمد بن إسماعيل طاقة ؟! فقام ابن إشكاب وترك المجلس؛ غضبا من المتكلم في حق محمد بن إسماعيل.

وقال أبو عمرو الكرماني: سمعت عمرو بن علي الفلاس يقول: أبو عبد الله صديقي، ليس بخراسان مثله.

وقال أبو عمرو الكرماني: حكيت لمهيار بالبصرة، عن قتيبة بن سعيد؛ أنه قال: رحل إلي من شرق الأرض وغربها، فما رحل إلي مثل محمد بن إسماعيل. فقال مهيار: صدق؛ أنا رأيته مع يحيى بن معين، وهما جميعا يختلفان إلى محمد بن إسماعيل، فرأيت يحيى ينقاد له في المعرفة .

وقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر: لما مات أحمد بن حرب النيسابوري، ركب محمد بن إسماعيل وإسحاق يشيعان جنازته، فكنت أسمع أهل المعرفة بنيسابور ينظرون ويقولون: محمد أفقه من إسحاق.

فصل في ذكر ثناء أقرانه وأصحابه عليه فمن بعدهم

قال أبو حاتم الرازي: لم يخرج من خراسان قط أحفظ من محمد بن إسماعيل، ولا قدم منها إلى العراق أعلم منه.

وقال محمد بن حريث: سألت أبا زرعة عن ابن لهيعة؟ فقال: تركه أبو عبد الله.

وقال عبيد المعروف بالعجل الحافظ: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، ومسلم حافظ لكن لم يبلغ مبلغ محمد بن إسماعيل. قال: ورأيت أبا زرعة وأبا حاتم يستمعون إليه، وكان أمة من الأمم، دينا فاضلا، يحسن كل شيء، وكان أعلم من محمد بن يحيى الذهلي بكذا وكذا

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: قد رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراقين، فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن إسماعيل.

وقال أيضا: هو أعلمنا وأفقهنا وأغوصنا وأكثرنا طلبا .

وسئل الدارمي عن حديث قيل له: إن البخاري صححه، فقال: محمد أبصر مني، ومحمد بن إسماعيل أكيس خلق الله، إنه عقل عن الله تعالى ما أمر به ونهى عنه في كتابه وعلى لسان نبيه، إذا قرأ محمد القرآن شغل قلبه وبصره وسمعه، وتفكر في أمثاله، وعرف حرامه وحلاله .

وقال أبو الطيب حاتم بن منصور: محمد بن إسماعيل آية من آيات الله في بصره ونفاذه في العلم .

وقال أبو سهل محمود بن النضر الفقيه: دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة، ورأيت علماءها، فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم .

وقال أبو سهل أيضا: سمعت أكثر من ثلاثين عالما من علماء مصر يقولون: حاجتنا في الدنيا النظر في «تاريخ محمد بن إسماعيل».

وقال صالح جزرة: ما رأيت خراسانيا أفهم من محمد بن إسماعيل.

وقال أيضا: كان أحفظهم للحديث.

وقال أيضا: كنت أستملي له ببغداد، فبلغ من حضر المجلس عشرين ألفا

وسئل الحافظ الفضل بن العباس المعروف بفضلك الرازي: محمد بن إسماعيل أحفظ أم أبو زرعة؟ فقال: لم يكن التقيت مع محمد بن إسماعيل، فاستقبلني ما بين حلوان وبغداد. قال: فرجعت معه مرحلة، وجهدت كل الجهد على أن أجيء بحديث لا يعرفه فما أمكنني، وأنا

أغرب على أبي زرعة عدد شعره.

وقال أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الدغولي: كتب أهل بغداد إلى محمد بن إسماعيل : المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد.

وقال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل.

وقال أبو عيسى الترمذي: لم أر أعلم بالعلل ومعرفة الأسانيد من البخاري .

وقال له مسلم بن الحجاج: أشهد أنه ليس في الدنيا مثلك، ولا يبغضك إلا حاسد

وقال الإمام الفقيه الحافظ أحمد بن سيار لمروزي في «تاريخه»: ومحمد بن إسماعيل البخاري، طلب العلم، وجالس الناس، ورحل في الحديث، ومهر فيه، وكان حسن المعرفة، حسن الحفظ، وكان يتفقه.

وقال ابن عدي: كان يحيى بن صاعد إذا ذكر البخاري يقول: ذلك الكبش النطاح .

وقال الإمام الرئيس أبو عمرو أحمد بن نصر الخفاف: حدثنا التقي النقي العالم الذي لم أر مثله محمد بن إسماعيل.

قال: وهو أعلم بالحديث من إسحاق وأحمد وغيرهما بعشرين درجة، ومن قال فيه شيئا فعليه مني ألف لعنة.

وقال أيضا: لو دخل من هذا الباب لملئت منه رعبا .

وقال عبد الله بن حماد الآملي: وددت أني شعرة في جسد محمد بن إسماعيل.

وقال سليم بن مجاهد: ما رأيت منذ ستين سنة أحدا أفضل ولا أورع ولا أزهد في الدنيا من محمد بن إسماعيل .

وقال محمد بن حبيب الأنصاري: لم تر عيني مثله.

وقال الحافظ أبو العباس ابن عقدة: لو أن رجلا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن «تاريخ البخاري».

وقال موسى بن هارون الحمال: عندي لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن ينصبوا مثل محمد بن إسماعيل آخر ما قدروا عليه .

وقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر: سمعت العلماء بالبصرة، يقولون: ما في الدنيا

مثل محمد بن إسماعيل في المعرفة والصلاح.
قال عبد الله: وأنا أقول قولهم.
وقال الحاكم أبو أحمد في «الكنى»: كان أحد الأئمة في معرفة الحديث وجمعه، ولو قلت: إني لم أر تصنيف أحد يشبه تصنيفه في المبالغة والحسن، رجوت أن أكون صادقا في قولي.
وقال الدارقطني: لولا البخاري ما راح مسلم ولا جاء.
وقال الحاكم أبو عبد الله في كتاب «نيسابور»: محمد بن إسماعيل إمام أهل الحديث بلا خلاف أعرفه بين أئمة النقل، إلا أن يكون كما قال القائل :
فحسبك أني لا أرى لك عائبا سوى حاسد والحاسدون كثير
وقال الخطيب : إنما قفا مسلم طريق البخاري، ونظر في علمه، وحذا حذوه .
وقال الشيخ محيي الدين النووي، ومن خطه نقلت، بعد أن ساق ترجمته مختصرة في كتاب «تهذيب الأسماء واللغات»: فهذه أحرف من عيون مناقبه وصفاته، ودرر شمائله وحالاته، أشرت إليها إشارات؛ لكونها من المعروفات الواضحات، ومناقبه لا تستقصى؛ لخروجها عن أن تحصى، وهي منقسمة إلى حفظ ودراية، واجتهاد في التحصيل ورواية، ونسك وإفادة، وورع وزهادة، وتحقيق وإتقان، وتمكن وعرفان، وأحوال وكرامات، وغيرها من أنواع المكرمات؛ ويوضح ذلك ما أشرت إليه من أقوال علماء المسلمين، أولي الفضل والورع والدين، والحفاظ والنقاد المتقنين؛ الذين لا يجازفون في العبارات، بل يتأملونها ويحررونها ويحافظون على صيانتها أشد المحافظات؛ وأقاويلهم بنحو ما ذكرته غير منحصرة، وفيما أشرت إليه أبلغ كفاية للمستبصرة.

فصل في سعة حفظه وسيلان ذهنه سوى ما تقدم في أثناء الفصلين مثله

أخبرنا أحمد بن عمر فيما قرأت عليه، عن الحافظ أبي الحجاج المزي: أن أبا الفتح الشيباني أخبره: أخبرنا زيد بن الحسن: أخبرنا عبد الرحمن بن محمد: أخبرنا أحمد بن علي الخطيب _(ح) :وأخبرنيه عاليا أحمد بن أبي بكر المقدسي في كتابه، عن عمر بن عبد العزيز بن رشيق: أن علي بن الحسين ابن المقير أنبأه، عن الفضل بن سهل، عن الخطيب _قال : حدثني محمد بن أبي الحسن الساحلي: أخبرنا أحمد بن الحسن الرازي: سمعت أبا أحمد ابن عدي يقول: سمعت عدة مشايخ يقولون: إن محمد بن إسماعيل قدم بغداد، فسمع به

أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مئة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوها إلى عشرة أنفس، لكل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس يلقون ذلك على البخاري، وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب رجل من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاري :لا أعرفه. فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه. فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه. فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: فهم الرجل. ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم، ثم انتدب رجل آخر من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه. فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه. فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه. ثم انتدب له الثالث، والرابع، إلى تمام العشرة، حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على: لا أعرفه. فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا، التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا. والثالث والرابع على الولاء، حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها؛ فأقر الناس له بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل .

قلت: هنا يخضع للبخاري؛ فما العجب من رده الخطأ إلى الصواب، بل العجب من حفظه الخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة .

وقد روينا عن أبي بكر الكلوذاني: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل؛ كان يأخذ الكتاب من العلماء، فيطلع إليه اطلاعة، فيحفظ أطراف الأحاديث من مرة واحدة .

أنبأنا أبو بكر ابن العز ابن أبي عمر ابن جماعة، عن أبي نصر الشيرازي، عن جده أبي نصر: أن الحافظ أبا القاسم ابن عساكر أخبره: أخبرنا أبو الحسن ابن البقشلان: أخبرنا أبو المظفر النسفي: أخبرنا أبو عبد الله الغنجار :سمعت أبا القاسم منصور بن إسحاق بن إبراهيم الأسدي يقول: سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم الداغوني يقول: سمعت يوسف بن موسى المروروذي يقول: كنت بالبصرة في جامعها، إذ سمعت مناديا ينادي: يا أهل العلم،

لقد قدم محمد بن إسماعيل البخاري. فقاموا في طلبه، وكنت معهم، فرأينا رجلا شابا لم يكن في لحيته بياض، فصلى خلف الأسطوانة، فلما فرغ من الصلاة أحدقوا به، وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء، فأجابهم إلى ذلك، فقام المنادي ثانيا ينادي في جامع البصرة: لقد قدم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، فسألناه بأن يعقد مجلس الإملاء، فأجاب بأن يجلس غدا في موضع كذا. فلما أن كان بالغداة حضر الفقهاء والمحدثون والحفاظ والنظارة، حتى اجتمع قريب من كذا وكذا ألف نفس، فجلس أبو عبد الله للإملاء، فقال قبل أن يأخذ في الإملاء: يا أهل البصرة، أنا شاب، وقد سألتموني أن أحدثكم، وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدونها ــيعني ليست عندكمــ قال: فتعجب الناس من قوله، فأخذ في الإملاء، فقال: حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد العتكي بلديكم: حدثنا أبي، عن شعبة، عن منصور وغيره، عن سالم بن أبي الجعد، عن أنس بن مالك: أن أعرابيا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: يا رسول الله، الرجل يحب القوم... الحديث . ثم قال محمد بن إسماعيل: هذا ليس عندكم، إنما عندكم عن غير منصور. قال يوسف بن موسى: وأملى عليهم مجلسا على هذا النسق، فيقول في كل حديث: روى فلان هذا الحديث عندكم كذا، فأما من رواية فلان ــيعني التي يسوقهاــ فليست عندكم .

وقال حمدوية بن الخطاب: لما قدم البخاري قدمته الأخيرة من العراق، وتلقاه من تلقاه من الناس، وازدحموا عليه، وبالغوا في بره، فقيل له في ذلك، فقال: فكيف لو رأيتم يوم دخولنا البصرة؟ !

أنبئت عن أبي نصر، عن جده: أن الحافظ أبا القاسم أخبرهم: أخبرنا إسماعيل بن أبي صالح: أخبرنا أبو بكر ابن خلف: أخبرنا الحاكم: حدثني أبو سعيد أحمد بن محمد النسوي: حدثني أبو حسان مهيب بن سليم :سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: اعتللت بنيسابور علة خفيفة، وذلك في شهر رمضان، فعادني إسحاق بن راهويه في نفر من أصحابه، فقال لي: أفطرت يا أبا عبد الله؟ فقلت: نعم، فقال: خشيت أن تضعف عن قبول الرخصة. فقلت: أخبرنا عبدان، عن ابن المبارك، عن ابن جريج؛ قال: قلت لعطاء: من أي المرض أفطر؟ قال:

من أي مرض كان؛ كما قال الله عز وجل: {فمن كان منكم مريضا}[1].قال البخاري: لم يكن هذا عند إسحاق .

وقال محمد بن أبي حاتم وراق البخاري: سمعته يقول: لو نشر بعض أستاذي هؤلاء لم يفهموا كيف صنفت «التاريخ» ولا عرفوه. ثم قال: صنفته ثلاث مرات .

وقال أحمد بن أبي جعفر والي بخارى: قال لي محمد بن إسماعيل يوما: رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر! فقلت له: يا أبا عبد الله، بتمامه؟ فسكت .

وقال سليم بن مجاهد: قال لي محمد بن إسماعيل: لا أجيء بحديث عن الصحابة أو التابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثا من حديث الصحابة والتابعين ــ يعني من الموقوفات ــ إلا ولي في ذلك أصل أحفظه حفظا عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقال علي بن الحسين بن عاصم البيكندي: قدم علينا محمد بن إسماعيل، فقال له رجل من أصحابنا: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: كأني أنظر إلى سبعين ألف حديث من كتابي! فقال محمد بن إسماعيل: أو تعجب من هذا؟! لعل في هذا الزمان من ينظر إلى مئتي ألف حديث من كتابه! وإنما عنى نفسه.

وقال محمد بن حمدوية: سمعت البخاري يقول: أحفظ مئة ألف حديث صحيح، وأحفظ مئتي ألف حديث غير صحيح.

وقال له وراقه: تحفظ جميع ما أدخلت في المصنف؟ فقال: لا يخفى علي جميع ما فيه، وصنفت جميع كتبي ثلاث مرات.

وقال: وبلغني أنه شرب البلاذر، فسألته خلوة: هل من دواء للحفظ؟ فقال: لا أعلم. ثم أقبل علي فقال: لا أعلم شيئا أنفع للحفظ من نهمة الرجل ومداومة النظر .

وقال: أقمت بالمدينة ــبعد أن حججتــ سنة جرداء أكتب الحديث .

قال: وأقمت بالبصرة خمس سنين، معي كتبي أصنف، وأحج في كل سنة، وأرجع من مكة

---

[1] [البقرة:184].

إلى البصرة. قال: وأنا أرجو أن الله تعالى يبارك للمسلمين في هذه المصنفات.

وعن البخاري؛ قال: تذكرت يوما أصحاب أنس، فحضرني في ساعة ثلاث مئة نفس، وما قدمت على شيخ إلا كان انتفاعه بي أكثر من انتفاعي به .

وقال وراقه: عمل كتابا في الهبة فيه نحو خمس مئة حديث، وقال: ليس في كتاب وكيع في الهبة إلا حديثان مسندان أو ثلاثة، وفي كتاب ابن المبارك خمسة أو نحوه.

وقال أبو الأزهر: كان بسمرقند أربع مئة محدث، فتجمعوا، وأحبوا أن يغالطوا محمد بن إسماعيل، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وإسناد اليمن في إسناد الحرم، فما تعلقوا منه بسقطة .

وقال وراقه: سمعته يقول: ما نمت البارحة حتى عددت كم أدخلت تصانيفي من الحديث، فإذا نحو مئتي ألف.

وقال أيضا: لو قيل لي شيء، لما قمت حتى أروي عشرة آلاف حديث في الصلاة خاصة.

وقال وراقه: سمعته يقول: ما جلست للتحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم، وحتى نظرت في كتب أهل الرأي، وما تركت بالبصرة حديثا إلا كتبته .

وقال: سمعته يقول: لا أعلم شيئا يحتاج إليه إلا وهو في الكتاب والسنة. قال: فقلت له: يمكن معرفة ذلك؟ قال: نعم .

وقال الفربري: سمعته يقول: نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس، فما رأيت أحدا أضل في كفرهم من الجهمية. والقرآن كلام الله غير مخلوق .

وقال أحمد بن حمدون الحافظ: رأيت البخاري في جنازة ومحمد بن يحيى الذهلي يسأله عن الأسماء والعلل، والبخاري يمر فيه مثل السهم، كأنه يقرأ{قل هو الله أحد}.

قلت: وكتابه «الجامع» يشهد له بالتقدم في استنباط المسائل الدقيقة، وبالاطلاع على اللغة والتوسع في ذلك، وبإتقان العربية والصرف، وبما يعجز عنه الواصف، ومن تأمل اختياراته الفقهية في «جامعه» علم أنه كان مجتهدا، وإن كان كثير الموافقة للشافعي، وقد استشهد بقوله في موضعين من كتابه :

أحدهما في الزكاة عقيب قوله: «باب في الركاز الخمس: وقال مالك وابن إدريس: الركاز دفن الجاهلية، في قليله وكثيره الخمس، وليس المعدن بركاز».

وقال في باب تفسير العرايا من البيوع: «وقال ابن إدريس: العرية لا تكون إلا بالكيل من التمر يدا بيد، لا تكون بالجزاف. قال البخاري: ومما يقويه قول سهل بن أبي حثمة: بالأوسق الموسقة».

قلت: وقد أخطأ من يزعم أنه أراد بذلك عبد الله بن إدريس الأودي الكوفي؛ فإن هاتين المسألتين منصوصتان للشافعي بلفظهما في كتبه ، وقد بينت ذلك في كتاب تخريج تعليق البخاري الذي سميته: «تغليق التعليق».

وأما عدم رواية البخاري للشافعي في «الجامع»؛ فقد تولى الجواب عنه الحافظ أبو بكر الخطيب، وبسط القول فيه في جزء مفرد، مما حاصله: أن الإمام الشافعي لم يتسع له الوقت في طلب الحديث بتحصيل الغرائب والطرق، وإنما كانت همته تحصيل أحاديث الأحكام، وأعلى من لقيه مالك بن أنس والدراوردي وسفيان بن عيينة وغيرهم، والبخاري فقد لقي العدد الكثير من أصحابهم، وكانت وفاة الشافعي سنة طلب البخاري الحديث ،وكبار شيوخه الذين أدركهم وحمل عنهم في مرتبة شيوخ الشافعي من حيث العدد أحيانا :

فإنه روى في «الصحيح» عن محمد بن عبد الله الأنصاري عن حميد، وحميد فمن شيوخ مالك وابن عيينة .

وروى فيه عن عبيد الله بن موسى عن هشام بن عروة، وهشام من شيوخ مالك والدراوردي .

وروى فيه عن عبيد الله بن موسى عن إسماعيل بن أبي خالد، وإسماعيل من شيوخ ابن عيينة إلى غير ذلك .

وأما أوساط مشايخه فهم في العدد كالشافعي؛ فقد حدث كثير منهم بالكثير عن مالك .

وأما من حدثه عن ابن عيينة فلا يحصون .

وأما من عدا هؤلاء؛ فإنما يخرج عنهم ما عندهم من الغرائب والطرق وزيادات الألفاظ مع تعذر وقوعه له بعلو، أو لأجل التصريح بالسماع إذا كان الإسناد العالي معنعنا .

فلو أخرج مثلا عن أحمد بن صالح عن الشافعي عن مالك حديثا، هو عنده عن يحيى بن بكير والتنيسي والقعنبي وقدماء أصحاب مالك؛ لنزل فيه من غير معنى؛ فإن هؤلاء حفاظ أثبات مع علو الإسناد؛ وقد قال شيخ المحدثين يحيى بن معين: الإسناد النازل قرحة في الوجه، والإسناد العالي قربة إلى الله ورسوله. وعنه قال: النزول شؤم

قلت: وإنما يقدم النزول على العلو إذا كان رجال الإسناد النازل ثقات والآخر ضعفاء؛ فإنه إن اجتمع العلو والثقة فذلك هو المراد .

وأخبرنا إبراهيم بن أحمد البعلي بقراءتي عليه: أن عبد الله بن الحسن الأنصاري أخبره: أخبرنا إسماعيل بن أحمد العراقي، عن الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي فيما أنشد لنفسه :

ليس حسن الحديث قرب رجال عند أرباب علمه النقاد

بل علو الحديث عند أولي الحفـظ والإتقان صحة الإسناد

فإذا ما تجمعا في حديث فاغتنمه فذاك أقصى المراد

فصل في سبب تصنيفه الجامع الصحيح ووصف الأئمة له

أخبرنا أبو العباس أحمد بن عمر بقراءتي عليه، عن الحافظ أبي الحجاج المزي: أن يوسف بن يعقوب أخبره :أخبرنا أبو اليمن الكندي: أخبرنا أبو منصور القزاز: أخبرنا الخطيب؛ قال: أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب: أخبرنا محمد بن نعيم: سمعت خلف بن محمد البخاري ــببخارىــ يقول: سمعت إبراهيم بن معقل النسفي يقول: قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: كنت عند إسحاق بن راهويه، فقال له بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبي صلى الله عليه وسلم. فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب. يعني «الصحيح». وقال إبراهيم بن معقل النسفي: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: ما أدخلت في كتاب «الجامع» إلا ما صح، وتركت من الصحاح كي لا يطول الكتاب .

أنبئت عمن سمع جعفر بن علي: أخبرنا السلفي: أخبرنا الرازي: حدثنا عبد الله بن الوليد: حدثنا أحمد بن الحسن بن بندار: حدثنا ابن عدي : سمعت الحسن بن الحسين البزاز يقول: سمعت إبراهيم بن معقل يقول ذلك.

وقال أبو الفضل ابن طاهر الحافظ: كان البخاري عمل قبل كتاب «الصحيح» كتابا يقال له: «المبسوط» ، وجمع فيه جميع حديثه على الأبواب، ثم نظر إلى أصح الحديث على ما يرسمه، فأخرجه بجميع طرقه، فربما صح الحديث عنده من طريق، فأخرجه بجميع طرقه الصحيحة، فلو أخرج طريقا واحدا منها استدرك عليه الثاني، ولو أخرجها كلها في موضع واحد احتاج في الباب الآخر إلى حديث موافق لذلك المعنى الذي سطر له الباب، فكأنه رأى أن يوردها على المعاني التي فيها في كل باب يدخل ذلك الحديث فيه .

وقال ابن طاهر أيضا: وعندي أن إعادته للحديث مما يدل على فضله وفقهه وكثرة حديثه؛ فإنه يستخرج من الحديث الواحد المعاني الكثيرة الفقهية، ثم يستدل بكل معنى فيباب بإسناد آخر بالحديث عن شيخ غير الشيخ الذي حدث به عنه في الباب المتقدم، وقل ما يورد في كتابه حديثا في موضعين بإسناد واحد بلفظ واحد، وإنما يكرره على هذه القاعدة التي ذكرتها.

وقال الشيخ محيي الدين النووي، ومن خطه نقلت: اعلم أن البخاري كان بالغاية المرضية من التمكن في أنواع العلوم، وأما دقائق الحديث واستنباط اللطائف منه فلا يكاد أحد يقاربه فيها، وإذا نظرت كتابه جزمت بذلك بلا شك، ثم إنه ليس مقصوده «بالجامع» الاقتصار على الحديث وتكثير الطرق والمتون، بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها من الأصول والفروع والزهد والآداب وغيرها من الفنون.

وقال أبو الهيثم الكشميهني: سمعت محمد بن يوسف الفربري يقول: قال لي محمد بن إسماعيل البخاري: ما وضعت في كتاب «الصحيح» حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.

وقال عبد الرحمن بن رشا: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: صنفت كتاب «الصحيح» في ست عشرة سنة، وخرجته من ست مئة ألف حديث، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله .

وعنه؛ قال: خرجته من زهاء ست مئة ألف حديث.

وقال محمد بن سليمان بن فارس: سمعت البخاري يقول: رأيت في المنام النبي صلى الله عليه وسلم كأنني واقف بين يديه، وبيدي مروحة أذب عنه، فسألت عنه بعض المعبرين، فقال لي: أنت تذب عنه الكذب. فهو الذي حملني على إخراج »الصحيح«.

وقيل: إنه صنفه بمكة؛ فقال أبو سعد الإدريسي: أخبرنا سليمان بن داود المهروي بسمرقند: سمعت عبد الله بن محمد بن محمد بن حامد بن هاشم يقول: قال عمر بن محمد بن بجير: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: صنفت كتاب «الجامع» في المسجد الحرام، وما أدخلت فيه حديثا حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين، وتيقنت صحته.

قال ابن طاهر: الأصح أنه صنفه ببخارى.

قلت: قد ذكر الرجل أنه أقام في تصنيفه ست عشرة سنة، فما المانع أن يكون صنفه في البلاد التي يرحل إليها؟ !

وقال الفربري: سمعت وراق البخاري يقول: سمعت البخاري يقول: صنفت «كتاب الاعتصام» في ليلة.

قال: وسمعت وراق البخاري يقول: رأيته في المنام خلف النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم يمشي، كلما رفع النبي صلى الله عليه وسلم قدمه وضع أبو عبد الله قدمه في ذلك الموضع.

أخبرنا أحمد بن عمر، عن الحافظ أبي الحجاج المزي: أن أبا الفتح الشيباني أخبرهم: أخبرنا أبو اليمن الكندي: أخبرنا أبو منصور القزاز: أخبرنا أبو بكر الخطيب : أخبرنا أبو سعد الماليني: أخبرنا أبو أحمد ابن عدي : سمعت الفربري يقول: سمعت نجم بن فضيل ــوكان من أهل الفهم ـ يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام خرج من قرية والبخاري يمشي خلفه، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطا خطوة يخطو محمد ويضع قدمه على خطوة النبي صلى الله عليه وسلم.

وبه إلى الخطيب؛ قال: كتب إلي علي بن محمد بن محمد بن الحسين الجرجاني من أصبهان: أنه سمع أبا محمد ابن مكي يقول: سمعت الفربري يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال لي: أين تريد؟ فقلت: أريد محمد بن إسماعيل البخاري. فقال: أقرئه مني السلام .

قرأت على فاطمة بنت ابن عبد الهادي بسفح قاسيون: أخبركم أحمد بن أبي طالب، عن عبد الله بن عمر ابن اللتي: أن أبا الوقت أخبرهم: أخبرنا شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتاب «ذم الكلام» له: أخبرنا أحمد بن محمد بن إسماعيل الهروي: سمعت خالد بن عبد الله المروزي يقول: سمعت أبا سهل محمد بن أحمد المروزي يقول: سمعت أبا زيد المروزي الفقيه يقول: كنت نائما بين الركن والمقام، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي: يا أبا زيد! إلى متى تدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي؟! فقلت: يا رسول الله! وما كتابك؟ قال: جامع محمد بن إسماعيل.

قلت: حكاها الشيخ محيي الدين النووي في تصانيفه، ورأيتها بخطه، لكنه قال: إلى متى تدرس الفقه؟ هكذا حكاها؛ وكأنه تأدب مع الشافعي، فقد رأيتها في عدة أماكن كما ذكرنا أولا. وإسناد هذه الحكاية صحيح. وأبو زيد من كبار فقهاء الشافعية؛ له وجه في المذهب، وقد سمع الصحيح من الفربري، وهو أجل من حدث به عنه، ومن طريقه بقية المغاربة: عن

الأصيلي، عنه .

وقال أبو عبد الرحمن النسائي: ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل البخاري.

وقال العقيلي: لما ألف البخاري كتابه «الصحيح» عرضه على علي ابن المديني وأحمد ابن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم، فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة، إلا أربعة أحاديث. قال العقيلي: والقول فيها قول البخاري، وهي صحيحة.

فصل في شرطه فيه

قال ابن طاهر: اعلم أن البخاري ومسلما وأبا داود وغيرهم لم ينقل عن واحد منهم أنه قال: شرطت أن أخرج في كتابي ما يكون على الشرط الفلاني. وإنما يعرف ذلك من سبر كتبهم، فيعلم بذلك شرط كل رجل منهم. واعلم أن شرط البخاري ومسلم أن يخرجا الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور، من غير اختلاف بين الثقات الأثبات، ويكون إسناده متصلا غير مقطوع، فإن كان للصحابي راويان فصاعدا فحسن، وإن لم يكن له إلا راو واحد وصح الطريق إليه أخرجاه .

قلت: وأما ما حكاه الحاكم أبو عبد الله في «المدخل» من بيان شرط البخاري في «صحيحه»؛ فقد قرأت على عبد الرحمن بن أحمد الغزي: أخبركم يونس بن أبي إسحاق: أخبرنا علي بن الحسين إذنا، عن المبارك بن أحمد بن عبد العزيز الأنصاري؛ قال: قال أبو الفضل ابن طاهر الحافظ : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الشيرازي؛ قال: قال الحاكم أبو عبد الله : القسم الأول من الصحيح: اختيار البخاري ومسلم، وهو الدرجة الأولى من الصحيح، ومثله: الحديث الذي يرويه الصحابي المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله راويان ثقتان، ثم يرويه عنه التابعي المشهور بالرواية عن الصحابي، وله راويان ثقتان، ثم يرويه عنه من أتباع التابعين الحافظ المتقن المشهور، وله رواة من الطبقة الرابعة، ثم يكون شيخ البخاري ومسلم حافظا متقنا مشهورا .

قال ابن طاهر: وهذا الشرط حسن لو كان موجودا في كتابيهما، إلا أن قاعدته منتقضة بأن البخاري أخرج حديث المسيب بن حزن ولم يرو عنه غير ابنه سعيد، وحديث عمرو بن تغلب ولم يرو عنه غير الحسن البصري، وغير ذلك؛ فبان أن القاعدة انتقضت على الحاكم .

قلت: وأعجب من هذا أن الحاكم ادعى أن هذه قاعدتهما، ثم أخذ في تخريج «المستدرك»، فأخرج أحاديث من ليس له إلا راو واحد، ويحتج بأن الشيخين أخرجا حديث فلان وليس له راو إلا فلان، فهلا استحضر هذه القاعدة هناك؟ !

قلت: وممن أخرج له البخاري من الصحابة وليس له إلا راو واحد - :مرداس الأسلمي، لم يرو عنه غير قيس بن أبي حازم على الأصح.

-وزاهر بن الأسود، تفرد عنه مجزأة ابنه.

-وحزن والد المسيب، تفرد عنه ابنه المسيب.

-وعبد الله بن هشام بن زهرة، تفرد عنه حفيده زهرة بن معبد.

-وعبد الله بن ثعلبة بن صعير، تفرد عنه الزهري

-وسنين أبو جميلة، تفرد عنه الزهري أيضا.

-وأبو سعيد ابن المعلى، تفرد عنه حفص بن عاصم

-وسويد بن النعمان، تفرد عنه بشير بن يسار.

-وخولة بنت ثامر، تفرد عنها النعمان بن أبي عياش

فهذا جميع ما في «صحيح البخاري» في هذا الفن، استوعبته هذه الفائدة.

أخبرنا أبو الحسن بن أبي المجد، عن محمد بن يوسف الشافعي: أن الحافظ العلامة تقي الدين عثمان ابن الصلاح أخبره في كتاب «علوم الحديث» له؛ قال :أول من صنف في الصحيح أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، وتلاه مسلم بن الحجاج، ومسلم مع أنه أخذ عن البخاري واستفاد منه، فإنه يشاركه في كثير من شيوخه، وكتاباهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز، وأما ما رويناه عن الإمام الشافعي؛ أنه قال: (ما أعلم في الأرض كتابا في العلم أكثر صوابا من كتاب مالك)، ومنهم من رواه بغير هذا اللفظ ، فإنما قال ذلك قبل وجود كتابي البخاري ومسلم. ثم إن كتاب البخاري أصح الكتابين صحيحا وأكثرهما فوائد، وأما ما رويناه عن أبي علي الحافظ النيسابوري أستاذ الحاكم من أنه قال: (ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم بن الحجاج)، فهذا وقول من فضل من شيوخ المغرب كتاب مسلم على كتاب البخاري، إن كان المراد به أن كتاب مسلم يترجح بأنه لم يمازجه غير الصحيح _فإنه ليس فيه بعد خطبته إلا الحديث مسرودا غير ممزوج بمثل ما في كتاب البخاري في تراجم أبوابه من

الأشياء التي لم يسندها على الوصف المشروط في الصحيح_ فهذا لا بأس به، وليس يلزم منه أن كتاب مسلم أرجح _فيما يرجع إلى نفس الصحيح_ على كتاب البخاري. قال:وإن كان المراد به أن كتاب مسلم أصح صحيحا، فهذا مردود على من يقوله .

وقال العلامة أبو زكريا النووي رحمه الله في كتاب: «تهذيب الأسماء واللغات»، ومن خطه نقلت: واتفق الجمهور على أن «صحيح البخاري» أصحهما صحيحا وأكثرهما فوائد، وقال الحافظ أبو علي النيسابوري وبعض علماء المغرب: (صحيح مسلم أصح)، وأنكر العلماء عليه ذلك، والصواب ترجيح »صحيح البخاري»، وقد قرر الإمام الحافظ أبو بكر الإسماعيلي ترجيح «صحيح البخاري».

قلت: لم يصرح أبو علي ولا غيره أن «كتاب مسلم» أصح من «كتاب البخاري»، بل المنقول عن أبي علي هذا الذي قدمناه بلفظه، ولا يلزم منه ذلك، غايته أن تلزم منه المساواة، ولعل مراد أبي علي النيسابوري هو الذي تخيله ابن الصلاح، مع أنه معارض بقول رفيقه الحافظ أبي أحمد محمد بن محمد بن إسحاق الكرابيسي الحاكم أستاذ الحاكم أبي عبد الله أيضا، قال _فيما أخبرني عبد الله بن محمد بن عبيد الله بقراءتي عليه، عن أحمد بن بيان : أن جعفر بن علي أخبرهم في كتابه: أخبرنا أبو طاهر السلفي: أخبرنا القاضي أبو الفتح إسماعيل بن عبد الجبار لفظا: سمعت الحافظ أبا يعلى الخليلي يقول : سمعت عبد الرحمن بن محمد بن فضالة يقول: سمعت أبا أحمد الكرابيسي الحافظ يقول_: رحم الله الإمام محمد بن إسماعيل؛ فإنه الذي ألف الأصول، وبين للناس، وكل من عمل بعده فإنما أخذه من كتابه، كمسلم بن الحجاج، فرق أكثر كتابه في كتابه، وتجلد فيه حق الجلادة، حيث لم ينسبه إليه _يعني: ولا ذكره فيه ولا أخرج عنه فيه حرفا_ قال الحاكم أبو أحمد: ومنهم من أخذ كتابه فنقله بعينه إلى نفسه، كأبي زرعة وأبي حاتم _يعني كتاب «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم؛ فإن أصله كتاب «التاريخ» للبخاري _ قال الحاكم أبو أحمد: فإن عاند الحق معاند فيما ذكرت، فليس يخفى صورة ذلك على ذوي الألباب.

قلت: ومما يرجح به «كتاب البخاري» اشتراطه اللقي في الإسناد المعنعن، وهو رأي شيخه علي ابن المديني، وعليه استقر عمل المحدثين من أهل الحديث، ومسلم قد ذكر في خطبة كتابه أنه يكتفي بإمكان اللقي بالمعاصرة، ونقل فيه الإجماع، وهو منتقض عليه بزعمه أن

الذي شرط اللقي اخترع شيئا لم يوافقه عليه أحد، وليس كذلك، بل هو المتعين ، ومنه يظهر أن شرط أبي عبد الله أضيق من شرط أبي الحسين، فلذا كان كتابه أقوى تحريا وأشد اتصالا، والله أعلم .

وقد قال الإمام الحافظ الناقد _الذي لم تخرج بغداد مثله_ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني لما جرى ذكر الشيخين: لولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء.

قلت: ويشهد لذلك ما أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبيد الله، عن أحمد ابن أبي طالب، عن أبي الفضل الهمداني: أن أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ أخبره: أخبرنا أبو الفتح الماكي: أخبرنا الخليلي : أخبرني أبو محمد المخلدي في كتابه؛ قال: أخبرنا أبو حامد الأعمشي الحافظ؛ قال :كنا عند محمد بن إسماعيل البخاري بنيسابور، فجاء مسلم بن الحجاج، فسأل عن حديث عبيد الله بن عمر، عن أبي الزبير، عن جابر؛ قال: (بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية، وبعث أبو عبيدة...) _الحديث بطوله_ فقال البخاري: حدثنا ابن أبي أويس: حدثنا أخي أبو بكر، عن سليمان بن بلال، عن عبيد الله، عن أبي الزبير، عن جابر. وذكر الحديث بتمامه. قال: فقرأ عليه إنسان حديث الحجاج بن محمد، عن ابن جريج، عن موسى بن عقبة، عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «كفارة المجلس واللغو إذا قام العبد أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»، فقال مسلم :في الدنيا أحسن من هذا الحديث: ابن جريج، عن موسى بن عقبة، عن سهيل !تعرف بهذا الإسناد في الدنيا حديثا؟! فقال محمد بن إسماعيل البخاري: إلا أنه معلول. قال مسلم: لا إله إلا الله _وارتعد_ أخبرني به! قال: استر ما ستر الله، هذا حديث جليل رواه الناس عن ابن جريج. فألح عليه، وقبل رأسه، وكاد أن يبكي؛ فقال: اكتب إن كان لا بد: حدثنا موسى بن إسماعيل: حدثنا وهيب: حدثنا موسى بن عقبة، عن عون بن عبد الله؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كفارة المجلس...». فقال له مسلم: لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك .

قلت :هذا إسناد صحيح. أخرجه الحاكم في «كتاب نيسابور» عن المخلدي هذا، وقد وقع لنا من وجه آخر بسياق آخر، أحببت أن أذكره لزيادة الفائدة :

قرأت على أبي محمد ابن قدامة بسفح قاسيون، عن محمد بن أحمد بن أبي الهيجاء: أن الحافظ أبا علي البكري أخبره: أخبرنا القاسم بن عبد الله بن عمر: أخبرنا وجيه بن طاهر: أخبرنا أحمد بن علي بن خلف.

(ح): وأنبئت عن أبي نصر ابن الشيرازي، عن جده: أن الحافظ أبا القاسم ابن عساكر أخبره : أخبرنا أبو المعالي المقدسي: أخبرنا أبو بكر البيهقي؛ قالا: حدثنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ : سمعت أبا نصر أحمد بن محمد الوراق يقول: سمعت أحمد بن حمدون القصار يقول: سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري، فقبل بين عينيه، وقال: دعني حتى أقبل رجليك، يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، ويا طبيب الحديث في علله، حدثك محمد بن سلام: حدثنا مخلد بن يزيد الحراني: أخبرنا ابن جريج: حدثني موسى بن عقبة، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم . فقال محمد بن إسماعيل: وحدثنا أحمد ابن حنبل ويحيى بن معين؛ قالا: حدثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، عن موسى بن عقبة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم في كفارة المجلس: «أن يقول إذا قام من مجلسه: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك...».

فقال محمد بن إسماعيل: هذا حديث مليح، ولا أعلم بهذا الإسناد في الدنيا حديثا غير هذا، إلا أنه معلول؛ حدثنا به موسى بن إسماعيل: حدثنا وهيب: حدثنا سهيل، عن عون بن عبد الله، قوله. قال محمد بن إسماعيل: هذا أولى؛ لا نذكر لموسى بن عقبة مسندا عن سهيل.

قلت: الحكاية الأولى أصح إسنادا؛ وفي هذه أحمد بن حمدون_وهو القصار _متكلم فيه.

وقال الحاكم: سمعت محمد بن يعقوب الحافظ يقول: لما استوطن البخاري نيسابور أكثر مسلم بن الحجاج الاختلاف إليه، فلما وقع بين الذهلي والبخاري ما وقع في مسألة اللفظ، ومنع الناس؛ انقطع عنه أكثر الناس إلا مسلم بن الحجاج؛ فقال الذهلي: ألا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا. فأخذ مسلم رداءه فوق عمامته وقام على رؤوس الناس، وبعث إلى الذهلي ما كتب عنه على ظهر حمال.

قلت: وإنما ذكرت هذه الحكاية هنا استطرادا، وسيأتي باقي قصة محمد بن يحيى الذهلي مع البخاري في فصل مفرد.

وقال القاضي العلامة ناصر الدين أبو العباس ابن المنير الإسكندري في كتاب «المتواري على

أبواب البخاري»: سمعت جدي يقول: كتابان فقههما في تراجمهما: كتاب البخاري في الحديث، وكتاب سيبويه في النحو .

قال أبو العباس: فلما قدر لي أن أتصفح «كتاب البخاري» لاح لي على قرب فقراته، فألفيت أنواعا :

منها ما يتناوله الحديث بنصه أو ظاهره، وهذه هي الجلية .

ومنها ما يتناوله؛ أي: يصدق عليه إطلاقه، والأصل نفي القيود .

ومنها ما يكون الحكم فيه بطريق الأولى بالنسبة إلى المنصوصة .

ومنها ما يكون حكم أكثر حديثه مقيسا على حكم الحديث قياسا مساويا.

وقد يعن له نص الترجمة، فيعدل عنه؛ اكتفاء بظهوره، ويعمد إلى حديث آخر تتلقى منه الترجمة بطريق خفي لطيف فيذكره .

ومنها ما لا ذكر له في الحديث الذي يثبته، لكن قد يكون الحديث ذا طرق، أثبته من بعضها لموافقته شرط الكتاب، ولم يثبته من الطريق الموافقة للترجمة لخلل شرطها، فيأتي بالزيادة التي لم توافق شرطه في الترجمة، وقد ينبه في بعض التراجم على مواضع الخلاف .

وقد يترجم على صورة ويورد فيها الأحاديث المتعارضة، ثم قد ينبه على الجمع إن سنح له، وقد يكتفي بصورة المعارضة تنبيها على أن المسألة اجتهادية.

إلى غير ذلك .

وقال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الدقاق: أنشدنا أبو عامر الفضل بن إسماعيل الجرجاني لنفسه :صحيح البخاري لو أنصفوه لما خط إلا بماء الذهب

به قام ميزان دين النبي ودانت به العجم بعد العرب

حجاب من النار لا شك فيه يميز بين الرضى والغضب

وستر رقيق إلى المصطفى ونور مبين لكشف الكرب

فيا عالما أجمع العالمون على فضل رتبته في الرتب

سبقت الأئمة فيما جمعت ففزت على رغمهم بالقصب

وأبرزت في حسن ترتيبه وتبوييه عجبا للعجب

فصل في ذكر الرواة عن البخاري

قد أسلفنا أن الناس كتبوا عنه على باب محمد بن يوسف الفريابي وهو أمرد، ولم يزالوا يكتبون عنه ويستفيدون منه إلى أن مات، وإنما نذكر هنا رواة كتبه أولا، ثم مشاهير الحفاظ ومن وقعت لنا روايته عنه في المسانيد والأجزاء .

فأشهرهم بالرواية عنه: محمد بن يوسف بن مطر بن صالح الفربري، راوي (الجامع الصحيح) عنه، وكتاب «خلق أفعال العباد»، وغير ذلك، ومن طريقه وقعت لنا رواية «الجامع»، وروايته أتم الروايات وأكملها؛ لأن البخاري كان يلحق في «جامعه» ما يقع له من الأحاديث على شرطه، وكان سماع الفربري عليه مرتين: الأولى بفربر سنة ثمان وأربعين، والأخرى ببخارى سنة اثنتين وخمسين ومئتين . وممن روى عنه «الصحيح»: حماد بن شاكر، وإبراهيم بن معقل النسفي، ومهيب بن سليم، وأبو طلحة منصور بن محمد بن علي البزدوي النسفي، قال جعفر المستغفري: هو آخر من حدث عن البخاري .

قلت: ليس ذلك على إطلاقه؛ فإنه مات سنة تسع وعشرين وثلاث مئة، وبقي بعده المحاملي ببغداد وغيره.

وأما قول محمد بن يوسف الفربري: سمع «الجامع» من محمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يرويه عنه غيري. فكأنه لم يشعر ببقاء البزدوي المذكور.

وممن صرح بأن البزدوي خاتمة من روى عنه «الصحيح»: الحافظ أبو نصر ابن ماكولا، وتبعه ابن نقطة في «التقييد» وغيره .

ومن الرواة عن البخاري :

– أحمد بن محمد بن الجليل_بالجيم_ البزاز، روى عنه كتاب «الأدب المفرد»، سمعناه من طريق.

– ومحمود بن إسحاق الخزاعي، روى عنه «رفع اليدين في الصلاة»، و«القراءة خلف الإمام»، سمعناهما من طريقه أيضا، وهو آخر من حدث عنه ببخارى .

– ويوسف بن ريحان بن عبد الصمد البخاري، راوي «خلق أفعال العباد» عنه .

-ومحمد بن دلوية، راوي كتاب: «بر الوالدين» له، سمعناه من طريقه عاليا .

-وأبو أحمد محمد بن سليمان بن فارس ، راوي «التاريخ الكبير» عنه، سمعنا من طريقه قطعة

منه .

-وعبد الله بن أحمد بن عبد السلام الخفاف ، راوي «التاريخ الأوسط» عنه .

-وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأشقر ، راوي «التاريخ الصغير» عنه

-وآدم بن موسى ، راوي كتاب «الضعفاء» عنه .

وممن روى عنه من الأئمة الحفاظ :

شيخه عبد الله بن محمد المسندي، وإسحاق بن أحمد بن خلف الحافظ وهو أسن منه، ومسلم بن الحجاج في غير »صحيحه»، وأبو عيسى الترمذي في «جامعه»، وأبو عبد الرحمن النسائي في »سننه»، وفي تصحيح سماعه منه قصة أذكرها آخر هذا الفصل إن شاء الله ،وإبراهيم بن إسحاق الحربي الفقيه، وأبو بكر بن أبي عاصم النبيل صاحب التصانيف، وأبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الخالق البزار صاحب «المسند «الشهير، وأبو حاتم وأبو زرعة الرازيان، ومحمد بن نصر المروزي الفقيه الكبير، ومحمد بن قتيبة البخاري قرابته وهو أسن منه، وأبو عمرو الخفاف، وجعفر بن محمد بن موسى النيسابوريان، والحسين بن محمد بن غانم المعروف بالعجل، والحسين بن محمد بن زياد القباني، وصالح بن محمد الأسدي الملقب جزرة وكان مستمليه ببغداد، وأبو بكر ابن أبي داود السجستاني، وأبو بكر ابن أبي الدنيا، وإمام الأئمة أبو بكر بن إسحاق بن خزيمة، ومطين الحضرمي، واسمه :محمد بن عبد الله، والحافظ البجيري : عمر بن محمد بن بجير، وأبو معشر الفضل بن أحمد بن يعقوب النسفي الحافظ، ويحيى بن محمد بن صاعد، ويعقوب بن يوسف ابن الأخرم، والحسين بن إسماعيل المحاملي وهو آخر من حدث عنه ببغداد ، وأمم لا يمكن حصرهم، يكفي من التنبيه على كثرتهم حكاية الفربري المتقدمة .

وأما رواية أبي عبد الرحمن النسائي عنه: فحكى الحافظ جمال الدين المزي :أن في رواية ابن السني «السنن» عن النسائي في الصوم حديثا قال فيه: (حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري: حدثنا حفص بن عمر، عن حماد، عن معمر والنعمان بن راشد، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة؛ قالت: ما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعنة تذكر...) الحديث .

قال المزي: وقد رواه حمزة بن محمد الكناني، وأبو علي الأسيوطي، وأبو الحسن ابن حيوية، عن النسائي: (عن محمد بن إسماعيل) فقط، لم يبينوه .

قال: وفي أصل الصوري بخطه: عن عبد الرحمن النحاس، عن حمزة، عن النسائي: (حدثنا محمد بن إسماعيل، وهو أبو بكر الطبراني) .

قال المزي: ولم نجد للنسائي عنه رواية سوى هذا الحديث، إن كان ابن السني حفظه، وقد روى النسائي الكثير عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، وهو ابن علية، وهو يشارك البخاري في بعض شيوخه، وروى في كتاب «الكنى» عن عبد الله بن أحمد بن عبد السلام الخفاف عن البخاري عدة أحاديث. قال: فهذه قرينة ظاهرة في أنه لم يلق البخاري ولم يسمع منه. انتهى كلام المزي.

وتبعه على ذلك الحافظ أبو عبد الله الذهبي، بل جزم بأنه لم يلقه.

وقد تم عليهما الوهم وعلى من تبعهما؛ فقد قال الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده في كتاب «الإيمان» من تأليفه _الذي قرأته جميعه على فاطمة بنت محمد بن أحمد بن عبد الهادي بسفح قاسيون؛ قلت لها: أخبركم أبو نصر ابن هبة الله في كتابه، عن محمود بن إبراهيم ابن منده: أن الحسن بن العباس الفقيه الرستمي أخبره: أخبرنا أبو عمرو عبد الوهاب ابن الحافظ أبي عبد الله ابن منده؛ قال: أخبرنا أبي؛ قال_: أخبرنا حمزة الكناني: أخبرنا النسائي أبو عبد الرحمن؛ قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: أخشى أن يكون محمد هو عمرو بن عثمان؛ ولا أعرف محمدا، وهم شعبة في اسمه . يشير إلى حديث شعبة، عن محمد بن عثمان بن عبد الله بن موهب، عن موسى بن طلحة، عن أبي أيوب، في حديث: (أخبرني بعمل يدخلني الجنة...) الحديث، فخالف شعبة يحيى القطان وخالد الطحان وأبو نعيم وإسحاق بن يوسف وجماعة؛ فقالوا: عمرو بن عثمان، وهو الصواب. فتبين بهذا أن ابن السني حفظ عن النسائي روايته عن البخاري، ولم ينسبه من عند نفسه، ويحتمل أن كثيرا من الأحاديث التي أخرجها النسائي عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، عن مكي بن إبراهيم، وعن أبي نعيم، وعن جماعة من شيوخ البخاري، أن يكون البخاري شيخه فيها، لا كما ظن المزي وغيره أنه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن علية، والله أعلم .

وتلخص لنا بهذا أن ثلاثة من الأئمة الخمسة حملوا عن البخاري، فأما أبو داود فقد اجتمع به بالبصرة، لكن لم تقع لنا عنه رواية، وأما ابن ماجه فما أظنه لقيه، والله أعلم .

تنبيه: بيننا وبين الإمام البخاري في «الجامع الصحيح» سبعة أنفس، وقد ساوينا في ذلك عامة شيوخنا ممن سمع من وسط سنة ثلاث وهلم جرا.

ووقع لنا جملة أحاديث خارج «الصحيح» بمثل هذا العدد؛ من حديث ابن صاعد والمحاملي ومحمد بن هارون الحضرمي وغيرهم .

وأما باقي الكتب الستة؛ فبيننا وبين أصحابها بالسماع المتصل ثمانية أنفس .

إلا أن النسائي وقع لنا أكثره عاليا بإجازة واحدة؛ فبيننا وبينه سبعة أنفس .

وكذا «جامع الترمذي» و«سنن ابن ماجه»، لكن بإجازتين .

وأما «سنن أبي داود»؛ فلم يقع لنا عاليا إلا بإجازة عامة .

وأما «صحيح مسلم»؛ فلم يقع لنا عاليا إلا بأجايز كثيرة؛ والسماع رزق .

و«صحيح البخاري» _مع ذلك_ أعلى الكتب الستة سندا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في شيء كثير جدا؛ لأنه أسنهم وأقدمهم سماعا، وعنده جماعة من شيوخه إنما يروي الباقون حديثهم بواسطة، وقد أفردت الأحاديث التي بهذه

المثابة في جزء ضخم مفرد، وهو نوع يسميه المحدثون: الإبدال، ولكنها عالية بدرجتين، وهو نوع حسن عزيز .

فصل في دخول البخاري نيسابور على نية الاستيطان وما امتحن به بسبب مسألة اللفظ، وخروجه منها

قال الحاكم: قدم البخاري نيسابور سنة خمسين ومئتين، فأقام بها خمس سنين يحدث على الدوام .

قال: فسمعت محمد بن حامد البزاز يقول: سمعت الحسن بن محمد بن جابر يقول: سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول: اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح العالم فاسمعوا منه. قال: فذهب الناس إليه، وأقبلوا على السماع منه، حتى ظهر الخلل في مجلس محمد بن يحيى، فحسده؛ فتكلم فيه بعد ذلك .

وقال حاتم بن أحمد بن محمود: سمعت مسلم بن الحجاج يقول: لما قدم محمد بن إسماعيل نيسابور، ما رأيت واليا ولا عالما فعل به أهل نيسابور ما فعلوه بمحمد بن إسماعيل، استقبلوه مرحلتين أو ثلاث مراحل، وقال محمد بن يحيى الذهلي في مجلسه: من أراد أن يستقبل محمد

بن إسماعيل غدا فليستقبله، فإني أستقبله. فاستقبله محمد بن يحيى وعامة علماء نيسابور، فدخل البلد، فقال لنا محمد بن يحيى: لا تسألوه عن شيء من الكلام؛ فإنه إن أجاب بخلاف ما نحن عليه وقع بيننا وبينه، وشمت بنا كل ناصبي وكل رافضي وكل جهمي وكل مرجئ بخراسان. قال: فازدحم الناس على البخاري حتى امتلأت الدار والسطوح، فلما كان في اليوم الثاني أو الثالث من قدومه قام إليه رجل فسأله عن اللفظ بالقرآن، فقال: أفعالنا مخلوقة، وألفاظنا من أفعالنا. قال: فوقع بين الناس اختلاف، فقال بعضهم :قال: لفظي بالقرآن مخلوق. وقال بعضهم: لم يقل. فوقع بينهم اختلاف، حتى قام بعضهم إلى بعضهم، فاجتمع أهل الدار فأخرجوهم .

وقال أبو أحمد ابن عدي : ذكر لي جماعة من المشايخ: أن محمد بن إسماعيل لما ورد نيسابور واجتمع الناس عليه حسده بعض من كان في ذلك الوقت من مشايخ نيسابور؛ لما رأى من إقبال الناس إليه واجتماعهم عليه، فقال لأصحاب الحديث: إن محمد بن إسماعيل يقول: اللفظ بالقرآن مخلوق، فامتحنوه. فلما حضر الناس مجلس البخاري، قام إليه رجل فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول باللفظ في القرآن، مخلوق هو أم غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجبه _ثلاثا_ فالتفت إليه البخاري في الثالثة، فقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة، والامتحان بدعة. فشغب الرجل وشغب الناس، وتفرقوا عنه .

وقال الحاكم: أخبرنا أبو بكر ابن أبي الهيثم: حدثنا محمد بن يوسف الفربري؛ قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أما أفعال العباد مخلوقة؛ فقد حدثنا علي بن عبد الله: حدثنا مروان بن معاوية: حدثنا أبو مالك، عن ربعي، عن حذيفة؛ قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته» وبه؛ قال : وسمعت عبيد الله بن سعيد يقول: سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة .

قال البخاري: حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المبين المثبت في المصحف المسطور، الموعى في القلوب؛ فهو كلام الله غير مخلوق؛ قال الله تعالى: {بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم} [العنكبوت:49] .

قال: وقال إسحاق بن راهويه: أما الأوعية؛ فمن يشك أنها مخلوقة؟! .

وقال أبو حامد ابن الشرقي: سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول: القرآن كلام الله غير

مخلوق، ومن زعم: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو مبتدع؛ لا يجالس ولا يكلم، ومن ذهب بعد هذا إلى محمد بن إسماعيل البخاري فاتهموه؛ فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مذهبه .

قلت: لقد ظلمت البخاري؛ فهذه المسألة _وإن كان الصواب الإمساك عن الخوض فيها؛ كما قرر لكم إمامكم أحمد ابن حنبل، وعادى الحسين الكرابيسي بسببها وهجره؛ لكونه تكلم فيها_ فمن ذا الذي يزعم أن حركة اللسان قديمة؟! ومن الذي يلتبس عليه الأمر بالتلفظ؟ ومع ذلك كله، فلم يصرح البخاري قط بقوله: لفظي بالقرآن مخلوق؛ لأنها لفظة مبتدعة، بل كان يخبر فيتبرأ منها، ويكذب من عزى إليه أنه قالها.

قرأت على فاطمة بنت المنجا بدمشق، عن سليمان بن حمزة: أن الضياء محمد بن عبد الواحد الحافظ خبرهم، عن الحافظ أبي طاهر السلفي؛ قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار: أخبرنا هناد بن إبراهيم: أخبرنا أبو عبد الله الغنجار : حدثنا خلف بن محمد بن إسماعيل: سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر النيسابوري الخفاف ببخارى يقول: كنا يوما عند أبي إسحاق القرشي ومعنا محمد بن نصر المروزي، فجرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري، فقال محمد بن نصر: سمعته يقول: من زعم أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو كذاب؛ فإني لم أقله. فقلت له: يا أبا عبد الله! قد خاض الناس في هذا وأكثروا فيه!؟ فقال :ليس إلا ما أقول لك. قال أبو عمرو الخفاف: فأتيت البخاري، فناظرته في شيء من الأحاديث حتى طابت نفسه، فقلت: يا أبا عبد الله! ها هنا أحد يحكي عنك أنك تقول: لفظي بالقرآن مخلوق!؟ فقال: يا أبا عمرو !احفظ ما أقول لك، من زعم من أهل نيسابور_ وسمى بلادا كثيرة_ أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو كذاب؛ فإني لم أقله، إلا أني قلت: أفعال العباد مخلوقة.

قلت: فانظر كيف بين البخاري في هذه المقالة/ تورعا عنها؛ لأنه لفظ ليس له فيه سلف، وأجاب بما لاح له من البراهين بأن أفعال العباد مخلوقة، حتى إن الإمام أحمد بن سيار المروزي سأله أن يكف عن الجواب بذلك، وقال له: نحن لا نخالفك، ولكن العامة لا تحتمل هذا. فقال: إني أخشى النار؛ أن أسأل عن شيء أعلمه حقا أن أقول غيره.

قلت: فحمل الذهلي حبه الرئاسة على أن آخذ البخاري بلازم قوله، وهجره إلى أن أوجب له الخروج من نيسابور .

وقال الحاكم أيضا: سمعت محمد بن صالح بن هانئ يقول: سمعت أحمد بن سلمة يقول:

دخلت على البخاري، فقلت: يا أبا عبد الله! إن هذا رجل ــيعني الذهليــ مقبول بخراسان، خصوصا في هذه المدينة، وقد لج في هذا الحديث حتى لا يقدر أحد منا أن يكلمه فيه، فما ترى؟ فقبض على لحيته، ثم قال: {وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد} غافر:44. اللهم إنك تعلم أني لم أرد المقام بنيسابور أشرا ولا بطرا، ولا طلبا للرياسة، وإنما أبت علي نفسي ــيعني ـالرجوع إلى الوطن؛ لغلبة المخالفين، فقد قصدني هذا الرجل حسدا لما آتاني الله لا غير. ثم قال: يا أحمد، إني خارج غدا؛ لتتخلصوا من حديثه لأجلي .

قال الحاكم: سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول: سمعت محمد بن نعيم يقول: سألت محمد بن إسماعيل ــلما وقع في شأنه ما وقعــ عن الإيمان؛ فقال: قول وعمل، ويزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق، وأفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، على هذا حييت، وعليه أموت، وعليه أبعث إن شاء الله .

وقال الحافظ أبو عبد الله ابن الأخرم: لما قام مسلم بن الحجاج وأحمد بن سلمة عن مجلس محمد بن يحيى الذهلي بسبب البخاري، قال الذهلي: لا يساكنني هذا الرجل في البلد. فخشي البخاري وسافر .

ذكر رجوع البخاري إلى بخارى ومحنته مع أميرها خالد بن أحمد وإخراجه منها، ووفاته غريبا .

قرأت على فاطمة بنت المنجا، عن أبي الربيع ابن قدامة: أن أبا عبد الله الحافظ أخبره، عن السلفي: أخبرنا أبو علي البرداني: أخبرنا هناد النسفي :أخبرنا أحمد بن محمد بن سليمان الحافظ؛ قال: سمعت أبا محمد أحمد بن محمد بن عمر المقرئ يقول: سمعت أبا سعيد بكر بن منير يقول: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل أن: احمل إلي كتاب «الجامع» و«التاريخ» وغيرهما؛ لأسمع منك. فقال محمد بن إسماعيل لرسوله: أنا لا أذل العلم! ولا أحمله إلى أبواب السلاطين! فإن كانت له حاجة إلى شيء منه فليحضرني في مسجدي أو في داري، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان، فامنعني من المجلس؛ ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة؛ لأني لا أكتم العلم. قال: فكان ذلك سبب الوحشة بينهما .

وقال أحمد بن منصور الشيرازي، عمن حدثه: لما قدم أبو عبد الله البخاري بخارى نصبت له القباب على فرسخ من البلد، واستقبله عامة أهل البلد حتى لم يبق مذكور، ونثر عليه الدنانير

والدراهم، فبقي مدة. قال: ثم وقع بينه وبين الأمير، فأمره بالخروج من بخارى. قال: فتقدمت إليه، فقلت: يا أبا عبد الله! كيف ترى هذا اليوم من اليوم الذي نثر عليك ما نثر؟! فقال :لا أبالي إذا سلم لي ديني. قال: فخرج إلى بيكند .

قلت: ورجع منها إلى سمرقند، فأقام بقرية من قراها يقال لها: خرتنك .

وكان الذي أعان الأمير على إخراجه أنه كاتب محمد بن يحيى الذهلي، فكتب إليه الذهلي: أنه تكلم عندنا في مسألة مبتدعة، فأخرجناه من نيسابور. فأمر الأمير أهل البلد أن ينقطعوا عن البخاري، فأبوا، فقرأ عليهم كتاب محمد بن يحيى، فقصروا عنه، وتعصب عليه حريث بن أبي الورقاء إمام أهل الرأي ببخارى بسبب المذهب إلى أن أخرج من البلد .

قال الحاكم: سمعت محمد بن العباس الضبي: سمعت أبا بكر ابن أبي عمرو الحافظ يقول: كان سبب مفارقة أبي عبد الله البلد أن خالد بن أحمد _أمير بخارى نيابة عن الطاهرية _ سأله أن يحضر منزله فيقرأ «الجامع» و«التاريخ «على أولاده، فامتنع، فراسله أن: اجمع أولادي مجلسا لا يحضره غيرهم. فامتنع؛ فقال: لا يسعني أن أخص بالسماع قوما دون قوم.

فاستعان خالد بن أحمد بن حريث بن أبي الورقاء وغيره من أهل بخارى حتى تكلموا في البخاري، فنفاه عن البلد. قال: فدعا عليهم؛ فقال: اللهم أرهم ما قصدوني به في أنفسهم وأولادهم وأهاليهم. فأما خالد؛ فلم يأت عليه إلا أقل من شهر حتى ورد أمر الطاهرية بأن ينادى عليه، فنودي عليه وهو على أتان، فأخرج على إكاف، ثم صار أمره إلى ما اشتهر _ يعني من الذل والحبس _ إلى أن مات ببغداد بعد مدة طويلة. وأما حريث بن أبي الورقاء؛ فإنه ابتلي بأهله، فرأى فيها ما يجل عن الوصف. وأما فلان_ أحد القوم، وسماه _ فإنه ابتلي بأولاده، فأراه الله فيهم البلايا.

قال وراقه: وكان كثير من أصحابه يقولون له :إن فلانا يقع فيك!؟ فيقول: {إن كيد الشيطان كان ضعيفا} [النساء:76]. ويقول: {ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله} [فاطر:43] .

قال: وسمعته يقول: لم يتعرض لنا أحد قط من أفناء الناس إلا رمي بقارعة ولم يسلم .

وقال ابن عدي: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: خرج البخاري إلى خرتنك _قرية من قرى سمرقند_ وكان له فيها أقرباء، فنزل عندهم، فسمعته ليلة من الليالي

ــوقد فرغ من صلاة الليلــ يدعو، يقول في دعائه :اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك. قال: فما تم الشهر حتى قبضه الله، وقبره بخرتنك .

قلت: هي بفتح الخاء المعجمة، وإسكان الراء، وفتح التاء المثناة من فوق، وإسكان النون، وبعدها كاف.

وقال محمد بن أبي حاتم وراق البخاري: سمعت أبا منصور غالب بن جبريل ــوهو الذي نزل عليه أبو عبد الله البخاري بخرتنك ـ يقول: إنه أقام أياما، فمرض، واشتد به المرض، حتى وجه إليه رسول من سمرقند ليخرج إليهم، فلما وافى تهيأ للركوب، ولبس خفيه وتعمم، فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها، وأنا آخذ بعضده، ورجل آخر معي؛ نقوده إلى الدابة ليركبها، فقال رحمه الله : أرسلوني؛ فقد ضعفت. فدعا بدعوات، واضطجع، فقضى، فسال منه عرق لا يوصف، وكان أوصانا أن نكفنه في ثلاثة أثواب، ليس فيها قميص ولا عمامة، ففعلنا، فلما دفناه فاح من تراب قبره رائحة غالية أطيب من المسك، فدام ذلك أياما، ثم علت سواري بيض في السماء مستطيلة بحذاء قبره، وجعل الناس تجيء إلى القبر ويرفعون من ترابه إلى أن حوقنا عليه خشبا مشبكا، وأما ريح الطيب فدام أياما كثيرة، وظهر عند مخالفيه أمره بعد وفاته، وأظهروا الندم والتوبة .

قال الوراق: ولم يعش أبو منصور غالب بعده إلا القليل، وأوصى أن يدفن إلى جانبه .

وقال الوراق: سمعت أبا أحمد يقول: رأيت محمد بن حاتم الخلقاني في النوم، وأنا أعرف أنه ميت، فسألته عن محمد بن إسماعيل، فقال: رأيته. وأشار إلى السماء إشارة كاد أن يسقط منها؛ لعلو ما يشير.

وقال محمد بن محمد بن مكي الجرجاني: سمعت عبد الواحد بن آدم الطواويسي يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع، فسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت: ما وقوفك يا رسول الله هنا؟ قال: أنتظر محمد بن إسماعيل. فلما كان بعد أيام بلغني موته، فنظرت، فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت فيها النبي صلى الله عليه وسلم.

قال مهيب بن سليم الكرميني: مات البخاري ليلة السبت، ليلة عيد الفطر، سنة ست وخمسين ومئتين.

وهكذا قال الحسن بن الحسين البزاز في تاريخ وفاته، قال: وعاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما. .

وفي هذه السنة أرخه ابن قانع وابن زبر وغيرهما .

ونقل الشيخ محيي الدين الاتفاق عليه .

قلت: وقد ظفرت بشاردة باردة: ذكر مسلمة بن قاسم الأندلسي في «صلته»: أن البخاري توفي يوم السبت مستهل رجب سنة خمس وخمسين ومئتين .

قلت: وهو خطأ فاحش، لم أذكره إلا لغرابته

وقال الحافظ أبو علي الجياني الغساني في كتاب «تقييد المهمل» : أخبرنا أبو الفتح نصر بن الحسن التنكتي السمرقندي _قدم علينا بلنسية عام أربعة وستين وأربع مئة_ قال: قحط المطر عندنا بسمرقند في بعض الأعوام، فاستسقى الناس مرارا فلم يسقوا، فأتى رجل صالح معروف بالصلاح إلى قاضي سمرقند، فقال له: إني رأيت رأيا، أعرضه عليك؟ قال :وما هو؟ قال: أرى أن تخرج ويخرج الناس معك إلى قبر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، وتستسقي عنده، فعسى الله أن يسقينا. قال: فقال القاضي: نعم ما رأيت! فخرج القاضي والناس معه، واستسقى القاضي بالناس، وبكوا عند القبر، وتشفعوا بصاحبه، فأرسل الله تعالى السماء بماء عظيم غزير، أقام الناس من أجله بخرتنك سبعة أيام أو نحوها؛ لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند من كثرة المطر وغزارته !هذه سيرة يسيرة، وإن كانت في القدر أميرة، وحديقة نضيرة يجلو فيها القارئ ضميره، وقطرة من غيم وابل، في مناقب هذا الإمام الكامل، دالة على عظيم مراتبه في الدارين، وجلالة قدره في الخافقين، وهي وإن قيدت ما جاء فيها عفوا، إلا أني لم أر له مثلها كفوا، وجعلتها تذكرة لي ولمن قبلها من الإخوان، فوالى الله عليه الغفران والرضوان، وسقى ضريحه السحاب الثمين ما اختلف الجديدان، واتفق الفرقدان .

آخر هداية الساري لسيرة البخاري

قال مؤلفها :

علقها جامعها أحمد بن علي العسقلاني، وكان تأليفها وتبييضها في الجمعة الثالثة من شهر رمضان سنة خمس وثمان مئة، والحمد لله الذي هدانا لهذا، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

61- هدي الساري مقدمة صحيح البخاري[1]

الحافظ ابن حجر العسقلاني(ت852هـ)

قال رحمه الله: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح صدور أهل الإسلام بالسنة فانقادت لاتباعها، وارتاحت لسماعها، وأمات نفوس أولي الطغيان بالبدعة بعد أن تمادت في نزاعها، إذ تغالت في ابتداعها . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العالم بانقياد الأفئدة وامتناعها، المطلع على ضمائر القلوب في حالتي افتراقها واجتماعها، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، الذي انخفضت بحقه كلمة الباطل بعد ارتفاعها، واتصلت بإرساله أنوار الهدى، فظهرت حجتها بعد انقطاعها، صلى الله عليه وسلم ما دامت السماء والأرض هذه في سموها، وهذه في اتساعها، وعلى آله وصحبه الذين كسروا جيوش المردة وفتحوا حصون قلاعها، وهجروا في محبة داعيهم إلى الله الأقطار، والأوطان، فلم يعاودوها بعد وداعها، وحفظوا على اتباعهم أقواله وأفعاله وأحواله، حتى أمنت بهم السنن الشريفة من ضياعها .

أما بعد :

فإن أولى ما صرفت فيه نفائس الأيام، وأعلى ما خص بمزيد الاهتمام، الاشتغال بالعلوم الشرعية المتلقاة عن خير البرية، ولا يرتاب عاقل في أن مدارها على كتاب الله المقتفى، وسنة نبيه المصطفى، وأن باقي العلوم إما آلات لفهمهما، وهي الضالة المطلوبة، أو أجنبية عنهما، وهي الضارة المغلوبة، وقد رأيت الإمام أبا عبد الله البخاري في جامعه الصحيح قد تصدى للاقتباس من أنوارهما البهية تقريرا واستنباطا، وكرع من مناهلهما الروية انتزاعا وانتشاطا، ورزق بحسن نيته السعادة فيما جمع، حتى أذعن له المخالف والموافق، وتلقى كلامه في التصحيح

---

[1] هدي الساري لمقدمة فتح الباري .668/1

بالتسليم المطاوع والمفارق، وقد استخرت الله تعالى في أن أضم إليه نبذا شارحة لفوائده، موضحة لمقاصده، كاشفة عن مغزاه في تقييد أوابده، واقتناص شوارده، وأقدم بين يدي ذلك مقدمة في تبيين قواعده، وتزيين فرائده، جامعة وجيزة دون الإسهاب، وفوق القصور، سهلة المأخذ، تفتح المستغلق، وتذلل الصعاب، وتشرح الصدور...

ثم ختمت هذه المقدمة بترجمة كاشفة عن خصائصه، ومناقبه، جامعة لمآثره ومناقبه، ليكون ذكره واسطة عقد نظامها، وسرة مسك ختامها[1].

ذكر نسبه

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي، ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ببخارى، قال المستنير بن عتيق: أخرج لي ذلك محمد بن إسماعيل بخط أبيه، وجاء ذلك عنه من طرق، وجده بردزبه بفتح الباء الموحدة، وسكون الراء المهملة، وكسر الدال المهملة، وسكون الزاي المعجمة، وفتح الباء الموحدة بعدها هاء هذا هو المشهور في ضبطه، وبه جزم ابن ماكولا، وقيل في ضبطه غير ذلك، وبردزبه بالفارسية الزراع، كذا يقوله أهل بخارى، وكان بردزبه فارسيا على دين قومه ثم أسلم ولده المغيرة على يد اليمان الجعفي والي بخارى فنسب إليه نسبة ولاء عملا بمذهب من يرى أن من أسلم على يده شخص كان ولاؤه له، وإنما قيل له الجعفي لذلك، وأما ولده إبراهيم بن المغيرة فلم نقف على شيء من أخباره، وأما والد محمد فقد ذكرت له ترجمة في كتاب (الثقات) لابن حبان فقال في الطبقة الرابعة: إسماعيل بن إبراهيم والد البخاري يروي عن حماد بن زيد ومالك، وروى عنه العراقيون، وذكره ولده في (التاريخ الكبير) فقال:

إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة سمع من مالك وحماد بن زيد، وصحب ابن المبارك. وسيأتي بعد قليل قول إسماعيل عند موته أنه لا يعلم في ماله حراما ولا شبهة .

ومات إسماعيل ومحمد صغير فنشأ في حجر أمه، ثم حج مع أمه وأخيه أحمد، وكان أسن منه فأقام هو بمكة مجاورا يطلب العلم، ورجع أخوه أحمد إلى بخارى فمات بها فروى غنجار في

[1] من مقدمة هدي الساري بتصرف

(تاريخ بخارى) واللالكائي في (شرح السنة) في باب كرامات الأولياء منه أن محمد بن إسماعيل ذهبت عيناه في صغره فرأت والدته الخليل إبراهيم في المنام فقال لها: يا هذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك، قال: فأصبح وقد رد الله عليه بصره.

وقال الفربري: سمعت محمد بن أبي حاتم وراق البخاري يقول: سمعت البخاري يقول: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب، قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يوما فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم. فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك فدخل فنظر فيه، ثم رجع فقال لي: كيف هو يا غلام؟ فقلت: هو الزبير وهو ابن عدي عن إبراهيم، فأخذ القلم وأصلح كتابه، وقال لي: صدقت، قال: فقال له إنسان: ابن كم حين رددت عليه؟ فقال: ابن إحدى عشرة سنة، قال: فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء، يعني أصحاب الرأي، قال :ثم خرجت مع أمي وأخي إلى الحج .

قلت: فكان أول رحلته على هذا سنة عشر ومائتين، ولو رحل أول ما طلب لأدرك ما أدركه أقرانه من طبقة عالية ما أدركها، وإن كان أدرك ما قاربها كيزيد بن هارون، وأبي داود الطيالسي، وقد أدرك عبد الرزاق، وأراد أن يرحل إليه، وكان يمكنه ذلك، فقيل له: إنه مات فتأخر عن التوجه إلى اليمن، ثم تبين أن عبد الرزاق كان حيا، فصار يروي عنه بواسطة، قال: فلما طعنت في ثماني عشرة صنفت كتاب (قضايا الصحابة والتابعين)، ثم صنفت(التاريخ) في المدينة عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وكنت أكتبه في الليالي المقمرة، قال: وقل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة إلا أني كرهت أن يطول الكتاب .

وقال سهل بن السري: قال البخاري: دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين، وإلى البصرة أربع مرات، وأقمت بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين .

وقال حاشد بن إسماعيل: كان البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب

حتى أتى على ذلك أيام فلمناه بعد ستة عشر يوما، فقال: قد أكثرتم علي فاعرضوا علي ما كتبتم، فأخرجناه فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه، وقال أبو بكر بن أبي عتاب الأعين: كتبنا عن محمد بن إسماعيل وهو أمرد على باب محمد بن يوسف الفريابي.

قلت: كان موت الفريابي سنة اثنتي عشرة ومائتين، وكان سن البخاري إذ ذاك نحوا من ثمانية عشر عاما أو دونها، وقال محمد بن الأزهر السجستاني: كنت في مجلس سليمان بن حرب والبخاري معنا يسمع ولا يكتب، فقيل لبعضهم: ما له لا يكتب؟! فقال: يرجع إلى بخارى ويكتب من حفظه، وقال محمد بن أبي حاتم عن البخاري: كنت في مجلس الفريابي فقال: حدثنا سفيان عن أبي عروة عن أبي الخطاب عن أبي حمزة فلم يعرف أحد في المجلس من فوق سفيان، فقلت لهم: أبو عروة هو معمر بن راشد، وأبو الخطاب هو قتادة بن دعامة، وأبو حمزة هو أنس بن مالك، قال: وكان الثوري فعولا لذلك يكني المشهورين.

ذكر مراتب مشايخه الذين كتب عنهم، وحدث عنهم.

قد تقدم التنبيه على كثرتهم، وعن محمد بن أبي حاتم عنه قال: كتبت عن ألف وثمانين نفسا ليس فيهم إلا صاحب حديث، وقال أيضا: لم أكتب إلا عن من قال: الإيمان قول وعمل .

قلت: وينحصرون في خمس طبقات :

الطبقة الأولى: من حدثه عن التابعين: مثل محمد بن عبد الله الأنصاري حدثه عن حميد، ومثل مكي بن إبراهيم حدثه عن يزيد بن أبي عبيد، ومثل أبي عاصم النبيل حدثه عن يزيد بن أبي عبيد أيضا، ومثل عبيد الله بن موسى حدثه عن إسماعيل بن أبي خالد، ومثل أبي نعيم حدثه عن الأعمش، ومثل خلاد بن يحيى حدثه عن عيسى بن طهمان، ومثل علي بن عياش وعصام بن خالد حدثاه عن حريز بن عثمان، وشيوخ هؤلاء كلهم من التابعين .

الطبقة الثانية: من كان في عصر هؤلاء لكن لم يسمع من ثقات التابعين : كآدم بن أبي إياس، وأبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر، وسعيد بن أبي مريم، وأيوب بن سليمان بن بلال، وأمثالهم .

الطبقة الثالثة هي الوسطى من مشايخه: وهم من لم يلق التابعين بل أخذ عن كبار تبع الأتباع كسليمان بن حرب، وقتيبة بن سعيد، ونعيم بن حماد، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبي بكر وعثمان ابني أبي شيبة، وأمثال هؤلاء، وهذه الطبقة قد شاركه مسلم في الأخذ عنهم .

الطبقة الرابعة: رفقاؤه في الطلب، ومن سمع قبله قليلا كمحمد بن يحيى الذهلي، وأبي حاتم الرازي، ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة، وعبد بن حميد، وأحمد بن النضر، وجماعة من نظرائهم، وإنما يخرج عن هؤلاء ما فاته عن مشايخه، أو ما لم يجده عند غيرهم .

الطبقة الخامسة: قوم في عداد طلبته في السن والإسناد سمع منهم للفائدة كعبد الله بن حماد الآملي، وعبد الله بن أبي القاضي الخوارزمي، وحسين بن محمد القباني وغيرهم، وقد روى عنهم أشياء يسيرة، وعمل في الرواية عنهم بما روى عثمان بن أبي شيبة عن وكيع قال: لا يكون الرجل عالما حتى يحدث عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه. وعن البخاري أنه قال: لا يكون المحدث كاملا حتى يكتب عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه.

ذكر سيرته، وشمائله، وزهده، وفضائله.

قال وراقه: سمعت محمد بن خداش يقول: سمعت أحمد بن حفص: دخلت على إسماعيل والد أبي عبد الله عند موته فقال: لا أعلم في مالي درهما من حرام، ولا درهما من شبهة .

قلت: وحكى وراقه أنه ورث من أبيه مالا جليلا فكان يعطيه مضاربة فقطع له غريم خمسة وعشرين ألفا، فقيل له: استعن بكتاب الوالي، فقال: إن أخذت منهم كتابا طمعوا، ولن أبيع ديني بدنياي، ثم صالح غريمه على أن يعطيه كل شهر عشرة دراهم، وذهب ذلك المال كله، وقال: سمعته يقول: ما توليت شراء شيء قط ولا بيعه، كنت آمر إنسانا فيشتري لي، قيل له: ولم؟ قال: لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط، وقال غنجار في (تاريخه): حدثنا أحمد بن محمد بن عمر المقري حدثنا أبو سعيد بكر بن منير قال: كان حمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه أبو حفص فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية وطلبوها منه بربح خمسة

آلاف درهم، فقال لهم: انصرفوا الليلة، فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف فردهم، وقال: إني نويت البارحة أن أدفعها إلى الأولين فدفعها إليهم، وقال: لا أحب أن أنقض نيتي، وقال وراق البخاري: سمعته يقول: خرجت إلى آدم بن أبي إياس فتأخرت نفقتي حتى جعلت أتناول حشيش الأرض، فلما كان في اليوم الثالث أتاني رجل لا أعرفه فأعطاني صرة فيها دنانير، قال: وسمعته يقول: كنت أشتغل في كل شهر خمسمائة درهم فأنفقها في الطلب، وما عند الله خير وأبقى، وقال عبد الله بن محمد الصارفي: كنت عند محمد بن إسماعيل في منزله فجاءته جاريته وأرادت دخول المنزل فعثرت على محبرة بين يديه، فقال لها: كيف تمشين ؟ قالت: إذا لم يكن طريق كيف أمشي ؟ فبسط يديه وقال: اذهبي فقد أعتقتك. قيل له: يا أبا عبد الله أغضبتك! قال: فقد أرضيت نفسي بما فعلت .

وقال وراق البخاري: رأيته استلقى ونحن بفربر في تصنيف كتاب (التفسير)، وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في التخريج، فقلت له: إني سمعتك تقول: ما أتيت شيئا بغير علم، فما الفائدة في الاستلقاء ؟ قال: أتعبت نفسي اليوم، وهذا ثغر خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو فأحببت أن أستريح وآخذ أهبة، فإن عافصنا العدو كان بنا حراك، قال: وكان يركب إلى الرمي كثيرا فما أعلم أني رأيته في طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين، بل كان يصيب في كل ذلك ولا يسبق، قال: وركبنا يوما إلى الرمي ونحن بفربر فخرجنا إلى الدرب الذي يؤدي إلى الفرضة، فجعلنا نرمي، فأصاب سهم أبي عبد الله وتد القنطرة التي على النهر فانشق الوتد، فلما رأى ذلك نزل عن دابته فأخرج السهم من الوتد وترك الرمي، وقال لنا ارجعوا، فرجعنا، فقال لي: يا أبا جعفر لي إليك حاجة، وهو يتنفس الصعداء، فقلت: نعم، قال: تذهب إلى صاحب القنطرة فتقول :إنا أخللنا بالوتد فنحب أن تأذن لنا في إقامة بدله، أو تأخذ ثمنه، أو تجعلنا في حل مما كان منا. وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر، فقال لي :أبلغ أبا عبد الله السلام، وقل له: أنت في حل مما كان منك، فإن جميع ملكي لك الفداء. فأبلغت الرسالة فتهلل وجهه، وأظهر سرورا كثيرا، وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمسمائة حديث وتصدق بثلثمائة درهم، قال: وسمعته يقول لأبي معشر الضرير: اجعلني في حل يا أبا معشر، فقال: من أي شيء؟ فقال: رويت حديثا يوما فنظرت إليك وقد أعجبت به، وأنت

تحرك رأسك ويديك، فتبسمت من ذلك، قال: أنت في حل رحمك الله يا أبا عبد الله .

قال: وسمعته يقول: دعوت ربي مرتين فاستجاب لي، يعني في الحال، فلن أحب أن أدعو بعد فلعله ينقص حسناتي، قال: وسمعته يقول: لا يكون لي خصم في الآخرة، فقلت: إن بعض الناس ينقمون عليك (التاريخ) يقولون: فيه اغتياب الناس. فقال: إنما روينا ذلك رواية، ولم نقله من عند أنفسنا، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بئس أخو العشيرة» قال: وسمعته يقول: ما اغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة حرام .

قلت: وللبخاري في كلامه على الرجال توق زائد، وتحر بليغ، يظهر لمن تأمل كلامه في الجرح والتعديل، فإن أكثر ما يقول: سكتوا عنه، فيه نظر، تركوه، ونحو هذا، وقل أن يقول: كذاب، أو وضاع، وإنما يقول: كذبه فلان، رماه فلان _يعني بالكذب_ أخبرني أحمد بن عمر اللؤلؤي عن الحافظ أبي الحجاج المزي أن أبا الفتح الشيباني: أخبره أخبرنا أبو اليمن الكندي: أخبرنا أبو منصور القزاز: أخبرنا الخطيب أبو بكر بن ثابت: أخبرني أبو الوليد الدربندي: أخبرنا محمد بن أحمد بن سليمان: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر: سمعت بكر بن منير يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا .

وبه إلى أبي بكر بن منير قال: كان محمد بن إسماعيل البخاري ذات يوم يصلي فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة، فلما قضى صلاته قال: انظروا أيش هذا الذي آذاني في صلاتي؟ فنظروا فإذا الزنبور قد ورمه في سبعة عشر موضعا، ولم يقطع صلاته .

قلت: ورويناها عن محمد بن أبي حاتم وراقه، وقال في آخرها: كنت في آية فأحببت أن أتمها. وقال وراقه أيضا: كنا بفربر وكان أبو عبد الله يبني رباطا مما يلي بخارى فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك، وكان ينقل اللبن فكنت أقول له: يا أبا عبد الله إنك تكفى ذلك، فيقول: هذا الذي ينفعني، قال: وكان ذبح لهم بقرة فلما أدركت القدور دعا الناس إلى الطعام، وكان معه مائة نفس أو أكثر، ولم يكن علم أنه يجتمع ما اجتمع، وكنا أخرجنا معه من فربر خبزا بثلاثة دراهم، وكان الخبز إذ ذاك خمسة أمناء بدرهم، فألقينا بين أيديهم فأكل جميع من حضر وفضلت أرغفة صالحة، وقال: وكان قليل الأكل جدا كثير الإحسان إلى الطلبة مفرط

الكرم .

وحكى أبو الحسن يوسف بن أبي ذر البخاري أن محمد بن إسماعيل مرض فعرضوا ماءه على الأطباء فقالوا: إن هذا الماء يشبه ماء بعض أساقفة النصارى فإنهم لا يأتدمون، فصدقهم محمد بن إسماعيل، وقال: لم آتدم منذ أربعين سنة، فسألوا عن علاجه فقالوا: علاجه الأدم، فامتنع حتى ألح عليه المشايخ وأهل العلم فأجابهم إلى أن يأكل مع الخبز سكرة، وقال الحاكم أبو عبد الله الحافظ :أخبرني محمد بن خالد: حدثنا مسبح بن سعيد قال: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلي بهم، ويقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أن يختم القرآن، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار في كل يوم ختمة، ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة، ويقول: عند كل ختمة دعوة مستجابة .

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ فكنت أراه يقوم في الليلة الواحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري نارا بيده ويسرج، ويخرج أحاديث فيعلم عليها ثم يضع رأسه، فقلت له: إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني ! قال: أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك. قال: وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة، ويوتر منها بواحدة، قال: وكان معه شيء من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فجعله في ملبوسه، قال: وسمعته يقول وقد سئل عن خبر حديث: يا أبا فلان تراني أدلس وقد تركت عشرة آلاف حديث لرجل لي فيه نظر، وتركت مثلها أو أكثر منها لغيره لي فيه نظر.

وقال الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي السليماني: سمعت علي بن محمد بن منصور يقول: سمعت أبي يقول: كنا في مجلس أبي عبد الله البخاري فرفع إنسان من لحيته قذاة وطرحها إلى الأرض، قال: فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس، فلما غفل الناس رأيته مد يده فرفع القذاة من الأرض فأدخلها في كمه، فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها فطرحها على الأرض، فكأنه صان المسجد عما يصان عنه لحيته، وأخرج الحاكم في (تاريخه) من شعره قوله :

اغتنم في الفراغ فضل ركوع فعسى أن يكون موتك بغته

كم صحيح رأيت من غير سقم ذهبت نفسه الصحيحة فلته

قلت: وكان من العجائب أنه هو وقع له ذلك أو قريبا منه كما سيأتي في ذكر وفاته، ولما نعي إليه عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي الحافظ أنشد :

إن عشت تفجع بالأحبة كلهم وبقاء نفسك لا أبا لك أفجع

ذكر ثناء الناس عليه، وتعظيمهم له.

فأولهم مشايخه، قال سليمان بن حرب ونظر إليه يوما فقال: هذا يكون له صيت، وكذا قال أحمد بن حفص نحوه، وقال البخاري: كنت إذا دخلت على سليمان بن حرب يقول: بين لنا غلط شعبة، وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت البخاري يقول :كان إسماعيل بن أبي أويس إذا انتخبت من كتابه نسخ تلك الأحاديث لنفسه، وقال: هذه الأحاديث انتخبها محمد بن إسماعيل من حديثي. قال: وسمعته يقول :اجتمع أصحاب الحديث فسألوني أن أكلم لهم إسماعيل بن أبي أويس ليزيد لهم في القراءة، ففعلت، فدعا الجارية فأمرها أن تخرج صرة دنانير، وقال: يا أبا عبد الله فرقها عليهم .

قلت: إنما أرادوا الحديث، قال: أجبتك إلى ما طلبوا من الزيادة غير أني أحب أن يضم هذا إلى ذاك. قال: وقال لي ابن أبي أويس: انظر في كتبي وجميع ما أملك لك، وأنا شاكر لك أبدا ما دمت حيا، وقال حاشد بن إسماعيل: قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر بالحديث من أحمد بن حنبل، فقال له رجل من جلسائه: جاوزت الحد، فقال له أبو مصعب: لو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت: كلاهما واحد في الحديث والفقه.

قلت: عبر بقوله: ونظرت إلى وجهه. عن التأمل في معارفه، وقال عبدان بن عثمان المروزي: ما رأيت بعيني شابا أبصر من هذا، وأشار إلى محمد بن إسماعيل .

وقال محمد بن قتيبة البخاري: كنت عند أبي عاصم النبيل فرأيت عنده غلاما، فقلت له: من أين؟ قال: من بخارى. قلت: ابن من؟ قال: ابن إسماعيل، فقلت: أنت قرابتي! فقال لي رجل

بحضرة أبي عاصم: هذا الغلام يناطح الكباش ـ يعني يقاوم الشيوخ ـ، وقال قتيبة بن سعيد: جالست الفقهاء والزهاد والعباد فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل، وهو في زمانه كعمر في الصحابة، وعن قتيبة أيضا قال: لو كان محمد بن إسماعيل في الصحابة لكان آية، وقال محمد بن يوسف الهمداني: كنا عند قتيبة فجاء رجل شعراني يقال له أبو يعقوب، فسأله عن محمد بن إسماعيل فقال: يا هؤلاء نظرت في الحديث، ونظرت في الرأي، وجالست الفقهاء والزهاد والعباد فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل، قال: وسئل قتيبة عن طلاق السكران، فدخل محمد بن إسماعيل، فقال قتيبة للسائل: هذا أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني قد ساقهم الله إليك، وأشار إلى البخاري .

وقال أبو عمرو الكرماني: حكيت لمهيار بالبصرة عن قتيبة بن سعيد أنه قال: لقد رحل إلي من شرق الأرض وغربها فما رحل إلي مثل محمد بن إسماعيل، فقال مهيار: صدق قتيبة أنا رأيته مع يحيى بن معين، وهما جميعا يختلفان إلى محمد بن إسماعيل، فرأيت يحيى منقادا له في المعرفة، وقال إبراهيم بن محمد بن سلام: كان الرتوت من أصحاب الحديث مثل سعيد بن أبي مريم، وحجاج بن منهال، وإسماعيل بن أبي أويس، والحميدي، ونعيم بن حماد، والعدني ــ يعني محمد بن يحيى بن أبي عمر ــ، والخلال ــيعني الحسن بن علي الحلواني ــ، ومحمد بن ميمون هو الخياط، وإبراهيم بن المنذر، وأبي كريب محمد بن العلاء، وأبي سعيد عبد الله بن سعيد الأشج، وإبراهيم بن موسى هو الفراء، وأمثالهم يقضون لمحمد بن إسماعيل البخاري على أنفسهم في النظر والمعرفة.

قلت: الرتوت بالراء المهملة، والتاء المثناة من فوق، وبعد الواو مثناة أخرى هم الرؤساء، قاله ابن الأعرابي وغيره. وقال أحمد بن حنبل: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل. رواه الخطيب بسند صحيح عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه، ولما سأله ابنه عبد الله عن الحفاظ فقال: شبان من خراسان فعده فيهم فبدأ به، وقال يعقوب بن إبراهيم الدورقي ونعيم بن حماد الخزاعي :محمد بن إسماعيل البخاري فقيه هذه الأمة، وقال بندار محمد بن بشار: هو أفقه خلق الله في زماننا. وقال الفربري: سمعت محمد بن أبي حاتم يقول: سمعت حاسد بن إسماعيل يقول: كنت بالبصرة فسمعت بقدوم محمد بن إسماعيل، فلما قدم قال محمد بن

بشار: دخل اليوم سيد الفقهاء.

وقال محمد بن إبراهيم البوشنجي: سمعت بندارا سنة ثمان وعشرين يقول: ما قدم علينا مثل محمد بن إسماعيل، وقال بندار: أنا أفتخر به منذ سنين. وقال موسى بن قريش: قال عبد الله بن يوسف التنيسي للبخاري: يا أبا عبد الله انظر في كتبي وأخبرني بما فيها من السقط، فقال: نعم، وقال البخاري: دخلت على الحميدي وأنا ابن ثمان عشرة سنة يعني أول سنة حج فإذا بينه وبين آخر اختلاف في حديث، فلما بصر بي قال: جاء من يفصل بيننا، فعرضا علي الخصومة فقضيت للحميدي، وكان الحق معه، وقال البخاري: قال لي محمد بن سلام البيكندي: انظر في كتبي فما وجدت فيها من خطأ فاضرب عليه، وقال له بعض أصحابه: من هذا الفتى؟ فقال: هذا الذي ليس مثله، وكان محمد بن سلام المذكور يقول: كلما دخل علي محمد بن إسماعيل: تحيرت، ولا أزال خائفا منه ــ يعني يخشى أن يخطئ بحضرته ــ، وقال سليم بن مجاهد: كنت عند محمد بن سلام فقال: لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث.

وقال حاشد بن إسماعيل: رأيت إسحاق بن راهويه جالسا على المنبر، والبخاري جالس معه، وإسحاق محدث، فمر بحديث فأنكره محمد، فرجع إسحاق إلى قوله، وقال: يا معشر أصحاب الحديث انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه؛ فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن البصري لاحتاج إليه لمعرفته بالحديث وفقهه، وقال البخاري: أخذ إسحاق بن راهويه كتاب (التاريخ) الذي صنفته، فأدخله على عبد الله بن طاهر الأمير فقال: أيها الأمير ألا أريك سحرا ؟ وقال أبو بكر المديني: كنا يوما عند إسحاق بن راهويه ومحمد بن إسماعيل حاضر فمر إسحاق بحديث ودون صحابيه عطاء الكيخاراني فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله إيش هي كيخاران ؟ قال: قرية باليمن كان معاوية بعث هذا الرجل الصحابي إلى اليمن فسمع منه عطاء هذا حديثين، فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله كأنك شهدت القوم، وقال البخاري: كنت عند إسحاق بن راهويه فسئل عمن طلق ناسيا فسكت طويلا مفكرا، فقلت أنا: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم» وإنما يراد مباشرة هؤلاء الثلاث: العمل والقلب، أو الكلام والقلب، وهذا لم

يعتقد بقلبه، فقال لي إسحاق: قويتني قواك الله، وأفتى به.
وقال أبو الفضل أحمد بن سلمة النيسابوري: حدثني فتح بن نوح النيسابوري قال: أتيت علي بن المديني فرأيت محمد بن إسماعيل جالسا عن يمينه، وكان إذا حدث التفت إليه مهابة له، وقال البخاري: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني. وربما كنت أغرب عليه، قال حامد بن أحمد: فذكرت هذا الكلام لعلي بن المديني، فقال لي: دع قوله هو ما رأى مثل نفسه. وقال البخاري أيضا :كان علي بن المديني يسألني عن شيوخ خراسان فكنت أذكر له محمد بن سلام فلا يعرفه إلى أن قال لي يوما: يا أبا عبد الله كل من أثنيت عليه فهو عندنا الرضى، وقال البخاري: ذاكرني أصحاب عمرو بن علي الفلاس بحديث، فقلت: لا أعرفه، فسروا بذلك، وصاروا إلى عمرو بن علي، فقالوا له: ذاكرنا محمد بن إسماعيل بحديث فلم يعرفه، فقال عمرو بن علي: حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث، وقال أبو عمرو الكرماني: سمعت عمرو بن علي الفلاس يقول :صديقي أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ليس بخراسان مثله.
وقال رجاء بن مرجا الحافظ: فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء. وقال: أيضا هو آية من آيات الله تمشي على ظهر الأرض، وقال الحسين بن حريث: لا أعلم أني رأيت مثل محمد بن إسماعيل، كأنه لم يخلق إلا للحديث. وقال أحمد بن الضوء: سمعت أبا بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير يقولان: ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل، وكان أبو بكر بن أبي شيبة يسميه البازل ــ يعني الكامل ــ. وقال أبو عيسى الترمذي: كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله بن منير فقال له لما قام: يا أبا عبد الله جعلك الله زين هذه الأمة، قال أبو عيسى: فاستجاب الله له فيه، وقال أبو عبد الله الفربري: رأيت عبد الله بن منير يكتب عن البخاري وسمعته يقول: أنا من تلامذته.
قلت: عبد الله بن منير من شيوخ البخاري قد حدث عنه في (الجامع الصحيح)، وقال: لم أر مثله، وكانت وفاته سنة مات أحمد بن حنبل، وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت يحيى بن جعفر البيكندي يقول: لو قدرت أن أزيد من عمري في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت؛ فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموت محمد بن إسماعيل فيه ذهاب العلم، وقال أيضا:

سمعته يقول له: لولا أنت ما استطبت العيش ببخارى، وقال عبد الله بن محمد المسندي: محمد بن إسماعيل إمام، فمن لم يجعله إماما فاتهمه.

وقال أيضا: حفاظ زماننا ثلاثة، فبدأ بالبخاري، وقال علي بن حجر: أخرجت خراسان ثلاثة: البخاري، فبدأ به، قال: وهو أبصرهم وأعلمهم بالحديث وأفقههم، قال: ولا أعلم أحدا مثله. وقال أحمد بن إسحاق السرماري: من أراد أن ينظر إلى فقيه بحقه وصدقه فلينظر إلى محمد بن إسماعيل .

وقال حاسد: رأيت عمرو بن زرارة، ومحمد بن رافع عند محمد بن إسماعيل وهما يسألانه عن علل الحديث، فلما قاما قالا لمن حضر المجلس: لا تخدعوا عن أبي عبد الله فإنه أفقه منا وأعلم وأبصر.

قال: وكنا يوما عند إسحاق بن راهويه، وعمرو بن زرارة، وهو يستملي على أبي عبد الله، وأصحاب الحديث يكتبون عنه، وإسحاق يقول: هو أبصر مني، وكان أبو عبد الله إذ ذاك شابا. وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي: أخبرني عبد الله بن محمد الفرهياني قال: حضرت مجلس ابن أشكاب فجاءه رجل ذكر اسمه من الحفاظ، فقال: ما لنا بمحمد بن إسماعيل طاقة، فقام ابن أشكاب وترك المجلس غضبا من التكلم في حق محمد بن إسماعيل، وقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر: لما مات أحمد بن حرب النيسابوري ركب إسحاق بن راهويه ومحمد بن إسماعيل يشيعان جنازته، وكنت أسمع أهل المعرفة ينظرون ويقولون: محمد أفقه من إسحاق.

ذكر طرف من ثناء أقرانه وطائفة من أتباعه عليه تنبيها بالبعض على الكل.

قال أبو حاتم الرازي: لم تخرج خراسان قط أحفظ من محمد بن إسماعيل، ولا قدم منها إلى العراق أعلم منه. وقال محمد بن حريث: سألت أبا زرعة عن ابن لهيعة فقال لي: تركه أبو عبد الله يعني البخاري.

وقال الحسين بن محمد بن عبيد المعروف بالعجل: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، ومسلم حافظ، ولكنه لم يبلغ مبلغ محمد بن إسماعيل. قال العجل: ورأيت أبا زرعة وأبا حاتم

يستمعان إليه، وكان أمة من الأمم دينا فاضلا يحسن كل شيء، وكان أعلم من محمد بن يحيى الذهلي بكذا وكذا، وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: قد رأيت العلماء بالحرمين، والحجاز، والشام، والعراق، فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن إسماعيل، وقال أيضا: هو أعلمنا، وأفقهنا، وأكثرنا طلبا. وسئل الدارمي عن حديث، وقيل له :إن البخاري صححه فقال: محمد بن إسماعيل أبصر مني، وهو أكيس خلق الله، عقل عن الله ما أمر به ونهى عنه في كتابه، وعلى لسان نبيه، إذا قرأ محمد القرآن اشتغل قلبه، وبصره، وسمعه، وتفكر في أمثاله، وعرف حلاله من حرامه

وقال أبو الطيب حاتم بن منصور: كان محمد بن إسماعيل آية من آيات الله في بصره ونفاذه في العلم، وقال أبو سهل محمود بن النضر الفقيه: دخلت البصرة، والشام، والحجاز، والكوفة، ورأيت علماءها، فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم، وقال أبو سهل أيضا: سمعت أكثر من ثلاثين عالما من علماء مصر يقولون: حاجتنا في الدنيا النظر إلى محمد بن إسماعيل، وقال صالح بن محمد جزرة: ما رأيت خراسانيا أفهم من محمد بن إسماعيل، وقال أيضا :كان أحفظهم للحديث، قال: وكنت أستملي له ببغداد فبلغ من حضر المجلس عشرين ألفا، وسئل الحافظ أبو العباس الفضل بن العباس المعروف بفضلك الرازي: أيما أحفظ محمد بن إسماعيل، أو أبو زرعة ؟ فقال: لم أكن التقيت مع محمد بن إسماعيل فاستقبلني ما بين حلوان وبغداد، قال: فرجعت معه مرحلة وجهدت كل الجهد على أن أجيء بحديث لا يعرفه فما أمكنني، وهو ذا أنا أغرب على أبي زرعة عدد شعر رأسه، وقال محمد بن عبد الرحمن الدغولي: كتب أهل بغداد إلى محمد بن إسماعيل البخاري كتابا فيه :المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد.

وقال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة: ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل. وقال أبو عيسى الترمذي: لم أر أعلم بالعلل والأسانيد من محمد بن إسماعيل .

وقال له مسلم: أشهد أنه ليس في الدنيا مثلك، وقال أحمد بن سيار في (تاريخ مرو): محمد بن إسماعيل البخاري طلب العلم، وجالس الناس، ورحل في الحديث، ومهر فيه، وأبصر،

وكان حسن المعرفة حسن الحفظ، وكان يتفقه .

وقال أبو أحمد بن عدي: كان يحيى بن محمد بن صاعد إذا ذكر البخاري قال :ذاك الكبش النطاح. وقال أبو عمرو الخفاف: حدثنا التقي النقي العالم الذي لم أر مثله محمد بن إسماعيل، قال: وهو أعلم بالحديث من أحمد وإسحاق وغيرهما بعشرين درجة، ومن قال فيه شيئا فعليه مني ألف لعنة، وقال أيضا: لو دخل من هذا الباب وأنا أحدث لملئت منه رعبا، وقال عبد الله بن حماد الآملي: لوددت أني كنت شعرة في جسد محمد بن إسماعيل، وقال سليم بن مجاهد: ما رأيت منذ ستين سنة أحدا أفقه ولا أورع من محمد بن إسماعيل .

وقال موسى بن هارون الحمال الحافظ البغدادي: عندي لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن ينصبوا آخر مثل محمد بن إسماعيل لما قدروا عليه، وقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر: سمعت العلماء بالبصرة يقولون: ما في الدنيا مثل محمد بن إسماعيل في المعرفة والصلاح، ثم قال عبد الله: وأنا أقول قولهم .

وقال الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة: لو أن رجلا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن (تاريخ محمد بن إسماعيل) .

وقال الحاكم أبو أحمد في (الكنى): كان أحد الأئمة في معرفة الحديث وجمعه، ولو قلت: إني لم أر تصنيف أحد يشبه تصنيفه في الحسن والمبالغة لفعلت .

ولو فتحت باب ثناء الأئمة عليه ممن تأخر عن عصره لفني القرطاس ونفذت الأنفاس، فذاك بحر لا ساحل له، وإنما ذكرت كلام ابن عقدة وأبي أحمد عنوانا لذلك، وبعد ما تقدم من ثناء كبار مشايخه عليه لا يحتاج إلى حكاية من تأخر؛ لأن أولئك إنما أثنوا بما شاهدوا، ووصفوا ما علموا بخلاف من بعدهم؛ فإن ثناءهم ووصفهم مبني على الاعتماد على ما نقل إليهم، وبين المقامين فرق ظاهر، وليس العيان كالخبر.

ذكر جمل من الأخبار الشاهدة لسعة حفظه، وسيلان ذهنه، واطلاعه على العلل سوى ما تقدم:

أخبرني أبو العباس البغدادي عن الحافظ أبي الحجاج المزي أن أبا الفتح الشيباني أخبره أخبرنا

أبو اليمن الكندي ح وأخبرني شيخ الحفاظ أبو الفضل بن العراقي أخبرني محمد بن محمد بن إبراهيم الميدومي أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي قالا أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا الخطيب أبو بكر بن ثابت الحافظ حدثني محمد بن أبي الحسن الساحلي حدثنا أحمد بن الحسين الرازي سمعت أبا أحمد بن عدي الحافظ يقول: سمعت عدة مشايخ ببغداد يقولون: إن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا، وأرادوا امتحان حفظه، فعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوها إلى عشرة أنفس لكل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري، وأخذوا عليه الموعد للمجلس، فحضروا وحضر جماعة من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم، ومن البغداديين .

فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاري: لا أعرفه، فما زال يلقي عليه واحدا واحدا حتى فرغ، والبخاري يقول: لا أعرفه. فكان العلماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: فهم الرجل، ومن كان لم يدر القصة يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الحفظ، ثم انتدب رجل من العشرة أيضا فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه، فلم يزل يلقي عليه واحدا واحدا حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه، ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة، حتى فرغوا كلهم من إلقاء تلك الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على: لا أعرفه.

فلما علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول، فقال: أما حديثك الأول فقلت كذا، وصوابه كذا، وحديثك الثاني كذا، وصوابه كذا، والثالث والرابع على الولاء، حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، فأقر الناس له بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل .

قلت: هنا يخضع للبخاري، فما العجب من رده الخطأ إلى الصواب؛ فإنه كان حافظا، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة .

ووينا عن أبي بكر الكلوذاني قال: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل كان يأخذ الكتاب من العلم فيطلع عليه اطلاعة فيحفظ عامة أطراف الأحاديث من مرة واحدة، وقد سبق ما حكاه حاشد بن إسماعيل في أيام طلبهم بالبصرة معه، وكونه كان يحفظ ما يسمع ولا يكتب، وقال أبو الأزهر: كان بسمرقند أربعمائة محدث، فتجمعوا وأحبوا أن يغالطوا محمد بن إسماعيل فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وإسناد العراق في إسناد الشام، وإسناد الحرم في إسناد اليمن، فما استطاعوا مع ذلك أن يتعلقوا عليه بسقطة.

وقال غنجار في (تاريخه) سمعت أبا القاسم منصور بن إسحاق بن إبراهيم الأسدي يقول: سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم يقول: سمعت يوسف بن موسى المروزي يقول: كنت بالبصرة في جامعها إذ سمعت مناديا ينادي: يا أهل العلم لقد قدم محمد بن إسماعيل البخاري فقاموا إليه، وكنت معهم فرأينا رجلا شابا ليس في لحيته بياض، فصلى خلف الأسطوانة فلما فرغ أحدقوا به، وسألوه أن يعقد لهم مجلسا للإملاء فأجابهم إلى ذلك، فقام المنادي ثانيا في جامع البصرة، فقال: يا أهل العلم لقد قدم محمد بن إسماعيل البخاري فسألناه بأن يعقد مجلس الإملاء فأجاب بأن يجلس غدا في موضع كذا، فلما كان بالغد حضر المحدثون، والحفاظ، والفقهاء، والنظارة، حتى اجتمع قريب من كذا كذا ألف نفس، فجلس أبو عبد الله للإملاء فقال قبل أن يأخذ في الإملاء: يا أهل البصرة أنا شاب، وقد سألتموني أن أحدثكم، وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدونها ـــ يعني ليست عندكم ـــ قال: فتعجب الناس من قوله، فأخذ في الإملاء فقال: حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد العتكي بلديكم قال :حدثنا أبي عن شعبة عن منصور وغيره عن سالم بن أبي الجعد عن أنس بن مالك أن أعرابيا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله الرجل يحب القوم، الحديث، ثم قال: هذا ليس عندكم عن منصور إنما هو عندكم عن غير منصور، قال يوسف بن موسى: فأملى عليهم مجلسا من هذا النسق يقول في كل حديث :روى فلان هذا الحديث عندكم كذا، فأما من رواية فلان يعني التي يسوقها فليست عندكم .

وقال حمدويه بن الخطاب: لما قدم البخاري قدمته الأخيرة من العراق، وتلقاه من تلقاه من

الناس، وازدحموا عليه، وبالغوا في بره قيل له في ذلك، فقال: كيف لو رأيتم يوم دخولنا البصرة؟ كأنه يشير إلى قصة دخوله التي ذكرها يوسف بن موسى .

أنبئت عن أبي نصر بن الشيرازي عن جده أن الحافظ أبا القاسم بن عساكر أخبرهم أخبرنا إسماعيل بن أبي صالح أنبأنا أبو بكر بن خلف أخبرنا الحاكم أبو عبد الله (ح) وقرأته عاليا على أبي بكر الفرضي عن القاسم بن مظفر أخبرنا علي بن الحسين بن علي عن الحافظ أبي الفضل بن ناصر، وأبي الفضل الميهني قالا: أخبرنا أبو بكر بن خلف قال ابن ناصر إجازة: أخبرنا الحاكم قال: حدثني أبو سعيد أحمد بن محمد النسوي حدثني أبو حسان مهيب بن سليم سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: اعتللت بنيسابور علة خفيفة وذلك في شهر رمضان فعادني إسحاق بن راهويه في نفر من أصحابه فقال لي: أفطرت يا أبا عبد الله، فقلت: نعم، فقال: يعني تعجلت في قبول الرخصة. فقلت: أخبرنا عبدان عن ابن المبارك عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: من أي المرض أفطر؟ قال: من أي مرض كان، كما قال الله عز وجل: {فمن كان منكم مريضا} [البقرة: 184] قال البخاري: لم يكن هذا عند إسحاق، وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: لو نشر بعض اسنادي هؤلاء لم يفهموا كيف صنفت (التاريخ)، ولا عرفوه، ثم قال: صنفته ثلاث مرات .

وقال أحيد بن أبي جعفر والي بخارى: قال لي محمد بن إسماعيل يوما: رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر، فقلت له: يا أبا عبد الله بتمامه فسكت، وقال سليم بن مجاهد: قال لي محمد بن إسماعيل: لا أجيء بحديث عن الصحابة والتابعين إلا عرفت مولد أكثرهم، ووفاتهم، ومساكنهم، ولست أروي حديثا من حديث الصحابة والتابعين يعني من الموقوفات إلا وله أصل أحفظ ذلك عن كتاب الله وسنة رسوله.

وقال علي بن الحسين بن عاصم البيكندي: قدم علينا محمد بن إسماعيل فقال له رجل من أصحابنا: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: كأني أنظر إلى سبعين ألف حديث من كتابي، فقال له محمد بن إسماعيل: أو تعجب من هذا؟ لعل في هذا الزمان من ينظر إلى مائتي ألف حديث من كتابه، وإنما عنى نفسه .

وقال محمد بن حمدويه: سمعت البخاري يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح، وقال وراقه: سمعته يقول: ما نمت البارحة حتى عددت كم أدخلت في تصانيفي من الحديث، فإذا نحو مائتي ألف حديث، وقال أيضا: لو قيل لي: شيء لما قمت حتى أروي عشرة آلاف حديث في الصلاة خاصة، وقال أيضا: قلت له: تحفظ جميع ما أدخلت في مصنفاتك؟ فقال: لا يخفى علي جميع ما فيها، وصنفت جميع كتبي ثلاث مرات، قال: وبلغني أنه شرب البلاذر فقلت له مرة في خلوة هل من دواء للحفظ؟ فقال: لا أعلم، ثم أقبل علي فقال: لا أعلم شيئا أنفع للحفظ من نهمة الرجل، ومداومة النظر، وقال: أقمت بالمدينة بعد أن حججت سنة جردا أكتب الحديث، قال: وأقمت بالبصرة خمس سنين معي كتبي أصنف، وأحج، وأرجع من مكة إلى البصرة، قال: وأنا أرجو أن يبارك الله تعالى للمسلمين في هذه المصنفات، وقال البخاري: تذكرت يوما أصحاب أنس فحضرني في ساعة ثلاثمائة نفس، وما قدمت على شيخ إلا كان انتفاعه بي أكثر من انتفاعي به.

وقال وراقه: عمل كتابا في (الهبة) فيه نحو خمسمائة حديث، وقال: ليس في كتاب وكيع في (الهبة) إلا حديثان مسندان أو ثلاثة، وفي كتاب ابن المبارك خمسة أو نحوها، وقال أيضا: ما جلست للتحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم، وحتى نظرت في كتب أهل الرأي، وما تركت بالبصرة حديثا إلا كتبته، قال: وسمعته يقول: لا أعلم شيئا يحتاج إليه إلا وهو في الكتاب والسنة، قال :فقلت له: يمكن معرفة ذلك ! قال: نعم، وقال أحمد بن حمدون الحافظ: رأيت البخاري في جنازة، ومحمد بن يحيى الذهلي يسأله عن الأسماء والعلل والبخاري يمر فيه مثل السهم، كأنه يقرأ: {قل هو الله أحد} [الإخلاص: 1] .

وقرأت على عبد الله بن محمد المقدسي عن أحمد بن نعمة شفاها عن جعفر بن علي مكاتبة أن السلفي أخبرهم أخبرنا أبو الفتح المالكي أخبرنا أبو يعلى الخليل بن عبد الله الحافظ أخبرني أبو محمد المخلدي في كتابه أخبرنا أبو حامد الأعمشي الحافظ قال: كنا يوما عند محمد بن إسماعيل البخاري بنيسابور فجاء مسلم بن الحجاج فسأله عن حديث عبيد الله بن عمر عن أبي الزبير عن جابر قال: «بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية ومعنا أبو

عبيدة » الحديث بطوله، فقال البخاري: حدثنا ابن أبي أويس حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن عبيد الله، فذكر الحديث بتمامه، قال: فقرأ عليه إنسان حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كفارة المجلس إذا قام العبد أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك» فقال له مسلم في الدنيا أحسن من هذا الحديث: ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح تعرف بهذا الإسناد في الدنيا حديثا ؟ فقال محمد بن إسماعيل: إلا أنه معلول، فقال مسلم: لا إله إلا الله، وارتعد، أخبرني به، فقال: «استر ما ستر الله»، هذا حديث جليل رواه الناس عن حجاج بن محمد عن ابن جريج، فألح عليه وقبل رأسه، وكاد أن يبكي، فقال: اكتب إن كان ولا بد: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب حدثنا موسى بن عقبة عن عون بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كفارة المجلس». فقال له مسلم: لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أنه ليس في الدنيا مثلك .

وهكذا روى الحاكم هذه القصة في (تاريخ نيسابور) عن أبي محمد المخلدي، ورواها البيهقي في (المدخل) عن الحاكم أبي عبد الله على سياق آخر قال :سمعت أبا نصر أحمد بن محمد الوراق يقول: سمعت أحمد بن حمدون القصار، وهو أبو حامد الأعمشي يقول: سمعت مسلم بن الحجاج، وجاء إلى محمد بن إسماعيل فقبل بين عينيه، وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله، حدثك محمد بن سلام حدثنا مخلد بن يزيد أخبرنا ابن جريج حدثني موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في كفارة المجلس فقال محمد بن إسماعيل :وحدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا: حدثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال: حدثني موسى بن عقبة عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كفارة المجلس أن يقول إذا قام من مجلسه: سبحانك ربنا وبحمدك» فقال محمد بن إسماعيل: هذا حديث مليح ولا أعلم بهذا الإسناد في الدنيا حديثا غير هذا إلا أنه معلول، حدثنا به موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب حدثنا سهيل عن عون بن عبد الله قوله، قال محمد بن إسماعيل:

هذا أولى، ولا يذكر لموسى بن عقبة مسندا عن سهيل .

ورواها الحاكم في (علوم الحديث) له بهذا الإسناد أخصر من هذا السياق، وقال في آخرها كلاما موهوما، فإنه قال فيه: إن البخاري قال: لا أعلم في الباب غير هذا الحديث الواحد، ولم يقل البخاري ذلك، وإنما قال ما تقدم، ولا يتصور وقوع هذا من البخاري مع معرفته بما في الباب من الأحاديث، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

ذكر فضائل الجامع الصحيح سوى ما تقدم في الفصول الأولى وغيرها.

قال أبو الهيثم الكشميهني: سمعت الفربري يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: ما وضعت في (كتاب الصحيح) حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين، وعن البخاري قال: صنفت الجامع من ستمائة ألف حديث في ست عشرة سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله. وقال أبو سعد الإدريسي: أخبرنا سليمان بن داود الهروي سمعت عبد الله بن محمد بن هاشم يقول: قال عمر بن محمد بن بجير البجيري: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: صنفت كتابي الجامع في المسجد الحرام، وما أدخلت فيه حديثا حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته .

قلت: الجمع بين هذا وبين ما تقدم أنه كان يصنفه في البلاد، أنه ابتدأ تصنيفه وترتيبه وأبوابه في المسجد الحرام، ثم كان يخرج الأحاديث بعد ذلك في بلده وغيرها، ويدل عليه قوله: إنه أقام فيه ست عشرة سنة، فإنه لم يجاور بمكة هذه المدة كلها، وقد روى ابن عدي عن جماعة من المشايخ أن البخاري حول تراجم جامعه بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين .

قلت: ولا ينافي هذا أيضا ما تقدم؛ لأنه يحمل على أنه في الأول كتبه في المسودة وهنا حوله من المسودة إلى المبيضة، وقال الفربري: سمعت محمد بن أبي حاتم وراق البخاري يقول: رأيت البخاري في المنام خلف النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم يمشي، فكلما رفع النبي صلى الله عليه وسلم قدمه وضع أبو عبد الله قدمه في ذلك الموضع. وقال الخطيب: أنبأنا أبو سعد الماليني أخبرنا أبو أحمد بن عدي سمعت الفربري يقول: سمعت نجم بن فضيل

وكان من أهل الفهم يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام خرج من قرية، والبخاري يمشي خلفه، فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا خطا خطوة يخطو محمد ويضع قدمه على خطوة النبي صلى الله عليه وسلم، قال الخطيب :وكتب إلى علي بن محمد الجرجاني من أصبهان أنه سمع محمد بن مكي يقول: سمعت الفربري يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي: أين تريد؟ فقلت: أريد محمد بن إسماعيل، فقال: أقرئه مني السلام .

وقال شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروي ـ فيما قرأنا على فاطمة وعائشة بنتي محمد بن عبد الهادي أن أحمد بن أبي طالب أخبرهم عن عبد الله بن عمر بن علي أن أبا الوقت أخبرهم عنه سماعا ـ: أخبرنا أحمد بن محمد بن إسماعيل الهروي سمعت خالد بن عبد الله المروزي يقول: سمعت أبا سهل محمد بن أحمد المروزي يقول: سمعت أبا زيد المروزي يقول: كنت نائما بين الركن والمقام فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي: يا أبا زيد إلى متى تدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي؟ فقلت: يا رسول الله، وما كتابك؟ قال: جامع محمد بن إسماعيل .

وقال الخطيب: حدثني محمد بن علي الصوري حدثنا عبد الغني بن سعيد حدثنا أبو الفضل جعفر بن الفضل أخبرنا محمد بن موسى بن يعقوب بن المأمون قال: سئل أبو عبد الرحمن النسائي عن العلاء وسهيل، فقال: هما خير من فليح، ومع هذا فما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل. وقال أبو جعفر العقيلي :لما صنف البخاري كتاب الصحيح عرضه على ابن المديني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وغيرهم، فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا أربعة أحاديث. قال العقيلي: والقول فيها قول البخاري، وهي صحيحة .

وقال الحاكم أبو أحمد: رحم الله محمد بن إسماعيل الإمام، فإنه الذي ألف الأصول، وبين للناس، وكل من عمل بعده فإنما أخذه من كتابه كمسلم فرق أكثر كتابه في كتابه، وتجلد فيه حق الجلادة حيث لم ينسبه إليه، وقال أبو الحسن الدارقطني الحافظ: لولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء. وقال أيضا: إنما أخذ مسلم كتاب البخاري فعمل عليه مستخرجا، وزاد فيه أحاديث.

ذكر ما وقع بينه وبين الذهلي في مسألة اللفظ، وما حصل له من المحنة بسبب ذلك، وبراءته مما ينسب إليه من ذلك.

قال الحاكم أبو عبد الله في (تاريخه): قدم البخاري نيسابور سنة خمسين ومائتين فأقام بها مدة يحدث على الدوام، قال: فسمعت محمد بن حامد البزاز يقول: سمعت الحسن بن محمد بن جابر يقول: سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول: اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح العالم فاسمعوا منه، قال: فذهب الناس إليه فأقبلوا على السماع منه حتى ظهر الخلل في مجلس محمد بن يحيى، قال :فتكلم فيه بعد ذلك .

وقال حاتم بن أحمد بن محمود: سمعت مسلم بن الحجاج يقول: لما قدم محمد بن إسماعيل نيسابور ما رأيت واليا ولا عالما فعل به أهل نيسابور ما فعلوا به، استقبلوه من مرحلتين من البلد أو ثلاث، وقال محمد بن يحيى الذهلي في مجلسه: من أراد أن يستقبل محمد بن إسماعيل غدا فليستقبله فإني أستقبله، فاستقبله محمد بن يحيى وعامة علماء نيسابور فدخل البلد فنزل دار البخاريين.

فقال لنا محمد بن يحيى: لا تسألوه عن شيء من الكلام، فإنه إن أجاب بخلاف ما نحن عليه وقع بيننا وبينه، وشمت بنا كل ناصبي ورافضي وجهمي ومرجئ بخراسان، قال: فازدحم الناس على محمد بن إسماعيل حتى امتلأت الدار والسطوح، فلما كان اليوم الثاني أو الثالث من يوم قدومه قام إليه رجل فسأله عن اللفظ بالقرآن، فقال: أفعالنا مخلوقة وألفاظنا من أفعالنا. قال: فوقع بين الناس اختلاف، فقال بعضهم: قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وقال بعضهم: لم يقل، فوقع بينهم في ذلك اختلاف حتى قام بعضهم إلى بعض، قال: فاجتمع أهل الدار

فأخرجوهم، وقال أبو أحمد بن عدي: ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل لما ورد نيسابور واجتمع الناس عنده حسده بعض شيوخ الوقت، فقال لأصحاب الحديث: إن محمد بن إسماعيل يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فلما حضر المجلس قام إليه رجل فقال: يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو أو غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجبه ثلاثا، فألح عليه، فقال البخاري: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة، والامتحان بدعة، فشغب الرجل، وقال: قد قال: لفظي بالقرآن مخلوق .

وقال الحاكم: حدثنا أبو بكر بن أبي الهيثم حدثنا الفربري قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: إن أفعال العباد مخلوقة، فقد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا مروان بن معاوية حدثنا أبو مالك عن ربعي عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته» قال البخاري: وسمعت عبيد الله بن سعيد يعني أبا قدامة السرخسي يقول: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: أفعال العباد مخلوقة، قال محمد بن إسماعيل: حركاتهم، وأصواتهم، وأكسابهم، وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المبين المثبت في المصاحف الموعى في القلوب فهو كلام الله غير مخلوق، قال الله تعالى: {بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم} [العنكبوت: 49] قال: وقال إسحاق بن راهويه: أما الأوعية فمن يشك أنها مخلوقة .

وقال أبو حامد بن الشرقي: سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن زعم لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع ولا يجالس ولا يكلم، ومن ذهب بعد هذا إلى محمد بن إسماعيل فاتهموه، فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مذهبه .

وقال الحاكم: ولما وقع بين البخاري وبين الذهلي في مسألة اللفظ انقطع الناس عن البخاري إلا مسلم بن الحجاج وأحمد بن سلمة، فقال الذهلي: ألا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا، فأخذ مسلم رداءه فوق عمامته وقام على رؤوس الناس فبعث إلى الذهلي جميع ما كان كتبه عنه على ظهر حمال .

قلت: وقد أنصف مسلم فلم يحدث في كتابه عن هذا ولا عن هذا، وقال الحاكم أبو عبد الله: سمعت محمد بن صالح بن هانئ يقول: سمعت أحمد بن سلمة النيسابوري يقول: دخلت على البخاري فقلت: يا أبا عبد الله إن هذا رجل مقبول بخراسان خصوصا في هذه المدينة، وقد لج في هذا الأمر حتى لا يقدر أحد منا أن يكلمه فيه فما ترى ؟ قال: فقبض على لحيته، ثم قال: وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد، اللهم إنك تعلم أني لم أرد المقام بنيسابور أشرا ولا بطرا، ولا طلبا للرياسة، وإنما أبت علي نفسي الرجوع إلى الوطن لغلبة المخالفين، وقد قصدني هذا الرجل حسدا لما آتاني الله لا غير، ثم قال لي: يا أحمد إني خارج غدا ليتخلصوا من حديثه لأجلي، وقال الحاكم أيضا عن الحافظ أبي عبد الله بن الأخرم قال: لما قام مسلم بن الحجاج وأحمد بن سلمة من مجلس محمد بن يحيى بسبب البخاري. قال

الذهلي: لا يساكنني هذا الرجل في البلد. فخشي البخاري وسافر .

وقال غنجار في (تاريخ بخارى): حدثنا خلف بن محمد قال: سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر النيسابوري الخفاف بنيسابور يقول: كنا يوما عند أبي إسحاق القرشي ومعنا محمد بن نصر المروزي فجرى ذكر محمد بن إسماعيل فقال محمد بن نصر: سمعته يقول: من زعم أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب؛ فإني لم أقله. فقلت له: يا أبا عبد الله قد خاض الناس في هذا فأكثروا، فقال: ليس إلا ما أقول لك، قال أبو عمرو: فأتيت البخاري فذاكرته بشيء من الحديث حتى طابت نفسه، فقلت: يا أبا عبد الله ههنا من يحكي عنك أنك تقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فقال: يا أبا عمرو احفظ عني: من زعم من أهل نيسابور، وسمى غيرها من البلدان بلادا كثيرة، أنني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو كذاب؛ فإني لم أقله، إلا أني قلت: أفعال العباد مخلوقة .

وقال الحاكم: سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول: سمعت محمد بن نعيم يقول: سألت محمد بن إسماعيل لما وقع في شأنه ما وقع عن الإيمان. فقال :قول وعمل، ويزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق، وأفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، على هذا حييت وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله.

ذكر تصانيفه، والرواة عنه.

تقدم ذكر (الجامع الصحيح)، وذكر الفربري أنه سمعه منه تسعون ألفا، وأنه لم يبق من يرويه غيره، وأطلق ذلك بناء على ما في علمه، وقد تأخر بعده بتسع سنين أبو طلحة منصور بن محمد بن علي بن قرينة البزدوي، وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وثلثمائة، ذكر ذلك من كونه روى الجامع الصحيح عن البخاري أبو نصر بن ماكولا وغيره، ومن رواة الجامع أيضا ممن اتصلت لنا روايته بالإجازة: إبراهيم بن معقل النسفي، وفاته منه قطعة من آخره رواها بالإجازة، وكذلك حماد بن شاكر النسوي، والرواية التي اتصلت بالسماع في هذه الأعصار وما قبلها هي: رواية محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري .

ومن تصانيفه أيضا (الأدب المفرد)، يرويه عنه أحمد بن محمد بن الجليل بالجيم البزار. و(رفع

اليدين في الصلاة)، و(القراءة خلف الإمام)، يرويهما عنه محمود بن إسحاق الخزاعي، وهو آخر من حدث عنه ببخارى، و(بر الوالدين)، يرويه عنه محمد بن دلويه الوراق. و(التاريخ الكبير) يرويه عنه أبو أحمد محمد بن سليمان بن فارس، وأبو الحسن محمد بن سهل الفسوي وغيرهما. و(التاريخ الأوسط)، يرويه عنه عبد الله بن أحمد بن عبد السلام الخفاف، وزنجويه بن محمد اللباد، و(التاريخ الصغير)، يرويه عنه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأشقر، و(خلق أفعال العباد)، يرويه عنه يوسف بن ريحان بن عبد الصمد، والفربري أيضا، و(كتاب الضعفاء)، يرويه عنه أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، وأبو جعفر مسبح بن سعيد، وآدم بن موسى الخواري، وهذه التصانيف موجودة مروية لنا بالسماع، أو بالإجازة .

ومن تصانيفه أيضا (الجامع الكبير) ذكره ابن طاهر، و(المسند الكبير)، و(التفسير الكبير) ذكره الفربري، وكتاب (الأشربة)، ذكره الدارقطني في (المؤتلف والمختلف) في ترجمة كيسة، وكتاب (الهبة)، ذكره وراقه كما تقدم، و(أسامي الصحابة) ذكره أبو القاسم ابن منده، وأنه يرويه من طريق ابن فارس عنه، وقد نقل منه أبو القاسم البغوي الكبير في (معجم الصحابة) له، وكذا ابن منده في (المعرفة)، ونقل أيضا من كتاب (الوحدان) له، وهو من ليس له إلا حديث واحد من الصحابة، وكتاب (المبسوط)، ذكره الخليلي في (الإرشاد)، وأن مهيب بن سليم رواه عنه، وكتاب (العلل)، ذكره أبو القاسم ابن منده أيضا، وأنه يرويه عن محمد بن عبد الله بن حمدون عن أبي محمد عبد الله بن الشرقي عنه، وكتاب (الكنى)، ذكره الحاكم أبو أحمد، ونقل منه، وكتاب (الفوائد)، ذكره الترمذي في أثناء كتاب المناقب من (جامعه) .

وممن روى عنه من مشايخه عبد الله بن محمد المسندي، وعبد الله بن منير، وإسحاق بن أحمد السرماري، ومحمد بن خلف بن قتيبة ونحوهم، ومن أقرانه أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان، وإبراهيم الحربي، وأبو بكر بن أبي عاصم، وموسى بن هارون الحمال، ومحمد بن عبد الله مطين، وإسحاق بن أحمد بن زيرك الفارسي، ومحمد بن قتيبة البخاري، وأبو بكر الأعين، ومن الكبار الآخذين عنه من الحفاظ صالح بن محمد الملقب جزرة، ومسلم بن الحجاج، وأبو الفضل أحمد بن سلمة، وأبو بكر بن إسحاق بن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزي، وأبو عبد الرحمن النسائي، وروى أيضا عن رجل عنه، وأبو عيسى الترمذي، وتلمذ له وأكثر من

الاعتماد عليه، وعمر بن محمد البجيري، وأبو بكر بن أبي الدنيا، وأبو بكر البزار، وحسين بن محمد القباني، ويعقوب بن يوسف بن الأخرم، وعبد الله بن محمد بن ناجية، وسهل بن شاذويه البخاري، وعبيد الله بن واصل، والقاسم بن زكريا المطرز، وأبو قريش محمد بن جمعة، ومحمد بن محمد بن سليمان الباغندي، وإبراهيم بن موسى الجوزي، وعلي بن العباس المقانعي، وأبو حامد الأعمشي، وأبو بكر أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي، وإسحاق بن داود الصواف، وحاشد بن إسماعيل البخاري، ومحمد بن عبد الله بن الجنيد، ومحمد بن موسى النهرتيري، وجعفر بن محمد النيسابوري، وأبو بكر بن أبي داود، وأبو القاسم البغوي، وأبو محمد بن صاعد، ومحمد بن هارون الحضرمي، والحسين بن إسماعيل المحاملي البغدادي، وهو آخر من حدث عنه ببغداد.

ذكر رجوعه إلى بخارى، وما وقع بينه وبين أميرها، وما اتصل بذلك من وفاته.

قال أحمد بن منصور الشيرازي: لما رجع أبو عبد الله البخاري إلى بخارى نصبت له القباب على فرسخ من البلد، واستقبله عامة أهل البلد، حتى لم يبق مذكور، ونثر عليه الدراهم والدنانير، فبقي مدة، ثم وقع بينه وبين الأمير فأمره بالخروج من بخارى، فخرج إلى بيكند.

وقال غنجار في (تاريخه): سمعت أحمد بن محمد بن عمر يقول: سمعت بكر بن منير يقول: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل أن احمل إلي كتاب (الجامع)، و(التاريخ) لأسمع منك، فقال محمد بن إسماعيل لرسوله: قل له: إني لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين، فإن كانت له حاجة إلى شيء منه فليحضرني في مسجدي، أو في داري، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة أني لا أكتم العلم، قال: فكان سبب الوحشة بينهما هذا.

وقال الحاكم: سمعت محمد بن العباس الضبي يقول: سمعت أبا بكر بن أبي عمرو يقول: كان سبب مفارقة أبي عبد الله البخاري البلد أن خالد بن أحمد خليفة آل طاهر سأله أن يحضر منزله فيقرأ (التاريخ)، و(الجامع)) على أولاده فامتنع من ذلك، وقال: لا يسعني أن أخص بالسماع قوما دون قوم آخرين . فاستعان خالد بحريث بن أبي الورقاء وغيره من أهل بخارى

حتى تكلموا في مذهبه، فنفاه عن البلد. قال: فدعا عليهم فقال: اللهم أرهم ما قصدوني به في أنفسهم وأولادهم وأهاليهم، قال: فأما خالد فلم يأت عليه إلا أقل من شهر حتى ورد أمر الظاهرية بأن ينادى عليه، فنودي عليه وهو على أتان وأشخص على إكاف ثم صار عاقبة أمره إلى الذل والحبس، وأما حريث بن أبي الورقاء فإنه ابتلي في أهله فرأى فيها ما يجل عن الوصف، وأما فلان فإنه ابتلي بأولاده فأراه الله فيهم البلايا .

وقال ابن عدي: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار يقول: خرج البخاري إلى خرتنك قرية من قرى سمرقند، وكان له بها أقرباء فنزل عندهم، قال: فسمعته ليلة من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يقول في دعائه: اللهم قد ضاقت علي الأرض بما رحبت فاقبضني إليك، قال: فما تم الشهر حتى قبضه الله .

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت غالب بن جبريل، وهو الذي نزل عليه البخاري بخرتنك يقول: إنه أقام أياما فمرض حتى وجه إليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون منه الخروج إليهم، فأجاب وتهيأ للركوب ولبس خفيه وتعمم، فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها إلى الدابة ليركبها وأنا آخذ بعضده قال: أرسلوني فقد ضعفت، فأرسلناه فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى، ثم سال منه عرق كثير، وكان قال لنا: كفنوني في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة، قال: ففعلنا، فلما أدرجناه في أكفانه وصلينا عليه ووضعناه في حفرته فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك، ودامت أياما، وجعل الناس يختلفون إلى القبر أياما يأخذون من ترابه إلى أن جعلنا عليه خشبا مشبكا .

وقال الخطيب: أخبرنا علي بن أبي حامد في كتابه أخبرنا محمد بن محمد بن مكي سمعت عبد الواحد بن آدم الطواويسي يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع، فسلمت عليه فرد علي السلام، فقلت: ما وقوفك هنا يا رسول الله؟ قال: أنتظر محمد بن إسماعيل، قال: فلما كان بعد أيام بلغني موته فنظرت فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت فيها النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال مهيب بن سليم: كان ذلك ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين، وكذلك قال الحسن بن الحسين البزاز في تاريخ وفاته، وفيها أرخه أبو الحسين ابن قانع، وأبو

الحسين بن المنادي، وأبو سليمان بن زبر، وآخرون، قال الحسن: وكانت مدة عمره اثنين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما، رحمه الله تعالى.

62- تهذيب التهذيب[1]

الحافظ ابن حجر العسقلاني(ت852هـ)

قال رحمه الله:" (ت س) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بذدزبه، وقيل: بردزبه، وقيل: ابن الأحنف الجعفي، مولاهم أبو عبد الله البخاري.

روى عن: عبيد الله بن موسى، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، وعفان، وأبي عاصم النبيل، ومكي بن إبراهيم، وأبي المغيرة، وأبي مسهر، وأحمد بن خالد الوهبي، وخلق كثير سواهم، ممن سمع من التابعين فمن بعدهم، إلى أن كتب عن أقرانه، وعن تلامذته.

روى عنه: الترمذي في "الجامع" كثيرا، ومسلم في غير "الجامع"، وروى النسائي في "الصيام" عن محمد بن إسماعيل، عن حفص بن عمر بن الحارث، عن حماد حديثا، هكذا وقع غير منسوب في عامة الروايات عنه. وفي أصل الصوري الذي كتبه عن ابن النحاس، عن حمزة، عن النسائي: حدثنا محمد بن إسماعيل، وهو أبو بكر الطبراني، ووقع في رواية ابن السني وحده عن النسائي: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري. وقد روى النسائي الكثير عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، وهو ابن علية، وهو يشارك البخاري في كثير من شيوخه، وروى في كتاب "الكنى" عن عبد الله بن أحمد بن عبد السلام الخفاف، عن البخاري عدة أحاديث، فهذه قرينة ظاهرة في أنه لم يلق البخاري. وروى عن البخاري أيضا: أبو زرعة، وأبو حاتم، وإبراهيم الحربي، وابن أبي الدنيا، وصالح بن محمد الأسدي، وأبو بشر الدولابي، ومحمد بن عبد الله الحضرمي، والقاسم بن زكرياء، وابن أبي عاصم، وابن خزيمة، وعمر بن محمد بن بجير،

---

[1]تهذيب التهذيب 11/308-320 جمعية دار البر – الإمارات العربية المتحدة، دبي الطبعة الثانية، 1443 هـ – 2021 م

وحسين بن محمد القباني، وأبو عمرو الخفاف النيسابوري، والحسين بن محمد بن حاتم عبيد العجل، وعبد الله بن ناجية، والفضل بن العباس الرازي، وأبو قريش محمد بن جمعة القهستاني، وأبو بكر بن أبي داود وأبو محمد بن صاعد والحسين بن إسماعيل المحاملي، وهو آخر من حدث عنه ببغداد، ومحمد بن يوسف الفربري راوي "الصحيح" عنه، ورواة كتبه المصنفة عنه: عبد الله بن محمد بن الأشقر، وعبد الله أحمد بن عبد السلام، ومحمود بن إسحاق الخزاعي، ومحمد بن سليمان بن فارس، وخلق كثير، وآخر من حدث عنه بالصحيح: أبو طلحة منصور بن محمد بن علي البردوي، النسفي، الذي مات سنة 329.

قال بكر بن منير: سمعت الحسن بن الحسين البزاز ببخارى يقول: رأيت محمد بن إسماعيل شيخا نحيف الجسم، ليس بالطويل، ولا بالقصير، ولد في شوال سنة أربع وتسعين ومائة وتوفي يوم السبت لغرة شوال سنة ست وخمسين ومائتين، عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما.

وقال أحمد بن سيار المروزي: ومحمد بن إسماعيل طلب العلم، وجالس الناس، ورحل في الحديث، ومهر فيه وأبصر، وكان حسن المعرفة، حسن الحفظ، وكان يتفقه.

وقال أبو العباس بن سعيد: لو أن رجلا كتب ثلاثين ألف حديث، لما استغنى عن كتاب "تاريخ" محمد بن إسماعيل.

وقال عامر بن المنتجع: سمعت أبا بكر المديني قال: كنا يوما بنيسابور عند إسحاق بن راهويه ومحمد بن إسماعيل حاضر في المجلس، فمر إسحاق بحديث، وكان دون الصحابي عطاء الكيخاراني، فقال إسحاق: يا أبا عبد الله إيش كيخاران؟ قال: قرية باليمن، كان معاوية بعث هذا الرجل من الصحابة إلى اليمن، فسمع منه عطاء حديثين؛ فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله كأنك قد شهدت القوم.

وقال إبراهيم بن معقل النسفي: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كنت عند إسحاق بن راهويه، فقال لنا بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبي صلى الله عليه وسلم، فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب، يعني "الجامع".

قال إبراهيم: وسمعته يقول: ما أدخلت في كتابي "الجامع" إلا ما صح، وتركت من الصحاح لحال الطول.

وقال الكشميهني: سمعت الفربري يقول: قال لي محمد بن إسماعيل: ما وضعت في كتابي "الصحيح" حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك، وصليت ركعتين.

وقال جعفر بن الفضل بن خنزابة: سمعت محمد بن موسى المأموني قال: سئل أبو عبد الرحمن، يعني النسائي، عن العلاء، وسهيل، فقال: هما خير من فليح، ومع هذا فما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل.

وقال جعفر بن محمد القطان، إمام الجامع بكرمينية: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كتبت عن ألف شيخ أو أكثر، ما عندي حديث إلا وأذكر إسناده.

وقال بكر بن منير: كان محمد بن إسماعيل يصلي ذات يوم، فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة، فلما قضى صلاته قال: انظروا إيش هذا الذي آذاني في صلاتي؛ فنظروا فإذا الزنبور قد ورمه في سبعة عشر موضعا، ولم يقطع صلاته.

وقال أبو بكر الأعين: كتبنا عن محمد بن إسماعيل على باب محمد بن يوسف الفريابي، وما في وجهه شعرة.

وقال حاشد بن إسماعيل: كنت بالبصرة، فقدم محمد بن إسماعيل، فقال محمد بن بشار: دخل اليوم سيد الفقهاء

وقال أبو قريش محمد بن جمعة: سمعت بندارا محمد بن بشار يقول: حفاظ الدنيا أربعة فذكره فيهم.

وقال البوشنجي: سمعت بندارا يقول: ما قدم علينا مثل محمد بن إسماعيل.

وقال يوسف بن ريحان: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كان علي بن المديني يسألني عن شيوخ خراسان، إلى أن قال: كل من أثنيت عليه فهو عندنا الرضي.

وقال الفربري: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي، وربما كنت أغرب عليه.

وقال إسحاق بن أحمد بن خلف البخاري: حدثني حامد بن أحمد قال: ذكر لعلي بن المديني قول محمد بن إسماعيل: ما تصاغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني فقال: ذروا قوله، هو ما رأى مثل نفسه.

وقال الفربري: سمعت محمد بن أبي حاتم وراق محمد بن إسماعيل قال: سمعته يقول: ذاكرني أصحاب عمرو بن علي بحديث فقلت: لا أعرفه، فسروا بذلك، وصاروا إلى عمرو بن علي فقالوا له: ذاكرنا محمد بن إسماعيل بحديث فلم يعرفه؛ فقال عمرو بن علي: حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث.

قال محمد بن أبي حاتم: وسمعته يقول: كان إسماعيل بن أبي أويس إذا انتخبت من كتابه، نسخ تلك الأحاديث لنفسه.

وقال أبو مصعب: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر من ابن حنبل.

وقال عامر بن المنتجع، عن أحمد بن الضو: سمعت أبا بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير يقولان: ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل.

وقال محمود بن النضر الشافعي: دخلت البصرة، والشام، والحجاز، والكوفة، ورأيت علماءها، فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل، فضلوه على أنفسهم.

وقال ابن عدي: كان ابن صاعد إذا ذكر محمد بن إسماعيل يقول: الكبش النطاح.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان، فذكره فيهم.

وقال أيضا: سمعت أبي يقول: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل.

وقال صالح بن محمد الأسدي: محمد بن إسماعيل أعلمهم بالحديث.

وقال يعقوب بن إبراهيم الدورقي: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

وقال أبو العباس الدغولي: كتب أهل بغداد إلى محمد بن إسماعيل:

المسلمون بخير ما بقيت لهم ... وليس بعدك خير حين تفتقد

وقال أبو بكر محمد بن حرب: سألت أبا زرعة عن محمد بن حميد، فقال: تركه أبو عبد الله، يعني البخاري، قال فذكرت ذلك للبخاري، فقال: بره لنا قديم.

وقال الفضل بن العباس الرازي: رجعت مع محمد بن إسماعيل مرحلة، وجهدت الجهد على أن أجيء بحديث لا يعرفه، فما أمكنني، وأنا أغرب على أبي زرعة عدد شعر رأسه.

وقال إسحاق بن أحمد بن زيرك: سمعت محمد بن إدريس الرازي أبا حاتم يقول: محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق.

قال: وسمعته في سنة سبع وأربعين يقول: يقدم عليكم رجل من خراسان، لم يخرج منها أحفظ منه، فقدم محمد بن إسماعيل بعد أشهر.

وقال صالح بن مسمار: سمعت نعيم بن حماد يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة

وقال عبدان بن عثمان: ما رأيت بعيني شابا أبصر منه.

وقال محمد بن سلام: هو الذي ليس مثله.

وقال يحيى بن جعفر: لو قدرت أن أزيد في عمره لفعلت.

وقال محمد بن العباس الضبي: سمعت أبا بكر بن أبي عمرو الحافظ يقول: كان سبب مفارقة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البلد يعني بخارى، أن خالد أحمد الأمير سأله أن يحضر منزله، فيقرأ "الجامع" و "التاريخ"، على أولاده فامتنع، فراسله أن يعقد لأولاده مجلسا لا يحضره غيرهم، فامتنع أيضا، فاستعان عليه بحريث بن أبي الورقاء، وغيره، حتى تكلموا في مذهبه، ونفاه عن البلد، فدعا عليهم، فاستجيب له.

وقال ابن عدي: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد بن إسماعيل إلى خرتنك – قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها –، وكان له بها أقرباء، فنزل عندهم، قال: فسمعته ليلة من الليالي يدعو: اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت فاقبضني إليك، قال: فما تم الشهر حتى قبضه الله، في سنة ست وخمسين ومائتين في شوال.

قلت: مناقبه كثيرة جدا، قد جمعتها في كتاب مفرد، ولخصت مقاصدها في آخر الكتاب الذي تكلمت فيه على تعاليق "الجامع الصحيح"، ومن ذلك:

قال الحاكم: سمعت أبا الطيب يقول: سمعت ابن خزيمة يقول: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أحفظ له من البخاري.

قال: وسمعت أبا عبد الله الحافظ يعني ابن الأخرم يقول: سمعت أبي يقول: رأيت مسلم بن الحجاج بين يدي البخاري، وهو يسأله سؤال الصبي المتعلم.

قال: وسئل أبو عبد الله يعني ابن الأخرم، عن حديث؟ فقال إن البخاري لم يخرجه، فقال له السائل قد خرجه مسلم، فقال أبو عبد الله: إن البخاري كان أعلم من مسلم، ومنك، ومني.

قال: ولما ورد البخاري نيسابور، قال محمد بن يحيى الذهلي: اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح فاسمعوا منه، فذهب الناس إليه حتى ظهر الخلل في مجلس محمد بن يحيى، فتكلم فيه بعد ذلك.

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: رأيت العلماء بالحرمين، والعراقين، فما رأيت فيهم أجمع منه.

قال الحاكم: وسمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول: سمعت محمد بن نعيم يقول: سألت محمد بن إسماعيل لما وقع ما وقع من شأنه عن الإيمان، فقال: قول وعمل، يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق، وأفضل الصحابة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، على هذا حييت، وعليه أموت، وأبعث إن شاء الله.

وقال غنجار في "تاريخ بخارى": قال له أبو عيسى الترمذي: قد جعلك الله زين هذه الأمة يا أبا عبد الله.

وقال في "الجامع": لم أر في معنى العلل، والرجال، أعلم من محمد بن إسماعيل.

وقال إسحاق بن راهويه: يا معشر أصحاب الحديث، أكتبوا عن هذا الشاب، فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن لاحتاج الناس إليه، لمعرفته بالحديث وفقهه.

وقال حاشد بن عبد الله: سمعت المسندي يقول: محمد بن إسماعيل إمام، فمن لم يجعله إماما فاتهمه.

وقال أيضا: رأيت محمد بن رافع، وعمرو بن زرارة عند محمد بن إسماعيل يسألانه عن علل الحديث، فلما قام، قالا لمن حضر: لا تخدعوا عن أبي عبد الله، فإنه أفقه منا، وأعلم، وأبصر.

وقال الحسين بن محمد بن حاتم المعروف بعبيد العجل: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، ومسلم لم يكن يبلغه، ورأيت أبا زرعة، وأبا حاتم، يستمعان قوله، وذكر له قصة محمد بن يحيى معه، فقال: ما لمحمد بن يحيى، ولمحمد بن إسماعيل، كان محمد أمة من الأمم، وأعلم من محمد بن يحيى بكذا وكذا، كان دينا، فاضلا، يحسن كل شيء.

وقال ابن أبي حاتم: سمع منه أبي، وأبا زرعة، ثم تركا حديثه عندما كتب إليهما محمد بن يحيى، أنه أظهر عند عندهم أن لفظه بالقرآن مخلوق.

وقال محمد بن نصر المروزي: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: من قال عني أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق، فقد كذب، وإنما قلت: أفعال العباد مخلوقة.

وقال أبو عمرو الخفاف: حدثنا التقي، النقي، العالم الذي لم أر مثله، محمد بن إسماعيل، وهو أعلم بالحديث من إسحاق، وأحمد، وغيرهما بعشرين درجة، ومن قال فيه شيئا، فعليه مني ألف لعنة.

وقال مسلمة في "الصلة": كان ثقة جليل القدر، عالما بالحديث، وكان يقول بخلق القرآن فأنكر ذلك عليه علماء، خراسان فهرب، ومات وهو مستخفي.

قال: وسمعت بعض أصحابنا يقول: سمعت العقيلي يقول: لما ألف البخاري كتابه "الصحيح"، عرضه على ابن المديني، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، فامتحنوه فكلهم قال: كتابك صحيح، إلا أربعة أحاديث؛ قال العقيلي: والقول فيها قول البخاري، وهي صحيحة.

قال مسلمة: وألف علي بن المديني كتاب "العلل"، وكان ضنينا به، فغاب يوما في بعض ضياعه، فجاء البخاري إلى بعض بنيه، وأرغبه بالمال على أن يرى الكتاب يوما واحدا، فأعطاه له، فدفعه إلى النساخ، فكتبوه له، ورده إليه، فلما حضر علي، تكلم بشيء، فأجابه البخاري بنص كلامه مرارا، ففهم القصة، واغتم لذلك، فلم يزل مغموما حتى مات بعد يسير، واستغنى البخاري عنه بذلك الكتاب، وخرج إلى خراسان، ووضع كتابه "الصحيح"، فعظم شأنه، وعلا ذكره، وهو أول من وضع في الإسلام كتابا صحيحا، فصار الناس له تبعا بعد ذلك.

قلت: إنما أوردت كلام مسلمة هذا، لأبين فساده، فمن ذلك إطلاقه بأن البخاري كان يقول بخلق القرآن، وهو شيء لم يسبقه إليه أحد، وقد قدمنا ما يدل على بطلان ذلك. وأما القصة التي حكاها فيما يتعلق "بالعلل" لابن المديني، فإنها غنية عن الرد لظهور فسادها، وحسبك أنها بلا إسناد، وأن البخاري لما مات علي كان مقيما ببلاده، وأن "العلل" لابن المديني قد سمعها منه غير واحد غير البخاري، فلو كان ضنينا بها لم يخرجها، إلى غير ذلك من وجوه البطلان لهذه الأخلوقة، والله الموفق.

وقال صالح جزرة: قال لي أبو زرعة الرازي: يا أبا علي، نظرت في كتاب محمد بن إسماعيل هذا أسماء الرجال يعني "التاريخ"، فإذا فيه خطأ كثير! فقلت له: بليته أنه رجل كل من يقدم عليه من العراق، من أهل بخارى، نظر في كتبهم، فإذا رأى اسما لا يعرفه، وليس عنده كتبه، وهم لا يضبطون، ولا ينقطون، فيضعه في كتابه خطأ، وإلا فما رأيت خراسانيا أفهم منه.

وأما ما رجحه المصنف، من أن النسائي لم يلق البخاري فهو مردود، فقد ذكره في "أسماء شيوخه الذين لقيهم"، وقال فيه: ثقة، مأمون صاحب حديث، كيس.

وروينا في كتاب "الإيمان" لأبي عبد الله بن منده حديثا رواه عن حمزة، عن النسائي، حدثني محمد بن إسماعيل البخاري، وكونه روى عن الخفاف عنه، لا يمنع أن يكون لقيه، بل الظاهر أنه لم يكثر عنه، فاحتاج أن يأخذ عن بعض أصحابه، والله أعلم.

وسيأتي في آخر من اسمه محمد بن إسماعيل، زيادة في هذا.

63- تغليق التعليق[1]

الحافظ ابن حجر العسقلاني(ت852هـ)

قال رحمه الله: بسم الله الرحمن الرحيم

فصل في ترجمة البخاري، والتعريف بقدره وجلالته، وذكر نسبته ونسبه، ومولده، وصفته.

هو الإمام العلم الفرد، تاج الفقهاء، عمدة المحدثين، سيد الحفاظ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه بن الأحنف الجعفي البخاري، وبردزبه بفتح الباء الموحدة، ثم راء ساكنة، ثم دال مهملة مكسورة، ثم زاي ساكنة، ثم باء موحدة مفتوحة، ثم هاء، هكذا قيده الأمير أبو نصر بن ماكولا وقال: هو الزراع، بلغة أهل بخارى، وقيل فيه: بذدزبه كما مضى، لكن بدل الراء ذال معجمة.

---

[1]تغليق التعليق 348/5 – مقابلة بإشراف محمد طاهر شعبان، مراجعة سوسن الملا. دار الكمال المتحدة

كان بردزبه مجوسيا، فأسلم ابنه المغيرة على يد اليمان، والي بخارى، وكان اليمان جعفيا فنسب البخاري إليه.

التعريف بقدره وجلالته

قال إسحاق بن أحمد بن خلف البخاري: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: سمع أبي من مالك بن أنس، ورأى حماد بن زيد قد صافح ابن المبارك بكلتا يديه .

أخبرني بذلك أبو علي البزاز إذنا عن يونس بن أبي إسحاق، عن علي بن الحسين، عن الفضل بن سهل، عن الخطيب: أخبرنا الحسن بن محمد الدربندي :أخبرنا محمد بن أبي بكر البخاري الحافظ: أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم وأبو الحسين محمد بن الحسين بن علي بن يعقوب قالا: حدثنا إسحاق بن أحمد بن خلف بهذا .

وقال ابن حبان في الطبقة الرابعة من «الثقات»: إسماعيل بن إبراهيم والد البخاري يروي عن حماد بن زيد ومالك، روى عنه العراقيون .

وقال وراق البخاري: سمعت الحسن بن الحسين البزاز يقول: رأيت محمد بن إسماعيل شيخا، نحيف الجسم، ليس بالطويل ولا بالقصير، ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومئة ببخارى .

وكذا حكاه المستنير بن عتيق أن البخاري أخرج له به خط أبيه .

وقال الخليلي في «الإرشاد»: سمعت أحمد بن أبي مسلم الفارسي الحافظ يقول: سمعت محمد بن أحمد بن الفضل يقول: سمعت أبا حسان مهيب بن سليم يقول :سمعت البخاري يقول: ولدت يوم الجمعة، بعد الصلاة لثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومئة.

ذكر منشئه وطلبه الحديث:

قال وراق البخاري: فيما أنبأنا عبد الله بن محمد المكي إذنا مشافهة عن كتاب سليمان بن حمزة، عن عبد العزيز بن باقا، عن طاهر بن محمد بن طاهر، عن أحمد بن علي بن خلف: أخبرنا أبو طاهر أحمد بن عبد الله بن مهرويه: أخبرنا أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف: أخبرنا جدي أبو عبد الله محمد بن يوسف الفربري: أخبرنا أبو جعفر محمد بن أبي حاتم وراق

البخاري _ قلت: وكل ما أسوقه عن وراق البخاري؛ فبهذا الإسناد _ قال: قلت لأبي عبد الله: كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب، قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر، فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال: يوما فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير، عن إبراهيم، فقلت: يا أبا فلان؛ إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك، فدخل ونظر فيه، ثم خرج، فقال لي: كيف هو يا غلام؟ فقلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم، فأخذ القلم وأصلح كتابه، فقال: صدقت، فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت إذ رددت عليه؟ فقال له: ابن إحدى عشرة سنة قال: فلما طعنت في ست عشرة سنة، حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت؛ رجع أخي، وتخلفت بها في طلب الحديث، فلما طعنت في ثماني عشرة؛ جعلت أصنف قضايا الصحابة، والتابعين، وأقاويلهم، وذلك في أيام عبيد الله بن موسى، وصنف كتاب «التاريخ» إذ ذاك عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة قال: وقل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتاب .

قلت: الداخلي المذكور لم يقف على اسمه، ولم يذكر ابن السمعاني، ولا الرشاطي هذه النسبة، وأظن أنها نسبة إلى المدينة الداخلة بنيسابور .

وقال إسحاق بن أحمد بن خلف: رحل محمد بن إسماعيل في آخر سنة عشر ومئتين .

وقال بكر بن منير: سمعت البخاري يقول: كنت عند أبي حفص أحمد بن حفص أسمع كتاب «الجامع» لسفيان الثوري من كتاب والدي، فمر أبو حفص على حرف، ولم يكن عندي ما ذكر، فراجعته، فقال: الثانية، والثالثة، فراجعته، فسكت، ثم قال: من هذا؟ قالوا: ابن إسماعيل، فقال: هو كما قال واحفظوا أن هذا يصير يوما رجلا .

وقال وراق البخاري: سمعته يقول: كنت أختلف إلى الفقهاء بمرو وأنا صبي، فقال لي مؤدب من أهلها: كم كتبت اليوم؟ قلت: آيتين، فضحك من حضر المجلس، فقال شيخ منهم: لا

تضحكوا منه، فلعله يضحك منكم يوما .

وقال أبو محمد عبد الله بن محمد بن إسحاق السمسار المؤدب: سمعت شيخي يقول: ذهب عينا محمد بن إسماعيل في صغره، فرأت والدته إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في المنام، فقال: يا هذه؛ قد رد الله على ابنك بصره لكثرة دعائك، أو لكثرة بكائك، قال: فأصبح وقد رد الله عليه بصره .

وقال غنجار في «تاريخ بخارى»: أخبرنا خلف بن محمد قال: سمعت أحمد بن محمد بن الفضل البلخي يقول: سمعت أبي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره؛ فذكر مثله. ورواها الحافظ أبو القاسم اللالكائي في كتاب «كرامات الأولياء» له عن شيخ، عن غنجار له: أنبئت عن أبي نصر بن الشيرازي عن جده أبي نصر: أن الحافظ أبا القاسم الدمشقي أخبره: أخبرنا الحسين بن عبد الملك: أخبرنا أبو طاهر بن محمود: أخبرنا أبو بكر بن المقرئ: سمعت أبا أحمد النيسابوري: سمعت أحمد بن يوسف السلمي قال: رأيت محمد بن إسماعيل في مجلس مالك بن إسماعيل وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ قال: لا يمكنني أن أكتب ولا أن أضبط قال: ثم جعل الله محمد بن إسماعيل كما رأيتم، وقال أبو حاتم سهل بن السري: قال محمد بن إسماعيل البخاري: لقيت أكثر من ألف شيخ من أهل الحجاز مكة والمدينة، والبصرة، وواسط، وبغداد، والشام، ومصر لقيتهم قرنا بعد قرن، وذكر أنه رحل إلى الشام، ومصر، والجزيرة مرتين، وإلى البصرة أربع مرات، وأقام بالحجاز ستة أعوام قال: ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثي خراسان.

وقال وراق البخاري: سمعته يقول: دخلت بلخ، فسألني أصحاب الحديث أن أملي عليهم لكل من لقيت حديثا عنه، فأمليت ألف حديث لألف شيخ ممن كتبت عنهم، ثم قال: كتبت عن ألف وثمانين نفسا، ليس فيهم إلا صاحب حديث، وقال أيضا: كتبت عن ألف نفس من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل .

وقال جعفر بن محمد القطان: سمعت البخاري يقول: كتبت عن ألف شيخ أو أكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده .

وقال وراق البخاري: سمعته يقول: لم تكن كتابتي الحديث كما كتبه هؤلاء، كنت إذا كتبت عن رجل؛ سألته عن اسمه وكنيته ونسبه، وعلة الحديث إن كان الرجل فهما، فإن لم يكن؛ سألته أن يخرج لي أصله ونسخته، فأما الآخرون؛ فلا يبالون ما يكتبون، ولا كيف يكتبون .

قال: وسمعت هانئ بن النضر يقول: لقينا محمد بن يوسف ــ يعني: الفريابي ـ بالشام مرتين، وكنا نتنزه، وكان محمد بن إسماعيل معنا، وكان لا يزاحمنا فيما نحن فيه، بل مكث على العلم .

قال: وسمعت العباس الدوري يقول: ما رأيت أحسن طلبا للحديث من محمد بن إسماعيل، كان لا يدع أصلا ولا فرعا إلا بلغه، ثم قال لنا: لا تدعوا شيئا من كلامه، إلا كتبتموه .

وقال أبو بكر بن أبي عتاب الأعين: سمعنا على محمد بن إسماعيل على باب محمد بن يوسف وهو أمرد .

قلت: كان سنه إذ ذاك بضع عشرة سنة، والأعين المذكور من أصحاب الإمام أحمد المشهورين، والفريابي من كبار شيوخ البخاري .

وقال أبو الفضل محمد بن طاهر: قدم البخاري بغداد سنة عشر ومئتين، وعزم على المضي إلى عبد الرزاق باليمن، فالتقى بيحيى بن جعفر البيكندي فاستخبره، فقال: مات عبد الرزاق، ثم تبين أنه لم يمت، فسمع البخاري حديث عبد الرزاق من يحيى بن جعفر .

قلت: ويحيى بن جعفر من الثقات الأثبات، وما أعتقد أنه افترى وفاة عبد الرزاق، بل لعله حكاه؛ لإشاعة لم تصح، وكان يحيى بن جعفر بعد ذلك يدعو لمحمد بن إسماعيل، ويفرط في مدحه، وسيأتي ذلك .

وقال الخطيب والبيهقي جميعا: أخبرنا أبو حازم العبدوي: سمعت محمد بن محمد بن العباس الضبي: سمعت أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف يقول: سمعت جدي يقول: سمعت البخاري يقول: دخلت بغداد ثماني مرات، في كلها أجالس أحمد ابن حنبل، فقال لي: يا أبا عبد الله؛ تدع العلم والناس وتصير إلى خراسان؟ !قال: فأنا أذكر قوله الآن .

وقال وراق البخاري عن حاشد بن إسماعيل: كان البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فلمناه، فقال لنا بعد ستة عشر يوما: قد

أكثرتم علي، فاعرضوا علي ما كتبتم .

فأخرجناه، فزاد على خمسة عشر ألفا، فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا كلنا نحكم كتبنا من حفظه، فعلمنا أنه لا يتقدمه أحد، فكان أهل المعرفة بالبصرة يعدون خلفه في طلب الحديث، ويكتبون عنه، وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه، ويجلسونه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه، وكان إذ ذاك شابا لم يخرج وجهه .

وقال محمد بن الأزهر السجستاني: كنت بالبصرة في مجلس سليمان بن حرب والبخاري جالس لا يكتب، فقيل لبعضهم: ماله لا يكتب؟ فقال: يرجع إلى بخارى فيكتب من حفظه.

وقال الوراق: كان شديد الحياء في صغره، حتى قال شيخه محمد بن سلام البيكندي: أترون البكر أشد حياء من هذا الغلام؟ قال: وسمعته يقول: كنت في مجلس الفريابي فقال: حدثنا سفيان عن أبي عروة، عن أبي الخطاب، عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه بغسل واحد قال: فلم يعرف أحد في المجلس أبا عروة، ولا أبا الخطاب، فقال: أما أبو عروة؛ فمعمر، وأما أبو الخطاب؛ فقتادة، قال: وكان الثوري فعولا؛ لهذا يكني المشهورين.

ذكر مراتب مشايخه الذين حدث عنهم:

وهم على خمس طبقات :

الطبقة الأولى :

من حدثه عن التابعين، مثل: مكي بن إبراهيم، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، وعبيد الله بن موسى، وأبي عاصم النبيل، وأبي نعيم الملائي وأبي المغيرة الخولاني، وعلي بن عياش، وخلاد بن يحيى، وغيرهم .

الطبقة الثانية :

من كان في عصر هؤلاء، وتأخر عنهم قليلا، مثل: آدم بن أبي إياس، وأبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر، وأيوب بن سليمان بن بلال، وحجاج بن منهال، وسعيد ابن أبي مريم، وثابت بن محمد الزاهد، وغيرهم من أصحاب الأوزاعي، وابن أبي ذئب، والثوري، وشعبة، ومالك.

الطبقة الثالثة :

أوساط مشايخه الذين شاركه في الرواية عنهم مسلم وغيره: كأحمد، وإسحاق، ويحيى، وعثمان بن أبي شيبة، وقتيبة، ونعيم بن حماد، وأشباههم من أصحاب حماد بن زيد والليث، ثم من أصحاب ابن المبارك، وهشيم، وابن عيينة، ونحوهم .

الطبقة الرابعة :

رفقاؤه في الطلب: كمحمد بن يحيى الذهلي، وأبي حاتم الرازي، ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة، والدارمي، وعبد بن حميد، وأحمد بن النضر، ومحمد بن إبراهيم البوشنجي، وجماعة، وفيهم من هو أقدم منه سماعا قليلا .

الطبقة الخامسة :

قوم في عداد طلبته في السن والإسناد، سمع منهم للفائدة: كعبد الله بن حماد الآملي، وعبد الله بن أبي القاضي، وحسين بن محمد القباني، ومحمد بن إسحاق السراج، ومحمد بن عيسى الترمذي، وغيرهم .

وقد روي عن البخاري قال: لا يكون المحدث كاملا حتى يكتب عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه .

وأنبئت عن أبي الفضل بن حمزة، عن عيسى بن عبد العزيز: أن السلفي أخبرهم: أخبرنا أبو الحسين بن الطيوري: أخبرنا أبو الفرج الطناجيري: أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان: حدثنا محمد بن أبي سعيد: حدثنا الحسين بن إدريس :حدثنا عثمان بن أبي شيبة: سمعت وكيعا يقول: لا يكون الرجل عالما حتى يحدث عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه.

ذكر سيرته، وشمائله، وزهده، وفضائله:

قال وراقه: سمعت محمد بن خراش يقول: سمعت أحمد بن حفص: دخلت على إسماعيل _ والد أبي عبد الله_ عند موته، فقال: لا أعلم في مالي درهما من حرام، ولا درهما من شبهة .

قلت: وحكى وراقه أنه ورث من أبيه مالا جليلا، فكان يعطيه مضاربة، فقطع له غريم خمسة وعشرين ألفا، فقيل له: استعن بكتاب الوالي، فقال: إن أخذت منهم كتابا؛ طمعوا، ولن

أبيع ديني بدنياي، ثم صالح غريمه على أن يعطيه كل شهر عشرة دراهم، وذهب ذلك المال كله .

قال البخاري: ما توليت شراء شيء قط ولا بيعه، كنت آمر إنسانا فيشتري لي، فقيل له: ولم؟ قال: لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط، وقال غنجار في تاريخه: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر المقرئ: حدثنا أبو سعيد بكر بن منير قال: كان حمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة، أنفذها إليه أبو حفص، فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية، وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال لهم: انصرفوا الليلة، فجاءه من الغد تجار آخرون، فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف درهم، فردهم وقال: إني نويت البارحة أن أدفع إليهم ما طلبوا؛ يعني: الذين طلبوا أول مرة، ودفعها إليهم، وقال: لا أحب أن أنقض نيتي.

وقال وراقه: سمعته يقول: خرجت إلى آدم بن أبي إياس، فتأخرت نفقتي حتى جعلت أتناول حشيش الأرض، فلما كان في اليوم الثالث؛ أتاني رجل لا أعرفه، فوهبني صرة فيها دنانير

قال: وسمعته يقول: كنت أستغل في كل شهر خمس مئة درهم، فأنفقها في الطلب، وما عند الله خير وأبقى .

وقال عبد الله بن محمد الصيارفي: كنت عند أبي عبد الله محمد بن إسماعيل في منزله، فجاءته جاريته وأرادت دخول المنزل، فعثرت على محبرة بين يديه، فقال لها: كيف تمشين؟ قالت: إذا لم يكن طريق؛ كيف أمشي؟ فبسط يديه، وقال: اذهبي، فقد أعتقتك، فقيل له: يا أبا عبد الله؛ أغضبتك الجارية؟ قال: إن كانت أغضبتني؛ فقد أرضيت نفسي بما فعلت .

قال وراقه: رأيته استلقى ونحن بفربر، في تصنيف كتاب (التفسير) وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في التخريج، فقلت له: إني أراك تقول: ما أتيت شيئا بغير علم، فما الفائدة في الاستلقاء، فقال: أتعبت نفسي اليوم، وهذا ثغر خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو، فأحببت أن أستريح، وآخذ أهبة، فإن غافصنا العدو؛ كان بنا حراك .

قال: وكان يركب إلى الرمي كثيرا، فما أعلمني رأيته في طول ما صحبته، أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين، بل كان يصيب في كل ذلك، ولا يسبق، قال: وركبنا يوما إلى الرمي ونحن بفربر،

فخرجت إلى الدرب الذي يؤدي إلى الفرضة، فجعلنا نرمي، وأصاب سهم أبي عبد الله وتد القنطرة التي على النهر فانشق الوتد، فلما رآه؛ نزل عن دابته، فأخرج السهم من الوتد، وترك الرمي، وقال لنا :ارجعوا، فرجعنا، فقال لي: يا أبا جعفر؛ لي إليك حاجة وهو يتنفس الصعداء فقلت: نعم، فقال: تذهب إلى صاحب القنطرة فتقول: إنا قد أخللنا بالوتد، فنحب أن تأذن لنا في إقامة بدله، أو تأخذ ثمنه، أو تجعلنا في حل مما كان منا، وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر، فقال لي: أبلغ أبا عبد الله السلام، وقل له: أنت في حل مما كان منك، فإن جميع ملكي لك الفداء، فأبلغته الرسالة، فتهلل وجهه، وأظهر سرورا كثيرا، وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمس مئة حديث، وتصدق بثلاث مئة درهم، قال: وسمعته يقول لأبي معشر الضرير: اجعلني في حل يا أبا معشر، فقال: من أي شيء؟ فقال: رويت حديثا يوما فنظرت إليك وقد أعجبت به وأنت تحرك رأسك ويديك، فتبسمت من ذلك، فقال: أنت في حل، رحمك الله يا أبا عبد الله .

قال: وسمعته يقول: دعوت ربي مرتين فاستجاب لي، فلن أحب أن أدعو بعد، فلعله ينقص حسناتي .

قال: وسمعته يقول: لا يكون لي خصم في الآخرة، فقلت: إن بعض الناس ينقمون عليك «التاريخ» ويقولون: فيه اغتياب الناس، فقال: إنما روينا ذلك رواية، لم نقله من عند أنفسنا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بئس أخو العشيرة».

قال: وسمعته يقول: ما اغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها .

قلت: البخاري في كلامه على الرجال في غاية التحري والتوقي، ومن تأمل كلامه في الجرح والتعديل؛ علم ورعه وإنصافه، فإن أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، تركوه، ونحو هذا، وقل أن يقول: فلان كذاب، أو يضع الحديث، بل إذا قال ذلك؛ عزاه إلى غيره بقوله: كذبه فلان، رماه فلان بالكذب، حتى إنه قال: من قلت فيه: في حديثه نظر؛ فهو متهم، ومن قلت فيه :منكر الحديث؛ فلا تحل الرواية عنه: أخبرني أحمد بن عمر بقراءتي عليه عن الحافظ أبي الحجاج المزي: أن أبا الفتح الشيباني أخبرهم: أخبرنا أبو اليمن الكندي:

أخبرنا أبو منصور القزاز: أخبرنا أحمد بن علي الحافظ: أخبرني أبو الوليد الدربندي: أخبرنا محمد بن أحمد بن سليمان الحافظ: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر: سمعت أبا سعيد بكر بن منير: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا .

وبه إلى بكر قال: كان محمد بن إسماعيل يصلي ذات يوم، فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة، فلما قضى صلاته؛ قال: انظروا إيش هذا الذي آذاني في صلاتي، فنظروا، فإذا الزنبور قد ورمه في سبعة عشر موضعا، ولم يقطع صلاته .

قلت: ورواها وراقه بالمعنى وزاد قال: كنت في آية، فأحببت أن أتمها، وقال وراقه: كنا بفربر وكان أبو عبد الله يبني رباطا مما يلي بخارى، فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك، وكان ينقل اللبن، فكنت أقول له: يا أبا عبد الله؛ إنك تكفى ذلك، فيقول: هذا الذي ينفعني .

قال: وكان ذبح لهم بقرة، فلما أدركت القدور؛ دعا الناس إلى الطعام، وكان معه مائة نفس أو أكثر، ولم يكن علم أنه يجتمع ما اجتمع، وكنا أخرجنا معه من فربر خبزا بثلاث مئة درهم، وكان الخبز إذ ذاك خمسة أمنا بدرهم، فألقيناه بين أيديهم، فأكل جميع من حضر، وفضلت أرغفة صالحة .

قال: وكان قليل الأكل جدا، كثير الإحسان إلى الطلبة، مفرط الكرم، وحكى أبو الحسن يوسف بن أبي ذر البخاري أن البخاري مرض، فعرضوا ماءه على الأطباء، فقالوا: إن هذا الماء يشبه ماء بعض أساقفة النصارى، فإنهم لا يأتدمون، فصدقهم محمد بن إسماعيل وقال لم أئتدم منذ أربعين سنة، فسئلوا عن علاجه، فقالوا: علاجه الأدم، فامتنع حتى ألح عليه المشايخ وأهل العلم إلى أن أجابهم أن يأكل مع الرغيف سكرة .

وقال الحاكم أبو عبد الله الحافظ: أخبرني محمد بن خالد: حدثنا مسبح بن سعيد قال: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه، فيصلي بهم، ويقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أن يختم القرآن، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار في

كل يوم ختمة، ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة، ويقول عند كل ختمة دعوة مستجابة .

وقال وراقه: كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ أحيانا، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري نارا بيده ويسرج، ويخرج أحاديث فيعلم عليها، ثم يضع رأسه، وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة ويوتر منها بواحدة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم، فقلت له: إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني؟! قال: أنت شاب، فلا أحب أن أفسد عليك نومك.

وقال الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي السليماني: سمعت علي بن محمد بن منصور يقول: سمعت أبي يقول: كنا في مجلس أبي عبد الله البخاري، فرفع إنسان من لحيته قذاة، فطرحها إلى الأرض قال: فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس، فلما غفل الناس؛ رأيته مد يده فرفع القذاة من الأرض، فأدخلها في كمه، فلما خرج من المسجد؛ رأيته أخرجها فطرحها على الأرض.

وقال وراقه: كان معه شيء من شعر النبي صلى الله عليه وسلم في ملبوسه، أظنه في خفه .

قال: وسمعته يقول ــوقد سئل عن خبر حديثــ: يا أبا فلان؛ تراني أدلس وقد تركت عشرة آلاف حديث لرجل فيه نظر؟! وتركت مثلها أو أكثر منها لغيره لي فيه نظر؟ !

وقال الحسن بن محمد السمرقندي: كان محمد بن إسماعيل مخصوصا بثلاث خصال :كان قليل الكلام، وكان لا يطمع فيما عند الناس، وكان لا يشتغل بأمور الناس .

قلت: وكان صاحب فنون ومعرفة باللغة والعربية والتصريف، ومن شعره :

اغتنم في الفراغ فضل ركوع فعسى أن يكون موتك بغتة

كم صحيح رأيت من غير سقم ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

رواها الحاكم في «تاريخه» ولما بلغه موت عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي؛ أطرق ثم رفع رأسه وهو يبكي، وأنشد :

إن عشت تفجع بالأحبة كلهم وبقاء نفسك لا أبالك أفجع

ذكر ثناء الناس عليه ومشايخه.

قال سليمان بن حرب ونظر إليه يوما: هذا يكون له صيت .

قلت: وقد تقدم نحوه لأحمد بن حفص، وقال البخاري: كنت إذا دخلت على سليمان بن حرب يقول: بين لنا غلط شعبة .

وقال وراقه: وسمعته يقول: كان إسماعيل بن أبي أويس إذا انتخبت من كتابه نسخ تلك الأحاديث لنفسه وقال: هذه الأحاديث انتخبها محمد بن إسماعيل من حديثي .

وقال البخاري: اجتمع أصحاب الحديث، فسألوني أن أكلم إسماعيل بن أبي أويس ليزيدهم في القراءة، ففعلت فدعا الجارية، وأمرها أن تخرج صرة دنانير، وقال: يا أبا عبد الله؛ فرقها عليهم، قلت: إنما أرادوا الحديث، قال: قد أجبتك إلى ما طلبت من الزيادة غير أني أحب أن يضم هذا إلى ذلك .

قال: وقال لي ابن أبي أويس: انظر في كتبي وما أملك لك، وأنا شاكر لك ما دمت حيا .

وقال حاشد بن إسماعيل: قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري المدني :محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر من أحمد، فقال رجل من جلسائه: جاوزت الحد، فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل؛ لقلت كلاهما واحد في الحديث والفقه .

وقال عبدان بن عثمان: ما رأيت بعيني شابا أبصر من هذا، وأشار بيده إلى محمد بن إسماعيل .

وقال قتيبة: جالست الفقهاء والزهاد والعباد، ما رأيت منذ عقلت كمحمد بن إسماعيل، وهو في زمانه كعمر في الصحابة .

وعن قتيبة أيضا قال: لو كان محمد بن إسماعيل في الصحابة؛ لكان آية، وقال محمد بن يوسف الهمذاني: كنا عند قتيبة، فجاء رجل شعراني يقال له: أبو يعقوب، فسأله عن محمد بن إسماعيل، فقال: يا هؤلاء؛ نظرت في الحديث، ونظرت في الرأي، وجالست الفقهاء، والزهاد والعباد، ما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل .

وقال الفربري: كنا عند قتيبة، فسئل عن طلاق السكران، فقال: هذا أحمد وإسحاق وابن المديني قد ساقهم الله إليك، وأشار إلى البخاري .

وقال أبو عمرو الكرماني: حكيت لمهيار بالبصرة عن قتيبة بن سعيد أنه قال: لقد رحل إلي من شرق الأرض وغربها، فما رحل إلي مثل محمد بن إسماعيل، فقال مهيار: صدق، أنا رأيته مع يحيى بن معين، وهما جميعا يختلفان إلى محمد بن إسماعيل، فرأيت يحيى ينقاد له في المعرفة .

وقال محمد بن قتيبة البخاري: كنت عند أبي عاصم النبيل، فرأيت عنده غلاما فقلت له: من أين؟ قال: من بخارى، قلت: ابن من؟ قال: ابن إسماعيل، فقلت: أنت قرابتي، فقال لي رجل عند أبي عاصم :هذا الغلام يناطح الكباش؛ يعني: يقاوم الشيوخ .

وقال إبراهيم بن محمد بن سلام: كان الرتوت من أصحاب الحديث، مثل سعيد ابن أبي مريم، والحجاج بن منهال، وإسماعيل بن أبي أويس، والحميدي، ونعيم بن حماد، والعدني، والخلال، ومحمد بن ميمون، وإبراهيم بن المنذر، وأبي كريب، وأبي سعيد الأشج، وإبراهيم بن موسى يقضون لأبي عبد الله البخاري على أنفسهم في النظر والمعرفة .

قلت: الرتوت، بالراء المهملة، والتاء المثناة من فوق، وبعدها واو، وبعدها تاء مثناة من فوق أيضا، هم الرؤساء، قاله ابن الأعرابي .

وقال أحمد ابن حنبل: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل .

وقال يعقوب الدورقي: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة .

وقال نعيم بن حماد مثله .

وقال بندار: هو أفقه خلق الله في زماننا .

وقال موسى بن قريش: قال عبد الله بن يوسف التنيسي للبخاري: يا أبا عبد الله؛ انظر في كتبي، وأخبرني بما فيها من السقط، قال: نعم .

وقال البخاري: دخلت على الحميدي، وأنا ابن ثمان عشرة سنة، وبينه وبين آخر اختلاف في حديث، فلما بصر بي الحميدي؛ قال: جاء من يفصل بيننا، فعرضا علي، فقضيت للحميدي، وكان الحق معه .

وقال البخاري: قال لي محمد بن سلام البيكندي: انظر في كتبي، فما وجدت فيها من خطأ؛ فاضرب عليه، وقيل: كان محمد بن سلام يقول: كلما دخل علي البخاري؛ تحيرت، ولا أزال خائفا منه.

وقال سليم بن مجاهد: كنت عند محمد بن سلام، فقال: لو جئت قبل؛ لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث .

وقال حاشد بن إسماعيل: رأيت إسحاق ابن راهويه جالسا على المنبر ومحمد ابن إسماعيل معه، فأنكر محمد بن إسماعيل عليه شيئا، فرجع إلى قول محمد، وقال إسحاق: يا معشر أصحاب الحديث؛ انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه، فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن؛ لاحتاج إليه لمعرفته بالحديث وفقهه.

وقال البخاري: أخذ إسحاق ابن راهويه كتاب «التاريخ» الذي صنفه، فأدخله على عبد الله بن طاهر، وقال: يا أيها الأمير؛ ألا أريك سحرا؟.

وقال البخاري: سئل إسحاق بن إبراهيم عمن طلق ناسيا، فسكت طويلا متفكرا، فقلت أنا: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها، مالم تعمل به أو تكلم». وإنما يراد مباشرة هؤلاء الثلاث: العمل والقلب أو الكلام، وهذا لم يعتقد بقلبه، فقال إسحاق: قويتني، وأفتى به.

وقال أبو بكر المديني: كنا يوما عند إسحاق ابن راهويه ومحمد بن إسماعيل حاضر، فمر إسحاق بحديث، ودون صحابيه عطاء الكيخاراني، فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله؛ إيش هي كيخاران؟ قال: قرية باليمن، كان معاوية بعث هذا الرجل الصحابي إلى اليمن، فسمع منه عطاء حديثين، فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله؛ كأنك شهدت القوم .

وقال البخاري: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي ابن المديني، وربما كنت أغرب عليه، قال حامد بن أحمد: فذكر هذا لعلي ابن المديني، فقال: ذروا قوله، هو ما رأى مثل نفسه

وقال أبو الفضل أحمد بن سلمة: حدثني فتح بن نوح النيسابوري: قال: أتيت علي ابن

المديني، فرأيت محمد بن إسماعيل جالسا عن يمينه، وكان إذا حدث؛ التفت إليه كأنه يهابه .
وقال البخاري: كان علي ابن المديني يسألني عن شيوخ خراسان، فكنت أذكر له محمد بن سلام، فلا يعرفه، إلى أن قال لي يوما: يا أبا عبد الله؛ كل من أثنيت عليه؛ فهو عندنا الرضى.
وقال الحسين بن حريث: لا أعلم أني رأيت مثل محمد بن إسماعيل، كأنه لم يخلق إلا للحديث، وقال رجاء بن مرجى: فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء، وقال أيضا: هو آية من الآيات يمشي على وجه الأرض .
وقال البخاري: ذاكرني أصحاب عمرو بن علي الفلاس بحديث، فقلت لا أعرفه، فسروا بذلك، وصاروا إلى عمرو بن علي فقالوا له: ذاكرنا محمد بن إسماعيل بحديث، فلم يعرفه، فقال عمرو بن علي: حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث .
وقال أبو عمرو الكرماني: سمعت عمرو بن علي الفلاس يقول: أبو عبد الله صديقي ليس بخراسان مثله، وقال أبو عيسى الترمذي: كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله بن منير، فقال له لما قام: يا أبا عبد الله؛ جعلك الله زين هذه الأمة، قال أبو عيسى: فاستجيب له فيه .
وقال الفربري: رأيت عبد الله بن منير يكتب عن البخاري، وسمعته يقول :أنا من تلامذته.
قلت: وقد حدث عنه البخاري في «الجامع الصحيح»، وقال: لم أر مثله، وكانت وفاته سنة مات الإمام أحمد ابن حنبل .
وقال أحمد بن الضوء: سمعت أبا بكر ابن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير يقولان: ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل، وكان أبو بكر يسميه البازل؛ يعني :الكامل .
وقال وراق البخاري: سمعت يحيى بن جعفر البيكندي يقول: لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل؛ لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموت محمد بن إسماعيل ذهاب العلم، قال: وسمعته يقول: لولا أنت؛ ما استطعت العيش ببخارى .
وقال عبد الله بن محمد المسندي: محمد بن إسماعيل إمام، فمن لم يجعله إماما؛ فاتهمه، وقال أيضا حفاظ: زماننا ثلاثة: فبدأ بالبخاري .

وقال علي بن حجر: أخرجت خراسان ثلاثة: البخاري، وأبو زرعة، والدارمي، ومحمد بن إسماعيل أبصرهم وأعلمهم وأفقههم .

وقال علي بن حجر أيضا: لا أعلم مثله، وقال أحمد بن إسحاق السرماري: من أراد أن ينظر إلى فقيه بحقه وصدقه؛ فلينظر إلى محمد بن إسماعيل، وقال حاشد بن عبد الله: رأيت عمرو بن زرارة ومحمد بن رافع عند محمد بن إسماعيل وهما يسألان محمد بن إسماعيل عن علل الحديث، فلما قاما؛ قالا لمن حضر المجلس: لا تخدعوا عن أبي عبد الله، فإنه أفقه منا وأعلم وأبصر، قال: وكنا يوما عند إسحاق ابن راهويه وعمرو بن زرارة وهو يستملي على أبي عبد الله، وأصحاب الحديث يكتبون عنه، وإسحاق يقول: هو أبصر مني، قال: وكان محمد يومئذ شابا.

وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي: أخبرني عبد الله بن محمد الفرهياني قال: حضرت مجلس ابن إشكاب، فجاءه رجل، ذكر اسمه من الحفاظ، فقال: مالنا بمحمد بن إسماعيل طاقة، فقام ابن إشكاب وترك المجلس غضبا من التكلم في حق محمد بن إسماعيل .

وقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر: لما مات أحمد بن حرب النيسابوري؛ ركب محمد بن إسماعيل وإسحاق يشيعان جنازته، فكنت أسمع أهل المعرفة بنيسابور ينظرون ويقولون: محمد أفقه من إسحاق.

كلام أقرانه وأتباعه فيه فيمن بعدهم.

قال أبو حاتم الرازي: لم تخرج خراسان قط أحفظ من محمد بن إسماعيل، ولا قدم منها إلى العراق أعلم منه .

وقال محمد بن حريث: سألت أبا زرعة عن ابن لهيعة، فقال: تركه أبو عبد الله، وقال الحسين بن محمد المعروف بعبيد العجل الحافظ: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، ومسلم حافظ، ولكن لم يكن يبلغ مبلغ محمد بن إسماعيل قال: ورأيت أبا زرعة وأبا حاتم يسمعان إليه، وكان أمة من الأمم دينا فاضلا، يحسن كل شيء، وكان أعلم من محمد بن يحيى بكذا وكذا .

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: قد رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق،

فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن إسماعيل، وقال أيضا: هو أعلمنا وأفقهنا وأكثرنا طلبا .

وسئل الدارمي عن حديث قيل له: إن البخاري صححه، فقال: محمد أبصر مني، ومحمد بن إسماعيل أكيس خلق الله، إنه عقل عن الله ما أمر به، ونهى عنه في كتابه وعلى لسان نبيه، إذا قرأ محمد القرآن؛ شغل قلبه وبصره وسمعه، وتفكر في أمثاله، وعرف حرامه من حلاله .

وقال أبو الطيب حاتم بن منصور: محمد بن إسماعيل آية من آيات الله في بصره، ونفاذه في العلم .

وقال أبو سهل محمود بن النضر الفقيه: دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة، وأتيت علماءها، فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل؛ فضلوه على أنفسهم .

وقال أبو سهل أيضا: سمعت أكثر من ثلاثين عالما من علماء مصر يقولون: حاجتنا في الدنيا النظر إلى تاريخ محمد بن إسماعيل .

وقال صالح بن محمد الحافظ الملقب جزرة: ما رأيت خراسانيا أفهم من محمد بن إسماعيل، وقال أيضا: كان أحفظهم للحديث، قال: وكنت أستملي له ببغداد، فبلغ من حضر المجلس عشرين ألفا.

وسئل الحافظ الفضل بن العباس الرازي المعروف بفضلك: محمد بن إسماعيل أحفظ أو أبو زرعة؟ فقال: لم أكن التقيت مع محمد بن إسماعيل، فاستقبلني ما بين حلوان وبغداد قال: فرجعت معه مرحلة، وجهدت كل الجهد على أن أجيء بحديث لا يعرفه، فما أمكنني، وأنا أغرب على أبي زرعة عدد شعره .

وقال أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الدغولي: كتب أهل بغداد إلى محمد بن إسماعيل :

المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد

وقال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة: ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل .

وقال أبو عيسى الترمذي: لم أر أعلم بالعلل ومعرفة الأسانيد من محمد بن إسماعيل، وقال له مسلم بن الحجاج: أشهد أنه ليس في الدنيا مثلك، ولا يبغضك إلا حاسد، وقال الفقيه

الإمام الحافظ أحمد بن سيار المروزي في «تاريخ مرو :«ومحمد بن إسماعيل البخاري طلب العلم، وجالس الناس، ورحل في الحديث، ومهر فيه، وكان حسن المعرفة، حسن الحفظ، وكان يتفقه.

وقال ابن عدي: كان ابن صاعد إذا ذكر البخاري؛ يقول: ذاك الكبش النطاح، وقال أبو عمرو الخفاف رئيس نيسابور: حدثنا التقي النقي العالم الذي لم أر مثله محمد بن إسماعيل قال: وهو أعلم بالحديث من أحمد وإسحاق وغيرهما، بعشرين درجة ومن قال فيه شيئا؛ فعليه مني ألف لعنة، وقال أيضا: لو دخل من هذا الباب؛ لملئت منه رعبا .

وقال عبد الله بن حماد الآملي: وددت أني شعرة في جسد محمد بن إسماعيل .

وقال سليم بن مجاهد: ما رأيت منذ ستين سنة أحدا أفقه ولا أورع ولا أزهد في الدنيا من محمد بن إسماعيل .

وقال موسى بن هارون: عندي لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن ينصبوا مثل محمد بن إسماعيل آخر؛ ما قدروا عليه .

وقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر: سمعت العلماء بالبصرة يقولون :ما في الدنيا مثل محمد بن إسماعيل في المعرفة والصلاح، قال عبد الله: وأنا أقول قولهم .

وقال الحافظ أبو العباس بن عقدة: لو أن رجلا كتب ثلاثين ألف حديث؛ لما استغنى عن «تاريخ محمد بن إسماعيل».

وقال الحاكم أبو أحمد في «الكنى»: كان أحد الأئمة في معرفة الحديث وجمعه، ولو قلت: إني لم أر تصنيف أحد يشبه تصنيفه في الحسن والمبالغة؛ رجوت أن أكون صادقا في قولي .

وقال الدارقطني: لولا البخاري؛ لما راح مسلم ولا جاء .

وقال الحاكم أبو عبد الله في «تاريخه»: محمد بن إسماعيل إمام أهل الحديث بلا خلاف أعرفه بين أئمة النقل إلا من حاسد .

وكلام العلماء والأئمة فيه قديما وحديثا أكثر من أن يحصى، وإنما أشرت بما كتبت ههنا إلى ما تركت، والله الموفق.

ذكر سعة حفظه وسيلان ذهنه سوى ما تقدم :

أخبرنا أحمد بن عمر اللؤلؤي فيما قرأت عليه، عن الحافظ أبي الحجاج المزي: أن يوسف بن يعقوب أخبره: أخبرنا أبو اليمن الكندي: أخبرنا أبو منصور القزاز: أخبرنا أبو بكر الخطيب: حدثني محمد بن أبي الحسن الساحلي: حدثنا أحمد بن الحسن الرازي: سمعت أبا أحمد بن عدي يقول: سمعت عدة مشايخ يقولون :إن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا، وعمدوا إلى مئة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوها إلى عشرة أنفس، لكل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري، وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله؛ انتدب رجل من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاري: لا أعرفه، فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه، فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: فهم الرجل، ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم، ثم انتدب رجل آخر من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه، ثم انتدب له الثالث والرابع إلى تمام العشرة، حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على: لا أعرفه، فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا؛ التفت إلى الأول منهم، فقال: أما حديثك الأول؛ فهو كذا وصوابه كذا، وحديثك الثاني؛ فهو كذا، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها، فأقر الناس له بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل .

قلت: هنا نخضع للبخاري، فما العجب من رده الخطأ إلى الصواب، بل العجب من حفظه

للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة .

وقد روينا عن أبي بكر الكلوذاني قال: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، كان يأخذ الكتاب من العلم فيطلع إليه اطلاعة، فيحفظ عامة أطراف الأحاديث من مرة واحدة، وقد سبق ما حكاه حاشد بن إسماعيل في أيام طلبهم معه بالبصرة، وكونه كان يحفظ ما يسمع، ولا يكتب .

وقال أبو الأزهر: كان بسمرقند أربع مئة محدث، فتجمعوا وأحبوا أن يغالطوا محمد بن إسماعيل، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وإسناد اليمن في إسناد الحرم، فما تعلقوا منه بسقطة .

وقال غنجار في «تاريخه»: سمعت أبا القاسم منصور بن إسحاق بن إبراهيم الأسدي يقول: سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم الداغوني يقول **:**سمعت يوسف بن موسى المروروذي يقول: كنت بالبصرة في جامعها إذ سمعت مناديا ينادي: يا أهل العلم؛ لقد قدم محمد بن إسماعيل البخاري، فقاموا في طلبه وكنت معهم، فرأينا رجلا شابا، لم يكن في لحيته بياض، فصلى خلف الأسطوانة، فلما فرغ من الصلاة؛ أحدقوا به، وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء، فأجابهم إلى ذلك، فقام المنادي ثانية فنادى في جامع البصرة: لقد قدم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، فسألناه بأن يعقد مجلس الإملاء، فأجاب بأن يجلس غدا في موضع كذا، فلما كان بالغداة؛ حضر الفقهاء والمحدثون والحفاظ والنظارة حتى اجتمع قريب من كذا وكذا ألف نفس، فجلس أبو عبد الله للإملاء، فقال قبل أن يأخذ في الإملاء: يا أهل البصرة؛ أنا شاب، وقد سألتموني أن أحدثكم، وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدونها؛ يعني: ليست عندكم، قال: فتعجب الناس من قوله، فأخذ في الإملاء فقال: حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد العتكي بلديكم: حدثنا أبي عن شعبة، عن منصور وغيره، عن سالم بن أبي الجعد، عن أنس بن مالك: أن أعرابيا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله؛ الرجل يحب القوم...؛ الحديث، ثم قال: هذا ليس عندكم، إنما عندكم عن غير منصور قال يوسف بن موسى: وأملى عليهم مجلسا على هذا النسق،

فيقول في كل حديث: روى فلان هذا الحديث عندكم كذا، فأما من رواية فلان؛ يعني: التي يسوقها؛ فليست عندكم .

وقال حمدويه بن الخطاب: لما قدم البخاري قدمته الأخيرة من العراق وتلقاه من تلقاه من الناس وازدحموا عليه وبالغوا في بره؛ فقيل له في ذلك :فقال: فكيف لو رأيتم يوم دخولنا البصرة؟

أنبئت عن أبي نصر بن الشيرازي عن جده: أن الحافظ أبا القاسم بن عساكر أخبره: أخبرنا إسماعيل بن أبي صالح .

(ح): وقرأته عاليا على أبي بكر الفرضي عن القاسم بن مظفر: أخبرنا علي بن الحسين عن الحافظ أبي الفضل بن ناصر وأبي الفضل الميهني؛ قالا: أخبرنا أبو بكر بن خلف: قال ابن ناصر إجازة: أخبرنا الحاكم: حدثني أبو سعيد أحمد بن محمد النسوي: حدثني أبو حسان مهيب بن سليم: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري (1)قال: اعتللت بنيسابور علة خفيفة، وذلك في شهر رمضان، فعادني إسحاق ابن راهويه في نفر من أصحابه، فقال لي: أفطرت يا أبا عبد الله؟! فقلت: نعم، فقال: خشيت أن تضعف عن قبول الرخصة، فقلت: أخبرنا عبدان عن ابن المبارك، عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: من أي المرض أفطر؟ فقال: من أي مرض كان، كما قال الله عز وجل: {فمن كان منكم مريضا} [البقرة: 184] قال البخاري: لم يكن هذا عند إسحاق .

قلت: هذا رواه عبد الرزاق في «مصنفه» عن ابن جريج أيضا، فلعله فات إسحاق .

وقال محمد بن أبي حاتم وراق البخاري: سمعته يقول: لو نشر بعض أستاذي هؤلاء؛ لم يفهموا كيف صنفت «التاريخ» ولا عرفوه، ثم قال: صنفته ثلاث مرات .

وقال أحيد بن أبي جعفر والي بخارى: قال لي محمد بن إسماعيل يوما: رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر، فقلت له: يا أبا عبد الله؛ بتمامه؟ فسكت .

وقال سليم بن مجاهد: قال لي محمد بن إسماعيل: لا أجيء بحديث عن الصحابة أو التابعين

إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثا من حديث الصحابة، والتابعين ــيعني: من الموقوفاتــ إلا ولي في ذلك أصل أحفظه حفظا عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقال علي بن الحسين بن عاصم البيكندي: قدم علينا محمد بن إسماعيل، فقال له رجل من أصحابنا: سمعت إسحاق ابن راهويه يقول: كأني أنظر إلى سبعين ألف حديث من كتابي، فقال محمد بن إسماعيل: أو تعجب من هذا؟! لعل في هذا الزمان من ينظر إلى مئتي ألف حديث من كتابه، وإنما عنى نفسه .

وقال محمد بن حمدويه: سمعت البخاري يقول: أحفظ مئة ألف حديث صحيح، وأحفظ مئتي ألف حديث غير صحيح .

وقال له وراقه: تحفظ جميع ما أدخلت في «المصنف»؟ فقال: لا يخفى علي جميع ما فيه، وصنفت جميع كتبي ثلاث مرات .

قال: وبلغني أنه شرب البلاذر، فسألته خلوة: هل من دواء للحفظ؟ فقال: لا أعلم، ثم أقبل علي فقال: لا أعلم شيئا أنفع للحفظ من نهمة الرجل ومداومة النظر .

وقال: أقمت بالمدينة بعد أن حججت سنة جرداء أكتب الحديث، قال: وأقمت بالبصرة خمس سنين معي كتبي أصنف وأحج في كل سنة، وأرجع من مكة إلى البصرة، قال: وأنا أرجو أن الله تعالى يبارك للمسلمين في هذه المصنفات.

وعن البخاري قال: تذكرت يوما أصحاب أنسي، فحضرني في ساعة ثلاث مئة نفس، وما قدمت على شيخ إلا كان انتفاعه بي أكثر من انتفاعي به.

وقال وراقه: عمل كتابا في الهبة، فيه نحو خمس مئة حديث، وقال: ليس في كتاب وكيع في الهبة إلا حديثان مسندان أو ثلاثة، وفي كتاب ابن المبارك خمسة أو نحوه .

وقال وراقه: سمعته يقول: ما نمت البارحة حتى عددت كم أدخلت في تصانيفي من الحديث، فإذا نحو مئتي ألف، وقال أيضا: لو قيل لي شيء؛ لما قمت حتى أروي عشرة آلاف حديث في الصلاة خاصة، وقال: ما جلست للتحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم، وحتى

نظرت في كتب أهل الرأي، وما تركت بالبصرة حديثا إلا كتبته.

قال: وسمعته يقول: لا أعلم شيئا يحتاج إليه إلا وهو في الكتاب والسنة، قال: فقلت له: يمكن معرفة ذاك؟ قال: نعم.

وقال أحمد بن حمدون الحافظ: رأيت البخاري في جنازة ومحمد بن يحيى الذهلي يسأله عن الأسماء والعلل، والبخاري يمر فيه مثل السهم، كأنه يقرأ: {قل هو الله أحد} [الإخلاص:1]

ذكر سبب تصنيفه «الجامع»

قرأت على أحمد بن عمر اللؤلؤي، عن الحافظ أبي الحجاج المزي: أن يوسف بن يعقوب أخبره: أخبرنا أبو اليمن الكندي: أخبرنا أبو منصور القزاز: أخبرنا الخطيب: أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب: أخبرنا محمد بن نعيم: سمعت خلف بن محمد البخاري ببخارى يقول: سمعت إبراهيم بن معقل النسفي يقول: قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: كنت عند إسحاق ابن راهويه، فقال لنا بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب؛ يعني: «الصحيح».

وقال إبراهيم بن معقل: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صح، وتركت من الصحاح؛ كيلا يطول الكتاب.

أنبئت عن غير واحد، عن جعفر بن علي: أن السلفي أخبره: أخبرنا الرازي :أخبرنا عبد الله بن الوليد: حدثنا أحمد بن الحسن بن بندار: حدثنا ابن عدي :سمعت الحسن بن الحسين البزار يقول: سمعت إبراهيم بن معقل يقول ذلك .

وقال محمد بن سليمان بن فارس: سمعت البخاري يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم كأنني واقف بين يديه، وبيدي مروحة أذب عنه، فسألت عنه بعض المعبرين، فقال لي: أنت تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج «الصحيح».

وقال أبو الفضل بن طاهر الحافظ: كان البخاري عمل قبل كتاب «الصحيح» كتابا يقال له: «المبسوط»، وجمع فيه جميع حديثه على الأبواب، ثم نظر إلى أصح الحديث على ما يرسمه، فأخرجه بجميع طرقه، فربما صح الحديث عنده من طرق، فأخرجه بجميع طرقه الصحيحة، فلو

أخرج طريقا واحدا منها؛ لاستدرك عليه الثاني، ولو أخرجها كلها في موضع واحد؛ احتاج في الباب الآخر إلى حديث موافق للمعنى الذي سطر له الباب، فكأنه رأى أن يوردها على المعاني التي فيها في كل باب يدخل ذلك الحديث فيه، قال: وعندي أن إعادته الحديث مما يدل على فضله وفقهه وكثرة حديثه، فإنه يستخرج من الحديث الواحد المعاني الكثيرة الفقهية، ثم يستدل بكل معنى في باب بإسناد آخر بالحديث عن شيخ، عن غير الشيخ الذي حدث به في الباب المتقدم، وقل ما يورد في كتابه حديثا في موضعين بإسناد واحد ولفظ واحد، وإنما يكرره على هذه القاعدة.

وقال أبو الهيثم الكشميهني: سمعت محمد بن يوسف الفربري يقول: قال محمد بن إسماعيل البخاري: ما وضعت في كتاب «الصحيح» حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين .

وقال البخاري: صنفت «الصحيح» في ست عشرة سنة، وخرجته من ست مئة ألف حديث، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله، وفي رواية عنه: خرجته من زهاء ست مئة ألف حديث.

وقال أبو سعد الإدريسي: أخبرنا سليمان بن داود المهروي: سمعت عبد الله بن محمد بن حامد بن هاشم يقول: قال عمر بن محمد بن بجير: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: صنفت كتابي «الجامع» في المسجد الحرام، وما أدخلت فيه حديثا حتى استخرت الله تعالى، وصليت ركعتين، وتيقنت صحته. قال ابن طاهر: الأصح أنه صنفه ببخارى .

قلت: قد تقدم عنه أنه صنفه في ست عشرة سنة، فيحتمل أنه كان يصنفه في البلاد التي يرحل إليها، فلا تنافي بين القولين .

وقال الفربري: سمعت وراق البخاري يقول: رأيت البخاري في المنام خلف النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم يمشي، فكلما رفع النبي صلى الله عليه وسلم قدمه؛ وضع أبو عبد الله قدمه في ذلك الموضع .

أخبرنا أبو العباس البغدادي عن يوسف بن أبي الزهر الحافظ: أن أبا الفتح الشيباني أخبره: أخبرنا زيد بن الحسن: أخبرنا عبد الرحمن بن محمد: أخبرنا أحمد بن علي الحافظ: أخبرنا أبو

سعد الماليني: أخبرنا أبو أحمد بن عدي :سمعت الفربري يقول: سمعت نجم بن فضيل وكان من أهل الفهم يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام خرج من قرية والبخاري يمشي خلفه، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطا خطوة يخطو محمد ويضع قدمه على خطوة النبي صلى الله عليه وسلم .

وبه إلى أحمد بن علي قال: كتب إلي علي بن محمد بن محمد بن الحسين الجرجاني من أصبهان: أنه سمع أبا محمد بن مكي يقول: سمعت الفربري يقول :رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال لي: أين تريد؟ فقلت: أريد محمد بن إسماعيل البخاري، فقال: أقرئه مني السلام .

قرأنا على فاطمة وعائشة ابنتي المحتسب محمد بن عبد الهادي بصالحية دمشق: أخبركم أحمد بن أبي طالب عن عبد الله بن عمر بن علي: أن أبا الوقت أخبره: أخبرنا شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري: أخبرنا أحمد بن محمد بن إسماعيل الهروي: سمعت خالد بن عبد الله المروزي يقول: سمعت أبا سهل محمد بن أحمد المروزي يقول: سمعت أبا زيد المروزي الفقيه يقول: كنت نائما بين الركن والمقام، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي: يا أبا زيد، إلى متى تدرس كتاب الشافعي، ولا تدرس كتابي؟ فقلت: يا رسول الله؛ وما كتابك؟ قال: جامع محمد بن إسماعيل .

قلت: إسناد هذه الحكاية صحيح، ورواتها ثقات أئمة، وأبو زيد من كبار الشافعية له وجه في المذهب، وقد سمع «صحيح البخاري» من الفربري، وحدث به عنه وهو أجل من حدث به عن الفربري .

وقال أبو عبد الرحمن النسائي: ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل .

وقال العقيلي: لما ألف البخاري كتاب «الصحيح»؛ عرضه على علي ابن المديني، وأحمد ابن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهم فاستحسنوه، وشهدوا له بالصحة، إلا أربعة أحاديث قال العقيلي: والقول فيها قول البخاري، وهي صحيحة.

فصل في بيان شرطه فيه، وما اتصل بذلك من قصته مع الذهلي:

أخبرنا أبو الفرج بن حماد: أخبرنا يونس بن أبي إسحاق عن علي بن الحسين :أخبرنا المبارك بن أحمد في كتابه: قال: قال أبو الفضل محمد بن طاهر الحافظ: اعلم أن شرط البخاري ومسلم أن يخرجا الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور، من غير اختلاف بين الثقات الأثبات، ويكون إسناده متصلا غير مقطوع، وإن كان للصحابي راويان فصاعدا؛ فحسن، وإن لم يكن له إلا راو واحد وصح الطريق إليه؛ أخرجاه .

قال: وأما ما أخبرنا أبو بكر بن خلف عن الحاكم أبي عبد الله قال: القسم الأول من «الصحيح» اختيار البخاري ومسلم، وهو الدرجة الأولى من الصحيح، ومثاله الحديث الذي يرويه الصحابي المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وله راويان ثقتان، ثم يرويه عنه التابعي المشهور بالرواية عن الصحابي وله راويان ثقتان، ثم يرويه عنه من أتباع التابعين الحافظ المتقن المشهور، وله رواة من الطبقة الرابعة، ثم يكون شيخ البخاري ومسلم حافظا متقنا مشهورا.

قال ابن طاهر: وهذا الشرط حسن لو كان موجودا في كتابيهما إلا أن قاعدته منتقضة بأن البخاري أخرج حديث المسيب بن حزن ولم يرو عنه غير ابنه سعيد، وحديث عمرو بن تغلب، ولم يرو عنه غير الحسن البصري، وغير ذلك، فبان أن القاعدة انتقضت على الحاكم .

أخبرنا أبو الحسن بن أبي المجد عن محمد بن يوسف: أن العلامة تقي الدين بن الصلاح أخبره: قال: أول من صنف في الصحيح أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، وتلاه مسلم بن الحجاج قال: وكتاباهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز.

وأما ما رويناه عن الإمام الشافعي من أنه قال: ما أعلم في الأرض كتابا في العلم أكثر صوابا من كتاب مالك، ومنهم من رواه بغير هذا اللفظ، فإنما قال ذلك: قبل وجود الكتابين، ثم إن كتاب البخاري أصح الكتابين صحيحا وأكثرهما فوائد.

وأما ما رويناه عن أبي علي الحافظ النيسابوري أستاذ الحاكم من أنه قال :ما تحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب مسلم بن الحجاج، فهذا وقول من فضل من شيوخ المغرب

كتاب مسلم على كتاب البخاري إن كان المراد به أن كتاب مسلم يترجح بأنه لم يمازجه غير الصحيح، فإنه ليس فيه بعد خطبته إلا الحديث الصحيح مسرودا غير ممزوج بمثل ما في كتاب البخاري في تراجم أبوابه من الأشياء التي لم يسندها على الوصف المشروط في الصحيح، فهذا لا بأس به، وليس يلزم منه أن كتاب مسلم أرجح فيما يرجع إلى نفس الصحيح على كتاب البخاري، وإن كان المراد به أن كتاب مسلم أصح صحيحا؛ فهذا مردود على من يقوله.

وقرأت بخط العلامة أبي زكريا النووي رحمه الله : واتفق الجمهور على أن صحيح البخاري أصحهما صحيحا وأكثرهما فوائد، قال: وقال الحافظ أبو علي النيسابوري وبعض علماء المغرب: «صحيح مسلم» أصح، وأنكر العلماء عليهم ذلك، والصواب ترجيح «صحيح البخاري". قلت: لم يصرح أبو علي بأن كتاب مسلم أصح من كتاب البخاري، بل المنقول عنده ما قدمناه بلفظه، ولعل مراده هو الذي تخيله ابن الصلاح، ثم ظهر لي مراد أبي علي، وهو أن مسلما لما صنف كتابه؛ صنفه ببلده من كتبه، فألفاظ المتون التي عنده محررة، والبخاري صنفه في بلاد كثيرة في سنين عديدة، وكتب منه كثيرا من حفظه، فوقع في بعض المتون رواية بالمعنى واختصار وحذف؛ فلذا قال أبو علي ما قال، مع أن قوله معارض بقول الحاكم أبي أحمد الكرابيسي أستاذ الحاكم أيضا، فإنه قال فيما أخبرنا عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبيد الله عن أحمد بن بيان، عمن سمع السلفي: أخبرنا إسماعيل بن عبد الجبار: أخبرنا الحافظ أبو يعلى الخليلي: سمعت عبد الرحمن بن محمد بن فضالة يقول: سمعت أبا أحمد الكرابيسي الحافظ رحمه الله يقول: رحم الله محمد بن إسماعيل الإمام، فإنه الذي ألف الأصول، وبين للناس، وكل من عمل بعده؛ فإنما أخذه من كتابه، كمسلم بن الحجاج، فرق أكثر كتابه في كتابه، وتجلد فيه حق الجلادة؛ حيث لم ينسبه إليه، ومنهم من أخذ كتابه، فنقله بعينه إلى نفسه؛ كأبي زرعة وأبي حاتم، فإن عاند الحق معاند فيما ذكرت؛ فليس يخفى صورة ذلك على ذوي الألباب.

وقال الإسماعيلي في كتاب «المدخل» له: أما بعد: فإني نظرت في «الجامع «الذي ألفه أبو

عبد الله البخاري، فرأيته كتابا جامعا ــ كما سمي ــ لكثير من السنن الصحيحة، ودالا على جمل من المعاني الحسنة المستنبطة التي لا يكمل لمثلها إلا من جمع إلى معرفة علم الحديث ونقلته، والعلم بالروايات وعللها، علما بالفقه واللغة، وتمكنا منها كلها، وتبحرا فيها، وكان ــ يرحمه الله ــ الرجل الذي قصر زمانه وعمره على تتبع الأخبار، وطلبها من مظانها، وعانى الرحل فيها، والإقامة على أهلها في كل مصر من الأمصار المعروفة، وقصد من كان معروفا في عصره في عامة الأطراف؛ من المحدثين المشهورين بالمعرفة، فبرع في ذلك، وبلغ الغاية، واجتهد في حسن الوصف والتأليف، فحاز قصب السبق في ذلك، وجمع إلى ذلك كله حسن النية والقصد للخير، فنفعه الله ونفع به.

قال الإسماعيلي: وقد سمعت من يحكي عنه أنه قال: لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحا، وما تركت من الصحيح أكثر.

قال الإسماعيلي: فإخراجه ما أخرج صحيح محكوم بصحته، وليس ترك ما ترك حكما منه بإبطاله، وقد نحا نحوه ممن عرفته من المؤلفين جماعة منهم؛ الحسن بن علي الحلواني الخلال، فجمع ولم يفصل، واقتصر على اليسير من الكثير.

ومنهم أبو داود السجستاني وهو في عصر أبي عبد الله، فسلك فيما سلكه سننا، ذكر ما روي في الشيء، وإن كان في السند ضعف إذا لم يرو فيها غيره، وذكر الشيء وخلافه في الظاهر من غير تنبيه على مخرجها.

ومنهم مسلم بن الحجاج، وهو أيضا يقارب أبا عبد الله في العصر، فرام مرامه، وكان أيضا ممن يأخذ عنه أو عن كتبه، إلا أنه لم يضايق نفسه مضايقة أبي عبد الله، وروى عن جماعة كثيرة، لم يعترض محمد بن إسماعيل للرواية عنهم، وكل قصد الخير، وما هو الصواب عنده، غير أن أحدا منهم لم يبلغ من التشديد مبلغ أبي عبد الله، ولا تسبب إلى استنباط المعاني واستخراج لطائف فقه الحديث وتراجم الأبواب الدالة على ماله وصلة بالحديث المروي فيه تسببه، ولله الفضل، يختص به من يشاء.

قلت: ومما يرجح به كتاب البخاري اشتراطه اللقي في الإسناد المعنعن، وهو مذهب علي ابن

المديني شيخه، وعليه العمل من المحققين من أهل الحديث بخلاف مسلم، فإنه ذكر في خطبة كتابه: أنه يكتفي بإمكان اللقي والمعاصرة، ونقل فيه الإجماع وهو منتقض عليه، وزعم أن الذي شرط اللقي اخترع شيئا لم يوافقه عليه أحد، وليس كذلك، بل هو المتعين، ومنه يظهر أن شرط البخاري أضيق في شرطه؛ فلذا كان كتاب البخاري أشد تحريا وأقوى توقيا، وقد قال الإمام الحافظ الناقد الذي لم تخرج بغداد مثله أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني: لولا البخاري؛ لما راح مسلم ولا جاء، هذا مع اعتراف مسلم للبخاري بالفضل والتقدم في الفن، ومسألته إياه عن العلل، ورجوعه إليه فيها، ومعاداته لمحمد بن يحيى الذهلي شيخ بلده لأجله، فقد قرأت على عبد الله بن محمد المقدسي: أنبأكم أحمد بن نعمة شفاها عن جعفر بن علي: أن السلفي أخبره : أخبرنا أبو الفتح الماكي القاضي: أخبرنا الخليل بن عبد الله الحافظ : أخبرني أبو محمد المخلدي في كتابه: أخبرنا أبو حامد الأعمش الحافظ: قال: كنا عند محمد بن إسماعيل البخاري بنيسابور، فجاء مسلم بن الحجاج فسأله عن حديث عبيد الله بن عمر، عن أبي الزبير، عن جابر قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية ومعنا أبو عبيدة...؛ الحديث بطوله، فقال البخاري :حدثنا ابن أبي أويس: حدثنا أخي عن سليمان بن بلال، عن عبيد الله...؛ وذكر الحديث بتمامه، قال: فقرأ عليه إنسان حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج، عن موسى بن عقبة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كفارة المجلس واللغو إذا قام العبد أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»، فقال مسلم: في الدنيا أحسن من هذا الحديث؟ ابن جريج عن موسى بن عقبة، عن سهيل بن أبي صالح، تعرف بهذا الإسناد في الدنيا حديثا؟ فقال: محمد بن إسماعيل إلا أنه معلول، قال مسلم: لا إله إلا الله وارتعد: أخبرني به قال: استر ما ستر الله، هذا حديث جليل رواه الناس عن حجاج، عن ابن جريج، فألح عليه وقبل رأسه وكاد أن يبكي، فقال: اكتب إن كان ولا بد: حدثنا موسى بن إسماعيل: حدثنا وهيب: حدثنا موسى بن عقبة عن عون بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كفارة المجلس...»، فقال له مسلم: لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد

أن ليس في الدنيا مثلك. قلت: إسناد هذه الحكاية صحيح .

وقد رواها الحاكم في «تاريخ نيسابور» عن أبي محمد المخلدي، وقد رويت على لفظ آخر، فقرأت على أبي محمد بن قدامة بصالحية دمشق، عن محمد بن أحمد بن أبي الهيجاء: أن الحافظ أبا علي البكري أخبره: أخبرنا القاسم بن عبد الله بن عمر: أخبرنا وجيه بن طاهر: أخبرنا أحمد بن علي بن خلف.

(ح): وأنبئت عن أبي نصر بن الشيرازي عن جده: أن الحافظ أبا القاسم بن عساكر أخبره: أخبرنا أبو المعالي الفارسي: أخبرنا أبو بكر البيهقي؛ قالا :أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ: سمعت أبا نصر أحمد بن محمد الوراق يقول: سمعت أحمد بن حمدون القصار يقول: سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري، فقبل بين عينيه، وقال: دعني حتى أقبل رجليك، يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين، وطبيب الحديث فيعلله: حدثك محمد بن سلام: حدثنا مخلد بن يزيد الحراني: أخبرنا ابن جريج :حدثني موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في كفارة المجلس...، إلى هنا اتفقا.

زاد البيهقي في روايته فقال: محمد بن إسماعيل وحدثنا أحمد ابن حنبل ويحيى بن معين؛ قالا: حدثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج: حدثني موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في كفارة المجلس: «أن يقول إذا قام من مجلسه: سبحانك ربنا وبحمدك»، فقال محمد بن إسماعيل: هذا حديث مليح، ولا أعلم بهذا الإسناد في الدنيا حديثا غير هذا إلا أنه معلول: حدثنا به موسى بن إسماعيل: حدثنا وهيب: حدثنا سهيل عن عون بن عبد الله قوله: قال محمد بن إسماعيل: هذا أولى، ولا يذكر لموسى بن عقبة مسندا عن سهيل، هذا لفظ رواية البيهقي، وفي رواية الآخر: فقال محمد بن إسماعيل: لا أعلم في الباب غير هذا الحديث الواحد، كذا وقع في «علوم الحديث» للحاكم، وهو وهم لا يتصور وقوعه من مثل البخاري؛ لأن في الباب جملة أحاديث من غير هذا الوجه، والله أعلم .

وقال الحاكم في «التاريخ»: لما استوطن البخاري نيسابور؛ أكثر مسلم بن الحجاج الاختلاف إليه، فلما وقع بين الذهلي وبين البخاري ما وقع بسبب مسألة اللفظ ومنع الناس عنه؛ انقطعوا عنه إلا مسلم بن الحجاج وأحمد بن سلمة، فقال الذهلي: إلا من قال باللفظ، فلا يحل له أن يحضر مجلسنا، فأخذ مسلم رداءه فوق عمامته، وقام على رؤوس الناس، وبعث إلى الذهلي ما كان كتب عنه على ظهر حمال.

قال الحاكم: قدم البخاري سنة خمسين ومئتين، فأقام بها خمس سنين يحدث على الدوام، فسمعت محمد بن حامد البزاز يقول: سمعت الحسن بن محمد بن جابر يقول: سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول: اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح العالم؛ فاسمعوا منه، قال: فذهب الناس إليه، وأقبلوا على السماع منه حتى ظهر الخلل في مجلس محمد بن يحيى، فتكلم فيه بعد .

وقال حاتم بن أحمد بن محمود: سمعت مسلم بن الحجاج يقول: لما قدم محمد بن إسماعيل نيسابور؛ ما رأيت واليا ولا عالما فعل به أهل نيسابور ما فعلوا بمحمد بن إسماعيل، استقبلوه مرحلتين من البلد أو ثلاثة .

وقال محمد بن يحيى الذهلي في مجلسه: من أراد أن يستقبل محمد بن إسماعيل غدا؛ فليستقبله، فإني أستقبله، فاستقبله محمد بن يحيى وعامة علماء نيسابور، فدخل البلد فقال لنا محمد بن يحيى: لا تسألوه عن شيء من الكلام؛ فإنه إن أجاب بخلاف ما نحن عليه؛ وقع بيننا وبينه، وشمت بنا كل ناصبي ورافضي وكل جهمي ومرجئ بخراسان قال: فازدحم الناس على محمد بن إسماعيل حتى امتلأت الدار والسطوح، فلما كان اليوم الثاني أو الثالث من قدومه؛ قام إليه رجل فسأله عن اللفظ بالقرآن، فقال: أفعالنا مخلوقة، وألفاظنا من أفعالنا، قال: فوقع بين الناس اختلاف، فقال: بعضهم قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وقال:بعضهم: لم يقل، فوقع بينهم اختلاف حتى قام بعضهم إلى بعض، فاجتمع أهل الدار فأخرجوهم .

وقال: أبو أحمد بن عدي ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل لما ورد نيسابور واجتمع الناس عليه؛ حسده بعض من كان في ذلك الوقت من المشايخ؛ لما رأى من إقبال الناس عليه، فقال لأصحاب الحديث: إن محمد بن إسماعيل يقول: اللفظ بالقرآن مخلوق،

فامتحنوه، فلما حضر الناس مجلس البخاري؛ قام إليه رجل فقال: يا أبا عبد الله؛ ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو أو غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجبه ثلاثا، فالتفت إليه البخاري في الثالثة فقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة، والامتحان بدعة، فشغب الرجل وشغب الناس، وتفرقوا عنه .

وقال الحاكم: حدثنا أبو بكر بن الهيثم: حدثنا الفربري: قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أما أفعال العباد مخلوقة؛ فقد حدثنا علي بن عبد الله :حدثنا مروان بن معاوية: حدثنا أبو مالك عن ربعي، عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته»، قال: وسمعت عبيد الله بن سعيد يقول: سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون :إن أفعال العباد مخلوقة، قال محمد بن إسماعيل: حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المبين: المثبت في المصحف الموعى في القلوب؛ فهو كلام الله غير مخلوق، قال الله تعالى: {بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم} العنكبوت: 49

قال: وقال إسحاق ابن راهويه: أما الأوعية؛ فمن يشك أنها مخلوقة؟ وقال أبو حامد بن الشرقي: سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن زعم لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو مبتدع، لا يجالس ولا يكلم، ومن ذهب بعد هذا إلى محمد بن إسماعيل؛ فاتهموه؛ فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مذهبه .

قلت: لم يصرح البخاري قط بقوله: لفظي بالقرآن مخلوق، بل كان يتبرأ منها، ويكذب من عزاها إليه، مع اعتقاده أن حركة اللسان مخلوقة، فقرأت على فاطمة بنت المنجى بدمشق، عن سليمان بن حمزة: أن الضياء محمد بن عبد الواحد الحافظ أخبرهم: أخبرنا السلفي في كتابه: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار :أخبرنا هناد بن إبراهيم: أخبرنا محمد بن أحمد بن سليمان الحافظ: حدثنا خلف بن محمد بن إسماعيل: سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر النيسابوري الخفاف ببخارى يقول: كنا يوما عند أبي إسحاق القرشي ومعنا محمد بن نصر المروزي، فجرى ذكر محمد بن إسماعيل، فقال محمد بن نصر: سمعته يقول: من زعم أني قلت:

لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو كذاب، فإني لم أقله، فقلت له: يا أبا عبد الله؛ قد خاض الناس في هذا فأكثروا، فقال: ليس إلا ما أقول لك، قال أبو عمرو: فأتيت البخاري فناظرته في شيء من الحديث حتى طابت نفسه، فقلت: يا أبا عبد الله؛ ههنا أحد يحكي عنك أنك تقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فقال: يا أبا عمرو؛ احفظ ما أقول لك، من زعم من أهل نيسابور وغيرها_سمى بلادا كثيرة_ أني قلت :لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو كذاب، فإني لم أقله إلا أني قلت: أفعال العباد مخلوقة .

وقال الحاكم: سمعت محمد بن صالح بن هانئ يقول: سمعت أحمد بن سلمة يقول: دخلت على البخاري، فقلت: يا أبا عبد الله؛ إن هذا الرجل _ يعني: الذهلي_ مقبول بخراسان، خصوصا في هذه المدينة، وقد لح في هذا الحديث حتى لا يقدر أحد منا أن يكلمه فيه فما ترى، فقبض على لحيته ثم قال :{وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد} [غافر: 44] اللهم؛ إنك تعلم أني لم أرد المقام بنيسابور أشرا ولا بطرا ولا طلبا للرئاسة، وإنما أبت علي نفسي الرجوع إلى الوطن؛ لغلبة المخالفين، وقد قصدني هذا الرجل حسدا لما آتاني الله لا غير، ثم قال: يا أحمد؛ إني خارج غدا لتتخلصوا من حديثه لأجلي.

وقال الحافظ أبو عبد الله بن الأخرم: لما قام مسلم بن الحجاج وأحمد بن سلمة من مجلس محمد بن يحيى بسبب البخاري؛ قال الذهلي: لا يساكنني هذا الرجل في البلد، فخشي البخاري وسافر.

وقال الحاكم: سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه: سمعت محمد بن نعيم يقول: سألت محمد بن إسماعيل لما وقع في شأنه ما وقع عن الإيمان فقال: قول وعمل، ويزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق، وأفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، على هذا حييت، وعليه أموت، وعليه أبعث إن شاء الله.

فصل في ذكر الرواة عن البخاري :

قد أسلفنا أن الناس كتبوا عنه على باب الفريابي وهو أمرد، وما زالوا يكتبون عنه، ويستفيدون منه إلى أن مات، وإنما نذكر ههنا رواة كتبه، ثم مشاهير الحفاظ؛ ممن وقعت لنا روايته عنه في

المسانيد والأجزاء، فأشهرهم بالرواية عنه: الفربري محمد بن يوسف بن مطر بن صالح، روى عنه «الجامع الصحيح»، وكتاب «خلق أفعال العباد» وغير ذلك، وروايته لـ«الصحيح» أتم الروايات، وحماد بن شاكر روى عنه «الصحيح» إلا أوراقا من آخره رواها بالإجازة، وكذلك إبراهيم بن معقل النسفي الحافظ، ومهيب بن سليم، وأبو طلحة منصور بن محمد بن علي البزدوي، وهو آخر من كان يروي «الصحيح» عن البخاري موتا، قاله ابن ماكولا وابن نقطة وغيرهما، وأطلق جعفر المستغفري الحافظ أنه آخر من حدث عن البخاري وليس جيدا؛ لأن الحسين بن إسماعيل البخاري عاش بعده مدة، وكان عنده عن البخاري جملة أحاديث .

وأما قول محمد بن يوسف الفربري: سمع «الجامع» من محمد بن إسماعيل تسعون ألفا، لم يبق منهم غيري؛ فلعله لم يشعر ببقاء البزدوي المذكور.

ومن الرواة عن البخاري: أحمد بن محمد بن الجليل البزاز، وهو بالجيم، روى عنه كتاب «الأدب المفرد».

ومحمود بن إسحاق الخزاعي، روى عنه كتاب «رفع اليدين في الصلاة»، وجزء «القراءة خلف الإمام»، وهو آخر من حدث عنه ببخارى .

ويوسف بن ريحان بن عبد الصمد، روى عنه كتاب «خلق أفعال العباد» .

ومحمد بن دلويه الوراق روى عنه كتاب «بر الوالدين» .

وأبو أحمد محمد بن سليمان بن فارس روى عنه «التاريخ الكبير» وكذلك أبو الحسن محمد بن سهل الفسوي. وعبد الله بن أحمد بن عبد السلام الخفاف روى عنه «التاريخ الأوسط» .

وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الأشقر روى عنه «التاريخ الصغير»

وآدم بن موسى روى عنه كتاب «الضعفاء» .

ووراقه الإمام الجليل أبو عبد الله محمد بن أبي حاتم الوراق، وهو الناسخ، وهو ملازمه سفرا وحضرا، فكتب كتبه، وروى عنه .

من شيوخه: عبد الله بن محمد المسندي، وإسحاق بن أحمد بن خلف السرماري، ومحمد بن خلف بن قتيبة، وغيرهم .

ومن الحفاظ من أقرانه فمن بعدهم: أبو زرعة، وأبو حاتم، وإبراهيم بن إسحاق الحربي، وأبو بكر بن أبي عاصم، ومحمد بن نصر المروزي، وصالح بن محمد جزرة، وأبو بكر بن أبي الدنيا، وأبو بكر البزار صاحب «المسند»، ومسلم بن الحجاج في غير «الصحيح»، وأبو عبد الله الترمذي، وتلمذ له، وأبو عبد الرحمن النسائي، وروى أيضا عن رجل عنه، وأبو عمرو الخفاف، وجعفر بن محمد بن موسى النيسابوري، والحسين بن محمد بن حاتم المعروف بالعجل، والحسين بن محمد القباني، وأبو الفضل أحمد بن سلمة النيسابوري، ومحمد بن عبد الله الحضرمي مطين الحافظ الكوفي، وعمر بن محمد بن بجير الحافظ البجيري، وأبو معشر الفضل بن أحمد بن يعقوب الحافظ النسفي، وأبو بكر بن أبي داود السجستاني، وإمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، ويعقوب بن يوسف بن الأخرم، ومحمد بن إسحاق الفاكهي صاحب «أخبار مكة»، ويحيى بن محمد بن صاعد، والحسين بن إسماعيل المحاملي، وهو آخر من حدث عنه ببغداد، وأمم لا يحصون، يكفي من التنبيه على كثرتهم حكاية الفربري المتقدمة أنه سمع معه »الصحيح» من البخاري تسعون ألفا.

فصل في ذكر وفاته وسبب ذلك :

قال أحمد بن منصور الشيرازي: لما قدم أبو عبد الله البخاري بخارى؛ نصبت له القباب على فرسخ من البلد، واستقبله عامة أهل البلد، حتى لم يبق مذكور، ونثر عليه الدراهم والدنانير، فبقي مدة، ثم وقع بينه وبين الأمير، فأمره بالخروج من بخارى، فخرج إلى بيكند، قرأت على أم الحسن بنت المنجى بدمشق عن أبي الفضل بن قدامة: أن محمد بن عبد الواحد أخبرهم عن السلفي: أخبرنا أبو علي البرداني: أخبرنا هناد النسفي: أخبرنا غنجار: سمعت أبا عمرو أحمد بن محمد بن عمر يقول: سمعت أبا سعيد بكر بن منير يقول: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل أن احمل إلي كتاب «الجامع«، و«التاريخ»؛ لأسمع منك، فقال: محمد بن إسماعيل للرسول: قل له: أنا لا أذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب السلاطين، فإن كانت له حاجة إلى شيء منه؛ فليحضرني في مسجدي، أو في داري، فإن لم يعجبك هذا؛ فأنت سلطان، فامنعني من المجلس؛ ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، لأني

لا أكتم العلم، قال: فكان ذلك سبب الوحشة بينهما.

وقال الحاكم: سمعت محمد بن العباس الضبي يقول: سمعت أبا بكر بن أبي عمرو الحافظ يقول: كان سبب مفارقة أبي عبد الله البخاري البلد أن خالد بن أحمد أمير بخارى سأله أن يحضر عنده، فيقرأ الجامع على أولاده، فامتنع، فراسله بأن يعقد مجلسا لأولاده، لا يحضره غيرهم، فامتنع، فاستعان خالد بحريث بن أبي الورقاء كبير أصحاب الرأي وبغيره، حتى تكلموا في البخاري، فأمر بإخراجه عن البلد قال: فدعا عليهم، فقال :اللهم؛ أرهم ما قصدوني به في أنفسهم وأولادهم وأهاليهم، قال: فأما خالد؛ فلم يأت عليه إلا أقل من شهر حتى ورد أمر الظاهرية بعزله، وأن ينادى عليه، فنودي عليه وهو على أتان، وأخرج على إكاف، ثم صار أمره إلى الذل والحبس إلى أن مات، وأما حريث؛ فإنه ابتلي في أهله، فرأى فيها ما يجل عن الوصف، وأما فلان؛ فأراه الله في أولاده البلايا.

وقال ابن عدي: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: خرج البخاري إلى خره تنك؛ قرية من قرى سمرقند، وكان له بها أقرباء، فنزل عندهم قال: فسمعت ليلة من الليالي وقد فرغمن صلاة الليل يدعو ويقول في دعائه: (اللهم؛ إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك)، فما تم الشهر حتى قبضه الله.

وقال محمد بن أبي حاتم وراق البخاري: سمعت أبا منصور غالب بن جبريل_وهو الذي نزل عليه البخاري بخرتنك_ يقول: إنه أقام أياما فمرض، واشتد به المرض حتى وجه إليه رسول من سمرقند ليخرج، فلما وافى؛ تهيأ للركوب، ولبس خفيه، وتعمم، فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها وأنا آخذ بعضده، ورجل آخر معي يقوده إلى الدابة ليركبها؛ فقال رحمه الله: أرسلوني فقد ضعفت، فدعا بدعوات، ثم اضطجع، فقضى فسال منه عرق كثير، وكان أوصى أن يكفن في ثلاثة أثواب بيض، ليس فيها قميص ولا عمامة، قال: ففعلنا، فلما دفناه؛ فاح من تراب قبره رائحة طيبة؛ كالمسك، ودامت أياما، وجعل الناس يختلفون إلى القبر أياما، يأخذون من ترابه إلى أن جعلنا عليه خشبا مشبكا.

وقال محمد بن محمد بن مكي الجرجاني: سمعت عبد الواحد بن آدم الطواويسي يقول: رأيت

النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع، فسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت: ما وقوفك يا رسول الله هنا؟ قال: «أنتظر محمد بن إسماعيل»، فلما كان بعد أيام وبلغني موته؛ فنظرت فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت فيها النبي صلى الله عليه وسلم.

قال مهيب بن سليم الكرميني والحسن بن الحسين البزاز: مات ليلة السبت ليلة عيد الفطر، سنة ست وخمسين ومئتين، وكذا أرخه ابن قانع وابن زبر وغير واحد، قال الحسن: عاش اثنتين وستين سنة، إلا ثلاثة عشر يوما، رحمه الله تعالى.

64- النكت على صحيح البخاري[1]

الحافظ ابن حجر العسقلاني(ت852هـ)

قال رحمه الله: الفصل الثاني في ترجمة المصنف

ذكر نسبه ومولده:

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه بن الأحنف الجعفي مولاهم البخاري، وبردزبه في نسبه قيده ابن ماكولا –بفتح الباء الموحدة، وسكون الراء، ثم دال مهملة مكسورة ثم زاي ساكنة، ثم باء موحدة، ثم هاء– وهو فارسي، ومعناه بالعربية: الزراع بلغة أهل بخارى، وقيل فيه غير ذلك، وكان بردزبه المذكور مجوسيا، وكان في بخارى وال يقال له: اليماني الجعفي، فأسلم المغيرة بن بردزبه على يديه، فمن ثم قيل للبخاري: الجعفي.

فأما إبراهيم بن المغيرة فلم نقف على شيء من أحواله، والظاهر أنه لم ينظر في العلم.

---

[1] النكت على صحيح البخاري

المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر. الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م

وأما إسماعيل بن إبراهيم فذكر له ابنه ترجمة في تاريخه، وقال: إنه سمع من مالك وحماد بن زيد، وابن المبارك، وقال ابن حبان في الطبقة الرابعة من الثقات: إسماعيل بن إبراهيم والد البخاري يروي عن حماد بن زيد، ومالك يروي عنه العراقيون.

وولد محمد بن إسماعيل -ويكنى أبا عبد الله- يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ببخارى، قال المستنير بن عتيق: أخرج لي ذلك محمد بن إسماعيل بخط أبيه، وروى أبو حسان مهيب بن سليم عن البخاري نحوه.

ذكر منشئه وطلبه الحديث:

روى غنجار في تاريخه من وجهين أن محمد بن إسماعيل ذهبت عيناه في صغره، فرأت والدته إبراهيم الخليل في النوم، فقال لها: يا هذه، قد رد الله على ابنك بصره لكثرة دعائك، قال: فأصبح وقد رد الله عليه بصره، ورواها أبو القاسم اللالكائي في كتاب "كرامات الأولياء" له من طريق غنجار.

وقال الفربري: سمعت محمد بن أبي حاتم وراق البخاري يقول: سمعت البخاري يقول: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب، قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يوما فيما كان يقرأ للناس: سفيان، عن أبي الزبير، عن إبراهيم، فقلت: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت: ارجع إلى الأصل إن كان عندك، فدخل فنظر فيه ثم رجع، فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير وهو ابن عدي، عن إبراهيم، فأخذ القلم وأصلح كتابه وقال: صدقت.

قال: فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء لمعنى أهل الرأي، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججنا رجع أخي وتخلفت بها في طلب العلم.

قلت: فكان حجه على هذا سنة عشر ومائتين.

قال: فلما طعنت في ثماني عشرة صنفت كتاب: "قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم"، ثم صنفت: "التاريخ" في المدينة عند قبر النبي - صلى الله عليه وسلم -، وكنت أكتبه في الليالي

المقمرة، قال: وقل اسم في "التاريخ" إلا وله عندي قصة إلا أني كرهت أن يطول الكتاب.

وقال وراق البخاري: سمعته يقول: دخلت بلخ، فسألوني أن أملي عليهم لكل من لقيت حديثا عنه، فأمليت ألف حديث لألف شيخ ممن كتبت عنهم، ثم قال: كتبت عن ألف وثمانين نفسا ليس فيهم إلا صاحب حديث.

وقال أيضا: لم أكتب إلا عمن قال: "الإيمان قول وعمل".

وقال جعفر بن محمد القطان: سمعته يقول: ما عندي حديث إلا وأذكر إسناده.

وقال سهل بن السري: قال البخاري: رحلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين، وإلى البصرة أربع مرات، قال: وأقمت بالحجاز ستة أعوام ، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد.

وقال العباس الدوري: ما رأيت أحسن طلبا للحديث من محمد بن إسماعيل.

وقال أبو الفضل ابن طاهر: عزم محمد بن إسماعيل على الرحلة إلى اليمن لأجل عبد الرزاق، وكان ذلك سنة عشر ومائتين، وعبد الرزاق حي، فلقيه يحي بن جعفر فسأله عنه، فقال له: مات عبد الرزاق، فسمع البخاري حديث عبد الرزاق من يحي بن جعفر، ثم بان بعد أن عبد الرزاق ما كان مات، فحمل الأمر على أن يحيي بن جعفر اعتمد في إخباره بموته على حكاية شائعة لم تثبت، ولم يقدح ذلك فيه عند البخاري، بل كان يثني عليه.

وقال حاشد بن إسماعيل: كان البخاري يختلف معنا إلي مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب حتي أتى على ذلك أيام، فلمناه بعد ستة عشر يوما، فقال: قد أكثرتم علي، فاعرضوا علي ما كتبتم، فأخرجناه فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من خطه .

وقال محمد بن الأزهر السجستاني: كنت في مجلس سليمان بن حرب والبخاري معنا يسمع ولا يكتب، فقيل لبعضهم: ما له لا يكتب؟ فقال: يرجع إلى بخارى فيكتب من حفظه.

وقال أبو بكر بن أبي عتاب الأعين: كتبنا عن محمد بن إسماعيل على باب محمد بن يوسف الفريابي وهو أمرد.

قلت: كان موت الفريابي سنة اثنتي عشرة ومائتين، وللبخاري إذ ذاك ثماني عشرة سنة.

وقال وراق البخاري عنه: كنت في مجلس الفريابي فقال: حدثنا سفيان، عن أبي عروة، عن أبي الخطاب، عن أنس، فذكر حديثا قال: فلم يعرف أحد في المجلس أبا عروة ولا أبا

الخطاب، فقلت لهم: أبو عروة هو معمر، وأبو الخطاب هو قتادة، قال: وكان الثوري فعولا لذلك يكني المشهورين.

ذكر مراتب مشايخه الذين أخذ عنهم:

قد تقدم التنبيه على كثرتهم وينحصرون في خمس طبقات:

الطبقة الأولى:

- من حدثه عن التابعين، فمنهم مكي بن إبراهيم البلخي، حدثه عن يزيد بن أبي عبيد مولى سلمة بن الأكوع.
- ومحمد بن عبد الله الأنصاري حدثه عن حميد الطويل.
- وعلي بن عياش، وعصام بن خالد حدثاه عن حريز بن عثمان .
- وعبد الله بن موسي حدثه عن إسماعيل بن أبي خالد، وهشام بن عروة وغيرهما.
- وخلاد بن يحيى حدثه عن عيسى بن طهمان.
- وأبو نعيم الفضل بن دكين حدثه عن الأعمش.

الطبقة الثانية:

من كان في عصر هؤلاء لكنه لم يسمع من أحد من التابعين: كآدم بن أبي إياس، وسعيد بن أبي مريم، وأبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر، وغيرهم من أصحاب ابن أبي ذئب والأوزاعي وشعبة ونحوهم.

المرتبة الثالثة:

وهم جل مشايخه من سمع من أعيان أتباع التابعين، وهي المرتبة الوسطى، وقد شاركه مسلم في هذه الطبقة: كأحمد بن حنبل، ويحيي بن معين، وعلي بن المديني، وإسحاق بن راهويه، وأبي بكر وعثمان ابني أبي شيبة، وأشباههم من أصحاب حماد بن زيد، والليث بن سعد، وابن عيينة، وابن المبارك وغيرهم.

المرتبة الرابعة:

رفقاؤه في الطلب ومن سمع قبله قليلا: كمحمد بن عبد الرحيم صاعقة، ومحمد ابن يحيى الذهلي، وعبد بن حميد وأمثالهم.

المرتبة الخامسة:

قوم في عداد طلبته في السن والإسناد، أخذ عنهم ما ليس عنده: كعبد الله بن حماد الآملي، وعبد الله بن أبي القاضي، وحسين بن محمد القباني، ونحوهم.

فقد روي عن وكيع أنه قال: لا يكون الرجل عالما حتى يحدث عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه.

وإنما قصدت بتمييز طبقات مشايخه؛ لأنه قد يظن من يعرف أنه يروي عن أتباع التابعين حيث يروي روايته عمن هو أصغر منه أن في الإسناد غلطا أو عكس ذلك، فإذا عرف ما حققت انتفت عنه الريبة. ذكر سيرته وشمائله وزهده وفضائله:

قال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت أحمد بن حفص يقول: دخلت على إسماعيل والد البخاري بيته عند موته فقال: لا أعلم في مالي درهما من حرام ولا درهما من شبهة.

وروى غنجار من طريق بكر بن منير قال: حمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة، فاجتمع به بعض التجار، فطلبوها منه بربح خمسة آلاف، فقال لهم: انصرفوا الليلة، فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف، فردهم وقال: إني نويت البارحة أن أدفع إلى أولئك ما طلبوا، ودفعها إلى الأولين، وقال: لا أحب أن أنقض نيتي.

وقال محمد الوراق: كنت مع البخاري بفربر وهو يصنف كتاب التفسير، فاستلقى يوما، وكان قد أتعب نفسه في ذلك اليوم في التخريج، فقلت له: إني أراك تقول: ما أثبت شيئا بغير علم، فما الفائدة في الاستلقاء؟ قال فكدت ، وإن هذا ثغر، وكنت قد أتعبت نفسي، فخشيت أن يحدث حدث من أمر العدو، فأحببت أن أستريح وآخذ أهبة، فإن غافصنا عدو كان بنا حراك، قال: وكان يركب إلى الرمي كثيرا فما أعلمني في طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين، بل كان يصيب في كل ذلك ولا يلحق.

قال: وسمعته يقول: دعوت ربي مرتين فاستجاب لي -يعني: في الحال- فلا أحب أن أدعو بعد فلعله ينقص حسناتي.

قال: وسمعته يقول: لا يكون لي خصم في الآخرة إن شاء الله فقلت له: إن بعض الناس ينقمون عليك التاريخ، ويقولون: فيه اغتياب الناس، فقال: إنما روينا ذلك رواية، لم نقله من عند أنفسنا، وإنما قاله من قاله على سبيل النصح.

قال: وسمعته يقول: ما اغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة حرام.

وقال بكر بن منير: كان محمد بن إسماعيل يصلي ذات يوم، فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة، فلما قضى صلاته قال: انظروا أي شيء هذا الذي آذاني في صلاتي؟ فنظروا فإذا الزنبور قد ورمه في سبعة عشر موضعا ولم يقطع صلاته.

قال وراقه: وكان كثير الإحسان إلى الطلبة، مفرط الكرم، قليل الأكل جدا.

قال: وسمعته يقول: كنت أستغل في كل شهر خمسمائة فأنفقها في الطلب، وما عند الله خير وأبقى.

وحكى أبو الحسن يوسف بن أبي أحمد البخاري أن محمد بن إسماعيل مرض، فعرضوا ماءه على الأطباء، فقالوا: إن هذا الماء يشبه ماء بعض أساقفة النصارى، فإنهم لا يأتدمون، فصدقهم وقال: لم أأتدم منذ أربعين سنة، فسئل على أن يستعمل الأدم بعد ذلك فامتنع، فألح عليه المشايخ، فأجابهم أن يأكل مع الخبز سكرة.

وقال الحاكم: أخبرني محمد بن خالد، ثنا مسبح بن سعيد، قال: كان البخاري إذا حضر رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلي بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية إلى أن يختم القرآن، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث، وكان يختم كل يوم ختمة عند الإفطار.

وقال وراقه: كان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة، ويقوم في الليل مرارا يأخذ القداحة فيوري نارا بيده ويسرج، ويخرج أحاديث فيعلم عليها ثم يضع رأسه، ربما فعل ذلك في الليلة الواحدة عشرين مرة، فقلت له: ألا توقظني؟ فقال: أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك.

وقال محمد بن منصور: كنا في مجلس البخاري، فرفع إنسان من لحيته قذاة فطرحها، قال: فرأيته ينظر إليها وإلى الناس، فلما غفلوا أخذها فأدخلها في كمه، فلما خرج من المسجد أخرجها فطرحها على الأرض.

وقال الحسن بن محمد السمرقندي: كانت فيه ثلاث خصال: كان قليل الكلام، وكان لا يطمع فيما عند الناس، وكان لا يشتغل بأمور الناس.

ذكر ثناء مشايخه عليه:

قال سليمان بن حرب ونظر إليه يوما: هذا يكون له صيت، وكذا قال أحمد بن حفص.

وعنه قال: كنت إذا دخلت على سليمان بن حرب يقول: بين لنا غلط شعبة.

وعنه قال: كان إسماعيل بن أبي أويس إذا انتخبت من كتابه نسخ تلك الأحاديث لنفسه ويقول: هذه الأحاديث انتخبها محمد بن إسماعيل من حديثي.

قال: وقال ابن أبي أويس: انظر في كتبي، فجميع ما أملك لك، وأنا شاكر لك مادمت حيا.

وقال حاشد بن إسماعيل: قال لي أبو مصعب الزهري: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر بالحديث من أحمد بن حنبل، فقال له رجل من جلسائه: أفرطت، فقال: لو أدركت مالكا ونظرت إليه وإلى محمد بن إسماعيل لقلت كلاهما واحد في الفقه والحديث.

وقال عبدان بن عثمان: ما رأيت -يعني: شابا- أبصر منه.

وقال قتيبة بن سعيد: جالست الفقهاء والزهاد والعباد، ما رأيت منذ عقلت كمحمد بن إسماعيل ولو كان في الصحابة لكان آية.

وقتيبة رأى مالكا فمن دونه.

وقال الفربري: كنا عند قتيبة فسئل عن طلاق السكران، فقال للسائل: هذا أحمد ، وإسحاق، وعلي بن المديني، قد ساقهم الله إليك وأشار إلى البخاري.

قال: وكان يحيى بن معين ينقاد إليه في المعرفة.

وقال أحمد بن حنبل: ما أخرجت خراسان مثله.

وقال يعقوب بن إبراهيم الدورقي، ونعيم بن حماد: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

وقال بندار: هو أفقه خلق الله في زماننا.

وكان عبد الله بن يوسف التنيسي، ومحمد بن سلام البيكندي وغيرهما يسألونه أن ينظر في كتبهم ويوقفهم على الخطأ الذي فيها.

وقال حاشد بن إسماعيل: كنت عند إسحاق بن راهويه، ومحمد بن إسماعيل جالس معه على الكرسي، وإسحاق يحدث، فأنكر عليه محمد بن إسماعيل شيئا، فرجع إلى قوله وقال: يا معشر أصحاب الحديث، انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه، فلو كان في زمن الحسن البصري لاحتاج إليه الناس لمعرفته بالحديث وفقهه.

وعن البخاري أنه كان يقول: ما استصغرت نفسي إلا عند علي بن المديني، وربما كنت أغرب عليه، قال حامد بن أحمد: فذكرت ذلك لعلي بن المديني فقال: ذروا هذا، هو ما رأى مثل

نفسه.
وقال الحسين بن حريث: لا أعلم أني رأيت مثله، وكذا قال علي بن حجر.
وقال رجاء بن مرجا: فضله على العلماء كفضل الرجال على النساء.
وقال عمرو بن علي الفلاس: كل حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل فليس بحديث.
وقال أيضا: ليس بخراسان مثله.
وقال أبو عيسى الترمذي: كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله بن منير فلما قام قال له عبد الله: جعلك الل زين هذه الأمة، قال الترمذي: فاستجيب له فيه.
وقال الفربري: رأيت عبد الله بن منير يكتب عن محمد بن إسماعيل ويقول: أنا من تلامذته.
هذا والبخاري قد حدث عنه في الجامع وغيره.
وقال أحمد بن الضوء: كان أبو بكر ابن أبي شيبة يسميه البازك، وكان يقول: ما رأيت مثله، وكذا سمعت محمد بن عبد الله بن نمير يقول.
وقال يحيى بن جعفر البيكندي: لو قدرت أن أزيد من عمري في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت؛ لأن موتي موت رجل واحد، وموت محمد بن إسماعيل ذهاب العلم.
وقال عبد الله بن محمد المسندي: من لم يجعل محمد بن إسماعيل إماما فاتهموه.
وقال أحمد بن إسحاق الرمادي: من أراد أن ينظر إلى فقيه بحقه وصدقه فلينظر إلى محمد بن إسماعيل .

قلت: وكلام مشايخه في الثناء عليه وتعظيمه ووصفه بالإتقان والحفظ والمعرفة بالفقه أوسع من أن نحيط به، وفي هذا القدر كفاية.
وأما كلام أقرانه: فيتعين إيراد ما حضرنا منه، لأن العادة في الغالب أن يقع التنافس بين الأقران، فقل من يحصل الثناء عليه مطلقا من أقرانه، فمن ذلك قال أبو حاتم الرازي: لم تخرج خراسان أحفظ من محمد بن إسماعيل، ولا قدم العراق أعلم منه.
وقال محمد بن الحريث: سألت أبا زرعة الرازي عن ابن لهيعة فقال: تركه أبو عبد الله البخاري.
وقال عبيد العجل: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، ورأيت أبا زرعة وأبا حاتم يستمعان إليه، وكان أمة من الأمم، دينا، فاضلا، يحسن كل شيء، وكان أعلم من محمد ابن يحيى الذهلي

بكذا وكذا.

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: قد رأيت العلماء بالحرمين، والحجاز، والشام، والعراق، فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن إسماعيل، وهو أعلمنا وأفقهنا وأكثرنا طلبا.

وقال أيضا: محمد أبصر مني، هو أكيس الناس.

وقال صالح جزرة: ما رأيت خراسانيا أفهم منه.

وقال فضلك الرازي: رافقته مرحلة، فاجتهدت أن أغرب عليه حديثا واحدا فلم أقدر، وأنا أغرب على أبي زرعة عدد شعر رأسه.

وأما تعظيم مسلم، والترمذي، وابن خزيمة، والنسائي وغيرهم من تلامذته فمن بعدهم له فأكثر من أن يحصر، وأشهر من أن يذكر، ولا عجب فيه؛ لأن مشايخه إذا أطنبوا فيه ذلك الإطناب وهو شاب فكيف يكون الحال فيه إذا كبر وشاب.

ذكر نبذ مما روي من سعة حفظه وفرط ذكائه:

قد تقدم منه أشياء، وأشهرها قصة المائة حديث التي قلبها أهل بغداد، فاستحضرها كلها، ورد أسانيدها إلى متونها على الصواب، وسردها لهم على ترتيب ما أوردوا عليه من مرة واحدة، حكاها ابن عدي والخطيب وغيرهما.

وقال أبو بكر الكلوذاني: كان البخاري يأخذ الكتاب من العلم، فيطلع إليه اطلاعة، فيحفظ عامة أحاديثه من مرة.

وقال أبو الأزهر: كان بسمرقند أربعمائة محدث، فأحبوا أن يغالطوا محمد بن إسماعيل، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وإسناد اليمن في إسناد الحرم، وامتحنوه به، فما تعلقوا عليه بسقطة.

وقال وراقه: سمعته يقول: ما نمت البارحة حتي عددت كم أدخلت تصانيفي من الحديث، فإذا نحو من مائتي ألف.

وقال عنه أيضا: ما جلست للتحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم، وحتى نظرت في كتب أهل الرأي وعرفت قولهم، فلا أعلم شيئا يحتاج إليه إلا وهو في الكتاب والسنة، قال:

فقلت له: يمكن معرفة ذلك؟ ! قال: نعم.

وقال أحمد بن حمدون: رأيت البخاري في جنازة، ومحمد بن يحي الذهلي يسأله عن الأسماء والعلل، وهو يمر فيها مثل السهم كأنه يقرأ: ﴿قل هو الله أحد ﴾.

ذكر تصانيفه والرواة عنه:

فمنها (الجامع الصحيح)، وكان سبب تصنيفه ما حكاه إبراهيم بن معقل النسفي عنه قال: كنا عند إسحاق بن راهويه، فقال بعض أصحابه: لو جمعتم كتابا جامعا مختصرا لسنن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: فوقع ذلك في قلبي.

قال: وسمعته يقول: ما أدخلت فيه إلا ما صح، وتركت من الصحاح كي لا يطول الكتاب.

وقال محمد بن سليمان بن فارس: سمعته يقول: رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في النوم، وكأنني واقف بين يديه، وبيدي مروحة أذب عنه، فقال لي بعض أهل التعبيرات: تذب عنه الكذب، قال: فحملني ذلك على تخريج الصحيح.

وقال أبو الهيثم الكشميهني: سمعت الفربري يقول: قال البخاري: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.

وقال الفربري عن البخاري: صنفت الصحيح في ست عشرة سنة، وخرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة بيني وبين الله.

وقال الفربري: سمعت محمد بن أبي حاتم وراق البخاري يقول: رأيت البخاري في النوم خلف النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يمشي، فكلما رفع النبي - صلى الله عليه وسلم - قدمه وضع أبو عبد الله قدمه في ذلك الموضع.

وروى ابن عدي عن الفربري, عن نجم بن فضيل أنه قال: رأيت. . . فذكر نحو هذا المنام.

وروى شيخ الإسلام الهروي في "ذم الكلام" له من طريق أبي سهل محمد بن أحمد المروزي قال: سمعت أبا زيد المروزي الفقيه الشافعي يقول: رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في المنام، وكنت نائما بين الركن والمقام، فقال له: يا أبا زيد، إلى متى تدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي؟ ! فقلت: يا رسول الله، وما كتابك؟ قال: جامع محمد بن إسماعيل البخاري.

انتهى.

وأشهر الرواة عنه له: الفربري، وهو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح، ومنهم حماد بن شاكر، وإبراهيم بن معقل النسفي، ومهيب بن سليم، وأبو طلحة منصور بن محمد بن علي البزدوي، وهو آخر من كان يروي الصحيح عن البخاري موتا، قاله ابن ماكولا وغيره.

وأما قول الفربري: سمع الجامع من محمد بن إسماعيل تسعون ألفا، فما بقي منهم أحد غيري، فلعله لم يشعر ببقاء البزدوي المذكور.

ومن تصانيفه: (الأدب المفرد) يرويه عنه أحمد بن محمد بن الجليل -بالجيم- البزاز.

و(رفع اليدين في الصلاة)، و (القراءة خلف الإمام) يرويهما عنه محمود بن إسحاق الخزاعي، وهو آخر من حدث عنه ببخارى.

و(بر الوالدين) يرويه عنه محمد بن دلويه الوراق.

و(التاريخ الكبير) يرويه عنه أبو أحمد محمد بن سليمان بن فارس، وأبو الحسن محمد بن سهل النسوي وغيرهما، وهو الذي قال فيه ابن عقدة: لا يستغني عنه محدث.

و(التاريخ الأوسط) يرويه عنه عبد الله بن أحمد بن عبد السلام الخفاف.

و(التاريخ الصغير) يرويه عنه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأشقر.

و(خلق أفعال العباد) يرويه عنه يوسف بن ريحان بن عبد الصمد ورواه عنه أيضا الفربري.

و(كتاب الضعفاء) يرويه عنه أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، ومسبح بن سعيد.

وهذه التصانيف كلها موجودة مروية لنا بالسماع وبالإجازة.

ومن تصانيفه أيضا:

(الجامع الكبير) ذكره ابن طاهر.

و(المسند الكبير).

و(التفسير الكبير) ذكره التبريزي.

و(كتاب الأشربة) ذكره الدارقطني.

و(أسامي الصحابة) ذكره أبو عبد الله ابن منده، وذكر ابنه القاسم بن منده أنه يرويه من طريق محمد بن سليمان بن فارس عنه.

وذكر من تصانيفه أيضا (كتاب العلل)، وأنه يرويه عن محمد بن عبد الله بن حمدون إجازة عن عبد الله بن الشرقي عنه.

و(كتاب الكنى المفرد) ذكره الحاكم أبو أحمد.

و(كتاب الهبة) ذكره وراقه محمد بن أبي حاتم.

و(كتاب الفوائد) ذكره الترمذي في أثناء المناقب من جامعه. وغير ذلك.

وروى عنه من مشايخه: عبد الله بن محمد المسندي، وعبد الله بن منير، وإسحاق ابن أحمد السرماري، ومحمد بن خلف بن قتيبة ونحوهم.

ومن أقرانه فمن بعدهم: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وإبراهيم الحربي، وابن أبي عاصم، وصالح جزرة، وابن أبي الدنيا، وأبو بكر البزار، ومحمد بن نصر المروزي، وعبيد العجل، ومسلم بن الحجاج، وأبو الفضل أحمد بن سلمة، وحسين بن محمد القباني، وموسى بن هارون الحمال، وأبو عمرو الخفاف، ويعقوب بن الأخرم، ومحمد بن عبد الله مطين، وأبو بكر ابن خزيمة، والبحيري، وجعفر بن محمد النيسابوري، وأبو عيسى الترمذي وتلمذ له، وأبو عبد الرحمن النسائي وروى أيضا عن رجل عنه، وأبو بكر بن أبي داود ، ويحيى بن محمد صاعد، والحسين بن إسماعيل المحاملي وهو آخر من حدث عنه ببغداد.

ويكفي في التنبيه على كثرة الرواة عنه قول الفربري المتقدم: أنه سمع منه الجامع الصحيح تسعون ألفا.

ذكر وفاته:

كان قد خرج من بلده لغلبة أصحاب الرأي، فاستوطن بنيسابور، فوقع بينه وبين محمد بن يحيى الذهلي منازعة في مسألة، فرجع إلى بخارى بسبب ذلك، وقصته مع الذهلي مشهورة لا حاجة إلي الإطالة بها، فلما رجع إلى بخارى راسله أميرها خالد بن أحمد الذهلي أن يحضر عنده ليسمع عليه الحديث، فامتنع وقال لرسوله: قل له: أنا لا أذل العلم، فإن كانت له حاجة فليحضر في مسجدي أو داري، فكان ذلك سبب الوحشة بينهما.

ثم راسله ثانيا بأن يفرد لأولاده وقتا يحدثهم فيه، فامتنع أيضا، فاستمرت الوحشة بينهما إلى أن أمر خالد بأن يخرج من البلد، فأجاب إلى الخروج، ودعا على من كان السبب، فلم يأت على خالد إلا أقل من شهر حتى ورد الأمر من أمير خراسان بعزله، وأن ينادى عليه، فأركب

حمارا على إكاف، ثم صار أمره إلى الذل والحبس إلى أن مات، حكى ذلك الحاكم بسنده الصحيح.

وقال ابن عدي: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: خرج البخاري إلى خرتنك قرية من قرى سمرقند، فنزل على بعض أقربائه هناك، قال: فسمعته ليلة من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يدعو ويقول في دعائه: اللهم إني قد ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك. قال: فما تم الشهر حتى قبضه الله.

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت أبا منصور غالب بن جبريل -وهو الذي نزل عليه البخاري بخرتنك- يقول: إنه أقام عنده أياما، فمرض واشتد به المرض، فاتفق وصول رسول من أهل سمرقند إليه أن يخرج إليهم فأجاب، فلما تهيأ للركوب ومشى قدر عشرين خطوة وأنا آخذ بعضده ورجل آخر معي يقوده إلى الدابة ليركبها، فقال: أرسلوني فقد ضعفت، فدعا بدعوات، ثم اضطجع فقضى، وسال منه عرق كثير، وكان قد قال لنا: كفنوني في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة، ففعلنا، فلما دفناه فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك ودامت أياما، وجعل الناس يختلفون إلى القبر أياما يأخذون من ترابه إلى أن جعلنا عليه خشبا مشبكا.

وقال أبو أحمد محمد بن محمد بن مكي الجرجاني أحد رواة الصحيح عن الفربري: سمعت عبد الواحد بن آدم الطواويسي يقول: رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع، فسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت: ما وقوفك هنا يا رسول الله؟ قال: "أنتظر محمد بن إسماعيل"، فلما كان بعد أيام بلغني موته، فنظرت فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -".

وكانت وفاته ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين، ذكره مهيب ابن سليم، والحسن بن الحسين البزاز وغيرهما، وأرخه ابن قانع وابن زبر وغير واحد، وكانت مدة عمره اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما، رحمه الله تعالى.

65- التاريخ المعتبر في أنباء من غبر[1]

مجير الدين العليمي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي (ت ٩٢٨ هـ)

أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف، الجعفي بالولاء، البخاري: الحافظ، الإمام في علم الحديث، صاحب "الجامع الصحيح"، و"التاريخ."

رحل في طلب الحديث إلى أكثر محدثي الأمصار، وكتب بخراسان، ومدن العراق، والحجاز، والشام، ومصر، وقدم بغداد، واجتمع إليه أهلها، واعترفوا بفضله، وشهدوا بتفرده في علم الرواية والدراية.

وكان ابن صاعد إذا ذكره، يقول: الكبش النطاح.

ونقل عنه محمد بن يوسف الفربري أنه قال: ما وضعت في كتاب "الصحيح" حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك، وصليت ركعتين.

وعنه أنه قال: صنفت كتابي "الصحيح" لست عشرة سنة، خرجته من ست مئة الف حديث، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله - عز وجل.-

وقال الفربري: سمع "صحيح البخاري" تسعون الف رجل، فما بقي أحد يرويه غيري.

ولد البخاري يوم الجمعة بعد الصلاة، لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال، سنة أربع وتسعين ومئة، وتوفي ليلة السبت، عند صلاة العشاء، ليلة عيد الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر، سنة ست وخمسين ومئتين بخرتك - بالباء الموحدة والخاء المعجمة والراء الساكنة

---

[1] التاريخ المعتبر في أنباء من غبر 150/3 دار النوادر، سوريا الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١١ م

والتاء المفتوحة المثناة والكاف، وهي قرية من قرى سمرقند، وكان شيخا نحيف الجسم، لا بالطويل ولا بالقصير.

والبخاري: نسبة إلى بخارى، ونسبة البخاري إلى الجعفي هو سعيد بن جعفر الجعفي والي خراسان، وكان له عليهم الولاء، فنسبوا إليه.

65- ترجمة الإمام البخاري[1]

ابن الدواليبي علي بن عبد المحسن (ت 862هـ)

قال رحمه الله: " بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله الواحد قبل تألف الأعداد، الشاهد حين تخلف الأشهاد، المتعالي عن مشابهة الأمثال ومشاركة الأنداد، المنزه عن مقارنة الأشكال ومعاونة الأحشاد، المقدس عن الآباء والأمهات والزوجة والأولاد، الباقي الذي لم يتغير عن ما كان عليه من صفاته القديمة، ولا يتغير على أبد الآباد، رافع السموات السبع الشداد عالية كأنها خيمة لازوردية بغير أطناب ولا عماد، مزينة بكل كوكب منير وقاد، باسط بساط الأرض على زبد الماء بعد ما خشع ورجف واضطرب وماد، ومثبتها بالجبال الراسيات الأطواد، خالق المائع والجماد، ومبدع المطلوب المراد، مقدر ما كان وما يكون من الضلال والرشاد والغي والسداد والصلاح والفساد والوفاق والعناد والبغض والوداد، في بحار لطفه تجري مراكب العباد، وعلى عتبة بابه مناخ العباد، وفي ميدان حبه تجول خيل الزهاد، وعنده مبتغى الطالبين وآمال القصاد، وبعينه ما يتحملون من ثقل الاجتهاد.

[1] ترجمة الإمام البخاري – دار النشر: دار الكمال المتحدة
اعتنى به عبد الرحيم محمد يوسفان- الطبعة 2-1438

رأى حتى دبيب النمل السود في الظلام والسواد، وسمع صوت المدنف المجهود غاية الإجهاد، وعلم ما في سويداء السر وباطن الاعتقاد، على العرش استوى لا كما يخطر في قلوب العباد، ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا بنقل الثقات العدول الحفاظ النقاد، لا كالمتنقل تخلو منه منازله والناد، متكلم لا بأدوات ومخارج، وما لكلامه نفاد ولو كانت جميع الأشجار أقلاما والبحور السبعة المداد، ولو مدت.

هو الإمام الفرد، تاج الفقهاء، عمدة المحدثين، سيد الحفاظ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة بن الأحنف الجعفي البخاري.

وبردزبة بفتح الباء الموحدة، ثم راء ساكنة، ثم دال مهملة مكسورة، ثم زاء ساكنة، ثم باء موحدة مفتوحة، ثم هاء مثناة مفتوحة.

هكذا قيده الأمير أبو نصر ابن ماكولا رحمه الله تعالى، وقال: هو الزراع بلغة أهل بخارى. وقيل فيه: بردذبة بإبدال الزاء ذال معجمة، كان بردزبة مجوسيا فأسلم ابنه المغيرة على يد اليمان والي بخارى، وكان اليمان جعفيا، فنسب البخاري إليه.

قال إسحاق بن أحمد بن خلف البخاري: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: سمع أبي من مالك بن أنس، ورأى حماد بن زيد، وقد صافح ابن المبارك بكلتا يديه.

وقال وراق البخاري: سمعت الحسن بن الحسين البزاز يقول: رأيت محمد بن إسماعيل البخاري شيخا نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير.

ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال، سنة أربع وتسعين ومائة ببخارى. وكذا حكاه المستنير بن عتيق أن البخاري أخرج له به خط أبيه.

وقال الخليلي في «الإرشاد»: سمعت أحمد بن أبي مسلم الفارسي الحافظ يقول: محمد بن أحمد بن الفضل يقول: سمعت أبا حسان مهيب بن سليم يقول: سمعت البخاري يقول: ولدت يوم الجمعة بعد الصلاة لثنتي عشرة ليلة خلت من شوال، سنة أربع وتسعين ومايه.

وأما منشؤه وطلبه الحديث فقد قال وراق البخاري *واسمه أبو جعفر محمد بن أبي حاتم قال*: قلت لأبي عبد الله: كيف كان بدو أمرك في طلب الحديث؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب. قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال_ يعني الداخلي_ يوما فيما كان يقرأ للناس: سفيان، عن أبي الزبير، عن إبراهيم. قال البخاري: فقلت: يا أبا فلان إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم. فانتهرني، فقلت: ارجع إلى الأصل إن كان عندك. فدخل ونظر فيه، ثم خرج فقال: كيف هو يا غلام؟ فقلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم. فأخذ القلم وأصلح كتابه. فقال: صدقت. فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت يومئذ إذ رددت عليه؟ فقال له: ابن إحدى عشرة سنة. قال: فلما طعنت في ست [2] عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخي وتخلفت بها في طلب الحديث، فلما طعنت في ثماني عشرة سنة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم وذلك في أيام عبيد الله بن موسى، وصنفت التاريخ إذ ذاك عند قبر النبي صلى الله غليه وسلم في الليالي المقمرة. قال: وقل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة إلا أني كرهت تطويل الكتاب.

وقال إسحاق بن أحمد بن خلف: رحل محمد بن إسماعيل في آخر سنة عشر ومائتين.

وقال بكر بن منير: سمعت البخاري يقول: كنت عند أبي حفص أحمد بن حفص أسمع كتاب «الجامع» لسفيان الثوري، من كتاب والدي، فمر أبو حفص على حرف، ولم يكن عندي ما ذكر، فراجعته، فقال الثانية والثالثة، فراجعته، فسكت، ثم قال: من هذا؟ فقالوا: ابن إسماعيل. فقال: هو كما قال، واحفظوا: إن هذا يصير يوما رجلا.

وقال وراق البخاري: سمعته يقول: كنت أختلف إلى الفقهاء بمرو وأنا صبي، فقال لي مؤدب من أهلها: كم كتبت اليوم؟ قلت: اثنين. فضحك من حضر المجلس، فقال شيخ منهم: لا تضحكوا منه؛ فلعله يضحك منكم يوما.

وقال أبو محمد عبد الله بن محمد بن إسحاق السمسار المؤدب: سمعت شيخي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل البخاري في صغره، فرأت والدته إبراهيم الخليل صلى الله غليه وسلم في المنام، فقال لها: يا هذه، قد رد الله على ابنك بصره؛ لكثرة دعائك له _أو: لكثرة بكائك، _قال: فأصبح وقد رد الله عليه بصره.

وقال غنجار في «تاريخ بخارى»: أخبرنا محمد بن خلف قال: سمعت أحمد بن محمد بن الفضل يقول: سمعت أبي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره ... فذكر مثله. ورواها الحافظ أبو القاسم اللالكائي في كتاب «كرامات الأولياء» له، عن شيخ، عن غنجار به.

وقال أحمد بن يوسف السلمي قال: رأيت محمد بن إسماعيل في مجلس مالك بن إسماعيل وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ قال: لا يمكنني أن أكتب ولا أن أضبط. قال: ثم جعل الله محمد بن إسماعيل كما رأيتم.

وقال أبو حاتم سهل بن السري: قال محمد بن إسماعيل البخاري: لقيت أكثر من ألف شيخ من أهل الحجاز، ومكة، والمدينة، والبصرة، وواسط، وبغداد، والشام، ومصر لقيتهم قرنا بعد قرن ... وذكر أنه رحل إلى الشام، ومصر، والجزيرة مرتين، وإلى البصرة أربع مرات، وأقام بالحجاز ستة أعوام، قال: ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثي خراسان.

وقال وراق البخاري: سمعته يقول: دخلت بلخ، فسألني أصحاب الحديث أن أملي عليهم لكل من لقيت حديثا عنه، فأمليت ألف حديث لألف شيخ ممن كتبت عنهم، ثم قال: كتبت عن ألف وثمانين نفسا، ليس فيهم إلا صاحب حديث.

وقال أيضا: كتبت عن ألف نفس من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل.

وقال جعفر بن محمد القطان: سمعت البخاري يقول: كتبت عن ألف شيخ أو أكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده.

وقال وراق البخاري: سمعته يقول: لم تكن كتابتي الحديث كما كتب هؤلاء، كنت إذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه، وكنيته، ونسبه، وعلة الحديث إن كان الرجل فهما، فإن لم يكن سألته أن يخرج لي أصله ونسخته، وأما الآخرون فلا يبالون ما يكتبون، ولا كيف يكتبون.

وقال: سمعت هانئ بن النضر: كنا عند محمد بن يوسف الفريابي بالشام، وكنا نتنزه، وكان محمد بن إسماعيل معنا، وكان لا يزاحمنا فيما نحن فيه، بل يكب على العلم.

قال: وسمعت العباس الدوري يقول: ما رأيت أحسن طلبا للحديث من محمد بن إسماعيل، كان لا يدع أصلا ولا فرعا إلا بلغه، ثم قال لنا: لا تدعوا شيئا من كلامه إلا كتبتموه.

وقال أبو بكر بن أبي عتاب الأعين: سمعنا على محمد بن إسماعيل على باب محمد بن يوسف يعني *الفريابي* وهو أمرد.

قلت: كان سنه إذ ذاك بضع عشرة سنة.

قلت: والأعين المذكور من أصحاب إمامنا الإمام أحمد ابن حنبل المشهورين، والفريابي من كبار شيوخ البخاري.

وقال أبو الفضل محمد بن طاهر: قدم البخاري بغداد سنة عشر ومائتين، وعزم على المضي إلى عبد الرزاق باليمن، فالتقى بيحيى بن جعفر البيكندي، فاستخبره، فقال: مات عبد الرزاق، ثم تبين أنه لم يمت، فسمع البخاري حديث عبد الرزاق من يحيى بن جعفر.

قلت: ويحيى بن جعفر من الثقات الأثبات، وما أعتقد أنه افترى وفاة عبد الرزاق، بل لعله حكاه لإشاعة لم تصح، وكان يحيى بن جعفر بعد ذلك يدعو لمحمد بن إسماعيل، ويفرط في مدحه، وسيأتي ذلك.

وقال الفربري: سمعت البخاري يقول: دخلت بغداد ثماني مرات، في كلها أجالس أحمد ابن حنبل، فقال لي: يا أبا عبد الله، تدع العلم والناس وتصير إلى خراسان؟ قال: فأنا أذكر قوله إلى الآن.

وقال وراق البخاري أبو جعفر محمد بن أبي حاتم، عن حاشد: كان البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة، فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام فلمناه، فقال لنا بعد ستة عشر يوما: قد أكثرتم علي، فاعرضوا علي ما كتبتم؟ فأخرجناه، فزاد عليه خمسة عشر ألفا فقرأها كلها عن ظهر قلب، حتى جعلنا كلنا نحكم كتبنا من حفظه، فعلمنا أنه لا يتقدمه أحد، فكان أهل المعرفة بالبصرة يعدون خلفه في طلب الحديث، ويكتبون عنه، وهو شاب، حتى يغلبوه على نفسه، ويجلسونه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف، أكثرهم ممن يكتب عنه، وكان إذ ذاك شابا لم يخرج وجهه.

وقال محب بن الأزهر السجستاني: كنت بالبصرة في مجلس سليمان بن حرب، والبخاري جالس لا يكتب، فقيل لبعضهم: ماله لا يكتب؟ فقال: يرجع إلى بخارى فيكتب من حفظه.

وقال الوراق: كان شديد الحياء في صغره، حتى قال شيخه محمد بن سلام البيكندي: أترون البكر أشد حياء من هذا الغلام؟

قال: وسمعته يقول: كنت في مجلس الفريابي، فقال: حدثنا سفيان، عن أبي عروة، عن أبي الخطاب، عن أنس «أن النبي صلى الله غليه وسلم كان يطوف على نسائه بغسل واحد »، قال: فلم يعرف أحد في المجلس أبا عروة ولا أبا الخطاب. فقلت: أما أبو عروة فمعمر، وأما أبو الخطاب فقتادة. قال: وكان الثوري فعولا لهذا. أي: يكني المشهورين.

وأما ذكر مراتب مشايخه الذين حدث عنهم:

وهم على خمس طبقات:

الطبقة الأولى: من حدثه عن التابعين، مثل: مكي بن إبراهيم، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، وعبيد الله بن موسى، وأبي عاصم النبيل، وأبي نعيم الملائي، وأبي المغيرة الخولاني، وعلي بن عياش، وخلاد بن يحيى، وغيرهم.

والطبقة الثانية: من كان في عصر هؤلاء، وتأخر عنهم قليلا، مثل: آدم بن أبي إياس، وأبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر، وأيوب بن سليمان بن بلال، وحجاج بن منهال، وسعيد بن

أبي مريم، وثابت بن محمد الزاهد، وغيرهم من أصحاب الأوزاعي، وابن أبي ذئب، والثوري، وشعبة، ومالك.

الطبقة الثالثة: أوساط مشايخه الذين شاركه في الرواية عنهم مسلم وغيره، كأحمد ابن حنبل، وإسحاق بن راهوية، ويحيى، وعلي، وابن أبي شيبة، وقتيبة، ونعيم بن حماد، وأشباههم من أصحاب حماد بن زيد، والليث بن سعد، ثم من أصحاب ابن المبارك، وهشيم، وابن عيينة، ونحوهم.

الطبقة الرابعة: رفقاؤه في الطلب، كمحمد بن يحيى الذهلي، وأبي حاتم الرازي، ومحمد بن عبد الرحيم المعروف بصاعقة، والدارمي، وعبد بن حميد، وأحمد بن النضر، ومحمد بن إبراهيم البوشنجي، وجماعة، وفيهم من هو أقدم منه سماعا قليلا.

الطبقة الخامسة: قوم في عداد طلبته في السن والإسناد، سمع منهم للفائدة، كعبد الله بن حماد الآملي، وعبد الله بن أبي القاضي، وحسين بن محمد القباني، ومحمد بن إسحاق السراج، ومحمد بن عيسى الترمذي، وغيرهم.

وقد روى الترمذي أيضا عن البخاري.

وقال البخاري: لا يكون المحدث كاملا، حتى يكتب عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه.

وأما سيرته، وشمايله، وزهده، وفضايله:

قال وراقه: سمعت محمد بن خراش [1]: سمعت أحمد بن حفص يقول: دخلت على إسماعيل والد البخاري عند موته، فقال: لا أعلم في مالي درهما من حرام، ولا درهما من شبهة.

قلت: وحكى وراقه أنه ورث من أبيه مالا جزيلا، فكان يعطيه مضاربة، فقطع له غريم خمسة وعشرين ألفا، فقيل له: استعن بكتاب الوالي، فقال: إن أخذت منهم كتابا طمعوا، ولن أبيع ديني بدنياي، ثم صالح غريمه على أن يعطيه كل شهر عشرة دراهم، وذهب ذلك المال كله.

قال البخاري رحمه الله تعالى ورضي عنه: ما توليت شراء شيء قط ولا بيعه، كنت آمر إنسانا فيشتري لي. فقيل له: لم؟ قال: لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط.

وقال غنجار في «تاريخه»: كان قد حمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة، أنفذها إليه أبو حفص، فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال لهم: انصرفوا الليلة، فجاءه من الغد تجار آخرون، فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف درهم، فردهم، وقال: إني نويت البارحة أن أدفع إليهم ما طلبوا. يعني: الذي طلبوا أول مرة، فدفعها إليهم، وقال: لا أحب أن أنقض نيتي.

وقال وراقه: سمعته يقول: خرجت إلى آدم بن أبي إياس، فتأخرت نفقتي، حتى جعلت أتناول حشيش الأرض، فلما كان في اليوم الثالث أتاني رجل لا أعرفه، فوهبني صرة فيها دنانير فأنفقتها.

قال وراقه: وسمعته يقول: كنت أستغل في كل شهر خمسمائة درهم، فأنفقها في الطلب، وما عند الله خير وأبقى.

وقال عبد الله بن محمد الصارفي: كنت عند أبي عبد الله محمد بن إسماعيل في منزله، فجاءته جاريته وأرادت دخول المنزل، فعثرت على محبرة بين يديه، فقال لها: كيف تمشين؟ قالت: إذا لم يكن طريق، فكيف أمشي؟ فقال: اذهبي فقد أعتقتك. فقيل له: قد أغضبتك؟ فقال: إن كانت أغضبتني فقد أرضيت بعتقها نفسي.

ومن حكاياته الغريبة ونكته العجيبة أنه ركب في سفينة وهو يطلب الحديث وعلى وسطه كيس فيه ألف دينار، وكان في السفينة رجل شيطان، فجعل يخدم الشيخ ويتلطف به ويحادثه حتى ركن الشيخ إليه وأطلعه على حاله وعلى الكيس الذي معه، فنام الرجل إلى جانبه نومة ثم إنه استيقظ وصاح وشق ثيابه ولطم وجهه. فقالوا له: ويحك ما شأنك؟ قال: كان معي كيس فيه ألف دينار سرق مني فجعلوا يفتشون السفينة ويفتش بعضهم بعضا فعلم الشيخ مراد ذلك الشيطان ومكره فحل الكيس وألقاه في الماء فلما فتشوه ما وجدوا معه شيئا فسبوا

ذلك الرجل وضربوه وأهانوه، فلما خرجوا من السفينة خلا ذلك الرجل بالشيخ فقال له: ما فعلت بالكيس؟ فقال: ألقيته في الماء. فقال له: أوسمحت نفسك بإلقاء ألف دينار في الماء؟! فقال له: يا قليل العقل أنا أذهبت عمري ومالي في طلب الحديث، وقد ثبت عند الناس أني ثقة، أفلا أنفي عن نفسي بألف دينار اسم السرقة.

قال أبو حفص الراوي لهذه الحكاية عنه: فبينا هو يحدثه وإذا بحوت قد خرج من البحر وفي فمه الكيس حتى وصل إلى الساحل وألقاه إليه فحمد الله البخاري وأخذ الكيس وربطه كما كان على وسطه ومضى.

قال وراقه: رأيته استلقى ونحن بفربر في تصنيف كتاب «التفسير» وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في التخريج، فقلت له: إني أراك تقول: ما أثبت شيئا بغير علم، فما الفائدة في الاستلقاء؟ فقال: أتعبت نفسي اليوم، وهذا ثغر خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو، فأحببت أن أستريح، وآخذ أهبة، فإن غافصنا العدو كان بنا حراك.

قال وراقه: وكان يركب إلى الرمي كثيرا، فما أعلمني رأيته في طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف، إلا مرتين، بل كان يصيب في كل ذلك، ولا يسبق.

قال وراقه: وركبنا يوما إلى الرمي، ونحن بفربر، فخرجنا إلى الدرب الذي يؤدي إلى الفرضة، فجعلنا نرمي، وأصاب سهم أبي عبد الله وتد القنطرة التي على النهر فانشق الوتد، فلما رأه نزل عن دابته، فأخرج السهم من الوتد، وترك الرمي، وقال لنا: ارجعوا، فرجعنا، فقال لي: يا أبا جعفر، لي إليك حاجة. وهو يتنفس الصعداء، فقلت: نعم، فقال: تذهب إلى صاحب القنطرة، فتقول له: إنا قد أخللنا بالوتد، فنحب أن تأذن لنا في إقامة بدله، أو تأخذ ثمنه، أو تجعلنا في حل مما كان منا، وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر، فقال لي: أبلغ أبا عبد الله السلام، وقل له: أنت في حل مما كان منك، فإن جميع ملكي لك الفداء.

قال وراقه: فأبلغته الرسالة فتهلل وجهه، وأظهر سرورا كثيرا، وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمسمائة حديث، وتصدق بثلاثمائة درهم.

قال وراقه: وسمعته يقول لأبي معشر الضرير: اجعلني في حل يا أبا معشر. فقال: من أي شيء ؟ فقال: رويت حديثا يوما فنظرت إليك، وقد أعجبت به، وأنت تحرك راسك ويديك، فتبسمت من ذلك. فقال: أنت في حل من ذاك يا أبا عبد الله رحمك الله.

قال وراقه: وسمعته يقول: دعوت ربي مرتين، فاستجاب لي، فلن أحب أن أدعو بعد فلعله ينقص حسناتي.

قال وراقه: وسمعته يقول: لا يكون لي خصم في الآخرة. فقلت: إن بعض الناس ينقمون عليك «التاريخ»، ويقولون: فيه اغتياب الناس. فقال: إنما روينا ذلك رواية، لم نقله من عند أنفسنا، قال النبي صلى الله غليه وسلم : (بئس أخو العشيرة)

قال وراقه: وسمعته يقول: ما اغتبت أحدا قط، منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها.

قلت: البخاري في كلامه على الرجال في غاية التحري والتوقي، ومن تأمل كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه وإنصافه، فإن أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، تركوه، ونحو هذا، وقل أن يقول: فلان كذاب، أو: يضع الحديث، بل إذا قال ذلك عزاه إلى غيره، بقوله: كذبه فلان، رماه فلان بالكذب، حتى إنه قال: من قلت فيه: في حديثه نظر، فهو متهم، ومن قلت فيه: منكر الحديث، فلا تحل الرواية عنه.

وقال أبو سعيد بكر بن منير: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا.

وقال بكر بن منير أيضا: كان محمد بن إسماعيل يصلي ذات يوم، فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة، فلما قضى صلاته، قال: انظر أي شيء هذا الذي آذاني في صلاتي. فنظروا فإذا الزنبور قد ورمه في سبعة عشرة موضعا، ولم يقطع صلاته.

وروى وراقه أيضا بالمعنى، وزاد: قال: كنت في آية، فأحببت أن أتمها.

وقال وراقه: كنا بفربر، وكان أبو عبد الله يبني رباطا مما يلي بخارى، فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك، وكان ينقل اللبن، فكنت أقول له: يا أبا عبد الله، إنك تكفى ذلك، فيقول: هذا الذي ينفعني.

قال: وكان ذبح لهم بقرة فلما أدركت القدور دعا الناس إلى الطعام، وكان معه مائة نفس أو أكثر، ولم يكن علم أنه يجتمع ما اجتمع، وكنا أخرجنا معه من فربر خبزا بثلاثمائة دراهم ، وكان الخبز إذ ذاك خمسة أمنان بدرهم، فألقيناه بين أيديهم، فأكل جميع من حضر، وفضلت أرغفة صالحة.

قال: وكان قليل الأكل جدا، كثير الإحسان إلى الطلبة، مفرط الكرم.

وحكى أبو الحسن يوسف بن أبي ذر البخاري أن البخاري مرض، فعرضوا ماءه على الأطباء، فقالوا: إن هذا الماء يشبه ماء بعض أساقفة النصارى؛ فإنهم لا يأتدمون. فصدقهم محمد بن إسماعيل، وقال: لم أئتدم منذ أربعين سنة، فسئلوا عن علاجه، فقالوا: علاجه الأدم، فامتنع حتى ألح عليه المشايخ وأهل العلم إلى أن أجابهم أن يأكل مع الرغيف سكرة.

وقال الحاكم أبو عبد الله الحافظ: أخبرني محمد بن خالد، قال: حدثنا مسبح بن سعيد، قال: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه، فيصلي بهم، ويقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أن يختم القرآن، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار في كل يوم ختمة، ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة، ويقول: عند كل ختمة دعوة مستجابة.

وقال وراقه: كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد، إلا في القيظ، فكنت أراه أحيانا يقوم في ليلة واحدة، خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري نارا بيده ويسرج، ويخرج أحاديث فيعلم عليها، ثم يضع رأسه، وكان يصلي في وقت

السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم، فقلت له: إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني؟! قال: أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك.

وقال الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي السليماني: سمعت علي بن محمد بن منصور: سمعت أبي يقول: كنا في مجلس أبي عبد الله البخاري، فرفع إنسان من لحيته قذاة، فطرحها إلى الأرض، قال: فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس، فلما غفل الناس رأيته مد يده فرفع القذاة من الأرض، فأدخلها في كمه، فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها، فطرحها على الأرض.

وقال وراقه: كان معه شيء من شعر النبي صلى الله غليه وسلم في ملبوسه، أظنه في خفه.

قال وراقه: وسمعته يقول وقد سئل عن خبر حديث: يا أبا فلان، تراني أدلس وقد تركت عشرة آلاف حديث لرجل فيه نظر؟! وتركت مثلها أو أكثر منها لغيره لي فيه نظر؟!

وقال الحسن بن محمد السمرقندي: كان محمد بن إسماعيل مخصوصا بثلاث خصال: كان قليل الكلام، وكان لا يطمع فيما عند الناس، وكان لا يشتغل بأمور الناس.

وقال شيخنا قاضي القضاة الحافظ ابن حجر مد الله في عمره: وكان البخاري صاحب فنون ومعرفة باللغة، والعربية، والتصريف.

ومن شعره رحمه الله تعالى ورضي عنه:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع فعسى أن يكون موتك بغته

كم صحيح رأيت من غير سقم ذهبت نفسه الصحيحة فلته

رواها الحاكم في تاريخه: ولما بلغه موت عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، أطرق ثم رفع رأسه وهو يبكي، وأنشد:

إن عشت تفجع بالأحبة كلهم وبقاء نفسك لا أبا لك أفجع

وأما ثناء مشايخه والناس عليه:

قال سليمان بن حرب ونظر إليه يوما: هذا يكون له صيت.

قلت: وقد تقدم نحوه لأحمد بن حفص.

وقال البخاري: كنت إذا دخلت على سليمان بن حرب، يقول: بين لنا غلط شعبة.

وقال وراقه: وسمعته يقول: كان إسماعيل بن أبي أويس إذا انتخبت من كتابه نسخ تلك الأحاديث لنفسه، وقال: هذه الأحاديث انتخبها محمد بن إسماعيل من حديثي.

وقال البخاري: اجتمع أصحاب الحديث، فسألوني أن أكلم إسماعيل بن أبي أويس ليزيدهم في القراءة، ففعلت، فدعا الجارية وأمرها أن تخرج صرة دنانير، وقال: يا أبا عبد الله، فرقها عليهم. قلت: إنما أرادوا الحديث. قال: قد أجبتك إلى ما أردت من الزيادة، غير أني أحب أن تضم هذا إلى ذاك.

وقال عبدان بن عثمان: ما رأيت بعيني شابا أبصر من هذا. وأشار بيده إلى محمد بن إسماعيل.

قال البخاري: وقال لي إسماعيل بن أبي أويس: انظر في كتبي وما أملك لك، وأنا شاكر لك ما دمت حيا.

وقال قتيبة بن سعيد: جالست الفقهاء والزهاد والعباد فما رأيت منذ عقلت كمحمد بن إسماعيل، وهو في زمانه كعمر في الصحابة.

وعن قتيبة أيضا قال: لو كان محمد بن إسماعيل في الصحابة لكان آية.

وأما كلام أقرانه وأتباعه فيه فمن بعدهم:

قال أبو حاتم الرازي: لم تخرج خراسان قط مثل محمد بن إسماعيل، ولا قدم منها إلى العراق أعلم منه.

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: قد رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق، فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن إسماعيل.

وقال أبو سهل محمود بن النضر الفقيه: دخلت البصرة والشام الحجاز والكوفة، ورأيت علماءها، فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل، فضلوه على أنفسهم.

وقال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن خزيمة: ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل.

وقال أبو عيسى الترمذي: لم أر أعلم بالعلل ومعرفة الأسانيد من محمد بن إسماعيل.

وقال له مسلم بن الحجاج: أشهد أنه ليس في الدنيا مثلك، ولا يبغضك إلا حاسد.

وقال الدارقطني: لولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء.

وهذا المجلس لا يسع كلام العلماء والأئمة فيه؛ فإن كلامهم فيه قديما وحديثا أكثر من أن يحصى، وإنما أشرت بما كتبت ها هنا إلى ما تركت، والله الموفق.

سعة حفظه

وأما سعة حفظه فكثير جدا، وأنا إن شاء الله أشير إلى يسير منه:

وقال سليم بن مجاهد: قال لي محمد بن إسماعيل البخاري: إني لا أجيء بحديث عن الصحابة والتابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثا من حديث الصحابة والتابعين يعني: *من الموقوفات* إلا ولي في ذلك أصل أحفظه حفظا عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله غليه وسلم .

وقال علي بن الحسين بن عاصم البيكندي: قدم علينا محمد بن إسماعيل البخاري، فقال له رجل من أصحابنا: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: كأني أنظر إلى سبعين ألف حديث من كتابي. فقال محمد بن إسماعيل: أوتعجب من هذا ؟ فلعل في هذا الزمان من ينظر إلى مائتي ألف حديث من كتابه. وإنما عنى نفسه.

وقال وراقه: سمعته يقول: ما نمت البارحة حتى عددت كم أدخلت في تصانيفي من الحديث، فإذا هو نحو مايتي ألف حديث.

وقال أيضا: لو قيل لي شيء لما قمت حتى أروي عشرة الآف حديث في الصلاة خاصة.

وقال أحمد بن حمدون الحافظ: رأيت البخاري في جنازة ومحمد بن يحيي الذهلي يسأله عن الأسماء والعلل، والبخاري يمر فيه مثل السهم، كأنه يقرأ: {قل هو الله أحد}.

وأما سبب تصنيفه للجامع:

فإن إبراهيم بن معقل النسفي قال: قال أبو عبد الله البخاري: كنت عند إسحاق بن راهويه، فقال لنا بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبي صلى الله غليه وسلم. فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب. يعني: الصحيح.

فعدة هذا الكتاب الفائق الذي تكشف عند قراءته الكروب والمضايق، وتنشرح صدور الأمة وتنزل ببركته على المؤمنين الرحمة سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثا، كان الله له على جمعها مساعدا ومعينا ومغيثا، منها أربعة آلاف مقررة، وباقيها مكررة، وما تكرر منها حديث إلا لفائدة أو لفضلة مع الراوي زائدة.

قال البخاري رحمه الله تعالى: حفظت مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح، واخترت كتابي هذا من ستمائة ألف حديث، وأخذت السمين ونبذت الغثيث، وما وضعت حديثا ولا حديثين حتى اغتسلت، وصليت ركعتين، واستخرت الله سبحانه وتعالى في ذلك وهو سبحانه وتعالى المرشد إلى أوضح المسالك.

وكان تأليفه في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك نهاية القصد وغاية السول في مدة ستة عشر سنة، ولم أقصد به إلا الطريق الحسنة، فيكون قد اغتسل سبعة آلاف ومايتن وخمسة وسبعين غسلا، وصلى أربعة عشر ألف ركعة وخمسماية وخمسين ركعة فمن يقوى من الأنام أن يقوم مقام هذا الإمام.

قال الفربري: سمع صحيح البخاري الجامع على مؤلفه تسعون ألف نفس، آخرهم أنا.

وقال البخاري: رأيت رسول الله صلى الله غليه وسلم في المنام وأنا قايم بين يديه، وفي يدي مروحة أذب عنه، ففسرته، فقيل لي: إنك تذب الكذب عن حديثه.

ورأى الفربري رسول الله صلى الله غليه وسلم في المنام والبخاري يمشي خلفه، وكلما رفع النبي صلى الله غليه وسلم قدمه وضع البخاري قدمه مكانها ففسروه باتباع سنته، فرحمة الله عليه.

توفي ليلة السبت عند العشاء، ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومايتين، ودفن بقرية عند باب سمرقند، وقبره أطيب رايحة من المسك والطيب والرند.

وقد قرأت بحمد الله ومنه في هذا العام بهذا الثغر العظيم المبارك من طرابلس المحروسة *حرسها الله بملائكته* في ثلاث مدارس وختمت بهذا الجامع المبارك المحترم احتسابا لوجه الله ذي الفضل والجود والنعم، من أول شهر رجب الفرد الأصم المكرم، وختمته في السابع والعشرين من هذا الشهر المعظم، ونرجوا من الله الكريم أن يتقبله مني بفضله والكرم:

حديث بحمد الله يبدا ويختم صحيح نسيب والنسيب المقدم

حديث له نور ونور وبهجة له في عباد الله حكم محكم

حديث له كل الخلايق أذعنوا به كل حبر في الأنام يقدم

حديث قديم العهد أصل فروعه زكت إذ بدت أزهاره تتنسم

حديث البخاري كم كسرنا به العدى وكم كافر دسناه قال مسلم

به ثمرة العلم والدين يجتنى فبستانه يزهو لمن يتعلم

حديث به نرجو شفاء قلوبنا صحيح فلا ضعف يليه فيسقم

حديث لأمراض القلوب مداويا حكيم له طب به الداء يحسم

فأسماعنا قد فتحت بسماعه وحاشا لسمع إذ وعاه يصمم

سرت نسمات الأنس من روضة الرضا على نسم من روحه تتنسم

فأسطره في الطرس كالمسك رقمت وألفاظه در ثمين منظم

فما للبخاري من نظير لأنه نضير المعاني والمعالي مكرم

فمن صدره بحر به الفضل طامح ومن ذهنه غيب من الغيث مسجم

تغرب في شرق البلاد وغربها على حفظ تحصيل الحديث يصمم

لهذا له الأعلام في العلم قد علت ومنصبه في ذروة الفضل معلم

وحفاظ بغداد قد اعترفوا له بحق وشام ثم مصر وسلموا

وكل إمام شاع في الناس فضله وقبل عينيه وكفيه مسلم

وطا للأقدام يلثمها فلم يدعه البخاري للمواطئ يلثم

إمامان أهل الدين والفضل والتقى فكل إمام يسند العلم عنهم

فأحسن رب العرش عنا جزاهما عسى بهما للخير نهدى فنرحم

فرحمة الله عليه وعلى جميع مشايخ الحديث الذين بينوا لنا الصحيح والسقيم والسمين والغثيث، فأوضحوا بذلك الدين المبين، وشيدوا قواعد ركنه المتين رضوان الله عليهم أجمعين.

واظب على جمع الحديث وكتبه واجهد على تصحيحه في كتبه

واسمعه من أربابه نقلا كما سمعوه من أشياخهم تسعد به

واعرف ثقات رواتهم من غيرهم كيما تميز صدقه من كذبه

فهو المميز للكتاب وإنما نطق النبي لنا به عن ربه

وتفهم الأخبار تعرف حله من حرمه مع فرضه من ندبه

وتجنب التصحيف فيه فربما أدى إلى تحريفه مع قلبه

واترك مقالة من لحاك بجهله عن كتبه أو بدعة في قلبه

فكفى المحدث رفعة أن يرتضى ويعد من أهل الحديث وحزبه.

66- الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري[1]

أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي المتوفى 893 هـ

أبو عبد الله محمدُ بن إسماعيل بن إبراهيم بن بَرْدِزبة -بفتح الباء وسكون الراء المهملة ودال مكسورة بعدها زاي معجمة بعدها باء موحدة- الجُعْفي، أسلم جَدّه المغيرة على يد اليمان الجعفي.

قال الجوهري: نسبه إلى جُعْف بن سعد العشيرة أبو قبيلة باليمن. قال ابن الصلاح: وُلد أبو عبد الله يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عَشْرة خَلَت من شوال سنة أربع وتسعين ومئة، ومات بخَرْتَنْك -بخاء معجمة وراءٍ مهملة بعدها مثناة فوقُ بعدها نون ساكنة- قريةٌ من قرى سمرقند، ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومئتين، وعمره اثنان وستون سنةَ إلا ثلاثةَ عَشْر يومًا.

نقَلَ العراقي أنه قال: أحفظُ مئةَ ألف حديث صحيح.

ونُقل عنه أنه قال: خرّجْتُ هذا الكتابَ من زهاء ستمئة ألف حديثٍ. قيل: لم يَضَعْ في كتابه حديثًا إلا اغتسَلَ قبله وصلى ركعتين، وكان الاغتسالُ بماء زمزم، والصلاة خلف المقام.

ونَقَل الغساني بسنده إلى عبد الواحد بن آدم الطواوسي أنه قال: رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – واقفًا ومعه جماعةٌ من أصحابه، فسلمتُ عليه، فردَّ عليَّ السلامَ، فقلتُ: ما

---

1 الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري

تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية- دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م

وقوفُك يا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؟ فقال أنتظرُ محمد بن إسماعيل. فلما كان بعد أيامٍ بَلَغنا أنه كان قد مات في تلك الساعة التي رأيتُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – واقفًا فيها.

ومناقبهُ من حُسن الأخلاق والتقوى لا تُعَدُّ ولا تُحصَى – رضي الله عنه.-

واتفقوا على أن كتابه أصحُّ كتابٍ بعد كتاب الله، إلا ما نُقل عن بعض المغاربة وأبي علي النيسابوري من تفضيل كتاب مسلم عليه.

قال ابن الصلاح: إن أرادوا حُسْن السياق وعدمَ امتزاج الحديث بغيره فلا بأس بهذا القول؛ وذلك أن كتاب البخاري فيه من التراجم والتعليقات ومذاهبِ الفقهاء شيء كثير. وإن أرادوا ما يرجع إلى الصحة فهو مردود. كيف لا والبخاري يَشْرِطُ في الرواية ملاقاةَ المروي عنه، ومسلمٌ يكتفي بالمعاصرة، كما صرَّح به في مقدمة كتابه.

قال ابن الصلاح: وأما عدد أحاديث البخاري فسبعةُ آلافٍ ومئتان وخمسة وسبعون حديثًا، وبإسقاط المكرر أربعة آلافٍ.

وقال العراقي: هذا في رواية الفِرَبْرِي. وفي رواية حمَّاد بن شاكر دُونَها بمئتي حديث، ودون رواية حمادٍ روايةُ إبراهيم بن معقل بمئة حديثٍ.

وقال شيخنا شيخُ الإسلام أبو الفضل بنُ حجر: أحاديثه سبعةُ آلاف وثلاثُمئةٍ وسبعون حديثًا، وما فيه من المتون الموصولة بلا تكرارٍ ألفا حديثٍ وأربع مئةٍ وستون وأربعة أحاديث.

وأما التعاليق فألفٌ وثلاثمئةٍ وواحد وأربعون والمتابعات على اختلاف الروايات ثلاثمئةٍ وأربعةٌ وأربعون.

هذا، وصحيح مسلم أربعةُ آلافِ حديث من غير تكرار، ومع التكرار اثنا عشر ألف حديث. وسنن أبي داود: أربعةُ آلاف وستمئة حديث. وابن ماجه: أربعةُ آلافٍ. فإن قلتَ:

هل لما يقال: إن البخاري لم يرو في كتابه إلا حديثًا له راويان منه إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أصلٌ؟ قلتُ: ذكره القاضي أبو بكر بن المغربي في شرحه. ورُدَّ عليه بحديث: "إنما الأعمال بالنيات"؛ فإنه لم يَرْوه عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا عمرُ.
فأجاب بأن عُمر خَطَب بالحديث على المنبر، فلو لم يكن الصحابة عارفين به لَرَدُّوا عليه، وهذا مع ظهور فساده لو سُلِّم له في عُمر لا يُجْدِيْهِ نفعًا؛ لأنه لم يروه عن عمر إلا علقمةُ، ولا عن علقمةَ إلا محمدُ بن إبراهيم، ولا عن محمد بن إبراهيم إلا يحيى بن سعيد.

فإن قلتَ: ما موضوع علم الحديث؛ فإن تمايُزَ العلوم إنما يكون بتمايُز الموضوعات. فإن علم الفقه إنما امتاز عن علم أصوله: بأن هذا يَبحث عن أفعال المكلفين من حيثُ تصحّ وتفسُد، وذلك يُبحثُ عن الأدلة الموصلة إليه إجمالًا؟ قلت: ذكروا أن موضوعه ذاتُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من حيث إنه رسولٌ. وهذا غلطٌ؛ إذ لا بحث في علم الحديث عما يَلْحَقُ ذاتَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بل عما يَلْحق أقوالَهُ وأفعالَهُ من الاصال والانقطاع، والوقف والرفع وغير ذلك.

ألاَ ترى أنهم يقولون: الحديث الصحيح ما رواه عَدْلٌ ضابطٌ عن عدل ضابط إلى منتهاه، ثم يقولون: حديث: "إنما الأعمال بالنيات" صحيحٌ؛ لأنه داخلٌ تحت ذلك القانون؟. وهذا كتراكيب القرآن لعلم القراءة، وتراكيب البُلَغاء لعلم البلاغة؛ إذ لا يقول أحدٌ بأن موضوعَ علم القراءة ذاتُ الله، ولا إن موضوع علم البلاغة ذاتُ امرئ القيس وغيره من العرب العَرْباء. وليس ما في البخاري ومسلم من متون الأحاديث من علم الحديث في شيء، بل هو كالقرآن في المصاحف، غيرَ أنه مسنَدٌ لعدم تواتره، بخلاف القرآن.

وللعلماء في علم الحديث كتبٌ مُدَوَّنةٌ؛ منها: كتابُ ابن الصلاح، وألفيةُ العراقي وغيرها.

واعلم أن لي برواية الكتاب أسانيدَ كثيرةً من فضل الله أتقنها ما أخبرنا به شيخُنا أبو الفضل بنُ حجر بالديار المصرية سنة خمسٍ وثلاثين وثمانمئة بقراءتي عليه إلى (بَدْءِ الخلق) وأجاز بالباقي.

قال: أخبرنا السيد عفيف الدين أبو محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري ثم المكي بها قراءة عليه، ونحن نسمَعُ، وأجازه بما فاتني منه.

قال: أخبرنا بجميعه الإمامُ رضي الدين إبراهيمُ بن محمد بن أبي بكر الطبري إمامُ المقام. قال: أخبرنا أبو محمد عبدُ الرحمن بن أبي حرمي سماعًا عليه إلا لفوت يسير من أثنائه فأجازه.

قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن حُميد -بضم الحاء مُصَغَّر- ابن عمار الطرابلسي، قال: أخبرنا الشيخُ أبو مكتوم عيسى بن أبي ذر، قال: أخبرنا أبو ذر الحافظ عبدُ بن أحمد الهروي نزيل مكة.

قال: أخبرنا المشايخ الثلاثة أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملي، وأبو عبد الله محمد بن حموية السرجي، وأبو الهيثم محمد المكي الكُشْمَهِيْنِي.

قال الثلاثة: أخبرنا أبو عبد الله محمد بنُ يوسف بن مطر الفِرَبْرِي.

قال: أخبرنا محمدُ بن إسماعيل البخاري.

67- طبقات الحفاظ[1]

عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)

قال رحمه الله: البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الجعفي مولاهم، الحافظ العلم صاحب الصحيح، وإمام هذا الشأن، والمعول على صحيحه في أقطار البلدان.

روى عن الإمام أحمد، وإبراهيم بن المنذر، وابن المديني، وآدم بن أبي إياس، وقتيبة، وخلق، **وعنه**: مسلم، والترمذي، وإبراهيم الحربي، وابن أبي الدنيا، وأبو حاتم، والمحاملي، والفربري، وخلق، آخرهم وفاة ورواية للصحيح: أبو طلحة منصور بن محمد النسفي.

قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري كيف كان بدء أمرك في طالب الحديث؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب، ولي عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر، فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك، ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء وأقاويلهم، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فأقمنا بها إلى طلب الحديث، فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وصنف كتاب التاريخ، إذ ذاك عند قبر الرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة إلا أني كرهت تطويل الكتاب.

وروى عن البخاري أنه قال أخرجت هذا الكتاب يعين الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديثه. وقال الفربري قال لي البخاري ما وضعت في كتابي الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.

وقال بندار حفاظ الدنيا أربعة أبو زرعة بالري ومسلم بنيسابور والدارمي بسمرقند والبخاري ببخارى.

وقال ابن عدي كان ابن صاعد إذا ذكر البخاري يقول الكبش النطاح

---

[1] طبقات الحفاظ 252-253- دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، 1403

وللبخاري من المؤلفات: الجامع الصحيح، التاريخ الكبير، الأدب المفرد، القراءة خلف الإمام. ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة خلت من شوال، سنة أربع وتسعين ومائة. ومات ليلة عيد الفطر، سنة ست وخمسين ومائتين.

68- إرشادُالساري لشرح صحيح البخاري[1]

أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني (المتوفى: 923هـ)

قال رحمه الله: "الفصل الخامس. في ذكر نسب البخاري، ونسبته، ومولده، وبدء أمره، ونشأته، وطلبه للعلم، وذكر بعض شيوخه ومن أخذ عنه ورحلته، وسعة حفظه وسيلان ذهنه، وثناء الناس عليه بفقهه وزهده وورعه وعبادته، وما ذكر من محنته ومنحته بعد وفاته وكرامته.

هو الإمام حافظ الإسلام خاتمة الجهابذة النقاد الأعلام، شيخ الحديث وطبيب علله في القديم والحديث، إمام الأئمة عجما وعربا، ذو الفضائل التي سارت السراة بها شرفا وغربا، الحافظ الذي لا تغيب عنه شاردة، والضابط الذي استوت لديه الطارفة والتالدة، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، بضم الميم وكسر المعجمة، ابن بردزبه بفتح الموحدة وسكون الراء بعدها دال مهملة مكسورة فزاي ساكنة فموحدة مفتوحة فهاء على المشهور في ضبطه وبه جزم ابن ماكولا، وهو بالفارسية الزراع، الجعفي ضم الجيم وسكون العين المهملة بعدها فاء. وكان بردزبه فارسيا على دين قومه ثم أسلم ولده المغيرة على يد اليمان الجعفي والي بخارى، فنسب إليه نسبة ولاء عملا بمذهب من يرى أن من أسلم على يد شخص كان ولاؤه له، ولذا قيل للبخاري الجعفي، ويمان هذا هو جد المحدث عبد الله بن محمد بن جعفر

---

[1] إرْشَادُ السَّارِي لِشرح صَحِيح البخَاري 31/1
المطبعة الكبرى الأميرية، مصر– الطبعة: السابعة، 1323 هـ

بن يمان الجعفي المسندي. قال الحافظ ابن حجر وأما إبراهيم بن المغيرة فلم نقف على شيء من أخباره، وأما والد البخاري محمد فقد ذكرت له ترجمة في كتاب الثقات لابن حبان فقال في الطبقة الرابعة: إسماعيل بن إبراهيم والد البخاري، يروي عن حماد بن زيد ومالك، روى عنه العراقيون وذكره ولده في التاريخ الكبير، فقال إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة سمع من مالك وحماد بن زيد وصحب ابن المبارك، وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: وكان أبو البخاري من العلماء الورعين وحدث عن أبي معاوية وجماعة وروى عنه أحمد بن جعفر ونصر بن الحسين، قال أحمد بن حفص: دخلت على أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم عند موته فقال لا أعلم في جميع مالي درهما من شبهة، فقال أحمد فتصاغرت إلي نفسي عند ذلك. وكان مولد أبي عبد الله البخاري يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال. وقال ابن كثير ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ببخارى وهي بضم الموحدة وفتح الخاء المعجمة وبعد الألف راء، وهي من أعظم مدن ما وراء النهر بينها وبين سمرقند ثمانية أيام، وتوفي أبوه إسماعيل وهو صغير فنشأ يتيما في حجر والدته، وكان أبو عبد الله البخاري نحيفا ليس بالطويل ولا بالقصير، وكان فيما ذكره غنجار في تاريخ بخارى واللالكائي في شرح السنة في باب كرامات الأولياء: قد ذهبت عيناه في صغره فرأت أمه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في المنام فقال لها: قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك له فأصبح وقد رد الله عليه بصره، وأما بدء أمره فقد ربي في حجر العلم حتى ربا، وارتضع ثدي الفضل فكان فطامه على هذا اللبا.

وقال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم وراق البخاري: قلت للبخاري كيف كان بدء أمرك؟ قال: ألهمت الحديث في المكتب ولي عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من المكتب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يوما فيما كان يقرأ للناس سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك، فدخل فنظر فيه ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام، قلت هو الزبير بن عدي عن إبراهيم. فأخذ القلم مني وأصلح كتابه. وقال صدقت فقال بعض أصحاب

البخاري له ابن كم كنت: قال ابن إحدى عشرة سنة فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء يعني أصحاب الرأي، ثم خرجت مع أخي أحمد وأمي إلى مكة فلما حججت رجع أخي إلى بخارى فمات بها، -وكان أخوه أسن منه وأقام هو بمكة لطلب الحديث- قال ولا طعنت في ثماني عشرة سنة صنفت كتاب قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، قال: وصنفت التاريخ الكبير إذ ذاك عند قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- في الليالي المقمرة، وقل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتاب.

وقال أبو بكر بن أبي عتاب الأعين: كتبنا عن محمد بن إسماعيل وهو أمرد على باب محمد بن يوسف الفريابي وما في وجهه شعرة. وكان موت الفريابي سنة اثنتي عشرة ومائتين فيكون للبخاري إذ ذاك نحو من ثمانية عشر عاما أو دونها.

وأما رحلته لطلب الحديث فقال الحافظ ابن حجر: أول رحلته بمكة سنة عشر ومائتين، قال: ولو رحل أول ما طلب لأدرك ما أدركه أقرانه من طبقة عالية ما أدركها، وإن كان أدرك ما قاربها كيزيد بن هارون وأبي داود الطيالسي، وقد أدرك عبد الرزاق وأراد أن يرحل إليه وكان يمكنه ذلك فقيل له إنه مات فتأخر عن التوجه إلى اليمن، ثم تبين أن عبد الرزاق كان حيا فصار يروي عنه بواسطة، ثم ارتحل بعد أن رجع من مكة إلى سائر مشايخ الحديث في البلدان التي أمكنته الرحلة إليها. وقال الذهبي وغيره وكان أول سماعه سنة خمس ومائتين ورحل سنة عشر ومائتين بعد أن سمع الكثير ببلده من سادة وقته محمد بن سلام البيكندي وعبد الله بن محمد المسندي ومحمد بن عرعرة وهارون بن الأشعث وطائفة، وسمع ببلخ من مكي بن إبراهيم ويحيى بن بشر الزاهد وقتيبة وجماعة، وإن مكي أحد من حدثه عن ثقات التابعين، وسمع بمرو من علي بن شقيق وعبدان ومعاذ بن أسد وصدقة بن الفضل وجماعة، وسمع بنيسابور من يحيى بن يحيى وبشر بن الحكم وإسحق وعدة، وبالري من إبراهيم بن موسى الحافظ وغيره، وببغداد من محمد بن عيسى بن الطباع وشريح بن النعمان وطائفة، وقال: دخلت على معلى بن منصور ببغداد سنة عشر ومائتين، وسمع بالبصرة من أبي عاصم

النبيل وبدل بن المحبر ومحمد بن عبد الله الأنصاري وعبد الرحمن بن محمد بن حماد وعمر بن عاصم الكلابي وعبد الله بن رجاء الغداني وطبقتهم، وبالكوفة من عبيد الله بن موسى وأبي نعيم وطلق بن غنام والحسن بن عطية وهما أقدم شيوخه موتا وخلاد بن يحيي وخالد بن مخلد وفروة بن أبي المغراء وقبيصة وطبقتهم، وبمكة من أبي عبد الرحمن المقري والحميدي وأحمد بن محمد الأزرقي وجماعة، وبالمدينة من عبد العزيز الأويسي ومطرف بن عبد الله وأبي ثابت محمد بن عبد الله وطائفة، وبواسط من عمرو بن محمد بن عون وغيره، وبمصر من سعيد بن أبي مريم وعبد الله بن صالح الكاتب وسعيد بن تليد وعمرو بن الربيع بن طارق وطبقتهم، وبدمشق من أبي مسهر شيئا يسيرا ومن أبي النضر الفراديسي وجماعة، وبقيسارية من محمد بن يوسف الفريابي، وبعسقلان من آدم بن أبي إياس، وبحمص من أبي المغيرة وأبي اليمان وعلي بن عياش وأحمد بن خالد الوهبي ويحيي الوحاظي.

وعن محمد بن أبي حاتم عنه أنه قال كتبت عن ألف وثمانين نفسا ليس فيهم إلا صاحب حديث. وقال أيضا: لم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل، وقد حصرهم الحافظ ابن حجر في خمس طبقات: الأولى: من حدث عن التابعين مثل محمد بن عبد الله الأنصاري حدثه عن حميد، ومثل مكي بن إبراهيم حدثه عن يزيد بن أبي عبيد، ومثل أبي عاصم النبيل حدثه عن يزيد بن أبي عبيد أيضا، ومثل عبيد الله بن موسى حدثه عن إسماعيل بن أبي خالد، ومثل أبي نعيم حدثه عن الأعمش، ومثل خلاد بن يحيي حدثه عن عيسى بن طهمان، ومثل علي بن عياش وعصام بن خالد حدثاه عن جرير بن عثمان، وشيوخ هؤلاء كلهم من التابعين. الطبقة الثانية: من كان في عصر هؤلاء لكن لم يسمع من ثقات التابعين كآدم بن أبي إياس وأبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر وسعيد بن أبي مريم وأيوب بن سليمان بن بلال وأمثالهم. الطبقة الثالثة: وهي الوسطى من مشايخه وهم من لم يلق التابعين بل أخذ عن كبار تبع الأتباع كسليمان بن حرب وقتيبة بن سعيد ونعيم بن حماد وعلي بن المديني ويحيي بن معين وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي بكر وعثمان ابني أبي شيبة وأمثال هؤلاء، وهذه الطبقة قد شاركه مسلم في الأخذ عنهم. الطبقة الرابعة: رفقاؤه في الطلب ومن

سمع قبله قليلا كمحمد بن يحيى الذهلي وأبي حاتم الرازي ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة وعبد بن حميد وأحمد بن النضر وجماعة من نظرائهم وإنما يخرج عن هؤلاء ما فاته عن مشايخه أو ما لم يجده عند غيرهم. الطبقة الخامسة: قوم في عداد طلبته في السن والإسناد سمع منهم للفائدة كعبد الله بن حماد الآملي وعبد الله بن أبي القاضي الخوارزمي وحسين بن محمد القباني وغيرهم، وقد روى عنهم أشياء يسيرة وعمل في الرواية عنهم بما روى عثمان بن أبي شيبة عن وكيع قال: لا يكون الرجل عالما حتى يحدث عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه اهـ. وعن البخاري أنه قال: لا يكون المحدث كاملا حتى يكتب عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه اهـ. وقال التاج السبكي وذكره يعني البخاري أبو عاصم في طبقات أصحابنا الشافعية. وقال: إنه سمع من الزعفراني وأبي ثور والكرابيسي قال: ولم يرو عن الشافعي في الصحيح لأنه أدرك أقرانه والشافعي مات مكتهلا فلا يرويه نازلا. وروى عن الحسين وأبي ثور مسائل عن الشافعي وما برح رحمه الله تعالى يدأب ويجتهد حتى صار أنظر أهل زمانه وفارس ميدانه والمقدم على أقرانه، وامتدت إليه الأعين وانتشر صيته في البلدان، ورحل إليه من كل مكان.

وأما من أخذ عن البخاري فقال الذهبي وغيره أنه حدث بالحجاز والعراق وما وراء النهر وكتبوا عنه وما في وجهه شعرة، وروى عنه أبو زرعة وأبو حاتم قديما، وروى عنه من أصحاب الكتب الترمذي والنسائي على نزاع في النسائي والأصح أنه لم يرو عنه شيئا، وروى عنه مسلم في غير الصحيح ومحمد بن نصر المروزي الفقيه وصالح بن محمد جزرة الحافظ وأبو بكر بن أبي عاصم ومطين وأبو العباس السراج وأبو بكر بن خزيمة وأبو قريش محمد بن جمعة ويحيى بن أبي صاعد وإبراهيم بن معقل النسفي ومهيب بن سليم وسهل بن شاذويه ومحمد بن يوسف الفربري ومحمد بن أحمد بن دلويه وعبد الله بن محمد الأشقر ومحمد بن هارون الحضرمي والحسين بن إسماعيل المحاملي وأبو علي الحسن بن محمد الداركي وأحمد بن حمدون الأعمش وأبو بكر بن أبي داود ومحمد بن محمود بن عنبر النسفي وجعفر بن محمد بن الحسن

الجزري وأبو حامد بن الشرقي وأخوه أبو محمد عبد الله ومحمد بن سليمان بن فارس ومحمد بن المسيب الأرغياني ومحمد بن هارون الروياني وخلق.

وآخر من روى عنه الجامع الصحيح منصور بن محمد البزدوي سنة تسع وعشرين وثلثمائة، وآخر من زعم أنه سمع من البخاري موتا أبو ظهير عبد الله بن فارس البلخي المتوفى سنة ست وأربعين وثلثمائة، وآخر من روى حديثه عاليا خطيب الموصل في الدعاء للمحاملي بينه وبينه ثلاثة رجال.

وأما ذكاؤه وسعة حفظه وسيلان ذهنه فقيل إنه كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سردا. وروي أنه كان ينظر في الكتاب مرة واحدة فيحفظ ما فيه من نظرة واحدة. وقال محمد بن أبي حاتم وراقه سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان كان البخاري يختلف معنا إلى السماع وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له فقال: إنكما قد أكثرتما علي فاعرضا علي ما كتبتما فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزاد ذلك على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلبه حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه، ثم قال: أترون أني أختلف هدرا وأضيع أيامي، فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد. قالا: فكان أهل المعرفة يغدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه وكان شابا. وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت سليمان بن مجاهد يقول كنت عند محمد بن سلام البيكندي فقال لي: لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث. قال فخرجت في طلبه فلقيته فقلت أنت الذي تقول أنا أحفظ سبعين ألف حديث قال: نعم وأكثر ولا أجيبك بحديث عن الصحابة والتابعين إلا من عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثا من حديث الصحابة والتابعين إلا ولي في ذلك أصل أحفظه حفظا عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-. وقال ابن عدي حدثني محمد بن أحمد القوسي سمعت محمد بن حمرويه يقول سمعت محمد بن إسماعيل يقول أحفظ مائة ألف حديث صحيح وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح. وقال أخرجت هذا الكتاب يعني الجامع الصحيح من نحو ستمائة ألف حديث، وقال دخلت

بلخ فسألوني أن أملي عليهم لكل من كتبت عنه فأمليت ألف حديث عن ألف شيخ، وقال تذكرت يوما في أصحاب أنس فحضرني في ساعة ثلثمائة نفس، وقال وراقه عمل كتابا في الهبة فيه نحو خمسائة حديث. وقال ليس في كتاب وكيع في الهبة إلا حديثان مسندان أو ثلاثة، وفي كتاب ابن المبارك خمسة أو نحوها. وقال أيضا سمعت البخاري يقول كنت في مجلس الفريابي فسمعته يقول حدثنا سفيان عن أبي عروبة عن أبي الخطاب عن أنس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يطوف على نسائه في غسل واحد، فلم يعرف أحد في المجلس أبا عروبة ولا أبا الخطاب، فقلت أما أبو عروبة فمعمر وأما أبو الخطاب فقتادة. وكان الثوري فعولا لهذا يكني المشهورين. وقال محمد بن أبي حاتم أيضا قدم رجاء الحافظ فقال لأبي عبد الله: ما أعددت لقدومي حين بلغك؟ وفي أي شيء نظرت، قال ما أحدثت نظرا ولا استعددت لذلك فإن أحببت أن تسأل عن شيء فافعل، فجعل يناظره في أشياء فبقي رجاء لا يدري، ثم قال أبو عبد الله هل لك في الزيادة فقال استحياء منه وخجلا نعم، ثم قال: سل إن شئت فأخذ في أسامي أيوب فعد نحوا من ثلاثة عشر وأبو عبد الله ساكت، فظن رجاء أنه قد صنع شيئا فقال يا أبا عبد الله فاتك خير كثير، فزيف أبو عبد الله في أولئك سبعة وأغرب عليه أكثر من ستين رجلا، ثم قال لرجاء كم رويت في العمامة السوداء؟ قال هات كم رويت أنت، قال يروى من أربعين حديثا فخجل رجاء وييس ريقه.

وأما كثرة اطلاعه على علل الحديث فقد روينا عن مسلم بن الحجاج أنه قال له: دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله، وقال الترمذي: لم أر أحدا بالعراق ولا بخراسان في معرفة العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل، وقال محمد بن أبي حاتم سمعت سليم بن مجاهد يقول سمعت أبا الأزهر يقول: كان بسمرقند أربعمائة ممن يطلبون الحديث فاجتمعوا سبعة أيام وأحبوا مغالطة محمد بن إسماعيل فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق وإسناد العراق في إسناد الشام وإسناد الحرم في إسناد اليمن فما استطاعوا مع ذلك أن يتعلقوا عليه بسقطة لا في الإسناد ولا في المتن. وقال أحمد بن عدي الحافظ: سمعت عدة من المشايخ يحكون أن البخاري قدم بغداد فاجتمع أصحاب

الحديث وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها على البخاري في المجلس امتحانا فاجتمع الناس من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم ومن البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب أحدهم فقام وسأله عن حديث من تلك العشرة فقال: لا أعرفه فسأله عن آخر فقال لا أعرفه حتى فرغ العشرة فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون الرجل فهم، ومن كان لا يدري قضى عليه بالعجز ثم انتدب آخر ففعل كفعل الأول والبخاري يقول لا أعرفه إلى أن فرغ العشرة أنفس، وهو لا يزيدهم على لا أعرفه فلما علم أنهم فرغوا التفت إلى الأول فقال: أما حديثك الأول فقلت كذا وصوابه كذا، وحديثك الثاني كذا وصوابه كذا، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك فأقر الناس له بالحفظ وأذعنوا له بالفضل. وقال يوسف بن موسى المروزي: كنت بجامع البصرة فسمعت مناديا ينادي يا أهل العلم لقد قدم محمد بن إسماعيل البخاري فقاموا في طلبه، وكنت فيهم فرأيت رجلا شابا ليس في لحيته بياض يصلي خلف الأسطوانة فلما فرغ أحدقوا به وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء فأجابهم إلى ذلك، فقام المنادي ثانيا ينادي في جامع البصرة فقال: يا أهل العلم لقد قدم محمد بن إسماعيل البخاري فسألناه بأن يعقد مجلس الإملاء فأجاب بأن يجلس غدا في موضع كذا، فلما كان من الغد حضر المحدثون والحفاظ والفقهاء والنظار حتى اجتمع قريب من كذا وكذا ألف نفس، فجلس أبو عبد الله للإملاء فقال قبل أن يأخذ في الإملاء: يا أهل البصرة أنا شاب وقد سألتموني أن أحدثكم وسأحدثكم أحاديث عن أهل بلدتكم تستفيدونها يعني ليست عندكم، فتعجب الناس من قوله، فأخذ في الإملاء فقال: حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد العتكي بلديكم، قال: حدثنا أبي عن شعبة عن منصور وغيره عن سالم بن أبي الجعد عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن أعرابيا جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله الرجل يحب القوم الحديث. ثم قال: هذا ليس عندكم عن منصور إنما هو عندكم عن غير منصور. قال يوسف بن موسى فأملى مجلسا على

هذا النسق يقول في كل حديث روى فلان هذا الحديث وليس عندم كذا فأما رواية فلان يعني التي يسوقها فليست عندكم.

وقال الحافظ أبو حامد الأعمى كنا عند البخاري بنيسابور فجاء مسلم بن الحجاج فسأله عن حديث عبيد الله بن عمر عن أبي الزبير عن جابر قال: "بعثنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في سرية ومعنا أبو عبيدة" الحديث بطوله. فقال البخاري: "حدثنا ابن أبي أويس حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن عبيد الله" فذكر الحديث بتمامه. قال فقرأ عليه إنسان حديث حجاج بن محمد عن ابن جريح عن موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "كفارة المجلس إذا قام العبد أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك".

فقال له مسلم في الدنيا أحسن من هذا الحديث. ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح يعرف بهذا الإسناد في الدنيا حديثا. فقال له محمد بن إسماعيل: إلا أنه معلول. فقال مسلم لا إله إلا الله وارتعد. أخبرني به، فقال: استر ما ستر الله تعالى، هذا حديث جليل رواه الناس عن حجاج بن محمد عن ابن جريج فألح عليه وقبل رأسه وكاد يبكي. فقال اكتب إن كان ولا بد: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب حدثنا موسى بن عقبة عن عون بن عبد الله قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كفارة المجلس. فقال له مسلم: لا يبغضك إلا حاسد وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك، وقد روى هذه القصة البيهقي في المدخل عن الحاكم أبي عبد الله على سياق آخر، فقال: سمعت أبا نصر أحمد بن محمد الوراق يقول سمعت أحمد بن حمدون القصار هو أبو حامد الأعمش يقول سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل فقبل بين عينيه وقال دعني حتى أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله، حدثك محمد بن سلام حدثنا محمد بن مخلد بن يزيد، قال أخبرنا ابن جريج حدثنا موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في كفارة المجلس، فقال محمد بن إسماعيل وحدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، قالا حدثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج، حدثني

موسى بن عقبة عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "كفارة المجلس أن يقول إذا قام من مجلسه سبحانك اللهم ربنا وبحمدك" فقال محمد بن إسماعيل هذا حديث مليح ولا أعلم بهذا الإسناد في الدنيا حديثا غير هذا، إلا أنه معلول. حدثنا به موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب حدثنا سهيل عن عون بن عبد الله قوله: قال محمد بن إسماعيل هذا أولى. ولا يذكر لموسى بن عقبة مسندا عن سهيل. وقال الحافظ أحمد بن حمدون رأيت البخاري في جنازة ومحمد بن يحيى الذهلي يسأله عن الأسماء والعلل والبخاري يمر فيه كالسهم كأنه يقرأ قل هو الله أحد.

وأما تآليفه فإنها سارت مسير الشمس ودارت في الدنيا فما جحد فضلها إلا الذي يتخبطه الشيطان من المس وأجلها وأعظمها الجامع الصحيح. ومنها الأدب المفرد ويرويه عنه أحمد بن محمد الجليل بالجيم لبزار. ومنها بر الوالدين ويرويه عنه محمد بن دلويه الوراق. ومنها التاريخ الكبير الذي صنفه كما مر عند قبر النبي –صلى الله عليه وسلم– في الليالي المقمرة ويرويه عنه أبو أحمد محمد بن سليمان بن فارس وأبو الحسن محمد بن سهل النسوي وغيرهما. ومنها التاريخ الأوسط ويرويه عنه عبد الله بن أحمد بن عبد السلام الخفاف وزنجويه بن محمد اللباد. ومنها التاريخ الصغير ويرويه عنه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأشقر. ومنها خلق أفعال العباد الذي صنفه بسبب ما وقع بينه وبين الذهلي كما سيأتي قريبا إن شاء الله تعالى ويرويه عنه يوسف بن ريحان بن عبد الصمد والفربري أيضا.

وكتاب الضعفاء يرويه عنه أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي وأبو جعفر مسبح بن سعيد وآدم بن موسى الحواري. قال الحافظ ابن حجر: وهذه التصانيف موجودة مروية لنا بالسماع والإجازة. قال ومن تصانيفه الجامع الكبير ذكره ابن طاهر، والمسند الكبير والتفسير الكبير ذكره الفربري، وكتاب الأشربة ذكره الدارقطني في المؤتلف والمختلف، وكتاب الهبة ذكره وراقه، وأسامي الصحابة ذكره أبو القاسم بن منده، وأنه يرويه من طريق ابن فارس عنه، وقد نقل منه أبو القاسم البغوي الكثير في معجم الصحابة له كذا ابن منده في المعرفة، ونقل عنه في كتاب الوحدان له وهو من ليس له إلا حديث واحد من الصحابة، وكتاب المبسوط ذكره

الخليل في الإرشاد وأن مهيب بن سليم رواه عنه في كتاب العلل وذكره أبو القاسم بن منده أيضا وأنه يرويه عن محمد بن عبد الله بن حمدون عن أبي محمد عبد الله بن الشرقي عنه، وكتاب الكنى ذكره الحاكم أبو أحمد ونقل منه، وكتاب الفوائد ذكره الترمذي في أثناء كتاب المناقب من جامعه.

ومن شعره مما أخرجه الحاكم في تاريخه:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع ... فعسى أن يكون موتك بغته

كم صحيح رأيت من غير سقم ... ذهبت نفسه الصحيحة فلته

ولما نعي إليه عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي الحافظ أنشد:

إن عشرت تفجع بالأحبة كلهم ... وبقاء نفسك لا أبا لك أفجع

وأما ثناء الناس عليه بالحفظ والورع والزهد وغير ذلك فقد وصفه غير واحد بأنه كان أحفظ أهل زمانه وفارس ميدانه، كلمة شهد له بها الموافق والمخالف، وأقر بحقيقتها المعادي والمحالف.

قال الشيخ تاج الدين السبكي في طبقاته: كان البخاري إمام المسلمين وقدوة المؤمنين وشيخ الموحدين والمعول عليه في أحاديث سيد المرسلين. قال وقد ذكره أبو عاصم في طبقات أصحابنا الشافعية، وقال سمع من الزعفراني وأبي ثور والكرابيسي، قال: ولم يرو عن الشافعي في الصحيح لأنه أدرك أقرانه والشافعي مات مكتهلا فلا يرويه نازلا اهـ. نعم ذكر البخاري الشافعي في صحيحه في موضعين في الزكاة وفي تفسير العرايا كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه البداية والنهاية: كان إمام الحديث في زمانه والمقتدى به في أوانه والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه.

وقال قتيبة بن سعيد: جالست الفقهاء والعباد والزهاد فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل وهو في زمانه كعمر في الصحابة، وقال أيضا: لو كان في الصحابة لكان آية.

وقال أحمد بن حنبل فيما رواه الخطيب بسند صحيح: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل.

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير أنه دخل بغداد ثمان مرات وفي كل مرة منها يجتمع بالإمام أحمد بن حنبل فيحثه على الإقامة ببغداد ويلومه على الإقامة بخراسان.

وقال يعقوب بن إبراهيم الدورقي ونعيم الخزاعي: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

وقال بندار بن بشار: هو أفقه خلق الله في زماننا. وقال نعيم بن حماد: هو فقيه هذه الأمة.

وقال إسحق بن راهويه: يا معشر أصحاب الحديث انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه فإنه لو كان في زمن الحسن البصري لاحتاج الناس إليه لمعرفته بالحديث وفقهه وقد فضله بعضهم في الفقه والحديث على الإمام أحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه. وقال رجاء بن مرجى: فضل محمد بن إسماعيل (يعني في زمانه) على العلماء كفضل الرجال على النساء وهو آية من آيات الله يمشي على الأرض. وقال الفلاس: كل حديث لا يعرفه البخاري فليس بحديث. وقال يحيى بن جعفر البيكندي: لو قدرت أن أزيد من عمري في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت فإن موتي يكون موت رجل واحد وموت محمد بن إسماعيل فيه ذهاب العلم. وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن إسماعيل. وقال أبو سهل محمود بن النضر الفقيه: سمعت أكثر من ثلاثين عالما من علماء مصر يقولون حاجتنا في الدنيا النظر إلى محمد بن إسماعيل. وقال أيضا: كنت أستملي له ببغداد فبلغ من حضر المجلس عشرين ألفا، وقال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة: ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخاري. وقال عبد الله بن حماد الآملي: لوددت أني كنت شعرة في جسد محمد بن إسماعيل، وقال محمد بن عبد الرحمن الدغولي: كتب أهل بغداد إلى محمد بن إسماعيل كتابا فيه:

المسلمون بخير ما بقيت لهم ... وليس بعدك خير حين تفتقد

وكان رحمه الله غاية في الحياء والشجاعة والسخاء والورع والزهد في دار الدنيا دار الفناء والرغبة في دار البقاء، وكان يختم في رمضان في كل يوم ختمة ويقوم بعد صلاة التراويح كل ثلاث ليال بختمة، وقال وراقه: كان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة. وقال أيضا دعي محمد بن إسماعيل إلى بستان فلما صلى بهم الظهر قام يتطوع، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه وقال لبعض من معه انظر هل ترى تحت قميصي شيئا فإذا زنبور قد لسعه في ستة عشر أو سبعة عشر موضعا وقد تورم من ذلك جسده، فقال له بعض القوم كيف لم تخرج من الصلاة أول ما لسعك؟ قال: كنت في سورة فأحببت أن أتمها، وقال أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا ويشهد لهذا كلامه في التجريح والتضعيف، فإنه أبلغ ما يقول في الرجل المتروك أو الساقط فيه نظر أو سكتوا عنه ولا يكاد يقول فلان كذاب. وقال وراقه سمعته يقول لا يكون لي خصم في الآخرة، فقلت يا أبا عبد الله إن بعض الناس ينقم عليك التاريخ يقول فيه اغتياب الناس، فقال إنما روينا ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا. وقد قال -صلى الله عليه وسلم- بئس أخو العشيرة. وقال ما اغتبت أحدا منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها، وكان قد ورث من أبيه مالا كثيرا فكان يتصدق به. وكان قليل الأكل جدا كثير الإحسان إلى الطلبة مفرطا في الكرم. وحمل إليه بضاعة أنفذها إليه أبو حفص فجاءه من الغد تجار آخرون يطلبونها بربح عشرة آلاف درهم فردهم وقال إني نويت البارحة بيعها للذين أتوا البارحة ولا أحب أن أغير نيتي. وجاءته جاريته فعثرت على محبرة بين يديه فقال لها كيف تمشين؟ فقالت إذا لم تكن طريق فكيف أمشي. فقال اذهبي فأنت حرة لوجه الله، فقيل له يا أبا عبد الله أغضبتك وأعتقتها قال أرضيت نفسي بما فعلت. وقال وراقه إنه كان يبني رباطا مما يلي بخارى فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك وكان ينقل اللبن فكنت أقول له إنك تكفى ذلك فيقول هذا الذي ينفعني، وكان ذبح لهم بقرة فلما أدركت القدور دعا الناس إلى الطعام وكان بها مائة نفس أو أكثر ولم يكن علم أنه اجتمع ما اجتمع، وكنا أخرجنا خبزا بثلاثة دراهم أو أقل، فأكل جميع من حضر وفضلت أرغفة.

ولما قدم نيسابور تلقاه أهلها من مرحلتين أو ثلاث، وكان محمد بن يحيى الذهلي في مجلسه فقال: من أراد أن يستقبل محمد بن إسماعيل غدا فليستقبله فإني أستقبله، فاستقبله الذهلي وعامة علماء نيسابور فدخلها فقال الذهلي لأصحابه: لا تسألوه عن شيء من الكلام فإنه إن أجاب بخلاف ما نحن فيه وقع بيننا وبينه وشمت بنا كل ناصبي ورافضي وجهمي ومرجئي، فازدحم الناس على البخاري حتى امتلأت الدار والسطوح، فلما كان اليوم الثاني أو الثالث من يوم قدومه قام إليه رجل فسأله عن اللفظ بالقرآن، فقال أفعالنا مخلوقة وألفاظنا من أفعالنا، فوقع بين الناس اختلاف فقال بعضهم إنه قال لفظي بالقرآن مخلوق، وقال آخرون لم يقل، فوقع بينهم في ذلك اختلاف حتى قام بعضهم إلى بعض فاجتمع أهل الدار وأخرجوهم. ذكره مسلم بن الحجاج. وقال ابن عدي لما ورد نيسابور واجتمع الناس عنده حسده بعض شيوخ الوقت فقال لأصحاب الحديث: إن محمد بن إسماعيل يقول لفظي بالقرآن مخلوق، فلما حضر المجلس قام إليه رجل فقال يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن أمخلوق هو أم غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجبه ثلاثا، فألح عليه فقال البخاري: القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة، فشغب الرجل وقال قد قال لفظي بالقرآن مخلوق اهـ. وقد صح أن البخاري تبرأ من هذا الإطلاق فقال: كل من نقل عني أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فقد كذب علي وإنما قلت أفعال العباد مخلوقة، أخرج ذلك غنجار في ترجمة البخاري بسند صحيح إلى محمد بن نصر المروزي الإمام المشهور أنه سمع البخاري يقول ذلك. وقال أبو حامد الشرقي سمعت الذهلي يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق ومن زعم لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع لا يجلس إلينا ولا نكلم من يذهب بعد هذا إلى محمد بن إسماعيل، فانقطع الناس عن البخاري إلا مسلم بن الحجاج وأحمد بن سلمة. وبعث مسلم إلى الذهلي جميع ما كان كتب عنه على ظهر حمال، وقال الذهلي: لا يساكنني محمد بن إسماعيل في البلد فخشي البخاري على نفسه وسافر منها.
قال في المصابيح ومن تمام رسوخ البخاري في الورع أنه كان يحلف بعد هذه المحنة أن الحامد عنده والذام من الناس سواء، يريد أنه لا يكره ذامه طبعا ويجوز أن يكرهه شرعا، فيقوم بالحق

لا بالخط، وتحقق ذلك من حالته أنه لم يمح اسم الذهلي من جامعه بل أثبت روايته عنه غير أنه لم يوجد في كتابه إلا على أحد وجهين، إما أن يقول حدثنا محمد ويقتصر، وإما أن يقول حدثنا محمد بن خالد فينسبه إلى جد أبيه. وقد سئل عن وجه إجماله وإبقاء ذكره بنسبه المشهور، فأجاب: بأن قال لعله لما اقتضى التحقيق عنده أن تبقى روايته عنه خشية أن يكتم علما رزقه الله تعالى على يديه، وعذره في قدحه بالتأويل خشي على الناس أن يقعوا فيه بأنه قد عدل من جرحه، وذلك يوهم أنه صدقه على نفسه فيجر ذلك إلى البخاري وهنا، فأخفى اسمه وغطى رسمه وما كتم علمه، والله أعلم بمراده من ذلك. ولو فتحنا باب تعديد مناقبه الجميلة ومآثره الحميدة لخرجنا عن غرض الاختصار.

ولما رجع إلى بخارى نصبت له القباب على فرسخ من البلد واستقبله عامة أهلها حتى لم يبق مذكور، ونثر عليه الدراهم والدنانير وبقي مدة يحدثهم، فأرسل إليه أمير البلد خالد بن محمد الذهلي نائب الخلافة العباسية يتلطف معه ويسأله أن يأتيه بالصحيح ويحدثهم به في قصره، فامتنع البخاري من ذلك وقال لرسوله: قل له أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين، فإن كانت له حاجة إلى شيء منه فليحضر إلى مسجدي أو داري فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة أي لا أكتم العلم. فحصلت بينهما وحشة فأمره الأمير بالخروج عن البلد فدعا عليه وكان مجاب الدعوة، فلم يأت شهر حتى ورد أمر الخلافة بأن ينادى على خالد في البلد فنودي على خالد على أتان وحبس إلى أن مات، ولم يبق أحد ممن ساعده إلا ابتلي ببلاء شديد.

ولما خرج البخاري من بخارى كتب إليه أهل سمرقند يخطبونه إلى بلدهم فسار إليهم، فلما كان بخرتنك بفتح الخاء المعجمة وإسكان الراء وفتح الفوقية وسكون النون بعدها كاف وهو على فرسخين من سمرقند بلغه أنه قد وقع بينهم بسببه فتنة فقوم يريدون دخوله وآخرون يكرهونه، وكان له أقرباء بها فنزل عندهم حتى ينجلي الأمر، فأقام أياما فمرض حتى وجه إليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون خروجه إليهم، فأجاب وتهيأ للركوب ولبس خفيه وتعمم فلما مشى قدر

عشرين خطوة أو نحوها إلى الدابة ليركبها قال: أرسلوني فقد ضعفت، فأرسلوه فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى.

فسال عرق كثير لا يوصف وما سكن منه العرق حتى أدرج في أكفانه. وروي أنه ضجر ليلة فدعا بعد أن فرغ من صلاة الليل اللهم قد ضاقت علي الأرض بما رحبت فاقبضني إليك فمات في ذلك الشهر ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين عن اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما، وكان أوصى أن يكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة ففعل به ذلك، ولما صلي عليه ووضع في حفرته فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك ودامت أياما، وجعل الناس يختلفون إلى قبره مدة يأخذون منه. وقال عبد الواحد بن آدم الطواويسي: رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت: ما وقوفك هنا يا رسول الله؟ قال أنتظر محمد بن إسماعيل، قال فلما كان بعد أيام بلغني موته فنظرت فإذا هو في الساعة التي رأيت فيها النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولما ظهر أمره بعد وفاته خرج بعض مخالفيه إلى قبره وأظهروا التوبة والندامة. وقال أبو علي الحافظ: أخبرنا أبو الفتح نصر بن الحسن السمرقندي قدم علينا بلنسية عام أربعة وستين وأربعمائة، قال: قحط المطر عندنا بسمرقند في بعض الأعوام فاستسقى الناس مرارا فلم يسقوا، فأتى رجل صالح معروف بالصلاح إلى قاضي سمرقند وقال له إني قد رأيت رأيا أعرضه عليك قال وما هو؟ قال أرى أن تخرج ويخرج الناس معك إلى قبر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري وتستسقي عنده فعسى الله أن يسقينا، فقال القاضي نعم ما رأيت فخرج القاضي ومعه الناس واستسقى بهم وبكى الناس عند القبر وتشفعوا بصاحبه، فأرسل الله تعالى السماء بماء عظيم غزير أقام الناس من أجله بخرتنك سبعة أيام أو نحوها لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند من كثرة المطر وغزارته، وبين سمرقند وخرتنك ثلاثة أيام. وبالجملة فمناقب أبي عبد الله البخاري كثيرة ومحاسنه شهيرة وفيما ذكرته كفاية ومقنع وبلاغ.

(تنبيه وإرشاد):

روينا عن الفربري أنه قال : سمع صحيح البخاري من مؤلفه تسعون ألف رجل فما بقي أحد يرويه عنه غيري. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: أطلق ذلك بناء على ما في علمه وقد تأخر بعده بتسع سنين أبو طلحة منصور بن محمد بن علي بن قرينة بقاف ونون بوزن كبيرة البزدوي بفتح الموحدة وسكون الزاي وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وثلثمائة وهو آخر من حدث عن البخاري بصحيحه كما جزم به ابو نصر بن ماكولا وغيره، وقد عاش بعده ممن سمع من البخاري القاضي الحسين بن إسماعيل المحاملي ببغداد، ولكن لم يكن عنده الجامع الصحيح، وإنما سمع منه مجالس أملاها ببغداد في آخر قدمة قدمها البخاري، وقد غلط من روى الصحيح من طريق المحاملي المذكور غلطا فاحشا.

ومن رواة الجامع الصحيح ممن اتصلت لنا روايته بالإجازة إبراهيم بن معقل النسفي الحافظ وفاته منه قطعة من آخره رواها بالإجازة وتوفي سنة أربعين ومائتين.

وكذلك حماد بن شاكر النسوي بالنون المهملة وأظنه توفي في حدود التسعين وله فيه فوت أيضا.

واتصلت لنا روايته من طريق المستملي والسرخسي والكشميهني وأبي علي بن السكن الأخسيكن، وأبي زيد المروزي وأبي علي بن شبويه وأبي أحمد الجرجاني والكشاني وهو آخر من حدث عن الفربري بالصحيح.

فأما المستملي فرواه عنه الحافظ أبو ذر وعبد الرحمن الهمداني، وأما السرخسي فأبو ذر أيضا وأبو الحسن الداودي، وأما الكشميهني فأبو ذر أيضا وأبو سهل الحفصي وكريمة، وأما أبو علي بن السكن فإسماعيل بن إسحق بن إسماعيل الصفار، وأما أبو زيد المروزي فأبو نعيم الحافظ وأبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي وأبو الحسن علي بن محمد القابسي، وأما ابن شبويه فسعيد بن أحمد بن محمد الصيرفي العيار وعبد الرحمن بن عبد الله الهمداني أيضا، وأما الجرجاني فأبو نعيم والقابسي أيضا، وأما الكشاني فأبو العباس جعفر بن محمد المستغفري.

فمشايخ أبي ذر ثلاثة المستملي والكشميهني والسرخسي، ومشايخ أبي نعيم الجرجاني وأبو زيد المروزي. وأما الأصيلي والقابسي فكلاهما عن أبي زيد المروزي، وأما العيار فابن شبويه، وأما الداودي فالسرخسي، وأما الحفصي وكريمة فالكشميهني، وأما المستغفري فالكشاني وكلهم عن الفربري. ويأتي إن شاء الله تعالى قريبا أسانيدي بالجامع الصحيح متصلة بهم على وجه بديع جامع بعون الله تعالى.

(عناية الحافظ اليونيني بالجامع الصحيح)

وقد اعتنى الحافظ شرف الدين أبو الحسن علي ابن شيخ الإسلام ومحدث الشام تقي الدين بن محمد بن أبي الحسين أحمد بن عبد الله اليونيني الحنبلي رحمه الله تعالى بضبط رواية الجامع الصحيح، وقابل أصله الموقوف بمدرسة أقبغا آص بسويقة العزى خارج باب زويلة من القاهرة المعزية، الذي قيل فيما رأيته بظاهر بعض نسخ البخاري الموثوق بها وقف مقرها برواق الجبرت من الجامع الأزهر بالقاهرة، إن أقبغا بذل فيه نحو عشرة آلاف دينار والله أعلم بحقيقة ذلك. وهو في جزأين فقد الأول منهما بأصل مسموع على الحافظ أبي ذر الهروي، وبأصل مسموع على الأصيلي، وبأصل الحافظ مؤرخ الشام أبي القاسم بن عساكر، وبأصل مسموع على أبي الوقت وهو أصل من أصول مسموعاته في وقف خانكاه السميساطي بقراءة الحافظ أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني بحضرة سيبويه وقته الإمام جمال الدين بن مالك بدمشق سنة ست وسبعين وستمائة، مع حضور أصلي سماعي الحافظ أبي محمد المقدسي. وقف السميساطي وقد بالغ رحمه الله في ضبط ألفاظ الصحيح جامعا فيه روايات من ذكرناه راقما عليه ما يدل على مراده، فعلامة أبي ذر الهروي (ه) والأصيلي (ص) وابن عساكر الدمشقي (ش) وأبي الوقت (ظ) ولمشايخ أي ذر الثلاثة الحموي (ح) والمستملي (ست) والكشميهني (ه). فما كان من ذلك بالحمرة فهو ثابت في النسخة التي قرأها الحافظ عبد الغني المقدسي على الحافظ أبي عبد الله الأرتاحي بحق إجازته من أبي الحسين الفراء الموصلي عن كريمة عن الكشميهني. وفي نسخة أبي صادق مرشد بن يحيى المديني وقف جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه بمصر وله رقوم أخرى لم أجد ما يدل عليها وهي (عط ق ج

صع) ولعل الجيم للجرجاني والعين لابن السمعاني والقاف لأبي الوقت فإن اجتمع ابن حمويه والكشميهني فرقمهما هكذا (حه) والمستملي والحموي فرقمهما (حسـ) هكذا. وإن اتفق الأربعة الرواة عنهم رقم لهم (هـ ص ش ظ) وما سقط عند الأربعة زاد معها (لا) وما سقط عند البعض أسقط رقمه من غير (لا). مثاله أنه وقع في أصل سماعه في حديث بدء الوحي "جمعه لك في صدرك" ووقع عند الأربعة جمعه لك "لك صدرك" بإسقاط "في" فيرقم على "في لا" ويرقم فوقها إلى جانبها (هـ ص ش ظ) هذا إن وقع الاتفاق على سقوطها. فإن كانت عندهم (2) وليست عند الباقين رقم رسمه وترك رسمهم، وكذا إن لم تكن عند واحد وكانت عند الباقين كتب عليها (لا) ورقم فوقها الحرف المصطلح عليه. وما صح عنده سماعه وخالف مشايخ أبي ذر الثلاثة رقم عليه (هـ) وفوقها صح. وإن وافق أحد مشايخه وضعه فوقه، فالله تعالى يثيبه على قصده. ويجزل له من المكرمات جوائز رفده، فلقد أبدع فيما رقم، وأتقن فيما حرر وأحكم. ولقد عول الناس عليه في روايات الجامع لمزيد اعتنائه وضبطه ومقابلته على الأصول المذكورة وكثرة ممارسته له، حتى أن الحافظ شمس الدين الذهبي حكى عنه أنه قابله في سنة واحدة إحدى عشرة مرة، ولكونه ممن وصف بالمعرفة الكثيرة والحفظ التام للمتون والأسانيد كان الجمال بن مالك لما حضر عند المقابلة المذكورة إذا مر من الألفاظ يتراءى أنه مخالف لقوانين العربية قال للشرف اليونيني هل الرواية فيه كذلك، فإن أجاب بأنه منها شرع ابن مالك في توجيهها حسب إمكانه، ومن ثم وضع كتابه المسمى بشواهد التوضيح.

ولقد وقفت على فروع مقابلة على هذا الأصل الأصيل فرأيت من أجلها الفرع الجليلي الذي لعله فاق أصله، وهو الفرع المنسوب للإمام المحدث شمس الدين محمد بن أحمد المزي الغزولي وقف التنكزية بباب المحروق خارج القاهرة، المقابل على فرعي وقف مدرسة الحاج مالك، وأصل اليونيني المذكور غير مرة بحيث أنه لم يغادر منه شيئا كما قيل. فلهذا اعتمدت في كتابة متن البخاري في شرحي هذا عليه، ورجعت في شكل جميع الحديث وضبطه إسنادا ومتنا إليه، ذاكرا جميع ما فيه من الروايات وما في حواشيه من الفوائد المهمات.

ثم وقفت في يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى سنة ست عشرة وتسعمائة بعد ختمي لهذا الشرح على المجلد الأخير من أصل اليونيني المذكور، ورأيت بحاشية ظاهر الورقة الأولى منه ما نصه: سمعت ما تضمنه هذا المجلد من صحيح البخاري رضي الله عنه بقراءة سيدنا الشيخ الإمام العالم الحافظ المتقن شرف الدين أبي الحسين علي بن محمد بن أحمد اليونيني رضي الله عنه وعن سلفه، وكان السماع بحضرة جماعة من الفضلاء ناظرين في نسخ معتمد عليها، فكلما مر بهم لفظ ذو إشكال بينت فيه الصواب وضبط على ما اقتضاه علمي بالعربية، وما افتقر إلى بسط عبارة وإقامة دلالة أخرت أمره إلى جزء أستوفي فيه الكلام ما يحتاج إليه من نظير وشاهد ليكون الانتفاع به عاما والبيان تاما إن شاء الله تعالى. وكتبه محمد بن عبد الله بن مالك حامدا لله تعالى. قلت وقد قابلت متن شرحي هذا إسنادا وحديثا على هذا الجزء المذكور من أوله إلى آخره حرفا حرفا، وحكيته كما رأيته حسب طاقتي.

وانتهت مقابلتي له في العشر الأخير من المحرم سنة سبع عشرة وتسعمائة نفع الله تعالى به، ثم قابلته عليه مرة أخرى. فعلى الكاتب لهذا الشرح وفقه الله تعالى أن يوافقني فيما رسمته من تمييز الحديث متنا وسندا من الشرح واختلاف الروايات بالألوان المختلفة وضبط الحديث متنا وسندا بالقلم كما يراه، ثم رأيت بآخر الجزء المذكور ما نصه: بلغت مقابلة وتصحيحا وإسماعا بين يدي شيخنا شيخ الإسلام حجة العرب مالك أزمة الأدب الإمام العلامة أبي عبد الله بن مالك الطائي الجياني أمد الله تعالى عمره في المجلس الحادي والسبعين، وهو يراعي قراءتي ويلاحظ نطقي، فما اختاره ورجحه وأمر بإصلاحه أصلحته وصححت عليه، وما ذكر أنه يجوز فيه إعرابان أو ثلاثة فأعملت ذلك على ما أمر، ورجح، وأنا أقابل بأصل الحافظ أبي ذر والحافظ أبي محمد الأصيلي والحافظ أبي القاسم الدمشقي ما خلا الجزء الثالث عشر والثالث والثلاثين، فإنهما معدومان. وبأصل مسموع على الشيخ أبي الوقت بقراءة الحافظ أبي منصور السمعاني وغيره من الحفاظ، وهو وقف بخانكاه السميساطي وعلامات ما وافقت أبا ذر (هـ) والأصيلي (ص) والدمشقي (ش) وأبا الوقت (ظ) فيعلم ذلك. وقد ذكرت ذلك في أول الكتاب في فرخة لتعلم الرموز كتبه علي بن محمد الهاشمي اليونيني عفا الله عنه انتهى.

ثم وجد الجزء الأول من أصل اليونيني المذكور ينادى عليه للبيع بسوق الكتب، فعرف وأحضر إلي بعد فقده أزيد من خمسين سنة، فقابلت عليه متن شرحي هذا فكملت مقابلتي عليه جميعه حسب الطاقة ولله الحمد.

(اعتناء الأئمة بشرح الجامع الصحيح)

وقد اعتنى الأئمة بشرح هذا الجامع، فشرحه الإمام أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي بشرح لطيف فيه نكت لطيفة ولطائف شريفة. واعتنى الإمام محمد التيمي بشرح ما لم يذكره الخطابي مع التنبيه على أوهامه. وكذا أبو جعفر أحمد بن سعيد الداودي وهو ممن ينقل عنه ابن التين الآتي. ومنهم المهلب بن أبي صفرة وهو ممن اختصر الصحيح. ومنهم أبو الزناد سراج. واختصر شرح المهلب تلميذه أبو عبد الله محمد بن خلف بن المرابط وزاد عليه فوائد، وهو ممن نقل عنه ابن رشيد. وشرحه أيضا الإمام أبو الحسن علي بن خلف المالكي المغربي المشهور بابن بطال، وغالبه في فقه الإمام مالك من غير تعرض لموضوع الكتاب غالبا وقد طالعته. وشرحه أيضا الإمام أبو حفص عمر بن الحسن بن عمر الفوزني الإشبيلي، وكذا أبو القاسم أحمد بن محمد بن عمر بن فرد التيمي وهو واسع جدا. والإمام عبد الواحد بن التين بفوقية تحتية ثم نون السفاقسي وقد طالعته.

والزين بن المنير في نحو عشر مجلدات. وأبو الأصبع عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي. والإمام قطب الدين عبد الكريم الحلبي الحنفي. والإمام مغلطاي التركي. قال صاحب الكواكب وشرحه بتتميم الأطراف أشبه وبصحف تصحيح التعليقات أمثل، وكأنه من إخلائه من مقاصد الكتاب على ضمان. ومن شرح ألفاظه وتوضيح معانيه على أمان. واختصره الجلال التباني وقد رأيته. والعلامة شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن محمد بن سعيد الكرماني فشرحه بشرح مفيد جامع لفرائد الفوائد وزوائد العوائد، وسماه الكواكب الدراري.

لكن قال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة وهو شرح مفيد على أوهام فيه في النقل، لأنه لم يأخذه إلا في الصحف انتهى. وكذا شرحه ولده التقي يحيى مستمدا من شرح أبيه وشرح ابن الملقن وأضاف إليه من شرح الزركشي وغيره من الكتب، وما سنح له من حواشي الدمياطي وفتح الباري والبدر العنتابي، وسماه مجمع البحرين وجواهر الحبرين، وقد رأيته وهو في ثمانية أجزاء كبار بخطه مسودة. وكذا شرحه العلامة السراج بن الملقن وقد طالعت الكثير منه. وكذا شرحه العلامة شمس الدين البرماوي في أربعة أجزاء أخذه من شرح الكرماني وغيره كما قال في أوله: ومن أصوله أيضا مقدمة فتح الباري وسماه اللامع الصبيح ولم يبيض إلا بعد موته، وقد استوفيت مطالعته كالكرماني، وكذا شرح الشيخ برهان الدين الحلبي وسماه التلقيح لفهم قارىء الصحيح وهو بخطه في مجلدين وبخط غيره في أربعة وفيه فوائد حسنة.

وقد التقط منه الحافظ ابن حجر حيث كان بحلب ما ظن أنه ليس عنده لكونه لم يكن معه إلا كراريس يسيرة من الفتح. وشرحه أيضا شيخ الإسلام والحافظ أبو الفضل بن حجر وسماه فتح الباري وهو في عشرة أجزاء ومقدمته في جزء، وشهرته وانفراده بما اشتمل عليه من الفوائد الحديثية والنكات الأدبية والفوائد الفقهية تغني عن وصفه، لا سيما وقد امتاز كما نبه عليه شيخنا بجمع طرق الحديث التي ربما يتبين من بعضها ترجيح أحد الاحتمالات شرحا وإعرابا، وطريقته في الأحاديث المكررة أنه يشرح في كل موضع ما يتعلق بمقصد البخاري بذكره فيه، ويحيل بباقي شرحه على المكان المشروح فيه. قال شيخنا: وكثيرا ما كان رحمه الله تعالى يقول أود لو تتبعت الحوالات التي تقع لي فيه، فإن لم يكن المحال به مذكورا أو ذكر في مكان آخر غير المحال عليه ليقع إصلاحه فما فعل ذلك فاعلمه، وكذا ربما يقع له ترجيح أحد الأوجه في الإعراب أو غيره من الاحتمالات أو الأقوال في موضع ثم يرجح في موضع آخر غيره، إلى غير ذلك مما لا طعن عليه بسببه، بل هذا أمر لا ينفك عنه كثير من الأئمة المعتمدين. وكان ابتداء تأليفه في أوائل سنة سبع عشرة وثمانمائة على طريق الإملاء، ثم صار يكتب بخطه شيئا فشيئا فيكتب الكراس ثم يكتبه جماعة من الأئمة المعتبرين، وعارض بالأصل مع المباحثة في يوم من الأسبوع، وذلك بقراءة العلامة ابن خضر. فصار السفر لا

يكمل منه شيء إلا وقد قوبل وحرر إلى أن انتهى في أول يوم من رجب سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، سوى ما ألحق فيه بعد ذلك فلم ينته إلا قبيل وفاة المؤلف بيسير. ولما تم عمل مصنفه وليمة بالمكان المسمى بالتاج والسبع وجوه في يوم السبت ثاني شعبان سنة اثنتين وأربعين، وقرىء المجلس الأخير هناك بحضرة الأئمة كالقاياني والونائي والسعد الديري. وكان المصروف على الوليمة المذكورة نحو خمسمائة دينار. وكملت مقدمته وهي في مجلد ضخم في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وقد استوفيت بحمد الله تعالى مطالعهما. وقد اختصر فتح الباري شيخ مشايخنا الشيخ أبو الفتح محمد ابن الشيخ زين الدين بن الحسين المراغي وقد رأيته بمكة وكتبت كثيرا منه. وشرحه العلامة بدر الدين العيني الحنفي في عشرة أجزاء أو أزيد، وسماه عمدة القاري وهو بخطه في أحد وعشرين جزءا مجلدا بمدرسته التي أنشأها بحارة كتامة بالقرب من الجامع الأزهر. وشرع في تأليفه في أواخر رجب سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، وفرغ منه في آخر الثلث الأول من ليلة السبت خامس شهر جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وثمانمائة، واستمد فيه من فتح الباري كان فيما قيل يستعيره من البرهان ابن خضر بإذن مصنفه له، وتعقبه في مواضع وطوله بما تعمد الحافظ ابن حجر في الفتح حذفه من سياق الحديث بتمامه، وإفراد كل من تراجم الرواة بالكلام وبيان الأنساب واللغات والإعراب والمعاني والبيان، واستنباط الفرائد من الحديث والأسئلة والأجوبة وغير ذلك.

وقد حكي أن بعض الفضلاء ذكر للحافظ ابن حجر ترجيح شرح العيني بما اشتمل عليه من البديع وغيره، فقال بديهة هذا شيء نقله من شرح لركن الدين، وكنت قد وقفت عليه قبله ولكن تركت النقل منه لكونه لم يتم، إنما كتب منه قطعة وخشيت من تعبي بعد فراغها في الاسترسال في هذا المهيع، ولذا لم يتكلم البدر العيني بعد تلك القطعة بشيء من ذلك انتهى.

وبالجملة فإن شرحه حافل كامل في معناه لكنه لم ينتشر كانتشار فتح الباري من حياة مؤلفه وهلم جرا، وكذا شرح مواضع من البخاري الشيخ بدر الدين الزركشي في التنقيح، وللحافظ ابن حجر نكت عليه لم تكمل، وكذا شرح العلامة بدر الدين الدماميني وسماه مصابيح

الجامع، وقد استوفيت مطالعتها كشرح العيني وابن حجر والبرماوي. وكذا شرح الحافظ الجلال السيوطي فيما بلغني في تعليق لطيف قريب من تنقيح الزركشي سماه التوشيح على الجامع الصحيح. وكذا شرح منه شيخ الإسلام أبو زكريا يحيى النووي قطعة من أوله إلى آخر كتاب الإيمان طالعتها وانتفعت ببركتها، وكذا الحافظ ابن كثير قطعة من أوله والزين بن رجب الدمشقي ورأيت منه مجلدة. والعلامة السراج البلقيني رأيت منه مجلدة أيضا. والبدر الزركشي في غير التنقيح مطولا رأيت منه قطعة بخطه، والمجد الشيرازي اللغوي مؤلف القاموس سماه منح الباري بالسيح الفسيح المجاري في شرح البخاري، كمل ربع العبادات منه في عشرين مجلدا وقدر تمامه في أربعين مجلدا. قال التقي الفاسي: لكنه قد ملأه بغرائز المنقولات لا سيما لما اشتهر باليمن مقالة ابن عربي، وغلب ذلك على علماء تلك البلاد، وصار يدخل في شرحه من فتوحاته الكثير ما كان سببا لشين شرحه عند الطاعنين فيه. وقال الحافظ ابن حجر أنه رأى القطعة التي كملت في حياة مؤلفه قد أكلتها الأرضة بكمالها بحيث لا يقدر على قراءة شيء منها انتهى. وكذا بلغني أن الإمام أبا الفضل النويري خطيب مكة شرح مواضع من البخاري، وكذا العلامة محمد بن أحمد بن مرزوق شارح بردة البوصيري وسماه المتجر الربيح والمسعى الرجيح في شرح الجامع الصحيح، ولم يكمل أيضا. وشرح العارف القدوة عبد الله بن أبي جمرة ما اختصر منه وسماه بهجة النفوس، وقد طالعته والبرهان النعماني إلى أثناء الصلاة، ولم يف بما التزمه رحمه الله تعالى وإيانا. وشيخ المذهب وفقيهه شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا الأنصاري السنيكي، والشمس الكوراني مؤدب السلطان المظفر أبي الفتح محمد بن عثمان فاتح القسطنطينية سماه الكوثر الجاري إلى رياض صحيح البخاري، وهو في مجلدتين، وللعلامة شيخ الإسلام جلال الدين البلقيني بيان ما فيه من الإبهام وهو في مجلدة. وصاحبنا الشيخ أبو البقاء الأحمدي أعانه الله تعالى على الإكمال. وشيخنا فقيه المذهب الجلال البكري وأظنه لم يكمل. وكذا صاحبنا الشيخ شمس الدين الدلجي كتب منه قطعة لطيفة. ولابن عبد البر الأجوبة على المسائل المستغربة من البخاري سأله عنها المهلب بن أبي صفرة، وكذا لأبي محمد بن حزم عدة أجوبة عليه، ولابن المنير حواش على ابن بطال، وله

أيضا كلام على التراجم سماه المتواري، وكذا لأبي عبد الله بن رشيد ترجمان التراجم، وللفقيه أبي عبد الله محمد بن منصور بن حمامة المغراوي السجلماسي حل أغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة، وهي مائة ترجمة. ولشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر انتقاض الاعتراض، يجيب فيه عما اعترضه عليه العيني في شرحه، طالعته لكنه لم يجب عن أكثرها.

ولعله كان يكتب الاعتراضات ويبيض لها ليجيب عنها فاخترمته المنية. وله أيضا الاستنصار على الطاعن المعثار وهو صورة فتيا عما وقع في خطبة شرح البخاري للعلامة العيني، وله أيضا أحوال الرجال المذكورين في البخاري زيادة على ما في تهذيب الكمال وسماه الإعلام بمن ذكر في البخاري من الأعلام. وله أيضا تعليق التعليق ذكر فيه تعاليق أحاديث الجامع المرفوعة وآثاره الموقوفة والمتابعات، ومن وصلها بأسانيده إلى الموضع المعلق، وهو كتاب حافل عظيم في بابه لم يسبقه إليه أحد فيما أعلم. وقرض له عليه العلامة اللغوي المجد صاحب القاموس كما رأيته بخطه على نسخة بخط مؤلفه، ولخصه في مقدمة الفتح فحذف الأسانيد ذاكرا من خرجه موصولا.

وكذا شرح البخاري العلامة المفنن الأوحد الزيني عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي الشافعي شرحا رتبه على ترتيب عجيب وأسلوب غريب، فوضعه كما قال في ديباجته على منوال مصنف ابن الأثير، وبناه على مثال جامعه المنير وجرده من الأسانيد، راقما على هامشه بإزاء كل حديث حرفا أو حروفا يعلم بها من وافق البخاري على إخراج ذلك الحديث من أصحاب الكتب الخمسة، جاعلا إثر كل كتاب جامع منه بابا لشرح غريبه، واضعا الكلمات الغريبة بهيئتها على هامش الكتاب، موازيا لشرحها، ليكون أسرع في الكشف وأقرب إلى التناول وقرض له عليه شيخنا شيخ الإسلام البرهان بن أبي شريف، والزين عبد البر بن الشحنة، والعلامة الرضى الغزي.

ونظم شيخ الإسلام البلقيني مناسبات ترتيب تراجم البخاري فقال:

أتى في البخاري حكمة في التراجم ... مناسبة في الكتب مثل التراجم

فمبدأ وحي الله جاء نبيه ... وإيمان يتلوه بعقد المعالم

وإن كتاب العلم يذكر بعده ... فبالوحي إيمان وعلم العوالم

وما بعد أعلام سوى العمل الذي ... به يرد الإنسان ورد الأكارم

ومبدؤه طهر أتى لصلاتنا ... وأبوابه فيها بيان الملائم

وبعد صلاة فالزكاة تبيعها ... وحج وصوم فيهما خلف عالم

روايته جاءت بخلف بصحة ... كذا جاء في التصنيف طبق الدعائم

وفي الحج أبواب كذاك بعمرة ... لطيبة جاء الفضل من طيب خاتم

معاملة الإنسان في طوع ربه ... يليها ابتغاء الفضل سوق المواسم

وأنواعها في كل باب تميزت ... وفي الرهن والإعتاق فك الملازم

فجاء كتاب الرهن والعتق بعده ... مناسبة تخفى على فهم صارم

كتابة عبد ثم فيها تبرع ... كذاهبة فيها شهود التحاكم

كتاب شهادات تلي هبة جرت ... وللشهدا في الوصف أمر لحاكم

وكان حديث الإفك فيه افتراؤهم ... فويل لأفاك وتبا لآثم

وكم فيه تعديل لعائشة التي ... يبرئها المولى بدفع العظائم

كذا الصلح بين الناس يذكر بعده ... فبالصلح إصلاح ورفع المظالم

وصلح وشرط جائزان لشرعه ... فذكر شروط في كتاب لعالم

كتاب الوصايا والوقوف لشارط ... بها عمل الأعمال تم لقائم

معاملتنا رب وخلق كما مضى ... وثالثها جمع غريب لفاهم

كتاب الجهاد اجهد لإعلاء كلمة ... وفيه اكتساب المال إلا لظالم

فيملك مال الحرب قهرا غنيمة ... كذا الفيء يأتينا بعز المغانم

وجزيتهم بالعقد فيه كتابها ... موادعة معها أتت في التراجم

كتاب لبدء الخلق بعد تمامه ... مقابله الإنسان بيد المقاسم

وللأنبيا فيه كتاب يخصهم ... تراجم فيها رتبة للأكارم

فضائل تتلو ثم غزو نبينا ... وما قد جرى حتى الوفاة لخاتم

وإن نبي الله وصى وصية ... تخص كتاب الله يا طيب عازم

كتاب لتفسير تعقبه به ... وإن أولي التفسير أهل العزائم

وفي ذاك إعجاز لنا ودليلنا ... وإحياؤه أرواح أهل الكرائم

كتاب النكاح انظره منه تناسل ... حياة أتت منه لطفل محالم

وأحكامه حتى الوليمة تلوها ... ومن بعدها حسن العشير الملائم

كتاب طلاق فيه أبواب فرقة ... وفي النفقات افرق ليسر وعادم

وأطعمة حلت وأخرى فحرمت ... ليجتنب الإنسان إثم المحارم

وعق عن المولود يتلو مطاعما ... كذا الذبح مع صيد بيان الملائم

وأضحية فيها ضيافة ربنا ... ومن بعدها المشروب يأتي لطاعم

وغالب أمراض بأكل وشربه ... كتاب لمرضانا برفع المآثم

فبالطب يستشفى من الدا برقية ... بفاتحة القرآن ثم الخواتم

لباس به التزين وانظره بعده ... كذا أدب يؤتى به بالكرائم

وإن بالاستئذان حلت مصالح ... به تفتح الأبواب وجه المسالم

وبالدعوات الفتح من كل مغلق ... وتيسير أحوال لأهل المعازم

رقاق بها بعد الدعاء تذكر ... وللقدر اذكره لأهل الدعائم

ولا قدر إلا من الله وحده ... تبررنا بالنذر شوقا لخاتم

وأيمان من كتب وكفارة لها ... كذا النذر في لج بدا من ملاحم

وأحوال إحياء تتم وبعدها ... مواريث أموات أتت للمقاسم

فرائضهم فيها كتاب يحضها ... وقد تمت الأحوال حالات سالم

ومن يأت قاذورا تبين حده ... محاربهم فيها أتت حتم حاتم

وفي غرة فاذكر ديات لأنفس ... وفيه قصاص جاءت لأهل الجرائم

وردة مرتد ففيه استتابة ... بردته زالت عقود العواصم

ولكنما الإكراه رافع حكمه ... كذا حيل جاءت لفك التلازم

وفي باطن الرؤيا لتعبير أمرها ... وفتنتها قامت فما من مقاوم

وأحكامها خلفا يزيد تنازعا ... كتاب التمني جاء رمزا لراقم

ولا تتمنوا جاء فيه تواتر ... وأخبار آحاد حجاج لعالم

كتاب اعتصام فاعتصم بكتابه ... وسنة خير الخلق عصمة عاصم

وخاتمة التوحيد طاب ختامها ... بمبدئها عطر ومسك لخاتم

فجاء كتاب جامع من صحاحها ... لحافظ عصر قد مضى في التقادم

أتى في البخاري مدحه لصحيحه ... وحسبك بالإجماع في مدح حازم

أصح كتاب بعد تنزيل ربنا ... وناهيك بالتفضيل فاجأر لراحم

وقل رحم الرحمن عبدا موحدا ... تحرى صحيح القصد سبل العلائم

وفي سنة المختار يبدي صحيحها ... بإسناد أهل الصدق من كل حازم

وإنا تواخينا كتابا يخصه ... على أوجه تأتي عجابا لغانم

عسى الله يهدينا جميعا بفضله ... إلى سنة المختار رأس الأكارم

وصلى على المختار ألله ربنا ... يقارنها التسليم في حال دائم

وآل له والصحب مع تبع لهم ... يقفون آثارا أتت بدعائم

بتكرير ما يبدو وتضعيف عده ... وفي بدئها والختم مسك الخواتم

وقد آن أن أشرع في الشرح حسبما قصدته، على النحو الذي في الخطبة ذكرته، مستعينا بالله ومتوكلا عليه ومفوضا جميع أموري إليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

69- التاريخ المعتبر في أنباء من غبر[1]

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي (ت 928 هـ)

قال رحمه الله: أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف، الجعفيّ بالولاء، البخاريُّ: الحافظ، الإمام في علم الحديث، صاحب "الجامع الصحيح"، و"التاريخ."

[1] التاريخ المعتبر في أنباء من غبر «وهو كتاب جامع لتاريخ الأنبياء وتاريخ الإسلام وتراجم أئمته العظام إلى مبتدأ القرن العاشر الهجري»150/3-دار النوادر، سوريا. الطبعة: الأولى، 1431 هـ - 2011 م

رحل في طلب الحديث إلى أكثر محدِّثي الأمصار، وكتب بخراسان، ومدن العراق، والحجاز، والشام، ومصر، وقدم بغداد، واجتمع إليه أهلُها، واعترفوا بفضله، وشهدوا بتفرده في علم الرواية والدراية. وكان ابنُ صاعد إذا ذكره، يقول: الكبشُ النطَّاح.

ونقل عنه محمد بن يوسف الفِرَبري أنه قال: ما وضعتُ في كتاب "الصحيح" حديثًا إلا اغتسلتُ قبل ذلك، وصليت ركعتين.

وعنه أنه قال: صنفت كتابي "الصحيح" لست عشرة سنة، خرَّجته من ست مئة الف حديث، وجعلته حجةً فيما بيني وبين الله – عَزَّ وَجَلَّ.-

وقال الفربري: سمع "صحيح البخاري" تسعون الف رجل، فما بقي أحد يرويه غيري.

ولد البخاري يوم الجمعة بعد الصلاة، لثلاثَ عشرةَ ليلة خلت من شوال، سنة أربع وتسعين ومئة، وتوفي ليلة السبت، عند صلاة العشاء، ليلة عيد الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر، سنة ست وخمسين ومئتين بِخَرْتَنْك – بالباء الموحدة والخاء المعجمة والراء الساكنة والتاء المفتوحة المثناة والكاف، وهي قرية من قُرى سمرقند، وكان شيخًا نحيفَ الجسم، لا بالطويل ولا بالقصير.

والبخاريُّ: نسبة إلى بخارى، ونسبة البخاريِّ إلى الجُعْفِيِّ هو سعيد بن جعفر الجُعفي والي خراسان، وكان له عليهم الولاء، فنُسِبوا إليه.

70- طبقات المفسرين [1]

محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي (ت 945هـ)

قال رحمه الله: " محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الإمام أبو عبد الله البخاري الجعفي مولاهم.

الحافظ العلم، صاحب «الصحيح» وإمام هذا الشأن، والمعول على صحيحه في أقطار البلدان.

ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثالث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائتين ببخارى، وبردزبة: بفتح الباء الموحدة وسكن الزاي المعجمة وفتح الباء الموحدة بعدها هاء، هذا هو المشهور في ضبطه، وبه جزم ابن ماكولا، ومعناها بالفارسية الزارع. وكان فارسيا على دين قومه، ثم أسلم والد جده المغيرة على يد اليمان الجعفي والي بخارى، فنسب إليه نسبة ولاء، وقيل له الجعفي لذلك.

وأما والد البخاري، فقال ابن حبان في الطبقة الرابعة من كتاب الثقات: إسماعيل بن إبراهيم البخاري، يروى عن حماد بن زيد، ومالك، روى عنه العراقيون.

وقال البخاري في كتاب «التاريخ الكبير»: إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، سمع من مالك، وحماد بن زيد، وصحب ابن المبارك، ومات إسماعيل ومحمد صغير، فنشأ في حجر أمه، ثم حج مع أمه وأخيه أحمد، وكان أسن منه، فأقام هو بمكة مجاورا يطلب العلم، ورجع أخوه إلى بخارى فمات بها.

روى البخاري عن: الإمام أحمد بن حنبل، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، ومكيّ بن إبراهيم، وأبي عاصم النّبيل، وعبيد الله بن موسى، وأبي نعيم، وخلّاد بن يحيى، وعلي بن عباس، وعصام بن خالد، وآدم بن أبي إياس، وقتيبة، وخلق.

---

[1] طبقات المفسرين للداوودي 2/104-108-دار الكتب العلمية - بيروت

وروى عنه: مسلم، والترمذي، والنسائي، وأبو بكر بن أبي الدنيا، وأبو بكر البزار وعبيد الله بن واصل، والفربري وخلق سواهم.

قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتّاب ولي

عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتّاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الدّاخليّ وغيره.

فلما طعنت في ست عشرة سنة، حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء.

فلما طعنت في ثمان عشرة، جعلت أصنّف قضايا الصحابة والتابعين

وأقاويلهم، وصنفت «كتاب التاريخ» إذ ذاك عند قبر رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وقلّ اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتاب.

وروي عن البخاري أنه قال: أخرجت هذا الكتاب يعني الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث.

وقال الفربريّ: قال لي البخاري: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك، وصليت ركعتين.

وقال بندار: حفاظ الدنيا أربعة، أبو زرعة بالري، ومسلم بنيسابور، والدارمي بسمرقند، والبخاري ببخارى.

قال ابن عدي: كان ابن صاعد إذا ذكر البخاري، قال: الكبش النطاح.

وللبخاري من المؤلفات «الجامع الصحيح» قال الفربري: سمعه منه تسعون ألفا وأنه لم يبق من يرويه غيري، وهذا الإطلاق منه بحسب ما علم، وإلا فقد تأخر بعده بتسع سنين أبو طلحة منصور بن محمد بن علي البزدويّ، وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، قاله: ابن ماكولا.

وروى «الجامع» أيضا، إبراهيم بن معقل النفسي، إلا قطعة من آخره رواها بالإجازة، وكذلك حماد بن شاكر النّسويّ.

ورواية محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربريّ لكتاب «الجامع الصحيح» عن الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، هي التي اتصلت في هذه الأعصار وما قبلها.

وللبخاري غير ذلك من المصنفات «كتاب الأدب» يرويه عنه أحمد بن محمد بن الجليل بالجيم البزار.

وكتاب «رفع اليدين في الصلاة» وكتاب «القراءة خلف الإمام» يرويهما عنه محمود بن إسحاق الخزاعي، وهو آخر من حدث عنه ببخارى.

وكتاب «بر الوالدين» يرويه عنه محمد بن دلويه الوراق.

وكتاب «التاريخ الكبير» يرويه أبو أحمد محمد بن سليمان بن فارس، وأبو الحسن محمد بن سهل الفسوي، وغيرهما.

وكتاب «التاريخ الأوسط» يرويه عنه عبد الله بن أحمد بن عبد السلام ابن زنجويه بن محمد اللباد.

وكتاب «خلق أفعال العباد» يرويه عنه يوسف بن ريحان بن عبد الصمد، والفربريّ أيضا.

وكتاب «الضعفاء» يرويه عنه أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، وأبو جعفر مسبّح بن سعيد، وآدم بن موسى الخواري، وهذه التصانيف موجودة مروية.

ومن تصانيفه أيضا كتاب «الجامع الكبير» ذكره ابن طاهر، وكتاب «المسند الكبير»، وكتاب «التفسير الكبير»، ذكره الفربريّ، وكتاب «الأشربة» ذكره الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» في ترجمة كبشة، وكتاب «الهبة» ذكره ورّاقة، وكتاب «أسامي الصحابة» ذكره أبو القاسم بن منده، وأنه يرويه من طريق ابن فارس عنه، وكتاب «العلل» ذكره ابن منده، وكتاب «الكنى» ذكره الحاكم أبو أحمد، وكتاب «الفوائد» ذكره الترمذي.

وقال الخطيب عن عبد الواحد بن آدم الطّواويسيّ قال: رأيت النبي صلّى الله عليه وسلم في النوم، ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع، فسلّمت عليه، فردّ عليّ السلام، فقلت: ما وقوفك هنا يا رسول الله؟ قال: أنتظر محمد بن إسماعيل، قال فلما كان بعد أيام بلغني موته، فنظرت، فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت فيها النبي صلّى الله عليه وسلم.

قال مهيب بن سليم: كان ذلك ليلة السبت، ليلة عيد الفطر المبارك، سنة ست وخمسين ومائتين، وكانت مدة عمره اثنتين وستين سنة، إلا ثلاثة عشر يوما، رحمة الله عليه.

وقال ابن عديّ: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار، يقول: خرج البخاري إلى خرتنك، قرية من قرى سمرقند، وكان له بها أقرباء فنزل عندهم، قال: فسمعته ليلة من الليالي، وقد فرغ من

صلاة الليل، يقول في دعائه: اللهم قد ضاقت عليّ الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك. فما تمّ الشهر حتى قبضه الله."

71- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر[1]

أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني الحضرمي (947هـ)

قال رحمه الله: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري مولى الجعفيين، شيخ الإسلام، وإمام المحدثين، مصنف «الجامع الصحيح»، و «التاريخ الكبير» وغيرهما. ولد سنة أربع وتسعين ومائة يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال، ورحل سنة عشر ومائتين فسمع مكي بن إبراهيم، وأبا عاصم النبيل، وخلائق عدتهم: ألف شيخ، وكتب بخراسان والجبال والعراق والحجاز والشام ومصر، وقدم بغداد فاجتمع إليه أهلها، وامتحنوه في مجلس حفل بمائة حديث قلبوا متونها وأسانيدها، فردّ إسناد كل حديث إلى متنه، ومتن كل حديث إلى إسناده، فاعترفوا بفضله، وشهدوا بتفرده في علم الدراية والرواية.

نقل الفربري عنه أنه قال: ما وضعت في كتابي «الصحيح» حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك، وصليت ركعتين.

قال الفربري: سمع «صحيح البخاري» -يعني على البخاري-تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يرويه عنه غيري. وممن روى عن البخاري أبو عيسى الترمذي.

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة السبت صلاة العشاء ليلة عيد الفطر من سنة سبع وخمسين ومائتين، ودفن بعد صلاة الظهر رحمه الله تعالى ونفع به آمين.

---

[1] قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر 560/2
الناشر: دار المنهاج – جدة. الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2008 م

72- المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري[1]

محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (المتوفى: 956هـ)

قال رحمه الله: المجلس الأول في ترجمة البخاري - رضي الله عنه - ونفعنا به وفي ذكر شيء من فضائله، فإنه كان من أكابر العلماء، والأولياء والصالحين، وبذكر الأولياء والعلماء والصحابة تنزل الرحمة، كما تنزل على مجالس العلماء، فإن مجالس العلماء روضة من رياض الجنة، تنزل عليهم الرحمة كما ينزل المطر من السماء، تدخل العصاة مذنبين وينصرفون مغفورا لهم، الملائكة تستغفر لهم، ما داموا جلوسا عندهم، إن الله تعالى ينظر إليهم، فيغفر للعالم والمستمع والمحب لهم، فكيف لا تحب محبتهم وإكرامهم، والله تعالى بسببهم ينزل الرحمة على كل من حضر المجالس التي فيها ذكرهم، وكذا ذكر أهل الخير والصلاح فعليك بمجالسة العلماء تنتفع بالحضور عندهم، فإنه من جالس الأخيار سلم، ومن جالس الأشرار ندم، ومن جالس العلماء غنم، نفعنا الله بهم في الدارين.

- نسب الإمام البخاري

ولنبدأ بنسبه فنقول:

أما نسبه فهو: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي.

وجده «بردزبة» كان فارسيا مجوسيا على دين قومه، مات ولم يسلم.

«بردزبة» لفظة بخارية ومعناه بالعربية: الزارع، وجده المغيرة والد «بردزبة» كان مجوسيا، ولكنه أسلم على يد اليمان الجعفي والى بخارى، فلهذا يقال للبخاري الجعفي لكون جده المغيرة

---

[1] المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري 46/1 ت: أحمد فتحي عبد الرحمن. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، 1425 هـ -2004 م

أسلم على يد اليماني الجعفي، بمذهب من يرى أن من أسلم على يد شخص كان ولاؤه له.

وجده إبراهيم ولد المغيرة، قال شيخ الإسلام ابن حجر: لم نقف على شيء من أخباره.

وأما والده إسماعيل فإنه كان من خيار الناس – رضي الله عنه – حضر الأكابر، وسمع منهم كالإمام مالك، وحماد بن زيد، وصحب عبد الله بن المبارك ومات والبخاري صغير فنشأ في حجر أمه.

وكانت رضي الله عنها مجابة الدعوة، ومن كراماتها: أن البخاري ذهب بصره في صغره، فرأت أمه في المنام إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال لها: يا هذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك أو بكائك، فأصبح وقد رد الله بصره عليه.

ولد – رضي الله عنه – ببخارى بالإجماع يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشر ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائه، وحج – رضي الله عنه – مع أمه وأخيه أحمد.

– مناقب البخاري

وكان أخوه أسن منه، فأقام هو بمكة يطلب العلم مجاورا، ورجع أخوه أحمد إلى بخارى فمات بها. وأما حفظة وسيلان ذهنه ففي الغاية والنهاية، نقل عنه وراقه أنه قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب، قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين أو أقل.

ونقل عنه أنه قال: أحفظ مائه ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح.

واتفق له حكاية عجيبة تدل على قوة حفظه وهي: أنه لما دخل بغداد سمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وأرادوا امتحان حفظه فعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد إلى إسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوها إلى عشرة نفس، لكل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري، فلما اجتمعوا وحضر في المجلس خلق كثير واطمأن المجلس بأهله، انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاري: لا أعرفه، فمازال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ والبخاري يقول له: لا أعرفه، فكان العلماء ممن حضر المجلس يلتفت

بعضهم إلى بعض ويقولون: فهم الرجل، من كان لم يدر القصة يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الحفظ، ثم انتدب رجل أيضا من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال: لا أعرفه، فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول له: لا أعرفه، ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا.

فلما عرف أنهم قد فرغوا، التفت إلى الأول فقال: أما حديثك الأول فقلت كذا وصوابه كذا، وحديثك الثاني كذا وصوابه كذا، والثالث والرابع على الولاة حتى أتى على تمام العشرة فرد كل سند إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، فأقر الناس له بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل.

قال شيخ الإسلام ابن حجر: هنا يخضع للبخاري فما العجب من رده الخطأ إلى الصواب، فإنه كان حافظا، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة.

- ذكر مشايخ البخاري

وأما مشايخه الذين كتب عنهم فقد نقل عنه أنه قال: كتبت عن ألف وثمانين نفسا، ليس منهم إلا صاحب حديث.

ونقل عنه أنه قال: ما قدمت على شيخ إلا كان انتفاعه بي أكثر من انتفاعي به.

وأما الجماعة الذين قرؤوا عليه وأخذوا عنه الحديث فخلق كثيرون نحو مائة ألف أو يزيدون، أو ينقصون، وكان يحضر مجلسه أكثر من عشرين ألفا يأخذون عنه.

ذكر تعظيم الناس للبخاري

وأما ثناء الناس عليه وتعظيمهم له فقد قال ابن خزيمة: «ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث منه وأحفظ».

وقال بعضهم: «هو آية من آيات الله يمشي على وجه الأرض».

وقال له الإمام مسلم مؤلف الصحيح: «أشهد أنه ليس في الدنيا مثلك».

وكان مسلم كلما دخل يسلم ويقول: «دعني أقبل رجليك يا طبيب الحديث في علله، ويا أستاذ الأستاذين، ويا سيد المحدثين».

وقال أبو عيسي الترمذي: «لم أر مثله جعله الله زين هذه الأمة» .

وقال عبد الله بن حماد: «وددت أن لو كنت شعرة في جسد محمد بن إسماعيل».

وحكي أن أهل بغداد كتبوا إلى البخاري كتابا يثنون عليه فيه ومن جملته:

المسلمون بخير ما بقيت لهم ... وليس بعدك خير حين تفتقد

قال الحاكم: «ولو فتحنا باب الثناء عليه ممن تأخر عن عصره لفني القرطاس، ونفذت الأنفاس، فذاك بحر لا ساحل له».

- رحلته في طلب الحديث

وأما رحلته لأجل أخذ العلم والحديث من العلماء فقد رحل رحلات واسعات، وكتب عن شيوخ متوافرات، وافية متكاثرات، ونقل عنه أنه قال: «دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة وإلى البصرة أربع مرات، وأقمت بالحجاز ستة أعوام، لا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين».

- كتابه الصحيح وسبب تأليفه

وأما كتابة الصحيح فليس بعد القرآن كتاب أصح منه، وهو أصح من صحيح مسلم على الصحيح، واسمه «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسننه وأيامه» كذا سماه هو – رضي الله عنه –.

وروي عنه أنه قال: «صنفت كتاب الصحيح في ستة عشر سنة، وخرجت من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة بيني وبين الله عز وجل.

وسبب تصنيفه لهذا الكتاب ما نقل عنه أنه قال: «رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – في المنام كأني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب بها عنه، فسألت بعض المعبرين فقال: أنت

تذب الكذب عن حديثه – صلى الله عليه وسلم – فهو الذي حملني على إخراج الصحيح».

ونقل عنه أنه قال: «ما وضعت في كتابي هذا حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين».

قيل: كان تصنيفه لهذا الكتاب بمكة المشرفة، والغسل بماء زمزم، والصلاة خلف المقام.

وقيل: كان بالمدينة الشريفة، وترجم أبوابه في الروضة المباركة، وصلى لكل ترجمة ركعتين.

وله تصانيف كثيرة غير الصحيح نقل عنه – رضي الله عنه – أنه قال: «أقمت بالبصرة خمس سنين مع كتبي، أصنف وأحج في كل سنة، وأرجع من مكة إلى البصرة، قال: وأنا أرجو أن الله يبارك للمسلمين في هذه المصنفات» ولقد بارك الله فيها.

– زهده وورعه وفضله

وأما سيرته ومناقبه وشمائله وفضائله وزهده وروعة فكثيرة كلت الكتاب عن حصرها.

قيل: إنه كان عنده شيء من شعرات النبي – صلى الله عليه وسلم – فجعله في ملبوسه.

ومن فضائله: أنه قال على سبيل التحدث بالنعمة: «إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحد من هذه الأمة».

اسمع واتعظ يا من يغتاب الناس ويمزق أعراضهم: «أوحى الله إلى موسى – عليه السلام – من مات تائبا من الغيبة، فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار».

وجاء في الحديث: «من كف لسانه عن أعراض الناس قال الله عثرته يوم القيامة».

وحكي عن داود الطائي – رضي الله عنه – أنه مر يوما بموضع فوقع مغشيا عليه فحل إلى منزله فلما أفاق سئل عن ذلك فقال: «ذكرت أني اغتبت رجلا في هذا الموضع، فذكرت مطالبته إياي بين يدي الله تعالى».

قال بعضهم: «الغيبة فاكهة الفقراء، وضيافة الفساق، وبساتين الملوك، ومراتع النساء، ومزابل الأتقياء».

وقال حاتم الأصم: «المغتاب والنمام قردا أهل النار، والكذب كلب أهل النار، والحاسد خنزير أهل النار».

وحكي: أن عيسي – عليه السلام – رأى إبليس وفي يده عسلا، وفي الأخرى رمادا، فسأله عن ذلك فقال: العسل أجعله في شفاه المغتابين، والرماد أجعله في وجوه الأيتام، حتى يرمدوا فيستقذرهم الناس فلا يفعلون معهم خيرا.

ومنها: أن والده إسماعيل كان كثير المال، نقل عن والده أنه قال: لا أعلم في مالي درهما من حرام، ولا درهما من شبهة، فلما مات والده إسماعيل انتقل المال إليه، فكان يعطيه مضاربة، فقطع له غريم خمسة وعشرين ألفا، فقالوا له: استعن عليه بالوالي، فقال: لن أبيع ديني بدنياي، ثم صالح غريمه على أن يعطيه كل شهر عشرة دراهم، وذهب ذلك المال كله.

وحمل إليه بعض عماله بضاعة وكانت مطلوبة، فجاءت إليه التجار آخر النهار وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم فردهم، فقال لهم: انصرفوا الليلة، فجاءه من الغد تجارا آخرون فطلبوا منه البضاعة تربح عشرة آلاف درهم، فردهم وقال: إني نويت البارحة أن أدفع إلى الأولين، فلا أغير نيتي ودفعها إليهم.

ونقل عنه أنه قال: كنت استغل كل شهر خمسمائة درهم فأنفقها في الطلب، وما عند الله خير وأبقى .

ومع كثرة هذا المال كان يأتي عليه نهار لا يأكل فيه، وكان أحيانا يأكل لوزتين أو ثلاثا، وكان يتصدق بماله على الفقراء.

طلبه العلم مع سعة ماله – رضي الله عنه –

وطلبه العلم مع سعة هذا المال نقل عنه أنه قال: ما أشريت من حين ولدت من أحد بدرهم

ولا بعت أحدا شيئا، فسئل عن الورق الذي يكتب فيه والحبر فقال: كنت أوكل أنسانا يشتري لي، فكيف لا يكون وليا.

- زهد البخاري

وقد زهد في الدنيا وآثر غيره على نفسه، وصبر على شدة الجوع مع كثرة ما معه من مال، وكل هذا من علامات الأولياء.

قال إبراهيم بن أدهم لرجل: أتحب أن تكون لله وليا؟ قال: نعم، قال: لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة، وفرغ نفسك لله، وأقبل عليه بوجهك ليقبل عليك ويواليك.

بل كثير من أولياء الله يأتيهم رزقهم من غير تعب ولا تكلف، كما حكي عن عتبة الغلام أنه دعا ربه أن يهب له ثلاث خصال في دار الدنيا، دعا أن يمن عليه بصوت حزين، ودمع غزير، وطعام من غير تكلف، فكان إذا قرأ بكى وأبكى، وكانت دموعه جارية دهره، وكان يأوي إلى منزله فيصيب قوته، ولا يدري من أين يأتيه.

وحكي أن رابعة العدوية كانت تطبخ قدرا فاشتهت بصلا فجاء طائر في منقاره بصلة فألقاها إليها.

ومنها: أنه وقف يصلي فلسعه زنبور سبع عشرة مرة، ولم يقطع صلاته.

وفاة البخاري وما ظهر من الكرامات عند وفاته

وكانت وفاته - رضي الله عنه - ليلة السبت ليلة عيد الفطر، سنة ست وخمسين ومائتين، عن اثنين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما وصفته: أنه كان نحيف الجسم، ليس بالطويل ولا بالقصير وحق أن ينشد فيه.

تراه من الذكاء نحيف الجسم ... عليه من توقده دليل

إذا كان الفتى ضخم المعال... فليس يضيره الجسد الضئيل

ولما دفن فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك، وكان الناس تأتي إلى قبره يأخذون التراب منه للتبرك به ولشمه، حتى ظهرت الحفرة للناس، ولم يكن يقدر على حفظ القبر بالحراس

فنصبوا على القبر أخشابا مشبكة منعوا الناس بها من الوصول إلى قبره، فكانت الناس تأخذ التراب والحصيات من حوالي القبر، دامت تلك الرائحة أياما كثيرة، حتى توارت وشاعت في جميع تلك البلاد، ولا يبعد أن تكون هذه الرائحة رائحة صيامه الذي صامه في الحياة وأخفاه عن الناس، فأظهره الله لهم بعد موته، إظهارا لفضله وعظيم منزلته عنده.

قال العلامة ابن رجب في «اللطائف» : ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فكلما اجتهد صاحبه على إخفائه فاح ريحه، ثم قال: لما دفن عبد الله بن غالب كان يفوح من تراب قبره رائحة المسك، فرؤي في النوم فسئل عن تلك الرائحة التي توجد من قبره؟ فقال: تلك رائحة التلاوة والظمأ، ولله در من قال:

وكاتم الحب يوم البين منهتك ... وصاحب الوجد لا تخفى سرائره

لم ينم الصادقون أحوالهم، وريح الصدق ينم عليهم، ما أسر أحد سريرة إلا ألبسه الله رداءها علانية، وما أحسن قول القائل:

كم أكتم حبكم عن الأغياري ... والدمع يذيع في الهوى أسراري

كم أستركم هتكتموا أستاري ... من يخفي في الهوى لهيب النار

وقيل: إن بعض العلماء رأي ليلة موته النبي – صلى الله عليه وسلم – في النوم، ومعه جماعة من أصحابه، وهو واقف في موضع قال: فسلمت عليه، وقلت: يا رسول الله ما وقوفك هاهنا قال: انتظر محمد بن إسماعيل.

ونقل عن الفربري أنه قال: رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – في المنام فقال لي: أين تريد؟ فقلت: أريد محمد بن إسماعيل البخاري، فقال: اقرأه مني السلام.

وقال أبو زيد المروزي الفقيه: كنت نائما بين الركن والمقام، فرأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – في المنام: فقال: يا أبا زيد إلى متي تدرس الفقه ولا تدرس كتابي؟ فقلت: يا رسول الله وما كتابك؟ فقال: جامع ابن إسماعيل.

وقال الإمام القدوة أبو محمد بن أبي جمرة المالكي نفعنا الله ببركاته: قال لي من لقيته من

العارفين عن من لقي من السادة المقر لهم بالفضل: أن صحيح البخاري ما قريء في شدة إلا فرجت، ولا ركب به في مركب فغرق.

وحكي: أنه قرئ مرة في حمص لرفع البلاء فرفعه الله.

وجملة ما في صحيح البخاري من الأحاديث مع المكرر سبعة ألاف ومائتان وخمس وسبعون حديثا كما جزم به ابن الصلاح، وبإسقاط المكرر أربعة آلاف حديث.

- ومن شعره - رضي الله عنه - وأرضاه:

اغتنم في الفراغ فضل الركوع ... فعسي أن يكون موتك بغتة

كم صحيح رأيت من غير سقم ... ذهبت نفسه صحيحة فلتنه

وكم له من الكرامات - رضي الله عنه -، رفع الله ذكره الشريف وقد فعل، وجعل له لسان صدق في الآخرين وقد جعل.

73- لواقح الأنوار في طبقات الأخيار[1]

عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني (ت973هـ)

قال رحمه الله: ومنهم محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله تعالى عنه، كان رضي الله تعالى عنه من العلماء العاملين، تستنزل الرحمة عند ذكره، كان صائم الدهر، وجاع حتى انتهى أكله

---

[1] لواقح الأنوار في طبقات الأخيار ص 83

إلى تمرة أو لوزة ورعا من الله تعالى في تردده إلى الخلاء. ولد رضي الله عنه في بخارى سنة أربع وتسعين ومائة، وتوفي رضي الله عنه ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين، ودفن بخرتنك قرية على فرسخين من سمرقند.

وكان رضي الله عنه، يقول: المادح والذام من الناس عندي سواء وكان يقول: أرجو أن ألقى الله تعالى ولا يطالبني أني اغتبت أحدا. وما اشترى شيئا ولا باعه قط، وكان ورعا زاهدا كان ينام في الظلام، وربما قام في الليل نحو العشرين مرة يقدح الزناد ويسرج ويكتب أحاديث، ثم يضع رأسه، وكان يصلي كل ليلة آخر الليل ثلاث عشرة ركعة يوتر بواحدة منها، وكان يصلي بأصحابه في ليالي رمضان كل ليلة بثلث القرآن ويختم كل ثلاث ويقول : عند كل ختم دعوة مجابة، وما وضع حديثا في الصحيح إلا وصلى عقبه ركعتين شكرا لله عز وجل، وكان رضي الله عنه يأكل من مال أبيه لكونه حلالا، وكان أبوه يقول: ما أعلم من مالي درهما حراما ولا شبهة، ومناقبه كثيرة مشهورة، رضي الله تعالى عنه.

74- لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح[1]

عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله الدهلوي (ت1052 هـ)

قال رحمه الله: محمد بن إسماعيل البخاري: هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، وإنما قيل له الجعفي لأن المغيرة أبا جده كان مجوسيا أسلم على يد يمان البخاري وهو الجعفي والي بخاري فنسب إليه حيث أسلم على يده، وجعفي أبو قبيلة من اليمن، وهو جعفي بن سعد والنسبة إليه كذلك، ولد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت

[1] لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح 261/10
الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا- الطبعة: الأولى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

من شوال سنة أربع وتسعين ومئة، وتوفي ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومئتين، وعمره اثنتان وستون سنة إلا ثلاث عشر يوما، ولم يعقب ولدا ذكرا، والبخاري الإمام في علم الحديث، رحل في طلب العلم إلى جميع محدثي الأمصار، وكتب بخراسان والجبال والعراق والحجاز والشام ومصر، وأخذ الحديث عن المشايخ الحفاظ منهم: مكي بن إبراهيم البلخي وعبيد الله بن موسى العبسي وأبو عاصم الشيباني وعلي بن المديني وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعبد الله ابن الزبير الحميدي وغير هؤلاء من الأئمة، وأخذ عنه الحديث خلق كثير في كل بلدة حدث بها.

قال الفربري: سمع كتاب البخاري منه تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يروي عنه غيري، ورد على المشايخ وله إحدى عشرة سنة وطلب العلم وله عشر سنين.

قال البخاري: خرجت كتابي "الصحيح" من زهاء ست مئة ألف حديث، وما وضعت فيه حديثا إلا صليت ركعتين، وقال: أحفظ مئة ألف حديث صحيح ومئتي ألف حديث غير صحيح، وجملة ما في كتابه "الصحيح" سبعة آلاف ومئتان وخمسة وسبعون حديثا بالأحاديث المكررة، وقيل: إنها بإسقاط المكررة أربعة آلاف حديث، و"صحيح مسلم" أيضا نحو أربعة آلاف حديث بإسقاط المكررة، وصنف الكتاب في ستة عشر سنة، وقدم البخاري بغداد فسمع به أصحاب الحديث واجتمعوا وعمدوا إلى مئة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوها إلى عشرة أنفس لكل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا على البخاري، فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه حتى فرغ من العشرة والبخاري يقول: لا أعرفه، فأما العلماء فعرفوا بإنكاره أنه عارف، وأما غيرهم فلم يعرفوا ذلك منه، ثم انتدب إليه رجل آخر من العشرة فكان حاله معه كذلك، ثم انتدب آخر إلى تمام العشرة، والبخاري لا يزيدهم على قوله: لا أعرفه، فلما فرغوا التفت إلى الأول

منهم فقال: أما حديثك الأول فكذا، والثاني كذا على النسق إلى آخر العشرة، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه، ثم فعل بالباقين مثل ذلك، فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل.

قال أبو مصعب أحمد بن بكر المديني: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر من أحمد بن حنبل، فقال رجل من جلسائه: جاوزت الحد، فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل البخاري لقلت كلاهما واحد في الفقه والحديث.

وقال أحمد بن حنبل: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل، وقال: انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان وذكر منهم البخاري.

وقال رجاء بن مرجئ: فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء، فقال له رجل: يا أبا محمد كل ذلك؟ ! فقال: هو آية من آيات الله يمشي على ظهر الأرض.

قال محمد بن إسحاق: ما رأيت تحت أديم هذه السماء أعلم بالحديث من محمد ابن إسماعيل البخاري.

وقال أبو سعيد بن منير: بعث الأمير خالد بن أحمد بن الذهلي والي بخاري إلى محمد بن إسماعيل البخاري أن احمل إلي كتاب "الجامع" و"التاريخ" لأسمع منك، فقال لرسوله: أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كان لك إلي شيء حاجة فاحضر في مسجدي أو في داري، وإن لم يعجبك هذا مني فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، فإني لا أكتم العلم لقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار".

وقال غيره: إن سبب مفارقة البخاري بخارى أن خالدا سأله أن يحضر منزله فيقرأ "الجامع" و"التاريخ" على أولاده، فامتنع عن الحضور عنده فراسله أن يعقد مجلسا لأولاده لا يحضره غيرهم فامتنع عن ذلك أيضا وقال: لا يسعني أن أخص بالسماع قوما دون قوم، فاستعان

خالد بعلماء بخارى عليه حتى تكلموا في مذهبه فنفاه عن البلد، فدعا عليهم البخاري فاستجيب له ووقعوا بعد زمن يسير في البلايا.

وقال محمد بن أحمد المروزي: كنت نائما بين الركن والمقام فرأيت النبي –صلى الله عليه وسلم– في المنام، فقال لي: "يا أبا زيد إلى متى تدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي؟ " فقلت: يا رسول الله! وما كتابك؟ قال: "جامع محمد بن إسماعيل البخاري".

وقال النجم بن الفضل: رأيت النبي –صلى الله عليه وسلم– في المنام ومحمد بن إسماعيل خلفه، فكان النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا خطا خطوة يخطو محمد ويضع قدمه على خطوة النبي –صلى الله عليه وسلم– ويتبع أثره.

وقال عبد الواحد بن آدم الطواويسي: رأيت النبي –صلى الله عليه وسلم– في النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع ذكره فسلمت عليه فرد السلام، فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ فقال: "أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري" فلما كان بعد أيام بلغنا موته فنظرنا فإذا هو قد مات في تلك الساعة التي رأيت النبي –صلى الله عليه وسلم– فيها.

75- الفوائد الدّراري في ترجمةِ الإمام البخاري[1]

العجلوني إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي (ت1162هـ)

قال رحمه الله: "بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين. الحمدُ لله العالم بجميع الأشياء جملة وتفصيلاً، الهادِي إلى الصِّراط المستقيم فلا يضلُّ من سلكه سبيلاً، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمَّد المرسلِ رحمةً للخلق كافَّة ومُرشداً ودَليلاً، وعلى إخوانهِ النَّبيين، وآله وأصحابه، ما دام التاريخُ بمعرفة الأنسابِ والأحوالِ كفيلاً .

[1] الفوائد الدراري في ترجمة الإمام البخاري– دار الكمال المتحدة– ط3–1440

أمَّا بعدُ :

فيقول العبدُ الفقير إلى مولاه الفتاح، إسماعيل العَجْلوني بن محمد جرَّاح :

قد التمسَ مني بعضُ أرباب الفضلِ من أصدقاء الإخوان أن أفردَ برسالةٍ ترجمةَ الإمام البخاري ــ عليه رحمةُ المليك الدَّيان ــ، فأجبتُه لسؤاله، منفذاً لآماله؛ لتكون مَرجعاً عند الاحتياجِ إليها؛ لسهولةِ الأخذِ مما لديها، ولأنَّه عند ذكر الصَّالحين، تنزلُ الرحمة من ربِّ العالمين .

فقد روينا بسندنا إلى العارفِ الكبير سيدي الشيخ محيي الدِّين بن العَربي: أنه قال في كتابه (الكوكب الدُّرِّي في مناقب ذي النُّون المصري): جاء في بعضِ الآثار: عند ذكرِ الصَّالحين تنزلُ الرَّحمة، قال: لأنَّ ذكرهم من ذكرِ الله، وهم الَّذين إذا رؤوا ذكرَ الله تعالى؛ كما صحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فهم لا يذكرونَ إلا به، ولا يضافون إلا إليه؛ إذ هم عبيدوا الاختصاصِ، الذين عبدوا الله على الصِّدق والإخلاص، فأصبَحوا لا يُعرفون إلا به، ولا يُقصدون إلا من الباب الأول.

في مولدهِ، وبدءِ أمرهِ، ونشأتهِ، وفي بيان نسبهِ ونسبتهِ، إلى غير ذلك من الفوائد، التي هي كدُرر الفوائد. وقد يذكر في كلِّ فصلٍ ممَّا ليس منه لمناسبةٍ واستطرادٍ، فعليك بتحصيل الفائدة وتجنب الانتقاد، فنقول:

هو الإمامُ، المحدِّث، بل المسندُ، الحجَّة، بل الحاكم حافظُ الإسلام، ذروةُ الجهابذةِ النُّقاد الأعلام، شيخُ السُّنة والحديث، وطبيبُ عللهِ في القديمِ والحديث، الحافظُ الذي لا تغيبُ لديه الشَّاردة، والضَّابط الذي استوتْ عندهُ الطَّارفة والتَّالدة: أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل أبي الحسن بن إبراهيم بن المغيرة ــ بضم الميم، وقد تكسر، وبالغين المعجمة المكسورة فمثناة تحتية فراء فهاء تأنيث ــ ابن بَرْدِزْبة ــ بفتح الموحدة أوله، وقد تكسر، وبسكون الراء، فكسر الدال المهملة، فسكون الزاي، فموحدة بعدها تاء تأنيث، على المشهورِ في ضبطهِ ــ.

وعبارة التاج السُّبكي في (طبقاته): بَرْدِزْبَه ــ بفتح الباء الموحدة، بعدها راء ساكنة، ثم دال مكسورة مهملة، ثم زاي ساكنة، ثم باء موحدة مفتوحة، ثم هاء ــ ابن بَذِذْبِه ــ بباء موحدة مفتوحة، ثم ذال معجمة مكسورة، ثم ذال ثانية معجمة ساكنة، ثم باء موحدة مكسورة، ثم هاء ــ هذا ما كنَّا نسمعُه من الشيخ الإمامِ الوالد، وقيل بدل: بردزبة؛ الأحرف، وقيل غير

ذلك، انتهت.

وأرادَ بقوله: (وقيل بدل ...إلخ): أنَّ بَذِذْبة ــ بذالين ــ تجعل بدل: بردزبة، وعليه فلا تعرُّض لذكر والد بردزبة.

ولعلَّه أشار بقوله: (وقيل غير ذلك)، إلى ما ذكره ابنُ خلِّكان؛ فإنه قال: وقد اختلفَ في اسم جدِّه، فقيل: إنه يَرْذِبه ــ بفتح المثناة من تحتها، وسكون الراء، وكسر الذال المعجمة، وبعدها باء موحدة، ثم هاء ساكنة ــ، وقال أبو نصر بنُ ماكولا في كتاب (الإكمال): هو ابنُ زذزبه ــ بزاي، فذال معجمة، فزاي، فباء موحدة، وهاء ــ، انتهى.

ثم قال: ووجدتُه في موضع آخر عوض يرذبة: الأحنف، ولعلَّ يرذبة كان أحنف الرجل، انتهى، هكذا رأيتُه في ابن خلِّكان. لكن نقلَ ابنُ الملقِّن في (توضيحه شرح البخاري) عن ابن خلِّكان خلافه؛ فإنه قال: ابن يَزْدِزْبه ــ بفتح المثناة التحتية أوله، ثم زاي ساكنة، ثم دال مهملة مكسورة، ثم زاي، ثم باء موحدة، ثم هاء ــ، ويقال: بردزبه ــ بموحدة أوله بدل المثناة، ثم راء مهملة، والباقي مثل الأول ــ، كذا ضبطَه أولاً ابن خلِّكان عن بعضهم، ثم نقل الثاني عن ابنِ ماكولا، انتهى.

ثم رأيتُه في نسخٍ من ابن خلِّكان كما نقل ابنُ الملقِّن، فنُسخ ابن خلِّكان مختلفة، ولعلَّ المعوَّل عليه ما نقله ابنُ الملقِّن عنه.

وقال الحافظ ابنُ حجر في (المقدمة) بعد أن ضبطَه بفتح الموحدة، ثم راء ساكنة، فدال مهملة مكسورة، فزاي ساكنة، فموحدة، فهاء تأنيث، قال: وبه جزمَ ابنُ ماكولا، ثم قال: وبردزبة بالفارسيَّة: الزرَّاع، كذا تقوله أهلُ بخارى، ومات بردزبة على دينِ قومه؛ يعني: مجوسيًّا.

وقال ابن الملقن في (التوضيح): قال ــ أعني: ابن ماكولا ــ: هو بالبخاريَّة، ومعناه بالعربية الزرَّاع، وقال ابنُ دحية: قال لي أهلُ خراسان بعد أن لم يعرفوا معنى هذه اللَّفظة: يقال للفلاحين بالفارسية: برْزِكرْ ــ بباء موحدة، ثم راء ساكنة، ثم زاي مكسورة، ثم كاف غير صافية، ثم راء ساكنة ــ، وهو لقبٌ لكلِّ من سكن البادية، زرَّاعاً كان أو غيره، وقيل: إنَّه المغيرةُ بن الأحنف. انتهى.

وعليه: فيكون في والدِ المغيرة خلافٌ، هل هو الأحنفُ، أو بردزبة.

وعلى ما تقدَّم عن ابن خلِّكان، فهما شيءٌ واحدٌ، والأحنفُ لقب بردزبة؛ يعني: أو بزدبة أو

يزدبة، فالكل بمعنى، فتأمل.

وأسلم المغيرةُ بن بردزبه على يد يمانٍ الجُعفِي والي بخارى، فنسبَ إليه نسبة ولاءٍ؛ عملاً بمذهبِ من يَرى أنَّ من أسلمَ على يدهِ شخصٌ كان ولاؤه له، فقيل للبخاريّ: الجعفي؛ لكون جدِّه الأعلى أسلم على يدِ الجُعْفي المذكور، وهو ــ بضم الجيم، وسكون العين المهملة، وبالفاء، فياء النسبة ــ، وإلى ذلك أشارَ الزين العرَاقي في (ألفيته) بقوله:

وربَّما إلى القبيْلِ يُنْسَبُ مَوْلى عتَاقةٍ وهذَا الأغلَبُ

أو لوَلاءِ الحِلْفِ كالتَّيميّ مالكٍ أو للدِّين كالجُعْفي

قال ابنُ علَّان المكِّي الصِّدِّيقي في (شرح أذكار النَّووي) نقلاً عن (شرح المشكاة) لابن حجر الهيتمي: الجُعفي، مولاهم ولاء إسلامٍ، على مذهب من يرَى أنَّ من أسلمَ على يدِ شخصٍ كان ولاؤهُ له، وذلك لأنَّ جدَّه المغيرة كان مجوسيًّا، فأسلمَ على يد اليمانِ الجُعْفي والي بخارى، نسبةً لـ (جعفي بن سعد العشيرة) أبي قبيلةٍ من اليمنِ، ووهمَ من قال: إنَّه اسمُ بلدٍ، وكأنه توهَّمه من قول ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) أنه مخلاف باليمن منزل قبيلةٍ من مذحج، بينه وبين صنعاء أربعون فرسخاً، انتهى.

ثم قال ابنُ علَّان، وأصله للعَاقُولي في (شرح المصابيح): وعلى قول ياقوت فيحتملُ: أن يكون جُعفي مشتركاً لفظياً بين القبيلة والمكان، ويحتملُ: أنَّه حقيقة في الأوَّل، وسمي المكانُ به من تسميةِ المحلِّ باسم الحال، أو بالعكسِ، وكلامُه إلى الثاني أقربُ، انتهى.

وقال ابنُ الملقن: ويمانُ هذا هو أبو جدِّ المحدِّث عبد الله بن محمد بن جعفر بن يمان المسنَدِي ــ بفتح النون ــ شيخ البُخاري.

وقال النَّووي في (تهذيب الأسماء واللغات): ويمان هذا هو أبو المغيرة عبدُ الله بن محمَّد بن جعفر بن يمان المسنَدِي ــ بفتح النون ــ شيخ البخاري.

وقال ابن خلِّكان: ونسبةُ البُخاري إلى سعيد بن جعفر الجُعْفي والي خراسان، وكانَ له عليهم ولاء، فنسبوا إليه، انتهى.

فتأمَّله مع قولهم السابق: إنَّ الجُعفي نسبته إلى يمان والي بخارى، وقد يجمعُ بضربٍ من التَّجوز، ويكون سعيد لقباً ليمان، أو بالعكس، فتدبر.

وكذا ليتأمل في قول النَّووي: (ويمان هذا هو أبو المغيرة عبد الله... إلخ)، فلعلَّ قوله: أبو المغيرة

كنية يمانٍ، ولعلَّ في قوله: عبد الله... إلخ، حذفاً قبله يدلُّ عليه كلام ابن الملقِّن السابق، والتقدير: ويمان هذا هو أبو المغيرة أبو جدِّ المحدِّث عبد الله بن محمد... إلخ، فتأمله.

وفي بعض نسخ (التهذيب): أبو عبد الله بن محمد... إلخ، بدل: أبو المغيرة عبد الله... إلخ، فتدبر.

وقال الكرمانيُّ في كتاب (التوحيد) في باب المشيئة والإرادة، في ترجمةِ عبد الله المذكور المسنَدِي ــ بلفظ الفاعل أو المفعول ــ قال: وإنما نُسب إليه؛ لأنه كان يتَّبع الأحاديثَ المسندةَ، ولا يرغبُ في المراسيل، انتهى.

وقال السيوطيُّ في (تدريب الراوي بشرح تقريب النَّواوي): اعلم أنَّ المسنِد ــ بكسر النون ــ أدنى درجةً من الحافظ والمحدِّث؛ إذ هو من يروي الحديثَ بإسنادِهِ سواء علم به، أو ليس له إلا مجرَّد الرواية، وأمَّا المحدِّث فهو أرفعُ منه، أي: فإنه العالمُ بحديثِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم متناً وطريقاً وأسماء رواة له.

وقال الحافظُ ابنُ حجرٍ: كان السلفُ يُطلقون المحدِّث والحافظ بمعنى واحدٍ، والحقُّ أن الحافظ أخصُّ من المحدِّث؛ إذ هو من اجتمعَتْ فيه شروط الشُّهرة بالطلبِ والأخذِ من أفواه الرِّجال، والمعرفة بطبقاتِ الرُّواة ومراتبِهِم، وبالجرحِ والتَّعديل، وتمييزِ الصَّحيح من السَّقيم؛ بحيث يكون ما يستحضرُهُ أكثر ممَّا لا يستحضرُهُ، مع استحضارِهِ لكثير من المتونِ، انتهى.

وقال بعضُهم: الحافظُ من حفظِ مئة ألف حديثٍ متناً وإسناداً، ولو بتعدُّد الطُّرق، وفوقه: الحجَّة، وهو من حفظَ ثلاث مئة ألف حديث كذلك، وفوقه: الحاكمُ، وهو من أحاطَ بجميعِ الأحاديث كذلك.

فظهرَ الفرق بين المسند والمحدِّث والحافظ والحجَّة والحاكم، وقد بسطنا الكلام على ذلك، وعلى غيره في أوائل خطبة: (الفيض الجاري بشرح صحيح الإمام البخاري).

فائدةٌ: قال ابنُ الملقِّن في (التوضيح):

قد أسلفنَا أن البخاريَّ ــ رحمه الله ــ أمير المؤمنين في الحديث، وقد شاركه في ذلك جماعة، أفردَهُم الحافظ أبو علي الحسن بن محمد البكرِي في كتابه: (التَّبيين لذكر من تسمَّى بأمير المؤمنين)، قال فيه : وأوَّل من تسمَّى بهذا الاسم ــ فيما أعلمه ورويتُه ــ وكذا بالإمامِ في أوَّل الإسلام: أبو الزِّناد عبدُ الله بنُ ذَكوان، وبعدَهُ إمامُ دار الهجرةِ مالك بن أنس، ثمَّ عدَّ بعدهما

محمَّد بن إسحاق صاحب المغَازِي، وشعبة بن الحجَّاج، وسفيان الثَّوري، والبُخاري، والواقدي، وإسحاق بن راهوَيه، وعبد الله بن المبارك، والدَّارقطني.

وذكر فيه أنَّ أبا إسحاق الشِّيرازي أمير المؤمنين، فيما بين الفقهاء نقلاً عن الموفَّق الحنفِي إمام أصحابِ الرَّأي ببغداد، هذا مجموع ما ذكرهُ في تأليفِهِ، وأغفَلَ أبا نُعيم الفضلَ بنَ دُكين الملائي الكوفي، فإنَّ الحاكم في (تاريخ نيسابور) ذكر أنَّ أهل الكوفة يقولون له: أمير المؤمنين في الحديث؛ لعلمهِ بالحديث، وكذا هشام بن عبد الله الدَّستوائي؛ فإنَّ أبا داود الطَّيالسي قال فيه: كان أميرَ المؤمنين في الحديث، وكذا مسلم بنُ الحجاج جدير بأن يلقَّبَ بذلك، وإنْ لم أرهم نصُّوا عليه، انتهى فاعرفه.

قال النوويُّ وغيره: واتَّفقوا على أنَّ البخاري ولد بعد صلاةِ الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلتْ من شوال، سنة أربع وتسعين ومئة، انتهى.

ومثله في كلام ابنِ الملقِّن، لكن قال ابنُ كثير: ولد ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال، انتهى. فليتأمَّل نقل الاتِّفاق والإجماعِ، ويمكنُ أنْ يُجاب بأن مرادَ ابن كثيرٍ الولادة بالقوَّة؛ كالأخذِ في الطَّلق، وكلامهم محمولٌ على الولادَةِ بالفعل، أو بأنَّهم لم يعتدوا به، أو بأنَّ كلامه محمولٌ على حذف مضاف؛ أي: ولد يوم ليلة الجمعة، فتدبَّر.

وما ذكره النَّووي وابن الملقِّن من أن ولادته كانت سنة أربعٍ هو المعروفُ في كلامهم، وعليه ما في النَّظم الآتي.

وقال ابنُ خلِّكان: وكانت ولادته يوم الجمعة بعد الصَّلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة ست وتسعين ومئة، انتهى. وهو ضعيف جداً لقول النَّووي: واتَّفقوا... إلخ.

وكذا قول أبي يعلى الخليلي في كتاب (الإرشاد) له: إنَّ ولادته كانت لاثنتي عشرة ليلة خلَتْ من الشهر المذكور، انتهى. ضعيفٌ، إلَّا أن يؤول ككلام ابنِ كثيرٍ السابق، فتأمل.

وكانت ولادتُه في التاريخ المذكور ببُخارى ـ بضم الموحدة، وبالخاء المعجمة، وبعد الألف راء، يليها ألف مقصُورة ـ مدينةٌ من أعظم مدن ما وراء النهر، بينها وبين سمرقند ثمانية أيام.

وقال النَّاجي في مولده المسمى بـ (كنز الراغبين والعفاة): وبخارى على فعالى، وأبعد صاحب (القاموس) في زعمهِ أنَّها تمدُّ وتقصرُ، فتنبَّه له واحذرْهُ، انتهى.

وقال العينيُّ في شرحه المسمى بـ(عمدة القاري بشرح صحيح البخاري) في ترجمة محمد بن

سلام البيكندِي البخاري ما نصُّه: البخاريُّ نسبةً إلى بُخارى ــ بضم الموحدة ــ مدينةٌ مشهورةٌ بما وراء النَّهر، خرجَتْ منها العلماء والصُّلحاء، ويشتملُ على بخارى وعلى قُراها ومَصَالحها: سوراً واحداً نحو اثني عشرَ فرسخاً في مثلها، وقال ابنُ حوقل: رساتيق بُخارى تزيدُ على خمسة عشر رِسْتاقاً، جميعها داخل الحائط المبني على بلادِهَا، ولها خارج الحائط ــ أيضاً ــ عدَّة مدنٍ، منها فرَبْر وغيرها، انتهى كلام العيني.

ومات البخاريُّ ليلة السبت عند دخولِ وقتِ العشاء ليلةَ عيد الفطرِ سنة ست وخمسين ومئتين.

قال في (المقدمة): وكانَتْ مدَّة عمرِهِ اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشرَ يوماً، انتهى.

ودفنَ يوم الفطرِ صبيحتها بعد الظُّهر بخَرْتَنْك بفتح الخاء المعجمة، وقد تكسر، وسكون الراء، وبفتح المثناة الفوقية، فنون ساكنة، فكاف: قريةٌ على فرسخين من سمرقند، قاله النَّووي وغيره، وبهِ يعلمُ ما في قولِ القسطلانِيّ: إن بينهمَا ثلاثة أيام، فليتأمل. إلا أنْ يجابَ بأنَّ لها طريقين، فتدبَّر.

ومن لطيفِ ما وقعَ للبُخاري: أن شهرَ وفاتهِ وافقَ شهر ولادتهِ في الاسم، وهو شوال.

وذلك أنَّه لما خرجَ من بخارَى أو مِن نيسابور ــ لأمرٍ ستأتي الإشارةُ إليه ــ كتبَ إليه أهل سمرقند يطلبونَه إلى بلدِهِم فسارَ إليهم، فلمَّا كان بخَرْتَنْك، بلغه أنَّه قد وقعَ بسببه فتنةٌ، فقوم يريدون دخوله، وآخرون يكرهونه، وكان له بخرتنك أقرباءَ، فنزل عندهُم حتى ينجليَ الأمرُ، فأقام بها أيَّاماً، فحصل له بها مرضٌ خفيفٌ، وأرسل إليه أهلُ سمرقند ثانياً يلتمسونَ ذهابَهُ إليهم، فأجابَ وتهيَّأ للركوب، فلمَّا مشَى قدر عشرين خطوة أو نحوها، قُدِّمت إليه دابةٌ ليركبها، فشقَّ عليه ذلك، فقال: أرسلوني؛ فقد ضعفْتُ، فأرسلوه، فدَعا بدعواتٍ، ثم اضطجَعَ، فقُضِي عليه، فسالَ منه عرقٌ كثير جداً، ولم يسكنْ حتى أدرجَ في أكفانِهِ.

وقيل: إنَّه ضجرَ ليلةً، فدعا بعدَ أنْ فرغَ من صلاة الليلِ بقوله: اللَّهمَّ قد ضاقَتْ عليَّ الأرض بما رحبَتْ، فاقبضني إليك، فمات في ذلك الشَّهر.

وعبارة (المقدمة) للحافظ ابنِ حجر: قال ابنُ عدي: سمعت عبدَ القدُّوس بن عبد الجبَّار يقول: خرجَ البخاري إلى خرتنك ــ قرية من قرَى سمرقند ــ وكان له بها أقرباء، فنزلَ عندهم، فسمعتُه ليلةً من الليالي وقد فرغَ من صلاةِ الليل يقولُ في دُعائه: اللَّهمَّ قد ضاقَتْ علي

الأرضُ بما رحبَتْ، فاقبضْنِي إليك، فما تم الشَّهر حتى قبضَه الله تعالى.

وقال محمَّد بن أبي حاتم الورَّاق: سمعتُ غالبَ بنَ جبريل ــ وهو الذي نزلَ عليه البخاري بخرتنك ــ يقول: إنه أقام أياماً، فمرضَ حتى وجِّه إليه رسولٌ من أهل سمرقند يلتمسونَ منه الخروجَ إليهم، فأجابَ، وتهيَّأ للركوب، ولبس خفَّيه وتعمَّم، فلمَّا مشَى قدْرَ عشرين خطوة أو نحوها، قرَّبوا له الدابة ليركبَها، وأنا آخذ بعضُدِه، فقال: أرسلوني؛ فقد ضعفْتُ، فأرسلناه، فدعا بدعواتٍ، ثمَّ اضطجَعَ، فقضَى، فسال منه عرقٌ كثيرٌ، انتهت.

وقال الحافظ في (المقدمة) أيضاً: قال الخطيبُ: أخبرنا عليُّ بن أبي حامدٍ في كتابه، قال: أخبرنا محمَّد بنُ محمد بنِ مكي، سمعتُ عبدَ الواحد بن آدم الطَّواويسي يقول: رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في النومِ، ومعه جماعةٌ من أصحابِهِ، وهو واقفٌ في موضعٍ، فسلَّمت عليه، فردَّ علي السَّلام، فقلتُ: ما وقوفكَ هاهنا يا رسول الله؟ قال: أنتظرُ محمد بنَ إسماعيل، قال: فلمَّا كان بعدَ أيامٍ، بلغني موتَه، فإذا هو قد ماتَ في السَّاعة التي رأيتُ فيها النبيَّ صلى الله عليه وسلم، انتهى.

تنبيه: استشكل دعاؤه بالموت، مع أنَّه أخرج في (صحيحه) عن أبي هريرة: (لا يتمنَّين أحدُكُم الموتَ لضرٍّ نزلَ به)، وفي لفظ للصَّحيحين عن أنس: (لا يتمنَّين أحدُكُم الموتَ لضرٍّ أصابَه، فإن كان لا بدَّ فاعلاً فليقل: اللهمَّ أحيني ما دامتْ الحياة خيراً لي، وتوفَّني ما دامَتْ الوفاة ــ وفي رواية: إذا كانت الوفاة ــ خيراً لي).

وأُجيب بأنَّ المراد بالضرِّ في الحديث: الدُّنيوي، أمَّا الأخرَوي، فيجوز تمني الموتِ لأجلهِ بلا كراهةٍ، بل يسنُّ خوفاً من تطرُّق خللٍ في دينهِ، على أن النَّهي في الحديث ليس للتَّحريم، بل للتَّنزيه كما هو مقرَّر في الفروع، وقال بعضُهم: والأولى أن يدعوَ الإنسانُ بما في الحديث السَّابق من قوله صلى الله عليه وسلم: (اللهمَّ أحيني ما كانتِ الحياةُ خيراً لي، وتوفَّني إذا كانت الوفاةُ خيراً لي).

وفي معنى هذا قلت:

طولُ الحياةِ حميدَةٌ إنْ راقبَ الرَّحمنَ عبْدهُ

وبضدِّها فالموتُ خير والسَّعيد أتاهُ رشدُه

واختُلف في تمنِّيه لا لضررٍ نزلَ به، والرَّاجح أنَّه لا يكرهُ؛ ففي (التحفة المكية) لابن حجر:

والذي يتَّجه أنَّه لا كراهةَ؛ لأنَّ علَّتها أنه مع الضُّر يشعرُ بالتَّبرم بالقضاءِ، بخلافهِ مع عدمهِ، بل هو حينئذٍ دليل على الرِّضا؛ لأنَّ من شأن النَّفوس النفرة عن الموتِ، فتمنّيه لا لضرٍّ دليلٌ على محبَّته الآخرة، بل حديث: (مَن أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءَهُ) يدلُّ على ندبِ تمنِّيه محبةً للقاءِ الله؛ كهو ببلد شريف، بل هو أولى، انتهى.

فائدة: وقال ابن الملقِّن في (التوضيح): قد علمت أن البخاريَّ مات بخرتنك سنة ستة وخمسين ومئتين عن اثنتين وستين سنة، ومات مسلم بنيسابور سنة إحدى وستين ومئتين، ومات أبو داود بالبصرة سنة خمس وسبعين ومئتين، ومات الترمذيُّ بها سنة تسع وسبعين ومئتين، ومات النسائي بمكة سنة ثلاث وثلاث مئة، انتهى.

وأقول: لعله لم يذكرْ ابن ماجه؛ لأنَّه ليس من أصحابِ الكتب الستَّة عند كثيرين، ومات سنة ثلاث وسبعين ومئتين.

وما تقدَّم من أنَّ البُخاري مات بخرتنك هو الصَّواب؛ فقد قال ابن خلِّكان: ذكر ابنُ يونس في (تاريخ الغرباء) أن البخاريَّ قدم مصرَ، وتوفي بها، قال: وهو غلطٌ، والصَّواب أنه بخرتنك، وقد نظم بعضُهم زمن ولادة البخاري ووفاته ومقدارَ عمره رامزاً لذلك، مع الثناء عليه، وأجاد بقوله:

كان البخاريُّ حافظاً ومحدِّثاً جمعَ الصَّحيحَ مكمَّلَ التَّحرير

ميلادُهُ صدقٌ ومدَّة عمرِهِ فيها حميدٌ وانقضَى في نور

ونظيره للشَّهاب أحمد المقري المغرِبي في أئمَّة المذاهب الأربعةِ، لكن في زمنِ موتهم فقط، قال:

نظمْتُ موتَ صُدورٍ همُ منَ النَّجمِ أهْدَى   أبو حنيفَةَ سيْفٌ ماضِي الشّبا ليسَ يصْدَى

ومالكٌ قطْعُ ضِدٍّ بعلمِهِ قد تبَدَّى   والشَّافعِي دُرُّ عقْدٍ بهِ تنَظَّم عِقْدا

وأحمَدُ رامَ عِلْماً فنَالَ عِلْماً وزُهْدا

ولنا في ميلادِهِم ووفاتِهِم أعاد الله علينا منْ بركاتهم:

ميلادُ نعمَانٍ أتَى في عِزِّهِ واستثْنِ منها اثنَين في الأعدَادِ

ووفاتُه سيفٌ نُضِي منْ غِمْدِه فسَعَى إلى الجنَّاتِ بالإعْدَادِ

وإمامُ دارِ المصْطَفَى ميلادُهُ منْجٍ أتَانَا عَاليَ الإسنَادِ

وبمَوْتِهِ في عامِ قطْعٍ قُطِّعَتْ للعِلْمِ أطنَابٌ عَلى أوتَادِ

والشَّافعِيُّ إمامُنَا ميلادُهُ في عامِ سيْفٍ سُلَّ منْ أغْمَادِ

ووفاتُهُ في عامِ رَدٍّ يا لَهُ منْ رَدٍّ مَنْ أضْحَى منَ الأوْتَادِ

وبأحْمَد لما تبَدَّى وجْهُهُ في عامِ قُدْسٍ زيدَ في الإمْدَادِ

وبموْتِهِ في رامَ أسلمَتِ العِدَا لكَرَامةٍ ظهَرَتْ وللإسْعَادِ

وأشرنا بقولنا: (أسلمتِ العدَا لكرامَة...) إلخ، إلى ما نقلهُ النَّووي في (التهذيب)، والدَّميري في (حياة الحيوان): أنه أسلمَ يوم موتهِ ببغداد عشرون ألفاً من اليهودِ والنَّصارى وغيرهم.

ومثله لشيخ مشايخنا الشَّيخ عبد القادر بن عبد الهادِي العُمَري في أصحاب الكتبِ الستَّة، لكن في وفاتهم كالمقري، قال:

محمَّدٌ نورُ فَضْلٍ وهوَ البُخارِي المفَدَّى

ومسلِمٌ سارَ حتَّى قدْ فاقَ ضَبْطاً ونَقْدا

أبٌ لداودَ هرعٌ إلى العَوالي تصَدَّى

والتِّرمذِي عِطْرُ نَدٍّ قدْ فاحَ لما تبَدَّى

وأحمَدٌ قبْرُ جودٍ وهوَ النَّسائي المرَدَّى

محمَّدٌ جرْعُ كأسٍ لماجَه لن يُرَدَّى

وأقول: الذي ذكرهُ غيره كابنِ السُّبكي في النَّسائي أنه مات سنة ثلاث وثلاث مئة فلعلَّ في وفاته خلافاً أو أن نظم: فجر، بالجيم بدل الموحدة، فتدبَّر..

وقد كان البخاريُّ أوصَى أن يكفَّنَ في ثلاثةِ أثوابٍ بيضٍ، ليس فيها قميصٌ ولا عمامَةٌ، ففعل به كذلك، وهذا أفضلُ في مذهب الشَّافعية، وتكون كلها لفائف، كلُّ واحدة منها تستر جميع البدن، والأفضل كونها من قطنٍ.

ولما دفنَ البخاريُّ رضي الله عنه فاحَ من قبرهِ رائحةٌ أطيبُ من ريح المسكِ الأذفرِ، وظهر شاخص أبيضٌ في السماء مُستطيلاً حِذَاء القبرِ، واستمرَّ حتى دُفن، ولم يعلمْ أين ذهبَ، ولعلَّ ذلك روحُه الشَّريفة تصوَّرت بما ذُكر؛ لتدخلَ في جسدِهِ بعد دفنهِ، كما ذكروا في ابنِ عباس رضي الله عنهما: أنَّه لما وضِعَ ليصلَّى عليه، جاء طائرٌ أبيضُ، فوقعَ على أكفانِهِ، فدخلَ فيها، فالتُمِسَ فلم يُوجد، فلمَّا سُوِّي عليه الترابُ، سمعُوا صوتاً من غير رؤية شخصه

يقرأ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ* ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي* وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: 27 ـ 30].

ويحتملُ في قضيَّة البخاري أنه مَلَك، أو صالحٌ آخرُ أراد حضورَ جنازتِهِ، والله أعلم بحقيقةِ الحال، فتأمَّل. ولما دُفِنَ صار الناسُ يأخذون من تراب القبرِ للتبرك به، وأكثروا من ذلك حتى ظهرتْ الحفرة للناس، ولم يقدروا على حفظِ القبرِ بالحرَّاس، فنصَبوا على القبر أخشاباً مشبَّكة، فصاروا يأخذون ما حولها من الترابِ والحصَى للتَّبرك، ودامتْ الرائحةُ الطِّيبة التي فاحتْ من قبرهِ أياماً كثيرةً، وتواترتْ عند أهلِ تلك البلاد، واشتهرتْ تلك الكرامات، وأمثالُ هذه لا تُستعظم بالنِّسبة لمثل هذا الإمامِ المعظَّم ــ نفعنا الله به وبغيره من الصَّالحين، وحشرَنا في زمرتهم بجاهِ محمَّد سيد المرسلين ــ.

وأمَّا والد البُخاري، وهو إسماعيل، وكنيتُه: أبو الحسن، فقد كان من خيارِ الناس وصُلحائهم، ومن العلماءِ الورعين.

فقد قال أحمد بن حفصٍ: دخلتُ على أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم ــ والد البخاري ــ عند موته، فقال: لا أعلم في جميعِ مالي درهماً من شُبْهة، قال أحمدُ: فتصاغرَتْ إليَّ نفسِي عند ذلك.

وقال الذَّهبيُّ: كان أبو البُخاري من العلماء الورعين، ومن الأئمَّة المعتبرين، وحدَّث عن جَمَاعةٍ، منهم: أبو مُعاوية وغيره، وروى عنه: أحمدُ بن جعفر، ونصرُ بن الحسين.

وقال ابن حبَّان في كتاب (الثقات): إسماعيلُ بن إبراهيم ــ والد البخاري ــ يروي عن حماد بن زيدٍ، ومالك، وروى عنه العراقيون.

وذكره ولده في (التاريخ الكبير) فقال: سمعَ من مالك، وحمَّاد بن زيد، وصحبَ ابن المبارك.

وأمَّا جدُّه إبراهيم ــ والد إسماعيل المذكور ــ فذكر الحافظ ابنُ حجر في (المقدمة): أنه لم يقفْ على شيءٍ من أخبارِهِ، انتهى.

يعني: على شيءٍ زائدٍ على الإسلام، وعلى أخبارِهِ الظَّاهرة، وكذا يقال في المغيرة، فافهم.

وأمَّا أمُّ البخاري ــ رحمها الله تعالى ــ فلم أقفْ على اسمها، وقد ذكر بعضُهم أنها كانت صالحة مجابةَ الدَّعوة، قال: وذلك لأنَّ ولدها محمَّد بن إسماعيل البُخاري لما ذهبَ بصرُه في حال صغرِهِ، رأتْ أمُّه في المنام إبراهيم الخليل ــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ــ

قائلاً لها: يا هذه! قد ردَّ الله على ابنِكِ بصرَهُ؛ لكثرةِ دُعائك أو بُكائك.

وقال التَّاج السبكي في (طبقاته الكبرى) بعد نقل ما ذُكر، قال: وعن جبريل بن ميكائيل: سمعتُ البخاري يقول: لما بلغتُ خراسان، أُصبْتُ ببصَرِي، فعلَّمني رجل أن أحلِقَ رأسِي وأغسله بالخطمي، ففعلتُ، فردَّ الله تعالى عليَّ بصرِي. رواها عنجار في (تاريخه)، انتهى.

وذكر ابنُ حجر الهيتمي في (شرح الأربعين): أن البخاريَّ هو الرَّائي لإبراهيم الخليل، وعبارته: حُكِي أنه عَمِي صبياً، فرأى في نومهِ إبراهيم على نبيِّنا وعليه الصَّلاة والسَّلام، فتفَلَ في عينيهِ أو دَعا له، فأبصرَ، فمن ثمَّ لم يُقْرأ كتابُهُ في كربٍ إلا فرّج. انتهت.

ويمكنُ الجمعُ بأنَّ كلًّا منهما رأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وقال الحافظُ ابن حجر في (المقدمة): مات إسماعيل ــ يعني: والدُ البخاري ــ ومحمدٌ صغيرٌ ــ أي: والحالُ أن البُخاري صغيرُ السنِّ لم يبلغْ ــ فنشأَ البخاريُّ يتيماً في حِجْرِ أمِّه، وحجَّ معها مرةً صحبةَ أخيهِ أحمد، وكان أسنَّ منه، فأقامَ البُخاري بمكة لطلبِ العلمِ، ورجعَ أخوه أحمد إلى بُخارى مع أمه، ومات بها.

تنبيه: الظاهرُ أنَّ البخاري لم يتزوَّج، ولم أر من تعرَّض له بنفيٍ ولا إثباتٍ، فراجعه.

ولا يُنافيه تكنيته بأبي عبد الله؛ لأنَّ التَّكنية مَطْلوبة ولو في حقِّ الصَّغير، وكذا لا يُنافيه قصَّة جاريتهِ الآتية قريباً.

وقال أبو جعفر محمَّد بن أبي حاتم ورَّاق البُخاري: قلتُ للبخاريِّ: كيف كان بدْءُ أمركَ؟ قال: أُلهمت حفظَ الحديث في المكتب، ولي عشرُ سنين أو أقل، ثم خرجتُ من المكتبِ بعد العشر، فجعلتُ أختلفُ إلى الدَّاخلي وإلى غيره، فقال الدَّاخلي يوماً فيما كان يقرأُ للناس: حدَّثنا سفيان، عن أبي الزبير، عن إبراهيم، فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرَني، فقلتُ له: ارجعْ إلى الأصلِ إن كان، فدخلَ فنظر فيه، ثم خرجَ فقال لي: كيف هو يا غلام؟ فقلت: هو الزُّبير بن عدي، عن إبراهيم، فأخذ القلم مني، وأصلحَ كتابه، وقال: صدقْتَ، فقال له إنسان: كم كان عمرك حينئذٍ؟ قال: ابنُ إحدى عشرة سنة، قال: فلمَّا طعنتُ في ست عشرةَ سنة، حفظتُ كتبَ ابن المبارك، ووكيع، وعرفتُ كلام هؤلاء؛ يعني: أصحابَ الرأي، قال: ثم خرجت مع أمي وأخي إلى الحج. انتهى.

قال الحافظ ابنُ حجر في (المقدمة) أيضاً عقب ذكره هذا الكلام:

قلت: فكان أول رحلتهِ على هذا سنة عشر ومائتين، ولو رحلَ أول ما طلبَ، لأدركَ ما أدركه أقرانُه من طبقةٍ عاليةٍ، وإن كان أدرك ما قاربها؛ كيزيد بن هارون، وأبي داود الطَّيالسي، وقد أدرك عبد الرزاق، وأراد أن يرحلَ إليه، وكان يمكنه ذلك، فقيل له: إنه مات، فتأخَّر عن التوجُّه إلى اليمن، ثم تبين أن عبد الرَّزاق كان حيًّا، فصار يروي عنه بواسطة؛ أي: لأنَّه لم يجتمعْ به، ولم يكنْ له منه إجازةٌ.

ثم قال البُخاري: فلمَّا طعنتُ في ثماني عشرة ــ أي: سنة ــ حفظتُ كتاب (قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم)، ثم صنفتُ (التاريخ الكبير) يومئذٍ في المدينة عند قبرِ النبيّ صلى الله عليه وسلم، وكنت أكتبُه في اللَّيالي المقمرةِ، وقلَّ اسمٌ في التاريخِ إلَّا وله عندي قصَّة، إلا أني كرهتُ أن يطولَ الكتاب، انتهى.

وكان رضي الله عنه نحيف الجسم، ربْعَةً من الناس.

ففي (التهذيب) للنَّووي: روينا من أوجهٍ عن الحسنِ بنِ الحسين البزَّاز ــ بزايين ــ قال: رأيتُ محمد بن إسماعيل البخاريَّ نحيفَ الجسمِ، ليس بالطَّويل ولا بالقصيرِ، انتهى.

وكان لا يأكلُ إلا قليلاً، وربما يمضِي عليه النهار والليل ولا يأكلُ شيئاً، وربما اقتصرَ أحياناً على نحو لوزتين، أو ثلاث، لا عن احتياجٍ، بل زهداً في الدنيا وإعراضاً عنها؛ فقد ذكرُوا أنه كانَ له مالٌ كثيرٌ ورثه من أبيهِ، وكان يتصدَّق منه على الفقراء والمساكين، لا سيَّما طلبةَ العلم المحتاجين؛ فقد نُقِل عنه أنه قال: كنتُ أستغل في كلِّ شهر خمس مئة درهم، فأنفقُها في الطَّلب ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الشورى: 36].

وفي (المقدمة) للحافظِ ابنِ حجرٍ: وكان قليلَ الأكل جدًّا، كثير الإحسانِ إلى الطَّلبةِ، مفرِط الكرمِ، انتهى.

ونقل الشَّعراني في (طبقاته): أنه كان لا يأكلُ من مال أحدٍ شيئاً، بل كان أبوه يُطعمه من ماله، ويقول له: يا محمَّد، كُلْ، فإني لا أعلمُ في مالي شيئاً من الحرام، انتهى.

وليُنظر هذا مع ما تقدَّم أنه نشأ يتيماً في حجرِ أمِّه، إلا أن يقال: صدرَ هذا القولُ من أبيه له في صغرِه لما كان مميِّزاً، ثم مات أبوهُ وهو صغير، فلا مُنافاة.

وحُمِل إليه مرةً بضاعةٌ أنفذَها إليه أبو حفصٍ، فاجتمعَ إليه بعضُ التُّجارِ عشِيَّةً، وطلبوهَا منه بربحِ خمسةِ آلافِ دِرْهمٍ، فقال لهم: انصرفوا هذه الليلة، فجاءهُ من الغدِ جماعةٌ آخرون،

فطلبُوها منه بربحِ عشرةِ آلافِ دِرْهمٍ، فلم يجبْهُم لما طلبُوه، وقال لهم: إني نويتُ البارحةَ بيعها للذين أتوني ليلاً، ولا أحبُّ تغييرَ نيَّتي.

وحكى ورَّاقهُ أنه ورثَ من أبيه مالاً جزيلاً، وكان يُعطيه مضاربةً، فقطعَ له غريم خمسة وعشرين ألفاً، فقيل للبُخاري: استعن عليه بكُتَّاب الوالي، فقال: إن أنا أخذت منهم كتاباً، طمعوا، ولن أبيع ديني بدنياي، ثم صالحه غريمُهُ على أن يُعطيه كلَّ شهر عشرةَ دراهم، ولم يعطهِ، وذهب المالُ كله.

ونُقِل عنه رضي الله عنه أنه قال: ما اشتريتُ من أحد شيئاً، ولا بدرهم، ولا بعت أحداً كذلك، فسئل عن الورق والحبر، فقال: كنت أوَكِّلُ إنساناً في ذلك، فقيل له: فلِم؟ قال: لما فيه من الزيادة والنُّقصان والتَّخليط.

وعليه: فيُحْملُ ما تقدم قريباً عنه من قوله: إني نويتُ البارحة بيعها للذين أتوني ليلاً... إلخ، على أنه يُوكلُ في ذلك، فافهم.

وحُكِي عنه أنه مرَّ به بعضُ جواريه، فعثرتْ بمِحْبرةٍ بين يديهِ، فقال لها: كيف تمشين؟ فقالت: إذا لم يكن طريق، كيف أمشي؟ فقال لها: اذهبي، فأنت حرَّة لوجهِ الله تعالى، فقيل له: يا أبا عبد الله! أغضبتْكَ وأعتقْتَها؟! فقال: أرضيتُ نفسي بما فعلتُ.

وحكى أبو الحسنِ يوسفُ بنُ أبي ذرٍّ البخاريُّ: أن محمد بن إسماعيل مرض، فعرضُوا ماءهُ على الأطباء، فقالوا: إن هذا الماء يشبه ماء بعض أساقفةِ النصارى، فإنهم لا يأتدمُون، فصدَّقهُمْ، وقال: لم أتناول أدماً منذ أربعين سنة، فسألوهُم عن علاجه، فقالوا: علاجُه الأُدم، فامتنع، حتى ألحَّ عليه الأشياخُ وأهلُ العِلمِ، فأجابهم إلى أنْ يأكلَ مع الخبز سكرة.

وحُكِي عنه رضي الله عنه: أنه ركبَ في سفينةٍ لطلب الحديث، ومعه كيس فيه ألف دينار، فجعلَ بعض من في السفينة يخدمُ الشيخ ويتلطَّف به حتى ركنَ الشيخُ إليه، وأطلعَه على ما معه، فتناومَ الرجل، ثمَّ استيقظَ، فصاحَ وشقَّ ثيابَه، فقال له النَّاس: ويحكَ مالك؟ قال: كان معِي كيسٌ فيه ألف دينارٍ، وقد سُرِق مني، فجعَلوا يفتِّشون السَّفينة، ويفتِّش بعضُهم بعضاً، فألقَى الشيخ الكيسَ في البحر من غيرِ أن يشعرَ به أحد، فلمَّا فتَّشوا البخاري، ولم يجدوا معه الكيسَ، سبُّوا ذلك الرجل وضرَبُوه، ثم لما خرجوا، خلا الرجلُ بالشيخ، وقال له: ما فعلتَ بالكيسِ؟ قال: ألقيتُهُ في البحر، قال: هل سمحَتْ نفسُك بذهابِ ألفِ دينارٍ؟ فقال له

الشيخ: يا قليلَ العقل! أنا أذهبتُ عمْري ومالي في طلبِ الحديث، وقد ثبتَ عند الناس أني ثقةٌ، أفلا أنفِي عني اسم السَّرقةِ.

فرحمَ الله تعالى نفسه الكريمة، المنزَّهة عن الأوصافِ الذَّميمة، فهذا من أخلاقه الحميدة، الدَّالة على زهدهِ ومروءتهِ، وحسن تصرُّفه ونباهتهِ. ومن ذلك أنه كان يختمُ في كل يومٍ من رمضان ختمةً يفعلُها عند الإفطار، ويقول: عند كلِّ ختمة دعوةٌ مستجابةٌ.

وكان يقول: دعوتُ ربي مرَّتين، فاستجابَ لي؛ يعني: في الحال بعين ما دَعوتُ به، فلنْ أحب أن أدعوَ بعد ذلك، فلعلَّه ينقصُ من حَسَناتي.

وكان يقومُ ليالي رمضان بعد التَّراويح، يختمُ في كلِّ ثلاثِ ليالٍ ختمة؛ لأنَّه كان يصلِّي في وقت السَّحر كلَّ ليلة ثلاث عشرة ركعة، يوترُ بواحدةٍ منهنَّ؛ يقرأُ فيها بثلثِ القرآن.

وعبارةُ التاج السبكي في (الطبقات الكبرى): وكان البخاريُّ يختمُ القرآن كلَّ يوم نهاراً، ويقرأ في الليلِ عند السَّحر ثلثاً من القرآن، فمجمُوع وردِهِ ختمةٌ وثلث ختمةٍ، انتهى.

ثم قال: وقال مسبح بن سعيد كان محمَّد بن إسماعيل إذا كان أوَّل ليلةٍ من شهر رمضان، يجتمعُ إليه أصحابُه، فيصلِّي بهم، ويقرأُ في كلِّ ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أن يختمَ القرآن، انتهى فليتأمل.

وقد كان رضي الله عنه على غايةٍ من الخوفِ والأدبِ مع الله تعالى؛ فقد حُكي عنه أنه دُعِي مرةً إلى بستان، فلمَّا صلَّى بهم الظُّهر، قام يتطوَّع، فلمَّا فرغَ من صلاتهِ، رفع ذيل قميصهِ، وقال لبعض من معه: انظرْ هل ترى تحت قميصِي شيئاً، فنظرَ فإذا زنبورٌ قد لسعه في ستَّة عشر أو سبعة عشر موضِعاً، وقد تورَّم من ذلك جسدُه، فقيل له: كيف لم تخرجْ من الصَّلاة أوَّل ما لسعَك؟ قال: كنتُ في سورةٍ، فأحببتُ أن أُتمَّها.

وقال ورَّاقُ البُخاري: سمعتُه يقول لأبي معشَر الضَّرير: اجعلني في حِلٍّ يا أبا معشر، فقال: من أيِّ شيءٍ؟ فقال: رويت حديثاً يوماً، فنظرتُ إليك، وقد أعجبتُ به وأنت تحرِّك رأسك وبدنَك، فتبسَّمت من ذلك، فقال لي: أنت في حلٍّ من ذلك، رحمَك الله يا أبا عبد الله.

وقال أيضاً: ركبنَا يوماً إلى الرَّمي ونحن بفِرَبْر، فخرجنا إلى الدَّرب الذي يؤدِّي إلى الفُرْضة، فجعلنا نرمِي، فأصابَ سهم أبي عبد الله وتد القَنْطرة التي على النهر، فانشقَّ الوتدُ، فلمَّا رأى ذلك، نزل عن دابَّته، فأخرجَ السَّهم من الوتدِ، وترك الرَّمي، وقال لنا: ارجعوا، فرجعنَا، فقال

لي: يا أبا جعفر! لي إليك حاجةٌ، وهو يتنفَّس الصُّعداء، فقلتُ: نعم، فقال: تذهبُ إلى صاحبِ القنطَرةِ، فتقول: إنا قد أخللنا بالوتدِ، فتحبُّ أن تأذنَ لنا في إقامةِ بدلِهِ، أو تأخذُ ثمنَه، أو تجعلنا في حلٍّ ممَّا كان منَّا؟ وكان صاحبُ القنطَرةِ حميدُ بن الأخضَرِ، فقال لي: أبلغْ أبا عبدِ الله السَّلام، وقل له: أنت في حلٍّ ممَّا كان منك؛ فإنَّ جميعَ ملكي لك الفداء، فأبلغتُهُ الرسالة، فتهلَّل وجهُه، وأظهرَ سروراً كثيراً، وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمس مئةِ حديثٍ، وتصدَّق بثلاث مئة درهم.

وقال العارف الشَّعْرانيُّ في (طبقاته): كان البُخاري من العلماء العاملين، وممَّن تنزَّل الرَّحمة عند ذكرهم، وكان صائمَ الدَّهر، لا يفطرُ إلا لمرضٍ أو عذرٍ شرعيٍّ، وكان كثيرَ الاحتمال للأذى، زاهداً ورعاً، قوَّام اللَّيل، نوَّاماً في الظلام؛ لقلَّة دراهم من حلال يشترِي بها زيتاً، وربما كان يقومُ في الليلة الواحدة نحو عشرين مرَّة يقْدَح الزِّناد ويُسْرِجُ الفتيلة، ويكتبُ بعض أحاديث، ثم يضعُ رأسه، ثم يقوم. انتهى.

ولينظر وجهُ الجمعِ بينه وبين ما تقدَّم أنه كان له مالٌ كثيرٌ من حلال، ولعلَّ ما هنا في بعض الأوقات، فافهم.

وقال ورَّاقُ البخاريِّ: كان البخاريُّ يركب إلى الرمي كثيراً، ولم يُخْطِئ سهمهُ الهدف، إلا مرتين، وكان لا يسبقه أحد.

وقال ورَّاقُه أيضاً: رأيته يوماً استلقَى ونحن بفربر في تصنيفِ كتاب التفسير، وكان أتعبَ نفسه في ذلك اليوم في التَّخريج، فقلتُ له: إني سمعتُك تقول: ما أتيتُ شيئاً بغير علمٍ، فما الفائدة في الاستلقاء؟ قال: أتعبتُ نفسي اليوم، وهذا ثغرٌ، خشيتُ أن يحدثَ حدثٌ من أمر العدوِّ، فأحببتُ أن أستريحَ وآخذ أهبة، فإن عافصنا العدو، كان بنا حراكٌ.

وقال ورَّاقه أيضاً: كان البخاريُّ إذا كنت معه في سفر، أراه يقوم في الليل نحو خمس عشرة مرةً إلى عشرين مرة، وفي كلِّ ذلك يأخذ القداحة، فيورِي ناراً بيده ويسرجُ، ويخرِّجُ أحاديث، فيتكلَّم عليها، ثم يضعُ رأسه، فقلت له: إنك تحملُ على نفسك كلَّ هذا، ولا توقظْني؟ قال: أنت شابٌّ، فلا أحب أن أفسدَ عليك نومك. وقال: كان معه شعْرٌ من شعرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فجعلَه في قُلنسوته، وفي لفظ له: كان مع البُخاري شيءٌ من شعرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فجعله في ملبوسِه.

وقال: سمعتُه يقول وقد سُئِل عن خبرٍ: يا أبا فلان! تراني أُدلِّسُ، وقد تركتُ عشرة آلاف حديث لرجل لي فيه نظرٌ، وتركتُ مثلها أو أكثر منها لغيرِهِ لي فيه نظرٌ؟

وقال الحافظُ أبو الفضل أحمد بن علي السليماني قال: سمعت علي بن محمد بن منصور يقول: سمعت أبي يقول: كنا في مجلس أبي عبد الله البخاري، فطرحَ إنسان من لحيتهِ قذاةً في المسجد، فرأيتُ محمد بن إسماعيل ينظرُ إليها وإلى الناس، فلمَّا غفلوا، رأيتُه مدَّ يده، ورفع القذَاة من أرضِ المسجد، وأدخلها في كُمِّهِ، فلمَّا خرجَ من المسجدِ رأيتُه أخرجها فطرحَها على الأرض، انتهى.

فانظر كيف صانَ رحمه الله تعالى المسجد عمَّا تُصان عنه لحيتُه، ففيه دليلٌ على مزيد ورعهِ وصلاحه. وكان البخاريُّ يقول: أرجو أن ألقَى الله تعالى ولا يحاسبني أني اغتبتُ أحداً.

ورُوِي عنه أنه قال: ما اغتبتُ أحداً منذ علمتُ أن الغيبةَ حرام تضرُّ أهلها.

واستُشْكِل هذا بما وقعَ له في (التاريخ) من التَّجريح والتَّضعيف لبعض الرُّواة.

وأُجيب بأن المراد ما اغتبتُ أحداً؛ أي: من عند نفسِي، أو غيبةً محرَّمة، وأمَّا مثل هذه، فهي واجبة؛ لما فيها من النَّصيحة التي هي من الدِّين، فليست لغرضٍ دنيوي، وأبلغُ ما كان يقول في المتروك أو السَّاقط: فيه نظرٌ، أو سكتُوا عنه، أو نحو ذلك، ولا يكادُ يقول: فلان كذَّابٌ أو وضَّاعٌ، بل يقول: كذَّبه فلان، ورماهُ فلان بالكذبِ، على أنه لو قاله، لم يكنْ غيبة محرَّمة.

ويدلُّ للأول أنه لما قال له ورَّاقُهُ أبو جعفر محمَّد بن أبي حاتم حين سمعَه يقول: لا يكون لي خصمٌ في الآخرة: يا أبا عبد الله! إن الناس ينقمونَ عليك (التَّاريخ)، قال: إنما روينا ذلك روايةً، ولم نقُلْهُ من عند أنفسِنَا، وقد قال صلى الله عليه وسلم:(بِئْس أخو العشيرةِ).

وما أحسن قول الحافظ العرَاقي في (ألفيته):

واعْنَ بعِلْمِ الجرْحِ والتَّعْديلِ فإنَّهُ المرْقاةُ للتَّفضِيلِ

بيْنَ الصَّحيحِ والسَّقيمِ واحْذَرِ مِنْ غرَضٍ فالجرْحُ أيُّ خطَرِ

ومعَ ذَا فالنُّصحُ حقٌّ ولقَدْ أحْسَنَ يحيَى في جوابِهِ وسدْ

لأنْ يكُونُوا خُصَما لِي أَحَبْ مِنْ كونِ خصْمِيْ المصْطَفَى إذْ لمْ أذُبْ

وممَّا يدلُّ على أن فعلهُ للهِ لا لغرضِ نفسِهِ: أنه كان يحلفُ بعد المحنةِ أن المادحَ عنده والذَّام سواء، ومراده أنَّه لا يكره ذامَّه طبعاً، حتى لا يُنافي أنه يكرهُ ذلك شرعاً، فقيامه بالحقِّ لا

بالحظِّ.

ومنه ما سيأتي من أنَّه دعا على خالد بن أحمد خليفة بن طاهر ومَن وافقَه حين نفاهُ من البلد، فتأمَّل.

ويدلُّ لذلك أيضاً أنه لم يحذفْ شيخه محمَّد بن يحيى الذُّهلي من (جامعه الصحيح) مع أنه وقعَ بينهما وحشةٌ، بل أثبتَ روايتَه عنه فيه على وجهين، بل ثلاثة:

أحدها: يقول: حدَّثنا محمَّد، ويقتصرُ.

ثانيهما: يقول: حدَّثنا محمد بن خالد، فينسبُه إلى جدِّ أبيه، ولم يذكره بنسبهِ المشهور لما اقتضاه نظره أن يبقيَ روايته عنه خشيةَ أن يكتمَ علماً رزقَه الله على يديهِ، وقد عذرَهُ في طعنهِ فيه لتأويله، فخشيَ على الناس أن يقعُوا فيه بأنه قد عدَّل من جرحَه، وهذا يُوهم أنه صدَّقهُ في طعْنِهِ فيه، فيجرُّ ذلك إلى إثباتِ وَهَن في البخاريِّ، فأخفى نسبَه المشهور، وما كتمَ ما أخذه عنه جمعاً بين المصلحتين، فتدبر.

وأما ثالثهما: فيستفادُ من كلام ابن خلِّكان، فإنه قال في ترجمة الذهلي: هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذُؤيبٍ الذهلي النِّيسابوري، كان أحدَ الحفَّاظ الأعيان، روى عنه البخاريُّ، ومسلم، وأبو داود، والترمذيُّ، والنسائيُّ، وابن ماجه، وكان ثقةً مأموناً، وسببُ الوحشةِ بينه وبين البخاري: أنه لما دخل البخاري مدينة نيسابور، شَغَبَ عليه محمَّد بن يحيى الذهلي في مسألة خلقِ اللفظ، وكان البخاريُّ قد سمعَ منه، فلم يمكنه تركُ الرِّواية عنه، فروى عنه في الصَّوم والطب والجنائز والعتق، وغير ذلك مقدار ثلاثين موضعاً، ولم يصرِّح باسمِهِ ونسبته، فيقول: حدَّثنا محمَّد بن يحيى الذهلي، بل يقول: حدَّثنا محمد، ولا يزيد عليه، أو يقول: محمد بن عبد الله، فينسبُه إلى جدِّهِ، وينسبه أيضاً إلى جدِّ أبيه، انتهى.

وبيانُ سببِ الوحْشَةِ بينهما بأبسط ممَّا تقدَّم آنفاً: ما ذكره التاجُ السُّبْكي في (طبقاته)، والحافظُ ابن حجر في (المقدمة)، وغيرهما.

وحاصله أن البخاريَّ لما قدم نيسابور، وتلقَّاه أهلها من مرحلتين أو ثلاثة وكان مَن استقبله منهم ــ كما نقله السُّبكي ــ أربعة آلاف رجلٍ على الخيل، سوى من ركِبَ بغْلاً أو حِماراً، وسوى الرجَّالة، انتهى.

قال محمَّد بن يحيى الذهلي في مجلسهِ: مَن أراد أن يستقبلَ محمَّد بن إسماعيل غداً، فليستقبله، فإني أستقبلُه، فاستقبلَه هو وسائرُ علماء نيسابور، فدخلها على غايةٍ من الإكرامِ، وقال الذهلي لأصحابه: لا تسألوه عن شيءٍ من الكلام؛ فإنَّه إن أجابَ بخلاف ما نحن عليه، وقعَ بيننا وبينه، وشمتَ بنا كلُّ ناصبيٍّ ورافضيٍّ وجهميٍّ ومرجئٍ، وقد أقبلَ الناس على البخاريِّ، وازدحمُوا على بابهِ حتى امتلأتْ الدار والسُّطوح، فلمَّا كان اليوم الثاني أو الثالث من قدومهِ، قال له رجلٌ: هل اللَّفظ بالقرآن مخلوقٌ؟ فقال البخاري: أفعالنا مخلوقةٌ، وألفاظنَا من أفعالنَا، فحصلَ بين الناس اختلافٌ في فهم كلامهِ، فقال بعضُهم: إنه قال: لفظِي بالقرآن مخلوق، وقال آخرون: لم يقلْ ذلك، فوقعَ بينهم بسبب ذلك اختلاف كثيرٌ، حتى قام بعضهم للمُقاتلةِ، فاجتمعَ أهل الدارِ عليهم، فأخرجُوهم، هكذا قاله مسلم.

وقال ابنُ عديٍّ: لما وردَ نيسابور، واجتمعَ الناسُ عنده، حسدَهُ بعضُ شيوخها، فقالَ لأهل الحديث: إن محمَّد بن إسماعيل يقول: لفظِي بالقرآن مخلوقٌ، فلما حضرَ المجلس، قال له رجل: يا أبا عبد الله! ما تقولُ في اللفظِ بالقرآن، أمخلوقٌ هو أم غير مخلوق؟ فأعرضَ عنه البخاري، فألحَّ عليه بالجواب، فقال له البخاريُّ: القرآن كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، وأفعالُ العبادِ مخلوقةٌ، والامتحان بدعةٌ، فشغب الرجُلُ، وقال: إن البخاريَّ قد قال: لفظي بالقرآن مخلوق.

وفي (المقدمة) للحافظ: وقال أبو أحمد الحاكم: حدَّثنا أبو بكر بن أبي الهيثم، قال: حدَّثنا الفربري قال: سمعتُ محمد بن إسماعيل يقول: إن أفعال العبادِ مخلوقةٌ، فقد حدَّثنا علي بن عبد الله، ثنا مروان بن معاوية، ثنا أبو مالك، عن ربِعيٍّ، عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله يصْنعُ كُلَّ صانعٍ وصنْعتهُ)، انتهى.

وقال فيها أيضاً: قال الحاكمُ: سمعت أبا الوليد حسَّان بن محمَّد الفقيه يقول: سمعتُ محمد بن نعيم يقول: سألتُ محمد بن إسماعيل لما وقعَ في شأنه ما وقعَ عن الإيمان، فقال: قولٌ وعملٌ، يزيد وينقصُ، والقرآنُ كلام الله غير مخلوقٍ، وأفضلُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكرٍ، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليٌّ، على هذا أحيا، وعليه أموتُ، وعليه أبعثُ إن شاء الله تعالى. انتهى.

ومرادهُ بالقرآن هنا كلامُ الله النَّفسي الذي هو صفةٌ له قديمةٌ، فلا تخالفَ بينه وبين ما نقل عنه أيضاً: أن القرآنَ مخلوق؛ لأنه أراد به المنزَّل على نبينا صلى الله عليه وسلم، فتدبر.

وقال أبو حامد الشرقي: سمعتُ محمَّد بن يحيى الذهلي يقول: القرآنُ كلامُ الله غير مخلوق، ومن زعم أنَّ لفظِي بالقرآن مخلوقٌ فهو مبتدعٌ، لا يجلسُ إلينا، ولا نكلم بعد هذا من ذهبَ إلى محمَّد بن إسماعيل، فانقطَعَ الناس عن البخاريِّ، إلَّا مسلم بن الحجَّاج، وأحمد بن سلمة، وأرسل مسلم إلى الذهلي جميع ما كان كتبه عنه لما سمعَ منه هذا القول.

وقال التاجُ السُّبكي في (طبقاته): إنما أراد محمَّدُ بن يحيى الذهلي ـــ والعلم عند الله ـــ ما أرادَهُ أحمد بن حنبل من النَّهيِ عن الخوضِ في هذا، ولم يردْ مخالفةَ البخاري، فإن خالفَه، وزعمَ أنَّ لفظه الخارج من بين شفتيهِ المحدَثَتين قديمٌ، فقد باء بأمرٍ عظيمٍ، والظنُّ به خلاف ذلك، ولا يرتابُ المنْصِفُ أن محمَّد بن يحيى الذهلي لحقتْه آفةُ الحسدِ في العلم، والعلمُ من رزقِ الله، يؤتيهِ من يشاء.

قال الحسنُ بن محمَّد بن جابر: قال لنا الذهليُّ لما وردَ البخاري نيسابور: اذهبُوا إلى هذا الرجل الصَّالح، فاسمعوا منه، فذهبَ الناس إليه، وأقبَلوا على السَّماع منه حتى ظهرَ الخللُ في مجلسِ الذهلي، فحسدَهُ بعد ذلك، وتكلَّم فيه بما هو بريءٌ منه.

قال السُّبكي: وقد صحَّ أنَّ البُخاريَّ تبرَّأ مِنْ هذا الإطْلاقِ، فقال: كلُّ منْ نقلَ عنِّي أني قلتُ: لفظِي بالقرآنِ مخلُوقٌ، فقد كذبَ عليَّ، وإنَّما قلتُ: أفعالُ العبادِ مخلُوقةٌ.

ثم قال السُّبكي: تأمَّلْ كلامهُ ما أزكاهُ، ومعناهُ ـــ والعلمُ عند اللهِ ـــ أنِّي لم أقُلْ: لفظي بالقُرآنِ مخلُوقٌ؛ لأنَّ الكلام في هذا خوضٌ في مسائلِ الكلامِ، وصفاتِ اللهِ تعالى التي لا ينبغِي الخوضُ فيها إلا للضَّرورةِ، ولكنِّي قلتُ: أفعالُ العبادِ مخلُوقةٌ، وهي قاعدةٌ مُغنيةٌ عن تخصيصِ هذهِ المسألةِ بالذِّكرِ؛ فإن كُلَّ عاقلٍ يعلمُ أنَّ لفظنا من جُملةِ أفعالِنَا، وأفعالُنا مخلوقةٌ، فألفاظُنا مخلوقةٌ، ولقد أفصحَ بهذا المعنى في رواية أخرى صحيحة عنه.

ثم قال السبكيُّ: فإن قلت: إذا كان حقًّا، فلم لمْ يفصحْ به؟ قلت: سبحان الله! قد أنبأنَاكَ أن السرَّ فيه تشديدُهُم في الخوضِ في علم الكلامِ خشيةَ أن يجرَّ الكلامُ فيه إلى ما لا ينبغِي، وليس كلُّ علم يُفصحُ به، فاحفظْ ما نلقيهِ إليك، واشددْ عليه يديكَ.

ويُعْجِبني ما أنشدَهُ الإمامُ الغزالي في (منهاج العابدين) لبعض أهلِ البيت:

إنِّي لأكتُمُ مِنْ عِلْمِي جواهِرَهُ كيْ لا يرَى الحقَّ ذو جهْلٍ فيُفْتَتَنا

يا رُبَّ جوْهرِ عِلْمٍ لوْ أبوحُ بِهِ لقيلَ لي أنْتَ ممَّنْ يعْبُدُ الوَثَنا

ولاسْتَحلَّ رِجَالٌ صَالِحون دَمِي يروْنَ أَقْبَحَ مَا يأْتونَهُ حَسَنا

وقدْ تقدَّمَ في هذَا أبو حسَنٍ إلى الحُسَينِ وأوْصَى قبْلَهُ الحَسَنا

انتهى مُفرَّقاً.

وأقول: يدلُّ لما ذكره السُّبكي من قوله: ولا يرتاب المنصف... إلخ: ما ذكره في (المقدمة) الحافظُ بقوله: وقال الحاكمُ أبو عبد الله: سمعت محمَّد بن صالح بن هانئ يقول: سمعتُ أحمد بن سلمة النيسابوري يقول: دخلتُ على البخاريِّ، فقلت: يا أبا عبد الله! إنَّ هذا رجلٌ مقبولٌ بخراسان، خصُوصاً في هذه المدينةِ، وقد لجَّ في هذا الأمر حتَّى لا يقدر أحدٌ منَّا أن يكلِّمه فيه، فما ترَى؟ قال: فقبَضَ على لحيتهِ، ثم قال: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: 44]. اللهمَّ إنَّك تعلمُ أني لم أُرِد المقام بنيسابور أشراً ولا بطراً، ولا طلباً للرئاسةِ، وإنما أبتْ عليَّ نفسي الرجوعَ إلى الوطن لغلبةِ المخالفين، وقد تصدَّى هذا الرجل حسداً لما آتاني الله لا غير، ثم قال لي: يا أحمد! إني خارجٌ غداً ليتخلصوا من حديث لأجلي، انتهى.

تنبيه: الفرق بين الناصِبي والرَّافضِي والجهمِي والمرجئ، كما في (المقدمة) للحافظ ابنِ حجر: أن الناصبيَّ من يُبْغضُ عليَّ بن أبي طالب، ويقدِّمُ غيرَه عليه، والرَّافضيَّ من يُقدِّمُ عليًّا على أبي بكر وعمر، والجهميَّ من ينفِي صفاتَ الله الواردة في الكتاب أو السنة، ويقول: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ.

والمرجئَ من يرجئ القول؛ أي: يؤخِّر القولَ في الحكم على مرتكبِ الكبيرةِ بالنار، وعبارتُه فيها: الإرجاءُ بمعنى التأخير عندهُم على قسمين: قسمٌ أرادَ تأخيرَ القولِ في تصويب إحدى الطَّائفتين الذين تقاتلوا بعد عثمان، وقسمٌ أرادَ تأخيرَ القول في الحكمِ على من أتَى الكبائرَ وترك الفرائضَ بالنار؛ لأنَّ الإيمان عندهم هو الإقرارُ والاعتقاد لا يضر العمل مع ذلك.

والتشيُّعَ محبَّة علي رضي الله عنه وتقديمه على الصَّحابة، فمَن قدَّمه على أبي بكر وعمرَ، فهو غالٍ في التَّشيُّع، ويُطلق عليه: رافضيٌّ، وإلا فشيعيٌّ، فإن انضافَ إلى ذلك السبُّ أو التَّصريح بالبغضِ، فغالٍ في الرَّفض، وإن اعتقدَ الرَّجعة إلى الدنيا، فأشدُّ في الغلوِّ.

والقدريةَ من يزعمُ أنَّ الشرَّ فعل العبدِ، وأنَّ الله لم يقدر عليه وحده.

والجهميةَ من ينفِي صفات الله تعالى التي أثبتَهَا الكتابُ والسنة، ويقول: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ.

والنَّصبَ بغضُ عليٍّ وتقديم غيره عليه.

والخوارجَ الذين أنكروا على عليٍّ في التحكيم، وتبرؤوا منه ومن عثمان وذويهِ، فإن أطلقُوا تكفيرهُم، فهم الغُلاة منهم، والإباضيَّة منهم أتباعُ عبد الله بن إباض، والقعديَّةَ الذين يزينون الخروجَ على الأئمَّة، ولا يباشرون ذلك، والواقفَ في القرآنِ من لا يقول: مخلوق، ولا ليس بمخلوقٍ، انتهت.

وأقول: ذكر تعريف تسع فرق، آخرهم الواقفيَّة؛ أي: المتوقفون في القرآن عن القولِ بخلقهِ وعدمهِ.

ولقد وقعَ للبخاري أيضاً مع خالد الذهلي منافرة، وذلك أنه لما رجعَ إلى بخارى، نصبتْ له القِبابُ على فرسخٍ من البلد، واستقبلَه عامَّة أهلها، حتى لم يبق مذكور، ونُثِر عليه الدَّراهم والدَّنانير، وبقي مُدَّةً يحدِّثهم، فأرسلَ إليه أمير البلد خالد بن أحمد بن خالد الذهلي نائب الخلافة العباسيَّة يتلطَّفُ به، ويسأله أن يأتيهُ بالصَّحيح ليحدِّثه به في قصْرِهِ، فامتنعَ البخاريُّ من ذلك، وقال لرسولهِ: قل له: أنا لا أُذِلُّ العلم، ولا أحملُه إلى أبوابِ السَّلاطين، فإن كانتْ له حاجة إلى شيءٍ منه، فليحضُرْ مجلسِي، فإن لم يعجبْه هذا، فهو السُّلطان، فليمنعني من مجلِسِي؛ ليكون لي عذرٌ عندَ اللهِ يوم القيامة في أنْ أكتمَ العلم، فحصلت بينهما وحشةٌ، فأمرهُ الأميرُ بالخروجِ عن البلد، وقال: لا يُساكنُني محمد بن إسماعيل فيها، فخشيَ البخاري على نفسهِ، فسافرَ منها، ودعا عليه، وكان مجابَ الدَّعوة، فلم يأت شهرٌ إلا ووردَ أمرٌ من الخليفة بأن يُنادى على خالد في البلد، فنودِي عليه على أتانٍ، وحُبِس إلى أن ماتَ، وما بقيَ أحدٌ ممَّن ساعدَهُ إلا ابتليَ ببلاءٍ شديدٍ.

وفي (الطبقات) للسُّبكي بعد نقْلِ ما تقدَّم: وقال أبو بكر ابن أبي عَمرو البخاري: كان سببُ منافرة البخاري مع خالد: أنَّ خالد بن أحمد خليفة الطَّاهرية ببُخارى سأله أن يحضرَ منزله، فيقرأ (الجامع) و(التاريخ) على أولادِهِ، فامتنعَ، فراسله أن يعقدَ مجلساً خاصًّا بهم، فامتنعَ، وقال: لا أخصُّ أحداً، فاستعانَ عليه بحريثِ بن أبي الورقاء وغيره حتَّى تكلَّموا في مذهبِهِ، ونفاهُ عن البلد، فدعا عليهم، فلم يأت شهرٌ حتى وردَ أمر الطَّاهرية بأن يُنادى على خالدٍ في البلد، فنُودي عليه على أتانٍ، انتهى.

وقال ابن خلِّكان: وكان خالد بن أحمد بن خالد الذهلي أمير خراسان قد أخرجَه من بخارى،

فانتقل إلى خرْتَنْك، ثم حجَّ خالد المذكور، فوصلَ إلى بغداد، فحبسَهُ الموفَّق بن المتوكِّل أخو المعتمد، انتهى.

وعبارةُ الحافظِ ابنِ حجرٍ في (المقدمة): قال الحاكمُ: سمعت محمد بن العباس الضَّبي يقول: سمعت أبا بكر ابن أبي عَمرو يقول: كان سبب مفارقةِ أبي عبد الله البخاري البلد: أنَّ خالد بن أحمد خليفة ابنِ طاهرٍ سأله أن يحضرَ منزله، فيقرأ (التاريخ) و(الجامع) على أولادِهِ، فامتنعَ من ذلك، وقال: لا يسعني أن أخصَّ بالسَّماع قوماً دون قوم، فاستعان خالد بحريث بن أبي الورقاء وغيره من أهل بخارى حتى تكلَّموا في مذهبِهِ، فنفاهُ عن البلد، قال: فدعا عليهم، فقال: اللهمَّ أرِهِم ما قصَدُوني به في أنفسِهِم وأولادِهِم وأهاليهم، قال: فأمَّا خالد، فلم يأتِ عليه إلا أقل من شهرٍ حتى وردَ أمر الطَّاهر بأن يُنادى عليه، فنُودي عليه وهو على أتانٍ، وأُشْخِص على إكافٍ، ثم صار عاقبةُ أمره إلى الذُّل والحبسِ، وأمَّا حُريث بن أبي الورقاء، فإنه ابتُلي في أهله، فرأى فيهم ما يجلُّ عن الوصفِ، وأمَّا فلان، فإنه ابتلِي بأولادِهِ، فأراهُ الله فيهم البلايا، انتهت.

فهذه من كراماتِهِ الظَّاهرة، ويمكن الجمع بين ما في (المقدمة)، وما في (الطبقات) للسبكي، وبين ما ذكره ابن خلِّكان، فتأمل.

ومن مآثرِهِ الجميلة ما ذكره الحافظ في (المقدمة) بقوله: وقال ورَّاقُه: كنا بفربر، وكان أبو عبد الله

يعني: البخاري، يبني رباطاً مما يلي بخارى، فاجتمعَ بشرٌ كثيرٌ يعينونه على ذلك، وكان ينقلُ اللبن، فكنت أقولُ له: يا أبا عبد الله! إنك تُكفَى ذلك، فيقول: هذا الذي ينفعُني، قال: وكان ذبحَ لهم بقرة، فلمَّا أدركت القدور، دعا الناس إلى الطعام، وكان معه مئة نفس أو أكثر، ولم يكنْ علِم أنه يجتمعُ ما اجتمع، وكنَّا أخرجنا معه من فربر خبزاً بثلاثة دراهم، وكان الخبزُ إذ ذاك خمسة أمْناء بدِرْهمٍ، فألقيناهُ بين أيديهم، فأكل جميع من حضرَ، وفضلت أرغفةٌ صالحة، انتهى.

وقال في (التهذيب) للنووي: روينا عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الفِرَبْري راوية (صحيحِ البخاري) قال: رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال: أين تريد؟ قلت: أريد محمَّد بن إسماعيل البخاري، فقال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: أقرئه مني السَّلام.

وروينا عن المقبري قال: رأيتُ أبا عبد الله محمَّد بن إسماعيل البخاري خلفَ النبيّ صلى الله عليه وسلم، والنبيُّ عليه الصلاة والسلام يمشِي، كلَّما رفع النبيُّ صلى الله عليه وسلم قدمَه، وضعَ البخاريُّ قدمه في ذلك الموضعِ، انتهى.

ومن الكرامات التي وقعتْ له بعد موتهِ ما ذكره أبو الفتح نصرٌ السمرقنديُّ قال: قحِطَ المطرُ عندنا في بعضِ الأعوامِ، فاستسْقَى الناس مراراً، فلم يُسْقَوا، فأتى رجلٌ معروف بالصَّلاح إلى قاضي سمرقند، وقال له: إني رأيتُ رَأياً أعرضُه عليك، قال: وما هو؟ قال: أرى أن تخرجَ ويخرجَ الناسُ معكَ إلى قبرِ الإمامِ محمَّدِ بنِ إسماعيلَ البخاريّ، ونستسقِي، فعسَى الله تعالى أن يسقيَناً، فقال له القاضِي: نِعْمَ ما رأيتَ، فخرَجَ القاضي ومعهُ النَّاس، واستسقَى بهم، وبكَى الناس عند القبرِ، وتشفَّعوا بصاحبهِ، فأرسلَ الله تعالى السَّماءَ بمطرٍ عظيمٍ غزيرٍ أقامَ النَّاسُ من أجلِهِ بخرتنك سبعةَ أيامٍ أو نحوِها.

وله مآثر جميلة أُخرى تأتي الإشارة إلى شيءٍ منها في الأبواب الآتيةِ إن شاء الله تعالى، فراجعه.

الباب الثاني

في بيان رحلتهِ الواسعة لأخذ العلمِ من الأقطارِ الشَّاسعة، وفي بيان شيوخهِ الكثيرين، ومن أخذُوا عنه من المشايخ والطَّالبين، وفي بيان سَعة حفظهِ، وسيلانِ ذهنهِ، وفهمهِ الثَّاقب، وثناءِ الناس عليه بالعلمِ والحفظِ والزهد، وغيرهما من المآثرِ والمناقب.

اعلم أنَّ الإمامَ البخاري رضي الله عنه قد رحل رَحَلات واسعةً في طلب الحديثِ إلى الأمصارِ، وكتبَ عن شيوخٍ كثيرين من الأئمَّة الكبارِ، فقد نقلَ عنه كما في (المقدمة) وغيرها: أنه قال: كتبتُ عن ألفِ شيخٍ وثمانين، ليس فيهم إلَّا صاحب حديثٍ، كلهم يقولون: الإيمانُ قولٌ وعملٌ، يزيدُ وينقصُ.

وقال لنَا أحمد.

ومنهم: الزعفراني، والكرابيسي، وأبو ثور، وهم من أصحاب الإمام الشَّافعي، ولم يأخذ البُخاري عن الشّافعي؛ لأنه لم يلقَه، ولا روى عنه بالواسطةِ إلا قليلاً، قالوا: لأنَّه أدركَ أقرانَهُ، والشّافعيُّ مات مكتهلاً، فلا يرويهِ نازلاً، وقيل: روى عنه في (صحيحه) في موضعين: في الزكاة، وفي العرَايا، على خلافٍ في المرَادِ من قوله: ابن إدريس فيهما.

وما ذُكر من كونِ شيوخهِ يزيدون على ألف بالنِّسبة لمطلق من رَوى عنهم، وأمَّا بالنسبة لمن روى عنهم في (جامعه الصحيح)، فهم كما قال الكرمانيُّ وغيره: مئتان وتسعة وثمانون شيخاً، وعدد من تفرَّدَ بالرِّواية عنهم دون مسلم: مئة وأربعة وثلاثون، وتفرَّد أيضاً بالرواية عن أشياخ لم تقعْ لبقيَّة أصحابِ الكتب الخمسةِ إلا بالواسطة، انتهى.

وقال ابنُ نَاصرِ الدين في (إتحاف السامع): ومبلغُ مشايخهِ الذين رَوى عنهم في (الجامع) مئتان وتسعة وثمانون شيخاً ممَّن سمعَ منهم، على ما ذكره أبو أحمد بن عدي عداً وافياً، وخالفَه الحاكمُ أبو عبد الله، فنقصَ من العَدد ثلاثة عَشَر راوياً، انتهى.

ولم أر بيان أسماء هؤلاء الثلاثة عشر.

واعلم أنَّه ليس اعتناء البُخاري وغيره بالأخذِ عن المشايخِ والإجازة منهم لأنه شَرْطٌ في جوازِ روايةِ الحديث، بل هو محمولٌ على الكمالِ.

فقد قال الحافظُ السُّيوطي في (الإتقان) وغيره: الإجازة من الشَّيخ ليستْ بلازمةٍ في جواز رواية الحديث، بل الشَّرط أن يكون أهلاً للرِّواية والدِّراية، لكنَّها أولى وأكملُ.

ولهذا اعتنى الأئمَّة بذلك؛ لما قالوه من أنَّ الإسناد من الدين، وبقاؤهُ من خصوصيَّة أهل هذه الملَّة المحمَّدية الكاملين، ومن ثم قال بعضُ مشايخنا المعتمدِين: الإسنادُ أنسابُ العلماء العاملين.

وقال بعضُ الفُضلاء المعتبرين: الأسانيدُ أنسابُ الكتب كما سمعَه منه الحافظ ابنُ حجر، على ما نقلَه في أوَّل خطبة (فتح الباري).

وقال الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ المبَارك: الإسنادُ من الدين، ولولاهُ لقالَ من شاءَ ما شاء.

وقال سفيانُ الثَّوري: الإسنادُ سلاحُ المؤمن، فإذا لم يكنْ له سلاح، فبأيِّ شيءٍ يقاتل؟

وقال حافظُ الغرب ابنُ عبد البرِّ الإمام الخبير: الإجازةُ رأسُ مال كبير، أو كثير.

وقال الإمامُ الشافعيُّ: الذي يطلبُ الحديث بلا سندٍ كحاطبِ ليل، يحملُ الحطبَ، وفيه

أفعى، وهو لا يدرِي.
وقال الإمامُ أحمد كما أسندَه عنه البخاري: إنما الناس بشيوخِهم، فإذا ذهبَ الشيوخُ، فمع مَن العيش؟
وقال غيرهُ: لا يزالُ الناسُ بخير ما تفاضَلوا، فإذا تساووا هلكوا.
وقال آخرُ: ما فرحتُ بنكبةِ رئيسٍ، فإذا هلكتِ الرؤساء، فمع من يكون العيش؟
وقال الزُّهريُّ لمن قال له: حَدِّثْ بلا إسنَادٍ: أتريدُ أن تَرقى السَّطح بلا سُلَّمٍ؟
وما زال الأئمةُ يعتنونَ بالحديث، فيرتحلون إلى أقاصِي البلدان في طَلَبهِ، ويتحملونَ مشاقَّ المتاعب بسببهِ، فما عند من طلب الرِّواية أجل من أبناء جنسهِ، ولا عند المفيدِ أحلى من قوله: حدَّثنا فلان، وأنشدَنا لنفسهِ، ولذا نُقِلَ عن الإمام أحمدَ رحمه الله: أنه قيلَ له: ما تشتهِي؟ فقال: سنداً عالياً، وبيتاً خالياً.
وأعلى سندٍ وقعَ للبُخاري إسناد الأحاديثِ الثلاثيات، وجملتها كما قاله الكرماني وغيره اثنان وعشرون حديثاً، ودونها الرُّباعيات، وهكذا إلى التُّساعيات، وهي غايةُ ما فيه، قاله بعضهم.
وقال في (فتح الباري): أعلى سند في البخاريِّ الثلاثيات، وأطولُ سندٍ في البخاريِّ حديث في يأجوج ومأجوج تُسَاعِي.
تنبيه: ما تقدَّم آنفاً من أخذ البخاري عن الكرابيسي، والزَّعفراني، وأبي ثَور الشَّافعيين لا يستلزم أن يكون شافعيًّا، وقد اختُلِفَ في مذهبِهِ، فقيل: إنه شافعي المذهبِ، وجرى عليه التَّاج السُّبكي في (طبقاته)، فقال: وذكره أبو عاصم في طبقاتِ أصحابنا الشَّافعية، وقال: إنَّه سمعَ من الكرابيسي، وأبي ثور، والزَّعفراني، وتفقَّه على الحُميدي، وكلُّهم من أصحاب الشَّافعي، انتهى.
وقيل: إنه حنبلي، وذكره أبو الحسين بن الفرَّاء في أصحابِ الإمام أحمد بن حنبل، وأسندَ عن البخاريِّ أنه قال: دخلتُ بغداد ثمان مرَّات، وفي كلِّ ذلك أجالس أحمدَ بن حنبل، فقال لي آخرَ ما ودعته: يا أبا عبد الله! تتركُ العلمَ والناسَ، وتصيرُ إلى خراسان؟ فقال البخاري: فأنا الآن أذكرُ قوله.
وقيل: كان مجتهداً مطلقاً، واختاره السَّخاوي، قال: والميل لكونه مجتهداً صرَّح به تقي الدين بن تيميَّة، فقال: إنه إمامٌ في الفقهِ من أهل الاجتهادِ.

وجلالةِ كتابه (الصحيح) قال اللؤلؤي _ يعني: ابن خلدون في (مقدمة تاريخه) _: شَرْحُهُ دَيْنٌ على هذه الأمَّة.

قيل: هذا كان قبل (فتح الباري) للحافظ ابنِ حجر، فبه ارتفعَ عنهم ذلك الدَّيْن؛ أي: وبغيره من شروحهِ الجليلة كما سيأتي بيانها.

وقدَّمنا أنَّ شيوخ البخاريِّ يزيدون على الألف.

وقال النَّووي في (التهذيب): روينا من جهاتٍ عن جعفر القطَّان قال: سمعتُ البخاريَّ يقول: كتبتُ عن ألفِ شيخٍ من العلماء وزيادة، وليس عندي حديثٌ إلا أذكرُ إسناده.

وقال: روينا عن الخطيبِ البغدادي قال: رحلَ البخاريُّ إلى مُحَدِّثي الأمصارِ، وكتبَ بخراسان، والجبال، ومدن العراق كلها، وبالحجاز، ومصر، والشام، وورد بغداد مرات.

وقال أيضاً قبله: وهذا باب واسع جداً لا يمكن استقصاؤه، فأنبِّهُ على جماعةٍ من كلِّ إقليم وبلد، ليُسْتَدَلَّ بذلكَ على اتِّساع رحلتهِ، وكثرة روايتهِ، وعظمِ عنايته.

فأمَّا شيوخه:

فقال الحاكم أبو عبد الله في (تاريخ نيسابور):

ممَّن سمع منه البخاري بمكة: أبو الوليد أحمد بن محمد الأزرقيُّ، وعبد الله بن يزيد المقرئ، وإسماعيل بن سالم الصَّائغ، وأبو بكر عبدُ الله بن الزُّبير الحُمَيدي، وأقرانهم.

وبالمدينة: إبراهيمُ بن المنذر الحِزَامي _ بالزاي بعد الحاء المهملة المكسورة _، ومطرِّف بن عبد الله، وإبراهيم بن حمزة، وأبو ثابت محمَّدُ بن عبد الله، وعبد العزيز بنُ عبد الله الأويسي، وأقرانهم.

وبالشام: محمَّد بن يوسف الفِرْيابي، وأبو نصر إسحاقُ بن إبراهيم، وآدم بنُ أبي إياس، وأبو اليمان الحكمُ بنُ نافع، وحَيوة بنُ شريح، وأقرانهم.

وببخارى: محمَّد بن سلام البَيْكندي، وعبد الله بن محمد المسْنَدي، ومحمَّد بن عزيز، وهارون بن الأشعث؛ وأقرانهم.

وبمرو: علي بنُ حسن بن شقيق، وعبدانُ، ومحمَّد بنُ مقاتل، ومعاذ بنُ أسد، وصَدَقة بن الفضل، وأقرانهم.

وببلخ: مكي بنُ إبراهيم، ويحيى بنُ بشر الزَّاهد، ومحمد بنُ أبان، والحسن بنُ شجاع، ويحيى

بنُ موسى، وقتيبةُ، وأقرانهم.

وبِهَراة: أحمد بنُ أبي الوليد الحنفِي.

وبنيسابور: يحيى بنُ يحيى، وبشر بنُ الحكم، وإسحاق بنُ راهويه، ومحمد بنُ رافع، ومحمد بنُ يحيى الذهلي، وأقرانهم.

وبالرَّي: إبراهيم بنُ موسى الحافظ، وغيره.

وببغداد: محمد بن عيسى الطَّباع، ومحمد بنُ سابق، وسُرَيج ــ بسين مهملة وجيم مصغراً ــ ابن النُّعمان، وأحمد بنُ حنبل وأقرانهم.

وبواسط: حسانُ بن حسَّان، وحسان بنُ عبد الله، وسعيد بنُ سليمان، وعَمرو بن عوف، وأقرانهم.

وبالبصرة: أبو عاصم النَّبيل، وصفوان بن عيسى، وبَدَل ــ بفتحتين ــ ابن المحَبَّر ــ بضم الميم، وفتح الحاء المهملة، وتشديد الباء الموحدة مفتوحة ــ، وحَرَمي ــ بفتح الحاء والراء المهملتين ــ ابن عَمَارة، وعفَّان بن مسلم، ومحمد بنُ عَرْعرة، وسليمان بن حرب، وعَمرو بن عاصم الكلابي، وأبو الوليد الطَّيالسي، وعَارِم، ومحمد بن سنان، ومحمَّد بن عبد الله الأنصاري، وعبد الرحمن بنُ محمد بن حماد، وطبقتهم.

وبالكوفة: عبيد الله بنُ موسى، وأبو نُعيم، وأحمد بن يعقوب، وإسماعيلُ بن أبان، والحسن بن الرَّبيع، وخالد بنُ مخلد، وسعد بنُ حفص، وطَلْق بن غنَّام، والحسنُ بن عطيَّة ــ وهما أقدم شيوخه ــ وعمر بن حفص، وفَرْوة، وقَبِيصة بنُ عقبة، وأبو غسان، وأقرانهم.

وبمصر: عثمانُ بن صَالح، وسعيد بنُ أبي مريم، وعبد الله بنُ صالح، وأحمد بن صالح، وأحمد بن شَبِيب، وأصبغُ بنُ الفرج، وسعيد بنُ عيسى، وسعيد بنُ كثير بنِ عُفَير، ويحيى بن عبد الله بن بُكير، وعَمرو بن الربيع بنِ طارق، وأقرانهم.

وبالجزيرة: أحمد بن عبد الملك الحراني، وأحمد بن يزيد الحراني، وعمرو بن خالد، وإسماعيل بن عبد الله الرقي، وأقرانهم، انتهى كلام (التهذيب)، مع زيادة في الأسماء دون البلدان.

ثم قال: قال الحاكمُ أبو عبد الله: قد رحلَ البخاريُّ إلى هذه البلادِ المذكورةِ في طلب العلم، وأقام في كلِّ مدينة منها على مشايخها، قال الحاكمُ: وإنما سمَّيتُ من كلِّ ناحيةٍ جماعة من المتقدِّمين؛ ليستدلَّ به على عالي إسنادِهِ، انتهى.

وقال غيره: وسمعَ بعسقلانَ من آدم بنِ أبي إياسٍ: وبدمشق من أبي مُسْهِر شيئاً يسيراً، ومن أبي النَّصر الفراديسِي، وجماعة، وبحمص من أبي المغيرة، وأبي اليمان، وأحمد بن خالد الوهبي، ويحيى الوحاظِي، وبقيساريَّة من محمَّد بن يوسف الفِرْيابي، انتهى.

لكن في (طبقات التاج السبكي) ما نصُّه: وفي (تاريخ نيسابور) للحاكم: أنَّه سمعَ بالجزيرة من أحمد بن الوليد بن الورتنيس الحرَّاني، وإسماعيل بن عبد الله بن زُرَارة الرِّقي، وعَمرو بن خالد، وأحمد بن عبد الملك بن أحمد الحرَّاني، وهذا وهم؛ فإنه لم يدخلِ الجزيرة، ولم يسمعْ من أحمد بن الوليد، وإنما روى عن رجلٍ عنه، ولا من ابن زرارة، وإنما إسماعيل بن عبد الله الذي يروي عنه هو إسماعيلُ بن أبي أويس، وأمَّا ابن واقد، فإنما سمعَ منه ببغداد، وعَمرو بن خالد سمع منه بمصر، نبَّه على هذا شيخنا الحافظ المزِّي فيما رأيتُه بخطِّه، انتهى كلام (الطبقات)، فليتأمل.

وقال النَّووي في (شرح البخاري) نقلاً عن أبي الفضل بن طاهرٍ المقدسي: أنَّ مشايخَ البخاري مع كثرتهم ينحصرونَ في خمسِ طبقات.

وجَرَى على ذلك أيضاً ابن الملَقِّن في (شرحه)، وكذا الحافظ ابن حجر في (المقدمة)، لكن كلامه قد يُوهم أنه من عنديَّاته؛ حيث قال:

قلت: وينحصرونَ في خمسِ طبقاتٍ:

الطبقة الأولى: من حدَّثَ عن التَّابعين، مثل: محمَّد بن عبد الله الأنصاري، حدَّثه عن حميد، ومثل: مكي بن إبراهيم، حدَّثه عن يزيد بن أبي عبيد، ومثل: أبي عاصم النَّبيل، حدَّثه عن يزيد المذكور، ومثل: عبيد الله بن موسى، حدَّثه عن إسماعيل بن أبي خالد، وحدَّثه أيضاً عن هشام بن عروة، وعن معروف، ومثل: أبي نُعيم، حدَّثه عن الأعمش، ومثل: خلَّاد بن يحيى، حدَّثه عن عيسى بن طَهمان، ومثل: علي بن عياش وعصام بن خالد، حدَّثاه عن جرير بن عثمان، وشيوخ هؤلاء كلهم من التَّابعين.

الطبقة الثانية: من كان في عصرِ هؤلاء، لكنَّه لم يسمعْ من ثقاتِ التابعين؛ كآدم بن أبي إياس، وأبي مُسْهر عبد الأعلى بن مُسهر، وكسعيد بن أبي مريم، وكأيوب بن سليمان بن بلال، وأمثالهم.

الطبقة الثالثة: وهي الوسطى من مشايخهِ، وهم من لم يلقَ التابعين، بل أخذَ عن كبارِ تابع

التابعين: كسليمان بن حربٍ، وقُتيبة بن سعيد، ونُعيم بن حماد، وعلي بن المدِيني، ويحيى بن مَعين، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهَوَيه، وأبي بكر وعثمان ابنَي أبي شيبة، وأمثال هؤلاء، وهذه الطبقة شاركه مسلمٌ في الأخذ عنهم.

الطبقة الرابعة: رفقاؤه في الطَّلب، ومن سمع قبله قليلاً: كمحمد بن يحيى الذهلي، وأبي حاتم الرَّازي، ومحمد بن عبد الرَّحيم صاعقة، وعبد بن حميد، وأحمد بن النضر، وجماعة من نُظرائهم، وإنما يخرِّج عن هؤلاء ما فاتهُ عن مشايخهِ، أو ما لم يجده عند غيرهم.

الطبقة الخامسة: قومٌ في عداد طلبتهِ في السنِّ والإسناد، قاله في (المقدمة).

وأقول: لعلَّه يعني: وليسوا برفقةٍ له في الطَّلب؛ لتخالف الطَّبقة التي قبلها؛ كما قد يشعرُ بذلك التَّعبير بقولهم: في عدادِ طلبته.

وأولى من ذلك قول ابن الملَقِّن: الخامسة: قوم حدَّث عنهم، وهم أصغرُ منه في الإسناد والسنِّ والوفاة والمعرفة، منهم عبد الله بن حَمَّادٍ الآمُلي، وحسين القَبَّاني، وغيرهما.

قال نقلاً عن ابنِ طاهر: فهذا تفصيلُ طبقاتهم مختصراً، نبَّهتُ عليه لئلا يظُنَّ من لا مَعْرفة له إذا حدَّث البخاري عن مكي، عن يزيد بن أبي عُبيد، عن سلمة رضي الله عنه، ثم حدَّث في موضعٍ آخرَ عن بكر بن مُضر، عن عَمرو بن الحارثِ، عن بُكير بن عبد الله بن الأشجِّ، عن يزيد بن أبي عُبيد، عن سلمة، أنَّ الإسنادَ الأول سقَطَ منه شيءٌ، وعلى هذا سائر الأحاديث، وكان البخاريُ يحدِّث بالحديث في موضعٍ نازلاً، وفي موضعٍ آخر عالياً، فقد حدَّث في مواضع كثيرة جداً عن رجل عن مالك، وحدَّث في موضعٍ آخر عن عبد الله بن محمَّد المِسْنَدي، عن معاوية بن عَمرو، عن أبي إسحاق الفَزَاري، عن مالك، وحدَّث في مواضع عن رجل عن شعبة، وحدَّث في مواضعَ عن ثلاثة عن شعبة، وحدث في مواضع عن رجل عن الثَّوري، وحدَّث في مواضع عن ثلاثة عنه، وقِسْ على هذا أمثاله.

ثم قال: وقد رَوَينا عن البخاري أنه قال: لا يكون المحَدِّثُ مُحدِّثاً كاملاً حتى يكتبَ عمَّن فوقَه، وعمَّن هو مثله، وعمَّن دونه، وروينا هذا الكلام عن وكيع. انتهى ما في (التوضيح) لابن الملقِّن مختصراً.

وقال الحافظُ في (المقدمة) بعد ذكر الخمس طبقاتٍ عَقِبَ الخامسةِ منها: وقد روى عنهم أشياء يسيرة، وعملَ في الرواية عنهم بما روى عثمان بنُ أبي شيبة عن وكيع أنه قال: لا يكون

الرجلُ عالماً حتى يحدِّث عمَّن هو فوقَه، وعمَّن هو مثله، وعمَّن هو دونه، وعن البُخاري أنه قال: لا يكون المحدِّث كاملاً حتى يكتبَ عمَّن هو فوقه، وعمَّن هو مثله، وعمَّن هو دونه.اهـ واعلم أن هذا لا يُنْقِصُ رتبةَ العَالِمِ، بل يكملها عند أهلِ الكمال، فعليك بالفائدةِ أيُّها الطالب لها حيث كانت، فهي ضالةُ المؤمن يأخذها حيث وجدَها، وإن كانت عند من لم تكن أصوله من ذوي العلمِ، ولا من الأعيان، أو كانت عندَ من هو أصغر منه سنًّا أو قدراً.

ففي (الجامع الصغير) من رواية الترمذيِّ وابن ماجه عن أبي هُريرة، ومن رواية ابن عساكرَ عن علي بسندٍ حسنٍ: (الكلمةُ الحكمةُ ضالَّةُ المؤمن فحيثُ وجدَها فهو أحقُ بها)، وعزاهُ في (ذيل الجامع) لابن حبَّان في (الضعفاء) بلفظ: (الكلمة الحكمة ضالةُ المؤمن، حيثُ وجدَها جذبها)، ورواه في (مسند الفردوس) عن عليٍّ رفعه بلفظ: (الحكمَةُ ضالَّةُ المؤمِنِ حيثُ ما وجَدَها، فهوَ أحَقُّ بِها).

وليجتهد الإنسان أيضاً في طلبِ العلم النَّفيس بالتَّغرب لأجله عن الأوطانِ؛ فإن في ذلك مرضاةَ الرحمنِ، وسعادةَ المرءِ وإن هان، وإن لم يكنْ أحدُ أسلافِهِ له اشتغالٌ بذلك؛ فإن لكلِّ مجتهدٍ نصيباً، والفخرُ بالعلم والكمالِ، لا بالآباء ومناصبِ الرجالِ،

ولا بالمال وإن كثُرَ وطَال، وما أحسنَ ما قيل:

كَمالُ الفَتى بالعِلْمِ لا بالمَناصِبِ ورُتبَةُ أهْلِ العِلمِ أسْنَى المراتِبِ
هُمُ ورِثُوا عِلمَ النَّبيّينَ فاهْتَدَى بهِمْ كُلُّ سارٍ غَيْهَبَ الليلِ سارِبِ
ولا فخْرَ إلا إرْثُ شِرْعَةِ أحمَدٍ ولا فضْلَ إلَّا باكْتِسابِ المناقِبِ

وما أحسن قولَ إمامنا الشَّافعي رضي الله تعالى عنه:

وإني إذَا ما فاخَروني بمالِهِمْ فَإِنّي بميرَاثِ النَّبيّينَ أفْخَرُ
فخارُهُمُ يَفْنَى على كُلِّ حَالَةٍ وفخْرِيَ باقٍ والعظامُ نَواخِرُ

وما أحسنَ قولَهُ أيضاً رضي الله عنه:

وناعِيَةٍ للبَيْنِ قُلتُ لَها اقْصِري فَلا المَوْتُ أَعْلى من مُعالجَةِ الفَقْرِ
سأُنْفِقُ رَيْعانَ الشَّبيبَةِ كُلِّها على طلَبِ العَلْياءِ أوْ طَلَبِ الأجْرِ
سَأَطلُبُ عِلْماً أوْ أَموتَ ببلْدَةٍ يقِلُّ بِها فيْضُ الدُّموعِ على قَبْري
ولَيسَ اكْتِسابُ العِلْمِ يا نفْسُ فَاعَلمِي بميرَاثِ آباءٍ كرامٍ ولا مَهْرِ

ولكِنْ فَتَى الفِتْيانِ مَنْ راحَ واغْتَدى لِيَطلُبَ عِلْماً بالتَّجَلُّدِ والصَّبْرِ

فإنْ نالَ عِلْماً عاشَ في النَّاسِ سَيِّداً وإنْ ماتَ قالَ الناسُ بالغَ في العُذْرِ

إذا هَجَعَ النُّوَّام أسبَلْتُ عَبْرَتِي وأنشَدْتُ بَيْتاً وهوَ مِنْ أحسَنِ الشِّعْرِ

أَلَيسَ منَ الخُسْرانِ أَنَّ لَياليَاً تَمرُّ بِلا نَفْعٍ وتُحسَبُ مِنْ عُمْر

ولبعضهم:

كُنِ ابنَ مَنْ شئتَ واكتسِبْ أدَباً يُغْنيكَ مَوْروثُه عنِ الحسَبِ

إنَّ الفَتى مَنْ يقُولُ ها أنَا ذَا ليسَ الفَتَى مَنْ يقولُ كَانَ أَبِي

وذكرَ ابنُ خَلِّكانَ في ترجمةِ الوزيرِ أبي القاسمِ الحسينِ: أنه قال من رسالةٍ له: (الفخر بالفضائل لا بالأوائل):

وأَقْبِحْ بالمرْءِ أنْ يُقالَ هو بلؤمِهِ حَلَّ منَ المَفَاخِرِ ما كانَ آباؤُه عَقَدوا، وأن يُنشَدَ فيه:

لئِنْ فخَرْتَ بآباءٍ ذوِي شَرَفٍ لقَدْ صدَقْتَ ولكِنْ بئْسَ ما وَلَدُوا

وما يُغني السيفَ انتسابهُ إلى الهِند إذا كان كهاماً؟ وما يجدِي السَّحاب ارتفاعهُ في الجو إذا كان جهاماً؟ وما يضر الفتى كونُهُ من بَاهلةَ إذا كان طائيَّ السخاءِ؟ وما ينفعُه اعتزاؤه إلى هاشم إذا كان تميميَّ العطاء؟ والفضلُ المكتسبُ خيرٌ من الحسب والنَّسب، والفاضل من يتَّكل على مجدِهِ لا على جَدِّه، ويفتخرُ بشرفِهِ لا بسلفِهِ، ويتحلَّى بمحامدِهِ لا بموالدِهِ، ويعلو بإنعامِهِ لا بأعمَامِهِ، ويعتدُّ بأحواله لا بأخواله:

فلَيسَ يَسودُ المرْءُ إلاَّ بنَفْسهِ وإنْ عَدَّ آباءً كِراماً ذَوي حسَبْ

إذا الغُصْنُ لم يُثمِرْ وإنْ كانَ شُعبَةً مِنَ المثمِرَاتِ اعْتَدَّهُ الناسُ في الحَطَبْ

انتهى. وأما الآخذونَ عن البخاري: فقال النوويُّ وغيره: فأكثرُ من أن يحصرَ، وأشهر من أن يُذكر. قال: وقد روينا عن الفِرَبْري أنه قال: سمع (الصحيحَ) من البخاري تسعون ألف رجلٍ، فما بقيَ أحدٌ يرويه غيري، وقد رَوَى عنه خَلائق غير ذلك.

قال: وقدَّمنا أنه كان يحضرُ مجلسه أكثر من عشرينَ ألفاً يأخذون عنهُ، وكان له ثلاثةُ مستملينَ، انتهى.

وأقولُ: لكن قال الحافظ ابنُ حجر: أطلقَ الفِرَبْري ذلك على ما في علمهِ، وقد تأخَّر بعده تسع سنين أبو طلحةَ منصور بن محمد البزدَوي، وهو آخرُ من حدَّث عن البخاري

بصحيحه، كما جزم به ابنُ ماكولا، انتهى.

وأقول: ويحتمل أن الفربري أراد: لم يبق أحد... إلخ، أي: بالنسبة لبلدِه، فتأمل.

ثم قال النَّووي: وممَّن روى عنه من الأئمَّة الأعلام: أبو الحسين مسلم بنُ الحجَّاج صاحب (الصحيح)، لكنه لم يرو عنه في صحيحهِ، وأبو عيسى الترمذي، وأبو عبد الرحمن النَّسائي، وأبو حاتم وأبو زُرعة الرَّازيان، وأبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحرْبِي الإمام، وصالح بن محمد جَزَرة، والحافظ أبو بكر بنُ خزيمة، ويحيى بن محمد بن صَاعد، ومحمد بن عبد الله مَطير، وكل هؤلاء أئمة حفاظ، وآخرون من الحفاظ، وغيرهم، قال الخطيبُ: وآخرُ من حدَّثَ عن البخاري ببغداد الحسينُ بن إسماعيل المحامِلي، انتهى كلام النَّووي في (التهذيب).

وأقول: هؤلاء الثلاثة، وهم الفربري، والبزدوي، والمحاملي من أجلِّ من أخذ عن البخاري (صحيحه)، وسمعَه منه، لكن المحامِلي فاته منه سماع أشياء كثيرة، وإنما سمعَ منه ببغداد آخر قَدْمةٍ قَدِمها البخاري مجالسَ لا جميعَه، كما غلط بعضُهم في ذلك.

ومن أجلِّ من سمعَه منه أيضاً: إبراهيم بن معقل النَّسفي، وفاته سماع قطعة من آخره رواها بالإجازة.

ومن أجلِّهم: حمادُ بن شَاكر، لكن له فيه فَوت أيضاً، وقد اتصلت رواياتهم لنا من طريق جماعات كثيرين بيَّنَّاهم في (فيض الجاري بشرح صحيح البخاري).

وأما قول القسطلاني: والأصحُّ أنَّ النَّسائي لم يرو عن البخاري شيئاً، ففيه أن عدم التَّعرض لهذا من مثل النَّووي قد يدلُّ على عدم وجودِهِ، فضلاً عن كونه الأصَح، فتدبر.

وقال غيره: وممن روى عن البخاري محمد بن هارون الحضرَمي، وأحمدُ بن حمدُون الأعمش، ومحمود بن عنبر، وإبراهيم بنُ معقل النسفيان، وخلق آخرون من مشايخه وأقرانه.

فمن مشايخه: عبد الله بن محمد المِسْنَدي، وعبد الله بن منير، وإسحاق بن أحمد السَّرْماري، ومحمد بن خلف بن قتيبة.

ومن أقرانه: أبو زُرعة وأبو حاتم الرازيَّان، وإبراهيم الحرْبي، ومطير المتقدم ذكرهم قريباً وأبو بكر بن أبي عاصم، وموسى بن هارون الحَمَّال، ومحمد بن قُتيبة البخاري، وأبو بكر الأَعْين، وغيرهم. وأما سعة حفظهِ، وسيلانُ ذهنه، وفهمه الثَّاقب، وثناء الناس عليه في المشارقِ والمغارب، فهو أمر مشهور:

فقد قيل: إنه كان يحفظُ وهو صبي سبعين ألف حديث سرداً.
ونقل عن محمد بن عَمرويه أنه كان يقول: سمعتُ محمد بن إسماعيل يقول: أحفظُ مئَة ألفِ حديثٍ صحيحٍ، ومئتي ألف حديث غير صحيح.
وإلى الأول أشار العراقي بقوله:
.... لِقَوْلِ الجُعْفِي أحفَظُ منهُ عَشْرَ أَلفِ أَلفِ
ورُوي: أنه كان ينظر في الكتاب مرةً واحدةً، فيحفظ ما فيه منها.
ونُقِلَ عن الإمام أحمدَ بن حنبل أنه قال: ما أخرجتْ خراسانُ مثلَ محمد بن إسماعيل.
وعنه أنه قال: انتهى الحفظُ إلى أربعة من أهل خراسان: أبو زرعة الرازي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقنديّ الدارمي، والحسن بن شجاع البَلخي.
وقال الإمامُ محمد بنُ بشار: حفَّاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالرِّي، ومسلم بن الحجَّاج بنَيسايور، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارميّ بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل ببُخَارى.
ورُوي عنه أنه قال: ما قدم علينا مثلُ البخاري.
وعنه: أنه حين قدم البخاري البصرةَ، قامَ إليه، فأخذه بيدهِ، وعانقه وقال: مرحباً بمن أفتخرُ به منذ سِنين.
وقال عليُّ بن حجرٍ: أَخرجت خراسانُ ثلاثة: أبا زرعة بالرِّي، ومحمد بن إسماعيل ببخارى، والدَّارمي بسمرقند، ومحمد عندي أعلمُهم وأفقههم وأبصرهم.
وعن الحافظ صالح بن محمد جَزَرة أنه قال: ما رأيت خراسيًّا أفهم منه.
وقال: أعلمُهم بالحديث البخاريُّ، وأحفظُهم أبو زرعةَ، وهو أكثرُهم حديثاً.
وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت حاشدَ بن إسماعيل، وآخر يقولان: كان البخاري يختلف معنا إلى السماع وهو غلام، فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له: لم لا تكتب؟ فقال: إنكما قد أكثرتما عليَّ، فاعْرِضا عليَّ ما كتبتُما، فأخرجنا له ما كان عندنا، فزادَ على خمسةَ عَشَرَ ألفَ حديث، فقرأها كلها عن ظهرِ قلبه، حتى جعلنا نُصلحُ كتبَنا من حفظهِ، ثم قال: أترونَ أني أختلفُ هَدْراً وأضيّع أيامي؟ فعلمنا أنه لا يتقدَّمه أحدٌ، قالا: فكان أهلُ المعرفة يتبعونه لطلبِ الحديث وهو شابٌّ حتى يغلبوه على نفسهِ، ويجالسوهُ في بعض الطُّرق، فيجتمع عليه ألوف، أكثرهم يكتبون عنه.

وعبارة (المقدمة): قال حاشد بنُ إسماعيل: كان البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام فلمناهُ بعد ستة عشر يوماً فقال: قد أكثرتم عَليَّ، فاعرضُوا عليَّ ما كتبتُم، فأخرجنَاه، فزادَ على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهرِ قلبٍ حتى جعلنا نُحْكِمُ كتبنا من حفظه، انتهت.

ثم قال فيها: قال محمَّد بن الأزهرِ السجستاني: كنت في مجلس سليمان بن حرب، والبخاري يسمع ولا يكتب، فقيل لبعضهم: ماله لا يكتب؟ فقال: يرجعُ إلى بخارى فيكتبه من حفظه.

وقال أبو بكر بنُ عتاب: كتبنا عن محمد بن إسماعيل، وما في وجههِ شعرة.

وقال ابنُ أبي حاتم: كان سَليم بن مجاهد يقول: كنت عند محمَّد بن سلام البيكندي، فقال لي: لو جئت قبلُ لرأيت صبياً يحفظ سبعينَ ألفَ حديثٍ، قال: فخرجتُ في طلبه، فلقيته، فقلتُ: أنت الذي تقول: أحفظُ سبعينَ ألفَ حديثٍ؟ قال: نعم، وأكثر، ولا أُجيبك بحديث عن الصحابة والتابعين إلا عرفتُ مولدَ أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولستُ أروي حديثاً من حديث الصَّحابةِ إلا ولي في ذلك أصل أحفظُه حفظاً عن كتابِ الله تعالى وسنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقال: دخلتُ بلخ، فسألوني أن أُمْلي عليهم كلَّ مَنْ كتبتُ عنه، فأمليتُ ألف حديثٍ عن ألفِ شيخٍ.

وقال: تذكرتُ يوماً في أصحاب أنس، فحضرني في ساعةٍ ثلاثُ مئةِ نفسٍ، وما قَدِمتُ على شيخ إلَّا كان انتفاعُه بي أكثر من انتفاعِي به.

وقال حاشدُ بن إسماعيل: رأيتُ إسحاقَ بن راهويه جالساً على المنبر، والبخاري جالس معه، وإسحاق يحدث، فمرَّ حديث، فأنكره محمد، فرجع إسحاق إلى قوله، وقال: يا معشر أصحاب الحديث، انظروا إلى هذا الشاب، واكتبُوا عنه؛ فإنه لو كان في زمن الحسنِ بن أبي الحسن البَصري، لاحتاجِ إليه؛ لمعرفتهِ بالحديثِ وفقههِ.

وقال الفربري: سمعتُ محمد بن أبي حاتم يقول: سمعتُ حاشدَ بن إسماعيل يقول: كنتُ بالبصرة، فسمعتُ بقدوم محمَّد بن إسماعيل، فلمَّا قدمَ، قال محمَّد بن بشَّار: دخلَ اليوم سيِّدُ الفُقهَاءِ. وقال: أنا أفتخرُ به منذ سنين.

وقال موسَى بن قريش: قال عبدُ الله بن يوسف التِّنيسي للبُخاري: يا أبا عبد الله! انظرْ في

كتبي وأخبرني بما فيها من السَّقطِ، فقال: نعم.

وقال البخاريُّ: قال لي محمَّد بن سَلام البيكندي: انظرْ في كتبي، فما وجدتَ فيها من خطأ، فاضربْ عليه، فقال له بعضُ أصحابه: مَنْ هذا الفتى؟ فقال: هذا الذي ليس مثله أحد.

وكان محمَّد بن سَلام المذكور يقول: كلَّما دخل عليَّ محمَّدُ بن إسماعيل تحيَّرت، ولا أزالُ خائفاً منه؛ يعني: يخشَى أن يخطئَ بحضرتهِ.

وقال أبو بكر المدِيني: كنَّا يوماً عند إسحاق بنِ راهويه، ومحمَّد بن إسماعيل حاضر، فمرَّ إسحاق بحديث ودَوَّنَ صحابيَّهُ عطاءَ الكيخاراني، فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله! إيش هي كيخاران؟ قال: قرية باليمن، كان معاويةُ بعث هذا الرجل الصَّحابي إلى اليمن، فسمعَ منه عطاء هذا حديثين، فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله! كأنَّك شهدتَ القوم، انتهى ما في (المقدمة).

وأقول: قال السُّيوطي في (لب الألباب): الكَيْخَارَانِي - بفتح الكاف، وسكون التحتية، وبخاء معجمة وراء؛ أي: فألف، فنون، وياء نسبة إلى كَيْخَارَان: قريةٌ باليمن، انتهى.

وقال في (القاموس): منها عطاء بن يعقوب.

وفي (المقدمة): قال البخاريُّ: كنتُ عند إسحاق بن راهويه، فسُئِلَ عمَّن طلَّق ناسياً، فسكتَ طويلاً مفكِّراً، فقلت أنا: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللهَ تجاوَزَ عنْ أُمَّتي ما حدَّثَتْ بِهِ أنْفُسها، ما لم تعمَلْ به أو تكلَّمْ به)، وإنما يُراد مباشرة هؤلاء الثلاث: العمل والقلب، أو الكلام والقلب، وهذا لم يعتقدْ بقلبهِ، فقال لي إسحاق: قويتني قوَّاك الله وأفتى به، انتهى.

وانظر لمَ لمْ يستدلَّ بحديث ثوبان الَّذي رواه الطَّبراني: (رُفِعَ عنْ أُمَّتي الخَطأُ والنِّسيانُ وما اسْتُكرِهُوا عليه)، ولعلَّه لم يثبتْ عنده، كالحديث الَّذي رواه ابنُ ماجه عن أبي ذرٍّ، والطبرانيُّ والحاكمُ عن ابن عبَّاس، والطبرانيُّ عن ثوبان أيضاً، ولفظه: (إن اللهَ تعَالى تجاوَزَ لِي عنْ أُمَّتي الخَطأَ والنِّسيانَ وما استُكْرِهوا عليهِ).

وأمَّا الحديث الَّذي أوردَهُ، فقد أخرجَه أصحابُ الكتبِ الستَّة عن أبي هُريرة، وكذا الطَّبراني عن عمران بن حُصين.

وقال البُخاري: ما استصغرتُ نفسِي عند أحدٍ إلا عند عليِّ بن المدِيني، وأنا كنتُ أُغْربُ

عليه، قال حامدُ بن أحمد: فذكرتُ هذا الكلام لعليِّ بن المدِيني، فقال لي: دَعْ قولَهُ، هو مَا رَأَى مثلَ نفسِهِ.

وقال البخاريُّ أيضاً: كانَ عليُّ بن المدِيني يسألني عن شيوخِ خراسان، فكنتُ أذكرُ له محمَّد بن سلام فلا يعرفه، إلى أنْ قال لي يوماً: يا أبا عبد الله! كلُّ من أثنيتَ عليه فهو عندنا الرِّضى.

وقال قتيبةُ بن سعيد: جالستُ الفُقهاء والزُّهاد والعبَّاد، فما رأيتُ منذ عقلتُ مثل محمَّد بن إسماعيل، وهو في زمانهِ كعُمَرَ في الصَّحابة.

وعن قتيبة أيضاً قال: لو كان محمَّد بن إسماعيل في الصَّحابة، لكان آية.

وقال محمَّدُ بن يوسُفَ الهَمَداني: كنا عند قُتيبة، فجاء رجلٌ شعرَاني، يقال له: أبو يعقوب، فسأله عن محمَّد بن إسماعيل، فقال: يا هؤلاء! نظرتُ في الحديثِ، ونظرتُ في الرأي، وجالستُ الفُقهاءَ والزهادَ والعبَّادَ، ما رأيتُ منذ عقلتُ مثل محمَّد بن إسماعيل.

وسُئِلَ قتيبةُ عن طلاق السَّكرَان، فدخل محمَّد بن إسماعيل، فقال للسَّائل: هذا أحمد بنُ حنبل، وإسحاق بنُ راهويه، وعلي بن المدِيني قد ساقَهم الله إليك، وأشارَ إلى البُخاري.

وقال إبراهيمُ بن محمَّد بن سَلام: كان الرُّتُوتُ من أصحابِ الحديث مثل سعيد بن أبي مريم، وحجَّاج بن مِنْهال، وإسماعيل بن أبي أويس، والحُمَيدي، ونُعيم بن حمَّاد، والعدَني؛ يعني: محمَّد بن يحيى بن أبي عَمرو الخلال، ومحمَّد بن ميمون، وإبراهيم بنُ المنذر، ومحمَّد بن العلاء، وأبي سعيد الأشج، وإبراهيم بن موسى الفرَّاء، وأمثالهم يقضُون لمحمد بن إسماعيل على أنفسِهم في النَّظر والمعرفة.

والرُّتُوْت ــ بضمِّ الراءِ والمثناةِ الفوقية، فواو ساكنة، فمثناة فوقية آخره ــ بمعنى الرؤساء، قاله ابن الأعرابيِّ وغيره، كذا في (المقدمة)، و(التَّهذيب)، ولم يبينا مفرده، لكنه الرَّتُّ: بفوقية مشددة آخره، قال في (القاموس): الرَّتُّ: الرئيسُ، والجمع رَتَّاتٌ، ورُتُّوتٌ، انتهى.

وقال البخاري: ذَاكَرَني أصحابُ عَمرو بنِ علي الفَلاَّس بحديث فقلت: لا أعرفُه، فسرُّوا بذلك، وصاروا إلى عَمرو بن علي، فقالوا له: ذاكرنا محمَّد بنَ إسماعيل بحديثٍ فلم يعرفْه، فقال عَمرو بن علي: حديثٌ لا يعرفُه محمَّد بنُ إسماعيل ليس بحديثٍ.

وقال رجاءُ بن مرجا: فضلُ محمَّد بن إسماعيل على العلماء كفضْلِ الرجالِ على النِّساء.

وقال أيضاً: هو آيةٌ من الآياتِ يمشِي على ظهرِ الأرض.

وقال الترمذيُّ: كان محمَّد بن إسماعيل عند عبدِ الله بنِ مُنير، فقال له لما قامَ: يا أبا عبدِ الله! جعلَكَ الله زينَ هذه الأمَّة، قال الترمذيُّ: فاستجابَ الله دعاءهُ فيه.

وقال الفربريُّ: رأيتُ عبد الله بنَ منير يكتبُ عن البخاريِّ، وسمعتُه يقول: أنا من تلامذتِهِ.

وعبدُ الله المذكور كما قال في (المقدمة) من شيوخِ البُخاري، قد حدَّث عنه في (الجامع الصحيح)، وقال: لم أر مثلَه، وكانت وفاته سنة أن ماتَ أحمد بن حنبل.

وقال محمَّد بنُ أبي حاتم الورَّاق: سمعتُ يحيى بنَ جعفر البيكندي يقول: لو قدرتُ أن أزيدَ عمرِي في عمر محمَّد بن إسماعيل لفعلْتُ، فإنَّ مَوتي يكون موت رجلٍ واحدٍ، وموت محمَّد بن إسماعيل فيه ذهابُ العلم، قال: وسمعتُه يقول للبخاريِّ: لولا أنت ما استطيبتُ العيشَ ببُخارى.

وقال عبدُ الله بن محمَّد المسندي: محمَّد بنُ إسماعيل إمامٌ، فمَن لم يجعلْه إماماً، فاتَّهِمه.

وقال حاشد: رأيتُ عَمرو بن زُرَارة، ومحمَّد بن رافع عند محمَّد بن إسماعيل، وهما يسألانهِ عن عللِ الحديثَ، فلمَّا قاما قالا لمن حضَرَ المجلسَ: لا تحدِّثوا إلَّا عن أبي عبد الله؛ فإنَّه أفقَه منَّا وأعلم وأبصرُ. وقبَّله مسلمٌ مرَّة بين عينيهِ، وقال له: دَعْني أقبِّل رجليكَ يا أستاذَ الأستاذِين، وسيِّدَ المحدِّثين، ويا طبيْبَ الحديثِ في عللِهِ.

وقال الترمذيُّ: لم أر أحداً بالعراق ولا بخراسان أعلمَ من محمَّد بن إسماعيل في مَعنى العللِ والتَّاريخ والأسانيد.

وقال البخاريُّ: دخلتُ على الحُمَيدي وأنا ابنُ ثماني عشرة سنة، فإذا بينه وبين آخر اختلافٌ في حديث، فلمَّا أبصرَني قال: جاء من يفصِلُ بيننا، فعرضَا عليَّ الخصُومةَ، فقضيتُ للحُمَيديّ؛ لكون الحقِّ معه.

وقال محمَّد بن أبي حاتم ورَّاق البخاريِّ: سمعتُه يقول: كنت في مجلسِ الفريابي، فسمعتُه يقول: حدَّثنا سفيان، عن أبي عَرُوبة، عن أبي الخطَّاب عن أنس: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يطوفُ على نسائهِ في غُسل واحدٍ، فلم يعرفْ أحدٌ في المجلس أبا عَرُوبة، ولا أبا الخطَّاب، فقلت: أمَّا أبو عَرُوبة: فمَعْمر، وأمَّا أبو الخطَّاب: فقتادةُ.

وعبارةُ (المقدمة): قال محمَّد بن أبي حاتم عن البخاريِّ قال: كنت في مجلسِ الفِرْيابي، فقال:

حدَّثنا سفيان، عن أبي عَرُوبة، عن أبي الخطَّاب، عن أبي حمزة، فلم يعرفْ أحدٌ في المجلس من فوق سفيان، فقلت لهم: أبو عَرُوبة هو: مَعْمر بن راشد، وأبو الخطَّاب هو: قتادةُ بن دِعَامة، وأبو حمزة هو: أنسُ بن مالك، قال: وكان الثَّوري فعولاً لذلك، يكنِّي المشهورين، انتهى.

وقال ورَّاقه المذكور: قدم رجاء الحافظ، فقال لأبي عبد الله: ما أعددْتَ لقُدُومي حين بلغَكَ؟ وفي أيِّ شيءٍ نظرتَ؟ قال: ما أحدثْتُ نظراً، ولا استعددتُ لذلك؛ فإن أحببتَ أن تسألَني عن شيءٍ، فافعلْ، فجعلَ يُناظره في أشياء، فبقيَ رجاءُ لا يدري، ثم قال أبو عبدِ الله: هل لك في الزِّيادة؟ فقال استحياءً منه وخجلاً: نعم، قال: سلْ إن شئتَ، فأخذَ رجاء في أسامِي أيُّوب، فعدَّ نحواً من ثلاثة عشر اسماً، وأبو عبد الله ساكتٌ، فظنَّ رجاء أنَّه صنعَ شيئاً، فقال: يا أبا عبد الله! فاتكَ شيءٌ كثيرٌ، فزيَّف أبو عبد الله من أولئك سبعة، وأغربَ عليه أكثر من ستين رجلاً، ثم قال لرجاء: كم رويتَ في العمامَة السَّوداء؟ قال: هات كم رويتَ أنت؟ قال: نحواً من أربعين حديثاً، فخجلَ رجاء، ويبسَ ريقُه.

وقال أبو حامد الأعمش: رأيتُ البُخاري في جنازة، ومحمَّد بن يحيى الذهلي يسأله عن الأسماء والكُنى وعلل الحديث، ويمر فيها البُخاري مثل السَّهم، كأنه يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[الصمد: 1].

وغالبُ ما ذكرناه موجودٌ في (المقدِّمة) للحافظ ابنِ حجرٍ، وفيها أشياء أُخر زائدة.

ثم قال: ذكر طرف من ثناء أقرانهِ وطائفة من أتباعهِ عليه.

قال أبو حاتم الرَّازي: لم يخرجْ من خراسان قط أحفظُ من محمَّد بن إسماعيل، ولا قدمَ منها إلى العراق أعلمُ منه.

وقال الحسينُ المعروف بالعجليِّ: ما رأيت مثل محمَّد بن إسماعيل، ومسلمٌ حافظ، لكنَّه لم يكن يبلغُ مبلغ محمَّد بن إسماعيل.

وقال العجليُّ أيضاً: رأيتُ أبا زُرعة وأبا حَاتم يستمعانِ إليه، وكان أمَّة من الأممِ، ديِّناً فاضلاً، يحسنُ كلَّ شيءٍ، وكان أعلم من محمِّد بن يحيى الذهلي بكذا وكذا.

وقال عبدُ الله بن عبد الرَّحمن الدَّارمي: قد رأيتُ العلماء بالحرمين والحجاز والشَّام والعراق، فما رأيتُ فيهم أجمع من محمَّد بن إسماعيل.

وقال أيضاً: هو أعلمُنا وأفقهُنا، وأكثرُنا طلباً.

وسئلَ الدَّارمي عن حديث، وقيل له: إنَّ البُخاري صحَّحه، فقال: محمَّد بن إسماعيل هو أبصرُ مني، وهو أكيسُ خلقِ الله، عقَلَ عن الله ما أمرَ به، ونهى عنه في كتابهِ وعلى لسان نبيِّه صلى الله عليه وسلم، إذا قرأَ محمدٌ القرآن، شغلَ قلبَه وبصرَه وسمعَه، وتفكَّر في أمثالهِ، وعرفَ حرامَه من حلالهِ.

وقال أبو سهْلٍ محمود بن النَّضر الفقيه: دخلتُ البصرةَ والشَّام والحجازَ والكوفةَ، ورأيت علماءهَا، فكلَّما جرَى ذكر محمَّد بن إسماعيل، فضَّلوه على أنفسِهم.

وقال أبو سهْل أيضاً: سمعتُ أكثرَ من ثلاثين عالماً من علماء مصرَ يقولون: حاجتُنا في الدُّنيا النَّظرُ إلى محمَّد بن إسماعيل.

وسُئل الحافظ أبو العباس الفضْل بن العبَّاس المعروف بـ(فضلك الرَّازي): أيما أحفظ محمد بن إسماعيل أو أبو زُرعة؟ فقال: لم أكنْ التقيتُ مع محمد بن إسماعيل، فاستقبَلني ما بين حلوان وبغداد، قال: فرجعتُ معه مرحلةً، وجهدتُ كلَّ الجهدِ على أنْ أجيءَ بحديث لا يعرفه، فما أمكنَني، وهذا فلان أغرب على أبي زُرعة عدد شعرِ رأسه.

وقال محمد بنُ إسماعيل الدَّغُولي: كتب أهل بغداد إلى محمَّد بن إسماعيل البُخاري كتاباً فيه:

~المسْلِمونَ بخَيْرٍ ما بَقِيتَ لَهُم ولَيْسَ بعْدَكَ خَيْرٌ حينَ تُفْتَقَدُ

وقال إمامُ الأئمَّة أبو بكر محمَّد بن خُزيمة: ما تحتَ أديم السَّماء أعلمَ بالحديثِ من محمَّد بن إسماعيل.

وقال أبو أحمد بنُ عدي: كان يحيى بنُ محمد بنِ صَاعد إذا ذكر البُخاري قال: ذاك الكبشُ النَّطَّاح.

وقال أبو عَمرو الخفَّاف فيه: التَّقي النَّقي، العالم الذي لم أر مثلَه، محمد بن إسماعيل، وهو أعلمُ بالحديثِ من أحمد وإسحاق وغيرهما بعشرين درجة، ومن قال فيه شيئاً فعليهِ مني ألف لعنة. وقال أيضاً: لو دخلَ من هذا الباب وأنا أحدِّث، لملِئتُ منه رعباً.

وقال موسى بنُ هارون الحمَّال الحافظ البغدادي: لو أنَّ أهلَ الإسلام اجتمَعوا على أن ينصبُوا آخر مثل محمَّد بن إسماعيل، لما قدُروا عليه.

وقال عبدُ الله بن محمد بن سعيد بن جعفر: سمعتُ العلماء بالبصرةِ يقولون: ما في الدنيا مثل محمَّد بن إسماعيل في المعرفةِ والصَّلاح، قال عبدُ الله: وأنا أقولُ قولهم.

وقال الحاكمُ أبو أحمدٍ في (الكنى): كان البخاريُّ أحد الأئمة في معرفةِ الحديث وجمعهِ.
ولو فتحتُ باب ثناء الأئمَّة عليه ممَّن تأخَّر عن عصرِهِ، لفَنِي القرطاسُ، ونفدَتِ الأنفَاسُ، فذاك بحرٌ لا ساحلَ له، انتهى ما في (المقدِّمة) للحافظ مختصراً.
ثم قال فيها: وبعدما تقدَّم من ثناء كبارِ مشايخِهِ عليه لا يحتاج إلى حكايتِهِ عن آخرين؛ لأنَّ أولئك إنما أثنَوا بما شاهدُوا، ووصفُوا بما علمُوا، بخلاف من بعدَهُم؛ فإنَّ ثناؤهُم ووصفَهم مبنيٌّ على الاعتماد على ما نُقل إليهم، وبين المقامين فرقٌ ظاهرٌ، وليس الخبرُ كالعَيَان، انتهى.
وقال التاجُ السُّبكي في (الطبقات الكبرى) بعد إيرادِهِ جملاً من مناقبِهِ: واعلمْ أنَّ مناقبَ أبي عبد الله كثيرةٌ، فلا مَطْمع في استيعابِ غالبِهَا، والكتبُ مشحونةٌ به، وفيما أوردناهُ مَقنع وبلاغٌ، انتهى.
وقال النوويُّ في (التهذيب) بعد أن نقَلَ كثيراً من ترجمة البُخاري ممَّا نقلنَا بعضَه:
فهذه أحرفٌ من عيونِ مناقبهِ، من صفاتهِ ودُرَر شمائلهِ وحالاتهِ، أشرتُ إليها إشارات؛ لكونها من المعروفاتِ الواضحاتِ، ومناقبُه لا تستقصَى؛ لخروجِها عن أن تحصَى، وهي منقسمةٌ إلى حفظٍ ودرايةٍ، واجتهادٍ في التحصيلِ وروايةٍ، وتنسُّك وإفادةٍ، وورعٍ وزهادةٍ، وتحقيقٍ وإتقانٍ، وتمكن وعرفانٍ، وأحوال وكراماتٍ، وغيرها من أنواع المكْرُمات، ويوضح ذلك ما أشرتُ إليه من أقوالِ أعلامِ المسلمين، أولي الفضلِ والورعِ والدين، والحفَّاظِ النُّقاد المتقنِين، الذين لا يجازفون في العباراتِ، بل يتأمَّلونها ويحرِّرونها، ويحافظونَ على صيانتها أشدَّ المحافظات، وأقاويلهم بنحو ما ذكرتُ غير منحصرةٍ، وفيما أشرتُ إليه أبلغُ كفاية للمستبصِرِ، رضي الله عنه وأرضَاه، وجمعَ بيني وبينَه وجميعَ أصحابنا في دارِ كرامتهِ مع من اصطفَاه، وجزاهُ عني وعن سائرِ المسلمين أكمل الجزاء، وحبَاه من فضلهِ أبلغَ الحباء، انتهى.
تنبيه: قال الحافظُ ابنُ حجر في (المقدمة) أيضاً: ذكر جملٍ من الأخبارِ الشَّاهدة بسعة حفظهِ، وسيلانِ ذهنهِ، واطِّلاعه على العللِ سوى ما تقدَّم.
ثم ذكر بسندهِ إلى أحمد بن عدي الحافظ أنه قال: سمعتُ عدَّة مشايخ ببغداد يقولون: إنَّ محمد بن إسماعيل البُخاري قدم بغداد، فسمعَ به أهلُ الحديث، فاجتمعوا وأرادُوا امتحانَ حفظهِ، فعمدوا إلى مئة حديث، فقلَبُوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متنَ هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتنٍ آخر، ودفعوهَا لعشرة أنفسٍ، لكلِّ رجلٍ عشرة أحاديث، وأمروهم

إذا حضَروا المجلسَ أن يلقوا ذلك على البُخاري، وأخذوا عليه الموعدَ للمجلس، فحضرَ وحضرَ جماعةٌ كثيرون من الغُرباء من أهل خُراسان وغيرهم ومن البغداديين، فلمَّا اطمأنَّ المجلسُ بأهله، انتدبَ رجلٌ من العشرة، فسألَه عن حديث من تلك الأحاديث، فقال له البُخاري: لا أعرفه، فما زالَ يلقي عليه واحداً بعد واحدٍ حتى فرغَ، والبُخاري يقول: لا أعرفه، فكان العُلماء ممَّن حضرَ المجلس يلتفتُ بعضُهم إلى بعض، ويقولون: فهم الرجل، ومن كان لم يدر القضيَّة، يقضِي على البُخاري بالعجزِ والتَّقصير وقلَّة الحفظ، ثم انتدبَ الثاني من العشرة، وفعل كالأول، وقال له البُخاري كالأول، ثم انتدبَ الثالث والرابع، وهكذا إلى تمام العشرة حتى فرغُوا كلهم من إلقاءِ تلك الأحاديث المقلوبةِ، والبُخاري لا يزيدهم على: لا أعرفه، فلمَّا علم أنهم فرغُوا، التفتَ إلى الأول فقال: أمَّا حديثك الأوَّل، فقلت: كذا، وصوابُه كذا، وحديثُك الثاني كذا، وصوابُه كذا، وهكذا الثَّالث والرَّابع إلى تمام العشَرة على الولاء، فردَّ كلَّ متنٍ إلى إسنادِهِ، وكلَّ إسنادٍ إلى متنهِ، في الجميع على الولاء في السؤالِ، فأقرَّ الناس له بالحفظِ، وأذعنُوا له بالفضلِ.

قال فيها: قلتُ: فمن هنا يخضعُ للبخاري، فما العجبُ من ردِّه الخطأَ إلى الصَّواب؟ فإنه كان حافظاً لا ينكر، بل العجبُ من حفظهِ للخطأ على ترتيبِ ما ألقوه عليه في مرَّة واحدةٍ.

وروِّينا عن أبي بكرٍ الكلوذَاني قال: ما رأيتُ مثل محمَّد بن إسماعيل، كان يأخذُ الكتاب من العلم، فيطَّلع إليه اطلاعةً واحدةً، فيحفظُ عامَّة أطرافِ الأحاديث من مرَّة واحدةٍ.

وتقدَّم ما حكاه حاشدٌ من أنه كان يحفظُ ما سمعَ ولا يكتبُ، انتهى ما في (المقدمة).

وقد أشار إلى هذه القضيَّة الحافظ الزين العرَاقي في (ألفيَّته) بقوله في بحثِ الحديث المقلوب:

ومنْهُ قَلْبُ سَنَدٍ لِمَتْنِ نَحْوَ امْتِحَانِهِم إِمَامَ الفَنِّ ~ فِي مِئَةٍ لما أَتَى بَغْدَادَ فَرَدَّها وجَوَّدَ الإِسْنَادَ.

ثم قال في (المقدمة): وقال أبُو الأزهر: كان بسمرقند أربع مئة محدِّث، فتجمَّعوا وأرادوا أن يُغلِّطوا محمد بن إسماعيل، فأدخلوا إسنادَ الشامِ في إسنادِ العراقِ، وإسنادَ العراق في إسنادِ الشَّام، وإسناد الحرمِ في إسناد اليمنِ، فمَا استطاعُوا أنْ يتعلَّقوا عليه بسَقْطة، انتهى.

وممَّا يناسبُ إيرادَهُ في هذا المقامِ: ما وقعَ لسيِّدي عبد القادر الكيلاني ـ نفعنا الله ببركاتهِ على الدوام ـ، قال العارفُ الشَّعراني في (طبقاته الوسطى): ولما اشتهرَ الشيخُ عبد القادرِ في الآفاقِ، اجتمعَ له مئة فقيهٍ من علماء بغداد يمتحنونَهُ في العلمِ، فجمعَ كلُّ واحدٍ له عدَّةَ

مسائلَ، وجاؤوا إليه، فلما استقرَّ بهم المجلسُ، أطرقَ رأسه الشيخُ، فظهرتْ من صدرهِ بارقةٌ من نور، فمرت على صُدور المئةِ فقيه، فمسحت ما في قلوبهم، وبهتُوا واضطربُوا، وصاحوا صيحةً واحدةً، ومزَّقوا ثيابهم، وكشَفوا رُؤوسهم، ثم صَعِد الشيخُ الكرسيَّ، وأجابَ عن جميعِ مسائلهم، فاعترفُوا بفضلهِ، وخضعوا له من ذلك اليوم، انتهى.

ثم قال الحافظُ ابن حجر في (المقدمة): وقال غُنْجار في (تاريخه): سمعتُ أبا القاسم منصور بن إسحاق بن إبراهيم الأسدي يقول: سمعتُ أبا محمد عبد الله بن محمَّد بن إبراهيم يقول: سمعتُ يوسف بن موسَى المروزي يقول: كنتُ بجامع البصرة، فسمعتُ منادياً ينادِي:

يا أهلَ العلم! لقد قدمَ محمَّد بن إسماعيل البُخاري فقاموا في طلبهِ وكنتُ فيهم، فرأيتُ رجلاً ليس في لحيتهِ بياض يصلِّي خلف الأسطوانةِ، فلمَّا فرغَ، أحدقوا به وسألوهُ أن يعقدَ لهم مجلسَ الإملاء، فأجابهم إلى ذلك، فقامَ المنادي ثانياً، فنادَى في جامع البصرةِ، فقال: يا أهلَ العلم! لقد قدم محمَّد بن إسماعيل البُخاري، فسألناهُ أن يعقدَ مجلس الإملاء، فأجابَ بأنه يجلس غداً في موضع كذا، فلمَّا كان الغد، حضرَ المحدِّثون والحفاظ والفقهاء والنُّظار، حتى اجتمعَ أناس قريباً من كذا كذا ألف نفس، فجلس أبو عبد الله للإملاء، وقال قبل أن يأخذَ في الإملاء: يا أهلَ البصرة! أنا شابٌّ، وقد سألتُموني أن أحدِّثكم، وسأحدِّثكم أحاديث عن أهلِ بلدكُم تستفيدُونها_ يعني: ليست عندكم_ فتعجَّب الناس من قوله، فأخذَ في الإملاء، فقال: حدَّثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد العتكي بلديكم، قال: حدَّثنا أبي، عن شعبة، عن منصور وغيره، عن سالم بن أبي الجعد، عن أنس بنَ مالك رضي الله عنه: أنَّ أعرابياً جاء إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسولَ الله! الرجلُ يحبُّ القوم، الحديث، ثم قالَ: ليس هذا عندكُم عن منصور، إنما عندكُم عن غير منصور.

قال يوسف بن موسَى: وأملى عليهم على هذا النَّسق مجلساً، يقول في كلِّ حديث: روى فلان هذا الحديثَ عندكم كذا، فأمَّا رواية فلان_يعني: التي يسوقها_ فليستْ عندكم.

ثم ذكرَ الحافظُ ابن حجر في (المقدمة) بسندِهِ إلى أبي حامد الأعمش الحافظ، فقال: كنَّا عند محمَّد بن إسماعيل البُخاري بنيسابور، فجاء مسلم بن الحجَّاج، فسأله عن حديث عُبيد الله بن عمر، عن أبي الزُّبير، عن جابر، قال: بعثنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في سريَّة، ومعنا أبو عُبيدة، الحديث بطوله، فقال البُخاري: حدَّثنا ابن أبي أويس، حدَّثني أخي، عن سليمان

بن بلال، عن عُبيد الله، فذكر الحديث بتمامهِ، قال: فقرأَ عليه إنسان حديث حجَّاج بن محمد، عن ابن جُريج، عن موسى بن عُقبة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هُريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كفَّارة المجلسِ إذا قامَ العبدُ أن يقولَ: سبحانك اللهمَّ وبحمدِكَ، أشهدُ أن لا إله إلا أنت، أستغفرُك وأتوبُ إليك)، فقال له مسلم: في الدُّنيا أحسن من هذا الحديث، ابن جريج، عن موسى بن عقبة، عن سُهيل بن أبي صالح، تعرف بهذا الإسناد في الدنيا حديثاً؟ فقال محمَّد بن إسماعيل: إلا أنه مَعْلول، فقال مسلم: لا إله إلا الله، وارتعدَ، أخبرني به، فقال: استرْ ما سترَ الله، حديث جليلٌ رواه الناس عن حجَّاج بن محمد، عن ابن جُريج، فألحَّ عليه، وقبَّل رأسَه، وكادَ يبكِي، فقال: اكتبْ إن كان ولا بدَّ: حدثنا موسى بن إسماعيل، ثنا وهيب، حدَّثنا موسى بن عقبة، عن عون بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كفَّارة المجلسِ إذا قامَ العبدُ أن يقولَ: سبحانك اللَّهمَّ وبحمدِكَ، أشهدُ أن لا إله إلا أنت، أستغفرُك وأتوبُ إليك)، فقال له مسلم: والله ما يبغضُك إلا حاسدٌ، وأشهدُ أنه ليسَ في الدنيا مثلك، هكذا روى هذه القصَّة الحاكم في (تاريخ نيسابور) عن أبي محمَّد المخلدِي.

ورواها البيهقي في (المدخل) عن الحاكم أبي عبد الله على سياق آخر، قال: سمعت أبا نصر أحمد بن محمد الورَّاق يقول: سمعتُ أحمد بن حمدُون القصَّار، وهو أبو حامد الأعمش يقول: سمعت مسلم بن الحجَّاج، وقد جاء إلى محمَّد بن إسماعيل، فقبَّل بين عينيهِ، وقال: دعنِي أقبِّل رجليكَ يا أستاذَ الأستاذِين، وسيِّد المحدِّثين، وطبيبِ الحديث في عللهِ، حدَّثك محمَّد بن سلام، حدَّثنا مخلد بن يزيد، أخبرنا ابنُ جريج، حدَّثني موسى بن عقبة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هُريرة، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم في كفَّارة المجلسِ، فقال محمَّد بن إسماعيل: وحدَّثنا أحمد بنُ حنبل، ويحيى بن معين قالا: حدَّثنا حجَّاج بن محمد، عن ابن جُريج، حدَّثني موسى بن عُقبة، عن سُهيل، عن أبيه، عن أبي هُريرة: أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: (كفَّارة المجلسِ أن يقولَ إذا قامَ من مجلسهِ: سبحانك ربَّنا وبحمدِك)، وقال البخاريُّ: هذا حديث مليحٌ، ولا أعلمُ بهذا الإسناد في الدنيا حديثاً غير هذا، إلا أنه معلولٌ، حدَّثنا به موسى بنُ إسماعيل، حدَّثنا وهيب، حدَّثنا سهيل، عن عَون بن عبد الله، قال محمَّد بن إسماعيل: هذا أولى؛ فإنَّا لا نذكرُ لموسى بن عُقبة سماعاً عن سُهيل.

ورواها الحاكمُ في (علوم الحديث) له بهذا الإسناد أخصر من هذا السِّياق، وقال في آخرها كلاماً موهوماً؛ فإنه قال فيه: إن البُخاري قال: لا أعلمُ في هذا الباب غير هذا الحديثِ الواحد، ولم يقل البخاريُّ ذلك، وإنما قالَ ما تقدَّم، ولا يتصوَّر وقوعُ هذا من البُخاري، مع معرفتِهِ ما في الباب من الأحاديثِ، انتهى ما في (المقدمة).

وقوله فيها: وإنما قال ما تقدَّم... إلخ، أي: من قوله آنفا ولا أعلم بهذا الإسناد في الدنيا حديثاً غير هذا، إلا أنه معلولٌ، وقوله: ولا يتصوَّر وقوعُ هذا... إلخ؛ أي: قوله: لا أعلمُ في هذا الباب غير هذا الحديث الواحد، فإن البخاريَّ لا يُتصور أن يقعَ منه هذا الكلام على ما نقلَ الحاكم عنه في (علوم الحديث)، فإن في الباب عدَّة أحاديث غير هذا:

منها: ما في أواخر (فتح الباري)، وسنذكره قريباً.

ومنها: ما فيه ــ أيضاً ــ قبيله؛ وهو ما أخرجَه الترمذيُّ في(جامعه)، والنَّسائي في (اليوم والليلة)، وابن حبَّان في (صحيحه)، والطَّبراني في (الدعاء)، والحاكم في (المستدرك)، كلُّهم من رواية حجَّاج بن محمد، عن ابن جُريج، عن موسى بن عُقبة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:(مَن جلسَ في مجلسٍ، فكثُرَ فيه لغَطُه، فقال قبل أن يقومَ من مجلسِهِ ذلك: سبحانَكَ اللَّهمَّ وبحمدِكَ، أشهدُ أن لا إله إلا أنت، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك، إلا غُفِرَ له ما كانَ في مجلسِهِ ذلك)، هذا لفظ الترمذيّ، وقال: حسنٌ صحيحٌ غريبٌ، لا نعرفُه من حديث سُهيل إلا من هذا الوجه، وفي الباب عن أبي بَرْزة وعائشة.

وقال الحاكمُ: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم، إلا أنَّ البُخاري أعلَّه برواية وُهيب، عن موسى بن عُقبة، عن سُهيل، عن أبيه، عن كعب الأحبار، كذا قال في (المستدرك)، ووهمَ في ذلك، فليس في هذا السَّند ذكر لوالد سُهيل، ولا لكعب، والصَّواب: عن سهيل، عن عون، وكذا ذكرهُ على الصواب في (علوم الحديث)، انتهى ما في (فتح الباري).

والحاصل أنَّ البخاري أعلَّه بقوله: لا نذكرُ لموسى بن عقبةَ سماعاً من سُهيل؛ كما رواهُ ابن جُريج وإنما المعروفُ أنَّ موسى يرويه عن عَون بن عبد الله وهذا من غيرِ رواية ابن جُريج فلمَّا خالفَ ابن جريج قولَ وُهيب الذي هو أكثرُ ملازمة لموسَى من ابن جُريج، رجَّح البخاري روايةَ الأكثرِ الملازمِ، وجعلَها قادحةً في رواية غيره، فهذا وجه إعلالِهِ عنده وأمَّا من صحَّحه

فإنه لا يرَى هذا الاختلافَ علَّة قادحة، بل يُجَوِّزُ أنه عند موسى بن عُقبة على وجهين: أحدُهما: عن سُهيل، وثانيهما: عن عَون، قاله في(الفتح) مع زيادة إيضاحٍ.

ثم قال فيه: وقد سبقَ البُخاري إلى تعليلِ هذه الرِّواية أحمدُ بن حنبل، فذكرَ الدَّارقطني عنه في (العلل) أنه قال: حديث ابنِ جُريج وهمٌ، والصَّحيح قول وهيب، عن سُهيل، عن عون بن عبد الله، قال الدَّارقطني: والقولُ قول أحمد.

وعلى ذلك جرَى أبو حاتم وأبو زُرعة الرَّازيان.

ثم ذكرَ أن شيخَه الحافظ العرَاقي ذكر في (النُّكت) التي جمعَها على (علوم الحديث) لابن الصَّلاح: أنَّ هذا الحديث وردَ من رواية جماعةٍ من الصَّحابة، عدتهم سبعة، زيادةً على مَن ذكره الترمذيُّ، وأحالَ بيانهم على (تخريج الإحياء).

ثم قال في (الفتح): وقد تتبعتُ طرقَهُ فوجدته مِنْ روايةِ خمسةٍ آخرين، فكمَّلوا خمسةَ عشر نفساً، ومعهُم صَحابي لم يسم، فلم أضفْه إلى العددِ؛ لاحتمال أن يكون أحدَهم، ثم ذكر الخمسة عشر صحابياً ملخصاً لهم مما كتبه على (علوم الحديث)، فراجعه.

ثم ختمَ (فتح الباري) بحديث ذكره بسندِهِ إلى عائشة رضي الله عنها قالت: كانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا جلسَ مجلساً، أو صلَّى، تكلَّم بكلماتٍ، فسألته عن ذلك، فقال (إنْ تكلَّم بكلامِ خيرٍ، كان طابعاً عليهِ إلى يوم القيامَةِ، وإنْ تكلَّمَ بغيرِ ذلكَ، كانَ كفَّارةً له: سُبحانَكَ اللَّهمَّ وبحمدِكَ، لا إلهَ إلا أنتَ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ) انتهى.

وذكرهُ القَسْطَلاني في آخر (شرحه) _أيضاً_ بلفظ آخر أخرجَهُ عن النَّسائي في (اليوم والليلة) بسندِهِ إلى عائشة: أنها قالت: ما جلسَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلساً، ولا تلا قرآناً، ولا صلَّى، إلا ختمَ ذلك بكلمَاتٍ، فقلتُ: يا رسول الله! أراكَ مَا تجلِسُ مجلِساً، ولا تتْلُوا قرآناً، ولا تصَلِّي صلاةً، إلا ختمْتَ بهؤلاءِ الكلماتِ؟ قال: (نعم، مَنْ قالَ خيراً كُنَّ طَابِعاً لهُ على ذلكَ الخيرِ، ومَن قالَ شرًّا، كانتْ كفَّارةً له: سُبْحانَكَ اللَّهمَّ وبحمدِكَ، لا إله إلَّا أنت، أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ)، انتهى.

ثم روى بسندِهِ إلى عليٍّ رضي الله عنه: أنَّه قال: مَن أحبَّ أنْ يكتَالَ بالمكيالِ الأوْفى، فليقلْ آخر مجلسِهِ، أو حين يقومُ: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ* وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ* وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الصافات: 180 ـ 182]، وهوَ وإنْ كانَ موقوفاً على عليٍّ

رضي الله عنه، لكن حكمُه الرَّفع، فافهم.

وقال في (المقدمة): قال عليُّ بن الحسن بن عاصم البيكندي: قدمَ علينا محمَّد بنُ إسماعيل، فقال له رجلٌ من أصحابنا: سمعتُ إسحاقَ بن راهويه يقول: كأني أنظرُ إلى سبعين ألفَ حديثٍ في كتابي، فقال محمَّد بنُ إسماعيل ــ وتعجَّبَ من هذا ــ: لعلَّ في هذا الزَّمان مَن ينظرُ إلى مئتي ألف حديثٍ من كتابه.

وقال محمَّد بن حمدويه: سمعتُ البُخاري يقول: أحفظُ مئة ألف حديثٍ صحيحٍ، وأحفظُ مئتي ألف حديثٍ غير صحيحٍ.

وقال ورَّاقه: سمعتُه يقول: ما نمتُ البارحةَ حتى عددْتُ كمْ أدخلت في تصانيفِي من الحديث، فإذا نحو مئتي ألف.

وقال أيضاً: لو قيل لي شيء لما قمْتُ حتى أروي عشرةَ آلاف حديثٍ في الصَّلاة خاصةً.

وقال أيضاً: قلت له: تحفظُ جميع ما أدخلْتَ في مصنَّفاتك؟ فقال: لا يخفَى عليَّ جميع ما فيها، وصنَّفت جميع كتبي ثلاث مرَّات.

قال: وبلغني أنه شربَ البلاذر، فقلتُ له مرَّة في خلوةٍ: هل من دواءٍ للحفظِ؟ فقال: لا أعلم، ثم أقبلَ عليَّ، فقال: لا أعلمُ شيئاً أنفع للحفظِ من نَهمَة الرجلِ ومداومته النَّظرَ.

وقال: أقمتُ بالمدينة بعد أن حججتُ سنةً جرْداً أكتبُ الحديثَ، قال: وأقمتُ بالبصرة خمس سنين معِي كُتبي أصنِّفُ وأحجُّ، وأرجعُ من مكة إلى البصرة، قال: وأنا أرجو أن يبارِكَ الله تعالى للمسلمين في هذه المصنَّفات.

وقال ورَّاقُه: عملَ كتاباً في الهبة فيه نحو خمس مئة حديثٍ، وقال: ليس في كتاب وكيع في الهبةِ إلا حديثان مسندان أو ثلاثة، وفي كتاب ابن المبارك خمسة أو نحوها.

وقال البخاريَّ: ما جلستُ للتَّحديث حتى عرفْتُ الصَّحيح من السَّقيم، وحتى نظرتُ في كتب أهل الرأي، وما تركتُ بالبصرة حديثاً إلا كتبته.

وقال ورَّاقُه: وسمعته يقول: لا أعلم شيئاً يُحتاجُ إليه إلا وهو في الكتابِ والسُّنة، قال: فقلتُ له: يمكن معرفة ذلك؟ قال: نعم.

وقال فيها أيضاً: قال الخطيبُ: وكتب إليَّ علي بن محمد الجُرْجاني من أصبهان: أنه سمع محمد بن مكي يقول: سمعتُ الفِرَبْري يقول: رأيت النبيَّ صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال

لي: (أين تريد) فقلتُ: أريد محمد بنَ إسماعيل، فقال: أقرئه منِّي السلام.

وقال حاشدُ بن إسماعيل: قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزُّهري: محمَّد بنُ إسماعيل أفقه عندنا وأبصرُ بالحديث من أحمدَ بنِ حنبل: فقال له رجلٌ من جلسائهِ: جاوزتَ الحدَّ، فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكاً، ونظرت إلى وجههِ ووجهِ محمَّد بن إسماعيل، لقلت: كلاهما واحدٌ في الحديث والفقهِ.

وأراد بقوله: ونظرت إلى وجهه: تأمَّلت في معارفهِ.

وقد أكثرَ الأئمَّة والعلماء من الثَّناء عليه، ووصفهِ بالعلمِ والحفظِ، والزهدِ والورعِ، وغير ذلك، ذلك فضْلُ الله يؤتيهِ مَن يشاءُ.

تنبيه: للبخاريِّ رحمه الله تعالى من الكلامِ المنثورِ والمنظومِ ما يفوقُ عِقْدَ الجواهرِ المعلوم.

فمِن المنظومِ المشتملِ على مواعظ وحكم: ما أخرجَهُ الحاكمُ في (تاريخه)، والتَّاج السُّبكي في (طبقاته الكبرى) من قوله رحمه الله تعالى:

~اغتَنِمْ فِي الفَرَاغِ فضْلَ رُكُوعٍ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مَوْتُكَ بَغْتَهْ

~كَمْ صَحِيحٍ رأَيْتَ مِنْ غَيرِ سُقْمٍ ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الصَّحِيحَةُ فَلْتَهْ

قال الحافظ ابن حجر في (المقدمة) بعد إيراد هذين البيتين له: وكان من العجائب أنه هو وقع له ذلك، أو قريب منه، كما ذُكر في وفاتهِ، انتهى.

وقدَّمناهُ أوائل هذه الرِّسالة، فراجعه.

ومن قوله _أيضاً_ لما نُعِيَ إليه الحافظُ عبدُ الله بن عبد الرَّحمنِ الدَّارمي:

إِنْ عِشْتَ تُفْجَعُ بِالأَحِبَّةِ كُلِّهِمْ وفَنَاءُ نَفْسِكَ لَا أبَا لَكَ أَفْجَعُ

ومن قوله:

خَالِقِ النَّاسَ بِخُلْقٍ وَاسِعٍ لا تَكُنْ كَلْباً عَلى النَّاسِ يَهِرّ

ومن قوله:

مثْلُ البَهَائِمِ لا تَرَى آجَالَهَا حتَّى تُسَاقَ إِلَى المجَازِرِ تُنْحَرُ

ولم أقفْ له من الشعر على غير ما ذكر.

وقال التَّاج السُّبكي في (الطبقات الكبرى) بعد إيراد قوله: إن عشت... إلخ، قلت: هذا أحسن وأجمع من قول القائل:

وَمَنْ يُعَمَّرْ يَلْقَ فِي نَفْسِهِ مَا يَتَمَنَّاهُ لِأَعْدَائِهِ

ومن قول الطَّغرائي:

هذَا جزَاءُ امْرِئٍ أقرَانُهُ دَرَجُوا مِنْ قَبْلِهِ فَتَمَنَّى فُسْحَةَ الأَجَلِ

انتهى فتأمله.

ومن المنثورِ الفصيحِ البليغِ المشتمل على فوائد لا يهتدِي إليها إلا الفصيح البليغ:

ما قاله لأبي العبَّاس الوليد بن إبراهيم الهمَدَاني حين طلبَ منه معرفةَ الحديث، ورواية الأخبار وسماعها، من قوله: يا بُنيَّ! لا تدخلْ في أمرٍ إلا بعد معرفة حدودِهِ، والوقوف على مقاديرِهِ، فقال له أبو العبَّاس: عرِّفْني ــ رحمَكَ الله ــ حدودَ ما قصدْتُه، ومقاديرَ ما سألتُك عنه، فقال له: اعلمْ أن الرجلَ لا يصيرُ محدِّثاً إلا بعد أن يكتبَ أربعاً مع أربع، كأربع مثل أربع، في أربع عند أربع، بأربع على أربع، عن أربع لأربع، وكلُّ هذه الرُّباعيات لا تتم إلا بأربع مع أربعٍ، فإذا تمَّتْ له كلها، هانَ عليه أربع، وابتُلِي بأربع، فإذا صبرَ على ذلك، أكرمَه الله تعالى في الدنيا بأربع، وأثابَهُ في الآخرة بأربعٍ، فقلتُ له: فسِّرْ لي ــ رحمك الله ــ ما ذكرتَ من أحوالِ هذه الرُّباعيات عن قلبٍ صاف، بشرحٍ كاف، وبيانٍ شاف، طلباً لأجرٍ وافٍ، فقال: نعم، أما الأربعة التي تحتاج إلى كتبها ــ أي: إلى آخر الأربعات ــ فهي أخبارُ الرسول صلى الله عليه وسلم وشرائعه، والصَّحابة ومقاديرهم، والتابعون وأحوالهم، وسائر العلماء وتواريخهم، مع أسماء رجالهم وكنَاهم وأمكنتهم وأزمنتهم، كالتَّحميد مع الخطب، والدَّعاء مع التوسل، والبسملة مع السور، والتَّكبير مع الصَّلوات، مثل المسندات والمرسلات والموقوفات والمقطوعات، في صغره وفي إدراكه وفي شبابه وفي كهولته، عند شغله وعند فراغه وعند فقره وعند غناه، بالجبال والبحار والبلدان والبراري، على الأحجار والأخزاف والجلود والأكتاف، إلى الوقت الذي يمكنه نقلها إلى الأوراق، عمَّن هو فوقه، وعمَّن هو مثله، وعمَّن هو دونه، وعن كتاب أبيهِ يتيقَّن أنه بخطِّ أبيه دون غيره، لوجهِ الله تعالى، طلباً لمرضاتهِ، وللعمل بما وافقَ كتاب الله منها، ولنشرها بين طالبيها ومحبيها، وللتأليف في إحياء ذكره بعدَهُ.

ثمَّ لا تتمُّ هذه الأشياء إلا بأربع التي هي من كسْبِ العبد؛ أعني: معرفةَ الكتابِ واللُّغة والصَّرف والنحو، مع أربعٍ هي من إعطاءِ الله؛ أعني: الصِّحة والقُدْرة والحرصَ والحفظَ، فإذا تمَّت له هذه الأشياء، هانَ عليه أربع: الأهلُ والمال والولدُ والوطن، وابتليَ بأربع: شماتةِ

الأعداءِ، وملامَةِ الأصدقاء، وطعنِ الجهلاء، وحسَدِ العلماء فإذا صبرَ على هذه المِحَنِ، أكرمَهُ الله تعالى في الدُّنيا بأربعٍ: عزِّ القناعةِ، وهيبةِ النَّفس، ولذَّةِ العلمِ، وحياةِ الأبدِ، وأثابَهُ في الآخرةِ بأربَعٍ: بالشَّفاعة لمن أرادَ من إخوانهِ، وبظلِّ العرشِ حيث لا ظلَّ إلَّا ظله، وبسقي من أرادَ من حوضْ نبيّه صلى الله عليه وسلم، وبجوارِ النَّبيين في أعلى علِّيين في الجنة، فقد أعلمْتُك يا بنيَّ مجملاً بجميعِ ما سمعْتُ من مشايخِي متفرِّقاً ف الباب، فأقبِلِ الآن على ما قصدتَ إليه، أو دعْ.

قال: فهالني قولُهُ، وسكَتُّ متفكِّراً، وأطرقْتُ نادماً، فلمَّا رأى ذلك مني، قال: فإن لا تطق احتمالَ المشاقِّ كلها، فعليك بالفقهِ الذي يمكنُك تعلُّمه، وأنت في بيتِكَ قارٌّ ساكنٌ، لا تحتاج إلى بعدِ الأسفارِ، ووطئ الدِّيار، وركوبِ البحار، وهو مع ذا ثمرةُ الحديث، وليس ثوابُ الفقيهِ بدون ثوابِ المحدِّث في الآخرة، ولا عزُّه بأقل من عزِّ المحدِّث.

فلمَّا سمعتُ ذلك منه، نقضَ عزمِي في طلبِ الحديث، وأقبلْتُ على دراسةِ الفقه وتعلُّمه إلى أن صرتُ فيه متقدماً، ووقفتُ منه على معرفةِ ما أمكنَني من تعلُّمه بتوفيقِ الله تعالى ومنَّتهِ.

وفَّقنا الله تعالى للاشتغال بالحديث والفقه وغيرهما من العلومِ المطلوبة، ونفعنا بذلك في الدنيا والآخرة المرغوبة، وسيأتي من كلام الشافعي أنه قال:

كلُّ العُلُومِ سِوَى القُرْآنِ مَشْغَلَةٌ إِلَّا الحَدَيثَ وإِلَّا الفِقْهَ فِي الدِّينِ

فعليكَ بهذِين العِلْمَين؛ لتَمَيُّزِهما بلا مَيْن.

البَابُ الثَّالثُ

فيما وردَ في أهلِ الحديثِ، ومنهم البُخاري السَّاعي سَعيَهم بالسَّير الحثيثِ.

اعلمْ أنَّ جميعَ ما وردَ في أهلِ الحديثِ والأثرِ، وبيان تفضيلهم، وما قيل فيهم فيما غبَرَ وحضَرَ، ثابتٌ إن شاء الله تعالى للإمام البخاريِّ رضي الله عنه كما عُلم ممَّا مرَّ من ذكر بعض سيرته المرضية.

فممَّا وردَ في ذلك ما رواه الترمذيُّ عن ابنِ مسعود رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (نضَّرَ الله امرأً سمِعَ مَقَالتي فحفِظَها ووعَاهَا وأدَّاهَا، فرُبَّ حامِلِ فقهٍ إلى مَن هوَ أفقهُ منهُ).

ورواهُ الشَّافعي والبيهقيُّ، وكذا رواهُ البزَّار بإسنادٍ حسنٍ، وابن حبَّان في (صحيحه) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، وروي عن معاذ بن جبلٍ، والنُّعمان بن بشيرٍ، وأبي قِرْصَافَة، وأبي الدَّرداء، وغيرهم.

ورواه الحاكمُ في (مستدركه) عن جُبير بن مُطْعم، وقال: صحيحٌ على شرط الشَّيخين.

ورواه أبو داود والترمذيُّ بلفظ:(نضَّرَ اللهُ امرأً سمِعَ منَّا شيئاً، فبلَّغَه كمَا سمعَهُ، فرُبَّ مبَلَّغٍ أوْعَى مِن سامِعٍ) قال الترمذيُّ: حسنٌ صحيحٌ.

وفي رواية صحيحةٍ للترمذيّ أيضاً: (نضَّرَ اللهُ امرأً سمِعَ مَقَالتِي فوعَاهَا، فأدَّاهَا كمَا سمِعَه).

وفي رواية له صحيحةٍ أيضاً: (نضَّرَ اللهُ امرَأً سمِعَ منَّا حدِيثاً، فأدَّاهُ عنَّا كمَا سمعَهُ، فرُبَّ مبَلَّغٍ أوْعَى مِن سامِع).

وفي أُخْرى له صحيحة: (نضَّرَ اللهُ رجُلاً سمِعَ منَّا كلمَةً فبَلَّغَها كمَا سمِعَها، فرُبَّ مبَلَّغٍ أوْعَى مِن سامِعٍ).

وعن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجَّة الوداع: (نضَّرَ اللهُ امرأً سمِعَ مَقَالتِي فوعَاهَا، فرُبَّ حامِلِ فقْهٍ ليسَ بفَقِيه).

قال ابن حجرٍ المكّي في (شرح الأربعين): وليس في قوله: (فوَعَاها فأدَّاها كما سمِعَها) منعٌ لروايَةِ الحديثِ بالمعنى بشروطِهِ، خلافاً لمن زعمَهُ؛ لأنَّ المراد: أدى حُكْمَها لا لَفْظَها؛ بدليل قوله في آخر الحديث: (فربَّ حامل فقهٍ غير فقيه، وربَّ حاملِ فقهٍ إلى مَن هو أفقه منه)؛ إذ الفقه اسم للمعنى، لا للفظِ، انتهى.

وقوله في الحديث: (فربَّ حامل فقه...) إلخ. ربَّ: حرف عند جمهورِ البصريين، خلافاً للكوفيين، والأخفش في أحدِ قوليه، واختارَهُ الرَّضي في دعواهم اسميَّتَه مستدلِّين بأنه أخبر عنه في قوله: إِنْ يَقْتُلوكَ فإنَّ قَتْلَكَ لمْ يَكُنْ عَاراً عَلَيْكَ ورُبَّ قَتْلٍ عَارُ

وردَّهُ في (المغني) بأن (عار) خبر لمحذوفٍ، والجملة صفة لمجرور (ربَّ)، وبأنه خبر للمجرور بها؛ إذ هو في موضعِ مبتدأ، ولها صدرُ الكلام.

وليس معناها التَّقليل دائماً، خلافاً للأكثرين، ولا التَّكثير دائماً، خلافاً لابن درستويه وجماعة، ولا التَّقليل في أكثرِ الأوقات، خلافاً لقومٍ، ولا التَّكثير في موضعِ المباهاةِ والافتخارِ دون غيره، خلافاً لفرقة، ولا الإثبات دون تقليلٍ أو تكثيرٍ بحسب الوضْعِ، وإنما ذلك مستفادٌ

من السِّياق، خلافاً لآخرين.

واختار في (المغني) أنها تردُ للتَّكثير كثيراً، وللتَّقليل قليلاً، وهو في ذلك تابعٌ لابن مالك في (تسهيله) حيث قال فيه: وليست اسماً، خلافاً للكوفيين والأخفش في أحد قوليه، بل هي حرفُ تكثير وفاقاً لسيبويه، والتَّقليل بها نادر.

واختار ابنُ الحاجبِ في(كافيته) أنها للتَّقليل، قال الجامِي: وهذا أصلها، ثم تستعملُ في معنى التَّكثير كالحقيقةِ، وفي التَّقليل كالمجازِ المحتاجِ إلى قرينة، انتهى.

وقوله:(نَضَر) بفتح النون والضاد المعجمة الخفيفة، ورجَّحه بعضُهم، وجرى عليه الرُّوياني في (بحره). وروي بتشديد الضاد، بل قال النَّووي: وهو الكثيرُ من النُّضْرة، وهي الحسنُ والرَّونق، والمعنى: خصَّه الله بالبُهْجة والسُّرور؛ لأنَّه سعَى في نضارَةِ العلمِ وتجديدِ السنَّة فجازاهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من دعائهِ له بما يُناسبُ حاله في المعاملَةِ، ولأنَّ من حفظَ ما سمِعَهُ وأدَّاه كما سمِعَه من غير تغيير، كأنه جعلَ المعنى غضًّا طريًّا.

وقال بعضهم: معنى الحديث: أوصله الله تعالى إلى نضرة الجنَّة، وهو نعيمها، قال الله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾[المطففين: 24].

وقال بعضٌ آخر: ليس هذا من الحُسْن في الوجهِ، وإنما معناه: حسَّنَ الله وجهَهُ في الناس؛ أي: جاهَهُ وقدرَهُ فيهم، فهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (اطلبُوا الخيرَ ــ وفي روايةٍ: الحوائجَ ــ من حسانِ الوجوه)، يعني: من وجوهِ الناس، وذوِي الأقدارِ.

وردَّه ابنُ حجر المكي بأنه بعيدٌ، مخالفٌ للظَّاهر من غير حاملٍ عليه، قال: وليس نظير حديث:(اطلبُوا الحوائج) لذكرِهِ الوجوهَ فيه المحتمل؛ لأن يرادَ بها جمع وجْهٍ من الوجاهَةِ، وهي التَّقدم وعلو القدر.

وحكى ابنُ العربي عن ابن بشْكُوال أنه بالصاد المهملة، وهو شاذٌّ، انتهى.

وعلى الصاد المهملة، فهو بتخفيفها، وفي رواية: (أنضر) بهمزة أوله، وبالضاد المعجمة.

واعلمْ أنَّه وردَ حديث: (اطلبُوا الخيرَ عندَ حسانِ الوجوه) بروايات مختلفةٍ من طرقٍ كثيرةٍ، عن أنس، وجابر، وعائشة، وابن عباس، وغيرهم، وهي وإنْ كانت ضعيفة، فليس الحديث بموضوع، بل هو مشهور، قد يكتسبُ الحسن لغيره، لتعدُّد طُرُقه، وقد استوفينَاهَا وألفاظه برواياته وما قيل فيه قديماً وحديثاً من نظمهِ في (كشف الخفاء ومزيل الإلباس)، وقد قلتُ في

ذلك متشبّهاً بهم:

يا مَنْ سَبَى بالحُسْنِ كُلَّ فَقِيهِ واستُجمِعَتْ عُلْيَا المكَارِمِ فيهِ

جُدْ لي بخَيْرٍ فهُوَ خيرٌ قدْ أَتَى فيهِ حدِيثٌ صَالحٌ نَرْويهِ

مَا أنَّ معْنَاهُ اطْلُبُوا مِنْ خَيْرِكُم الخيرَ أَعْني من حِسَانِ وُجُوهِ

وقيل: خصَّ الفقهَ بالذكرِ دون العلم؛ للإشعار بأن الحامل له ليس بعارٍ من العلم؛ إذ الفقه: العلمُ بدقائق العلوم المستنبَطَةِ من الأقيسةِ، ولو قال: غيرُ عالم، لزمَ جهله، انتهى.

وما ذكرَهُ في معنَى الفقهِ خلافُ الراجحِ المشهورِ من أنه العلمُ مطلقاً فقهاً كان أو لا؛ فقد قالوا: الفقه لغةً: الفهمُ مطلقاً، وقيل: فهمُ ما دقَّ من المعنى، واصطلاحاً: العلمُ بالأحكامِ الشَّرعيَّة العمليَّة، المكتسب منْ أدلَّتها التفصيليَّةِ.

ولا يختص إشعار الحديث بما ذكر على القيلِ، بل يبقَى الإشعار المذكور، وإن حمل الفقه على المشهور، وإن أوهمَه كلامُ بعضهم على أنَّ قوله: (غير عالم) مساوٍ لقوله: (ليس بفقيهٍ)، فتدبر.

وقد نظم بعضُهم هذا الحديث عاقداً له بقوله:

مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الحدِيْثِ فَإِنَّهُ ذو نُضْرةٍ في وجْهِهِ نُورٌ سَطَعْ

إِنَّ النَّبيَّ دَعَا بنُضْرَةِ وجْهِ مَنْ أَدَّى الحدِيثَ كَمَا تحَمَّلَ واستَمَعْ

ويحتملُ الحديثُ أن يكون إخبَاراً من النبيّ صلى الله عليه وسلم بنضرَةِ وجهِ أهل الحديث، وقد عقدَهُ بعضُهم على وجه يحتَمِلُ الدُّعاءَ والإخبارَ، حيث قال:

انظرْ لحفَّاظِ أنْبَاءِ النَّبيّ تجِدْ مَا لا نظيْرَ لهُ مِنْ نُضْرةِ النَّظَرِ

هَذِي الرّياضُ لكُمْ قدْ زُخرِفَتْ كَرَماً مِنْ رَبّكُم فارْتَعُوا في مُلْكِ مُقْتَدِرِ

وبَادِرُوا وابْذُرُوا فيْهَا بِذَارَ تُقًى تجْنُوا بدَارِ بَقَاءٍ أطْيَبَ الثَّمَرِ

واستَمْطِرُوا رحْمَةَ اللهِ الكَريمِ عَلى رُوْحِ البُخَارِي راوِيْ أرْجَح الأثَرِ

ومما ينسبُ للجلال السُّيوطي مبيناً فيه سرَّ نضَارةِ وجوهِ أهل الحديث، وقد أجادَ حيث أفاد:

أَهْلُ الحَدِيثِ لهُمْ مَفَاخِرُ ظاهِرَة وهُمُ نجُومٌ في البريَّةِ زَاهِرَة

في كلِّ عَصْرٍ قدْ ثَوَوا تَلْقَاهُمُ حَقًّا لأَعْدَاءِ الشَّرِيعَةِ قاهِرَة

بالنُّورِ قدْ مُلِئتْ حُشاشَةُ صَدْرِهم فَلِذَا وجُوهُهُم تَرَاهَا ناضِرَة

وممَّا وردَ من الأحاديثِ الدَّالة على فضلِ أهلِ الحديثِ ما رواه الطَّبراني في (الأوسط) عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (اللَّهمَّ ارحَمْ خُلَفَائي) قلنا: يا رسولَ الله! ومن خلفَاؤكَ؟ قال: (الذين يَرْوونَ أحادِيثِي ويُعَلِّمونَهَا الناسَ).

ولا يخفَى أنَّ أداءَ السُّنن وتعليمها للمسلمين نصيحة لهم، وهي من وظائفِ الأنبياءِ والمرسلين عليهم الصَّلاة والسَّلام أجمعين، فمَن قامَ بذلك، كان خليفةً لمن يبلغ عنه، وكما أنَّ الأنبياء عليهم السلام لم يهملوا أعداءهُم من النَّصيحة، كذلك لا يليقُ ولا ينبغِي لطالبِ الحديثِ وناقلِ السنَّة أن يمنحَهَا أصدقاءَه فقط، ويمنعَهَا من أعدائهِ، فعلى العالم بالسنَّة أن يجعلَ أكبرَ همِّه وأعظمَه نشرهَا وتبليغها للناسِ، فقد أمرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بالتبليغِ عنه، حيث قال فيما رواه البُخاري وأحمد والترمذيُّ عن ابنِ عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً: (بَلِّغوا عنِّي ولو آيةً، وحدِّثُوا عن بَنِي إسرائيلَ ولا حرَجَ، ومَنْ كذَبَ عليَّ متَعَمِّداً، فليَتَبوَّأْ مقْعَدَهُ مِن النَّار). قال المظْهِري: أي: بلِّغوا عنِّي أحاديثي، ولو كانت قليلة. وقال البيضاويُّ: قال في الحديث: ولو آية، ولم يقل ولو حديثاً؛ لأنَّ الأمرَ بتبليغِ الحديثِ يفهمُ منه بالطَّريق الأولى؛ فإنَّ الآيات مع شُهْرتها وانتشارِهَا وكثرةِ حملتها، تكفَّلَ الله تعالى بحفظِهَا وصونِهَا عن الضَّياع والتَّحريف، فإذا أمرَ بتبليغِهَا، وهي بهذه المثابةِ، فالحديثُ أولى.

وقال الإمامُ مالكٌ رحمه الله تعالى: بلغني أنَّ العلماءَ يُسألون يوم القيامة عن تبليغِهِم العلم كما يُسأل الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام.

وقال سفيان الثَّوري: لا أعلمُ علماً أفضلَ من طلبِ الحديث لمن أرادَ به وجْهَ الله تعالى؛ فإن الناس يحتاجونَ إليه، حتى في طعامِهِم وشرابهم، فهو أفضلُ من التَّطوع بالصَّلاة والصوم؛ لأنَّه فرضُ كفايةٍ ولأنَّ نفعَه متعدٍّ.

ومنها ما رواه أبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: (العلمُ ثلاثةٌ: آيةٌ محكمَةٌ، أو سنَّةٌ قائمةٌ، أو فريضَةٌ عادِلةٌ، وما سِوى ذلك، فهو فضْل).

قال في (شرح المشكا): التعريفُ في العلمِ للعهدِ، وهو ما عُلِمَ من الشَّارع، وهو العلمُ النافعُ في الدين، وحينئذٍ فالعلمُ في الحديث مطلقٌ، فينبغِي تقييدُهُ بما يُفْهم منه المقصُود، فيقال: علم الشَّريعة معرفةُ ثلاثة أشياء: آيةٌ... إلخ، قال: والمرادُ بالآيةِ المحكمَةِ: كتاب الله تعالى، وما

يتوقَّف عليه.

قال: لأنَّ المحْكَمة هي الَّتي أحكمتْ عبارتها، بأن حُفظتْ من الاحتمالِ والاشتباه، فكانت أمَّ الكتاب، فتُحمل المتشابهات عليها وترد إليها، ولا يتمُّ ذلك إلا للماهرِ في علمِ التَّفسير والتَّأويلِ، الحائز لمقدِّمات يفتقرُ إليها من الأصلين وأقسام العربيَّة، ويحتمل أن يرادَ بالآية المحكمة ما لم يُنسخْ؛ لأنها محكمةٌ لبقاء حكمها وعدم نسخهِ.

قال: والمرادُ بقيام السنَّة: ثباتها ودوامُها بالمحافظةِ عليها، مِن قامَتْ السذُوق: إذا نفقَتْ؛ لأنها إذا حوفظ عليها، كانت كالشيء النَّافق الذي تميلُ إليه الرَّغبات، ويتنافسُ فيه المخلصُون بالطَّلبات.

ودوامُها بحفظِ أسانيدها؛ من معرفةِ أسماء الرِّجال، والجرحِ والتَّعديل، ومعرفة الأقسام؛ من الصَّحيح والحسنِ والضَّعيف، المتفرعِ عنها أنواع كثيرة، وما يتصلُ بها من المتمِّمات من علم الاصطلاح، أو بحفظِ متونها من التَّغييرِ والتَّبديل بالإتقانِ، وتفهُّم معَانيها، واستنباطِ العلوم منها؛ لأنَّ جُلَّها بل كُلَّها من جوامعِ كلمِهِ صلى الله عليه وسلم التي اختَصَّ بها، لا سيَّما مثل هذا. والمرادُ بالفريضَةِ العادلةِ: المستقيمة المستنبطة من الكتابِ والسنَّةِ والإجماعِ.

والمرادُ بما سوى ذلك: المعدودُ من الفضل بمعنى الزائد: ما لا دخلَ له في أصولِ علوم الدين، بل ربما يستعاذُ منه، كقوله عليه السلام في حديثٍ رواه أبو داود، والنَّسائي، والحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً: (اللَّهمَّ إِنِّي أعوذُ بك من قلبٍ لا يخشَعُ، ومِن دعاءٍ لا يسمَعُ، ومِن نفْسٍ لا تشبَعُ، ومِن علْمٍ لا ينفَعُ، أعوذُ بك منْ هؤلاء الأرْبَعِ).

ومنها ما رواه ابنُ عدي من طرق كثيرةٍ كلها ضعيفة، لكن بتعددها يتقوَّى الحديثُ فيصيرُ حسناً لغيرِهِ ـ كما جزمَ به العلائي ـ عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يحمِلُ هذا العلمَ مِن كلِّ خلَفٍ عدُولُهُ، ينْفُون عنه تحريفَ الغَالينَ، وانتحَالَ المبْطِلينَ، وتَأْويلَ الجَاهِلينَ).

فقوله: (ينفونَ عنه تحريفَ الغَالينَ)؛ أي: تغيير المتجَاوزين الحدَّ، مِن غَلا الأمرُ غلواً: جاوزَ حدَّه، كما في (القاموس) وغيره، فالغالين: بالغين المعجمة واللام الخفيفة، لا بالضاد السَّاقطة واللام الشَّديدة، كما قد يحرفُ بذلك. وقوله: (وانتحال) بالحاء المهملة؛ أي: ادِّعاء المبْطِلين ما ليسَ لهم.

وقوله: (خَلَف) بفتح الخاء المعجمة واللام وبالفاء لا بالقاف، كما قد يتوهم، أي: من يخلف غيره. و(عُدُولُه) بضم العين، جمع عَدْل؛ بفتحها، فاعل (يحمل)، والمراد به: عدل الرواية.

وفي تخصيصِ حملة السنَّة والحديث بهذه المنقبة العليَّة تعظيم هذه الأمَّة المحمَّدية وبيان جلالة قدر أهلِ الحديث وعلوّ مرتبتهم في العالمين؛ لأنهم الحافظون مشارعَ الشريعةِ ومتونَ الرواياتِ من تحريف المحرِّفين، وتأويلِ الجهلة القاصِرين، وزيغِ المبطلين.

قال النوويُّ في أوائل (تهذيب الأسماء واللغات): هذا إخبارٌ منه صلى الله عليه وسلم بصيانة هذا العلمِ، وحفظِهِ، وعدالةِ ناقليه، وأن الله تعالى يوفِّق له في كلِّ عصرٍ خلفاً من العُدول يحملونه وينفونَ عنه التَّحريف فلا يضيعُ، وفي هذا تصريحٌ بعدالَةِ حامليهِ في كلِّ عصرٍ، وهكذا وقع ولله الحمد، وهو من أعلامِ النُّبوَّة، ولا يضر كون بعضِ الفسَّاق يعرف شيئاً من علمِ الحديث فإنَّ الحديث إنما هو إخبارٌ بأن العُدُول يحملونه لا أنَّ غيرهُم لا يعرف شيئاً منه، انتهى.

وأجاب غيرُه بأن اللام في (العلم) للعهد؛ أي: العلم النَّافع، وبأنه دعاء لا إخبار بأنه يحمله العُدول، واعتُرض بأنَّه بعيدٌ لفظاً ومعنى.

وأُجيب ــ أيضاً ــ بأن ما يعرفُه الفسَّاق من العلمِ ليس بعلمٍ حقيقيٍّ لعدم عملهم به، كما أشارَ إلى ذلك الإمامُ الشَّافعي رضي الله عنه بقوله:

ولا العِلْمُ إلَّا مَعَ التُّقى ولَا العَقْلُ إلَّا معَ الأَدَبِ

وكما صرَّح بنظيرهِ السَّعد التَّفتَازاني في قول (التلخيص): وقد ينزَّلُ العالمُ منزلةَ الجاهلِ.

قال: لعدمِ جريهِ على مُوجب علمه، فإن من لا يجرِي على مقتضَى العلمِ هو والجاهل سواء، كما يقال للعالم التَّارك الصَّلاةَ: الصلاةُ واجبةٌ؛ لأن موجبَ العلمِ العملُ، وللسَّائل العارف بما بين يديكَ: ما هو؟ هو كتاب؛ لأن موجبَ العلمِ ترك السُّؤال ومثله: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾[طه: 18] في جواب: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[طه: 17] ونظائره كثيرةٌ بحسب كثرةِ مُوجبات العلم.

قال صاحب (المفتاح): وإن شئتَ فعليكَ بكلامِ ربِّ العزَّة تعالى، انتهى.

والأولى فيه أن يقال: وقد يُسَاقُ المعلومُ مسَاقَ غيره، ومِن ثمَّ عبَّر عنه بعضهم بأنه سوقُ المعلوم مسَاقَ المجهولِ، أو مساقَ غيرهِ؛ لأنَّ التعبيرَ الأوَّل لا يخلو من نوعِ سوءِ أدبٍ في

القرآنِ العزيزِ، فتدبر.

تنبيه: في هذا الحديث إشارةٌ إلى أنَّ هذه الأمَّة كما تحفظُ متن الحديثِ تحفظُ إسنادَهُ وتبحثُ عدالةَ رجالهِ وحفظَهِم وغير ذلك، وهو منقبَةٌ لها وفضيلةُ وخصيصَةٌ اختصَّتْ به عن سائرِ الأمم.

ففي (المواهب اللدنية) للقسطَلاني في مبحث: خصائص هذه الأمَّة المحمَّدية ما نصُّه.

ومنها: أنهم أوتوا الإسنادَ، وهو خصيصةٌ فاضلةٌ من خصائصِ هذه الأمَّة، وسنَّةٌ بالغَةٌ من السنن المؤكَّدة روينا من طريق أبي العباس الدغولي قال: سمعتُ محمد بن حاتم بن المظفر يقول: إنَّ الله تعالى قد أكرمَ هذه الأمَّة وشرَّفها وفضَّلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلِّها قديمها وحديثِها إسناد، إنما هو صُحُفٌ في أيديهم، وقد خلطُوا بكتبِهِم من الأخبارِ التي أخذوها عن غيرِ الثِّقات.

وهذه الأمَّة الشريفة زادها الله شرفاً بنبيها صلى الله عليه وسلم إنما تنصُّ الحديثَ عن الثِّقة المعروف في زمانهِ بالصِّدق والعَدَالة عن مثلهِ حتى تتنَاهى أخبَارُهم، ثمَّ يبحثونَ أشدَّ البحثِ حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ، والأضبط فالأضبط، والأطول مجالسةً لمن فوقَه ممَّن كان أقصرَ مجالسةً، ثم يكتبون الحديثَ من عشرين وجهاً فأكثرُ حتى يهذبوه من الغلطِ والزَّلل، ويضبطُوا حروفَهُ ويعدُّوه عدًّا، وهذا من فضل الله تعالى على هذه الأمَّة، فنستودعُ الله تعالى شكرَ هذه النِّعمة وغيرها من نعمهِ تعالى.

وقال أبو حاتم الرَّازي: لم يكن في أمةٍ من الأُمَم منذ خلق الله تعالى آدمَ أمناءَ يحفظون آثار الرسلِ إلا في هذه الأمَّة، انتهى.

وفي حاشيتهَا لشيخ مشايخنا الشيخ علي الشبرامَلِّسِي ما نصُّه: أخرج الحاكمُ وأبو نُعيم وابن عساكر عن علي رضي الله عنه أنه عليه الصَّلاة والسَّلام، قال: (إذا كتبتُم الحديث ــ أي: عني ــ فاكتبُوه بإسنادهِ، فإنْ يك حقًّا كنتُم شُركاءَ في الأجْرِ لمنْ رواهُ من الرِّجالِ، وإنْ يكُ باطِلاً كان وزرُهُ عليهِ) أي: إثمُه على من تعمَّد الكذبَ؛ لأنَّ كتابةَ الحديثِ بلا سندٍ فيه خلطٌ للصَّحيح بالضعيف، بل وبالموضوعِ، فيقعُ الزللُ، وينسِبُ للرسولِ ما لم يقلْ، وإذا كتبَه بإسنادِهِ برئ الكاتب من عهدتِهِ.

قال الإمامُ الشَّافعي رحمه الله تعالى: الذي يطلبُ الحديث بلا سنَدٍ كحاطِبِ ليلٍ يحملُ

الحطبَ وفيه أفعَى وهو لا يدري.

وقال سفيان الثَّوري: السَّند سلاحُ المؤمن، فإذا لم يكنْ معكَ سلاح فبِمَ تقاتل، وقال عبد الله بنُ المبارك: طالِبُ العلمِ بلا سنَدٍ كراقِي السَّطح بلا سلم، وفي هذا الخبرِ ردٌّ على من كرِهِ كتابةَ الحديثِ من السَّلف، والنَّهيُ عنه في خبرٍ آخرَ منسوخٌ أو مؤولٌ؛ أي: بحملِهِ على الزَّمن النَّبوي مخافةَ الاشتباهِ بالقرآنِ.

وفيه بيانُ جلالة قدْرِ المحدِّثين وعلو مرتبتهم، كيف وعلمُ الرواية أقوى أركانِ الدين، وأوثق عرَى اليقين، لا يرغبُ في نشرِهِ إلَّا كل صادقٍ تقي، ولا يزهدُ في نصرِهِ إلا كل منافقٍ شقي.

قال ابن القطَّان: ليس في الدنيا مبتدعٌ إلا وهو يبغضُ أهل الحديث.

وقال الطُّوسي: قربُ الأسانيد قربٌ إلى الله تعالى.

وقال الحاكمُ: لولا كثرة مواظبة طائفة المحدِّثين على حفظِ الأسانيد لدرس مَنَار الإسلام، ولتمكَّن أهلُ الإلحاد والمبتدعةِ من قلبِ الأسانيد والوضع، انتهى.

وقدَّمنا أول الباب الثاني زيادة على ما ذكره فليراجع.

ومِن الأحاديثِ الدَّالة على شرفِ الحديثِ وأهلِهِ أيضاً ما رواه ابنُ ماجه عن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه أنه قال: سيأتيْكُم أقوامٌ يطلبونَ العلمَ، فإذا رأيتُمُوهم فقولوا لهم: مرْحباً بوصيَّة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأفتُوهُم، وقد نظمَه بعضهم عاقداً له بقوله:

لقَدْ أوْصَى النَّبيُّ الصَّحْبَ يَوْماً بقَوْمٍ يَسْأَلونَ العِلْمَ عنْهُ

إِذَا جَاءوهُم أَنْ يُكْرِمُوهُم ويُنْبُئوهُم بمَا سَمِعُوهُ منْهُ

فمَنْ طَلَبَ الحدَيْثَ فجَلَّ قدْراً ولَا يُدْرِكْ لَهُ كُنْهٌ فكُنْهُ

ومنها ما رواه الشِّيرازي عن أبي الدَّرداء، وابنُ الجوزي في (العلل) عن النُّعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (يُوزَنُ يومَ القِيَامَةِ مدَادُ العلمَاءِ ودَمُ الشُّهدَاءِ فيرجَحُ مِدادُ العُلمَاءِ عَلى دَمِ الشُّهداءِ) وقد عقدَهُ بعضُهم فقال:

يَا طَالِبِي عِلْم النَّبيِّ محمَّدٍ مَا أنتُمُ وسِوَاكُمُ بِسَواءِ

فمِدادُ مَا تجْرِي بهِ أَقْلامُكُم أَزْكَى وأَرْجَحُ مِن دَمِ الشُّهدَاءِ

ومنها ما رواه الترمذيُّ وابن حبَّان في (صحيحهما) عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه أنَّه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ أوْلى الناسِ بي يومَ القيامَةِ أكثرُهُم علَيَّ

صَلاةً).

قال ابن حبَّان: في هذا الحديثِ بيانٌ صحيحٌ على أنَّ أولى النَّاسِ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامَةِ أصحابُ الحديثِ؛ إذْ ليسَ من هذهِ الأمَّة قومٌ أكثرَ صلاةً عليه منهم.

وقال غيرُهُ: المخصوصُ بهذا الحديثِ نقلَةُ الأخبارِ الذين يكتبونَ الأحادِيثَ ويذبُّون عنها الكذبَ آناءَ اللَّيلِ وأطرافَ النَّهارِ.

وورد في حديثٍ سندُه حسنٌ غريبٌ كما في (الجوهر المنظم) أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ صلَّى عليَّ في كلِّ يومٍ مائة مرَّة قَضَى الله لهُ مائة حاجةٍ سبعينَ لآخرتِهِ وثلاثينَ لدُنْيَاه)، ومن الأحاديثِ الدَّالة على فضْلِهم ما رواه الطَّبراني في ((معجمه الكبير)) عن أنس قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (إذَا كانَ يومُ القيامةِ يجيءُ أصحابُ الحديثِ ومعَهُم المحابرُ ولحبرِهِم خلوفٌ يفوحُ فيقولُ الله عزَّ وجلَّ لهم: أنتُم أصحابُ الحديثِ طَالما كنتُمْ تصلُّون على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم انطلقُوا بهِمْ إلى الجنَّة).

وروى الترمذيُّ في (جامعه) وقال: حسنٌ صحيحٌ عن قرَّة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذَا فسَدَ أهلُ الشَّامِ فلا خيرَ فيكُمْ لا تزَالُ طائفَةٌ مِن أمَّتي منصُورينَ لا يضرُّهُم مَن خَذَلهُم حتَّى تقومَ السَّاعة).

قال البُخاريُّ: قال عليُّ بن المدِيني: همْ أصحابُ الحديثِ.

ووردَ هذا الحديث بروايات أُخَر.

وقال ابنُ عساكر: ليهنَ أهل الحديث فإنَّ الله تعالى قد آثرهُم بهذهِ البُشرى وأتمَّ عليهم نعمَهُ بهذِهِ الفضيلةِ الكُبْرى فإنَّهم أولى النَّاس بنبيِّهم؛ لأنهم يخلِّدون ذكرَهُ في طُرُوسهم ويجدِّدون الصَّلاة والتَّسليم عليه في معظَمِ الأوقاتِ لا سيَّما في مجالس مُذاكرتهم وتحديثِهِم ودروسِهِم، فهم إن شاء الله تعالى الفرقةُ النَّاجية.

وقال محمَّد بنُ عبد الله بن بشر: رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في المنام فقلتُ له: مَن الفرقة النَّاجية من ثلاث وسبعين فرقة؟ قال: أنتمْ يا أصحابَ الحديثِ جعلَنَا الله تعالى منهم وحشَرَنا في زمرتِهِم.

وقال الخليلُ بنُ أحمد: إن لم يكنْ أهلُ القرآنِ وأهلُ الحديثِ أولياء الله تعالى فليسَ لله في الأرضِ ولي.

وقال يزيدُ بنُ هارون: إذا لم يكنْ أصحابُ الحديث الأبدال فلا أدرِي مَن هُم.
وقال ابنُ حجر المكِّي في (فتاويه الحديثية) قال يزيدُ بنُ هارون: الأبدالُ هم أهلُ العلم ــ أي: النافع ــ الذي هو علمُ الظَّاهر والباطنِ لا علم الظَّاهر وحدَهُ.
وقال الإمامُ أحمدُ: إن لم يكونوا هُم أصحاب الحديثِ فمَن هم.
ومرادُه بأصحابِ الحديث من هو مثله ممَّن جمعَ بين علمَي الظَّاهر والباطن، وأحاطَ بالأحكام والحكم والمعارف كالأئمَّة الأربعة الشَّافعي ومالك وأبي حنيفةَ وأحمد ونظرائهِم، فإنَّ هؤلاء خيارُ الأبدَالِ والنُّجبَاء والأوتادِ.
قال: فاحذرْ أن تُسيءَ الظنَّ بأحد من مثلِ أولئك، وأنْ يستوليَ عليكَ الشَّيطان، ومَن استولى عليه لم يهتدِ بنورِ المعرفةِ إلى أنَّ أئمَّة الفقهاء والمجتهدين لم يبلغوا تلك المراتب.
وقد اتَّفقوا على أن الشَّافعي رحمه الله كان من الأوتادِ، وفي رواية: أنَّه تقطَّبَ قبلَ موتهِ، وكذلك جاء عن بعضِ تابعيهِ كالإمام النَّووي وغيره رضي الله عنهم أجمعين، انتهى.
وقال ابنُ عيسى في قوله تعالى: ﴿وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾[النساء: 69] قال: الصَّالحون أصحابُ الحديث.
وقال الشَّافعي: إذا رأيتُ رجلاً من أصحابِ الحديث فكأني رأيتُ رجلاً من أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.
ونقل ابنُ ناصر الدِّين في (إتحاف السامع) أن سفيان الثَّوري قال: الملائكةُ حرَّاس السماء، وأصحابُ الحديث حرَّاس الأرض.
ونقل فيه أيضاً عن يزيد بن زُرَيع أنه قال: لكُلِّ دينٍ فرسَانٌ وفُرْسَان هذا الدين أصحاب الأسانيد.
ونقل فيه عن كهْمَس الهمَدَاني أنه قال: من لم يتحقَّق أنَّ أهل الحديثِ حفظةُ الدين، فإنَّه يعد في ضعفاءِ المساكين الذين لا يدينونَ الله تعالى بدينٍ يقول الله عزَّ وجلَّ لنبيِّه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾[الزمر: 23]، ويقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: حدَّثني جبريلُ عن الله عزَّ وجلَّ.
ونقلَ فيه عن إبراهيم بن أدهم أنه قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ يدفعُ البلاء عن هذهِ الأمَّة برحلةِ أصحابِ الحديث.

ونقلَ فيه ـ أيضاً ـ أنَّ صالح بن أحمد بن حنبل قال: سمعتُ أبي يقول: من يعظِّم أصحابَ الحديث يعظُم في عين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، ومَن حقَّرَهُم سقطَ من عينِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فإنَّ أصحابَ الحديثِ أحبابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، انتهى.

وقال الأوزاعيُّ: عليك بالأثرِ وإن رفضَك الناس، وإيَّاك وآراء الرِّجال وإنْ زخرفُوه لك بالقولِ فإنَّ الأمرَ ينجلِي وأنت على طريقٍ مستقيمٍ.

وقال الشَّعبي: هلكتُم حين تركتُم الآثار وأخذْتُم بغيرها.

ولله درُّ بعضهم حيث قال:

جَزَى اللهُ أصْحابَ الحدِيثِ مثُوبةً وبَوَّأَهُمْ في الخُلدِ أعْلى المنَازِلِ

فَلَولا اعتِنَاءهُمْ بالحَديثِ وحفْظِهِ ونفيُهُمُ عنْهُ صُروفَ الأبَاطِلِ

وإنْفاقُهُم أعْمارَهُمْ في طِلابِهِ وبحثِهِمُ عَنهُ بجِدٍّ مُواصِلِ

لما كانَ يَدْري مَنْ غَدا مُتفقِّهاً صَحيحَ حَديثٍ منِ سَقيمٍ وباطِلِ

ولم يَستَبِنْ ما كانَ في الذِّكْرِ مُجمَلاً ولمْ يَدْرِ فَرْضاً مِنْ عُمُوم النَّوافِلِ

وقَدْ بَذَلُوا فيهِ نُفوساً نفيسَةً وبَاعُوا بحَظٍّ آجِلٍ كُلَّ عاجِلِ

فحبُّهُمُ فَرْضٌ علَى كُلِّ مُسلِمٍ وليْسَ يُعادِيهمْ سِوَى كُلِّ جاهِلِ

وقال أبو بكر بنُ الأنباري: قد ذكر الخليلُ بن أحمد في مجلسه:

مَا ماتَ مَنْ كانَ مَذْكُوراً روايَتُهُ قدْ مَاتَ قَومٌ وهُمْ في النَّاسِ أَحْياءُ

وعَاشَ قَومٌ ولمْ تُذْكَر مآثِرُهُم فَمَا تَذَكُّرهُم والقَومُ أَحْياءُ

وقال أبو محمَّد هبةُ الله بنُ الحسن الشِّيرازي:

علَيكَ بأَصْحَابِ الحدِيثِ فإنَّهُم عَلى منْهَجٍ للدِّينِ مَا زَالَ مَعْلَماً

ومَا النُّورُ إلَّا في الحدِيثِ وأهْلِهِ إذَا مَا دَجَا اللَّيلُ البَهِيمُ وأظْلَمَا

وأَعْلى البَرَايا مَنْ إلى السُّنَن اعتَرَى وأَغْوَى البَرَايا مَنْ إلى البِدعِ انْتَمَى

ومَنْ تَرَكَ الآثَارَ قدْ ضَلَّ سَعْيُه وهَلْ يترُكُ الآثَارَ مَنْ كَانَ مُسْلِماً

وقال عبدُ الله بنُ أحمد بن تمام:

أهْلُ الحدِيثِ إذَا عُدُّو لهُمْ شَرَفٌ بنِسْبَةِ مِنْ رَسُولِ اللهِ تَتَّصِلُ

حازُوا مِنَ الشَّرَفِ الأعْلَى مَآثِرَهُ وقَدْ زَكَا لهُمُ الإخْلاصُ والعَمَلُ

مَا آثرُوا غيْرَ آثارِ النَّبيّ هُدًى وعَنْ طَرِيقِ الهُدَى يَوْماً فَما عَدَلُوا

ولله درُّ أبي طاهرٍ أحمد بنِ محمَّد السِّلَفِي حيثُ قال:

إنَّ عِلْمَ الحدِيثِ عِلْمُ رِجَالٍ تَرَكُوا الابتِدَاعَ للاتِّبَاعِ

فإذَا اللَّيلُ جَنَّهُم كتَبُوهُ وإذَا أَصْبَحُوا غَدَوا للسَّمَاعِ

فلَهُم في المِعَادِ خَيرُ مَقَامٍ شَارَكُوا الأنْبِياءَ في الاتِّبَاعِ

ولله درُّ إمامنا الشَّافعي رضي الله عنه وأرضاهُ حيث قال:

كلُّ العُلومِ سِوَى القُرْآنِ مَشْغَلَة إلَّا الحَدِيثَ وإلَّا الفِقْهَ في الدِّينِ

كلاهُمَا وَحْيُ رَبِّ النَّاسِ أهْلُهُما يومَ القِيامَةِ في صَفِّ النَّبْيين

وما أحسنَ قول أبي بكر حُميد القُرطبي رحمه الله:

نورُ الحدِيثِ مُبِينٌ فادْنُ واقتَبِس واحْدُ الرِّكابَ لهُ نحْو الرِّضَى النَّدَسِ

واطْلُبْهُ بالصِّينِ فهْوَ العِلْمُ إنْ رُفِعَتْ أعْلامُه برَباهَا يا ابْنَ أنْدَلُسِ

فَلا تُضِعْ في سِوَى تَقْييدِ شَارِدِهِ عُمْراً يفُوتُكَ بينَ اللَّحْظِ والنَّفَسِ

وخَلِّ سمْعَكَ عنْ بَلْوى أَخِي جَدَلٍ شُغْلُ اللَّبيبِ بِهَا ضَرْبٌ مِنَ الهَوَسِ

مَا إِنْ سَمَتْ بأَبِي بَكْرٍ ولَا عُمَر وَلا أتَتْ عَنْ أبِي ذرٍّ ولَا أَنَسِ

إلا هَوًى وخُصُوماتٌ مُلفَّقَة ليسَتْ برَطْبٍ إذَا عُدَّتْ ولا يَبَسِ

فلَا يَغُرَّكَ مِن أَرْبابِهَا هَذَرٌ أجْدَى لوَجْهِك منْهَا نَغْمَة الجَرَسِ

أعِرْهُم أُذُناً صُمًّا إذَا نَطَقُوا وكُنْ إذَا سَألُوا تُعْزَى إلى خَرَسِ

مَا العِلمُ إلَّا كِتَابُ اللهِ أوْ أثَرٌ يجْلُو بنُورِ هُدَاهُ كلَّ مُلْتبِسِ

نُورٌ لمِقْتَبسٍ خَيْرٌ لمِلْتَمسٍ حِمًى لمحْتَرِسٍ نُعْمَى لمِبْتَئِسِ

فاعْكُفْ ببَابِهِما عَلى طِلابِهِما تَمْحُو العَمَى بهِمَا عَنْ كلّ مُلتَمِسِ

وردْ بقَلْبكَ عَذْباً مِن حِياضِهِما تغْسِلْ بماءِ الهُدَى مَا فيهِ مِن دَنَسِ

واقْفُ النَّبيَّ وأتْبَاعَ النَّبيّ وكُنْ مِن هَدْيِهم أَبَداً تَدْنو إلى قَبَس

والزَمْ مجَالِسَهُم واحفَظْ محَاسِنَهُم وانْدُبْ مَدارِسَهُم بالأَرْبُعِ الدُّرُسِ

واسْلُكْ طريقَهُم واتْبَعْ فَرِيقَهُم تَكُنْ رفيقَهُم في حَضْرَة القُدُسِ

تلْكَ السَّعادَةُ إنْ تُلْمِم بِسَاحَتِها تَحُطَّ رَحْلَكَ قدْ عُوِّضَتْ مِن تَعَسِ

ولبعضِهم:

إنْ خِفْتَ يوْمَ الحَشْرِ مِنْ هَولِهِ ورُمْتَ أَنْ تَحْظَى بكُلِّ المَرَام
فعِشْ عَلى سُنَّةِ خَيرِ الوَرَى مُقْتَفِياً أَهْلَ الحَديثِ الكِرَام
همُ الأَدِلاءُ يَنْجُونَ مِنْ هَوْلِهِ حِينَ يُقَادُونَ لِدَارِ السَّلام

ولبعضهم أيضاً:

عَلَيْكُم بالحَدِيثِ فلَيسِ شَيءٌ يُعَادِلُهُ عَلى كُلِّ الجِهَاتِ
نصَحْتُ لكُم فإنَّ الدِّينَ نُصْحٌ ولَا أُخْفِي نَصَائحَ واجِباتِ
وجَدْنا فِي الرِّوايَةِ كُلَّ فقْهٍ وأَحْكَامٍ ومِنْ كُلِّ اللُّغاتِ
لِذِكْرِ المسْنَداتِ جعَلْتُ حَظِّي وحِفْظُ العِلْمِ خيْرُ العائِداتِ
أئِمَّتُهُ النُّجومَ وهَلْ رَشيدٌ تكَلَّمَ فِي النُّجومِ الزَّاهِراتِ

ومما يُنْسبَ للحافظِ السُّيوطي رحمه الله تعالى:

عِلْمُ الحديثِ أجَلُّ عِلْمِ الدِّينِ وبهِ عُلُوُّ المرْءِ فِي الدَّارَيْنِ
كالماءِ مَحْياة النُّفوسِ مُطَهِّرٌ للقَلبْ لا يَعْلُوه شَينُ الرَّيْنِ
فاعكُفْ عليْهِ رِوايَةً وكِتَابةً واطْلُبْ مَعَالِيَهُ ولَو بالصِّينِ
يَكْفيهِ فَضْلاً ذِكْرُهُ للمُصْطَفى فِي كُلِّ وقْتٍ قدْ مَضَى والحينِ
خيْرِ البريَّةِ سَيِّد الرُّسْلِ الَّذِي جلَّتْ محَاسِنُهُ عَنِ التَّدْوينِ
ذِي المعْجزَاتِ البَاهِراتِ وعَدُّها قَدْ زادَ عَن أَلفٍ إلى أَلْفَينِ
فالماءُ سالَ مِن إصبَعَيْهِ أنهُراً والبَدْرُ شُقَّ مِنَ أجْلِهِ نصْفَيْنِ
وَأَتَى ودينُ اللهِ شُتِّتَ شَمْلُه فَهَدَى إليهِ وصَارَ فِي تَحْصِينِ
ولهُ الأَسَامِي والمنَاقِبُ والعُلَى مِمَّا بَدَا أغْنَى عَنِ التَّبْيينِ
محْمُودُ أحْمَدُ حامِدٌ ومحَمَّدٌ ولَهُ مَقامُ الحَمْدِ يَومَ الدِّينِ
أَكْرِمْ بهِ مِنْ مُصْطَفًى فحَدِيثُه يَشْفِي العَلِيلَ وذِكْرُهُ يُحْيِينِي

ولأبي عبد الله الدُّبيثِي:

إذَا اختَارَ كُلُّ النَّاسِ فِي الدِّينِ مَذْهَباً وَصَوَّبَه رَأْياً وحقَّقَهُ فِعْلا
فإِنِّي أَرَى عِلْمَ الحديثِ وأهلَهُ أحَقَّ اتِّباعاً بلْ أَسَدَّهُم سُبْلا

ولبعضهم:

أَهْلُ الحدِيثِ همُ أَهْلُ النَّبِيّ وإِنْ لمْ يصْحَبُوا نفْسَهُ أنفَاسَهُ صِحِبُوا

ولآخر:

لمْ أسْعَ فِي طَلَبِ الحدِيثِ لسُمْعةٍ أوْ لاجْتِماعِ قَديمِهِ وحديثِهِ

لكِنْ إذَا فاتَ المحِبَّ لِقاءُ مَنْ يَهْوَى تَعَلَّلَ باسْتِماعِ حَديثِهِ

ونقلَ النَّووي رحمه الله في كتابه (الترخُّصُ في الإكرام بالقيامِ لذوي الفضْلِ والمزيَّة من أهل الإسلام) عن ابن عبد السلام الأديب لنفسهِ قوله:

أَلا إنَّ خيْرَ النَّاسِ بعْدَ محمَّدٍ وأصحَابِهِ والتَّابعينَ بإحْسانِ

أُناسٌ أرَادَ اللهُ إحْياءَ دينِهِ بحفْظِ الَّذي يَرْوي عَن الأوَّلِ الثَّاني

إذَا عَالمٌ عَالي الحدِيثِ تَسامَعُوا بهِ جاءَهُ القاصِي منَ القَوْمِ والدَّانِي

وَسارُوا مسِيرَ الشَّمْسِ في جمْعِ علْمِهِ فأَوْطانُهُم أضْحَتْ لهُم غيرَ أوْطَانِي

ثم نقلَ النَّووي أيضاً فيه عن أبي القاسم هبة الله لنفسه قوله:

واظِبْ عَلى جمْعِ الحدِيثِ وكتْبِهِ واجْهَدْ عَلى تَصْحيحِهِ في كتْبِهِ

واسْمَعْهُ منْ أربابِهِ نقْلاً كمَا سمِعُوهُ مِن أشْيَاخِهِ تسْعَدْ بهِ

واعْرِفْ ثقَات رُواتِهِ مِن غَيْرِهِمْ كيْمَا تميِّزَ صدْقَهُ مِن كذْبِهِ

فهُوَ المفَسِّرُ للكِتَابِ وإنَّما نَطَقَ النَّبيُّ لنَا بهِ عَن ربِّهِ

فتَفَهَّمِ الأَخْبارَ تَعرِفْ حلَّهُ مِنْ حُرمِهِ مَع فَرضِهِ مَع نَدبِهِ

وهوَ المبَيِّنُ للعِبَادِ بشَرحِهِ سُننَ النَّبيِّ المصْطَفَى مَع صَحبِهِ

وتتَبَّعِ العَالِي الصَّحِيحَ فإنَّهُ قُرْبٌ إلَى الرَّحمَنِ تحْظَ بقُربِهِ

وتجَنَّبِ التَّصْحِيفَ فيهِ فربَّما أَدَّى إلَى تحريفِهِ بَلْ قلبِهِ

واترُكْ مقَالَةَ مَنْ لحَاكَ بجَهْلِهِ عَن كَتْبِهِ أوْ بِدعَةٍ فِي قلبِهِ

فَكَفَى المحَدِّثَ رِفْعَةً أنْ يُرْتَضَى ويُعَدَّ منْ أهْلِ الحَدِيثِ وحِزْبِهِ

انتهى.

والحاصلُ: أنَّ الأحاديثَ والآثار والأشعارَ في مدحِ الحديث ومدح أهله سارت مسير الشَّمسِ في رابعةِ النَّهار.

وهي صادقةٌ ــ إن شاء الله تعالى ــ على الإمام البخاريِّ وأضرابهِ من الأئمَّة الأخيار، فهي تشعر بالثَّنَاء عليه، جعلنا الله تعالى من المقرَّبين لديه.

وفي هذا القدرِ كفاية؛ إذ وصفُه بالتَّقدُّم في هذا العلمِ معلومٌ لكلِّ من له دراية.

وقدَّمنا عن النَّووي وغيره في الباب الثَّاني مزيدَ بيانٍ لذلك فراجعه، فرضي الله عنه وعنا، وعن العلماء العاملين، ونفعنَا والمسلمين ببركاتهِ وبركاتِ عبادهِ الصَّالحين، بجاه نبيِّنا محمَّد سيِّد الأوَّلين والآخرين والشَّفيع للمقصِّرين والمذنبين .

البابُ الرَّابِعُ

في بيان تصانيفهِ المفيدة، وبيان اسم كتابه (الجامع الصحيح) وترجيحهِ على غيرِهِ من تآليف البشرِ العديدة، وفي بيان شارحيهِ، وعدد أحاديثهِ، وفوائدَ أُخر شريفة؛ كالكلام على تراجمهِ، وعدد أبوابهِ، وغير ذلك من أبحاثٍ منيفة .

أمَّا تصانيفه، فقد اشتهرتْ في جميع الأقطار، وعمَّ نفعها لأهلِ المعرفةِ والاستبصار .

وقال الحاكمُ أبو أحمد في حقِّها ــ كما في (المقدمة) ــ: لو قلتُ: إنِّي لم أرَ تصنيفَ أحدٍ يشبه تصنيفَهُ في الحسن والمبالغة لفعلتُ، انتهى .

1- فمنها: (الأدب المفرد)، وهو مجلَّدٌ لطيفٌ، وقفتُ عليه، وهو في الحديث، ويرويهِ عنه أحمد بن محمَّد بن الجَليْل ــ بالجيم المفتوحة وبلامين بينهما مثناة تحتية ساكنة ــ البزَّار .

2- ومنها: (رفع اليَدين في الصلاة) .

3- ومنها:(القراءةُ خلفَ الإمام)، ويرويهما عنه محمود بن إسحاق الخُزَاعي، وهو آخرُ من حدَّث عنه ببخارَى .

4- ومنها: (بر الوالدين)، ويرويه عنه محمَّد بن دلويه الورَّاق .

5- ومنها: (التاريخ الكبير)، وقد صنَّفهُ ــ كما مرَّ ــ عند قبر النَّبي صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة، وقد وقفتُ على جزءٍ منه، وهو كتاب جامع في بابه، قال الحافظ في (المقدمة): قال البخاريُّ: أخذ إسحاقُ بن راهويه كتاب (التَّاريخ) الذي صنَّفتهُ، فأدخله على عبد الله بن طاهر الأمير، فقال: أيُّها الأمير! ألا أريك سحراً؟ انتهى .

وقال فيها أيضاً: قال الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة: لو أنَّ رجلاً

كتب ثلاثين ألف حديث، لما استغنى عن تاريخ محمد بن إسماعيل، انتهى .

ويرويه عنه أبو أحمد محمَّد بن سليمان بن فارس، وأبو الحسن محمَّد بن سهل الفَسَوي ـــ بفتح الفاء والسين المهملة ـــ نسبةً إلى فَسَا مدينةٌ بفارس، وكذا غيرهما .

6-ومنها: (التاريخ الأوسط) ويرويه عنه عبد الله بن أحمد الخفَّاف، وزنجويه بن محمد اللبَّاد

7-ومنها: (التاريخ الصغير) ويرويه عنه عبد الله بن محمَّد الأشقر .

8-ومنها: (خلق أفعال العباد) الذي صنَّفه بسبب ما وقع بينهُ وبين الذُّهْلي كما مرَّت الإشارة إليه، ويرويه عنه يوسف بن ريحان، وكذا الفِرَبْرِي أيضاً .

9-ومنها كتاب (الضعفاء)، ويرويه عنه أبو بشرٍ محمد بن أحمد الدُّولابي، وأبو جعفر مسيح بن سعيد، وآدم بن موسى الخَوَاري .

قال الحافظ ابنُ حجر في (المقدمة): وهذه التَّصانيف موجودةٌ مرويَّةٌ لنا بالسَّماع والإجازة، وقال فيها أيضاً :

10-ومنها أيضاً: (الجامع الكبير)، ذكره الإمام ابن طاهر .

11- 12 -ومنها: (المسند الكبير)، و(التفسير الكبير) ذكرهما الفِرَبْري .

13-ومنها: كتاب(الأشربة)، ذكره الدَّارقطني في (المؤتلف والمختلف) .

14-ومنها: كتاب (الهبة)، ذكره ورَّاقُه، فقال: عملَ كتاباً في (الهبة)، فيه خمس مئة حديث، وقال: ليس في كتاب وكيع في(الهبة) إلا حديثان مسندان، أو ثلاثة، وفي كتاب ابن المبارك خمسةُ أحاديث، أو نحوها .

15-ومنها: كتاب (أسامي الصحابة)، ذكره أبو القاسم بن منده، وقال: إنَّه يرويهِ من طريق ابن فارس عنه، وقد نقل منه أبو القاسم البَغَوي الكثير في (معجم الصحابة) له، وكذا ابن مندَهُ في كتابه (المعرفة).

16-ومنها: كتاب (الوحدان)، وهو من ليس له إلا حديثٌ واحدٌ من الصَّحابة، ونقل منه ابن مندَهُ أيضاً في كتابه(المعرفة) .

17-ومنها: كتاب (المبسوط)، ذكره الخليلي في كتابه (الإرشاد)، وأنَّ مهيبَ بن سليم رواه عنه .

18-ومنها: (العلل)، ذكره أبو القاسم بن مندَهْ، وقال: إنَّه يرويه عن محمَّد بن عبد الله بن

حمدون، عن أبي محمد عبد الله بن الشَّرَقي، عنه .

-19ومنها: كتاب (الكُنَى)، ذكره أبو أحمد الحاكم، ونقل منه .

-20ومنها: كتاب (الفوائد)، ذكره التِّرمذي في كتاب المناقب من (جامعه) .

-21ومنها: كتاب (الكنز)، ذكره بعضهم .

-22ومنها: ما ذكرهُ ابن الملقِّن، وتبعه العيني في (شرحه)، وعبارة ابن الملقِّن في (شرحه) المسمى بـ(التوضيح): ومن الغريب ما في كتاب (الجهر بالبسملة) لأبي سعد إسماعيل بن أبي القاسم البوشَنْجي عن البخاري: أنه صنَّف كتاباً أوردَ فيه مئة ألف حديثٍ صحيحٍ، انتهى، ويحتمل على بعد أنه (الكنز)، أو (الجامع الكبير) السَّابقان، فليتأمل .

-23ومنها: ما ذكره شيخنا عبد الغني النابلسي في كتابه (الحديقة الندية بشرح الطريقة المحمدية) أنه وقف على رسالةٍ للبخاريِّ ذكر فيها قول المؤمن: أنا مؤمنٌ إن شاء الله، ومن قال بذلك من الصَّحابة والتابعين، ومن منع من ذلك، فاعرفه .

-24ومنها: كتابه (الجامع الصحيح) الذي فاقَ غيرَه في الترجيحِ، وهو أعظمُ مصنَّفاته، بل سائر المصنَّفات؛ لأنه أنفعُها وأصحُّها لدى أربابِ التحقيقات، سارت بذكرِهِ الركبان، وتلقَّاه بالقُبول فحولُ الرِّجال في كل عصرٍ وأوان، وهو حريٌّ بذلك.

فقد قال التاج السبكي في (طبقاته الكبرى): قال شيخنا أبو عبد الله الحافظ: روي من وجهين ثابتين عن البخاريِّ أنه قال: أخرجتُ هذا الصَّحيح من نحو ستِّ مئة ألفِ حديثٍ، وصنفتُه في ست عَشْرَة سنة، وجعلتُه حجةً فيما بيني وبين الله تعالى .

وقال إبراهيم بن معقل: سمعتُه يقول: ما أدخلتُ في (الجامع) إلا ما صحَّ، وتركت الصَّحيح لأجل الطول، انتهى .

وقال ابن الملقِّن ــ بعد ذكر ما تقدم ــ: وفي رواية عنه حكاها الحازمي في (شروط الأئمة الخمسة): لم أُخرّج في هذا الكتاب إلا صحيحاً، وما تركتُه من الصِّحاح أكثر، وهي بمعنى ما تقدم، انتهى .

وقال النووي في (تهذيب الأسماء واللغات) وفي غيره، وكذا غيرهُ ممن ترجمه: أما اسمه، فسمَّاه مؤلفه: (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه).

ومثله في (التوضيح) لابن الملقِّن، وزاد: كذا سمَّاه هو أول كتابهِ، انتهى .

يعني: سمَّاه البخاريُّ نفسُه بهذا الاسم أول الصَّحيح، لكن في ظهرِ الصفحة الأولى منه، كما هو العادةُ لبعضهم، ويحتملُ في باطنها لكن قبلَ البسملة، وإلا لتكلَّم عليه الشَّارحون، فتأمل.

ثم قال النَّووي وغيره: وأمَّا سبب تصنيفهِ وكيفيَّة تأليفهِ، فروينا عن إبراهيم بن معقل النَّسفي قال: قال لنا البُخاري: كنت عند إسحاق بن راهويه، فقال: قال لنا بعضُ أصحابنا: لو جمعتُم كتاباً مختصراً في الصَّحيح لسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوقعَ ذلك في قلبي وأخذتُ في جمعِ هذا الكتاب، انتهى .

وعبارة الحافظ في (المقدمة): وحرَّك همَّةَ البخاريِّ لجمع الحديث الصَّحيح الذي لا يرتابُ فيه أمينٌ، وقوَّى عزمَه على ذلك ما سمعَه من أستاذِهِ أمير المؤمنين في الفقه والحديث إسحاق بن راهويه كما روى ذلك إبراهيم بن معقل النَّسفي من قوله: سمعتُ البخاري يقول: كنا عند إسحاقَ بن راهويه فقال: لو جمعتُم مختصراً في الصحيح، إلى آخر ما مرَّ قبله .

وقال القسطلاني: وروي بالإسناد الثَّابت عن البخاري أنه قال: رأيت النبيَّ صلى الله عليه وسلم وكأنني واقفٌ بين يديه، وبيدي مروحةٌ أذبُّ عنه فسألت بعض المعبِّرين فقال لي: أنت تذبُّ عنه الكذِبَ فهو الذي حمَلَني على إخراجِ (الجامع الصحيح) انتهى .

وأقول: يمكن الجمع بتعدد الأسبابِ المذكورة، فافهم .

وقال ابن الملقِّن في (التوضيح): قال الفِرَبْري: قال لي البُخاري: ما وضعتُ في كتاب الصَّحيح حديثاً إلا اغتسلْتُ قبل ذلك وصلَّيت ركعتين .

وقال عبدُ القدُّوس بن همام: سمعت عدَّةً من المشايخ يقولون: حوَّل البخاريُّ تراجم جامعهِ بين قبرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ومنبرِهِ، وكان يصلِّي لكلِّ ترجمةٍ ركعتين .

وقال أبو زيدٍ المروزي: رأيت النبيَّ صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي: إلى متى تدرسُ الفقه ولا تدرسُ كتابي؟ قلت: وما كتابك يا رسول الله؟ قال: جامع محمد بن إسماعيل البخاري، أو كما قال .

وفي (تاريخ نيسابور) للحاكم عن أبي عَمرو إسماعيل قال: حدَّثنا أبو عبد الله محمد بن علي قال: سمعت محمَّد بن إسماعيل البخاري يقول: أقمتُ بالبصرة خمس سنين معي كتبي أصنِّف وأحجُّ في كلِّ سنةٍ وأرجعُ من مكة إلى البصرة، قال: وأنا أرجو أنَّ الله تعالى يبارك للمسلمين

في هذه المصنَّفات، قال أبو عَمرو: قال أبو عبد الله: فلقد باركَ الله فيها .
وقال أبو الفضل محمَّد بن طاهر: صنَّفَ صحيحه ببُخارى، وقيل: بمكة، وقيل: بالبصرة، وكلٌّ هذا صحيحٌ، انتهى .
وقال ابن بجير: سمعت البخاريَّ يقول: صنَّفته في المسجد الحرام، وما أدخلتُ فيه حديثاً إلا بعدما استخرتُ الله تعالى وصلَّيتُ ركعتين وتيقَّنت صحَّته .
قال ابنُ طاهر: والقول الأوَّل عندي أصحُّ .
وجمع النَّووي بين ذلك بأنه كان يصنِّف فيه بمكة والمدينة والبصرة وبخارى، فإنه مكثَ في تصنيفهِ ست عشرة سنة، انتهى . ومثله في كلامِ العيني تبَعاً لابن الملقِّن .
وجمع في (المقدمة) فقال: والجمعُ بين هذا _ أي: قوله: صنفتُه في المسجد الحرام، وبين ما روي أنه كان يصنِّفه في البلاد _: أنه ابتدأ تصنيفَه وترتيبَ أبوابه في المسجدِ الحرام، ثم كان يخرّجُ الأحاديثَ بعد ذلك في بلدهِ وغيرها، ويدلُّ عليه قوله: إني أقمتُ في تأليفه ست عشرة سنة، فإنه لم يجاورْ بمكة هذه المدَّة .
وقد روى ابنُ عدي عن جماعة من الأشياخ: أن البخاريَّ جعلَ تراجِمَ جامعِهِ بين قبرِ النبيّ ومنبره، وكان يصلِّي لكلِّ ترجمةٍ ركعتين، ولا يُنافي هذا أيضاً ما مرَّ؛ لأنه محمولٌ على أنه كتبَه أولاً في المسودة ثمَّ حوَّله منها إلى المبيضة، انتهى .
وأقول: ويمكن الجمعُ أيضاً بين هذا وبين كونهِ في المسجدِ الحرامِ: أنَّ ما هنا في التراجِمِ، وذاك في بعضِ الأحاديث، فافهم.
وقال الذَّهبي في (تاريخ الإسلام): وأمَّا جامع البخاري الصَّحيح فهو أجَلُّ كتبِ الإسلام وأفضلُهَا بعد كتاب الله تعالى، وهو أعلى في وقتنا هذا إسناداً للناس ومن ثلاثين سنة يفرحون بعلوِّ سماعه فكيف اليوم؟ فلو رحلَ شخص لسماعه من ألف فرسخ لما ضاعت رحلتُه، انتهى .
وقال العارف أبو محمد عبد الله بن أبي جمرَةَ: قال لي من لقيتُ من العارفين عمَّن لقي من السَّادة المقَرِّ لهم بالفضلِ والتَّمكين: إن صحيحَ البخاري ما قُرِئ في شدَّةٍ إلا فرجَتْ ولا رُكِبَ به في مركَبٍ فغرِقَ، انتهى .
وزاد بعضهم: ولا كان في بيتٍ فاحترَقَ، ولا في منزلٍ فسُرِقَ، وهذا أمر مجرَّبٌ لما اشتمل عليه

من صحيحِ الأخبار مع إخلاص مؤلِّفه .

وتقدم أن ابنَ حجر المكي في (شرح الأربعين) حكى أنَّ البخاري عميَ في صباه فرأى في نومهِ إبراهيم عليه الصلاة والسلام فتَفَل في عينيهِ، أو دعا له، فأبصرَ، فمن ثم لم يقرأْ كتابه في كرْبٍ إلا فُرِّجَ، انتهى .

وقال الحافظُ عماد الدين ابنُ كثير: كتاب البخاري الصَّحيح يُسْتَسقى بقراءتهِ، وأجمعَ على قبوله وصحَّةِ ما فيه أهلُ الإسلامِ، انتهى .

وما أحسن قولَ بعضهم :

صَحِيحَ البُخَارِي دَاوِم عَلى تَحَفُّظِه وارْوِهِ فِي المشَاهِدْ

فَذَاكَ المجَرَّبُ دِرْياقُهُ لدَفْعِ سمُوْمِ أَفاعِي الشَّدائِد

وقلتُ: في ذلك مشيراً إلى قول العارف ابن أبي جمرة نفعنا الله به :

صَحيْحُ البُخارِيّ الإمَامِ مجَرَّبٌ لدَفْعِ بَلاءٍ خَصَّ أوْ عَمَّ يُعطِبُ

وقَدْ جَرَّبَ الأَخْيَارُ ذاكَ كَمَا رَوَى لهُ عَنهُم مَنْ للمَعَارِفِ يُنْسَبُ

فَلازِمْ لإِقْرَاءِ الصَّحِيْحِ ودرْسِهِ ليحْفَظَكَ المولَى فأَنتَ المهَذَّبُ

وفِي وضْعِهِ فِي منْزِلٍ أوْ سفيْنَةٍ أَمَانٌ فحَاذِرْ أنْ تَكونَ تُكذِّبُ

وقلت أيضاً :

صحِيْحُ البُخَارِيّ الإمَامِ محَقَّقٌ لكَشْفِ بَلاءٍ خَصَّ أوْ عَمَّ بالنَّاسِ

وقَدْ نقَلَ الأَخيَارُ ذاكَ وجَرَّبُوا لَهُ فاعتَقِدْ يحفَظْكَ مولَاكَ مِنْ باسِ

ولأبي عامر الأديب الجرجاني :

صَحيحُ البُخَاريّ لوْ أنْصَفُوهُ لَما خُطَّ إلَّا بمَاءِ الذَّهَبْ

هوَ الفَرْقُ بيْنَ الهُدَى والعَمَى هُوَ السُّدُّ بينَ العَمَى والعَطَبْ

أسَانيْدُهُ مثْلُ نجومِ السَّمَاءِ أمَامَ مُتُونٍ كمِثْلِ الشُّهُبْ

بِهِ قَامَ ميْزَانُ ديْنِ النَّبي ودَانَ بهِ العُجْمُ بعْدَ العَرب

حِجَابٌ مِنَ النَّارِ لا شَكَّ فيهِ يُمَيِّزُ بَينَ الرِّضَا والغضَبْ

وسِتْرٌ رَقيْقٌ إلَى المصْطَفَى ونُورٌ مُبينٌ لكَشْفِ الرِّيَبْ

فيَا عالِماً أجْمَعَ العالَمُونَ عَلَى فضْلِ رتْبَتِهِ في الرُّتَبْ

سبَقْتَ الأَئمَّةَ فيْمَا جمَعْتَ وفُزْتَ عَلَى رغْمِهِمْ بالقَصَبْ

نفَيْتَ السَّقِيمَ عَن النَّاقلِينَ ومَنْ كانَ متَّهَماً بالكَذِبْ

وأَثبَتَّ مَن عدَّلَتْهُ الرُّواةُ وصَحَّتْ روايَتُهُ فِي الكُتُبْ

وأَبْرَزْتَ فِي حُسْنِ ترْتيبِهِ وتَبْوِيبِهِ عَجَباً للعَجَبْ

فأَعْطاكَ ربُّكَ مَا تشْتَهِيهِ وأَجْزَلَ حَظَّكَ فيمَا يَهَبْ

وخَصَّكَ فِي عرَصَاتِ الجنَانِ بخَيرٍ يَدُومُ ولَا ينقَضِبْ

وقد وُجِدَ بخطِّ المرحوم الشيخ عبد الرحمن العمادي مُفتي السَّادة الحنفية بدمشق المحمية أبياتٌ في مدح(صحيح البخاري) ولا أدري أنها من نظمهِ أم لا، لكن قال لي حفيدُه المفتي الآن حامد أفندي: إنها من نظمهِ، وهي جيدةٌ فقال :

جَمَعَ البُخَارِيُّ الحَديْثَ وحَرَّرَهْ تحْرِيرَ مَن مَوْلَاه فيْهِ نضَّرَهْ

فَصَحيحُه مَا شَكَّ فيهِ مسْلِمٌ منْ شَكَّ كثَّرهُ الصَّحِيحُ وكفَّرَهْ

هُوَ عمْدَةُ الأحْكَامِ فيهِ لَنا شِفَا وبهِ الذُّنُوبُ الموبقَاتُ مكَفَّرَهْ

هوَ جَامِعٌ علْمَ الشَّرِيعَةِ كُلَّهُ وبهِ يَنابِيْعُ الهُدَى متفَجِّرَهْ

عنهُ خُذُوا وبِهِ اقْتَدُوا كَي تهْتَدُوا إِنَّ الهِدايَةَ فِي الصَّحيحِ مقرَّرَهْ

انتهى .

ولله در البرهان القيراطي حيث قال :

حَدِّثْ وشَنِّفْ بالحَدِيثِ مَسامِعِي فَحَديثُ مَنْ أَهْوى حَلَى بمَسامِعِ

للهِ مَا أحْلَى مُكرَّرَهُ الَّذِي يَحْلُو ويَعْذُبُ فِي مَذاقِ السَّامِعِ

بسَماعِهِ نلْتُ الَّذي أمَّلْتُهُ وبَلغْتُ كُلَّ مطَالِبِي ومَطَامِعي

وطَلَعْتُ فِي أفُقِ السَّعادَةِ صاعِداً فِي خَيْرِ أوْقَاتٍ وأسْعَدِ طالِعِ

ولَقَدْ هُدِيْتُ لغَايَةِ القَصْدِ الَّذي صَحَّتْ أدِلَّتُهُ بغَيرِ مُمَانِعِ

وسَمِعْتُ نصًّا للحَدِيثِ معَرَّفاً مِمَّا تضَمَّنَهُ كِتابُ الجَامعِ

وهُوَ الَّذي يُتْلَى إذَا خطْبٌ عَرَا فترَاهُ للْمَحْذورِ أعْظَمَ دافِعِ

كمْ مِنْ يَدٍ بَيْضا حَوَاها طرْسُهُ يُومِي إِلَى طرقِ العُلا بأَصَابعِ

وإِذَا بَدَا باللَّيلِ أسْوَدُ نقْشِهِ يجْلُو علَينا كُلَّ بدْرٍ ساطِعِ

ملَكَ القُلُوبَ بهِ حديثٌ نافِعٌ ممَّا روَاهُ مالِكٌ عنْ نافِعِ
فِي سادَةٍ مَا إِنْ سمِعتُمْ مثْلَهُم مِنْ مَسْمَعٍ عالِي السَّمَاعِ وسامِعِ
وقِراءَةُ القَارِي لَهُ أَلْفاظُهُ تَقْرِيرُها يُزْرِي بسَجْعِ السَّاجِعِ
وما أحسنَ قول الإمام تاج الدين السبكي في(طبقاته الكبرى) مادحاً له بقصيدة عينية مرفوعة، هي حريَّةٌ بأن تكون على الرؤوس بل العيونِ مرفوعة، هي:
عَلا عَن المِدْحِ حَتّى مَا يُزَانُ بهِ كَأَنَّمَا المدْحُ منْ مقْدارِهِ يَضَعُ
فهُوَ الكِتَابُ الَّذي يتْلُو الكِتَابَ هُدًى هَدْيِ السِّيَادَةِ طوْدٌ ليْسَ ينْصَدِعُ
الجامِعُ المانِعُ الدِّينَ القَويمَ وَحَا مِي الشَّرِيعَةِ أنْ تغْتَالَهَا البِدَعُ
قاصِي المراتِبِ دانِي الفَضْلِ تحْسَبُهُ كالشَّمْسِ يَبْدُو سَنَاهَا حيْنَ ترْتفِعُ
ذلَّتْ رِقابُ جَماهِيرِ الأَنَامِ لَهُ فكُلُّهُمْ وهوَ عالٍ فيهِمُ خضَعُوا
لَا تسمَعَنَّ حدِيثَ الحَاسِديْنَ لهُ فَإِنَّ ذلِكَ موْضُوعٌ ومنْقَطِعُ
وقُلْ لمنْ رامَ يحْكِيهِ اصطِبارَكَ لَا تعْجَلْ فإِنَّ الَّذي تبْغِيهِ ممتَنِعُ
وهبْكَ تَأْتِي بِمَا يحْكِي شِكالَتَهُ أَلَيْسَ يَحْكي محيَّا الجَامِعِ البِيَعُ
وللإمام الشيخ أثير الدِّين أبي حيَّان فيه وفي (جامعه) قصيدةٌ رائيةٌ أحسن من اللآلئ في نحور الحسان هي :
أَطالِبَ أخْبَارِ الرَّسولِ لَكَ البُشْرَى لقَدْ سُدْتَ فِي الدُّنْيَا وقَدْ فُزْتَ فِي الأُخْرى
تُشَنِّفُ أَسْماعاً بعِقْدِ جواهِرٍ تَوَدُّ الغَوَانِي لَو تُقَلِّدُه النَّحْرا
جَواهِرُكُمْ حلَّتْ نُفُوساً نَفِيسَةً فحَلَّتْ بِها صَدْراً وجَلَّتْ بهَا قَدْرا
هَلِ الدِّينُ إِلَّا مَا روَتْهُ أَكَابِرٌ لَنا نَقَلُوا الأَخْبَار عَنْ طَيِّبٍ خُبْرا
وأَدَّوْا أحَادِيثَ الرَّسولِ مَصونَةً عَنِ الزَّيْفِ والتَّصحيْفِ فاسْتَوْجَبوا الشُّكْرا
وإِنَّ البُخَارِيَّ الإِمَامَ لَجَامِعٌ بجامِعِهِ منْهَا اليَواقِيتَ والدُّررا
عَلى مَفْرِقِ الإِسْلامِ تَاجٌ مرَصَّعٌ أَضَاءَ بِهِ شمساً ونَارَ بهِ بَدْرا
وبَحْرُ عُلومٍ يلفِظُ الدُّرَّ كالحَصَى فأَنْفِسْ بهَا دُرًّا وأَعْظِمْ بهِ بَحْرا
تَصَانيْفُهُ نوْرٌ ونورٌ لناظِرٍ فقَدْ أَشْرَقَتْ زَهْراً وقَدْ أيْنَعَتْ زَهرا
نَحا سُنَّة المخْتارِ ينْظِمُ شَتَّها يُلخِّصُها جَمْعاً ويُخْلِصُها تِبْرا

وكَمْ بذَلَ النَّفْسَ المصونَةَ جَاهِداً فَجَازَ لهَا بحْراً وجَابَ لَهَا بَرَّا

فَطَوْراً عراقِيًّا وطَوْراً يمَانياً وطَوراً حِجَازيًّا وطَوْراً أَتى مِصْرا

إلَى أنْ حَوَى منْها الصَّحيحَ صحِيحُهُ فَوَافى كِتاباً قدْ غَدا الآيةَ الكُبْرى

كتَابٌ لهُ مِن شَرْعِ أحْمَدَ شِرْعَةٌ مُطَهَّرةٌ تَعْلو السِّماكَيْنِ والنَّسْرا

وقلت في مدحهِ في أواخر قصيدةٍ دالية مدحتُ بها خير البريَّة حين حججتُ عام ثلاثة وثلاثين ومئة وألف :

وَعَلى الَّذِين لهَدْيِهِ قدْ دَوَّنوا لَا سِيَّما الجُعْفِيِّ وارِثِ أحْمَدِ

فهُوَ الَّذي جَمَعَ الصَّحيحَ محَرَّراً مَا فيهِ ضعْفٌ بلْ صحِيحُ المسْنَدِ

وهُوَ الكِتابُ لَدَيْهِ أعْنَاقُ الوَرَى خضَعَتْ وذَلَّ لهُ أنُوفُ الحُسَّدِ

فاللهُ يرْحَمُهُ ويرْحَمُنا بهِ لِيَكونَ مجْمَعُن بدَارِ الخُلَّدِ

جَنَّاتُ عدْنٍ لَا انْقِضَاءَ لشَأْنِهَا وأَجَلُّ مَا فيْهَا شُهودُ الوَاحِدِ

ولبعضهم :

إنَّ البُخَاري صَحِيحٌ لسْتُ أنْكِرُهُ قَدْ لَذَّ لِي وَحَلا عِنْدي مُكَرَّرُهُ

فِيهِ لِروحِي انْشِرَاحٌ لَا أَزَالُ مَدَى عُمْري أرَدِّدُهُ دَرْساً وأذْكُرُهُ

ولبعضٍ آخر :

أيُّهَا القَلْبُ إنْ أصَابَكَ كسْرٌ فلَكَ الجَبْرُ في صَحِيحِ البُخَارِي

لِي بِهِ نشْوَةٌ تَزيدُ عَلَى مَا يَنْتَشِي شارِبٌ لشُرْبِ العُقَارِ

ولآخر :

صَحِيحُ البُخارِي كِتابُ الرَّسولِ فَلازِمْهُ تظْفَرْ بنَيْلِ المرَامْ

وَكَرِّرْ عَلَى القَلْبِ ألفَاظَهُ فلَفْظُ الحَبِيبِ ضِياءُ الظَّلامْ

ولله درُّ الإمام أبي الحسن علي بن عبد الله بن عمر الشَّقِيع ــ بشين معجمة فقاف مكسورة مشددة فتحتية فعين مهملة ــ حيث قال :

خُتِمَ الصَّحِيحُ بحَمْدِ رَبِّي وانْتَهَى وأَرَى بهِ الجَانِي تقَهْقَرَ وانْتَهَى

فَسَقَى البُخارِي جودَ جُودِ سَحَائِبٍ ما غَابَت الشِّعْرى ومَا طَلَع السُّهى

الحافِظُ الثِّقَةُ الإمَامُ المرْتَضَى مَنْ سَارَ فِي طَلَبِ الحَديثِ ومَا وَهَى

طَلَبَ الحَديثَ بكُلِّ قُطْرٍ شاسِعٍ ورَوَى عنِ الجَمِّ الغَفِير أُولي النُّهى
وَرَواهُ خَلْقٌ عنْهُ وانْتَفَعُوا بهِ وبِفَضْلِهِ اعْتَرَفَ البَرِيَّةُ كُلُّها
بَحْرٌ بجامِعِهِ الصَّحيحِ جَواهِرٌ قَدْ غَاصَها فاجْهَدْ وغُصْ إِنْ رُمْتَها
ورَوَى أَحَاديثاً مُعَنْعَنَةً زهَتْ تَحْلُو لِذائِقِها إذَا كرَّرْتَها
وللإمام أبي الفتوح العجلي :
صَحِيحُ البُخارِي يا ذَا الأَدَبْ قَوِيُّ المتونِ عَلِيُّ الرُّتَبْ
قويمُ النِّظامِ بَهِيجُ الرَّواءِ خَطيرٌ يَروجُ كنَقْدِ الذَّهَبْ
فتِبْيانُهُ موضِحُ المعْضِلاتِ وأَلْفَاظُهُ نخْبَةٌ للنُّخَبْ
مُفِيدُ المعَانِي شَرِيفُ المعَالي رَشِيقٌ أَنِيقٌ كثِيرُ الشُّعَبْ
سَمَا عِزُّهُ فوْقَ نجْمِ السَّمَاءِ فكُلُّ جَميلٍ بهِ يُجْتَلَبْ
سَناهُ مُنيْرٌ كضَوْءِ الضُّحَى ومَتْنٌ مُزيحٌ لشَوْبِ الرِّيَبْ
كأَنَّ البُخَارِيَّ فِي جمْعِهِ تلَقَّى مِن المصْطَفَى مَا اكتَتَبْ
فلِلَّهِ خاطِرهُ إذْ وَعَى وسَاقَ فَوائِدَهُ وانْتَخَبْ
جَزاهُ الإلهُ بمَا يرْتَضِي وبلَّغَهُ عالِياتِ القُرَبْ
ولبعضهم :
وفَتَى بُخارَى عنْدَ كُلِّ محَدِّثٍ هُو فِي الحَدِيثِ جهَيْنَةُ الأَخْبَارِ
لكِتَابهِ الفَضْلُ الكَبِيرُ لأَنَّهُ أَسْفارُهُ فِي الصُّبْحِ كَالإِسْفَارِ
كَمْ أزْهَرَتْ بحَديثِهِ أوراقُهُ مثْلَ الرِّيَاضِ لِصَاحِبِ الأَذْكَارِ
أَلِفَاتُهُ مثْلُ الغُصُونِ إذَا بَدَتْ مِنْ فَوقِهَا الهَمَزاتُ كالأَطْيَارِ
بجَوَامِعِ الكَلِمِ الَّتي اجْتَمَعَتْ بهِ متفرِّقَاتُ الزَّهْرِ والأَزْهَارِ

تنبيه: نقل الحافظ السخَّاوي: أن المحدِّثَ الكمال بن علي الهمداني قال: قرأنا البخاري في نوبة بحمص سنة ثمانين ـــ يعني: وست مئة ـــ لدفعِ البلاء، فقال لي ابن دقيق العيد: قد انقضى الشُّغل من بعد العصر، فقلت له: أعَن يقينٍ؟ فقال: وهل يقال هذا من غيرِ يقين؟ قال السخاوي: قلت: ووقع من الربيع مثله لما حُوصِرت زبيد وأحاطَ بها العدو وكادَ يأخذها فحلَّ بهم الكربُ الشَّديد والغمُّ المزيد فقرؤوا الصَّحيح أجزاءً جزَّؤوه فما كانت صبيحةُ ذلك

اليوم إلا وتفرَّق العدوُّ من غير سببٍ محسوسٍ ولا مددٍ من شيءٍ مأنوسٍ .
ووقعَ في هذا الزمان بالبصرة أن عسكرَ الشاه حاصرها فقرئ البُخاريُّ بإشارة بعض الشيوخ فأرسل الله تعالى عليهم مطراً وسيلاً وأبادَهُم عن آخرهم وأخذَ أهلُ البصرة جميعَ أموالهم وعُدَدهم .
ووقع للشيخ محمد المنيني أنه ركب البحرَ مع جمَاعةٍ فانكسرَتْ السَّفينة بهم قال: فخرجنَا إلى الساحل وكان معي (صحيح البخاري) في مجلَّدين اشتدَّ أسفِي عليه دون غيره فما لبثتُ أنْ قدِمَهما الريح فتناولتُهُما وفتحتُهَما فلم ينطمسْ فيهما حرف .
ومن عظيم ما أتحف به هذا الكتاب: أنه قُرِئ جميعُه على سيِّد الأحباب في ضريحِهِ الكريم، وذلك أنَّ الملك الأشرف السُّلطان قايتباي لما حجَّ وزارَ الحضرة الشريفة سأل الخُدَّام عن أعجبِ ما رأوه، فأخبروهُ أنَّ رجلاً كان يأتي كلَّ يومٍ إلى القبر الشريف فينفتحُ له باب المحلِّ المنيف، فيغيبُ زماناً ثم يخرجُ فلمَّا كان في يومٍ جاء كعادتهِ فسمعنا جلبةً وأصواتاً خشينَا منها على القبرِ الشريف فأخذنا العصَا وقعدنا بحذاء القبرِ مستعدِّين لذلك الرجل، إذ خرَجَ علينا فأمسكنَاه فسألنَاه عن شأنه، فأخبر أنه كان كلَّ يومٍ يقرأ (صحيحَ البخاري) على النبيِّ ﷺ قلنا: فما هذه الأصواتُ اليوم؟ قال: أصوات خاصَّةِ الله تعالى الكرام حضروا ختم البخاريِّ للتبرُّك به ﷺ .
وذكروا أنه شاهدَ غيرَ واحدٍ من الأولياء الكرام حضورَهُ ﷺ لختم هذا الكتاب فمن ذلك ما ذكرهُ غيرُ واحد عن مؤلف (بهجة المحافل) الإمام المحدِّث الفقيه الولي الصَّالح يحيى العامري أنه لما ختمَ البُخاري، وقام وصافحَه من حضرَ من أولئك الأئمة الأعلام، كان في جملتِهم المصطفَى ﷺ، فصافحَه في جملتِهم، فانطبعَ أثرُ تلك الأصابعِ الكرام في ظهر كفِّ هذا العالم الإمام، فكان نوراً مضيئاً مشرقاً في الضِّياء والظَّلام، وكان الشَّيخ يسترهُ بالمندِيلِ، ولا يكشفُ ذلك المحلَّ إلا عند الوضوء، فيبدو سَنا ذلك النُّور الجليل .
وقد أخبرَ بعضُ الصَّالحين أنه رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم في عام سبع وثلاثين وألف ليلة السابع والعشرين من رجب على ناقتهِ عند الحجُون سائراً إلى مكَّة المكرمة، فقبَّل يده الكريمةَ، وقال: يا سيدي يا رسول الله، الناس قصَدوا حضرتكَ الفخيمة للزِّيارة، فلماذا جئت؟ فقال: لختم (صحيح البخاري) أو لختم ابن عَلَّان ــ شكَّ الراوي ــ ثمَّ يوم الختم الثامن والعشرين

من رجب ذلك العام حضَرَ بعضُ الصَّالحين، فحصلت له واقعةٌ، رأى خيمةً خضَراء وأعلاماً بين السَّماء والأرض، فسَأَلَ عنه فقيل له: هذا النبيُّ ﷺ حضَرَ لختم البخاري، أجرى الله علينا ببركتهِ موائدَ كرمهِ الجاري .وما تقدَّم بعض ما قيل فيه، وهو حريٌّ بذلك، كيف وهو ــ كما سيأتي بيانه ــ أجلُّ الكتب الصَّحيحة نقلاً ورواية، وفهماً ودرايةً، وأكثرها تعليلاً وتصحِيحاً، وضبطاً وتنقِيحاً، واحتياطاً وتحريراً، واستنباطاً وتقريراً، ومن ثمَّ اعتنَى بشرحهِ وبيان محجَّته، وبالتكلُّم عليه، وبيان مزيَّته؛ العلماءُ الأعلام من كلِّ لوذَعِي ألمعِي هُمام، وهم كثيرون، وقد ذكرَ الإمام القسطَلاني منهم جملةً صالحةً، فلنذكرهُم مع زيادة واضحة، فمنهم:

الإمامُ أبو سليمان حَمْد ــ بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وبالدال المهملة ــ ابن محمَّد بن إبراهيم الخطَّابي الشَّافعي، وهو شرحٌ صغيرٌ، كُتِبَ على مواضِعَ منه متفرِّقة، ولعلَّه أول شارحٍ من الشَّارحين الذين نذكرُهم، فإنَّ بينه وبين البخاريِّ اثنين كما ذكرهُ هو في أوَّلِ خطبةِ شرحهِ، وقد وقفتُ عليه .
وقال الكرمانيُّ في حقِّه: فيه نكتٌ متفرِّقاتٌ، ولطائف على سبيل الطَّفرات، وليسَ لما لفظ الشَّرح موضوع له.

ومنهم: الإمام محمَّد بن إسماعيل التَّيْمي ــ بمثناة فوقية مفتوحة فتحتية ساكنة ــ وقد اعتنَى بشرحِ ما لم يذكرهُ الخطَّابي مع التَّنبيهِ على أوهامهِ ولم أقفْ عليه . ومنهم: الإمام أبو جعفر أحمد بن سعيد الدَّاودي . ومنهم: الإمام عبد الواحد بن التِّيْن ــ بمثناة فوقية مشددة مكسورة فتحتية ساكنة فنون ــ ويعرف أيضاً بالسَّفاقسِي، وكثيراً ما ينقلُ عن الدَّاودي - . ومنهم: الإمام أبو سعيد المهَلَّب بن أبي صُفْرة ــ بضم الصاد المهملة ـ [2]وهو ممَّن اختصرَ البُخار. ومنهم: أبو عبد الله محمَّد بن خَلَف بن المرَابِط اختصر شَرْح شيخهِ المهلَّب، وزادَ عليه فوائد، وهو ممَّن ينقلُ عنه ابنُ رشيد . ومنهم: أبو الحسن عليُّ بن خَلَف المالكي المغْرِبي المعروف بابن بطَّال لكنَّه في الأغلبِ يتكلَّم على الفقهيَّات لا سيَّما مذهب الإمام مالك من غير تعرضٍ لشرح الكتابِ غالباً، كذا قاله الكرمانيُّ، وقد وقفتُ على جزء منه أوله القصر في الصَّلاة . ومنهم: أبو الزِّنَاد ــ بكسر الزاي وتخفيف النون وبدال مهملة بعد الألف ــ واسمه: سِراج ــ بكسر السين المهملة وبجيم آخره .ـ ومنهم: أبو حفصٍ عمرُ بنُ

الحسن بنِ عمر الهوزَني الإشبيلي . ومنهم: أبو القاسم أحمد بن محمَّد بن عَمرو بن فرد التَّيمي، وهذا غير التَّيمي السابق قريباً، ذكرهما القسطَلاني، وقال في شرح هذا: إنه واسعٌ جدًّا . ومنهم: الزين بن المنَيِّر ــ بتشديد التحتية المكسورة ــ قال القسطَلاني: شرحَهُ في عشر مجلدات، وقال الجلال السُّيوطي في (حسن المحاضرة): هو زينُ الدين علي قاضِي الإسكندرية، له شرح عظيمٌ على البُخاري، وهو أخو ناصر الدين أحمد بن محمَّد الإسكندراني، صاحبُ التَّفسير، انتهى . ومنهم: ناصر الدين أخو الزين المذكور، له التراجم، سمَّاه: (المتَوارِي)، وله أيضاً حواشٍ على ابن بطَّال. ومنهم: أبو الأصبَغ عيسى بنُ سهل الأسدي . ومنهم: قطبُ الدِّين الحنفي الحَلَبي . ومنهم: مُغُلْطَاي التركي، وسمَّاه: (التلويح) قال الكرمانيُّ: إنه بكُتُبِ تتميمِ الأطرافِ أشبهُ، وكأنه من إخلائهِ عن شرح مقاصدِ الكتاب وألفاظهِ على أمان . ومنهم: الجلال التَّباني فقد اختصر شرحَ مُغلطاي .ومنهم: العلَّامة شمس الدين أبو عبد الله محمَّد بنُ يوسف بنِ علي الكرمانيُّ الشافعيُّ شرحَه شرحاً مفيداً جامعاً لفرائد الفوائد، سمَّاه: (الكواكب الدَّراري) لكن قال في(الدرر الكامنة) للحافظ ابن حجر: فيه أوهامٌ في النَّقْل لأنَّه لم يأخذْه إلا من الصُّحُف.اهـ ومنهم: ولده يحيى تقي الدين، قال القسطَلاني: استمدَّ فيه من شرح أبيه، وشرح ابن الملقِّن، وأضافَ إليه من شرحِ الزَّركشي وغيره من الكتبِ، وما سنحَ له من حواشِي الدِّمياطي، و(فتح الباري) والبدر العنتابي، وسماه: (مجمع البحرين وجوهر الحبرين) قال: وقد رأيتُه في ثمانية أجزاء كبار بخطِّه مسودة، انتهى. ومنهم: شمس الدين البِرْمَاوي، سماه: (اللامع الصَّبيح) ولم يبيضْ إلَّا بعد موت مؤلفه، وقد اختصرَهُ من الكرمانيّ وغيره، ومن أصولهِ مقدمة (فتح الباري)، قاله القسطَلاني، وقد طالعتُه كأصلهِ، وهما من الشروح المتداولة لا سيَّما الكرماني كـ(فتح الباري) و(عمدة القاري) للعيني و(إرشاد الساري) للقسطَلاني، وهو أكثر شروحه استعمالاً .

ومنهم: العلامة سراجُ الدين بن الملقِّن، وسمَّاه بـ(التوضيح) وقد رأيتُ منه أجزاء وطالعتُها، وهو كثير الفوائد لا سيَّما في تحريرِ المذاهب، وقد اختصرَهُ هو في جزءٍ لطيفٍ .

ومنهم: الحافظ زين الدين ابن رجب، وقد وقفْتُ على ثلاثة أجزاء من شرحهِ، أولها الرابع من الشرح، وهو شرحٌ واسعٌ، يُكثر فيه من نقلِ الأحاديث المناسبةِ للباب، ومن نقل المذاهب للمجتهدين، لكن وصلَ فيه إلى الجنائز، كما قاله في ترجمتهِ ابنُ ناصر الدين في

كتابه (الرد الوافر). ومنهم: برهان الدِّين الحَلَبي، وسمَّاه (التَّلقيح لفهم قارئ الصَّحيح) قال القسطَلاني: وهو بخطِّه في مجلدين، وبخطِّ غيره في أربعةٍ، وفيه فوائد حسنة، وقد التقطَ منه الحافظُ ابن حجر حين كان بحلب ما ظنَّ أنه ليس عنده؛ لأنَّه لم يكن معه من (فتح الباري) إلا كراريس يسيرة، انتهى . وقد ملكتُ المجلد الرَّابع وهو ضخمٌ، وعليه بعض كتابةٍ بخطِّ الحافظ ابن حجر. ومنهم: أبو الفتح محمَّد زين الدين المرَاغي، قال القسطَلاني: اختصرَهُ من (فتح الباري) قال: وقد رأيتُه بمكَّة، وكتبتُ كثيراً منه، انتهى. ومنهم: البدر الزركشيُّ، له تعليقةٌ عليه مُتَداولة، سمَّاها: (التَّنقيح) وقد طالعتُه، ونقلتُ منه، وللحافظ ابنُ حجر نكَتٌ عليه لم تكمُلْ، قاله القسطَلاني، وله شرحٌ آخر مطوَّل عزيز الوجود لم أقفْ عليه، وقال القسطَلاني: رأيت منه قطعة بخطِّ مؤلِّفه. ومنهم: البدرُ الدَّماميني، سمَّاه: (مصابيح الجامع) على ما قاله القسطَلاني، لكن الذي رأيته تسميته: بـ(المصابيح شرح الجامع الصحيح) فتدبر، وهو في الحقيقة (التَّنقيح) للزركشي، لكنه قد يزيد عليه أشياءَ نحوية، أو فقهيَّة، وقد يعترضُه، وقد ينقلُ من شرح ابنِ المنيِّر. ومنهم: الحافظ جلال الدين السُّيوطي، سمَّاه: (التوشيح على الجامع الصحيح) وهو قريب من التَّنقيح للزَّركشي، وقد وقفْتُ عليه سابقاً، ولم يقفْ عليه القسطَلاني، كما قاله هو .

ومنهم: الإمام النَّووي يحيى أبو زكريا، لكنه على قطعةٍ منه؛ من أوَّله إلى آخر كتاب الإيمانِ، وقد وقفْتُ عليها في مجلد.

ومنهم: الحافظُ عمادُ الدِّين بن كثير، لكنَّه على قطعةٍ من أوله، كما قال القسطَلاني .

ومنهم: الإمام سراجُ الدِّين البُلْقِيني، قال القسطَلاني: رأيتُ منه مجلداً .

ومنهم: العلَّامة أبو الفضل جلالُ الدِّين البُلْقِيني، ابن الذي قبله، وسمَّى كتابه: (الإفهام لما في البخاري من الإبهام) وقد وقفتُ عليه في مجلدٍ وسطٍ .

ومنهم: أبو الفضل النُّويري، خطيب مكة المشرفة، قال القسطَلاني: وبلغني أنه شرح مواضعَ من البُخاري. ومنهم: محمَّد بن أحمد بن مَرْزوق، شارح بُردة البُوصيري، قال القسطَلاني: سمَّاه: (المتجر الرَّبيح والمسعَى الرجيح في شرح الجامع الصحيح) ولم يكمُلْ .

ومنهم: العارفُ عبد الله بن أبي جمرة، فإنه قد اختصَرَ من البُخاري أحاديثَ وشرحها وسمَّاه: (بهجة النفوس) وقد وقفتُ عليه في جزء كبير.

ومنهم: البرهان النُّعْماني، قال القسطَلاني: وصل فيه إلى أثناء الصَّلاة، ولم يفِ بما التزمَهُ .

ومنهم: شيخُ الإسلام زكريا، فإنه شرحَ من أوله إلى أثناء المعاملة في مجلدين، لكنه يذكر بعضَ الحديثِ، وقد وقفْتُ عليه ونقلتُ منه في شرحِي، وسمَّاه في ظهرِ أوَّل الشرح: (منحة الباري)، وفي بعض النسخ: (تحفة القاري بشرح صحيح البخاري) .

ومنهم: محمد شمس الدين الكُوْراني، شيخ السَّلطان محمَّد فاتح القسطنطينية، وقد وقفتُ عليه سابقاً في مجلد ضخمٍ بالقطع الكامل، يعترضُ فيه كثيراً على الكرمانيّ، وهو من تلامذةِ الحافظ ابن حجر، كما صرَّح هو بذلك في شرحهِ، وسمَّاه: (الكوثر الجارِي إلى رياضِ صحيح البخاري).

ومنهم: أبو البقاء الأحمدي، وهو من المعاصرين للقسطَلاني .

ومنهم: الشيخ جلال الدين البكري، من مشايخ القسطَلاني، قال: وأظنَّه لم يكمُلْ .

ومنهم: الشيخ محمَّد شمس الدين الدَّلجي، قال القسطَلاني: كتبَ عليه قطعة لطيفة .

ومنهم: الشيخ عبدُ الرَّحيم بن عبد الرحمن العَبَّاسي الشافعي، قال القسطَلاني: رتَّبه على ترتيبٍ عجيبٍ، وأسلوبٍ غريبٍ على منوالِ مصنف ابن الأثير، وجرَّدَه من الأسانيد، راقماً على هامشهِ بإزاءِ كلِّ حديث حرفاً أو حروفاً يعلمُ بها من وافقَ البخاري على إخراجِ ذلك الحديث من أصحابِ الكتب الخمسة، جاعلاً إثر كلِّ كتاب جامع منه باباً لشرح غريبهِ، واضعاً الكلماتِ الغريبة على هامش الكتابِ موازياً لشرحها؛ ليكون أسرعَ في الكشفِ، وقرَّضَ عليه البرهانُ بن أبي شريف، والزَّينُ عبد البر بن الشُّحنة، والرَّضي الغزي، انتهى .

ومنهم: ابنُ عبد البر الحافظُ الشهير، فإنه سألهُ المهلَّبُ بن أبي صُفْرة عن أشياء في البخاريِّ، فأجاب عنها، ومن ثم سمَّاها:(الأجوبة على المسائل المستغربة)

ومنهم: أبو عبد الله بن رشيد، كتبَ على تراجمِهِ، سمَاه: (ترجمان التراجم) .

ومنهم: الفقيه أبو عبد الله محمَّد بن منصور السَّجْلماسي المغْرَاوي، فإنه كتبَ على مئة ترجمةٍ، سمَّاه: (حَلُّ أغراضِ البُخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة) .

ومنهم: الشيخ أبو محمد بن حزم، فإن له عدَّة أجوبةٍ عليه .

ومنهم: ركنُ الدين، فإن له شرحاً عليه، لكنَّه لم يكمُلْ.

ومنهم: العلامة جمالُ الدين بن مالك، وسمَّاه: (التوضيح لشواهد الصحيح) .

هذا ما ذكره القسطَلاني ممَّن كتب على البخاري سوى الحافظ ابن حجر والعيني، وصاحب (القاموس) فإن القسطَلاني وإن ذكرهم، لكنَّا أخرنا الكلامَ عليهم للطول.

وممَّن لم يذكره القسطَلاني :

الشَّيخُ أبو عبد الله بن أبي الخصَال، الكاتب المشهور، فإنَّ له حواشي على البُخاري، كما ذكرهُ الحافظ ابن حَجر في (الفتح) في كتاب: الوصايا، في باب: أن يترك ورثته أغنياء خيرٌ من أن يتكفَّفوا الناس .

ومنهم: السَّفِيري ــ بفتح السين المهملة، وكسر الفاء ــ فإنَّ له شرحاً رأيتُ منه الجزء الأول. ومنهم: الشَّيخ أبو بكر بنُ العَربي المالكي، فإنَّ له شرحاً على البُخاري، كما ذكره صاحب (فتح الباري) رحمه الله تعالى .

ومنهم: القاضِي بدرُ الدين بنُ جَمَاعة، كما ذكرهُ الحافظ ابنُ حجر في (المقدمة)، فإنه كما فيها تكلم على أربع مئة ترجمةٍ، لخصَها من كلام ناصر الدين بن المنيّر، وزادَ عليه أشياء.

ومنهم: البَازلي ــ باللام بعد الزاي ــ محمَّد بن داود الكردي ثم الحَمَوي ــ بفتح الحاء المهملة وميم الخفيفة مفتوحة ـ فإنه كتبَ على رجاله، وسمَّاه: (غاية المرام في رجال البُخاري إلى سيد الأنام)، وهو مجلدان ضخمان، وقفتُ على الثاني منهما .

ومنهم: أبو الوليد سُليمان البَاجي ــ بموحدة وجيم ــ المغرِبي، وسمَّاه: (التعديل والتجريح لرجال البخاري)، ذكره الكرمانيُّ، وكذا ابن حجر في (المقدمة) رحمهم الله تعالى .

ومنهم: الشيخ العارف أبو العباس سيدي أحمد زرُّوق، شارح (الحكم) لابن عطاء الله فإن له حاشية عليه، كما قاله بعضهم .

ومنهم: الكُفيري محمد بن أحمد الشافعي - نسبةً إلى كفير مصغراً قريةٌ ببلاد عجلون، وقد ملكته في جزءٍ وسط بخطِّ مؤلفه، قال في خطبته: انتقيتُه من كتاب (مقاصد التنقيح في شرح الجامع الصحيح) تأليف الكازَروني سعيد بن مسعود ثمَّ رأيتُ صاحبنا الشَّيخَ محمد بن عمر الكُفَيري ذكر في ثبتهِ أنَّ المذكور جدُّه الأعلى، وأنَّه أخذ عن ابن قاضِي شُهْبة، وأنَّ ابن قاضِي شهبة ذكر أنَّ الكُفَيري جمع شرحاً على البُخاري لخَّصَه من شرحِ الكرمَاني وابن الملقِّن في ستِّ مجلداتٍ، انتهى. ولعلَّ له شرحين، فاعرفْه.

ومنهم: الإمامُ أبو المحامل سعيد بن مسعود بن محمد بن مسعود الكازَرُوني، سمَّاه: (مقاصد

التنقيح) كما قاله الكُفيري، ولم أقفْ عليه.
ومنهم: ابن كمَال باشا، له تعليقةٌ لطيفةٌ من أوَّل الصَّحيح إلى آخر كتاب الإيمان، رأيتها مسودةً بخطِّه، يعترض فيها كثيراً على الكرماني والنووي .
ومنهم: أبو الحسن علي بن ناصر الدين محمَّد بن محمد بن محمد ـ ثلاثاً ـ المالكي المصري، فإنَّه شرحَ البخاري شرحين، سمَّى أحدهما: (معونة القاري بشرح صحيح البخاري) وسمَّى الآخر: (صيانة القاري عن الخطأ في صحيح البخاري) ذكره الشيخ محمد الفيشي. المالكي في (شرح العزية) وذكر فيها أيضاً: أنه ممَّن أخذَ عن الحافظ السُّيوطي، وأنَّ له تصانيفَ كثيرة .
ومنهم: الحافظُ محمَّد بن طاهر المقدِسي، فإنَّ له عليه جزءاً سمَّاه:(جواب المتعنِّت) ذكره الحافظُ ابن حجر في(المقدمة). وكذا له كتابٌ في (أسماء رجال الصَّحيحين)
ومنهم: العلَّامة حسين الكفَوي، فإنَّ له شرحاً على البُخاري، كما ذكره شيخُ مشايخنا محمد الزَّرقاني في (شرح المواهب).
ومنهم: شيخنا المرحوم الشيخ عبد الله بن سالم البصري ثم المكي، ولم أقِفْ عليه، غير أنِّي سألتُ مؤلفه عنه في منزله بمكَّة المشرفة حين حججتُ سنة ثلاثة وثلاثين ومئة وألف، فقال: إنَّه لم يكملْ ، وسماه: (الضوء الساري بشرح صحيح البخاري)، وقال شيخنا محمد عقيلة: هو أبسطُ من القسطَلاني، ودون (فتح الباري) وصلَ فيه إلى نحو الثلث.
ومنهم: شيخنا المرحوم أبو حسن السِّندي ثم المدَني، وقد أراني شرحَه سفرين كبيرين، وذلك حين أخذتُ عنه الحديث إجازةً بمنزله في المدينةِ المنورة قرب باب الرَّحمة، ولا يحضرني الآن اسم الشرح .
ومنهم: المرحوم عبد الباقي، والدُ شيخنا أبي المواهب الحنبلي، فإنه كتبَ على حصَّة منه على ما بلغني من ولده، وقال المحبِّي: له شرحٌ على البخاريِّ لم يكملْه.
ومنهم: المرحوم السيد إبراهيم الشَّهير بابن حمزة، نقيب الأشراف بدمشق الشام، وقد وصلَ فيه إلى أثناء كتاب الصَّلاة، وقد رأيتُ المسودَّة بخطِّه، ويعمل خطبةً أول كلِّ كتاب أو باب.
ومنهم: مؤلِّف هذه الرِّسالة الفقير إسماعيل ـ غفر الله له ذنبه الحقير والجليل ـ فإني قد شرعتُ في كتابة شرحٍ عليه ممزوج سمِّيته:(الفيض الجاري بشرح صحيح الإمام البخاري)،

ويناسبُ أن يسمى: (المنهل الجاري بشرح صحيح البخاري)، وقد وصلتُ فيه بحمد الله تعالى إلى باب ما جاء في التطوُّع مثنى مثنى، وجملة ذلك سبعون كراسة في المسودة، نسأل الله تعالى إكماله والنفع به آمين.

وقد ابتدأت فيه من سنة إحدى وأربعين ومئة وألف مع قراءة (صحيح البخاري) في المرة الثانية عقب عصْر كلِّ يوم في رجب وشعبان ورمضان في الجامع الأموي تحت القبَّة .

ومنهم: القسطلاني، وصاحب (القاموس)، والعيني، والحافظ ابن حجر، ولنذكرهم على هذا الترتيب .

فأما القسطَلاني، فهو: الشِّهاب أحمدُ بن محمد بنِ أبي بكر القسطَلاني المصري الشافعي، شرحَه شرحاً مزجاً، سمَّاه:(إرشاد السَّاري بشرح صحيح البخاري) جمعَه من الشُّراح، فأحسن فيه الصَّنيع والاصطلاح، وهو سبعُ مجلدات كبار، وهو مشهورٌ لدى الخاص والعام، ولعلَّ ذلك لإخلاص مؤلِّفه للمَولى العلام .

وذكر الزَّرقاني في آخر (شرح المواهب): أن القسطَلاني اختصرَ شرحَه للبُخاري المسمَّى بـ(إشارد الساري)، وسمَّاه: (الإسعاد بمختصر الإرشاد)، لكنه لم يتمَّ، انتهى.

وأما صاحب (القاموس)، فهو مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، شرع في شرحٍ سمَّاه: (فتح الباري بالسيح الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري)، ذكروا أنه كمُلَ ربع العبادات منه في عشرين مجلداً، وقدِّر تمامه في أربعين سفراً .

قال التَّقي الفاسي: وقد ملأه بغرائبِ المنقول، لا سيَّما لما اشتهرَ باليمن من مقالة ابن العربي، وغلبَ ذلك على علماءِ تلك البلاد، وصارَ يدخلُ في شرحه من فتوحاتهِ الكثير حتى كان سبباً لشين شرحه عند الطَّاعنين فيه، انتهى .

وقال الحافظُ ابن حجر: أنه رأى القطعة التي كملت في حياة مؤلفة قد أكلتها الأرضَةُ بحيث لا يقدر على قراءة شيءٍ منها. وقال السُّيوطي في ترجمته في (بغية الوعاة في طبقات النحا) بعد أن ذكر أن صاحب (القاموس) سمى شرحه على البخاري بما تقدم آنفاً، قال: قلت: وقد أخذ ابن حجرٍ منه اسمه، وسمَّى به شرح البخاري تأليفه، انتهى .

وبهذا يظهرُ أن ما يقع في بعض نسخ القسطلاني من أن اسم تأليف صاحب القاموس (منح الباري) إلى آخره، بميم فنون فحاء مهملة، من تحريف النَّاسخ، فتأمل .

وأما الإمام العيني، فهو: محمود بن أحمد، قال السيوطي في (بغية الوعاة): ولد بعنتاب، ونشأَ بها، واشتغلَ بالفنون وبرعَ، ثم دخلَ القاهرةَ مع العلاء السيرامي، واستوطنها .

وسمَّى شرحه للبخاري: (عمدة القاري بشرح صحيح البخاري)، وهو عندي أربعة أسفار كبار جدا. وقال القسطلاني: عشرة أجزاء وأزيد، وهو بخطه في إحدى وعشرين جزءاً مجلداً بمدرسته التي أنشأها بحارة كُتامة بالقربِ من الجامع الأزهر، وشرَعَ في تأليفه في أواخر شهر رجب سنة إحدى وعشرين وثمان مئة، وفرغَ منه في آخر الثلث الأول من ليلة السبت خامس شهر جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثمان مئة .

قال: واستمدَّ فيه من (فتح الباري)، كان في ما قيل: يستعيرُه من البرهان بن خضر بإذن مصنِّفه له، وتعقَّبه في مواضع، وطوَّله بما تعمَّد الحافظ ابن حجر في (الفتح) حذفه من سياقِ الحديث بتمامهِ، وإفراد كلٍّ من تراجمِ الرُّواة بالكلام، وبيان الأنسابِ واللُّغات والإعراب والمعاني والبيان، واستنباط الفوائد من الحديثِ والأسئلة والأجوبة، وغير ذلك .

وقد حكى بعضُ الفضلاء أنَّه ذكر للحافظ ابنِ حجر ترجيحَ شرح العيني بما اشتملَ عليه من البديع وغيره، فقال الحافظُ بديهة: هذا شيءٌ نقله من شرح لركن الدِّين، وكنتُ وقفتُ عليه قبله، ولكن تركتُ النقل منه؛ لكونه لم يتم، إنما كتبَ منه قطعة، وخشيتُ من تعبي بعد فراغِهَا في الاسترسالَ في هذا المهْيَع، ولذا لم يتكلم البدر العيني بعد تلك القطعةِ بشيءٍ من ذلك، انتهى. واستمدَّ العيني أيضاً كثيراً من الكرماني وابن الملقِّن، ولا محذورَ في ذلك إذا لم ينسبْ عبارتهما إليه، فراجعه .

وأمَّا الحافظ فهو: الشهاب أحمد بن حجَر العسْقَلاني، شرحَه شرحاً حافلاً، يبلغُ ستة أجزاء كبار، سمَّاه: (فتح الباري بشرح صحيح البخاري)، قال القسطلاني: وشهرته وانفرادُه بما اشتمل عليه من الفوائد الحديثية، والنِّكات الأدبيَّة، والفرائد الفقهيَّة تغنِي عن وصفهِ، لا سيَّما وقد امتازَ كما نبَّه عليه شيخُنا؛ يعني: السَّخاوي بجمع طُرق الحديث التي يتبيَّن من بعضِها ترجيح أحد الاحتمالات شرحاً وإعراباً، وطريقتُه في الأحاديث المكرَّرة أنه يشرحها في كلِّ موضعٍ، فما يتعلَّق بقصد البُخاري يذكره فيه، ويحيل بباقِي شرحه على المكان المشروح فيه .

قال شيخنا: وكثيراً ما كان ــ رحمه الله ــ يقول: أودُّ لو تتبَّعت الحوالات التي تقعُ لي فيه،

فإن لم يكن المحال به مذكوراً، أو ذكر في مكان غير المحال عليه ليقعْ إصلاحه، فلم يتفق له ذلك، فاعلمه. وكذا ربما يقعُ له ترجيحُ أحد الأوجهِ في الإعرابِ، أو غيره من الاحتمالاتِ أو الأقوال في موضع، ثم يرجح في موضعٍ آخر غير ذلك ممَّا لا طعنَ عليه بسببهِ، بل هذا أمرٌ لا ينفك عنه كثيرٌ من الأئمَّة المعتمدين .

وكان ابتداءُ تأليفهِ في أوائل سنة سبع عشرة وثمان مئة على طريقِ الإملاء، ثم صارَ يكتبُ بخطِّه شيئاً فشيئاً، فيكتبُ الكرَّاسة، ثم يكتبُها جماعةٌ من الأئمَّة المعتبرين، ويُعارض بالأصلِ مع المباحثةِ في يومٍ من الأسبوع، وذلك بقراءةِ العلامة ابن خضر، فصارَ لا يكملُ منه شيءٌ إلا وقد قوبل وحرَّر، إلى أن انتهى في أول يومٍ من رجب سنة اثنتين وأربعين وثمان مئة، سوى ما ألحقَ فيه بعد ذلك، فلم ينتهِ إلا قُبيل وفاةِ المؤلِّف بيسير .

ولما تمَّ عَمِلَ مصنِّفُه وليمةً بالمكان المسمَّى: (بالتاج والسبع وجوه) في يوم السبت ثاني شعبان سنة اثنتين وأربعين وثمان مئة، وقُرئ المجلس الأخير هناك بحضرةِ الأئمَّة كالقاياتي، والمنَاوي، والوفَائي، والسَّعد الدَّيري، وكان المصروف على الوليمةِ المذكورة نحو خمس مئة دينار، وكمُلَتْ مقدِّمته، وهي في مجلَّد ضخمٍ، في سنة ثلاث عشرة وثمان مئة، انتهى كلام القسطَلان. وللحافظ ابن حجر عليه كتابات أخر، منها: (مقدِّمة فتح الباري) وهي عندي في جزءٍ كبيرٍ، وتقدَّمت في كلام القسطَلاني.

ومنها: (تغليق التعليق) وهو بغين معجمة في اللفظ الأول، وبمهملة في الثاني، وهو مجلَّدٌ ذكر فيه تعاليق أحاديث الجامع المرفوعة، وآثاره الموقوفة، والمتابعات، ومَن وصلها بأسانيدِهِ إلى المعلق عنه، وهو كتابٌ عظيم في بابهِ لم يسبقْ إليه، وقرَّض له عليه صاحب (القاموس) كما وجدَ بخطِّه على نسخة بخطِّ مؤلِّفه، ولخَّصه في (مقدمة الفتح)، فحذف الأسانيد ذاكراً من خرَّجه مَوصولاً. وقال المنَاوي في خطبة (شرح النخبة) في ترجمةِ الحافظ: ومن تصانيفهِ (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) وآخر يسمَّى: (هدي الساري) وهو أكبرُ منه، واختصرَه ولم يتمَّا، و(تغليق التعليق) ومختصره، ويسمَّى بـ(التشريق) ومختصر المختصر، ويسمى: (التوفيق)، و(تقريب الغريب في غريب البخاري) انتهى. ومنها: كتاب له في أحوالِ رجال البخاري زيادةً على ما في (تهذيب الكمال) وسمَّاه: (الإعلام فيمن ذكر في البخاري من الأعلام) .

ومنها أيضاً: (انتقاض الاعتراض)، وهو كتابٌ يبلغُ نحو عشرين كرَّاسة يجيب فيه عمَّا

اعترضَ به العينيُّ عليه في شرحه، وقفتُ عليه، لكنَّه لم يجب عن كثيرٍ منها، قيل: ولعله كان يبيِّض لها ليجيبِ عنها، فلم يتيسَّر له، وقد أجبتُ عن أكثرها في شرحي المار المسمَّى(الفيض الجاري، فانظره فيه. وله أيضاً (الاستنصار على الطاعن المعثار) قال القسطَلاني: وهو صورة فتيا عمَّا وقعَ له في شرح خطبة البُخاري للعلَّامة العيني، انتهى.

ولم أقفْ عليه، لكن قال الحافظ في خطبة (الانتقاض): وفي سنة اثنتين وعشرين ـ أي: وثمان مئة ـ أحضرَ إليَّ طالبُ علمٍ كرَّاسة بخطِّ محتسب القاهرة الذي تولى بعد ذلك قضاء الحنفيَّة في الدولة الأشرفيَّة، فرأيتُ فيه ما نصُّه: الحمد لله الذي أوضحَ وجوه معالم الدِّين، وأفصحَ وجوه الشكِّ بكشفِ النِّقاب عن وجهِ اليقين، بالعلماء المستنبطين الرَّاسخين، إلى آخر خطبة شرح العيني. ثم قال في (الانتقاض): ذكر مقدمةً لطيفةً انتزعها من القطعةِ للإمام النَّووي، لكنه وقعَ له تصحيفُ كثيرٍ من الأسماء والمسمَّيات، والتَّحريف لبعضِ الكلمات. قال: وتتبَّعتُ ما وقعَ له من ذلك، فزادَ على ثمانين غلطةً، فأفردتُ ذلك في جزء سمَّيته: (الاستنصار على الطاعن المعثار) فكتبَ علماء العصرِ بتصويب ما تعقَّبتُ، فمِن جملةِ ما أنكرَ عليه قوله: وأفصح، فإن الرباعي إنما استعمل في اللازم، إلى غير ذلك ممَّا ذكره في خطبةِ (الانتقاض)، وفي ذلك الكتاب.

وأقول: شأن العلماء أن يرُدَّ بعضُهم على بعضٍ بحسبِ ما يظهرُ له كما قال بعضُ الأئمة المعتبرين: ما منَّا إلا مَن رَدَّ ورُدَّ عليه، إلا صاحب هذا القبرِ ـ يعني: النبي صلى الله عليه وسلم ـ شكر الله تعالى صنيعَ الجميع بجاهِ نبيِّنا محمَّد الشَّفيع، وجعلنا الله وإيَّاهم من الإخوان مُتقابلين، على سُررٍ من الأرائكِ متكِّئين.

ومع كثرةِ الشَّارحين لـ(صحيح البخاري) والخادمين، فقد قالوا: إنَّه كالبكرِ التي لم تمسَّها الرجال، وكالمستور من ربَّات الخباء والحجَالِ. وهو أول كتابٍ صنِّف في الحديث الصَّحيح المجرَّد، كما يأتي قريباً.

وأمَّا أول من دوَّن الحديث مطلقاً، فأبو بكر بن محمد بن حزم بأمر عمرَ بن عبد العزيز رضي الله عنه لخوفِ اندِرَاسهِ، كما في (الموطأ)، وذلك لأنَّه لما ماتَ أكثرُ الصَّحابة رضي الله عنهم وتفرَّقت أتباعُهم، وقلَّ الضَّبط، واتَّسع الخرْقُ، وكادَ الباطلُ أن يلتبسَ بالحقِّ، خاف عمرُ بن عبد العزيز على اندراسَ الحديث، فأمرَ بكتابتهِ صوناً له عن الضَّياع فكتبَ إلى أبي

بكرٍ المذكور: انظرْ ما كان من سُنَّة أو حديثٍ فاكتبه، فإنِّي خفْتُ دُروس العلمِ وذهابَ العلماء .

وفي رواية أبي نُعيم الأصبهاني بسنده: أنَّ عمرَ بن عبد العزيز كتبَ إلى الآفاق: انظروا في حديثِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه .

وعلَّقه البخاري في (صحيحه) في كتاب العلم بهذا اللفظ، وزادَ: ولا تقبلْ إلا حديث النَّبي صلى الله عليه وسلم، ولتفشوا العلم، ولتجلسُوا حتى يعلمَ من لا يعلم، فإنَّ العلم لا يهلك حتى يكون سراً، انتهى .

قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري): فيستفادُ منه ابتداءُ تدوينِ الحديث النَّبوي. انتهى

وقال في (المقدمة): اعلم أنَّ آثار النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن في أعصار الصحابة وكبارِ أتباعهم مدوَّنة في الجوامع، ولا مرتَّبة لأمرين :

أحدهما: أنهم كانوا في ابتداءِ الحالِ قد نُهوا عن ذلك، كما ثبتَ في (صحيح مسلم) خشيةَ أن يختلطَ بعض ذلك بالقرآنِ العظيم .

وثانيهمَا: لسعةِ حفظهِمْ، وسيلانِ أذهانهم، ولأن أكثرهُم كانوا لا يعرفون الكتابة، ثم حدث في أواخر عصرِ التَّابعين تدوين الآثار، وتبويب الأخبار، لما انتشرَ العلماءُ في الأمصار، وكثر الابتداعُ من الخوارجِ والروافض ومُنكري الأقدار، وأوَّل من جمعَ ذلك الربيع بن صُبيح، وسعيد بنُ أبي عَرُوبة، وغيرهما، وكانوا يصنِّفون كلَّ باب على حدةٍ، إلى أن انتهَى الأمرُ إلى كبار الطبقةِ الثالثة، فصنَّف الإمامُ مالك بنُ أنس (الموطأ) بالمدينة، وتوخَّى فيه القويُّ من حديث أهلِ الحجاز، ومزجَه بأقوال الصَّحابة وفتاوى التابعين ومن بعدهم، وصنَّف عبد الملك بنُ جُريج بمكة، وعبدُ الرَّحمن الأوزاعي بالشَّام، وسفيان الثَّوري بالكوفة، وحمَّاد بن سلمة بن دينار بالبصرة، ثمَّ تلاهم كثيرٌ من أهل عصرهِم في النَّسج على منوالهم، إلى أن رأى بعضُ الأئمَّة منهم أن يفردَ حديث النَّبي صلى الله عليه وسلم خاصَّة، وذلك على رأسِ المئتين .

فصنَّف أبو عبدِ الله بن موسى العبْسِي الكوفي مسنداً، وصنَّف مسدد بن مُسَرْهد البَصري مسنداً، وصنَّف أسدُ بن موسى الأموي مسنداً، وصنَّف نُعيم بن حماد الخزَاعي نزيل مصر مسنداً، ثم تلاهم كثيرٌ من الأئمة، فرتَّب على ما سنحَ له .

فمنهم من رتب على المسانيد كأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وعثمان بن أبي شيبة، أبي أحمد بن منيع، وأبي بكر البزَّار، وغيرهم .

ومنهم من رتَّب على الأبواب والمسانيد معاً؛ كأبي بكر بن أبي شيبة، انتهى .

أي: ومنهم من رتَّب على العلل بأن جمعَ في كلِّ متن طُرقه، واختلاف الرُّواة فيه، وغيرهم بحيث يظهرُ إرسال المتَّصل، ووقف المرفوع، وغير ذلك .

ومنهم من رتَّب على الأبوابِ الفقهيَّة وغيرها، ونوعه أنواعاً، وجمعَ كل نوعٍ إثباتاً ونفياً في باب؛ بحيث ميَّز ما يتعلَّق بالصَّلاة مثلاً عمَّا يتعلَّق بالصوم والزكاة، وهكذا .

وأهل هذه الطَّريقة منهم من تقيَّد بالصَّحيح فقط؛ كالشَّيخين، ومنهم من لم يتقيَّد بذلك؛ كباقِي أصحاب السُّنن الستَّة .

ومنهم من اقتصرَ على الأحاديث المتضمِّنة للتَّرغيب والترهيب كالمنذريِّ .

ومنهم من اقتصرَ على الحديث، وحذف سنده؛ كالبغوي في (مصابيحه)، واللؤلؤي في (مشكاته) من المتقدِّمين، وكالجلال السُّيوطي وغيره من المتأخرين .

تنبيه: ولينظر التَّوفيق بين ما في (فتح الباري)، وبين ما في (المقدمة) له؛ لاختلافهمَا في أول من دوَّنَ الحديثَ، ولعلَّ الأولية نسبية بحسبِ البلاد، أو بوجهٍ آخر مخصوص في التأليف، فتدبر.

قال في (المقدمة): فلمَّا رأى البُخاري ــ رحمه الله ــ هذه التصانيف، أي: تصانيف من تقدَّمه، ورواها، وانتشق ريَّاها، واستجلى محيَّاها، وجدها بحسبِ الوضع جامعةً بين ما يدخلُ تحت التَّصحيح والتَّحسين، والكثير منها يشملُه التَّضعيف، فلا يقال لغثِّه: سمين، فحرَّك همته لجمعِ الحديث الصَّحيح الذي لا يرتابُ فيه أمين، وقوَّى عزمَه على ذلك ما سمِعَه من أستاذِهِ أمير المؤمنين في الحديثِ والفقهِ إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه .

وساق سندَه إلى البُخاري فقال: كنَّا عند إسحاق بن راهويه، فقال: لو جمعتُم كتاباً مختصراً لصحيح سنة النَّبي صلى الله عليه وسلم، قال: فوقعَ ذلك في قلبي، فأخذتُ في جمع (الجامع الصحيح)، انتهى

وقدَّمنا ذلك وغيره عند وجه تسميةِ هذا الصَّحيح بأبسط، فالبُخاري أوَّل من صنَّف في الصَّحيح المجرَّد.

قال النَّووي ــ رحمه الله ــ: وأما محلُّه، فقال العلماءُ: هو أوَّل كتابٍ صنِّف في الحديث الصَّحيح المجرَّد .

واتَّفقوا على أن أصحَّ الكتبِ المصنَّفة صحيحاً البُخاري ومسلم؛ لتلقِّي الأمَّة لهمَا بالقبُول، وإنما اختلفُوا في الأصحِّ منهما، واتَّفق الجمهورُ على أن (صحيح البخاري) أصحَّهما صحيحاً، وأكثرهما فوائد وترجيحاً.

وقال الحافظُ أبو علي النَّيسابوري وبعض علماءِ المغرب: (صحيح مسلم) أصح، وفي رواية عنه أنه قال: ما تحتَ أديم السَّماء أصح من كتاب مسلم، وأنكرَ العلماء ذلك عليهم، والصَّواب ترجيح(صحيح البخاري). وقد قرَّر الإمامُ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي في كتابه (المدخل) ترجيح (صحيح البخاري) على (صحيح مسلم)، وذكر دَلائله، وقال النَّسائي: أجودُ هذه الكتب كتاب البُخاري، وأجمعتِ الأمَّة على صحَّة هذين الكتابين، ووجوبِ العملِ بأحاديثهما، انتهى.

واتَّفقوا على أن (صحيح البخاري) مقدَّم على (صحيح مسلم) في الوضع والتَّأليف، وقد نظمَ ذلك الحافظ عبد الرَّحيم العراقي في ألفيَّته بقوله :

أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ فِي الصَّحِيْحِ مُحَمَّدٌ وخُصَّ بالتَّرْجِيْحِ

ومُسْلِمٌ بَعْدُ وبَعْضُ الغَرْبِ مَعْ أَبِي عَلِيٍّ فَضَّلوا ذَا لَو نَفَعْ

وقد أشرتُ إلى ذلك بقولي :

لَقَدْ صَنَّفَ الأَعْلامُ كُتُباً كَثِيرةً مُفَصَّلَةً بالبَحْثِ عَن هَدْي أَحْمَدِ

وأَرْجَحُها عنْدَ الأَنَامِ جَميعِهِمْ سِوَى البَعْضِ يَا هَذا صَحِيحُ مَحَمَّدِ

وقلت أيضاً مع زيادة :

لأَوَّلُ جَمْعٍ فِي الصَّحِيحِ المجَرَّدِ صَحِيحُ البُخَاريِّ الإِمَامِ مُحَمَّدِ

ويَتْلُوهُ فِي الرُّجْحَانِ والوَضْعِ مُسْلِمٌ عَلَى المَذْهَبِ الأَقْوَى فحَقِّقْ وسَدِّدِ

فقولي: على المذهبِ الأقوَى؛ أي: الأرجح، ناظراً إلى قولي: ويتلوه في الرُّجحان، لا إلى قولي: والوضع؛ لأن تأخير (صحيح مسلم) في الوضعِ والتأليف عن (صحيح البخاري) بالاتِّفاق، ولذلك قلت: فحقِّق وسدِّد، والأولى أن يقالَ: على المذهبِ الأقوى في الأوَّل سدِّد بالنَّقل في الأول. ولبعضهم :

أصَحُّ كِتَابٍ بَعْدَ تَنْزيلِ رَبّنَا صَحِيحُ البُخَارِي الَّذِي جَمَعَ الأشْيَا

علَيْكَ بهِ حِفْظاً ودَرْساً تنَلْ بهِ حيَاتَكَ فِي الأُخْرى ومَا شِئْت فِي الدُّنْيَا

وقال شيخُ الإسلام زكريا وغيره: وأمَّا قول الشَّافعي رضي الله عنه: ما على وجهِ الأرض بعد كتاب الله تعالى أصحُّ من كتاب مالك، فذاكَ قبلَ وجودهما، انتهى .

وقال الحافظ ابنُ حجر في (المقدمة) نقلاً عن ابن الصَّلاح في (علوم الحديث): وأمَّا ما رويناه عن الشَّافعي رضي الله عنه: أنه قال: ما أعلمُ في الأرض كتاباً أكثر صواباً من كتابِ مالك، قال: ومنهم من رواه بغيرِ هذا اللَّفظ ــ يعني بلفظ: أصح من (الموطأ) ــ فإنَّما قال ذلك قبلَ وجود كتاب البخاريِّ ومسلم .

ثمَّ إن كتابَ البخاري أصح الكتابين صَحيحاً، وأكثرهما فوائدَ وترجيحاً، وأماَّ ما رويناه عن أبي علي الحافظ النِّيسابوري أستاذ الحاكم أبي عبد الله الحافظ من أنه قال: ما تحتَ أديمِ السَّماء كتابٌ أصح من كتاب مسلم بن الحجاج، فهذا وقول من فضَّل من شيوخ المغربِ كتاب مسلم على كتاب البخاري، إنْ كان المرادُ به أنَّ كتاب مسلم يترجَّح بأنَّه لم يمازجْه غير الصَّحيح، فإنه ليس فيه بعد خطبته إلا الحديث الصَّحيح مسروداً غير ممزوجٍ بمثل ما في كتاب البُخاري من تراجم أبوابِهِ من الأشياء التي لم يسندها على الوصفِ المشروط في الصَّحيح، فهذا لا بأسَ به، وليس يلزمُ منه أنَّ كتاب مسلمٍ أرجحُ فيما يرجع إلى نفسِ الصَّحيح على كتاب البُخاري، وإن كان المراد به أنَّ كتاب مسلمٍ أصح صحيحاً، فهذا مردودٌ على قائله، انتهى كلام ابن الصَّلاح المنقول في (المقدمة) .

وقال السُّيوطي في (شرح مسلم): وممَّا امتازَ به كتاب مسلم على كتاب البُخاري أنه لم يكثر من التَّعليق إذ ليس فيه شيء تعليقاً، سوى مَوضعين، ومتابعات سوى اثني عشر موضعاً، انتهى. ثم قال في (المقدمة): وقد استشكلَ بعض الأئمَّة إطلاق أصحيَّة كتاب البخاري على كتاب مالك، مع اشتراكهما في اشتراطِ الصِّحة، والمبالغة في التَّحري والتثبُّت، وكون البُخاري أكثر حديثاً لا يلزم منه أفضليَّة الصِّحة .

والجواب عن ذلك: أنَّه محمولٌ على أصلِ اشتراط الصِّحة، فمالك لا يرى الانقطاعَ في الإسناد قادحاً، فلذلك يخرّج المراسيلَ والمنقطعات والبلاغات في أصلِ موضوعِ كتابه، والبخاري يرَى أنَّ الانقطاع علَّة، فلا يخرجُ ما هذا سبيلُه، إلا في غير أصلِ موضوع كتابهِ

كالتَّعليقات والتراجِم، ولا شكَّ أنَّ المنقطعَ وإن كان عند قومٍ من قبيلِ ما يحتجُّ به، فالمتَّصل أقوَى منه إذا اشتركَ كلٌّ من راويهما في العدالةِ والحفظ، فبان بذلك شفوف كتابِ البُخاري.

وعلم أنَّ الشَّافعي إنما أطلقَ على (الموطأ) أفضليَّة الصَّحة بالنسبة إلى الجوامعِ الموجودة في زمنه كجامع سفيان الثَّوري، ومصنف حماد بن سلمة، وغير ذلك، وهو تفصيلٌ مسلَّمٍ لا نزاعَ فيه، انتهى ما في (المقدمة)، فاعرف. وقال الحافظُ السُّيوطي في (شرح تقريب النووي): ثمَّ تلا البُخاري في تصنيف الصَّحيح الإمام مسلم بنُ الحجَّاج تلميذُه.

قال العراقيُّ: وقد اعترضَ هذا بقول أبي الفضل أحمد بن سلمة: كنتُ مع مسلم بنِ الحجَّاج في تأليف هذا الكتاب سنة خمس ومئتين، وهذا تصحيفٌ، إنما هو سنة خمسين، بزيادة الياء والنون؛ لأن في سنة خمس ومئتين كان عمر مسلم سنة، بل لم يكنْ البُخاري صنَّف إذ ذاك؛ لأنَّ مولده سنة أربع وتسعين ومئة، انتهى. فالحاصلُ أنّ (صحيح البخاري) أصح على الصَّحيح، وأن تأليفَه ووضعَه قبل تأليفِ مسلمٍ اتفاقاً.

وتوقَّف بعضُهم فلم يرجّح واحداً منهما، وقال ابن الملقِّن: رأيتُ بعضَ المتأخرين قال: إن الكتابين سواء، فهذا قولٌ ثالثٌ، وحكاه الطُّوفي في (شرح الأربعين)، ومالَ إليه القرطبي، انتهى. وهذا غير القولِ بالتوقف، فهو ثالثٌ بالنسبة للقولين المشهورين، وإلا فهو قول رابعٌ، فافهم.

وأنصفَ الحافظُ عبد الرَّحمن بن الرَّبيع، ففضَّلَ كلُّ واحدٍ منهما من جهة، فقال:

تنَازَعَ قَوْمٌ فِي البُخَارِيْ ومُسْلِمٍ لَدَيَّ وَقَالُوا أَيُّ ذَينِ مُقَدَّمُ

فَقُلْتُ لَقَدْ فَاقَ البُخارِيُّ صِحَّةً كَمَا فَاقَ فِي حُسْنِ الصِّنَاعَةِ مُسْلِمُ

انتهى. فجملةُ الأقوالِ في ذلك خمسة.

وقال النَّووي في (شرح مسلم): اتَّفق العلماء على أنَّ أصحَّ الكتب بعد القرآن العزيز الصَّحيحان، وعلى تلقِّيهما بالقبولِ، وعلى أنَّ البُخاري أصحهما صحيحاً، وأكثرهما فوائدَ ومعارف ظاهرة وغامضة، وصحَّ أن مسلماً كان ممن يستفيدُ من البخاري، ويعترف بأنه ليس له نظيرٌ في علم الحديث.

وما ذكرناه من ترجيحِ البخاري هو المذهبُ المختار الذي قال به الجماهير وأهلُ الإتقانِ والحِذْقِ والغَوْصِ على أسرارِ الحديثِ.

وقال أبو عليٍّ النيسابوري: كتابُ مسلمٍ أصحُّ، ووافقَه بعضُ شيوخ الغربِ، والصحيحُ الأوَّلُ. إلى آخر ما أطالَ به .

وقال السيوطيُّ في (شرح التقريب) المسمى بـ(تدريب الراوي بشرح تقريب النواوي): كلام الحافظ أبي سعيد العَلائي يُشْعِرُ بأنَّ أبا عليٍّ لم يقفْ على (صحيح البخاري)، قال: وهذا عندي بعيدٌ، فقد صحَّ عن بَلَدِيِّهِ وشيخه أبي بكر بن خُزيمة أنه قال: ما في هذه الكتبِ كلها أجود من كتاب محمَّد بن إسماعيل .

والذي يظهرُ من كلام أبي علي أنه قَدَّمَ (صحيح مسلم) لمعنى آخر، غير الشَّرائط المطلوبة في الصِّحة، وهو أنَّ مسلماً صنَّف كتابَهُ في بلدِه بحضورِ أصوله في حياة كثيرٍ من مشايخه، فكان يتحرَّز في الألفاظِ، ويتحرَّى في السياق، بخلاف البُخاري، فربما كتب الحديث من حفظهِ، ولم يميِّز ألفاظ رواته، ولهذا قد يعرضُ له الشك .

وقد صحَّ عنه أنه قال: ربَّ حديثٍ سمعتُه بالبصرة، فكتبتُه بالشام، ولم يتصدَّ مسلمٌ لما تصدى له البخاري من استنباطِ الأحكام، وتقطيعِ الأحاديث، ولم يُخَرِّج الموقوفات، وما نقلَ عن بعض شيوخِ المغاربة فلا يُحفَظُ عن أحدٍ منهم تقييد الأفضليَّة بالأصحيَّة، بل أطلقوها .

فحكى عياض عن أبي مروان الطُّبْني ــ بضم المهملة وسكون الموحدة ثم نون ــ أنه قال: كان بعضُ شيوخي يُفَضِّلُ (صحيح مسلم) على (صحيح البخاري)، قال: وأظنُّه ابن حزم؛ لأنه قال في (فهرسته): ليس فيه بعد الخُطبة إلا الحديث .

وقال مسلمة بن قاسم القُرطبي: لم يضعْ أحد مثل (صحيح مسلم) في حسن الوضْع، وجودة الترتيبِ، لا في الصِّحة، ولهذا قال النَّووي: واختصَّ مسلِمٌ بجمعِ الحديثِ وطُرقه في مكان، بخلاف البخاري، فإنه قطَّعه، وأورد كثيراً منها في غيرِ مظنته .

قال الحافظ ابنُ حجر: ولهذا ترَى كثيراً من المغَاربة يعتمدُ على مسلمٍ، يعني: كعبد الحق في (أحكامه) و(جمعه) يعتمدُ على كتاب مسلم في نقلِ المتون وسياقها؛ دون البخاري لوجودها عند مسلم تامَّة، وتقطيع البُخاري لها، وإذا امتازَ مسلم بهذا، فللبُخاري في مقابلِهِ من الفضلِ ما ضمَّنه التراجم التي حيَّرت الأفكار .

وما ذكرهُ ابن أبي جمرة عن بعضِ السَّادات أنه قال: ما قُرِئَ في شدَّة إلا فُرِجَتْ، ولا رُكِبَ به في مركبٍ فغرقَ، ولا كان في موضعٍ فسُرِق أو احترقَ، كما مرَّ .

وأقولُ: ما ذكره السُّيوطي في ضبط الطُّبني من أنه بسكون الموحدة، لعلَّه تخفيف من ضمها؛ فإنه قال في (لب الألباب) له: الطُّبُني ــ بضمتين ونون ــ، نسبة إلى طُبُنَة بلدةٌ بالمغرب، انتهى، فتأمل هذا .

وما قاله السيوطي في (شرح التقريب) مُلَخَّصٌ مما في (المقدمة) للحافظ ابنِ حجر .

وقال فيها أيضاً: ووجدتُ تفسير هذا التَّفصيل ــ أي: الذي حكاهُ عياض ــ قال: فقرأتُ في (فهرست أبي محمد القاسم بن القاسم التجيبي)، قال: كان أبو محمد بن حزم يُفضِّلُ كتابَ مسلمٍ على كتابِ البُخاري؛ لأنَّه ليس فيه بعد خُطبته إلا الحديثَ السَّرد، انتهى .

قال: وعندِي أنَّ ابن حزم هذا هو شيخ أبي مروان الطُّبني الذي أبهَمَهُ عياض، ويجوز أن يكون غيره، ومحملُ تفضيلهما واحدٌ .

قال: ومن ذلك قول مَسْلَمة بن قاسم القُرْطبي، وهو من أقرانِ الدَّارقطني لما ذكر في (تاريخه) (صحيح مسلم)، قال: لم يضعْ أحد مثله، فهذا محمولٌ على حُسن الوضعِ، وجودةِ الترتيبِ، وكون أحاديثهِ تامَّةً في محلٍّ، وتقطيع البخاري لها في محالٍّ .

قال: وإذا تقرَّر ذلك، فليقابل هذا التَّفضيل بجهةٍ أخرى، وهو قولُ العارفِ ابنِ أبي جمرة السابق: وكان البخاري مجابَ الدَّعوة، وقد دعا لقارئهِ، وكذلك الجهة العُظمى الموجبة لتقديمهِ، وهي ما ضمَّنَه أبوابه من التراجم التي حيَّرتْ الأفكار، وأدهشَتِ العقول والأبصارَ .

قال: وإنما بلغَتْ هذه الرُّتبة، وفازَتْ بهذه الحظوةِ، بسبب عظيمٍ أوجبَ عظمها، وهو ما رواهُ أبو أحمد بن عدي عن عبد القدُّوس بن همام قال: سمعتُ عدَّة مشايخ يقولون: حوَّلَ البخاريُّ تراجمَ (جامعه) ــ يعني: بيَّضها ــ بين قبرِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ومنبرِهِ، وكان يصلِّي لكلِّ ترجمة ركعتين، انتهى ما في (المقدمة) .

وأقول: هذا أمرٌ لا يرجعُ إلى أصحيَّة الحديثِ وقوَّة سندِهِ، بل لأمرٍ خارجيٍّ، كما يُفهم من كلامهِ، فليتأمَّل .

ومن الأدلَّة على ترجيح (صحيح البخاري) على (صحيح مسلم): اشتراطُهُ في المعَنْعَنِ مع المعاصرةِ اللقيَّ بالفعل؛ لأنَّه لو لم يكن لقيَ جزماً؛ لقويَ الاحتمال للإرسالِ، واكتفَى مسلِمٌ بإمكانِ اللُّقي، ورَدَّ قولَ البخاريِّ، فقال في خطبة (صحيحه): إنه قولٌ مخترعٌ لم يسبقْ إليه، ولا مُساعدَ لهُ عليه، وإنه كما يحتملُ الإرسالَ عند إمكان اللُّقي، يحتملُه عند ثبوتهِ، فلا وجه

لاشتراطِ الثُّبوت .
ورُدَّ بما تقدَّم آنفاً: أنه عند إمكان اللُّقي يقوى احتمالُ الإرسال، بخلافِهِ عند اللُّقي بالفعل، فإنه يضعفُ جدًّا، ويغلبُ حينئذٍ على الظنِّ الاتصال، والبابُ مبني على غلبةِ الظنّ، وليس هذا موجوداً فيما إذا أمكنَ اللُّقي، ولم يثبت بالفعل، فلا يحملُ عليه؛ لأنه حينئذٍ يصيرُ كالمجهول، والمجهول روايته مردودةٌ، لا للقطعِ بكذبهِ أو ضعفهِ، بل للشَّك في حالهِ .
ورَدَّ النوويُّ وغيرُه على مسلمٍ أيضاً بأن ما ردَّه هو المختار الصَّحيح الذي عليه أئمة هذا الفن منهم عليُّ بن المديني والبخاري، وغيرهما .
وأقول: في ذكر البخاري وقفةٌ؛ لأنه الَّذي معه النزاع، فتأمَّل .
وأما ما زادَهُ جماعة من المتأخرين من اشتراطه أيضاً أن يكون أدركه إدراكاً بيّناً، وما زاده أبو المظفَّر السَّمعاني من اشتراطِهِ طولَ الصُّحبة بينهما، وما زاده أبو عَمرو الدَّاني من اشتراطِهِ أن يكون معروفاً بالرواية عنه، فليس بمعتبر جميع ذلك على الصَّحيح، بل الشرطُ عند البخاري اللِّقاء بالفعل لمن روى عنه، ولو مرَّة واحدة .
قال النَّواوي: وأمَّا ما نقل عن أبي علي النيسابوري أنه قال: ما تحت أديمِ السَّماء أصحُّ من كتاب مسلم، فلا يصرِّح بكونه أصح من (صحيح البخاري)؛ لأنه إنما نفَى وجودَ كتابٍ أصحَّ من كتاب مسلم في الصِّحة يمتازُ بتلك الزيادة عليه، ولم ينفِ المساواة، وكذلك ما نُقِلَ عن بعضِ المغاربة أنه فضَّل (صحيح مسلم) على (صحيح البخاري)، فذلك فيما يرجعُ إلى حُسْنِ السياق، وجودةِ الوضعِ والترتيبِ، ولم يصرحْ أحدٌ بأن ذلك راجعٌ إلى الأصحيَّة، ولو صرَّحوا به، لردَّه عليهم شاهدُ الوجود؛ إذ الصِّفات التي تدورُ عليها الصِّحة؛ كالاتِّصال وعدم الشُّذوذ والإعلال، وجودُها في كتاب البخاري أتمُّ منها في كتاب مسلم وأشد، وشرطُه فيها أقوَى وأسدُّ .
قال: أمَّا رُجحانه من حيث الاتصالُ، فلاشتراطِهِ كما تقدَّم أن يكون الراوي قد ثبتَ له لقاء من روى عنه، ولو مرَّة واحدة، واكتفَى مسلمٌ بمطلقِ المعاصرةِ، وألزم البخاريُّ بأنَّه يحتاج ألا يقبل المعنعن أصلاً، وما ألزمَه به ليس بلازمٍ؛ لأنَّ الراوي إذا ثبتَ له اللقاء مرَّة، لا يجري في روايتهِ احتمال ألا يكون سمع؛ لأنه يلزم من جريانهِ أن يكونَ مدلساً، والمسألةُ مفروضةٌ في غيرِهِ. وأمَّا رُجْحانه من حيث العدالةُ والضَّبط، فلأنَّ الرجال الذين تُكلِّم فيهم من رجال

مسلمٍ أكثر عدداً من الذين تكلَّم فيهم من رجالِ البخاري، مع أنَّ البخاري لم يكثِرْ من إخراجِ حديثهم، بل غالبهم من شيوخهِ الذين أخذ عنهم، ومارسَ أحاديثهم، وميَّزَ جيِّدها من موهومها، بخلافِ مسلم؛ فإن أكثرَ من تفرَّد بتخريجِ حديثه ممَّن تكلَّم فيه ممن تقدَّم عصره من التابعين ومَن بعدهم، ولا ريبَ أن المحدِّث أعرفَ بحديث شيوخهِ ممَّن تقدَّم عنهم .

وأمَّا رُجحانه من حيث عدمُ الشُّذوذ والإعلال، فلأنَّ ما انتقدَ على البُخاري من الأحاديث أقل عدداً ممَّا انتقدَ على مسلم .

وقد أُجيب عمَّا انتقدَ عليهما: بأنه لا يقدح في الشَّيخين كونهما خرَّجا لمن طُعن فيه؛ لأن تخريجَ صاحب الصَّحيح لأي راوٍ مقتضٍ لعدالتهِ عنده، وصحَّة ضبطهِ، وعدم غفلتهِ، فالأحاديثُ التي انتقدتْ عليهما لا تقدحُ في أصل موضوع الصَّحيح؛ فإنَّ جميعها واردٌ من جهةٍ أُخرى .

وقد علم أنَّ الإجماعَ واقعٌ على تلقِّي كتابيهما بالقبولِ والتسليم، إلا ما انتقدَ عليهما فيه، على أنه لا ريبَ في تقديمهما على أئمة عصرهما ومَن بعده في معرفةِ الصَّحيح والعليل، فلا يقدحُ طعنُ غيرهما فيما روياه في كتابيهمَا، لا سيَّما وقد انضافَ إلى ذلك إطباق الأمَّة على تسميتهما بالصَّحيحين، وهذا في الأصول .

أمَّا في المتابعات والشَّواهد والتَّعاليق، فتتفاوتُ درجاتُ من أخرجا له في الضَّبط وغيره، مع حصول اسم الصِّدق لهم .

وقد روى الفِرَبْري ــ كما تقدم ــ عن البخاريِّ أنه قال: ما أدخلتُ في الصَّحيح حديثاً إلا بعد أنْ استخرتُ الله تعالى، وتيقَّنت صحَّته .

وقال أبو جعفر محمَّد بن عَمرو العُقيلي: لما ألَّف البخاري كتاب الصحيح، عرضه على أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المدِيني وغيرهم، فاستحسنوهُ، وشهدوا له بالصِّحة، إلا في أربعةِ أحاديثَ، قال العُقيلي: والقولُ فيها قول البُخاري، وهي صحيحةٌ، انتهى .

وأقول: لم أقفْ على تعيينها، فلتراجعْ .

وقال مكِّي بن عبْدان: كان مسلمٌ يقول: عرضتُ كتَابي على أبي زُرعة الرَّازي، فكلُّ ما أشار عليَّ أن له علَّةً تركتُه، وكلُّ ما قال إنه صحيحٌ وليس به علَّة خرَّجته .

وروى مكي أيضاً أنه قال: سمعتُ مسلماً يقول: لو أنَّ أهلَ الحديثِ يكتبون مئتي سنة

الحديثَ، فمدارُهم على هذا المسند، يعني: صحيحَهُ .
وروى الخطيبُ البغداديُّ بإسنادهِ عن مسلم أنه قال: صنَّفتُ هذا المسندَ الصَّحيحَ من ثلاث مئة ألف حديث مسموعةٍ، نقله النَّووي في (شرح مسلم).
فإذا وجدَنا مطعوناً فيه، فذلك الطَّعن مقابَلٌ بتعديلِ هذين الإمامين، أو أحدهما، ولا يقبلُ الجَرْحُ إلا مُفَسَّراً بقادحٍ فيه، أو في ضبطهِ مطلقاً، أو في ضبطهِ بخبر معين؛ لأنَّ الأسباب الحاملة للأئمَّة على الجرحِ متفاوتةٌ، منها ما يقدحُ، ومنها ما لا يقدحُ، وقد كان أبو الحسن المقدسِي يقول في الرجلِ الذي يخرّج عنه في الصَّحيح: هذا جَازَ القنطرةَ؛ يعني: لا يلتفتُ لما قيل فيه.
فإذا علمتَ هذا، ظهرَ لك أنهما لا يخرِّجان من الحديث إلا ما لا علَّة له، أو له علَّة لكنها غير مؤثِّرة، وكلام من انتقدَهما يكون معارضاً لتصحيحهما، ولا ريبَ في تقديمهمَا على غيرهما، وحينئذٍ فيندفعُ الاعتراضُ عليهما .
وقال الحافظُ ابن حجر في (المقدمة): اقتضَى كلام ابن الصَّلاح أن العلماء متَّفقون على القول بأفضليَّة البخاري في الصَّحة على كتاب مسلمٍ، إلا ما حكاهُ عن أبي عليٍّ النيسابوري من قولهِ المتقدِّم .وعن بعضِ شيوخ المغاربة: أنَّ كتاب مسلمٍ أفضلُ من كتاب البُخاري، من غير تعرُّضٍ للصِّحة .
فنقول: روينا بالسند الصَّحيح عن أبي عبد الرَّحمن النَّسائي، وهو شيخُ أبي علي النيسابوري: أنه قال: ما في هذه الكتبِ كلها أجودُ من كتابِ محمَّد بن إسماعيل، والنَّسائي لا يعني بالجودَةِ إلا جودة الأسانيدِ، كما هو المتبادرُ إلى الفهم من اصطلاحِ أهلِ الحديث، ومثل هذا من مثل النَّسائي غاية في الوصفِ، مع شدَّة تحرِّيه وتوقِّيه وتثبتهِ في نقدِ الرجال، وتقدُّمه في ذلك على أهل عصرِهِ، حتى قدَّمَه قومٌ من الحذَّاق في معرفةِ ذلك على مسلم بن الحجَّاج، وقدَّمه الدَّراقطني في ذلك وغيره على إمام الأئمةِ أبي بكر بن خُزيمةَ صاحب (الصحيح).
وقال الإسماعيلي في (المدخل له: أما بعدُ: فإني نظرتُ في الكتاب الجامع الذي ألَّفه أبو عبد الله البخاري، فرأيتُه جامعاً كما سمَّى لكثيرٍ من السنن الصَّحيحة، ودالًّا على جملٍ من المعاني الحسنة المستنبطةِ التي لا يكملُ لمثلها إلا من جمعَ إلى معرفةِ الحديث ونقلتهِ، والعلم بالرِّوايات وعللها، علماً بالفقهِ واللغة، وتمكناً منها كلها، وتبحراً فيها .

وكان ــ يرحمه الله ــ الرجل الذي قصُر زمانُه على ذلك، فبرعَ وبلغ الغايةَ، فحاز السَّبق، وجمع إلى ذلك حُسن النية والقصد للخير، فنفعَه الله، ونفعَ به .

قال: وقد نحا نحوه في التَّصنيف جماعة، منهم: الحسن بن علي الحلواني، لكنَّه اقتصرَ على اليسير، ومنهم: أبو داود السِّجستاني، وكان في عصر أبي عبد الله البخاري، فسلك فيما سمَّاه: (سننا) ذكر ما روي في الشيء، وإن كان في السَّند ضعفٌ إذا لم يجد في الباب غيره، ومنهم: مسلم بن الحجاج، وكان يقاربهُ في العمر، فرام مرامهُ، وكان يأخذُ عنه، أو عن كتبه، إلا أنه لم يضايقْ نفسه مضايقة أبي عبد الله، وروى عن جماعةٍ كثيرةٍ لم يتعرَّض أبو عبد الله للرِّواية عنهم، وكلٌّ قصدَ الخير، غير أن أحداً منهم لم يبلغْ من التَّشديد مبلغ أبي عبد الله، ولا تسبَّب إلى استنباطِ المعاني، واستخراجِ لطائف فقه الحديث، وتراجمِ الأبواب الدالة على ما له وصلةٌ بالحديث المروي فيه تسببه ولله الفضل، يختصُّ به من يشاء .

وقال الحاكم أبو أحمد النيسابوري، وهو عصريُّ أبي علي النيسابوري، ومقدَّم عليه في معرفةِ الرجال، فيما حكاهُ أبو يعلى الخليلي الحافظ في (الإرشاد ما ملخَّصه: رحمَ الله محمَّد بن إسماعيل، فإنَّه ألَّف الأصول؛ يعني: أصول الأحكام من الأحاديث وبيَّنَ للناسِ، وكلُّ من عملَ بعدَه، فإنَّما أخذَه من كتابهِ؛ كمسلم بن الحجَّاج .

وقال الدَّارقطني لما ذكر عنده الصَّحيحان: لولا البخاري لما ذهبَ مسلم ولا جاء، وقال مرةً أخرى: وأيُّ شيء صنعَ مسلم؟ إنما أخذَ كتاب البخاري، فعملَ عليه مستخْرَجاً، وزادَ فيه زيادات. وهذا الذي حكيناهُ عن الدَّارقطني جزَمَ به أبو العبَّاس القُرطبي في أول كتاب المفهم في شرح صحيح مسلم).

والكلامُ في نقل الأئمَّة في تفضيله كثيرٌ، ويكفِي منه اتِّفاقهم على أنه كان أعلم بهذا الفنِّ من مسلمٍ، وأن مسلماً كان يشهدُ له بالتقدُّم في ذلك، والإمامة فيه، والتفرُّد بمعرفةِ ذلك في عصرِه، حتى هجرَ من أجلِهِ شيخَه محمد بن يحيى الذُّهْلي في قصَّة مشهورةٍ تقدمت، فهذا من حيث الجملة. وأمَّا من حيث التَّفصيل، فقد قرَّرنا أنَّ مدارَ الحديث الصَّحيح على الاتصال، وإتقان الرِّجال، وعدم العللِ، وعند التَّأمل: يظهرُ أن كتابَ البُخاري أتقنُ رجالاً، وأشدُّ اتصالاً، وبيان ذلك من أوجه :

أحدها: أنَّ الذين انفردَ البخاري بالإخراجِ لهم دونَ مُسلمٍ أربعُ مئةٍ وبضع وثلاثون رجلاً،

المتكلَّم فيه بالضَّعف منهم ثمانون رجلاً، والذي انفردَ مسلم بالإخراجِ لهم دون البخاري ست مئة وخمسة وعشرون رجلاً، المتكلم فيه بالضَّعف منهم مئة وستون رجلاً، ولا شكَّ أن التَّخريج عمَّن لم يتكلم فيه أصلاً أولى من التَّخريج عمَّن تكلَّم فيه، وإن لم يكنْ ذلك الكلام قادحاً.

ثانيها: إن الذين انفردَ بهم البُخاري ممن تكلَّم فيه لم يكثرْ من تخريجِ أحاديثهم، وليس لواحدٍ منهم نسخة كثيرة أخرجها كلها أو أكثرها إلا ترجمة عكرمة عن ابن عبَّاس، بخلاف مسلمٍ؛ فإنه أخرجَ أكثر تلك النُّسخ؛ كأبي الزبير عن جابر، وسهيل عن أبيه، والعلاء بن عبد الرَّحمن عن أبيه، وحمَّاد بن سَلَمة عن ثابت، وغير ذلك.

ثالثها: إن الذين انفردَ بهم البخاري ممن تُكُلِّم فيه أكثرُهم من شيوخهِ الذين لقيهُم، وجالسهم، وعرفَ أحوالهم، واطَّلع على أحادِيثهِم، وميَّز جيِّدها من موهومها، بخلاف مسلمٍ فإن أكثرَ من تفرَّد بتخريجِ حديثه ممَّن تكلِّم فيه ممَّن تقدَّم عن عصره من التَّابعين ومن بعدَهُم، ولا شكَّ أن المحدِّثَ أعرف بحديثِ شيوخه ممَّن تقدَّم عنهم.

رابعها: أن البخاريَّ يخرِّج من أحاديث أهلِ الطبقةِ الثانية انتقاءً، ومسلمٌ يخرِّجها أصولاً؛ كما تقدَّم ذلك من تقرير الحافظِ أبي بكر الحازمي.

فهذه الأوجه الأربعة تتعلَّق بإتقان الرُّواة، وبقيَ ما يتعلَّق بالاتصالِ: وهو الوجه الخامسُ، وذلك أن مسلماً كان مذهبه _ على ما صرَّح به في (مقدمة صحيح) وبالغَ في الردِّ على مَنْ خالفَه _ أن الإسنادَ المعنعن له حكمُ الاتصال إذا تعاصَرَ المعنعنُ ومن عنعنَ عنه، وإن لم يثبتْ اجتماعُهما، إلا إن كان المعنعِنُ مُدلِّساً، والبخاريُّ لا يحملُ ذلك على الاتصال حتى يثبتَ اجتماعُهما، ولو مرَّة.

وقد أظهرَ البُخاري هذا المذهب في (تاريخه)، وجرَى عليه في (صحيحه)، وأكثر منه حتى أنه ربما خرَّج الحديث الذي لا تعلُّق له بالباب جملةً، إلا ليبين سماعَ راوٍ من شيخهِ؛ لكونه قد أخرجَ له قبلَ ذلك شيئاً معنعناً، وهذا مما ترجَّح به كتابه؛ لأنَّا وإن سلَّمنا ما ذكره مسلمٌ من الحكمِ بالاتصَال فلا يخفَى أن شرطَ البُخاري أوضح في الاتصال، والله أعلم.

وأمَّا ما يتعلَّق بعدم العلَّة: وهو الوجهُ السَّادس، فإنَّ الأحاديثَ التي انتقدتْ عليهما بلغت مئتي حديثٍ وعشرة أحاديث في فصْلٍ مفرَدٍ، اختصَّ البُخاري منها بأقلَّ من ثمانين، وباقِي

ذلك يختصُّ بمسلمٍ، ولا شكَّ أن ما قلَّ الانتقاد فيه أرجحُ ممَّا كثرَ، انتهى ما في (المقدمة).

تنبيه: تقدَّم أن شرطَ البُخاري في الحديث المعنعن اللُّقِي بالفعل مع المعَاصرَة، وتقدَّم ما شرطَه أبو المظفَّر السَّمعاني وغيره. وادَّعى الحاكِمُ أبو عبد الله أنَّ من شَرط البخاريِّ ومسلمٍ ألَّا يذكرا إلا ما رواهُ صحابيٌّ مشهورٌ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له راويانِ ثقتان فأكثر، وهكذا إلى آخر السَّند. وردَّهُ الحافظُ ابنُ طاهرٍ بأنَّ الشَّيخين لم يشترطا هذا الشَّرط، ولا نُقِل عن واحدٍ منهما أنَّه قال ذلك، والحاكمُ شرطَ لهما هذا الشَّرط على ما ظنَّه، ولعمْرِي إنه شرطٌ حسَنٌ لو كانَ موجوداً في كتابَيهما، بل وجَدْنا هذه القاعدة التي ذكرها مُنتقِضةً في الكتابين جميعاً، انتهى.

وقال الحافظُ ابن حجر في (المقدمة): قال أبو الفضل بن طاهر: شرطَ البُخاري أن يخرِّج الحديث المتَّفق على ثقةِ نقلتهِ إلى الصَّحابي المشهور من غيرِ اختلافٍ بين الثِّقات الأثبات، ويكون إسنادُهُ متَّصلاً غير مقطوعٍ، وإن كان للصَّحابي راويَان فصاعداً فحسنٌ، وإن لم يكن إلا راوٍ واحد، وصحَّ الطريق إليه، كفى.

قال: وما ادَّعَاه الحاكم أبو عبد الله أنَّ شرطَ البخاري ومسلمٍ أن يكون للصَّحابي راويان فصاعداً، ثمَّ يكون للتَّابعي المشهور راويان ثقتان إلى آخِرِ السَّنَد، فمنتقِضٌ عليه بأنَّهُما أخرجا أحاديث جماعةٍ من الصَّحابة ليس لهُم إلا راوٍ واحد، انتهى.

ثمَّ قال فيها: والشَّرط الذي ذكرهُ الحاكم، وإن كانَ منتقضاً في حقِّ بعضِ الصَّحَابة الذين أخرج لهم، فإنَّه معتبرٌ في حقِّ من بعدهم، فليسَ في الكتاب حديثٌ أصلاً من روايةِ من ليس لهُ إلا راوٍ واحدٍ قط.

وقال الحافظُ أبو بكر الحازمي: هذا الذي قاله الحاكِمُ قولُ من لم يُمْعِنِ الغَوْصَ في خَبَايا الصَّحيح، ولو استقرأ الكتَابَ حقَّ استقرائِهِ، لوجدَ جملةً من الكتاب ناقِضةً دعواهُ.

ثمَّ قال: إنَّ شرط الصَّحيح أن يكون إسنادُهُ مُتَّصلاً، وأن يكون راويه مسلِماً صادقاً غير مُدلِّسٍ، ولا مختلطٍ، متَّصفاً بصفاتِ العدالةِ، ضابطاً متحفِّظاً، سلِيم الذِّهن، قليلَ الوهمِ، سليمَ الاعتقادِ. قال: ومذهبُ من يخرِّج الصَّحيح أن يعتبرَ حالَ الرَّاوي العدل في مشايخِهِ العُدول، فبعضُهم حديثهُ صحيحٌ ثابتٌ، وبعضُهم حديثهُ مدخولٌ.

قال: وهذا بابٌ فيه غموضٌ، وطريقةُ إيضاحه معرفة طبقاتِ الرُّواةِ عن راوي الأصل، ومراتب

مداركهم، فلنوضِّح ذلك بمثال، وهو أنْ تعلم أنَّ أصحاب الزُّهري مثلاً على خمسِ طبقات، ولكلِّ طبقةٍ منها مَزِيَّةٌ على التي تليها .

فمَن كان في الطَّبقة الأولى، فهو الغَاية في الصِّحة، وهو مقصدُ البخاري .

والطَّبقة الثَّانية شاركتْ الأولى في التَّثبُّت، إلا أنَّ الأولى جمعتْ بين الحفظ والإتقان، وبين طولِ الملازمة للزهريِّ، حتَّى كان فيهم من يزامله في السَّفر، ويلازمُهُ في الحَضَر .

والطبقة الثَّانية: لم تُلازم الزُّهري إلا مدَّةً يسيرةً، فلم تُمارس حديثَه، فكانوا في الإتقانِ دون الأولى، وهم شرطُ مسلم .

ثمَّ مَثَّل الطبقةَ الأولى بيونُس بن يَزيد، وعقيل بن خالدٍ الأيليين، ومالك بن أنس، وسفيان بن عُيينة، وشُعيب بن أبي حمزة، والثَّانية بالأوزَاعِي، واللَّيث بن سَعد، وعبد الرحمن بن خالد بن مسافر، وابن أبي ذئب .

قال: والطَّبقة الثالثة: نحو جَعفر بن برقان، وسفيان بن حسين، وإسحاق بن يحيى الكلبي .

والرابعة: نحو زمعة بن صالح، ومعاوية بن يحيى الصَّدفي، والمثنى بن الصبَّاح .

والخامسة: نحو عبد القدُّوس بن حَبيب، والحكم بن عبد الله الأيلي، ومحمد بن سعيد المصلوب.

فأمَّا الطبقة الأولى، فهُم شرطُ البُخاري، وقد يخرِّج من حديثِ أهل الطَّبقة الثانية ما يعتمدهُ من غير استيعابٍ.

وأمَّا مسلم فيخرِّج أحاديث الطَّبقتين على سبيلِ الاستيعاب، ويخرِّج أحاديثَ أهل الطبقةِ الثالثة على النحو الذي يصنعه البُخاري في الثانية.

وأمَّا الرابعة والخامسة، فلا يعرِّجَان عليهما .

قلت: وأكثر ما يخرِّج البخاري حديثَ الطبقة الثَّانية تعليقاً، وربَّما أخرج اليسيرَ من حديث الطَّبقة الثالثة تعليقاً أيضاً، وهذا المثال الذي ذكرناهُ هو في حقِّ المكثرين، فيُقاس على هذا أصحاب نافعٍ، وأصحاب الأعمش، وأصحاب قتادة، وغيرهم .

فأمَّا غير المكثرين، فإنَّما اعتمدَ الشيخانِ في تخريج أحاديثهم على الثِّقَة والعدالةِ وقلَّة الخطأ، لكن منهم من قوي الاعتمادُ عليه، فأخرجا ما تفرَّد به، كيحيى بن سعيد الأنصاريِّ، ومنهم من لم يقوَ الاعتمادُ عليه، فأخرجا له ما شَاركهُ فيه غيره، وهو الأكثرُ، انتهى ما في(المقدمة) .

وادَّعى بعضهم أنَّه يشترط أيضاً عند الشيخين التَّعدُّد في الصَّحابي، فقد قال العيني تَبعاً لابن الملقِّن: وأغربُ من قولِ الحاكم قول الميَانِجي في (إيضاح ما لا يسع المحدث جهلُه): شرطهمَا في (صحيحيهما) ألا يدخلا فيه إلا ما صحَّ عندهما، وذلك ما رواهُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنانِ من الصَّحابةِ فصاعداً، وما نقلهُ عن كلِّ واحدٍ من الصَّحابة أربعةٌ من التَّابعين فأكثر، وأن يكون كلُّ واحدٍ من التَّابعين أكثر من أربعة.

قال: والظَّاهر أنَّ شرطهما اتِّصال الإسنادِ بنقلِ الثِّقة عن الثِّقة من مبتدأهِ إلى مُنتهاه، من غير شُذوذٍ ولا علَّة، انتهى.

وقال السُّيوطي في (شرح التقريب) نقلاً عن الحافظ ابنِ حجر: كلامُ ابن الصَّلاح في (شرح مسلم) له، يدلُّ على أنه أخذ الحدَّ المذكور هنا من كلامِ مسلمٍ؛ فإنَّه قال: شرطُ مسلمٍ في (صحيحه) أن يكون متَّصل الإسناد، بنقلِ الثِّقة عن الثقة، من أوَّله إلى مُنتهاه غير شاذٍّ ولا معلَّل، وهذا هو حدُّ الصَّحيحِ في نفسِ الأمر.

قال الحافظُ: ولم يتبيَّن لي أخذه انتفاءَ الشُّذوذ من كلامِ مسلمٍ، فإن كان وقفَ عليه في كلامه في غيرِ (مقدِّمةِ صحيحه) فذاك، وإلا فليس فيها.

قال: ثمَّ ظهرَ لي مأخذُ ابن الصَّلاح، وهو أنه يرَى أنَّ الشاذَّ والمنكرَ لمسمَّى واحدٍ.

وقد صرَّح مسلمٌ بأنَّ علامةَ المنكرِ أنْ يروي الرَّاوي عن شيخٍ كثيرِ الحديث والرواة شيئاً ينفردُ به عنهم، فيكون الشاذُّ كذلك فيشترطُ انتفاؤُهُ.

وقال النَّووي بعد ذكرِ ما ادَّعاه الحاكمُ من شرطِ الشَّيخين المتقدِّم: ليس ذلك شرطهما؛ لإخراجهِمَا أحاديثَ ليسَ لها إلَّا إسنادٌ واحدٌ؛ كحديثِ: (إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ). قال: ونظائِرُهُ في (الصَّحيحين) كثيرةٌ، انتهى.

وأقول: بما ذكرَ من قول النَّووي وغيره في الرَّدِّ على الحَاكم: ونظائِرهُ في (الصحيحين) كثيرةٌ، يُعلم أنَّ جوابَ الجلال السُّيوطي الآتي عن إيرادِ ابن حبَّان حديث: (إنَّما الأعمَالُ بالنِّيَّات) على كلامِ الحاكِم. وإن أفادَ دفعَ الإيراد بهذا الحديث في الصَّحابي – لا يُفيد بعدَه، ولا يُفيد أيضاً دفع نظائرهِ؛ حيث قال:

شرْطُ البُخَاريِّ الإمَامِ ومُسْلِمٍ فِيمَا حكَاهُ جَمَاعةٌ مُتَوافِرهْ

تخرِيْجُ مَا يرْوِيهِ عنْ خيْرِ الوَرَى اثْنَانِ مِنْ أصْحابِهِ المتكاثِرهْ

وعلَيْهِ أورَدَ إِنَّما الأَعمَالُ مَنْ فِي الحِفْظِ رُتبتُهُمْ لدَيهِم قاصِرهْ

إِذْ قدْ روَاهُ أبُو سعِيدٍ فانْتَفَى الإِيرَادُ وارْتفَعَتْ حُلاهُ الفَاخِرَه

وسِوَاهُ زادَ أبُو هُريْرة فيْهِ مَعْ أنَسٍ فصَارَتْ أرْبَعاً مُتظَافِرهْ

وجَمَاعَةٌ قَالُوا بلَغ مِنْه لأَنْ نُدْرِجَهُ في زُمْرةِ المتِواترِهْ

فعَنِ ابنِ منْدَة قدْ روَاهُ ثمَانِيهْ مِنَ الصَّحَابةِ كالنُّجُومِ الزَّاهِرَه

يا مَنْ يَرُوْمُ الخَوْضَ فِي ذَا الفَنِّ لَا تُقْدِمْ علَيْهِ بهِمَّةٍ مُتَقَاصِرهْ

لَا يصْلُحُ الإِقْدامُ فيْمَا رُمْتَهُ حتَّى تُلجِّجَ فِي البُحُورِ الزَّاخِرَهْ

انتهى فتدبَّر. وقالَ السُّيوطي أيضاً في (شرح التقريب): وبقيَ للصَّحِيح شرُوطٌ مختلَفٌ فيها: منها: ما ذكرهُ الحاكم في (علوم الحديث) أن يكونَ راويهِ مشهُوراً بالطَّلَب، وليس المرادُ مجرَّد الشُّهرَة المخرَّجة عن الجَهَالة، بل قدرٌ زائِدٌ على ذلكَ.

قَال الحافظ ابنُ حجر: والظَّاهِر من تصرُّفِ صاحِبي الصَّحِيح اعتِبَار ذلك، إلَّا إذا كثُرَتْ مخارِجُ الحديث، فيستَغْنيان عن ذلك؛ كما يُسْتغنى بكثرَةِ الطُّرُق عن الضَّبط التَّام، قالَ: ويُمكن أن يُقال: اشتراطُ الضَّبْط التَّام يُغني عن ذلكَ؛ إذ المقصُود بالشُّهرَة بالطَّلب أن يكونَ له مزيدُ اعتناءٍ بالرِّواية؛ لتركنَ النَّفسُ إلى كونِهِ ضبطَ ما رَوى.

ومنها: ما ذكرهُ السَّمعاني في (القواطع) أنَّ الصَّحيح لا يُعرفُ برواية الثِّقات فقط؛ وإنَّما يُعرف بالفهمِ والمعرفة، وكثْرةِ السَّماع والمذَاكرةِ.

قال الحافظُ ابن حجر: وهذا يُؤخذ من اشتراطِ انتفاءِ كونهِ معلُولاً؛ لأنَّ الاطِّلَاع على ذلك إنَّما يحصُلُ بما ذكر من الفِهم والمذاكرةِ وغيرهما.

ومنها: أنَّ بعضَهم اشترطَ علمَهُ بمعاني الحديث حيثُ يروي بالمعنى، وهو شرطٌ لا بدَّ منه، لكنَّهُ داخلٌ في الضَّبط.

ومنها: أنَّ أبا حنيفة رضي الله عنه اشترطَ فقهَ الرَّاوي. قال الحافظ ابنُ حجر: والظَّاهر أنَّ ذلكَ إنما يُشترط عند المخَالفةِ، أو التَّفرُّدِ بما تعمُّ به البَلوى.

ومنها: اشتراطُ البُخاري ثُبوتَ السَّماع لكلِّ راوٍ من شيخهِ، ولم يكتفِ بإمكان اللِّقاء والمعاصرَةِ، وقيل: لم يذهب أحدٌ إلى أنَّ ذلك شرطٌ للصَّحيح.

ومنها: أنَّ بعضَهم اشترَطَ العدد في الرِّواية كالشَّهادة، قال العراقيُّ: حَكاه الحازمِي في (شروط

الأئمة) عن بعض متأخِّري المعتزلةِ، وعن بعضِ أصحابِ الحديث .

قال الحافظُ: وقد فهمَ بعضُهم ذلك من خِلال كلامِ الحاكم في (علوم الحديث)، وفي (المدخل)، وبذلك جزمَ ابنُ الأثيرِ في مقدِّمة (جامع الأصول)، وغيره .

وأعجبُ من ذلك ما ذكرهُ المَيَانِجِي في كتاب (ما لا يسع المحدث جهله) شرطَ الشَّيخين في (صحيحيهما) ألَّا يُدخلا فيه إلَّا ما صحَّ عندهما، وذلك ما رواهُ عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم اثنان فصاعداً، ونقلَهُ عن كلِّ واحدٍ من الصَّحابة أربعةٌ من التَّابعين فأكثر، ورواهُ عن كلِّ واحدٍ من التابعين أكثرُ من أربعةٍ، انتهى .

ثمَّ قال السيوطي فيه أيضاً: قال الحافظ ابنُ حجر: وهو كلامُ من لم يُمارس (الصَّحيحين) أدنى مُمارسة، فلو قال قائلٌ: ليسَ في الكتابين حديثٌ واحدٌ بهذه الصِّفة، لما أبعدَ .

وقال السُّيوطي: قال ابنُ العربي في (شرح الموطأ): كأنَّ مذهب الشَّيخين أنَّ الحديث لا يثبُت حتى يرويهِ اثنان، وهو مذهبٌ باطلٌ، بل روايةُ الواحد عن الواحد إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم صحيحة .

وقال في (شرح البخاري) عند حديث: (إنما الأعمَالُ بالنِّيَّات): انفردَ به عُمر، وقد رواه البزَّار من طريق أبي سعيدٍ بإسناد ضعيفٍ، قال: وحديث عمر وإن كان طريقهُ واحداً، وإنَّما بنى البُخاري كتابهُ على حديثٍ يرويه أكثر من واحد، وهذا الحديث ليس من ذلك؛ لأنَّ عمرَ قاله على المنبر بمحضَرِ الأعيَان من الصَّحَابة، فصار كالمجمع عليه .

وقد نقلَ ابن رُشَيْدٍ عن ابن حبَّان: أنَّه تعجَّب من دَعوى ابن العربي وغيره أنَّ الشَّيخين اشترطا رواية اثنين عن اثنين، ومِنْ زعمِهِ، مع أنَّه مستحيلٌ، ومذهبٌ باطِلٌ .

قال ابن حبَّان: فليتَ شعري من أعلَمَه بأنَّهما اشترطا ذلك؟ فإن كان منقولاً، فليبيِّن طريقَه؛ لينظُر فيها، وإن كان عرفهُ بالاستقراء، فقد وهمَ في ذلك، فلقد كانَ يكفيهِ في ذلك أوَّل حديثٍ في البخاري، وما اعتذرَ به عنه فيه تقصيرٌ؛ لأن عمرَ لم ينفرد به وحدَه، بل انفردَ به علقمة عنه، ثمَّ انفردَ به محمَّد بن إبراهيم عن علقمة، ثم انفردَ به يحيى بن سعيد عن محمَّد، وتعدَّدت الرُّوَاة عن يحيى، وكون عمر قاله على المنبر لا يستلزِمُ أن يكون ذكرَ السَّامعين بما هو عندهُم، بل هو مُحتملٌ لأمرين، وإنَّما لم ينكروهُ؛ لأنه عندَهم ثقةٌ، فلو حدَّثهم بما لم يسمعوه قط، لم يُنكروا عليه. وممَّن اشترطَ رجلين: إبراهيم بن عليَّة، وهو وإن كان من الفُقَهاء

المحدِّثين، لكنَّه مهجورُ القَول عند الأئمَّة؛ لميلهِ إلى الاعتزالِ، ومن ثمَّ كان الشَّافعي يردُّ عليه، ويحذِّر منه .

وحُكِي عن الجُبَّائي من المعتزلة أنَّه لا يقبلُ الخبر إذا رواهُ العدل؛ إلا إذا انضمَّ إليه خبرُ عدلٍ آخر، أو عضَدَهُ موافقةُ ظاهِرِ الكِتاب، أو ظاهرُ خبرٍ آخر، أو يكون مُنتشراً بين الصَّحابة، أو عمِل به بعضُهم. وحكى بعضُهم عنه أنَّه لا يقبله إلا إذا رواه أربعة .

واحتجَّ المعتزلة في ردِّ خبرِ الواحد بقصَّة ذي اليدين فإنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم توقَّف في خبره حتَّى وافقَه غيره، وبتوقُّفِ أبي بكرٍ في خبرِ المغيرة في ميراثِ الجدَّة حتى تابعه محمَّد بن مَسلمة، وبتوقُّف عمر في خبر أبي موسى في الاستئذان حتَّى تابعَه أبو سعيد .

وأُجيب عن قصَّة ذِي اليدين: بأنه أخبَرَ عن فعلِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وأمر الصَّلاة لا يرجعُ المصلِّي فيه إلى خبرِ غيره، ولو بلَغُوا حدَّ التواتر، فلعلَّه تذكَّر عند إخبارِ غيرِهِ له، انتهى .

وأقول: الذي ذكرهُ فقهاؤنا الشَّافعية أنَّ المخبِرين إذا بلَغُوا عدَد التَّواتر يعملُ بخبرِهم مطلقاً، في الصَّلاة وغيرها، وقد اختلفُوا في فعلِهم، وصحَّح كثيرون الأخذَ بفعلهم إذا بلغُوا ذلك .

ثمَّ قال السُّيوطي: وقد بعثَ صلى الله عليه وآله وسلم الآحادَ إلى الملوك، ووفَدَ عليه الآحاد من القبائل، وأرسلهم إلى قبائلهم، فالحجَّة قائِمةٌ بأخبَارِهِم .

وأمَّا قصَّة أبي بكرٍ، فأرادَ زيادةَ التوثُّق، وقد قبِلَ خبر عائشة وحدَهَا في قدر كفنِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم .

وأما قصَّة عُمر، فإنَّ أبا موسى أخبره بذلك الحديث عقبَ إنكارِهِ عليه رُجوعه، فأراد التَّثبُّت، وقد قبِل خبر ابن عوفٍ وحدَه في أخذِ الجزية من المجوسِ .

ونقلَ أبو منصور البغدادِي أنَّ بعضَهم اشترطَ في قبول الخبرِ أن يرويه ثلاثةٌ عن ثلاثة إلى مُنتهاه، وشرط بعضُهم أربعةً عن أربعة، وبعضُهم خمسةً عن خمسةٍ، وبعضُهم سبعةً عن سبعةٍ، انتهى ما في (شرح التقريب) للسُّيوطي ملخَّصاً. هذا وقال النُّووي وغيره: اعلمْ أنَّ الأمَّةَ أجمَعتْ على صحَّة هذين الكتَابين، وعلى أنَّه يجب العمل بأحاديثِهِمَا، وأنَّها تفيدُ الظنَّ، إلَّا ما تَواتر منها؛ فإنَّه يفيد العِلْم. وذكر أن قوماً من أهل الحديثِ ذهبوا إلى أنَّ أحاديثهما كلُّها تُفيد العِلم القطعي، وأن الجُمهور أو المحقِّقين أنكروه، وقالوا بإفادَتِها العِلم الظَّنِّي، إلَّا المتواتَر

منها. وعبارةُ النووي في (شرح مسلم): قال الشيخُ ابنُ الصَّلاح: جميع ما حكم مسلمٌ بصحَّته في هذا الكتاب فهو مقطوعٌ بصحَّته، والعلمُ النظريُّ حاصلٌ بصحَّته في نفسِ الأمر، وهكذا ما حكمَ البخاري بصحَّته في كتابه، وذلك لتلقِّي الأمَّة له بالقبول، سوى من لا يعتدُّ بخلافِهِ ووفاقِهِ.

قال الشيخ ـ يعني: ابن الصَّلاح ـ: والذي نختارُهُ أنَّ تلقِّي الأمة للخبَرِ المنحَطِّ عن درجة التَّواتر بالقبول يوجبُ العلم النَّظري بصدقِهِ، خلافاً لبعضِ محقِّقي الأصوليين، حيث نَفى ذلك، بناءً على أنَّه لا يُفيد في حقِّ كُلِّ واحدٍ إلا الظَّنَّ، وإنَّما قبله لأنه يجبُ عليه العمل بالظَّنِّ، والظنُّ قد يُخطئ.

قال الشيخ: وهذا مندفعٌ، لأنَّ ظن من هو معصومٌ من الخطأ لا يخطِئ، والأمَّةُ في إجماعها معصومةٌ من الخطأ، ولهذا قالَ إمامُ الحرمين: لو حلفَ إنسانٌ بطَلاقِ امرأتِهِ أنَّ ما في كتَابي البخاري ومسلم ممَّا حكما بصحَّته من قول النَّبي ﷺ لما ألزمتهُ الطَّلاق، ولا حنَّثتُهُ، لإجماعِ عُلماء المسلِمين على صحَّتِهما.

قال الشَّيخُ: ولقائلٍ أن يقول: لا يحْنَثُ، ولو لم يُجمِع المسلِمون على صحَّتهما، للشَّكِّ في الحنْثِ، فإنَّه لو حلَفَ بذلك في حديثٍ ليس هذا صفتُه، لم يحنثْ، وإن كان راويهِ فاسقاً، فعدمُ الحنثِ حاصلٌ قبل الإجماعِ، فلا يُضاف إلى الإجماع.

قال الشَّيخ: والجوابُ: أنَّ المضَافَ إلى الإجماعِ هو القطعُ بعدمِ الحنثِ ظاهراً وباطناً، وأمَّا عند الشَّكِّ، فعدمُ الحنثِ محكومٌ به ظاهراً، مع احتمالِ وجودِهِ باطناً، فعلى هذا يحملُ كلام إمام الحرمين، فهو اللَّائق بتحقيقِهِ.

فإذا عُلِمَ هذا، فما أُخذَ على البُخاري ومسلم، وقدحَ فيه، معتمدٌ من الحفَّاظ، فهو مُستثنى ممَّا ذكرناه، لعدمِ الإجماع على تلقِّيهِ بالقُبولِ، وما ذاكَ إلا في مواضعِ قَليلة، سنبيِّنه على ما وقَعَ في هذا الكتاب. هذا آخرُ كلام ابن الصَّلاح هنا.

قال: وقال في جزءٍ له: ما اتَّفق البُخاري ومسلم على إخراجِهِ، فهو مقطوعٌ بصدقِ مخبره، وثابتٌ يقيناً، لتلقِّي الأمَّة ذلك بالقبولِ، وذلك يفيدُ العِلم النَّظري، وهو في إفادةِ العلمِ كالمتواترِ، إلَّا أنَّ المتواتر يفيدُ العلمَ الضَّروري، وتلقِّي الأمَّةِ بالقبولِ يفيدُ العلم النَّظري، وقد اتَّفقت الأمَّةُ على أنَّ ما اتَّفق البخاري ومسلمٌ على صحَّته فهو حقٌّ وصدقٌ.

قال الشيخ أيضاً في (علوم الحديث): وقد كنتُ أميلُ إلى أنَّ ما اتَّفقا عليه مظنونٌ، وأحسبُهُ مذهباً قوياً، وقد بانَ لي الآن أنَّه ليس كذلك، وأنَّ الصَّواب أنه يُفيدُ العلم، انتهى .

قال النوويُّ: وهذا الذي قاله الشَّيخُ في هذه المواضع خلافُ ما قاله المحقِّقون والأكثرون، فإنَّهم قالوا: أحاديثُ (الصَّحيحين) التي ليستْ بمتواترة إنما تُفيد الظنَّ، فإنَّها آحادُ، والآحادُ إنَّما تُفيد الظَّنَّ على ما تقرَّر عندهُم، ولا فرقَ بين البخاريِّ ومسلم وغيرهما في ذلك، وتلقِّي الأمَّة بالقَبُول إنما أفَادَنا وجُوب العملِ بما فيهما، وهذا متَّفقٌ عليه .

فإنَّ أخبارَ الآحادِ التي في غيرِهما يجبُ العملُ بها إذا صحَّتْ أسانِيدُها، ولا تُفيد إلَّا الظَّنَّ، فكذا (الصَّحيحان)، وإنما يَفترِق (الصَّحيحان) وغيرُهما من الكُتب في كونِ ما فيهما صَحِيحاً لا يحتاجُ إلى النَّظر فيه، بل يجبُ العمل به مُطلقاً، وما كان في غيرِهما لا يعمل به حتى ينظرَ، ويوجَد فيه شُروط الصِّحَّة، ولا يلزمُ من إجماعِ الأمَّة على العملِ بما فيهما إجماعُهم على أنَّه مقطوعٌ بأنَّه كلامُ النبي ﷺ.

وقد اشتدَّ إنكارُ الإمام ابن بُرهان على من قال بما قاله الشَّيخ، وبالغَ في تغليطهِ، انتهى كلام (شرح مسلم) للنَّووي. وقد أشار إلى ذلك الزَّين العراقي في (ألفيته) بقوله :

واقطَعْ بصِحَّةٍ لِما قدْ أسْنَدا كَذَا لهُ وقِيْلَ ظنًّا ولدَى

مُحقِّقيهِم قدْ عزَاهُ النَّوَوي وفِي الصَّحِيْحِ بعْضُ شَيءٍ قدْ رُوِي

مُمرَّضاً فلَا، ولكِنْ يُشْعِرُ بصِحَّةِ الأصْلِ لهُ كيُذْكرُ

ثمَّ قال النوويُّ في (شرح مسلم): وأمَّا ما قاله الشيخ في تأوِيلِ كلامِ إمام الحرمين في عدم الحنثِ، فهو بناءً على ما اختارهُ الشَّيخُ، وأمَّا على مذهبِ الأكثرين، فيُحتمل أنه أرادَ أنه لا يحنثُ ظاهراً، ولا يُستحب له التزامُ الحنثِ حتى يُستحبَّ له الرَّجعة، كما إذا حلفَ بمثلِ ذلك في غير (الصَّحيحين)، فإنَّه لا يحنث، لكن يستحبُّ له الرَّجعة احتِياطاً، لاحتِمالِ الحنثِ، وهو احتمالٌ ظاهرٌ .

وأما (الصَّحيحان) فاحتمالُ الحنثِ فيهما في غايةِ الضَّعف، فلا تستحبُّ له المراجعة، لضعفِ احتمالِ موجبها، انتهى فتأمله .

وقال السُّيوطي في (شرح التقريب): وكذا عابَ ابنُ عبد السلام على ابن الصَّلاح هذا القول، وقال: إنَّ بعضَ المعتزلة يرون أنَّ الأمة إذا عملتْ بحديثٍ، اقتضَى ذلك القطع بصحَّته، قال:

وهو مذهبٌ رديء .

وقال البُلْقِيني: ما قاله النَّووي وابن عبد السلام ومن تَبعهُما ممنوعٌ، فقد نقلَ بعضُ الحُفَّاظ المتأخِّرين مثلَ قولِ ابن الصَّلاح عن جماعةٍ من الشَّافعية، كأَبِي إسحاق، وأبي حامدٍ الإسفراييني، والقاضي أبي الطيب، والشيخ أبي إسحاق الشِّيرازي، وعن السَّرخسِي من الحنفيَّة، والقاضِي عبد الوهاب من المالكيَّة، وأبي يَعلى وأبي الخطَّاب وابن الزَّاغوني من الحنابلة، وابن فورك وأكثرُ أهل الكَلامِ من الأشعرية، وأهل الحديثِ قاطبةً، ومذاهبُ السلف عامَّة، بل بالغَ ابن طَاهر المقدسِي ــ رحمه الله تعالى ــ فألحقَ به ما كان على شَرطهما، وإن لم يخرِّجاه. وقال الحافظ ابنُ حجر: ما ذكره النووي مُسلَّمٌ من جهة الأكثرين، أمَّا المحقِّقون فلا، فقد وافَقَ ابن الصَّلاح أيضاً جماعةٌ مُحققون، انتهى فتدبَّر .

ثمَّ قال السيوطي: وقال ابنُ كثير: وأنا مع ابنِ الصَّلاح فيمَا عوَّل عليه، وأرشدَ إليه .

قلت: وهو الَّذي اختارهُ، ولا أعتقدُ سواه، نعم يَبْقى الكلامُ في التَّوفيق بينهُ وبين ما ذكره أولاً من أنَّ المراد بقولهم: هذا حديثٌ صحيحٌ أنه وُجدت فيه شروطُ الصِّحة، لا أنَّه مقطوعٌ به في نفسِ الأمر، فإنَّه مُخالفٌ لما هنا، فلينظرْ في الجمع بينهما، فإنَّه عُسرٌ، ولم أرَ من تنبَّه له، انتهى .

وأقول: يحتملُ أن يجابَ بأن مُراده ما عدا ما في (الصحيحين) أو بأنَّ هذا قولُه الأول الذي كان يظنُّه كما تقدَّم عنده، فتدبر. ثمَّ قال السُّيوطي: واستثنى ابن الصَّلاح من المقطوعِ بصحَّته فيهما ما تَكلَّم فيه من أحاديثِهمَا، فقال: سوى أحرفٍ يسيرةٍ تكلَّمَ عليها بعضُ أهلِ النَّقدِ من الحفَّاظ، كالدَّارقطني، وغيره .

قالَ الحافظ ابنُ حجر: وعدَّةُ ذلك مئتان وعشرون حديثاً، اشتركا في اثنين وثلاثين، واختصَّ البُخاري بثمانين إلا اثنين، ومُسلم بمئةٍ وعشرةٍ .

قالَ النَّووي في (شرح البخاري): ما ضُعِّفَ من أحَاديثهما مبنيٌّ على عللٍ ليستْ بقادحةٍ .

قال الحافظ ابنُ حجر: فكأنَّه مال بهذا إلى أنَّه ليس فيهما ضعيفٌ، وكلامه في (شرح مسلم) يقتضي تقريرَ قولِ من ضعَّف، فكانَ هذا بالنِّسبة إلى مقامِهمَا، انتهى كلام السُّيوطي في (شرح التقريب) فاعرفه .

وقد ذكر ذلك الحافظ في (المقدمة)، وأجاب عنه إجمالاً وتفصيلاً، فراجعه.

تنبيه: عُلِم مما مرَّ أنَّ أصحَّ الصَّحيح (صحيح البخاري)، وبعدهُ (صحيح مسلم)، وبقيَتْ مراتب خمسة، أشارَ إلى الجميعِ العرَاقي بقوله :

وأرْفَعُ الصَّحِيحِ مرْوِيُّهُمَا ثمَّ البُخَارِيُّ فمُسْلِمٌ فَمَا

شرْطُهُمَا حَوَى فشَرْطُ الجُعْفِي فمُسْلِمٍ فشَرْطٌ غيْرُ يكْفِي

وزاد السُّيوطي أقسَاماً أُخر في (شرح التقريب)، فقال: أصحُّ من صنَّف في الصَّحيح بعد (الصحيحين) ابن خزيمة، ثمَّ ابنُ حبَّان، ثمَّ الحاكم .

قال: فينبَغِي أن يُقال: أصحَّهما بعد مسلمٍ: ما اتَّفق عليه الثَّلاثة، ثمَّ ابن خُزيمة، وابن حبَّان، ثم هو والحاكمُ، ثمَّ ابن حبَّان والحاكم، ثم ابن حبَّان فقط، ثمَّ الحاكم فقط، إن لم يكُنْ الحديث على شَرط الشَّيخي. قال: ولم أرَ من تعرَّض لذلك، انتهى .

واعلم أنَّ الحكم على الحديثِ بالصِّحَّة أو غيرها إنَّما هو بحسبِ الظَّاهر للمُحدِثين بالنِّسبة للإسنادِ أو غيره، لا باعتبارِ نفسِ الأمرِ والواقعِ، لجواز أن يكون الصَّحيح مثلاً باعتبارِ نظرِ المحدِّث موضوعاً في نفسِ الأمر، وبالعكس، ولو لما في (الصَّحيحين) على الصَّحيح خلافاً لابن الصَّلاح كما مرَّتِ الإشارةُ إليه آنفاً، لكن يعملُ بمقتضَى ما ثبتَ عند المحدِّث، ويترتَّبَ عليهِ الحُكم الشَّرعي .

وفي (الفتوحات المكية) للشَّيخ الأكبر ــ قدِّس سرُّه ــ ما حاصله: فربَّ حديثٍ يكون صحيحاً من طريق رواتِهِ يحصلُ لهذا المكاشفِ أنه غيرُ صحيحٍ، لسؤالِهِ لرسولِ الله ﷺ فيعلم وضعه، ويتركُ العملَ به، وإنْ عملَ به أهل النَّقل لصحَّة طريقهِ، وربَّ حديثٍ ترك العملِ به لضعفِ طريقه من أجل وضَّاعٍ في رواته يكون صَحيحاً في نفسِ الأمر، لسماعِ المكاشف له من الرُّوح حين إلقائِهِ على رسول الله، انتهى.

وأما عِدَّة أحاديثِ (صحيح البخاري) بالمكرَّر وغيره على ما نقلَه شيخُ الإسلام وغيره في (شرح ألفية العراقي) وغيرها عن الشَّيخ ابن الصَّلاح ومن قلَّده: فهي سبعة آلاف ومئتان وخمسة وسبعون حديثاً .

قال شيخُ الإسلام: قال النَّاظم: هو مُسلَّمٌ في رواية الفِرَبْري، وأمَّا رواية حمَّادِ بن شَاكر، فهي دونَها بمئتي حديثٍ، ودون هذه بمئة حديث رواية إبراهيم بن مَعْقل .

قَال: وردَّهُ شيخُنا بأنَّ عدَّة أحاديث البُخاري في روايات الثَّلاثة سواء، وإنَّما حصلَ الاشتِبَاه من جهةِ أنَّ الأخيرين فاتَهما من سماعِ الصَّحيح على البُخاري ما ذكرَ من آخرِ الكتاب، فروياهُ بالإجازةِ، فالنَّقص إنما هو في السَّماع لا في الكتابِ .

قال ـأي شيخنا :ـ والذي تحرَّر لي أنَّها بالمكررِ سِوى المعلَّقات والمتابعاتِ والموقوفَاتِ والمقطُوعَات سَبعة آلاف وثلاث مئة وسبعة وتسعون حديثاً، وبغير المكرَّر من المتونِ الموصولةِ ألفان وست مئة وحديثان، ومن المتونِ المعلَّقة المرفُوعة التي لم يُوصِلها في موضعٍ آخر منه مئة وتسعة وخمسون، فمجموعُ غير المكرَّر ألفان وسبع مئة وأحدٌ وستُّون، انتهى كلام شيخِ الإسلام زكريا في (شرح الألفية).

وأقولُ: أمَّا ابن الصَّلاح ومن قلَّده، فهم مسبُوقون بالحَمُّوي ومن قلَّده، فقد قالَ الجلال السُّيوطي في (شرح الألفية) أيضاً عند قولها :

وفِي البُخَارِي أرْبَعَةُ الآلافِ والمكرَّرُ فوْقَ ثَلَاثةٍ أُلُوفاً ذَكَرُوا

فمجموعُهُ سبعةُ آلاف ومئتان وخمسة وسبعون حديثاً، هكَذا قاله الحمْوي فقلَّدوه .

قال شيخ الإسلام ابن حجر: والصَّواب أنَّه سبعةُ آلافٍ وثلاثُ مئة وسبعة وتسعون حديثاً، وبدُون المكَرر: ألفان وخمس مئة وثلاثة عشرَ حديثاً، خارجاً عن المعلَّقَات والموقوفَات، وفي مُسلم أربعة آلاف حديث بغير المكرَّر، وبالمكرر اثنا عشر ألفاً، وقيل: ثمانية آلاف، انتهى كلام السيوطي .

وقالَ شيخُ الإسلام زكريا: قالَ النَّاظم ــ يعني: الزين العراقي ــ: ولم يذكرْ ابن الصَّلاح عدَّة أحاديثِ مسلم، وقد ذكرَ النُّووي أنَّها نحوَ أربعةِ آلاف بإسقاطِ المكرَّر، ولم يذكُرْ عدَّتها بالمكرَّر، وهي تزيدُ على عِدَّةِ كتاب البُخَاري لكثرةِ طرقهِ .

قال: ورأيتُ عن أبي الفضل أحمد بن سلمة أنَّها اثنا عشر ألفاً، قال الزَّركشي بعد نقلهِ كلامَ ابن سلمة: وقال أبو حَفْص المَيَانِجِي: إنَّها ثَمانية آلاف. قال: ولعلَّ هذا أقرَبُ، انتهى .

وقال النَّووي في (شرح مسلم) قال الشَّيخ أبو عَمرو: رَوينا عن أبي قريش الحافظ قال: كنتُ عند أبي زُرعة الرَّازي، فجاء مسلمُ بن الحجَّاج، فسلَّمَ عليهِ، وجلس ساعةً وتذاكَرا، فلمَّا قام، فقلت له: هذا الذي جمع أربعةَ آلاف حديثٍ في الصَّحيح، قال أبو زُرعة: فلمن تركَ الباقِي؟ قال الشَّيخ: أرادَ أنَّ كتابه هذا أربعة آلاف حديث أصول دون المكرَّرات، وبالمكرَّر سبعةُ

آلاف ومئتان وخمسة وسبعون حديثاً، انتهى .

وقال النَّووي في (شرح البخاري) تبعاً للحَمْوي: جملة ما في (صحيح البخاريّ) من الأحاديث المسندة سبعة آلاف ومئتان وخمسة وسبعون حديثاً بالأحاديثِ المكرَّرة، وبحذفها نحو أربعة آلاف حديث، انتهى .

قال الحافظ ابنُ حجر في (المقدمة): فخرَجَ بقوله: المسندة: الأحاديثُ المعلَّقة، ومَا أوردهُ في التراجم والمتابعات، وبيانُ الاختلافِ بغير إسنادٍ موصل، انتهى .

ثم قال في (المقدمة): فجملةُ ما في الكتابِ من التَّعاليق: ألف وثلاث مئة وأحد وأربعون حديثاً، وأكثرُها مكرَّر مخرجٌ في الكتاب أصولَ متونِهِ، سوى مئة وستين حديثاً قد أفردتُها في كتابٍ لطيفٍ، انتهى.

ثمَّ قال: وجملةُ ما فيه من المتابعات، والتَّنبيهُ على اختلافِ الرِّوايات: ثلاث مئة وأربعة وأربعون حديثاً، فجميعُ ما في الكتابِ على هذا بالمكرر تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثاً، وهذه العدَّة خارجةٌ عن الموقوفاتِ على الصَّحابة، والمقطوعات عن التَّابعين فمَن بعدهم، انتهى .

وقال في آخر (فتح الباري): فجميعُ ما في الجامِع من الأحاديثِ بالمكرر موصولاً ومعلقاً، وما في معناه من المتابعاتِ والشَّواهد: تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثاً، وجميعُ ما فيهِ موصولاً ومعلَّقاً بغير تكرارٍ: ألفا حديث وخمس مئة حديث وثلاثة عشر حديثاً، فمن ذلك المعلَّق وما في معناه من المتابعة مئة وستون حديثاً، والباقي موصول، وافقه مسلمٌ على تخريجها سوى ثمان مئة حديث وعشرين حديثاً .

وقد بيَّنتُ ذلك مفصَّلاً في آخر كلِّ كتابٍ من كتبِ هذا الجامع، وجمعتُ ذلك هُنا تنبيهاً على وهمِ من زعم أنَّ عدده بالمكرَّر سبعة آلاف ومئتان وخمسة وسبعون، وأنَّ عدده بغير المكرر أربعة آلاف، أو نحو أربعة آلاف، وقد أوضحتُ ذلك مفصَّلاً في أواخر(المقدمة)، وذلك كلُّه خارجٌ عمَّا أودَعُه في تراجمِ الأبواب من ألفاظ الحديثِ من غير تصريحٍ بما يدلُّ على أنَّه حديثٌ مرفوعٌ، كما نبَّهت على كلِّ موضعٍ من ذلك في بابه، كقوله: باب اثنان فما فوقهما جماعة، فإنَّه لفظُ حديثٍ أخرجه ابنُ ماجه .

وفيه من الآثارِ الموقوفةِ على الصَّحَابة فمَن بعدهم: ألف وست مئة وثمانية، وقد ذكرتُ تفاصيلها _ أيضاً _ عقبَ كلِّ باب.

وفي الكتاب آثارٌ كثيرة لم يصرّح بنسبتها لقائلٍ مسمًّى، ولا مُبهم، خصُوصاً في التفسير والتراجم، فلم تدخُلْ في هذه العدَّةِ، وقد نبَّهت عليها أيضاً في أماكنهَا، انتهى .

وقال ابن الملقِّن في (التوضيح): قال أبو حفص عُمر بن عبد المجيد الميَانشي في (إيضاح ما لا يسع المحدث جهله): الذي اشتملَ عليه كتاب البُخاري من الأحاديث سبعةُ آلاف وست مئة ونيف .

قال: واشتملَ كتابهُ وكتاب مسلم على ألفِ حديثٍ ومئتي حديث من الأحكام، فروت عائشة رضي الله عنها من جملةِ الكتابين مئتين ونيفاً وسبعين حديثاً، لم يخرج غير الأحكامِ منها، إلا يَسيرا. قال الحاكم: فحُمِل عنها ربع الشَّريعة، انتهى فليتأمل .

فقد يتوقَّف فيما قاله الحاكم. وعلى ما ذكره النَّووي تبعاً للحموي وابن الصَّلاح وأبي الفضل ابن طاهر وكثيرين نظَمها بعضهم فقال :

جمِيْعُ أحَادِيثِ الصَّحِيحِ الَّتِي رَوَى البُخَارِي لَهَا خمْسٌ وسَبْعُون فِي العَدِّ

وسَبْعةُ آلَافٍ تُضَافُ ومَا مَضَى إلَى مِئتَيْنِ عدَّ ذَاكَ أُولُو الجِدِّ

وللمحدِّث الكبير عبد الرحمن اليماني الشَّيباني :

عَدُّ أحَادِيثِ البُخَارِي خَالِصاً مِن العوْدِ والتَّكْرَارِ ألْفَانِ معْ نِصْفِ

وزِدْ عشْرَةً مِنْ بعْدِهَا وثلَاثةً أضِفْها إلَيْها تنْجُ مِنْ شِدَّةِ الخُلْفِ

وأراد بقوله: مع نصف، أي: للألف، لما مرّ، فالجملة ألفان وخمس مئة وثلاثة عشر، وهذا على ما حرَّره الحافظ ابن حجر .

وتقدَّم أنَّ أحاديث البُخاري تنقَسم باعتبارِ الإسناد إلى أقسام :

منها: الثُّلاثي، وهو ما بينَه وبين النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثةُ رجالٍ، وهي كما قالَ الكرماني وغيره: اثنان وعشرون حديثاً، وهذه أعلَى ما فيه، وليس فيه أقل من ثلاثة .

ومنها: ما فوقَها من الرُّباعيَّات إلى التُّساعيات، وهي غايةُ ما فيه من النُّزول بحسبِ الإسناد .

وغايةُ ما في مسلمٍ من علوِّ الإسناد الرُّباعي، كما نبَّه على ذلك شيخُ مشايخنَا إبراهيم الكوراني، فاعرفه.

هذا وقَد فصَّلَ النوويُّ رحمه الله في شرحه أحاديثَ هذا (الجامع الصَّحيح) ببيَان ما اشتملَ عليه كلُّ كتابٍ من الأحاديث، وتبعَه الحافظ في آخر (المقدمة)، مع التعقُّبِ عليه فيما أهمَلَه، فلذا زادَتْ عدَّتها عندَه على ما عرفتَ فيما مرَّ .

وقد ذكرنَا ما في (المقدمة) في أوائل (الفيض الجاري). ولنذكر كلام النَّووي في (شرح البخاري) للتَّبرُّك به، وبما قاله فنقول :

قال فيه: وقد رأيتُ أن أذكُرَها مفصَّلةً؛ لتكونَ كالفهرست لأبوابِ الكتابِ، وليسهُلَ مَعرفِة مظانِّ أحادِيثهِ على الطُّلَّاب .

رَوَينا بإسنَادِنا الصَّحيح عن الحَمُّوي رحمه الله: أنَّه قال: عَدَد أحادِيث(صحيح البُخاري) رحمه الله: بدء الوحي: خمسةُ أحاديث، الإيمان: خمسُون، العلم: خمسةٌ وسبعون، الوضُوء: مئة وتسعة، غُسل الجَنَابة: ثلاثة وأربعون، الحيض: سبعةٌ وثلاثون، التَّيمُّم: خَمسة عشر، فرض الصلاة: حديثان، الصَّلاة في الثِّياب: تسعةٌ وثلاثون؛ القِبْلة: ثلاثة عشر، المساجِد: ستَّة وسبعون، سترة المصلي: ثلاثون، مواقيت الصلاة: خمسة وسبعون، الأذَان: ثمانيةٌ وعشرون، فضلُ صَلاة الجَمَاعة وإقامَتها: أربعون، الإمامَة: أربعون، إقامَة الصُّفوف: ثمانيَة عشَر، افتتاح الصَّلاة: ثمانية وعشرون، القراءة: ثلاثون، الرُّكوع والسُّجود والتشهدُّ: اثنان وخمسون، انقضَاء الصَّلاة: سبعة عشر، اجتنَاب أكل الثُّوم: خمسةُ أحاديث، صلاة النِّساء والصبيان: خمسةَ عشر، الجمعة: خمسةٌ وستُّون، صَلاة الخَوف: ستَّةُ أحاديث، العيد: أربعون، الوِتر: خمسةَ عشر، الاستِسقَاء: خمسةٌ وثلاثون، الكُسُوف: خمسةٌ وعشرون، سجُود القُرآن: أربعةَ عشر، القَصر: ستَّةٌ وثلاثون، الاستِخَارة: ثمَانية، التَّحريض على قِيَام اللَّيل: أحدٌ وأربعون، النَّوافل: ثمانيةَ عشر، الصَّلاة بمسجدِ مكَّة: سبعَة، العمَل في الصَّلاة: ستَّةٌ وعشرون، السَّهو: أربعةَ عشر، الجنائز: مئةٌ وأربعةٌ وخمسون، الزَّكاة: مئة وثلاثة عشر، صدقةُ الفطر: عشرة، الحج: مئتان وأربَعون، العُمرة: اثنان وثلاثُون، الإحْصَار: أربعون، جزَاء الصَّيد: أربَعُون، الصَّوم: ستَّة وثلاثُون، ليلة القدر: عشرة، قيام رمضَان: ستَّة، الاعتِكَاف: عشرون، البُيوع: مئةٌ وأحدٌ وتسعون، السِّلم: تسعةَ عشر، الشفعَة: ثلاثة، الإجَارة: أربعةٌ وعشرون، الحَوَالة: ثلاثون، الكَفَالة: ثمَانية، الوَكَالة: سبعةَ عشر، المزارَعَة والشُّرب: تسعةٌ وعشرون، الاستِقْراض وأداء الدُّيون: خمسةٌ وعشرون، الأشخاص: ثلاثةَ عشر، الملازمة: حديثَان، اللُّقطة: خمسةَ عشر،

المظالم والغَصْب: أحدٌ وأربعون الشَّركة: اثنان وسبعون، الرَّهن: تسعة، العِتْق: أحدٌ وأربعون، المكاتب: ستَّة، الهبة: تسعةٌ وستُّون، الشَّهادات: ثمانيةٌ وخمسون، الصُّلْح: اثنان وعشرون، الشُّروط: أربعةٌ وعشرون، الوصَايا: أحدٌ وأربعون، الجهَاد والسِّير: مئةٌ وخمسةٌ وخمسون، بقيَّةُ الجهاد أيضاً: اثنانِ وأربعون، فرضُ الخُمس: ثمانيةٌ وخمسون، الجزيَة والموادَعة: ثلاثةٌ وستُّون، بدْءِ الخلق: مئتان وحديثان، الأنبيَاء والمغَازي: أربعُ مئة وثمانية وعشرون، جزْء آخر بعد المغازي: مئةٌ وثمانيَةٌ وثلاثون، التَّفسير: خمسُ مئةٍ وأربعون، فضائل القُرآن: أحدٌ وثمانون، النكاح والطَّلاق: مئتان وأربعةٌ وأربعون، النَّفَقات: ثلاثة وعِشرون، الأطعمة: سبعون، العقِيقَة: أحدَ عشر، الصَّيد والذَّبَائح وغيره: سبعون، الذَّبائح والأَضَاحي: ثلاثون، الأشربَة: خمسةٌ وستُّون، الطِّب: تسعةٌ وسبعون، اللباس: مئةٌ وعشرون، المرضى: أحدٌ وأربَعُون، اللِّباس أيضاً: مئة، الأدَب: مئتان وستَّة وخمسون، الاستئذَان: سبعةٌ وسبعون، الدَّعَوات: ستَّةٌ وسبعُون، ومن الدَّعوات: ثلاثون، الرِّقاق: مئة، الحَوض: ستَّة عشر، الجنَّة والنَّار: سبعةٌ وخمسون، القَدر: ثمانيةٌ وعشرون، الأَيمان والنُّذور: أحدٌ وثلاثون، كفَّارة اليمين: خمسةَ عشر، الفَرَائض: خمسةٌ وأربعون، الحُدود: ثلاثون، المحَاربون: اثنَان وخمسون، الدِّيات: أربعةٌ وخمسون، استِتَابة المرتدِّ: عشرون، الإكرَاه: ثلاثة عشر، تركُ الحيَل: ثلاثةٌ وعشرون، التَّعبير: ستُّون، الفتن: ثمانون، الأحَكْام: اثنان وثمانون، الأمَان: اثنان وعشرون، إجازةُ خبرِ الواحد: تسعةَ عَشر، الاعتِصَام: ستَّةٌ وتسعون، التَّوحيد وعظَمَة الرَّبِّ سبحانه وتعالى، وغيرُ ذلكَ إلى آخرِ الباب: مئةٌ وسبعون .

هذا عدُّ الحَمُّوي، وقد رَوَينا عن الحافِظِ أبي الفضْل محمَّد بن طاهر المقدسِي بإسنادهِ عن الحموي أيضاً هكذا، وهذا فصلٌ نفيسٌ يغتبطُ به أهلُ العنايةِ، والله أعلم، انتهى كلامُ النَّووي، رحمه الله تعالى، أمين.

هذا وقد نظمَ شيخُ الإسلام عُمر البُلْقِيني ترتيبَ تراجِم (صحيح البُخاري)، فقال وأجادَ رحمه الله تعالى :

أَتَى فِي البُخَارِي حِكْمَةٌ فِي التَّرَاجِمِ مُنَاسَبَةٌ فِي الكُتْبِ مِثْلَ البَرَاجِمِ
فمبْدَأُ وَحْيِ اللهِ جَاءَ نبِيَّهُ وإِيمَانٌ يَتْلُوهُ بعَقْدِ المعَالِمِ

وإنَّ كِتابَ العِلْمِ يُذْكَرُ بعْدَهُ فَبالوَحْيِ إيمَانٌ وعِلْمُ العَوالِمِ
ومَا بَعْدَ إِعْلامٍ سِوى العَمَلِ الَّذي بِهِ يَرِدُ الإِنْسانُ وِرْدَ الأَكَارِمِ
ومَبْدَؤُهُ طُهْرٌ أَتَى لِصَلاتِنا وأَبْوَابُهُ فيهَا بَيانُ الملائِمِ
وَبَعْدَ صَلاةٍ فالزَّكَاةُ تبيعُهَا وحَجٌّ وصَوْمٌ فيهِمَا خُلْفُ عَالِمِ
رِوايَتُهُ جاءَتْ بخُلْفٍ بصِحَّةٍ كَذا جاءَ فِي التَّصنِيْفِ طبْقَ الدَّعَائِمِ
وفِي الحَجِّ أَبْوابٌ كَذاكَ بعُمْرَةٍ لطَيْبَةَ جَاءَ الفَضْلُ مِنْ طيْبِ خَاتَمِ
مُعَاملَةُ الإِنْسَانِ فِي طَوْعِ ربِّهِ يَليهَا ابتِغَاءُ الفَضْلِ سَوقَ المَواسِمِ
وأَنواعُهَا فِي كُلِّ بَابٍ تميَّزَتْ وفِي الرَّهْنِ والإِعْتَاقِ فَكُّ الملَازِمِ
فَجَاء كتَابُ الرَّهْنِ والعِتْقُ بعدَهُ مناسبَةٌ تَخْفَى علَى فَهْمِ صارِمِ
كتَابَةُ عَبْدٍ ثُمَّ فيْهَا تبرُّعٌ كَذَا هبَةٌ فيهَا شُهُودُ التَّحَاكُمِ
كِتابُ شَهادَاتٍ تَلي هِبَةٌ جَرَتْ وَللشُّهَدَاء فِي الوَصْفِ أَمْرٌ لحَاكِمِ
وَكَانَ حديثُ الإِفْكِ فيْه افْتِرَاؤُهُمْ فَوَيْلٌ لأَفَّاكٍ وتَبًّا لآثِمِ
وكَمْ فيهِ تَعْديلٌ لِعائِشَةَ الَّتي يبرِئُهَا الموْلَى بدَفْعِ العَظَائِمِ
كَذَا الصُّلْحُ بَيْنَ النَّاسِ يُذْكَرُ بَعْدَهُ فَبالصُّلْحِ إصْلَاحٌ ودَفْعُ المظَالِمِ
وَصُلْحٌ وشَرْطٌ جائِزَانِ لِشَرْعِهِ فَذِكْرُ شُرُوطٍ فِي كِتَابِ المعَالِمِ
كِتَابُ الوَصَايَا والوُقُوفِ لِشارِطٍ بِهَا عَمَلُ الأَعْمَالِ ثمَّ لِقائِمِ
مُعامَلَتَا رَبٍّ وخَلْقٍ كَمَا مَضَى وثَالِثُهَا جَمْعٌ غريْبٌ لفَاهِمِ
كِتَابُ الجِهَادِ اجْهَدْ لإِعْلاءِ كِلْمَةٍ وفيْهِ اكْتِسَابُ المالِ إِلَّا لظَالِمِ
فيَمْلِكُ مَالَ الحَرْبِ قَهْراً غنيمَةً كَذَا الفَيءُ يَأْتِينا بِعِزِّ المغَانِمِ
وجِزْيَتُهُمْ بِالعَقْدِ فيهِ كِتَابُهَا مُوادَعَةٌ مَعْها أَتَتْ فِي التَّراجِمِ
كِتابٌ لبَدْءِ الخَلْقِ بَعْدَ تَمامِهِ مُقَابَلَةُ الإِنْسَانِ يبدُ المقَاسِمِ
وللأَنْبِيَاء فيْهِ كِتَابٌ يَخُصُّهُمْ تَراجِمُ فيْهَا رُتْبَةٌ لِلأَكَارِمِ
فضَائِلُ تتْلُو ثُمَّ غَزْوُ نبيِّنا ومَا قَدْ جَرى حَتَّى الوفَاةِ لخَاتَمِ
وأَنَّ نَبِيَّ اللهِ وَصَّى وَصِيَّةً يَخُصُّ كِتَابَ اللهِ أطيَبَ عازِمِ
كِتابٌ لِتَفْسِيرٍ تَعقَّبَهُ بِهِ وإِنْ أَوَّلَ التَّفْسيرَ أَهْلُ العَزَائِمِ

وفِي ذَاكَ إِعْجَازٌ لَنَا ودَلِيلُنا وإِحْياؤُهُ أَرْواحَ أَهْلِ الكَرائِمِ
كِتابُ النِّكَاحِ انْظُرْهُ منهُ تَناسُلٌ حَياةٌ أَتَتْ مِنْهُ لِطِفْلٍ بحالِمِ
وأحكَامُهُ حَتَّى الوَلِيمَةُ تِلْوُها ومنْ بَعْدِها حُسْنُ العشِيرِ الملائِمِ
كِتابُ طَلاقٍ فيهِ أَبْوابُ فُرْقَةٍ وَفِي النَّفَقاتِ افْرِقْ لِيُسْرٍ وعادِمِ
وَأَطْعِمَةٌ حَلَّتْ وَأُخْرى فَحُرِّمَتْ لِيَجْتَنِبَ الإِنْسانُ إِثْمَ المحَارِمِ
وعَقٌّ عَن المولودِ يَتْلُو مَطَاعِماً كَذَا الذَّبْحُ مَعْ صَيْدٍ بيَانُ الملائِمِ
وَأُضْحِيَّةٌ فيْهَا ضِيافَةُ رَبِّنا ومِنْ بَعْدِهَا المشْرُوبُ يَأْتِي لِطاعِمِ
وغَالِبُ أَمْراضٍ بِأَكْلٍ وشُرْبِهِ كِتَابٌ لِمَرْضَانَا برَفْعِ المآثِمِ
فَبِالطِّبِّ يُستَشْفَى مِنَ الدَّاءِ برُقْيَةٍ بفَاتِحَةِ القُرْآنِ ثُمَّ الخَواتِمِ
لِباسٌ بِهِ التَّزيينُ فَانْظُرْهُ بَعْدَهُ كَذا أَدَبٌ يُؤْتَى بهِ بِالكَرائِمِ
وأَنَّ بِالاسْتِئْذانِ حَلَّتْ مَصَالِحٌ بِهِ تَفْتَحُ الأَبْوابَ وجْهُ المسَالِمِ
وَبِالدَّعَواتِ الفَتْحُ مِنْ كُلِّ مُغْلَقٍ وتَيْسيرُ أَحْوالٍ لِأَهْلِ المغَارِمِ
رِقاقٌ لَهَا بَعْدَ الدُّعاءِ تذَكُّرٌ وللقَدَرِ اذكرْهُ لأَصْلِ الدَّعَائِمِ
ولَا قَدَرٌ إِلَّا مِنَ اللهِ وحْدَهُ تَبَرُّرُنَا بِالنَّذْرِ شَوْقاً لحَاتِمِ
وأَيْمانُ مِنْ كتبٍ وَكَفَّارَةٌ لَهَا كَذا النَّذْرُ فِي لَجٍّ بدَا مِنْ مُلاحِمِ
وأَحْوالُ أَحْياءٍ تتِمُّ وبَعْدَها مَواريثُ أَمْواتٍ أَتَتْ لِلمَقَاسِمِ
فرائِضُهُمْ فيهَا كِتَابٌ يَخُصُّها وقَدْ تَمَّتِ الأَحْوالُ حَالَاتِ سَالِمِ
ومَنْ يَأتِ قَاذوراً تَبَيَّنَ حَدُّهُ مُحارِبُهُمْ فيهِ أَتَتْ حَتْمَ حَاتِمِ
وفِي غُرَّةٍ فَاذْكُرْ دِياتٍ لأَنْفُسٍ وفيْهَا قِصَاصٌ جَاء لأَهْلِ الجَرَائِمِ
وَرِدَّةُ مرْتَدٍّ ففِيهِ اسْتِتابَةٌ برِدَّتِهِ زَالَتْ عُقودُ العَواصِمِ
ولكِنَّما الإِكْراهُ رافِعُ حُكْمِهِ كَذَا حِيَلٌ جَاءَتْ لِفَكِّ التَّلازُمِ
وفِي بَاطِنِ الرُّؤْيا لِتَعْبيرِ أَمْرِها وفِتْنَتها قَامَتْ فَمَا منْ مُقاوِمِ
وأحكام خِلِّيفا يُزيلُ تَنازُعاً كِتابُ التَّمَنِّي جاءَ رَمْزاً لِراقِمِ
وَلا تَتَمَنَّوا جَاءَ فيهِ تَواتُرٌ وأَخْبارُ آحَادٍ حِجَاجٌ لِعالِمِ
كِتابُ اعْتِصَامٍ فَاعْتَصِمْ بِكِتَابِهِ وَسُنَّةُ خَيْرِ الخَلْقِ عِصْمَةُ عَاصِمِ

وخَاتِمَةُ التَّوحِيْدِ طَابَ خِتَامُها يمِيْدُ بِها عطْرٌ ومِسْكٌ لِخاتِمِ
فَجاءَ كِتابٌ جامِعٌ مِنْ صِحَاحِنَا لِحافِظِ عَصْرٍ قَدْ مَضَى فِي التَّقَادُمِ
أَتَى فِي البُخَارِي مِدْحَةٌ لِصَحيحِهِ وحَسْبُكَ بالإِجْمَاعِ فِي مَدْحِ حَازِمِ
أَصَحُّ كِتَابٍ بَعْدَ تَنْزيلِ رَبِّنَا ونَاهِيْكَ بالتَّفْضِيلِ فاجْأَرْ لِراحِمِ
وَقُلْ رَحِمَ الرَّحْمَنُ عَبْداً مُوَحِّداً تَحَرَّى صَحِيحَ القَصْدِ سُبْلَ العَلائِمِ
وَفِي سُنَّةِ المخْتار يُبْدِي صَحِيحَها بِإِسنَادِ أَهْلِ الصِّدْقِ مِنْ كُلِّ حازِمِ
وإِنَّا تَوَاخَيْنَا كِتَاباً نَخُصُّهُ عَلَى أَوْجُهٍ تَأْتِي عُجَاباً لِغَانِمِ
عَسَى اللَّهُ يَهْدِينا جَمِيعاً بفَضْلِهِ إِلى سُنَنِ المخْتارِ رَأْسِ الأَكَارِمِ
وَصَلَّى عَلَى المخْتارِ مَوْلاي رَبُّنا يُقَارِنُهَا التَّسْلِيمُ فِي حَالِ دَائِمِ
وآلٍ لَهُ والصَّحْبِ مَعْ تابِعٍ لَهُمْ يَقُفُّونَ آثَاراً أَتَتْ بِدَعائِمِ
بِتَكْرِيرِ مَا يَبْدو وتَضْعيفِ عَدِّهِ وفِي بَدْئِها والخَتْمِ مِسْكُ الخَواتِمِ

انتهى. وذكَر الحافِظ ابنُ حجر في آخِرِ (المقدِّمة) وجه مناسبةِ التَّرتيب المذكُور بالأبوَابِ المذكُورةِ ملخِّصاً من كلام شَيخهِ شيخِ الإسلامِ أبي حفْص عُمر البُلْقِيني، فنذكرهُ ملخَّصاً أيضاً معَ زيادةٍ، فنقُول: قال: بدَأَ البُخاري بقولهِ: كيفَ بدْء الوحي؟ ولم يقُلْ: كتاب الوحي، ولا: كتاب بدء الوحي؛ لأنَّ بدء الوحي بعض ما يشتملُ عليه الوحي.

قلتُ: ويظهرُ لي أنَّه إنَّما عرَاهُ من باب؛ لأنَّ كلَّ بابٍ يأتي بعدَه منقسِمٌ منه، فهو أمُّ الأبوابِ، فلا يكون قسِيماً لها.

قال: وقدَّمه؛ لأنَّه منبَعُ الخيراتِ، وبه قامَتِ الشَّرائع، وجَاءتِ الرِّسالات، ومنه عُرِفَ الإِيمَانُ، ثمَّ العلم، فلذا ذكر بعده كتابَ الإيمانِ، ثمَّ كتاب العلمِ، وبعدهُ يكون العملُ، وأفضلُ الأعمالِ البَدنيَّة الصَّلاة، ولا يتوصَّل إليها إلَّا بالطَّهارة، فلذا قدَّم عليها كتابَ الطَّهارة بأنواعِهَا، وما يتعلَّق بذلك؛ كالذي يشتركُ فيه الرِّجالُ والنِّساء، وما ينفردُ به النِّساء، ثُمَّ كتاب الصَّلاة بأنوَاعِهَا، ثمَّ كتاب الزَّكاة؛ كما جاء في حديث: (بُني الإسلامُ على خمسٍ)، ثمَّ الحجُّ والصَّوم، على الخلَافِ في المقَدَّمِ منهما، ولذا اختلفَتْ النُّسَخ في الصَّوم والحج أيُّهما قبلَ الآخَر؛ لاختِلَاف الرِّواية في الحديثِ لذلك.

ولما كان الغالِبُ أنَّ مَنْ يحُج يجتاز بالمدينةِ الشَّريفة، فذكَر ما يتعلَّقُ بزيَارَةِ النَّبي صلى الله عليه

وسلم، وما يتعلَّقُ بحَرَم المدينةِ .

قلتُ: ظَهَرَ لِي أن يُقال في تعقِيبِهِ الزَّكاة بالحَج: إنَّ الأعمَال لما كانتْ بدنيَّةً محضةً، وماليَّةً محضةً، وبدنيةً مالية، رتَّبها كذلك، فذكَر الصَّلاة، ثمَّ الزَّكَاة، ثمَّ الحَجُّ، ولما كانَ الصِّيامُ هو الرُّكن الخامسُ المذكورُ في حدِيثِ ابن عُمر: (بُنِيَ الإسْلامُ على خَمسٍ) عقبَ بذكرِهِ، وإنَّما أخَّرَه لأنَّه من التُّرُوك، ولو اعتمَد على التَّرتيب الَّذي في حدِيثِ ابن عمر، لقَدَّمَ الصِّيَام على الحجِّ . وهذِهِ التَّراجمُ فيها مُعَاملة العَبْد مع الخَالقِ، وبعدَهَا مُعَاملةُ العَبْد مع الخَلق، فذكَرَ البُيوع: بُيوعَ الأعيَان، ثمَّ بيع الدين، وهو السَّلَم، ثمَّ ذكَرَ البيعَ القَهْري؛ كالشُّفعة، ولما كان من البيوعِ ما يقعُ على دينين لا يجبُ فيهِمَا قبضٌ في المجلسِ، وهو الحَوَالة، فذكَرَها .

ولما كانَ في الحَوَالة انتقَالُ الدَّين من ذِمَّةٍ إلى ذِمَّة أردَفَها بما فيه ضمُّ ذمَّةٍ إلى ذمَّةٍ أو ضَمُّ شَيءٍ يحفظ به العَلقَة وهو الكَفَالة والضَّمَان، ثمَّ ذكَرَ الوَكَالة لما فيها من حِفْظ المال ثمَّ أردَفَها بما فيه التَّوكُّل على الله فذكرَ كتَابَ الحَرْث والمزَارعةِ، وذكَرَ فيه مُتَعلَّقات الأرْضِ والموَاتِ والغَرْس والشِّرب، وتوابع ذلك .

ولما كانَ في كثيرٍ من ذلك يقعُ الإرْفاقُ، أعقَبَه بكتَابِ الاستِقْراض، ثم ذكَرَ: (العبدُ راعٍ في مَالِ سيِّده، لا يَعمَلُ إلا بإذْنِهِ)؛ للإعْلام بمُعَاملةِ الأَرقَّاء .

ولما كانتْ المعَاملات لا بدَّ أنْ يقَعَ فيها مُنَازعات، فذكَرَ الإشْخَاص، والملَازمة، والالتِقَاط .

ولما كانَ في الالتِقَاطِ وضعُ اليَدِ بالأَمَانةِ الشَّرعِيَّةِ، ذكَرَ بعدَه وضْعَ اليَد تعدِّياً، وهو المظَالم والغَصْب، وعقبه بما يُظنُّ أنَّه غصبٌ؛ كوضْعِ الخشَبِ في جدارِ الجَار، وصبِّ الخَمْر في الطَّريق، والجُلوس في الأفنيةِ، والآبَار في الطَّريق، والحقُوق المشْتركة، وقد يقعُ في الاشْتِراك نهيٌ، فترْجَم بِها ثُم بالشَّرِكة وتَفَاريعِهَا .

ولما كانتْ هذه المعَاملات في مَصَالح الخَلْق، ذكرَ سبباً يتعلَّقُ بها، كالرَّهْن، وهو يحتاج إلى فكِّ رقبَتِهِ، فأردَفَه بالعِتْقِ ومتعلَّقَاتهِ، ومنها الكتَابة، وهي تستَدْعِي إيتَاءً، فأرْدَفَها بالهِبَة، وهي تستَدْعِي الملكَ بلا عِوَضٍ، فأردَفَه بالعَارِية والمنِيْحَة .

ولما كانتْ المعَاملات مع الخلقِ قد يقعُ فيها نزاعٌ، فيحتَاجُ إلى الإشْهَادِ، فأرْدَفَه بالشَّهَاداتِ والبيِّنَاتِ، وقد يقعُ فيها تعَارضٌ، فيحتَاجُ إلى الصُّلْحِ، فذكَرَه، وقد يقعُ في الصُّلح شُروطٌ، فعقَّبَه بها، وهي قد تكون بعْدَ الوفاةِ، فذكرَ الوصيّةَ والوقفَ .

ثمَّ ذكرَ المعَاملة مع الخَالقِ، وفيهَا نَوع اكتسَابٍ، فترجمَ بالجهَادِ، وبما يتعلَّق بهِ من اسْترِقاقِ نحو نسائِهم، وغنِيمَة أموالِهِم، والتَّخيير في كامليهم، وكالطَّليعة، وأحوَالِ الخيْلِ، وبغلَةِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، وناقتهِ، وآلاتِ الحَرْبِ، والدُّعَاء قبْلَ القِتَال، وعَزمِ الإمَامِ على النَّاس في الجِهَادِ، والاستِعَانةِ بهِم، وقد تكون بالجُعْل، فذكَرَ الجعَائلَ .

ولما كانَ الإمامُ ينبَغِي له أن يكُونَ أوَّل القومِ، فترجَمَ بالمبادرَةِ عندَ الفَزَع، وهي لا تمنَعُ من التَّوكُّل، فذكَره، وهو لا يُنافي تَعَاطِي الأسبابِ، فذكَرَ حمْلَ الزَّاد، وآدَابَ السَّفر، وقد يكون مع المجاهدين غنِيمَة، فتَرجَم بفَرْض الخُمُسِ، وما يُؤخَذ من الكُفَّار، تارةً بالحرْبِ، وتارَةً بالمصَالحةِ، فذكَرَ الجزْية، وأحوَالَ أهلِ الذِّمَّة؛ كالموَادَعَة والعَهْد والحذَر من الغَدْر .

ولما تمَّتْ المعَاملات الثَّلَاث المأخُوذة من الوَحْي، ذكرَ بعْدَها بدْء الخَلْق، واستَظْهَر في (المقَدِّمة) التَّعلِيل بأنَّ الجهَادَ لما كانَ يشتَمِلُ على إزهَاقِ الرُّوح، ناسَبَ أنْ يذكُرَ أنَّ هذهِ المخلُوقات مُحدَثات، ومَا لها بعْدَ الفَناءِ إمَّا إلى الجنَّة وإمَّا إلى النار، فناسَبَ ذِكرَهما فذكرهما، ثمَّ ذكر إبليسَ وجُنُودَه؛ لمناسَبَتهِ النَّار، وكذا الجنَّ .

قالَ: ولما كانَ خلقُ الدَّوابِّ قبلَ خلْقِ آدمَ، عقَّبه بخلقِ آدَمَ والأنبيَاء على التَّرتيب، وذكَرَ فيهم ذَا القَرنين؛ لأنَّه نبيٌّ عندَه قبلَ إبراهيم، وذكرَ ترجمةَ أيُّوب بعدَ يوسُف؛ لما بينَهُما من الابْتِلاءِ، وقدَّم يونُس على قوله: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ (الأعراف: 163) لالتِقَام الحُوتِ له فكانَ ذلِكَ ابتلَاءً له، فصَبَرَ فنَجَا، وأولئك ابتُلُوا بالحيْتَان، فمنهم من صَبَرَ فنَجَا، ثمَّ ذكر لقْمَان بعد سُليمَان؛ لأنَّه عنده إمَّا نبيٌّ، أو من أتبَاعِ داود عليه السلام، وذكَرَ مريمَ؛ لأنَّها عندهُ نبيَّةٌ، ثمَّ ذكرَ بعد الأنبياءِ أشيَاءَ من العجَائبِ الوَاقِعةِ في زمَن بني إسرائيل، ثمَّ ذكَرَ الفضَائلَ المتعلِّقَة بهذِهِ الأُمَّة، وقَدَّم قُريشاً على سَائرِ القبَائل؛ لأنَّه بلِسَانهم، أُنزلَ الكتاب. ولما ذكر أسلمَ وغِفَاراً، ذكر قَريباً من ذلك إسلَامَ أبي ذرٍّ؛ لأنَّه أوَّل من أسلمَ من غِفَار، ثم ذكَرَ أسمَاء النَّبي وشمائلَه، وفضَائِلَ أصحَابهِ، وقدَّم المهَاجرينَ؛ لسبقِهِم إلى الإسْلامِ، ثمَّ الأنْصَار، ثمَّ بقيَّة الصَّحَابة، ثم ذكر أذى المشركين للنَّبي صلى الله عليه وسلم وأصْحَابهِ، ثمَّ أحوَاله عليه الصَّلاة والسَّلام بمكَّة قبل هِجْرة أصْحَابه إلى الحَبَشةِ، ثم هِجْرتهم إليها، وأحوَال الأَسْرى، وغيرِ ذلك، ثمَّ الهِجْرة إلى المدينة، ثمَّ المغَازي، وبدأَ بإسلامِ ابن سَلاَم تفاؤلاً بالسَّلامة، ثمَّ ذكر الوفُودَ، ثمَّ حجَّة الوَدَاعِ، ثمَّ مرض النَّبي صلى الله عليه وسلم ووفَاتهِ، وما

قُبِضَ إلا وشريعتُه كاملَةً، وكتَابُه كملَ نُزولُه وأعقَبَه بالتَّفسير، ثم فَضَائل القُرآن وآدَاب تلَاوتِهِ، ويتعلَّق بالكتَابِ والسُّنَّة حفظُ الدين في الأقطَارِ، واستمرارُ الأحكَامِ، وبذلك تحصُلُ الحيَاةُ المعتبَرَةُ. وأعقَبَ ذلك بما يحصُلُ به النَّسل والذرِّية، وهو النِّكاح، ذكَرَ كتابَ النِّكاح، وأعقَبَه بالرَّضَاع؛ لما فيه من متعلَّقَات التَّحرِيم به، ثم ذكرَ ما يحرُم من النِّساء وما يحلُّ، ثمَّ أردَفَه بالمصَاهرةِ، والنِّكاح المحرَّم والمكرُوه، والخُطبة والعقد والصَّداق والولي، وضرب الدَّفِّ في النِّكاح، والوليمة، والشُّروط في النِّكاح، وبقيَّة أحوَال الولِيمةِ، ثمَّ عِشْرة النساء، ثمَّ كتاب الطَّلاق، ثمَّ أنكِحَة الكُفَّار .

ولما كانَ الإيلاء مذكوراً في كتاب الله بعد نكاحِ المشركين، ذكره البُخاري عَقبه، ثمَّ ذكرَ الظِّهار؛ لأنه فُرقةٌ مؤقَّتة، ثم اللِّعان؛ لأنه فرقةٌ مؤبَّدةٌ، ثم العدد والرَّجعة، ثم ذكَرَ حُكم الوطء من غير عقدٍ، ثم ذكر مهرَ البَغِي والنكاحَ الفاسد، ثمَّ المتعة، ثم لما كان من الأحكامِ المتعلِّقة بالنِّكاح النَّفقة، ذكرَهَا .

ثم أتْبَع ذلِكَ بالأطعِمَة، وما يتعلَّق بها، كالعقِيقَة، وهي تحتاجُ إلى ذبحٍ، فذكَرَ الذَّبائح، ومنها ما يُصاد فذكرَ أحكامَ الصَّيد، ومنها ما يُذبح في العَام مرَّة، فذكرَ الأضَاحِي .

ولما كانَتْ المآكِل يعقُبها المشَارب، فذكَرَ كتَابَ الأشربةِ، وكلٌّ منهُما قد يحدثُ منه في البدنِ ما يحوجُ إلى الطِّبِّ، فذكرَ الطِّبَّ، وتعلُّقَات المَرَضِ، وثوابه، وما يجوزُ أن يُتداوى به، ولو بالرُّقى، وما يُكره من ذلك .

ولما فرغ من جميعِ ذلك، أردفَهُ بكتَابِ اللباسِ وما يتبَعَه .

ولما كانَ منها ما يتعلَّق بآدَاب النَّفس، أتبَعَه بالآدابِ، والبرِّ والصِّلة، والاستئذان .

ولما كانت سبباً لفتحِ الأبوابِ السُّفليةِ، أردَفَه بالدَّعوات التي هي فتحُ الأبوَابِ العُلويَّة .

ولما كان الدُّعاء سببٌ للمَغْفرةِ، ذكرَ الاستغْفارَ، وهو سبَبٌ لهدْمِ الذُّنوب، فذكَرَ بابَ التَّوبة، والأذكَارَ، والاستِعَاذةَ .

ولما كان الذِّكْرُ سبَباً للاتِّعاظ، ذكَر المواعِظَ والزُّهد، وكثيراً من أحوَالِ القيامة .

ثم ذكَرَ أنَّ الأمُور كلها بتصريفِ الله، فذكَرَ كتابَ القَدر وأحوالِهِ .

ولما كان القَدر قد يُحال عليه الأشياء المنذُورة، قال: كتاب النُّذر .

ولما كان النَّذر قد يكون فيه كفَّارة، أضافَ إليه الأيمان، ثمَّ أعقَبَه بكتابِ الكفَّارة .

ولما تمَّتْ أحوَال النَّاس في الحياةِ، ذكرَ أحوالَهُم بعد الموتِ، فقال: كتاب الفرائض، وذكْرِ أحكامها. ولما تمَّت الأحوال بغيرِ جنايةٍ، ذكر حكم الجنَاياتِ الواقعةِ بين النَّاس، فقال: كتاب الحدود، وذكر في آخرِه أحوالَ المرتَدِّين .

ولما كان المرتدُّ قد لا يكْفُر إذا كانَ مكرهاً، قال: كتاب الإكراهِ، وكان المكره قد يُضمر في نفسِهِ حيلةً دَافعةً، فذكَرَ الحِيَل، وما يحِلُّ منها، وما يحرمُ .

ولما كانت الحيلُ فيها ارتكَابُ ما يخفَى، أردَفَه بتعبيرِ الرُّؤيا؛ لأنَّها ممَّا يخفَى وإن ظهرَ للمعبِّر.

ولما كانت الرُّؤيا منها ما يكونُ فتنةً، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ (الإسراء:60)، أعقبَ ذلك بكتابِ الفتنِ .

ولما كان من الفتنِ ما يرجعُ فيه إلى الحُكامِ، وهم يسعَونَ في تسكِينِ الفتن غالباً، أعقبه بكتابِ الحكام، وذكر أحوالَ الأمراءِ والقضاة. ولما كانت الإمامةُ والحُكم قد يتمنَّاهما قومٌ، أردفَ ذلك بكتَاب التمنّي. ولما كان مدارُ حكم الحُكَّامِ في الغالِبِ على أخبارِ الآحَادِ، قال: كتاب ما جاءَ في إجازةِ خبرِ الواحدِ الصَّدُوق .

ولما كانَتْ الأحكَامُ كلُّها تحتَاجُ إلى الكتابِ والسُّنَّة، ترجَمَ بكتابِ: الاعتصام بالكتابِ والسنَّة، وكَذا أحكَام الاستنْباط منهُما، والاجتِهَاد، وكرَاهيَّة الاختلاف .

ولما كانَ أصلُ العِصْمةِ أوّلاً وآخراً توحيدِ الله، ختَم بكتَابِ التَّوحيد .

ولما كان آخر الأمُور التي يظهرُ بها المفلِح من الخاسرِ ثقل الموَازين وخفَّتها، جعلَهُ آخرَ تراجِمِ كتابِهِ، فقال: بابُ قولِ الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (الأنبياء: 47)

ولما كانَتْ الأعمَالُ تُوزَنُ بدأ بحديث: (إنَّما الأعْمَالُ بالنيّات)، وختَمَ بأنَّ أعمالَ بنِي آدم توزَنُ، وأشَارَ بذلك إلى أنَّه إنَّما يثقُلُ منها مَا كانَ بالنيَّة الخالِصَة لله تعالى، وهو حديث: (كلمتانِ حبيبتَانِ إلى الرَّحمَنِ، خَفِيفتَانِ على اللِّسانِ، ثَقيلَتانِ في الميزانِ: سُبْحانَ اللهِ وبحَمْدِهِ، سُبْحانَ اللهِ العظيمِ)، انتهى.

وذكر الحافظُ في آخر (فتح الباري): أن البُخاريَّ يشيرُ في كلِّ كتابٍ إلى ما يدلُّ على ختمِهِ، وعبارته فيه: ومما اتَّفَق للبخاري من المنَاسباتِ التي لم أرَ من نبَّه عليها: أنه يعتَني غالِباً بأن يكون في الحديث الأخِيْر من كلِّ كتابٍ من كتب هذا الجامعِ مناسبة لختمِهِ، ولو كانَتْ

الكلمَة في أثنَاءِ الحديثِ الأخِيرِ، أو من الكَلامِ عليه؛ كقولِهِ في آخر حديث بدْء الوحِي: فكان ذلك آخر شأن هِرَقل، وقوله في آخِر كتاب الإيمَان: ثمَّ استغْفَر ونزَلَ، وفي آخر كتاب العلم: وليقطَعهُما حتى يكونا تحتَ الكَعْبين، وفي آخر كتاب الوضوء: واجعلهنَّ آخرَ ما تكَلَّم به، وفي آخر كتاب الغسل: وذلك الأخِير إنما بيَّنَّاه لاختلافِهم، وفي آخر كتاب التيمم: (عليكَ بالصَّعيدِ فإنه يكفيكَ)، وفي آخر كتاب الصَّلاة: استِئْذان المرأةِ زوجَها في الخُرُوج، وفي آخر كتاب الجمعة: ثمَّ تكُون القائِلة، وفي آخر العيدين: لم يصل قبلَهَا ولا بعدَها .

وفي آخر الاستسقاء: ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[لقمان: 34]، وفي آخر تقصير الصلاة: وإن كنت نائمة اضطَجِعي، وفي آخر التهجُّد والتطوع: وبعد العصر حتى تغرُب الشمسُ، وفي آخرِ العمل في الصَّلاة: فأشارَ إليهم أن اجلسُوا فلمَّا انصَرَف .

وفي آخر كتاب الجنائز: فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[المسد: 1]

وهو من التَّباب، ومعناه: الهَلاك، وفي آخر الزكاة: صدقة الفطرِ، ولها دخُولٌ في الآخرية من جهةِ كونها تقعُ في آخِر رمضان مكفِّرة لماضٍ .

وفي آخر الحج: واجعَل موتِي في بلدِ رسولِكَ، وفي آخر الصيام: (ومن لم يكُن أكَلَ فليصُم)، وفي آخر الاعتكاف: ما أنا بمعتكِفٍ فرجع، وفي آخر البيع والإجارة: حتى أجلَاهم عُمر، وفي آخر الحوَالة: فصلَّى عليه، وفي آخر الكفَالة: ومن تَرَك مالاً فلورثته .

وفي آخر المزَارعة: ما نسيتُ من مقالتهِ تلك إلى يَومي هذا شيئاً، وفي آخر الملازمة: حتَّى أمُوت ثمَّ أُبعَث، وفي آخر الشرب: فشرِبَ حتَّى رضِيْتُ، وفي آخر المظالم: فكَسَروا صَومَعتَه وأنزَلُوه، وفي آخر الشركة: فتُذْبح بالقَصبِ .

وفي آخر الرَّهن: أولئِكَ لا خَلاقَ لهم في الآخِرَة، وفي آخر العتق: الوَلَاء لمن أعتَق، وفي آخر الهبَة: ولا تعُدْ في صدَقَتك، وفي آخر الشَّهادات: لأتوهُما ولو حبْواً، وفي آخر الصلاة: فاقضِه، وفي آخر الشروط: لا تُبَاع ولا تُوهب ولا تُورث .

وفي آخر الجهاد: قدمت فقال: صلى ركعتين، وفي آخر فرض الخُمس: حرَّمَها البتَّة، وفي آخر الجزية والموادَعَة: فهو حرامٌ بحرمةِ الله إلى يوم القِيامة، وفي آخر بدء الخلق وأحاديث الأنبياء: قَدِم معاويةُ المدينة آخر قدمةٍ قدِمَها .

وفي آخر المناقب: تُوفِّيت خديجة قبل مَخرج النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وفي آخر الهجرةِ: فترة

بين عيسى ومحمَّد، وفي آخر المغازي: الوفاة النَّبوية وما يتعلَّق بها، وفي آخر التفسير: تفسير المعَوذتين .

وفي آخر فضائل القرآن: اختَلَفوا فأُهلِكوا، وفي آخر النِّكاح: فلا يمنعني من التحَرُّك، وفي آخر الطلاق: وتعفُوَ أَثَرَه، وفي آخر اللِّعان: أبعد لك منها .

وفي آخر النَّفقات: أعتقها أبو لهبٍ، وفي آخر الأطعمةِ: وأنزَلَ الحجابَ، وفي آخر الذَّبائح والأضَاحِي: حتى تنفرَ من منى .

وفي آخر الأشربة: وتابعه سعيد بن المسيِّب عن جابر، وفي آخر المرضَى: وانقُلْ حمَّاها، وفي آخر الطِّب: ثم ليَطْرَحه .

وفي آخر اللباس: إحدى رجلَيْه على الأخرى، وفي آخر الأدب: فليرُدَّه ما استَطَاع، وفي آخر الاستئذان: منذ قبض النبي صلى الله عليه وسلم، وفي آخر الدَّعوات كَراهَة السَّآمة علينا، وفي آخر الرِّقاق: أن نرجِعَ على أعقَابنَا، وفي آخر القدر: إذا أَرَادُوا فتنةً أبَينا .

وفي آخر الأيمان والنُّذور: إذا سهمٌ غابر فقَتله، وفي آخر الكفَّارة: وكفِّر عن يمينك، وفي آخر الحدود: إن شاء عَذَّبه وإن شاءَ غَفَر له، وفي آخر المحَارِبين: اعملوا ما شِئْتم فقد وجَبَتْ لكُم الجنَّة. وفي آخر الإكراه: يحجزه عن الظُّلم، وفي آخر تعبير الرُّؤيا: تجاوزَ الله عنهم، وفي الفتن: أنَهلك وفينا الصَّالحون، وفي آخر الأحكام: فاعتمرت بعد أيام الحج، وفي آخر الاعتصام: سُبحانك هذا بُهتانٌ عظيمٌ .

والتَّسبيح مَشروعٌ في الخِتامِ، ولذلك ختَمَ به كتابَ التَّوحيد، والحمد بعد التَّسبيح آخر دعوى أهل الجنة، قال الله تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[يونس: 10] انتهى ما في (فتح الباري).

الأوَّل: لم يستوعبِ الشيخان الحديثَ الصَّحيح، ولم يلتزمَاهُ على شرطِهِمَا فضلاً عن مُطلق الصَّحيح. قال شيخُ الإسلام زكريا وغيره: كما صرَّحا بذلك. قال: فإلزامُ الدَّارقطني وغيرُه إيَّاهما بأحاديث على شرطِهِمَا غيرُ لازمٍ، انتهى .

وقال الحافظُ أبو عبد الله محمَّد بن يعقوب النِّيسابوري الشَّهير بابن الأخرَمِ: لم يفُتِ الشيخان منه إلا القليل. لكن ردَّه ابن الصَّلاح بأنَّ الذي فاتهما كثيرٌ لا قليل، كما يُعلم من (مستدرك

الحاكم). وقال النوويُّ: الصَّواب أنَّه لم يفت الأصول الخَمسة ــ وهي السُّنن السِّتَّة ما عَدا سنن ابن ماجه ــ إلا القَليل. وإلى ذلك أشار العِراقي بقوله :

ولَم يعُمَّاهُ ولكِنْ قَلَّمَا عِنْد ابْنِ الأَخْرَمِ منْهُ قَدْ فاتَهُمَا

ورُدَّ لكِنْ قَالَ يَحْيَى البرُّ لَمْ يفُتِ الخمْسَة إلَّا النَّزْرُ

وفِيْهِ مَا فيْهِ لقَوْلِ الجُعْفِي أحْفَظُ منْهُ عشْرَ ألْفِ ألْفِ

وعَلَّهُ أرَادَ بالتَّكْرارِ لهَا ومَوقُوفٌ وفِي البُخَارِي قال شيخُ الإسلام زكريا :

أي: وما أُلحقَ به من آثارِ الصَّحابة وغيرهم، فلا يُنافي كلامهُ كلامي ابن الأخرمِ والنَّووي .

على أنَّ شيخنا ــ يعني: الحافظ ابن حجر ــ قال: والظَّاهرُ أنَّ ابنَ الأخرَم إنَّما أرادَ ما فَاتهما مِمَّا عرفَاه واطَّلعا عليه مما يَبلغُ شرطهُما، لا بقيد كتابيهِمَا، كما فهمَهُ ابن الصَّلاح .

قال: وقول النَّووي: لم يفُتِ الخمسةَ إلا القليلُ، مرادُهُ من أحاديثِ الأحكَام خاصَّةً، أما غيرُها فكثيرٌ، انتهى .

وقال السيوطيُّ في (شرح التقريب) وغيره: المرادُ بالأصول الخمسة: هي السُّنن الستَّة، ما عدا ابن ماجه، فإنه خارجٌ عنها عند المتقدِّمين .

قيل: وأوَّل من ضمَّه إليها ابنُ طاهرٍ المقدسي، وتابعهُ النَّاس بعده، وإنَّما لم يُعد فيها، لما قاله المزي من أنَّ كلَّ ما انفردَ به عن الخمسةِ فهو ضعيفٌ .

قال الحسني: يعني: من الأحاديث، وقال ابنُ حجر: الأولى حملهُ على الرِّجال، لأنَّه انفردَ بأحاديث كثيرةٍ صحيحةٍ .

والمراد ب(سنن النسائي) المعدودة في الستة، أو الخمسة: (السنن الصغرى)، كما صرَّح به التاج السُّبكي، قال: وهي التي يخرِّجون عليها الأطرافَ والرِّجال، وضمَّ إليها شيخُه المزيُّ (الكبرى). وذكر ابن الملقِّن أنها (الكبرى)، ونظرَ فيه، فقال: لأنَّه وجد بخطِّ أبي الفضل العرَاقي: أنَّ النَّسائي لما صنَّف الكبرى، أهداها لأميرِ الرَّمْلةِ، فقال له: كلُّ ما فيها صحيح؟ فقال: لا، فقال: ميِّز لي الصَّحيح من غيره، فصنَّف له (الصغرى)، انتهى، فاعرفه.

التنبيه الثاني :

قال السُّيوطي في (شرح التقريب): قال ابنُ الجوزي: حصرُ الأحاديثِ يبعدُ إمكانُه، غير أنَّ

جماعةً بالَغوا في تتبُّعِها وحصرِها .

فقال الإمامُ أحمد: صحَّ سبع مئة ألف حديثٍ وكسر، وقال: جمعتُ في (المسند) أحاديث انتخبتُها من أكثرِ من سبع مئة ألف وخمسين ألفاً .

وقال الحافظ ابنُ حجر: ولقد كان استيعَاب الأحاديثِ سَهلاً لو أرادَ الله تعالى ذلك، بأن يجمع الأوَّل منهم مَا وصَلَ إليه، ثمَّ يذكر من بعده ما اطَّلع عليه ممَّا فاتَه من حديثٍ مستقِلٍّ، أو زيادة في الأحاديث التي ذكرَها، فيكون كالذَّيل عليه، ولعَمْري لقد كانَ هذا في غَايةِ الحُسن .

ولقد صنعَ المتأخِّرون ما يقربُ من ذلك، فجمعَ بعضُ المحدِّثين ممَّن كانَ في عَصْر ابن حجر (زوائد سنن ابن ماجه على الأصول الخمسة)، وجمعَ الحافظ أبو الحسن الهيثمي (زوائد مسند أحمد) على الكُتب السِتَّة المذكورة في مجلدين، و(زوائد مسند البزار) في مجلَّدٍ ضخم، و(زوائد معجم الطبراني الكبير) في ثلاثة، و(زوائد الأوسط والصغير) في مجلدين، و(زوائد مسند أبي يعلى) في مجلد، ثم جمع هذه الزَّوائد كلها في كتابٍ محذوفِ الأسانيدِ، وتكلَّم على الأحاديثِ، ويوجدُ فيها صحيحٌ كثيرٌ، وجمع (زوائد الحلية) لأبي نُعيم في مجلَّدٍ ضخم .

وجمعَ ابن حجر (زوائد مسانيد إسحاق، وابن أبي عمر، ومسدد، وابن أبي شيبة، والحميدي، وعبد بن حميد، وأحمد بن منيع، والطيالسي) في مجلدين، و(زوائد مسند الفردوس) في مجلد .

وجمع الشَّيخ قاسم الحنفي(زوائد سنن الدَّارقطني) في مجلد .

وجمعت (زوائد شعب الإيمان) للبيهقي في مجلد، وكتبُ الحديثِ سواها كثيرةٌ جدًّا، وفيها الزَّوائد بكثرة، فبلُوغها العدد السَّابق لا يبعُدُ، انتهى ما في (شرح التقريب) للسُّيوطي، فاعرفه.

واعلمْ أنَّ البُخاري كثيراً ما يقطِّعُ الأحاديثَ، ويختصرُها في أبواب، ويعيدُها فيها لفوائد كثيرة قال في (المقدمة): قال الحافظ أبو الفضلِ محمَّد بن طاهر المقدسِي فيمَا رويناهُ عنه في جُزءٍ سمَّاه: (جواب المتعنت): اعلمْ أنَّ البُخاري رحمه الله كان يذكُرُ الحديثَ في كتابه في مواضِعَ، ويستدلُّ به في كلِّ بابٍ بإسنادٍ آخر، ويستخرجُ منه بحسنِ استنباطِهِ وغزارةِ فقهِهِ معنًى يقتضيهِ الباب الذي أخرجَه فيه، وقلَّما يوردُ حديثاً في موضعين بإسنَادٍ واحدٍ، ولفظٍ واحدٍ، وإنَّما يُوردُهُ من طريقٍ أخرى، لمعانٍ نَذكرُها، والله أعلم بمُراده منها .

فمنها أنَّه يُخرّج الحديث عن صحابيٍ، ثمَّ يُورده عن صَحابيٍّ آخر .
والمقصودُ منه أن يخرجَ الحديثُ عن حدِّ الغَرَابة، وكذلك يفعلُ في أهل الطَّبقة الثَّانية والثالثة، وهلُمَّ جرًّا، فيعتقدُ من يَرى ذلك من غيرِ أهل الصَّنعة أنَّه تكرارٌ، وليس كذلك، لاشتمالِهِ على فَائدةٍ زائدة .
ومنها: أنَّه صحَّح أحاديث على هذه القاعدةِ يشتملُ كلُّ حدِيثٍ منها على مَعانٍ مُتغايرةٍ، فيُورده في كلِّ بابٍ من طريقٍ غير الطَّريق الأوَّل .
ومنها: أحاديث يرويهَا بعضُ الرُّواة تامَّةً، ويرويها بعضُهم مختصَرةً، فيُوردها كما جاءتْ، ليُزيل الشُّبهة عن ناقليهَا .
ومنها: أنَّ الرُّواة ربما اختلفَتْ عباراتُهم، فحدَّثَ ذا بحديثٍ فيه كلمةٌ تحتَمِل معنى، وحدَّث به آخَر فعبَّر عن تلك الكلمةِ بعَينها بعبارةٍ أخرى تحتملُ معنًى آخر، فيُورده بطُرقِهِ إذا صَحَّتْ على شرطِهِ، ويُفرد لكلِّ لفظةٍ باباً .
ومنها: أحاديث تعارضَ فيها الوصلُ والإرسَال، ورُجِّحَ عندَه الوصلُ، فاعتمَدَه، وأورَدَ الإرسالَ مُنبّهاً على أنَّه لا تأثيرَ له عندَهُ في الموصُولِ .
ومنها: أحاديث تعارضَ فيها الرَّفع والوقفُ، والحُكم فيها كذلكَ .
ومنها: أحاديثُ زادَ فيها بعضُ الرُّواة رجلاً في الإسنادِ، وبعضُهم نقصَهُ، فيُوردُها على الوجهين، حيث يصحُّ عندَه أنَّ الراوي سمعهُ من شَيخٍ حدَّثه به عن آخَر، ثمَّ لقِيَ الآخر فحدَّثه به، فكان يرويهِ على الوجهين .
ومنها: أنَّه رُبَّما أوردَ حديثاً عنعَنَه راويهِ، فيُورده من طريق أخرى حصرها فيها بالسماع على ما عرف من طريقتهفي اشتراطِ ثبوتِ اللِّقاء في المعنعنِ .
فهذا جميعُه فيما يتعلَّق بإعَادة المتن الوَاحد في موضِعٍ آخَر أو أكثر .
وأمَّا تقطيعُه للحَديث في الأبواب تَارةً، واقتصارُه منه على بعضِهِ أُخرى، فذلكَ لأنَّه إن كانَ المتنُ قَصيراً، أو مُرتبطاً بعضُه ببعضٍ، وقد اشتملَ على حُكمين فصَاعداً، فإنَّه يُعيده بحسبِ ذلك، مُراعياً مع ذلك عدمَ إخلائهِ من فائدةٍ حديثيّةٍ، وهي إيرادُهُ له عن شَيخٍ سوى الشَّيخ الَّذي أخرجَه عنه قَبل ذلك، فيستفيدُ بذلك تكثير الطُّرق لذلك الحديث، وربَّما ضَاقَ عليه مخرجُ الحديث، حيثُ لا يكون له إلا طريقٌ واحدة، فيتصرَّف حينئذٍ فيه، فيُورده في موضعٍ

موصولاً، وفي موضعٍ معلّقاً، ويُورده تارةً تامًّا، وتارةً مقتصراً على طرفِهِ الذي يحتاجُ إليه في ذلك الباب، فإن كان المتنُ مُشتملاً على جُملٍ متعدِّدة لا تعلُّق لإحدَاها بالأخرَى، فإنَّه يخرِجُ كلَّ جُملةٍ منها في بابٍ مستقلٍّ، فراراً من التَّطويل، وربَّما نشطَ فسَاقَهُ بتمامهِ، فهذا كلُّه في التَّقطيع .

وأمَّا اقتصَارُه على بعضِ المتنِ، ثمَّ لا يذكرُ الباقي في موضعٍ آخر، فإنَّه لا يقعُ له ذلك في الغالبِ إلا حيث يكونُ المحذوفُ موقوفاً على الصَّحَابي، وفيه شيءٌ قد يحكَمُ برفعهِ، فيقتصرُ على الجملة التي يحْكَمُ لها بالرَّفع، ويحذفُ الباقي، لأنَّه لا تعلُّق له بموضُوع كتابِهِ، كما وقعَ له في حديثِ هُذيل بن شَرحبيل، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: إنَّ أهلَ الإسلامِ لا يسيبون، وإنَّ أهل الجاهليَّة كانوا يُسيِّبون، هكَذا أورده هو مختصراً من حديثٍ موقوفٍ، أوَّله: جاء رجُل إلى عبد الله بنِ مسعود رضي الله عنه، فقال: إنِّي أعتقتُ عبداً لي سائبة، فماتَ وتركَ مالاً، ولم يَدع وارثاً، فقال عبدُ الله: إنَّ أهلَ الإسلام لا يسيِّبون، وإنَّ أهل الجاهليَّةِ كانوا يُسيبون، فأنتَ وليُّ نعمتهِ، فلكَ ميراثه، فإن تأثَّمتَ وتحرَّجْتَ في شيءٍ، فنحن نقبلُهُ منك، ونجعله في بيتِ المالِ، فاقتصَرَ البُخاري على ما يُعطى حُكم الرَّفع من هذا الحديثِ الموقُوف، وهو قوله:(إنَّ أهْلَ الإسْلامِ لا يُسيِّبون)، لأنَّه يستدعِي بعمومِهِ النَّقل عن صاحبِ الشَّرع لذلك الحكم، واختصَرَ الباقِي؛ لأنَّه ليس من مَوضُوعِ كتابهِ، وهذا من أخفَى المواضعِ التي وقعْتَ له من هذا الجنسِ .

وإذَا تقرَّر ذلك، اتَّضَح أنَّه لا يُعيد إلا لفائدةٍ، حتَّى ولو لم تظهرْ لإعادَتِه فائِدَةٌ من جهةِ الإسنَادِ، ولا من جهةِ المتن، لكان لإعادتهِ لأجلِ مُغايرة الحُكْم الذي تَشتملُ عليه التَّرجمة الثَّانية مُوجب، لئلا يُعدَّ مُكرراً بلا فائدةٍ، وهو لا يُخليه ــ مع ذلك ــ من فائدةٍ إسناديَّةٍ، وهي إخرَاجُه للإسنادِ عن شيخٍ غير الشَّيخ الماضِي، أو غير ذلك على ما سُبق تَفصِيله، وهذا بيِّنٌ لمنِ استَقرأَ كتابَهُ، وأنصَفَ من نفسهِ، انتهى ما في (المقدمة)، فاعرفه .

وقد ذكرَ القَسْطَلَاني أنَّه رأى ورقةً بخطِّ الحافظ ابنِ حجر ذكر فيها اثنين وعشرين حديثاً ذكرَها البُخاري في مَوضِعين مُتَّحدةً سنداً ومتناً، وسَرَدها القسْطَلَاني، فراجعه.

وأمَّا عدد كُتب (صحيح البخاري) وأبوَابه وتَراجمه، فقال الكرمانيُّ: واعلَمْ أنَّ عدد كتب الجامع: مئة وشيء، وعَددُ الأبوابِ: ثلاثة آلاف وأربع مئة وخمسون باباً، مع اختِلافٍ قليلٍ في نُسخ الأصولِ، انتهى .

ويُشير فيها إلى الاستِنبَاطاتِ الدَّقيقة، وإلى المذَاهبِ الوَثيقة المستخرَجَة من الأحَاديثِ الصَّحيحة، التي يعجَزُ عن حَلِّها فحولُ العُلماء وأربابُ الألبابِ الرَّجيحةِ .

قال النَّووي وغيره ــ واللفظ للنَّووي في (شرح البخاري) ــ: اعلَمْ أنَّ البُخاري رحمه الله كان بالغايةِ المرضيَّة من التمكُّن في أنواعِ العُلوم .

قال: وأمَّا دقائقُ الحديثِ، واستنباطُ اللَّطائفِ منه، فلا يكادُ أحدٌ يُقاربه فيها، وقد قدَّمنا عن أعلَام الأعلام من شُيوخه وغيرهم ما يدلُّك على هذا، وإذا نظرْتَ في كتابهِ، جزمْتَ بذلك بلا شَك، ثمَّ ليس مقصُودُهُ بهذا الكتاب الاقتصارُ على الحديثِ، وتكثيرُ المتونِ، بل مرادُهُ الاستنباط منها، والاستدلال لأبوابٍ أرَادَها من الأصُولِ والفُروعِ، والزُّهد والآدابِ والأمثالِ، وغيرِها من الفُنون .

ولهذا المعنى أخلَى كثيراً من الأبوَابِ عن إسنَادِ الحديثِ، واقتَصَر على قولهِ فيه: فُلانٌ الصَّحابي عن النَّبي (، أو فيه حديث فلان، ونحو ذلك .

وقد يذكرُ متنَ الحديثِ بغَير إسنادٍ، وقد يحذفُ من أوَّل الإسنَاد واحداً فأكثر، وهذَان النَّوعان يسمَّيان تعليقاً، وإنَّما يفعلُ هذا لأنَّه أرادَ الاحتجَاجَ للمَسألةِ الَّتي ترجَمَ لها، واستغنَى عن ذكرِ إسناد الحديثِ، أو عن إسنَادِهِ ومتنهِ، وأشارَ إليه لكونهِ مَعلوماً .

وذكَرَ في تراجمِ الأبواب آياتٍ كثيرةً من القُرآن العزيز، وربَّما اقتصَرَ في بعضِ الأبوَاب عليها، فلا يذكرُ معها شيئاً أصلاً .

وذكرَ أيضاً في تراجمِ الأبوابِ أشياءَ كثيرةً جدًّا من فتاوَى الصَّحابة والتَّابعين فمَن بعدهُم، وهذا يُصرِّح لك بما ذَكرنا .

وإذا عرفتَ أنَّ مقصُوده ما ذكرناهُ، فلا حجْرَ في إعادَةِ الحدِيثِ في مواضعَ كثيرة لائقةٍ به، وقد أطبَق العُلماء من الفقهاءِ وغيرهم على مثل هذا، فيحتَجُّون بالحدِيثِ الواحدِ في أبواب كثيرةٍ مختلِفةٍ، انتهى .

وقال القسطَلاني: وقد وقَعَ في بعض نُسَخ الكتَابِ ضمُّ بابٍ لم يُذكر فيه حديث إلى حديثٍ

لم يذكرْ فيه باب، فاستشكلَهُ بعضُهم، لكن أزالَ الإشكَال الحَافظ أبو ذرٍّ الهروي بما رواهُ عن الحافظِ أبي إسحاق المستملي ممَّا ذكره أبو الوليد البَاجِي ــ بالموحدة والجيم ــ في كتابه (أسماء رجال البخاري)، قال: استنسختُ كتابَ البُخاري من أصله الذي كان عند الفِرَبْري، فرأيتُ أشياء لم تتمَّ، وأشياءَ مبيَّضة، منها تراجم لم يثبت بعدها شيئاً، وأحاديث لم يُترجَم لها، فأضَفنا بعضَ ذلك إلى بعضٍ.

قال الباجي: ومما يدلُّ على صحَّة ذلك: أنَّ رواية السَّرخسي والمستملي والكشميهني، وأبي زَيد المروزي مُختلفةٌ بالتَّقديم والتَّأخير، مع أنَّهم انتسَخُوها من أصلٍ واحدٍ، وإنَّما ذلك بحسبِ ما قد رَأى كلٌّ منهُم فيما كان في طُرَّةٍ أو رُقْعةٍ مضافةٍ أنه من مَوضعٍ، فأضافَها إليه، ويبيِّن ذلك أنَّك تجِدُ ترجمَتين أو أكثر من ذلك متِّصلةً ليس بينها أحاديث.

قال الحافظ ابنُ حجر ــ يعني: في (المقدمة) ــ: وهذه قَاعدةٌ حسنةٌ يُفْزعُ إليها حيث يتعَسَّر الجمعُ بين التَّرجمة والحدِيثِ، وهي مَواضعُ قليلة، انتهى.

وهذا الذي قاله الباجِي فيه نظرٌ من حيثُ إنَّ الكتَابَ قُرئَ على مُؤلِّفه، ولا ريبَ أنَّه لم يقرأ عليه إلا مُرتَّباً مُبوباً، فالعبرةُ بالرِّواية، لا بالمسودة التي ذكرَ صفتَهَا، انتهى كلام القسْطَلاني.

وأقولُ: قرَاءته على مُؤلِّفه لا يَلزمُه ما ذكر، فتدبر.

وقال الحافظ في (المقدمة): ثمَّ ظهرَ لي أنَّ البُخاري مع ذلكَ فيما يُورده من تَراجم الأبواب، إن وجدَ حَديثاً يُناسب ذلك الباب، ولو على وجهٍ خفيٍّ، ووافَق شرطُه، أوردهُ فيه بالصِّيغة التي جَعلها مُصطلحة لموضوع كتَابهِ، وهي: حدَّثنا، وما قامَ مَقام ذلكَ، والعنعنة بشرطِها عنده.

وإن لم يجدْ فيه إلَّا حديثاً لا يُوافق شرطَهُ، مع صلاحيَّته للحُجَّة، كتبهُ في البَاب مُغايرًا للصِّيغة التي يسوقُ بها ما هوَ من شرطِهِ، ومن ثمَّ أوردَ التَّعالِيق. وإن لم يجدْ فيه حَديثاً صحيحاً، لا على شرطِهِ، ولا على شرط غَيره، وكان ممَّا يستأنسُ به، ويقدِّمه قومٌ على القياس، استعمل لفظ ذلك الحديث، أو معناه ترجمة باب، ثمَّ أورد في ذلكَ إمَّا آيةً من كتاب الله تعالى تشهدُ له، أو حديثاً يؤيِّد عُموم ما دلَّ عليه ذلك الخبر، وعلى هذا فالأحاديثُ التي فيه ثلاثةُ أقسام، انتهى.

ثمَّ قال القسْطَلاني تبعاً لما في (المقدمة) للحافظ ابنِ حجر: ثمَّ إنَّ التَّرجمة الواقعةَ فيه تكونُ

ظاهِرةً وخفيَّةً.

فالظَّاهرة: أن تكونَ التَّرجمة دالَّةً بالمطابقةِ لما يُوردها في ضمنِهَا، وفائدتها الإعلامُ بما وردَ في ذلك الباب، من غير اعتبارٍ لمقدَارِ تلك الفائدةِ؛ كأنَّه يقولُ: هذا البابُ الَّذي فيه كيتَ وكيتَ، وقد تكون التَّرجمة بلفظِ المترجم له، أو ببعضِهِ، أو بمعناهُ.

وقد يأتي من ذلك ما يكونُ في لفظ التَّرجمة مُحتملاً لأكثرَ من مَعنى واحد، فيعيِّن أحدَ الاحتمَالينِ بما يذكرهُ تحتَها من الحديث، وقد يُوجد فيه عكس ذلك؛ بأن يكونَ الاحتمَال في الحديثِ، والتَّعيين في التَّرجمة، والتَّرجمةُ هنا بيانٌ لتأويلِ ذلكَ الحديثِ، نائبةٌ منابَ قولِ الفقيهِ مثلاً: المرَادُ بهذا الحديث العامِّ الخُصوصُ، أو بهذا الحديثِ الخاصِّ العُمومُ؛ إشعاراً بالقياس لوجُود العلَّة الجامعة، أو أنَّ ذلك الخاص المراد به ما هو أعم؛ ممَّا يدلُّ عليه ظاهرُهُ بالطَّريق الأعلى، أو الأدنى، ويأتي في المطلَقِ والمقيَّدنظيرُ ما ذُكر في العامِّ والخاصِّ، وكذا في شرح المشكِلِ، وتفسيرِ الغامِضِ، وتأوِيلِ الظَّاهر، وتفصيلِ المجمَلِ، وهذا الموضعُ هو مُعظَم ما يشكلُ من تراجمِ البُخاري، ولذا اشتهر من قولِ جمعٍ من الفُضَلاء: فقهُ البُخاري في تَراجمه، وأكثر ما يفعلُ ذلك إذا لم يجدْ حديثاً على شرطهِ في البابِ ظاهر المعنى في القصدِ الذي يُترجَم له، ويُستنبطُ الفقهُ منه، وقد يفعلُ ذلك لغرضِ تشحِيذِ الأذهَانِ في إظهارِ مضمَرِه، واستخرَاجِ خبيئهِ، وكثيراً ما يفعلُ هذا الأخيرَ؛ حيث يذكرُ الحديثَ المفَسِّر لذلكَ في موضعٍ آخَر متقدِّماً أو متأخِّراً، فكأنَّهُ يحيلُ عليه، ويُومِئ بالرَّمز والإشارةِ إليه.

وكثيراً ما يُترجم بلفظِ الاستفهام؛ كقوله: باب: هل يكون كذا؟ أو: من قال كذا؟ ونحو ذلك، وهذا حيثُ لا يتَّجه له الجزْمُ بأحدِ الاحتمَالينِ، وغرضُه بيانُ هل ثبت ذلك الحُكم، أو لم يثبتْ؟ فيُترجم على الحكمِ، ومرادُه ما يتفسَّر بعدُ من إثبَاتهِ أو نفيهِ، أو أنَّه محتملٌ لهما، وربَّما كانَ أحد المحتَمَلين أظهَر، وغرضُه أن يُبقي للنَّاظر مجالاً، وينبِّه على أنَّ هناك احتِمالاً، أو تَعارضاً يُوجب التَّوقُّفحيث يعتقدُ أنَّ فيه إجمالاً، أو يكون المدرك مُختلفاً في الاستدلالِ به.

وكثيراً ما يُترجم بلفظٍ ظاهرُه قليل الجَدْوى، لكنَّه إذا تحقَّقه المتأمِّل أجدَى؛ كقوله: باب قول الرجل: ما صلَّينا؛ فإنَّه أشارَ به إلى الرَّدِّ على من كرهَ ذلك.

وكثيراً ما يُترجم بأمرٍ يختصُّ ببعضِ الوقَائعِ لا يظهرُ في بادِئ الرَّأي؛ كقوله: بابُ استياكِ الإمامِ بحضرَةِ رعيَّته؛ فإنَّه لما كانَ الاستيَاكُ قد يظنُّ أنَّه من أفعَالِ المهْنَة، فلعلَّهُ يظنُّ أنَّ

إخفاءَه أولَى؛ مُراعاةً للمروءةِ، فلمَّا وقعَ في الحديث أنَّه صلى الله عليه وسلم استاكَ بحضرَةِ النَّاس، دلَّ على أنَّه من باب التَّطيُّب، لا من الباب الآخر، نبَّه على ذلك ابنُ دقيق العيد .

قال الحافظ ابنُ حجر: ولم أرَ هذا في البُخاري، فكأنَّه ذكره على سبيلِ المثال .

وكثيراً ما يُترجم بلفظ يُومئ إلى معنى حديثٍ لم يصحَّ على شرطِهِ، أو يأتي بلفظِ الحديث الذي لم يصحَّ على شرطهِ صريحاً في التَّرجمة، ويُورد في الباب ما يُؤدي معناه بأمرٍ ظاهرٍ، وتارةً بأمرٍ خفيٍّ، من ذلك قوله: بابُ الأُمراء من قُريش، وهذا لفظُ حديثٍ يُروى عن عليٍّ رضي الله عنه، وليسَ على شرطهِ، وأورد فيه حَديث:(لا يَزالُ والٍ من قريشٍ) .

وربَّما اكتَفى أحياناً بلفظ التَّرجمة الَّتي هي لفظ حديثٍ لم يصحَّ على شرطهِ، وأورَدَ معها أثراً أو آيةً، فكأنَّهُ يقول: لم يصحَّ في البابِ شيءٌ على شرطِي .

وللغَفْلة عن هذهِ المقاصِدِ الدَّقيقةِ اعتقَدَ مَن لم يمعنِ النَّظَر أنَّه تَرَك الكتَابَ بلا تبييضٍ، انتهى . والحاصِلُ أنَّ تراجمَهُ حيَّرَتِ الأفكَارَ، وأدهشَتِ العقُولَ والأبصَارَ، وكيف لا تفوز بهذهِ المنقبَة، وقد بيَّضها ــ كما تقدم ــ بين قبرِ النَّبي صلى الله عليه وسلم ومِنبَره، أو بين زَمزم والمقَام، وكان يصلِّي لكلِّ ترجمةٍ رَكعتين .

وعبارة (المقدمة) للحافظ ابن حجر: وإنَّما بلغتْ تراجِمُه هذه المرتَبة، وفازَتْ بهذهِ الحَظْوة بسببٍ عظيمٍ أوجبَ عظمها، وهو ما رواه أبو أحمد بن عدي عن عبد القدُّوس بن همام قال: سمعت عدَّةً من المشايخ يقولون: حوَّل البُخاري تراجمَ جامعه ــ يعني: بيَّضَها ــ بين قبرِ النَّبي صلى الله عليه وسلم ومنبرِهِ، وكان يصلِّي لكلِّ ترجمةٍ ركعتينِ، ولنشرعْ الآن في الكلامِ عليها ونُبيِّن ما خفيَ على بعضٍ من لم يُمعن النَّظَر فاعترَضَ عليهِ اعتِرَاضَ شابٍّ غرٍّ على شيخٍ مجرِّبٍ أو مُكتهلٍ، إلى آخرِ ما أطَالَ به مما تقدَّم بعضُه آنفاً، وسيأتي بعضٌ آخر، فراجعه. ولله درُّ القائل :

أَعْيَا فُحُولَ العِلْمِ حَلُّ رُمُوزِ مَا أَبْدَاهُ فِي الأَبْوَابِ مِنْ أَسْرَارِ
فَازُوا مِن الأَورَاقِ مِنهُ بِمَا جَنَوا مِنْهَا وَلَمَ يَصِلُوا إِلَى الأَثْمَارِ
مَا زَالَ بِكْراً لَمْ يُفَضَّ خِتَامُهُ وعُرَاه مَا حُلَّتْ مِنَ الأَزْرَارِ
حجَبَتْ مَعَانيهِ التِي أَوْرَاقُها ضَربَتْ عَلَى الأَكْوَابِ كَالأَسْتَارِ
مِنْ كُلِّ بَابٍ حيْنَ يُفْتَحُ بَعْضُهُ يَنْهارُ مِنهُ العِلْمُ كَالأَنْهَارِ

لَا غَرْوَ إنْ أَمْسَى البُخَارِي لِلْوَرى مِثْلَ البِحَارِ لِمَنْشَأِ الأَمْطَارِ
خَضَعَتْ لَهُ الأَقْرَانُ فيهِ إذْ بَدَى خَرُّوا عَلَى الأَذْقَانِ والأَكْوَارِ

تكميل: قدَّمنا أنَّ (صحيح البخاري) أخَذه عنه كما قالَ الفِرَبْري: تسعون ألفَ رجُلٍ، وأنَّه قال: لم يبقَ أحدٌ يرويهِ عنه غيري، لكن اعترضَ بأنَّه بقيَ بعده أبو طلحةَ منصور البَزْدَوي، وكذا القاضِي حُسين المحامِلِي.
وأجابَ عنه الحافظُ ابن حَجرٍ بأنَّه أطلقَ ذلك بحسبِ ما ظنَّه، انتهى.
ويحتملُ أنَّه أرادَ لم يبقَ أحد... إلخ؛ أي: بالنِّسبة لبلدهِ، فتأمَّل، وهؤلاء الثَّلاثة من أجلِّ من أخَذَ (الصَّحيح) عن البُخاري وسمِعَهُ منه، لكن المحاملي فاتَه منه سماعُ أشياءَ كثيرة، وإنَّما سمِعَ منه ببغدادَ آخر قدمةٍ قدِمَها البُخاري مجالسَ لا جميعه، كما غلطَ بعضُهم في ذلك.
ومن أجلِّ من سمِعَه أيضاً منه إبراهيمُ بن مَعْقِل النَّسفي وفاتَهُ سماعُ قطعةٍ من آخرِه رواها بالإجازة، ومن أجَلِّهم حمَّاد بن شاكر لكن له فيه فوتٌ أيضاً.
وقد اتَّصلتْ رواياتُهم لنا من طريقِ جماعاتٍ كثيرين بيَّنَّاهم في (الفيض الجاري بشرح صحيح البخاري).
وقال القسطلاني في خُطبة شرحه المذكور المشهور: وقد اعتنَى الحافظ شرف الدين أبو الحسن علي بن محدِّث الشام تقي الدين محمد بن أبي الحسين أحمد بن عبد الله اليونيني الحنبلي بضبط روايات (الجامع الصحيح)، فقابل أصله على أصلٍ مسموعٍ على الحافظ أبي ذرٍّ الهروي، وعلى أصلٍ مسموعٍ على الأصيلي، وعلى أصلٍ مسموعٍ على أبي الوقتِ، فلذا عوَّل الناس عليه في روايات الجامع المذكور، وكانت المقابلة بقراءة الحافظ أبي سعيد عبدِ الكريم بنِ محمد بن منصور السَّمعاني بحضرة سيبويه زمانه الإمام محمد جمال الدين بن مالك النحوي بدمشق الشام، سنة ست وسبعين وسبع مئة، مع حضور أصل سماع الحافظ أبي محمد المقدسي وقف السُّمَيسَاطي، وكان ابن مالك عند المقابلة إذا تراءى له لفظٌ أنه مخالف في الظاهر للعربية يقول لليونيني: هل الرواية كذلك؟ فإن أجاب بأنها كذلك، أخذ ابنُ مالك في توجيهها على وفقِ القواعد العربية، ولذا وضع عليه كتاباً سمَّاه: (التوضيح لشواهد الصحيح).
قال: ولقد وقفتُ على فُروعٍ مُقَابلةٍ على هذا الأصل، فرأيت من أجلها الفَرْع المنسوب

للمحدِّث شمس الدين محمد بن أحمد المزي الغزولي قال: وقد جعل اليونيني علامات لمن ذكر، فعلامة أبي ذرٍّ الهروي هكذا (هـ)، والأصيلي (ص) وابن عساكر الدمشقي (ش)، وأبي الوقت (ط)، ولمشايخ أبي ذرٍّ الثلاثة (ح) للحموي، (ست) للمستملي، (هـ) للكشمهيني.
ثم قال القسطلاني: فما كان من ذلك بالحمرة، فهو ثابتٌ في النسخة التي قرأها الحافظ عبد الغني المقدسي على الحافظ أبي عبد الله الأرتاحي، وله علاماتٌ أخرى، وهي (عط، ق، ج، صع). قال القسطلاني: لم أجد ما يدل عليها، ولعل الجيم للجرجاني، والعين لابن السمعاني، والقاف لأبي الوقت؛ أي: والباقي لمن تقدم إذا كان منفرداً، فأما المجتمع، فلعل (عط) لابن السمعاني وأبي الوقت، و(صع) للأصيلي وابن السمعاني، فتدبر.
ثم قال: فإن اجتمع ابن حمويه والكشمهيني فرقمهما (حهـ) هكذا، أو المستملي والحموي فرقمهما (حسـ)، وإن اتَّفق الأربعة الذين رووا عنهم فرقمهم (هـ، ص، ش، ط)، وما سقط عند الأربعة زاد معها (لا)، وما سقط عند البعض أسقط رقمه من غير (لا) وأثبت رقم الباقيين، وما صحَّ عنده، وخالف مشايخ أبي ذرٍّ رقم عليها (لا) وفوقها (صح)، وإن وافق أحد مشايخه وضعَه فوقه، انتهى ملخصاً مع زيادة.
واليونيني أخذ عنه جماعة منهم الحافظ الذَّهبي والبِرزالي.

وفي هذا القدرِ كفايةٌ، فإنَّ استيفاءَ ترجمتِهِ كصحيحه تحتَاجُ إلى مزيدِ تطويلٍ، فالله سبحانه وتعالى يمنحنَا وإيَّاه الأجرَ الجزيلَ، ويجعل مقرَّنا في جنَّات النَّعيم من غير سابقةِ عذاب الجحيم، ويفعلُ مثل ذلك بأصدِقَائنا والمؤمنين، والحمدُ لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمد الصَّادِق الأمين، وعلى آله وصحبهِ وسائر المسلمين أجمعين.

76- شذرات الذهب في أخبار من ذهب[1]

عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي (ت 1089هـ)

قال رحمه الله: وفيها ليلة عيد الفطر، الإمام، حبر الإسلام، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبهالبخاريّ مولى الجعفيين، صاحب «الصحيح» والتصانيف. ولد سنة أربع وتسعين ومائة، وارتحل سنة عشر ومائتين، فسمع مكي بن إبراهيم، وأبا عاصم النّبيل، وأحمد بن حنبل، وخلائق عدتهم ألف شيخ، وكان من أوعية العلم، يتوقد ذكاء، ولم يخلف بعده مثله. قاله في «العبر».

وقال الحافظ عبد الغني في كتابه «الكمال» ما ملخصه: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة، يكنى أبا عبد الله، وبردزبة مجوسي مات عليها، والمغيرة أسلم على يدي يمان البخاري والي بخارى، ويمان هو أبو جد عبد الله بن محمد بن جعفر بن يمان، وهذا هو الإمام أبو عبد الله الجعفي مولاهم البخاري صاحب «الصحيح» إمام هذا الشأن، والمقتدى به فيه، والمعوّل على كتابه بين أهل الإسلام. رحل في طلب العلم إلى سائر محدثي الأمصار، وكتب بخراسان، والجبال، ومدن العراق كلها، وبالحجاز، والشام، ومصر.

قال ابن وضّاح، ومكي بن خلف: سمعنا محمد بن إسماعيل يقول:

كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة ولم أكتب إلّا عمّن قال: الإيمان قول وعمل.

وعن أبي إسحاق الريحاني، أن البخاري كان يقول: صنفت «كتاب الصحيح» بست عشرة سنة خرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى.

وقال محمد بن سليمان بن فارس: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري يقول: رأيت النّبيّ، صلى الله عليه وسلم، كأني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذبّ عنه، فسألت بعض المعبرين فقال: إنك تذبّ عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج «الصحيح» .

[1] شذرات الذهب في أخبار من ذهب 3/252-255
دار ابن كثير، بيروت-الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م

وقال أبو حامد أحمد بن حمدون الأعمشي: سمعت مسلم بن الحجّاج يقول لمحمد بن إسماعيل البخاري: لا يعيبك إلّا حاسد، وأشهد أن ليس في الدّنيا مثلك.

وقال أحمد بن حمدون الأعمشي: رأيت محمد بن إسماعيل في جنازة أبي عثمان سعيد بن مروان ومحمد بن يحيى يسأله عن الأسامي والكنى وعلل الحديث، ويمر فيه محمد بن إسماعيل مثل السهم، كأنه يقرأ: قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ [الإخلاص: 1] .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل البخاري.

وروى أبو إسحاق المستملي، عن محمد بن يوسف الفربري أنه كان يقول: سمع كتاب «الصحيح» من محمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل، وما بقي أحد يروي عنه غيري.

وقال محمد بن إسماعيل: ما أدخلت في كتابي «الجامع» إلّا ما صحّ، وتركت من الصحاح لحال الطول.

وقال النسائيّ: ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل.

وقال بكر بن منير: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول:

أرجو أن ألقى الله عزّ وجل ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا.

وقال عبد الواحد بن آدم الطواويسي: رأيت النّبيّ، صلى الله عليه وسلم، في النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع ذكره، فسلمت عليه، فرد السلام، فقلت: ما يوقفك يا رسول الله؟ قال: «أنتظر محمّد بن إسماعيل البخاري» فلما كان بعد أيام بلغني موته، فنظرنا فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت النّبيّ، صلى الله عليه وسلم، فيها.

وقال عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي: جاء محمد بن إسماعيل إلى خرتنك- قرية من قرى سمرقند على فرسخين- وكان له أقرباء فنزل عليهم، قال: فسمعته ليلة من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يدعو ويقول:

اللهم قد ضاقت عليّ الأرض بما رحبت فاقبضني إليك. قال: فما تم الشهر حتّى قبضه الله عز وجل، وقبره بخرتنك.

ولد البخاريّ يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال، سنة أربع وتسعين ومائة، وتوفي ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة

الظهر لغرة شوال سنة ست وخمسين ومائتين، وعاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما. انتهى ما لخصته من «الكمال» .

وقال ابن الأهدل- بعد الإطناب في ذكره-: أجمع النّاس على صحة كتابه، حتّى لو حلف حالف بطلاق زوجته ما في «صحيح البخاري» حديث مسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلّا وهو صحيح عنه كما نقله، ما حكم بطلاق زوجته، نقل ذلك غير واحد من الفقهاء وقرّروه.

ونقل الفربريّ عنه قال: ما وضعت في كتابي الصحيح حديثا إلّا وقد اغتسلت قبله وصليت ركعتين. انتهى.

77- سبل السلام[1]

محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد، الصنعاني، (ت 1182هـ)

البخاري هو الإمام القدوة في هذا الشأن أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، مولده في شوال سنة أربع وتسعين ومائة، طلب هذا الشأن صغيرا. ورد على بعض مشايخه غلطا وهو في إحدى عشرة سنة فأصلح كتابه من حفظه. سمع الحديث ببلدة بخارى ثم رحل إلى عدة أماكن، وسمع الكثير، وألف الصحيح منه من زهاء ستمائة ألف حديث، ألفه بمكة وقال: ما أدخلت فيه إلا صحيحا، وأحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح، وقد ذكر تأويل هذه العدة في الشرح، وقد أفردت ترجمته بالتأليف، وذكر المصنف منها شطرا صالحا في مقدمة فتح الباري، وكانت وفاته بقرية " سمرقند " وقت العشاء ليلة السبت ليلة عيد الفطر، سنة ست وخمسين ومائتين، عن اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما ولم يخلف ولدا.

---

[1] سبل السلام 1/15-16- الناشر: دار الحديث

78- نيل الأوطار[1]

محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (المتوفى: 1250هـ)

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري حافظ الإسلام وإمام أئمته الأعلام. ولد ليلة الجمعة ثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة، وتوفي ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين وعمره اثنتان وستون سنة إلا ثلاثة عشر يوما، ولم يعقب ولدا ذكرا. رحل في طلب العلم إلى جميع محدثي الأمصار وكتب بخراسان والجبال والعراق والحجاز والشام ومصر.

وأخذ الحديث عن جماعة من الحفاظ منهم مكي بن إبراهيم البلخي، وعبدان بن عثمان المروزي، وعبد الله بن موسى العبسي، وأبو عاصم الشيباني. ومحمد بن عبد الله الأنصاري، ومحمد بن يوسف الفريابي، وأبو نعيم الفضل بن دكين، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وإسماعيل بن أبي أويس المدني، وغير هؤلاء من الأئمة. وأخذ الحديث عنه خلق كثير قال الفربري: سمع كتاب البخاري تسعون ألف رجل فما بقي أحد يروي عنه غيري.

قال البخاري: خرجت كتاب الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث وما وضعت فيه حديثا إلا وصليت ركعتين. وله وقائع وامتحانات ومجريات مبسوطة في المطولات من تراجمه.

[1] نيل الأوطا1/120-121- تحقيق: محمد صبحي حسن الحلاق-دار ابن الجوزي،. الطبعة: الأولى

79- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول[1]

محمد صديق خان بن حسن بن علي البخاري القِنوجي (ت 1307)

قال رحمه الله: أبو عبد الله، محمد بن أبي الحسن، إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف، الجعفي بالولاء، البخاري.

الحافظ الإمام في علم الحديث، صاحب "الجامع الصحيح"، و"التاريخ"رحل في طلب الحديث إلى أكثر محدثي الأمصار، وكتب بخراسان والجبال، ومدن العراق والحجاز والشام ومصر، وقدم بغداد، واجتمع إليه أهلها، واعترفوا بفضله، وشهدوا بتفرده في علم الرواية والدراية.

حكى أبو عبد الله الحميدي في كتاب "جذوة المقتبس"، والخطيب في "تاريخ بغداد": أن البخاري لما قدم بغداد، سمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا، وعمدوا إلى مئة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس: أن يلقوا ذلك على البخاري، وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها من البغداديين، فلما اطمئن المجلس بأهله، انتدب إليه واحد من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه.

فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض؛ ويقولون: الرجل فهم، ومن كان منهم ضد ذلك، يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم.

ثم انتدب رجل آخر من العشرة، فسأله من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا

[1] الكتاب: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ص 93
الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر. الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م

أعرفه، فسأله عن الآخر، فقال: لا أعرفه، فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه.

ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على قوله: لا أعرفه.

فلما علم البخاري أنهم فرغوا، التفت إلى الأول منهم، فقال: أما حديثك الأول، فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث والرابع على الولاء حتى أتىعلى تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين كذلك، ورد متون الأحاديث إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها، فأقر له الناس بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل، وكان ابن صاعد إذا ذكره، يقول: الكبش النطاح.

ونقل عنه محمد بن يوسف الفربري أنه قال: ما وضعت في كتابي "الصحيح" حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك، وصليت ركعتين. وعنه أنه قال: صنفت كتابي "الصحيح" لست عشرة سنة، خرجته من ست مئة ألف حديث، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله.

وقال الفربري: سمع "صحيح البخاري" تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يروي عنه غيري، وروى عنه أبو عيسى الترمذي.

وكانت ولادته يوم الجمعة، بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة ١٩٤. وقال أبو يعلى الخليلي في كتاب "الإرشاد": إن ولادته كانت لاثنتي عشرة ليلة خلت من الشهر المذكور.

وتوفي ليلة السبت بعد صلاة العشاء، وكانت ليلة عيد الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر سنة ٢٥٦ بخرتنك - رحمه الله تعالى -.

وكان خالد بن أحمد بن خالد الذهلي أمير خراسان قد أخرجه من بخارى إلى خرتنك، ثم حج خالد المذكور، فوصل إلى بغداد، فحبسه الموفق بن المتوكل أخو المعتمد الخليفة، فمات في حبسه.

وكان البخاري نحيف الجسم، لا بالطويل ولا بالقصير.

والبخاري: نسبة إلى بخارى، وهي من أعظم مدن ما وراء النهر، بينها وبين سمرقند مسافة ثمانية أيام.

وخرتنك: قرية من قرى سمرقند، ونسبته إلى سعيد بن جعفر الجعفي، والي خراسان، وكان له عليهم الولاء، فنسبوا إليه – رضي الله عنه

80- حياة البخاري[1]

القاسمي جمال الدين محمد بن محمد سعيد بن قاسم(ت1332)

قال رحمه الله: بسم الله الرحمن الرحيم، مِن المعلوم أنَّ أعظمَ أثرٍ محى من الكون دَياجِير الظُّلم، وأنار للأُمم السَّبيل الأَمَم، وأنام في أمانه الأنام، هو أثر دعوة نبينا محمَّدٍ عليه الصلاة والسلام، فقد ظهرَ له في الكون ما ظهر، وأدهشَ العالم بأياته الكُبر، وكيف لا ؟ وقد بذلَ مِن القوَّة والجهاد لإخراج النَّاس من الظُّلماتِ إلى النُّور، ما عرفته الأُمم في أنحاء المعمور، فلم يدعْ صلوات الله عليه أمرًا ممَّا فيه سعادة الدَّارين إلَّا وبَلَّغَهُ، وصَدَع به، وقاوم محاديِّه، وأرشد إلى التمسك بسببه، حتَّى ظهر الحقُّ وعلا سلطانُه، وشمختْ مكانتُه ورسخ مكانه، ولذا كان من أعظم معجزات هذا النَّبِيِّ المعظم صلى الله عليه وسلم أنْ أصبح في مدَّة يسيرة أهلُ الجزيرة العربية ــ بعد أنْ طال أَمَدُ تقاليدهم العمياء وضلالاتهم الجاهلية ــ علماء حُنَفَاءَ، عُقَلاَءَ حُكَمَاءَ، أُولي علم وكِيَاسة، وتقوى وسِياسَة .

---

[1]حياة البخاري–دار الكمال المتحدة– الطبعة 2–1437 .ت: عبد الرحيم محمد يوسفان

فنهضت أنفسُهم إلى نشرِ لواءِ الدِّين، والدَّعوة إلى سبيل الحقِّ المبينِ، وكَسْرِ قيودِ الجَبَابرةِ وتقاليدِ الأحْبَار، وإطلاقِ العَنَان للعقل في النَّظر والاعتبار، فساسوا بتلك الحكمةِ الباهرةِ والعلمِ الجمِّ الأُممَ المتباينة، وبلغ نورُ عدلهم وعرفانِهم الأطرافَ المتنائيةَ .

ولما كان ركنُ الهَدي النَّبَوي الدَّعوةَ إلى العلم والتَّنْويه بأُولي الألباب والعلم، والسَّعيُ إلى الحِكْمَة والعِلم، وأخذ الحكمة من أيِّ قائلٍ للزيادة من العلم، نزعتْ بالسَّلف الهِمَّةُ إلى اقّتناص العلم، وضرب أكباد الإبل للعلم، واّرتكابِ الصِّعَاب وامتطاءِ القُنَن والهِضَاب للعلم، وجَوْبِ الفَيَافي والقِفَار، واستسهالِ اقتحام لُجَجِ البحار للعلم، حتَّى صاروا أئمة الدُّنيا في العلم، واعترفتْ من تَزْعُمُ الآن أنَّها أرقى الأُمم مَدَنيَّة بأنها مدينةً للعرب وحضارة الإسلام في العلم .

يظنُّ كثيرٌ أنَّ العلمَ في الصَّدر الأوَّل كان في الصُّدور لا في السُّطور، ولعلَّ قائلَ ذلك أراد عنايةَ أولئك بحفظه ووعيه عن ظهر قلبٍ؛ لقلَّة الاتكال على الخطِ والمحفوظ وهو حقٌّ، إلَّا أنَّ العِنَايَةَ على التحقيق كانت بالصُّدور والسُّطور، يَدُلُّك على هذا أمرُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بكتابة القرآن الكريم، وإِذْنُهُ لعبد الله بن عمرو بن العاص بكتابة أحاديثه في الرِّضا والغضب، وكتابة غيره مِن أصحابه الكرام لكثيرٍ من سننه في نُصُبِ الصَّدقات وأَرْش الدِّيَّات، وإِذْنِه لأَبي شاهٍ بكتابة خطبة الوداع في عرفات، إلى غير ذلك ممَّا هو معلوم ومشهور، نعم كان ما كُتب من السُّنَّة المطَهَّرة وجُمع هو نزرٌ بالنسبة إلى المحفوظ، ولم يكن ما كتب على تنسيق الترتيب المعهود الآن، وإنَّما نُظم الترتيب في عهد التَّابعين، لما انتشر العلماء في الأمصار، وظهرت أهلُ الأهواء والبدع، فكان أوَّل مجموع في العلم هو سُنَّة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وهديه، وأقواله، وأفعاله، وأقضيته، وأحكامه، بأمرٍ من عمر بن عبد العزيز، وسُمِّي ذلك بـ«الحديث»؛ تمييزًا له عن القرآن القديم، وسُمِّي حُفَّاظه: «المحدِّثين .«

قال السيوطي في التدريب: أمَّا ابتداء تدوين الحديث فإنَّه وقع على رأس المائة في خلافة عمر بن عبد العزيز بأمره، ففي «صحيح البخاريِّ» في أبواب العلم: وكَتَب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكْتُبْهُ؛ فإني

خِفتُ دُروسَ العلم وذَهابَ العُلَماءِ .

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: يُستفاد من هذا ابتداء تدوين الحديث النَّبَوي، أفاد أنَّ أوَّل من دَوَّنه بأمر عمر بن عبد العزيز الإمام ابنُ شِهَاب الزُّهْرِي، ثمَّ دوِّنت السُّنَنُ ممزوجةً بأقوالِ الصَّحَابة وفتاوى التَّابعين وغيرهم، وأوَّل مَن جمع ذلك ابن جُرَيْج بمكة، وابن إسْحَاق أو مالِك بالمدينة ، والرَّبِيع بن صَبِيح أو سعيد بن أَبي عَرُوبَة أو حَمَّاد بن سَلَمة بالبصرة، وسُفْيان الثَّوري بالكوفة، والأَوْزاعي بالشام، وهُشَيْم بواسِط، ومَعْمَر باليمن، وجَرير بن عبد الحميد بالرَّيِّ، وابن المبَارَك بخُراسَان، وكان هؤلاء في عصر واحدٍ فلا يُدرىَ أيُّهم سبق، وهؤلاء كانوا في أثناء المئة الثانية، ثمَّ تلا المذكورين كثير من أهل عصرهم .

وبالجملة فقد استفحل أمرُ التأليف في السُّنَّة وتفنَّن الحفَّاظ في جمعها، فمنهم مَن رتَّب الحديثَ على أسماء الصحابة فخرَّج المسندات والمرفوعات إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم .

ومنهم مَن ضمَّ إليها الموقوفات على الصَّحابة وروى فتاويهم وفتاوى التَّابعين معهم .

ومنهم مَن رتَّب الحديث على أبواب الفقه .

ومنهم مَن بوَّبه ورتَّبَه ورأى أنْ لا يُسند إلَّا الصحيح، وأن يؤيِّده بما ينزل عنه معلَّقًا له، وأنْ يُنبِّه على ضعف الضعيف وخطأ الرأي المنابذ للسُّنَّة .

ومنهم مَن بوَّبه ورتَّبَه وأسند جميع ما رُوي في الباب صحيحًا .

ومنهم مَن بوَّبه ورتَّبَه وأخرج كل ما رُوي في الباب صحيحًا أو غيره .

ومنهم مَن بوَّبه ورتَّبَه واقتصر على أصحِّ ما روي في الباب، وأشار إلى بقيَّة مَن رواه عن الصَّحب من طرف آخر، وضمَّ إليه فقه الأئمَّة فيه .

ومنهم من رتَّبَه على معاجم الشيوخ .

إلى غير ذلك من التَّفنن في التأليف، الذي يقضيه ناموسُ العناية به والتَّسابق إليه، لا سيما وفي الصَّدر الأوَّل كانت دولة العلم للحديث والآثار، ودولة الفخر والمجد لحملته وحفظته والمكثرين من تلقيه، وتطواف البلاد لسماعه، حتَّى كان يُصبح الحافظ رِحْلَةَ النَّاس من الآفاق، وكعبةَ الطُّلاب والآخذين من أقاصي المعمور، ولذا عُنيت الحُفَّاظ بجمع الحديث،

وكثرت التآليف فيه كثرة مدهشة، ما بين مجلدات إلى أجزاء صغيرة في ورقات، وتنوَّعت مع ذلك وجهة تحمل الحديث وجمعه .

فمنهم مَن كان يتحمل عن كلِّ راوٍ ولا يبالي بما غمز فيه أو رُمي به حِرصًا على العلم في الوقوف على طرائف الأخبار وغرائب النوادر والآثار .

ومنهم مَن كان يتحرى التلقي عن العدل الثِّقة، ويطرح غيره .

ومنهم من كان يتوسط في الرجال فلا يغلو في التَّشديد فيهم ولا في الترخيص، فيأخذ عن كلِّ مَن لم يجمعوا على تركه .

ثم جروا في مسنداتهم بعد ذلك على مشاربهم، فمنهم من جمع بين الصحيح والحسن والضعيف والمنكر، وأحال تمييز ذلك على طبقات الرجال المعروفة عند أهلها وما صُنف في تعديلها وجرحها .

ومنهم من اقتصر على الصحيح وجانب غيرَه .

وهؤلاء منهم مَن تساهل في الإسناد والمعنعن فجعل له حكم الاتصال؛ إذا تعاصر المعنعن ومن عَنعن عنه وإن لم يثبت اجتماعهما، إلَّا إنْ كان المعنعن مدلِّسًا، وهو ما جرى عليه الإمام مسلم .

ومنهم مَن تشدَّد فلم يحمل ذلك على الاتصال إلَّا إذا أثبت اجتماعهما ولو مرَّة واحدة، وهذا ما نحاه الإمام البخاريُّ، وجرى عليه في «صحيحه» وصرَّح به في «تاريخه[6] «، وبه يُعلم أنَّ الإمام البخاريَّ أشد المحدِّثين مذهبًا في قبول الحديث، فلا غرو أن لُقِّب بأمير المؤمنين في الحديث، وكان كتابه أصح كتب الحديث وأرقاها، فإذًا لزم التعريف بالبخاريِّ والتنويه بترجمة حياته وفلسفته في الحديث، واجتهاده في الفقه، وسيرته الجليلة .

- الشروع في ترجمة الإمام البخاريِّ :

لا يبالغ المؤِّلف إذا قال: إنَّ استيفاء ترجمة الإمام يحتاج إلى أوقات كثيرة، واستقراء مواد وفيرة، يقلُّ دونها مجلدٌ ضخمٌ، إلَّا أنَّ ما لا يدرك كلُّه لا يترك جُلُّهُ، ويكفي من القلادة ما

أحاط بالجِيْد، ومن أبيات القصيدة بيتُ القصيد، وهذا ما نتوخاه في هذه الورقات، مستعينين بفاطر الأرض والسموات .

- نسب البخاريّ :

هو أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بَرْدِزْبة، بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وكسر الدَّال المهملة وسكون الزاي المعجمة وفتح الباء الموحدة بعدها هاء، هذا هو المشهور في ضبطه، لفظ فارسي معناه الزراع كذا يقوله أهل بخارى .

كان «بردزبة» فارسيًا على دين قومه، ثمَّ أسلم ولده «المغيرة» على يد اليمان الجُعْفيِّ، وأتى بخارى فنُسب إليه ولاءً، عملًا بمذهب مَن يرى أنَّ مَن أسلم على يده شخص كان ولاؤه له، وإنَّما قيل له «الجُعْفِي» لذلك .

وأما ولده إبراهيم فلم نقف على شيء مِن أخباره .

وأمَّا «إسماعيل» والد البخاريِّ فكان من رواة الحديث ذكره ابن حبان في كتاب «الثقات» روى عن حماد بن زيد ومالك، وصحب ابن المبارك، وأخبر عند موته أنَّه لا يعلم في ماله درهمًا من حرام ولا درهمًا من شبهة .

ولما مات أبوه «إسماعيل» نشأ محمَّد صغيرًا في حجر أمِّه، ثمَّ حج مع أمِّه وأخيه أحمد ــوكان أحمد أسنَّ منهــ ثمَّ رجع إلى بخارى فمات بها، وأقام محمَّد بمكة مجاورًا يطلب العلم .

- ولادته :

ولد يوم الجمعة بعد الصلاة، لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة «194» أربع وتسعين ومئة ببُخَارى.

- مبدأ طلبه الحديث :

قال الفِرَبْرِيُّ: سمعت محمَّد بن أبي حاتم ورَّاق البخاريَّ يقول: سمعت البخاريَّ يقول: أُلهِمتُ حفظ الحديث وأنا في الكُتَّاب. قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك ؟ قال: عشر سنين أو أقل، ثمَّ خرجت من الكُتَّاب فجعلت أختلف إلى الدَّاخلي وغيره، فقال يومًا فيما كان يقرأ

للنَّاس: سفيان، عن أبي الزُّبير، عن إبراهيم، فقلت: إنَّ أبا الزُّبير لم يرو عن إبراهيم. فانتهرني، فقلت له: أرّجع إلى الأصل إن كان عندك. فدخل فنظر فيه، ثمَّ رجع فقال: كيف هو يا غلام ؟ فقلت: هو الزبير ــ وهو ابن عدي ــ عن إبراهيم، فأخذ القلم وأصلح كتابه، وقال لي: صدقت. فقال له إنسان: ابن كم كنت حين رددتَ عليه؟ فقال: ابن إحدى عشرة سنة. قال: فلما طعنتُ في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووَكِيع، وعرفتُ كلام هؤلاء ــيعني أصحاب الرأيــ قال: ثمَّ خرجت مع أمي وأخي إلى الحج .

فكان أول رحلته على هذا سنة «210» عشر ومائتين .

- رحلته وتنقله في البلاد :

قال البخاريُّ: دخلتُ إلى الشَّام ومصر والجزيرة مرتين، وإلى البصرة أربع مرَّات، وأقمتُ بالحجاز ستة أعوامٍ، ولا أحصي كم دخلتُ إلى الكوفة وبغداد مع المحدِّثين.

- عدة مشايخه :

قالَ البخاريُّ: كتبتُ عن ألف وثمانين نفسًا ليس فيهم إلَّا صاحب حديث .

وأعلى طبقاتهم مَن حدَّثه عن التابعين .

وكان يقول: لا يكون المحدِّثُ كاملًا حتَّى يكتب عمَّن هو فوقه، وعمَّن هو مثله، وعمَّن هو دونه . ولما سمع من رفقاءه في الطلب، ومن قوم هم في عداد طلبته في السِّن والإسناد، سمع منهم للفائدة، كما بسط الحافظ ابن حجر في المقدمة.

- سنّه أول ما كتب عنه :

قال أبو بكر بن أبي عَيَّاش الأَعْيَنَ: كتبنا عن محمَّد بن إسماعيل وهو أمرد على باب محمَّد بن يوسف الفِرْيابي. وكان موت الفِرْيابي سنة «212» اثنتي عشرة ومائتين، وكان سنُّ البخاريِّ إذ ذاك نحوًا من ثمانية عشر عامًا أو دونها.

- سعة حفظه :

قال حَاشِد بن إسماعيل: كان البخاريُّ يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا

يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فلمناه بعد ستة عشر يومًا. فقال: قد أكثرتم عليَّ فاعرضوا عليَّ ما كتبتم، فأخرجناه فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلَّها عن ظهر قلب، حتَّى جعلنا نُحْكِم كتبنا من حفظه .

وقال محمَّد بن الأزهر السِّجِسْتاني: كنتُ في مجلس سليمان بن حَرْب، والبخاريُّ معنا يسمع ولا يكتب، فقيل لبعضِهم: ما له لا يكتب ؟ فقال: يرجع إلى بخارى ويكتب من حفظه .

وقال ابن عَدِي الحافظ: سمعت عدة من مشايخ بغداد يقولون: إنَّ محمَّد بن إسماعيل البخاريَّ قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وأرادوا أمتحان حفظه، فعمدوا إلى مئة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتنٍ آخر، ودفعوها إلى عشرة أنفس، لكلِّ رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاريِّ، وأخذوا عليه الموعد للمجلس، فحضروا وحضر جماعة من الغرباء من أهل خُراسَان وغيرهم ومن البغدادين، فلما أطمئن المجلس بأهله انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاريُّ: لا أعرفه، فما زال يلقي عليه واحدًا بعد واحد حتَّى فرغ، والبخاريُّ يقول: لا أعرفه، وكان العلماء ممَّن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: فهم الرجل. ومن كان لم يدر القصة يقض على البخاريِّ بالعجز والتقصير وقلة الحفظ .

ثمَّ انتدب رجل من العشرة أيضًا فسأله عن حديثٍ من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه، فلم يزل يلقي عليه واحدًا واحدًا حتى فرغ من عشرته، والبخاريُّ يقول: لا أعرفه .

ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة، حتَّى فرغوا كلُّهم من إلقاء تلك الأحاديث المقلوبة، والبخاريُّ لا يزيد على لا أعرفه، فلما عَلِمَ أنَّهم قد فرغوا، ألتفت إلى الأوَّل فقالَ: أمَّا حديثك الأول فقلت كذا وصوابه كذا وحديثك الثاني وصوابه كذا والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة، فردَّ كلَّ متن إلى إسناده، وكلَّ إسناد إلى متنه، وفعل

بالآخرين مثل ذلك، فأقرَّ النَّاس له بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل .

قال الحافظ ابن حجر: هنا يُخضع للبخاريِّ، فما العجب من ردِّه الخطأ إلى الصواب، فإنَّه كان حافظًا، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة .

وقال أبو بكر الكَلْوَذانيُّ: ما رأيتُ مثل محمَّد بن إسماعيل، كان يأخذ الكتاب من العلم فيطَّلع عليه اطّلاعة، فيحفظ عامة أطراف الأحاديث من مرة واحدة .

وقال محمَّد بن حَمْدويه: سمعتُ البخاريَّ يقول: أحفظ مئة ألف حديث صحيح، وأحفظ مئتي ألف حديث غير صحيح .

وقال ورَّاقه له مرَّة في خلوة: هل من دواء للحفظ؟ فقال: لا أعلم شيئًا أنفع للحفظ من نَهْمَة الرجل، ومداومة النظر .

وقال البخاريُّ: ما جلست حتَّى عرفتُ الصحيح من السَّقيم، وحتَّى نظرتُ في كتب أهل الرأي، وما تركتُ بالبصرة حديثًا إلَّا كتبتُه .

وقال: لا أعلم شيئًا يُحتاج إليه إلَّا وهو في الكتاب والسُّنَّة، فقيل له: يمكن معرفة ذلك ؟ فقال: نعم.

- سيرته وأخلاقه :

روى غُنْجَار في «تاريخه» عن أبي سعيد بكر بن مُنِير قال: سمعتُ البخاريَّ يقول: كنتُ أستغل في الشهر خمس مئة درهم فأنفقها في الطَّلب، وما عند الله خيرٌ وأبقى .

وقال مرَّة: ما توليتُ شراء شيءٍ قطُّ ولا بيعه، كنت آمُرُ إنسانًا فيشتري لي. قيل له: ولِمَ ؟ قال: لِمَا فيه من الزيادة والنقصان والتخليط .

وحُمِلَ إليه بضاعةٌ أنفذَها إليه أبو حفص فاجتمع بعض التجار إليه بالعشيَّة وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال لهم: انصرفوا الليلة. فجاءه من الغد تجَّار آخرون فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف درهم، فردَّهم، وقال: إنِّي نويتُ البارحةَ أنْ أدفعها إليهم، وقال: لا أحب أنْ أنقض نيتي .

وقال ورَّاقه: كان البخاريُّ يركب إلى الرمي كثيرًا، فما أعلم أنِّي رأيته في طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف إلَّا مرتين، بل كان يُصيب في كلِّ ذلك ولا يسبق .

وقال ورَّاقه أيضًا: سمعتُه يقولُ: لا يكون لي خصم في الآخرة، فقلت: إنَّ بعض النَّاس ينقمون عليك «التاريخ» يقولون: فيه اغتياب النَّاس. فقال: إنَّما روينا ذلك روايةً، ولم نقله من عند أنفسنا، قدْ قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم : (بئس أخو العشيرة).

وكان يقولُ: ما اغتبتُ أحدًا قطُّ منذ علمتُ أنَّ الغيبةَ حرامٌ .

قال الحافظ ابنُ حجر: وللبخاريِّ في كلامه على الرجال توقٍّ زائد وتحرٍّ بليغ، يظهر لمن تأمل كلامه في الجرح والتعديل، فإنَّ أكثر ما يقول: سكتوا عنه، فيه نظر، تركوه، ونحو هذا، وقلَّ أن يقول: كذاب، أو وضاع، وإنَّما يقول: كذَّبه فلان، رماه فلان، يعني: بالكذب .

وقال ورَّاقه: كنا بفِرَبْر، وكان أبو عبد الله يبني رِباطًا مما يلي بخارى، فاجتمع بشرٌ كثيرٌ يُعينونه على ذلك، وكان ينقل اللَّبِن فكنت أقول له: يا أبا عبد الله، إنَّك تُكفى ذلك. فيقول: هذا الذي ينفعني .

وقال: كان البخاريُّ قليلَ الأكل جدًا، كثيرَ الإحسان إلى الطَّلبة، مُفْرِطَ الكرم .

وكان يقرأ في السَّحَر ما بين النِّصف إلى الثُّلث من القرآن، فيختم عند السَّحَر في كلِّ ثلاث ليالٍ، وكان يختم بالنَّهار في كلِّ يومٍ ختمة .

وكان يصلي في وقت السَّحَر ثلاث عشرة ركعة، يُوتر منها بواحدة .

ورفع إنسان من لحيته قَذَاةً وطرحها إلى الأرض في المسجد، فمدَّ يده فرفع القَذَاةَ من الأرض فأدخلها في كمِّه، فلمَّا خرج من المسجد طرحها، فكأنَّه صان المسجدَ عمَّا تُصان عنه لحيتُه.

شعره :

أخرج الحاكمُ في تاريخه من شعره قوله :

اغتنم في الفراغ فضل رُكوع فعسى أن يكون مَوتُك بَغْتَهْ

كم صحيح رأيت من غير سقم ذهبت نفسه الصحيحة فلتهْ
ولما نعي إليه عبد الله بن عبد الرحمن الدَّارِمي أنشد :
إنْ عشتَ تُفْجَعُ بالأحبة كلِّهم وبقاء نفسك لا أبا لك أفجع

- بيان أنَّه أوَّل من صنَّف الصحيح المجرَّد

قال الإمام أبو عمرو ابن الصَّلاح في (علوم الحديث) عن محمَّد بن يوسف الشَّافِعي أنَّه قال: أوَّلُ مَن صنَّف في الصحيح البخاريُّ أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل، وتلاه مسلم بن الحجَّاج . وقال السُّيُوطي في (التدريب): كانت الكتب قبله مجموعة ممزوجًا فيها الصحيح بغيره .

كون جامعه أصحُّ الكتب بعد القرآن الكريم والاستدلال عليه والجواب عن تقديم الإمام الشافعي (الموطأ) :

قال الإمام النَّوَوي في (التقريب) وقبله ابن الصَّلاح في (علوم الحديث): وكتاباهما ـــ يعني البخاري ومسلمًا ـــ أصحُّ الكتب بعد كتاب الله العزيز؛ أي: لأنَّهما أوَّل مَن صنَّف في الصحيح المجرَّد في صدر الإسلام، وكان السابق البخاري، وتبعه مسلم .

قال نجم الدِّين الطُّوفي رحمه الله في (شرح الأربعين): وممَّا يدلُّ على أنَّ كتابيهما أصحَّ كتب السُّنَّة أنَّ المحدِّثين قسَّموا الحديث الصحيح سبعة أقسام :

أحدها: ما اتفقا عليه .

وثانيها: ما انفرد به البخاري .

وثالثها: ما انفرد به مسلم .

ورابعها: ما خُرِّج على شرطهما .

وخامسها: ما خُرِّج على شرط البخاري .

وسادسها: ما خُرِّج على شرط مسلم .

وسابعها: ما حَكَمَ بصحته إمامٌ مُعتَبر ولا مُعارض له .

قال: فلما قدَّموا (الصحيحين) فيما خُرِّج في أقسام الحديث الصحيح ومراتبه، دلَّ على اتفاقهم على أنَّهما أصحُّ الكتب المصنَّفة كما قال الشيخ النَّووي رحمه الله.اهـ.

- سبب تجريده الصحيح :

قال الحافظ ابن حجر: قوَّىَ عزمه على ذلك ما سمعه من أستاذه أمير المؤمنين في الحديث والفقه إسحاق بن إبراهيم الحَنْظَلي المعروف بابن راهُوْيَه، وذلك فيما رواه الخطيب البغدادي عن أبي عبد الله البُخَاري قال: كنَّا عند إسحاق بن راهُوْيَه، فقال: لو جمعتم كتابًا مختصرًا لصحيح سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فوقع ذلك في قلبي فأخذتُ في جمع الجامع الصحيح.

- مقدار الأحاديث التي جرَّد منها الصحيح :

روى الغَسَّاني عنه قال: خرَّجتُ الصحيح من ست مئة ألف حديث.

تلقيب البخاري بإمام المحَدِّثين وبأمير المؤمنين في الحديث :

قال نجم الدين الطُّوفي رحمه الله في (شرح الأربعين): تلقيب النَّوَوِي الشيخين بإمامي المحَدِّثين هو باعتبار ما كانا عليه من الورع والزُّهد والجدِّ والاجتهاد في تخريج الصحيح، والتصريح به في كتابيهما، حتى اِئتم بهما في التصحيح كلُّ مَن بعدهما .

وقال السُّيُوطي في (التدريب) في شرح فروع النوع السادس والعشرين في فضل رواة الحديث: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اللهم ارْحَمْ خُلَفائي». قيل: ومن خُلَفاؤكَ ؟ قَالَ: «الذين يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي يَرْوُونَ أحاديثي وسُنَّتي». رواه الطبراني وغيره .

قال: وكأنَّ تلقيب المحَدِّث بأمير المؤمنين مأخوذ من هذا الحديث، قال: وقد لُقِّب به جماعة، منهم: سُفيان وابن راهُوْيَه والبُخَاري وغيرهم. اهـ .

قال ابن حجر: وأمَّا ما روي عن الشَّافِعي ــ من قوله: ما أعلم في الأرض كتابًا أصحُّ من الموطأ ــ فإنَّما قال ذلك بالنسبة إلى الجوامع الموجودة في زمنه كـ: (جامع سفيان الثوري) و(مصنف حمَّاد بن سلمة) ونحوهما، قبل وجود كتاب البخاري، ودليل أصحيَّة البخاريِّ أنَّ

مالكًا لا يرى الانقطاع في الإسناد قادحًا، فلذلك يخرّج المراسيل، والمنقطعات، والبلاغات في أصل موضوع كتابه، والبخاري يرى الانقطاع عِلَّةً فلا يُخرّج ما هذا سبيله إلَّا في غير أصل موضوع كتابه، كالتعليقات والتراجم، ولا شكَّ أنَّ المنقطع وإنْ كان عند قوم من قبيل ما يحتج به، فالمتصلُ أقوى منه إذا اشترك كلُّ رواتهما في العدالة والحفظ، فبان بذلك شُفُوف كتاب البخاريِّ، وقد روي عن النَّسَائيِّ أنَّه قال: ما في هذه الكتب كلِّها أجودُ من كتاب محمَّد بن إسماعيل البخاريِّ. وهذا من النَّسائيِّ غاية في الوصف مع شدَّة تحرِّيه وتقدُّمه في نقد الرجال على أهل عصره، وقد أطال الحافظُ ابن حجر في ذلك .

وقال نجم الدِّين الطُّوفي رحمه الله في (شرح الأربعين): وإنَّما قال الشافعي رضي الله عنه: لا أعلم كتابًا بعد كتاب الله عزَّ وجلَّ أصحُّ من موطأ مالك قبل ظهور الصحيحين، فلمَّا ظهرا كانا أحقُّ وأولى بذلك. اهـ .

– تسميته لكتابه :

سمَّى البخاريُّ كتابه: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيَّامه .

هذا عنوان صحيحه فليُحفظ، وينبغي لكلِّ مَن ينسخ الصحيح أو يطبعه أن يعنونه بتسمية المؤلِّف محافظةً على الإعلام، وتحرسًا من الاقتضاب، فيما لا محلَّ له من الإعراب.

- عنايته بجامعه ووصفه له :

قال الفِربْري: سمعتُ البُخَاريَّ يقول: ما وضعتُ في كتاب الصحيح حديثًا إلَّا اغتسلتُ قبل ذلك وصليتُ ركعتين .

وقال البخاريُّ: صنَّفتُ الجامع من ست مئة ألف حديث في ست عشرة سنة، وجعلته حجَّة فيما بيني وبين الله عزَّ وجلَّ .

وقد روى الخطيب البغدادي عن أبي زيد المرْوَزي قال: كنتُ نائمًا بين الرُّكن والمقام، فرأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي: يا أبا زيد ! إلى متى تدرِّس كتاب الشافعي ولا تدرِّس كتابي؟! فقلتُ: يا رسول الله: وما كتابك ؟ قال: جامع محمَّد بن إسماعيل.

- عرضه جامعه على أئمة السُّنَّة وانتقادهم :

قال أبو جعفر العُقَيلي: لما ألَّف البخاريُّ كتابَ الصحيح عَرَضَه على أحمد ابن حَنْبَل ويحيى بن مَعِين وعلي بن المَدِيني وغيرهم، فاستحسنوه، وشهدوا له بالصَّحة إلَّا في أربعة أحاديث.

قال العُقَيلي: والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة.

- شرط البخاريّ في جامعه :

قال الحافظ ابن حجر عن الحافظ أبي بكر الحازِمي: أنَّ شرط الصحيح أنْ يكون إسناده متصلًا، وأنْ يكون راويه مسلمًا، صادقًا، غير مدلِّسٍ ولا مخلِّطٍ، متصفًا بصفات العدالة، ضابطًا، متحفِّظًا، سليم الذِّهن، قليل الوهم، سليم الاعتقاد.اهـ .

وبه يُعلم مقدار رجال الصحيح ومكانتهم في الفضل، وأنَّ مَن رام غمز واحد منهم فإنَّما يغمز نفسه ويذبُّ علمه.

- معنى قوله: تركتُ من الصحيح

روى الإسماعيلي عنه قال: لم أُخرّج في هذا الكتاب إلَّا صحيحًا، وما تركتُ من الصحيح أكثر .

قال الإسماعيلي: لأنَّه لو أخرج كلَّ صحيح عنده لجمع في الباب الواحد حديث جماعة من الصحابة، ولذكَرَ طريق كلِّ واحد منهم إذا صحَّت، فيصير كتابًا كبيرًا جدًا. اهـ .

يُشيرُ الإسماعيلي إلى أنَّ البخاريَّ ترك التوسع في إخراج الحديث الصحيح من طرق متعددة؛ خشية الطول، فاكتفى في كل باب بما أورده، وليس يعني أنَّه ترك سُنَّةً صحيحة، وهديًا نبويًا صحيحًا في حكم من الأحكام كما قد يُتوهم، لأنَّه لا طُوْلَ في ذلك، وإنَّما يعني ما صحَّ على شرطه، قاله الإمام النوويُّ في (شرح مسلم).

- سرُّ إيراده المعلَّقات

الأحاديث المعلَّقة في الصحيح التي لم توصل هي ليست من موضوع كتابه، وإنَّما ذكرها استئناسًا واستشهادًا، وقد أوضح الحافظ ابن حجر الأسباب الحاملة له على تخريج ذلك

التعليق، وأنَّ مراده بذلك أن يكون الكتاب جامعًا لأكثر الأحاديث التي يحتجُّ بها، إلَّا أنَّ منها ما هو على شرطه فساقه سياق أصل الكتاب، ومنها ما هو على غير شرطه فغاير السِّياق في إيراده ليمتاز.

- عثور المِسْتَمْلي على أصل البُخَاري واندفاع إشكالات في اختلاف النسخ وفي مناسبات التراجم :

قال الإمام أبو الوليد الباجي في مقدِّمة كتابه في أسماء رجال البخاري: أخبرني الحافظ أبو ذر عَبد بن أحمد الهَرَويُّ قال: حدَّثنا الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن محمَّد المِسْتَمْلي، قال: انتسخت كتاب البُخَاري من أصله الذي كان عند صاحبه محمَّد بن يوسف الفِربْري، فرأيتُ فيه أشياء لم تتم وأشياء مبيَّضة، منها تراجم لم يُثبت بعدها شيئًا، ومنها أحاديث لم يُترجم لها، فأضفنا بعض ذلك إلى بعض .

قال الباجي: وممَّا يدلُّ على صحة هذا القول، أنَّ رواية أبي إسحاق المِسْتَمْلي ورواية أبي محمَّد السَّرَخْسيِّ ورواية أبي الهيثم الكُشْمِيهَنِيِّ ورواية أبي زيد المَرْوَزي مختلفة بالتقديم والتأخير، مع أنَّهم انتسخوا من أصل واحد، وإنَّما ذلك بحسب ما قدَّر كل واحد منهم فيما كان في طرة أو رقعة أنَّه من موضع ما، فأضافه إليه، ويبين ذلك أنَّك تجد ترجمتين وأكثر من ذلك متصلة ليس بينها أحاديث. اهـ .

وبه يُعلم سبب اختلاف نسخ الصحيح وغموض المطابقة بين الترجمة والحديث في بعض المواضع، على أنَّ كثيرًا من العلماء المحقِّقين خدموا تراجمه على حِدة في كتب خاصة، كالقاضي ناصر الدِّين ابن المنَيِّر والقاضي بدر الدِّين ابن جماعة، ومحمد بن حَمَامَة السِّلْجماسي في كتاب سَمَّاه: (فَكُّ أغراض البخاري المبْهَمَة في الجمع بين الحديث والترجمة) ولأبي عبد الله البُسْتي، كتاب سَمَّاه: (تُرْجُمَان التَّراجم) وصل فيه إلى كتاب الصيام، دع عنك ما بيَّنه الشُّرَّاح رحمهم الله تعالى.

- عدة أحاديث الجامع :

قال الحافظ ابن حجر: فجميع أحاديثه بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات على ما حرَّرته وأتقنته سبعة آلاف وثلاث مئة وسبعة وتسعون حديثًا، وجملة ما فيه من التعاليق ألف وثلاث مئة وإحدى وأربعون حديثًا، وجملة ما فيه من المتابعات والتنبيه على اختلاف الروايات ثلاث مئة وإحدى وأربعون حديثًا. فجميع ما في الكتاب على هذا بالمكرر تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثًا .

قال ابن حجر: وهذه العدة خارجة عن الموقوفات على الصحابة والمقطوعات عن التابعين فمن بعدهم، قال: وهذا الذي حرَّرته من عدة ما في صحيح البخاري تحرير بالغ فتح الله به، لا أعلم مَن تقدَّمني إليه، وأنا مقرٌّ بعدم العصمة من السَّهو والخطأ والله المستعان.

- عدَّة الأحاديث التي انتقدها عليه الحُفَّاظ

قال الحافظ ابن حجر: عدة ما اجتمع لنا من ذلك ممَّا في كتاب البخاري مائة وعشرة أحاديث، منها ما وافقه مسلم على تخريجه وهو اثنان وثلاثون حديثًا، ومنها ما انفرد بتخريجه وهو ثمانية وسبعون حديثًا، قال: وليست عِللها كلُّها قادحة، بل أكثرها الجواب عنه ظاهر، والقدح فيه مندفع، وبعضها الجواب عنه محتمل، واليسير منه في الجواب عنه تعسف .

وقد أوضح ذلك الحافظ مفصلًا في مقدمة الفتح .

أقول: قال بعض الأعلام: في هذا الانتقاد من عظم منزلة البخاري ما يدريه فلاسفة المحققين؛ وذلك لأنَّ معيار فضل المؤلف وعظم تأليفه، مداره على نسبة خطئه مع صوابه، فمن كان خطؤه قليلًا يُعد، فهو برهان على دقة نظره، وجودة تخيره، فإذا قيس هذا العدد المنتقد بعدة الأصل ــوهي تسعة آلاف واثنان وثمانون_ كانت نسبته إليه نحو عشر العشر.اهـ .

ففي كل مئة حديث منها حديث منظور فيه فما أوسع نظر إمام يوجد في كلِّ مئة من مروياته على سَعَة هذا الفن السَّعة المدْهشة حديث واحد تُكُلِّم فيه، فللَّه درُّه، فتحصل من

هذا أنَّ التدقيق في الانتقاد عليه يفتح لمعرفة قدره بابًا عظيمًا، ولعلو منزلته مجالًا فخيمًا، والله الهادي.

الموازنة بين الرِّجال الذين انفرد بالإخرج لهم وتُكُلِّم فيهم وبين ما انفرد بهم مسلم كذلك :

قال الحافظ ابن حجر: الذين انفرد البخاري بالإخراج لهم دون مسلم أربع مئة وبضع وثلاثون رجلًا، المتكلم فيه بالضعف منهم ثمانون رجلًا، والذين انفرد مسلم بالإخراج لهم دون البخاري ست مئة وعشرون رجلًا، المتكلَّم فيه بالضعف منهم مئة وستون رجلًا .

ثم قال: إنَّ الذين انفرد بهم البخاري ممَّن تُكُلِّم أكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم، وعرف أحوالهم، واطلع على أحاديثهم، وميَّز جيدها من موهومها، بخلاف مسلم فإنَّ أكثر مَن تفرَّد بتخريج حديثه مَن تكلم فيه ممَّن تقدم عن عصره من التابعين ومن بعدهم، ولا شك أنَّ المحدِّث أعرف بحديث شيوخه ممَّن تقدم منهم.اهـ.

- تخريجه عَمَّن رُمي بالابتداع :

ذكر الحافظ ابن حجر في (المقدمة) تسميةَ من رمي بالابتداع على ترتيب حروف الهجاء، وعدَّ منهم المرجئ، والنَّاصبيَّ، والشِّيعيَّ والواقف، والجَهميَّ، والقَدَريَّ، ومن الخوارج العقدي، والإباضي، ودقق في تراجمهم بما لا غاية وراءه، وقال قبل الخوض فيها ما مثاله: ينبغي لكلِّ منصفٍ أنْ يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأيِّ راو كان مقتض لعدالته عنده، وصحة ضبطه، وعدم غفلته، ولا سيما ما أٌنضاف إلى ذلك من إطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين، وهذا معنى لم يحصل لغير من خرَّج عنه في الصحيح فهو بمثابة إطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما، هذا إذا خرَّج له في الأصول، فأمَّا إنْ خرَّج له في المتابعات، والشواهد، والتعاليق فهذا يتفاوت درجات من أخرج له منهم في الضبط وغيره مع حصول اسم الصِّدق لهم، وحينئذ إذا وجدنا لغيره من أحد طعنًا، فذلك الطعن يقابل بتعديل هذا الإمام فلا يقبل إلَّا مُبيَّن السبب، مُفسَّرًا بقادح يقدح في عدالة هذا الراوي، وفي ضبطه مطلقًا، أو في ضبطه لخبر بعينه؛ لأنَّ الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة،

منها ما يقدح، ومنها ما لا يقدح .

وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسي يقول في الرجل الذي يخرَّج عنه الصحيح: هذا جاز القَنْطَرَة. يعني بذلك أنَّه لا يلتفت إلى ما قيل فيه .

قال الشيخ أبو الفتح القُشيري في مختصره: وهكذا نعتقد، وبه نقول ولا نخرج عنه إلَّا بحجة ظاهرة، وبيان شافٍ يزيد في غلبة الظَّن على المعنى الذي قدَّمناه من اتفاق النَّاس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما بالصحيحين ومن لوازم ذلك تعديل رواتهما. اهـ

ثم قال: واعلم أنَّه قد وقع من جماعة الطعن في جماعة؛ بسبب اختلافهم في العقائد، فينبغي التنبه لذلك وعدم الاعتداد به إلَّا بحق، وكذا عاب جماعةٌ من الورعين جماعة دخلوا في أمر الدُّنيا فضعَّفوهم لذلك، ولا أثر لذلك التضعيف مع الصدق والضبط، وأبعد من ذلك كُلِّه من الاعتبار تضعيف من ضعَّف مَن هو أوثق منه، أو أعلى قدرًا، أو أعرف بالحديث، فكلُّ هذا لا يعتدُّ به. اهـ .

وقال الحافظ الذهبي في (ميزان الاعتدال) في ترجمة علي بن هاشم الخزَّاز: قال ابن حِبَّان: غالٍ في التشيع، روى المناكير عن المشاهير. وقال البخاري: كان هو وأبوه غاليين في مذهبهما، وقال أبو داود: ثبتٌ متشيّعٌ. ومع هذا وثَّقه ابن معين وغيره، وروى عنه الإمام أحمد ومسلم والأربعة، قال الذهبي: ولغُلوه ترك البخاري إخراج حديثه؛ فإنَّه يتجنب الرافضة كثيرًا؛ كأنَّه يخاف من تديُّنهم بالتقيَّة، ولا يتجنب القدرية ولا الخوارج ولا الجَهْميَّة؛ فإنَّهم على بدعهم يلتزمون الصِّدق. اهـ .

قلت: ولم يمنع الإمام أحمد ومسلم وغيرهما مع ورعهم ونقدهم من الرواية عنه على ما قيل فيه إيثارًا لصدقه وضبطه وهو المقصود في باب الرواية.

- فقه البخاريِّ واجتهاده المطْلَق :

صدق مَن قال: فقه البخاريِّ في تراجمه، أي معرفة اجتهاده تُدرك منها .

قال الحافظ ابن حجر: رأى البخاريُّ أنْ لا يُخْلي صحيحه من الفوائد الفقهية، والنُّكَت

الحكمية فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرّقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها، واعتنى فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدَّلالات البديعة، وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السُّبل الوسيعة .

قال النووي: لم يعقد البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط، بل أراد الاستنباط منها، والاستدلال لأبواب أرادها، ولهذا المعنى أخلى كثيرًا من الأبواب عن إسناد الحديث، واقتصر على قوله: فلان عن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أو نحو ذلك، وقد يذكر المتن بغير إسناد، وقد يُورده معلقًا؛ وإنَّما يفعل هذا لأنَّه الاحتجاج للمسألة التي ترجم لها، وأشار إلى الحديث لكونه معلومًا.

- شذرة من اختيارات البخاري الدَّالة على اجتهاده ووقوفه مع الدليل الذي يراه :

اختيارات هذا الإمام في الفروع إنَّما تُعلَم من سبر تراجمه وأبوابه، ولَمَّا كان في ذلك طول يتعسر استيعابه في هذه الورقات، آثرنا ذكر بعضها، لا سيما ما كان من العبادات؛ لتشوف الأنفس لها أكثر من غيرها، فمن اختياراته :

- أن الغُسل من التقاء الختانين دون إنزال لا يجب، وإنَّما هو أحوط .
- وأن لا بأس بقراءة القرآن في الحَمَّام .
- وجواز غسل المني وفركه .
- وأن الماء لا يَنجس بوقوع الرِّجس فيه إلَّا بالتغير .
- وجواز الامتشاط بعظام الميتة، كالفيل ونحوه، والادِّهان منها، والتجارة بها .
- وطهارة السمن ونحوه إذا وقعت فيه فأرة ونحوها بإلقائها وما حولها مائعًا أو جامدًا .
- وأن مَن ألقي عليه نجاسة وهو يصلي لا تفسد صلاته .
- ومَن رأى في ثوبه دمًا وهو يصلي ألقاه وأتمَّ ولا إعادة عليه .
- وأن لا بأس بقراءة الآية من القرآن .
- وأن الجنب لا بأس بقراءته القرآن .

●وأن أقراء المرأة _أي: حيضاتها_ ما كانت .

●وأنَّها إنْ جاءت ببينة من بطانة أهلها ممَّن يُرضىَ دينه أنَّها حاضت ثلاثًا في شهر صدقت وتنقضي عدتها .

●وأنَّ التيمم للوجه والكفين .

●وجواز الجمع بين فرضين وأكثر بتيمم واحد ما لم يُحْدِث .

●وأنَّ الجنب إذا خاف المرض من الماء البارد تيمم وصلَّىَ .

●وجواز لبس ما يُصبغ بنجاسة .

●وأنَّ الفخذ ليس بعورة .

●وأنَّ للمصلي في السَّفينة أن يدور معها حيث دارت .

●وجواز سجود الرجل على ثوبه وفراشه .

●وجواز الصلاة في النِّعَال .

●وسقوط الجمعة عَمَّن صلى العيد، وهو مذهب أحمد .

●وجواز الصلاة في البِيعة إلَّا بيعة فيها تماثيل .

●وجواز ضرب المرأة خباءً في المسجد ونومها فيه .

●وجواز نوم الرِّجل في المسجد .

●وجواز رواية الشعر في المسجد .

●واللعب بالحراب في المسجد .

●وجواز دخول المشرك المسجد .

●وجواز الاستلقاء في المسجد ومدِّ الرِّجْلِ .

●وجواز جمع المريض بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء .

●جواز الكلام إذا أُقيمت الصلاة لحاجة .

●جواز إمامة المبتدع .

●وجواز القدوة وإن كان بين الإمام والمأموم نهر، أو طريق، أو جدار .

●وجواز خروج النساء إلى المسجد بالليل والغَلَس .

●ومشروعية إذن الزوج للمرأة بالخروج إلى المسجد وكراهة المنع .

●ومشروعية الجمعة في القرى والمدن .

●والرُّخصة في ترك الجمعة للمطر .

●وجواز تأخير الصلاة عن وقتها لمصلحة القتال والتحفظ من العدو .

●ومشروعية موعظة الإمامِ النِّساءَ يوم العيد إذا حضرنَ الصلاة .

●ومشروعية حضور المرأة الخطبة ولو باستعارتها جلبابًا .

●وجواز القنوت قبل الركوع وبعده .

●وأن للمرأة أن تُطْعِمَ من بيت زوجها بدون إذنه من غير إفساد .

●وجواز أداء الزكاة من الزوجة لزوجها وأيتامها .

●وجواز إعطاء الزكاة لمن يريد الحج .

●وحظر شراء المتصدِّق صدقتَه .

●وجواز إيتائها للفقراء أينما كانوا .

●وجواز فسخ الحج عمرة لمن لم يكن معه هدي .

●ووجوب العمرة .

●ويرى أن أمر البيوع مردَّها إلى ما يتعارف النَّاس به منها .

●واختار مذهب عائشة في عدم احتجاب المرأة من المملوك سواءً كان مُلْكًا لها أو لغيرها .

●واختيار جواز شهادة الأعمى والمرأة المنتقِبة إذا عُرِفَ صوتها .

●وجواز اغتياب أهل الفساد والرِّيب .

●وجواز خدمة المرأة الرجال وقيامها عليهم ولو عروسًا، كما عليه نساء القرى والبوادي بفطرتهم .

●واختار مذهب ابن عباس أنَّ الطلاق عن وطر ــأي: نيةــ وقصد إليه فلا يقع مطلقًا .

●واختار مذهب مجاهد وعطاء في آية عدة الحول أنَّها مُحكمة لا منسوخة، وذلك إن قبلت الوصية بسكنى الحول .

●وجواز عيادة النِّساء للرجال كما عليه أهل القرى والبوادي بفطرتهم .

●وأن الخَضِرَ ليس بحيٍّ الآن .

●وجواز تكنية المشرك ابتداءً، ونداؤه بما كان كني به .

●وأن بنات الرَّبيبة والرَّبيب كالرَّبيبة في التحريم، كما أنَّ حلائل ولد الأبناء كحلائل الأبناء، وتحريم الرَّبيبة وإن لم تكن في حجره .

●وقال في تفسير آية: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ [المائدة: 13] يُحَرِّفُونَ يزيلون: وليس أحدٌ يزيل لفظ كتاب من كتب الله عزَّ وجلَّ، ولكنهم يُحَرِّفُونَه يتأولونه عن غير تأويله، وبسط الكلام على هذا البحث في (فتح الباري) فإنَّه مهم جدًا .

●هذه شذرة من اختياراته كنت علَّقتها في قراءتي الثالثة للصحيح درايةً لأَدُلَّ على ارتقائه ذِرْوَة الاجتهاد، وبقي له اختيارات أخرى يطول استقراؤها، ولو شئت أن تقول: إنَّ كلَّ ترجمة من تراجم أبواب صحيحه هي مختارة فيما ترجم له لما بعدت، وكلُّ مَن قرأه بدقة يدرك ما أشرنا إليه، وينكشف له عجائب فيه والله الهادي .

●وأجاز العمل بكتاب الحاكم إلى عُمَّاله، والقاضي إلى القاضي بدون إشهاد عليه ولا بيِّنة.

●وأجاز الشهادة على المرأة مِن وراء السِّتر إن عُرفت .

●وأنَّ قضاء الحاكم لا يحلُّ حرامًا، ولا يُحَرِّمُ حلالًا .

●وأنَّ مَن قضى بجور أو خلاف أهل العلم فهو ردٌّ .

●وأجاز ترجمة الواحد للحاكم، ولو كان الترجمان كافرًا.

- عدة تلامذته الذين رووا عنه جامعه، وآخر مَن رواه عنه :

ذكر الفِربري أنَّه سمعه منه تسعون ألفًا، وإنَّه لم يبق من يرويه غيره .

قال الحافظ ابن حجر: أطلق ذلك بناءً على ما في علمه، وقد تأخر بعده بتسع سنين أبو طلحة منصور بن محمَّد بن علي بن قريبة البَزْدَويُّ، وكانت وفاته سنة (329) تسع وعشرين وثلاث مئة.

من روى عنه من مشاهير أرباب الصِّحاح والسُّنن وغيرهم :
قال الحافظ شمس الدِّين الذَّهبي الدِّمشقي: روى عن البخاريِّ مسلمٌ خارج صحيحه، وأبو زُرْعَة، والترمذيُّ، وابن خُزيمة، قيل: والنَّسائيُّ؛ وخلق كثيرون نحو مئة ألف.اهـ

- ما قاله الإمام ابن خلدون في جامع البخاري :

قال الحكيم القاضي ابن خلدون في (مقدمة تاريخه) في علوم الحديث بعد تمهيد طليعتها ما مثاله: وجاء محمَّد بن إسماعيل البخاري إمام المحَدِّثين في عصره، فخرَّج أحاديث السُّنَّة على أبوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق التي للحجازيين، والعراقيين، والشاميين، واعتمد منها ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه، وكرَّر الأحاديث يسوقها في كل باب بمعنى ذلك الباب الذي تضمنه الحديث، فتكررت لذلك أحاديثه حتى يقال: إنَّه اشتمل على تسعة آلاف حديث ومئتين، منها ثلاثة آلاف متكررة وفرَّق الطُّرق والأسانيد عليها مختلفة في كلِّ باب .ثمَّ قال: فأمَّا البخاريُّ وهو أعلاها رُتْبَةً فاستصعب النَّاس شرحه، واستغلقوا منحاه من أجل ما يحتاج إليه من معرفة الطرق المتعددة ورجالها، من أهل الحجاز والشام العراق، ومعرفة أحوالهم، واختلاف الناس فيهم، ولذلك يحتاج إلى إمعان النظر في التفقه في تراجمه لأنَّه يترجم الترجمة ويورد فيها الحديث بسندٍ أو طريقٍ، ثمَّ يترجم أخرى ويورد فيها ذلك الحديث بعينه لما تضمَّنه من المعنى الذي ترجم به الباب، وكذلك في ترجمة وترجمة إلى أن يتكرر الحديث في أبواب كثيرة بحسب معانيه واختلافها، ومن شرحه ولم يستوف هذا فيه فلم يُوف حقَّ الشرح، كابن بَطَّال، والمهَلَّب، وابن التِّين ونحوهم. قال: ولقد سمعتُ كثيرًا من شيوخنا رحمهم الله يقولون: شرح كتاب البخاري دينٌ على الأُمَّة، يعنون أنَّ أحدًا من علماء الأُمَّة لم

يوف ما يجب له من شرح بهذا الاعتبار. انتهى كلام ابن خلدون .

وقد عدَّ الفاضل ملَّا كاتب جلبي في كتابه (كشف الظنون) ما ينيف على اثنين وثمانين شرحًا للبخاري، مابين مطوَّل ومختصر، ومَن أَكْمَلَهُ ومَن لم يُكْمِلْهُ، ومَن علَّق على أوائله، ومَن خَدَمَ رجاله، إلى غير ذلك .

وأشهرُ شروحه الآن (فتح الباري) وهو أوسعها، وأحفلها، ولما طُلب من مجتهد اليمن العَلَّامة الشَّوْكَاني أن يشرح الصحيح، قال: لا هجرة بعد الفتح، يشير إلى كفاية (فتح الباري) في هذا الباب .

وقد حَدَث بعد عصر صاحب (كشف الظنون) شروح للصحيح مطوَّلة وموجزة، كشرح الإمام السِّندي، وشرح الشِّهاب أحمد المِنْيْنِيّ، والعماد إسماعيل العَجْلُوني الدِّمشقيان، وكلا الشرحين لم يتما .

وكنت علَّقت على أوائله شذرات مُهمَّة، ثمَّ عاق عن الاسترسال في تتمته الانقطاعُ لمحاسن التأويل، وشؤون أخرى وبالله التوفيق.

- ردُّ فِريةٍ على البخاري

جاء في (شرح المنار) من كتب أصول الحنفية، المسمَّى (كشف الأسرار) ما مثاله في آخر خطبة الشرح: المحَدِّثُ غير الفقيه يغلط كثيرًا، فقد روي عن محمَّد بن إسماعيل صاحب الصحيح أنَّه استُفتي في صبيين شربا من لبن شاةٍ، فأفتى بثبوت الحُرْمة بينهما، وأُخرج به من بخارى، إذ الأُختية تتبع الأُمِّيَّة، والبهيمة لا تصلح أُمًّا للآدميّ. انتهى كلامه .

أقولُ: أمَّا حاجة المحَدِّثُ في الفقه فمُسلَّمةٌ وإلَّا فما يغنيه حفظه ولا فِقْهَ عنده، ولذا لم نجد مُحَدِّثًا غير فقيه بالاستقراء، فإنَّ أرباب دواوين السُّنَّةِ كُلُّهم فقهاء مجتهدون، دلَّ على ذلك تبويبهم الأحكام الفقهية في تراجم مؤلَّفاتهم، وعنونتهم لِمَا يُستنبط من الأحاديث في طليعة الأبواب والتراجم، ممَّا لا يَقْدِمُ عليه إلَّا مجتهد، مُستَدلٌّ، فقيه، مستنبط، وهكذا أرباب الموطآت، وأما أرباب المسَانيد فاجتهادهم وفقههم دوَّنه أصحابُهم وغيرُ أصحابهم، فَقَلَّ مُحَدِّثٌ

صاحب مسند إلَّا وفتاويه مأثورة محفوظة، ولا يمكن لأحدٍ أن يأتينا بمُحَدِّثٍ طارت شهرته في الآفاق وعرفه التاريخ وهو ليس بفقيه، كيف والمحَدِّث فقيه وزيادة، لأنَّه فروعي أصولي، مستنبط ومستدل، ذو رأي وحجَّة، وهذا معروف في مثل طبقة أصحاب السُّنن فأحرى بإمام المحَدِّثين كالبخاري الذي طار نبأ فقهه في الآفاق، وطأطأت لدِقَّة استنباطِهِ الأعناق، حتى أصبحت تراجمه في دقتها محار كبار العلماء، وموقف محور النُّبلاء، كما ذكره شيوخ العلم الذين خدموا صحيحه بالشرح والتعليق، وفلاسفة الإسلام أمثال ابن خلدون وأضرابه يعلم ذلك من طالع مثل (مقدمة فتح الباري) للحافظ ابن حجر وهي مجموعة من مؤلفات شتى فيما يتعلق بالصحيح، رجالًا، وأسانيد، وتعاليق، وتراجم، ومناسبات، وترتيبًا، وفقهًا، وقد أثرنا عنها في هذه الورقات شذرات .

من عَلِمَ هذا أو شدا طرفًا مما نوَّه به مَن خَدَمَ هذا الصحيح لا يملك نفسه من الضحك والاستغراب إذا قرأ ما ذكره النَّسَفيُّ من حكاية هذه الفِرْيَةِ على هذا الإمام، وما كان بنا من حاجه للعناية بردِّها لأنَّ الباطل بنفسه أحقر من أن يُعَرَّف بطلانه لولا خشية أن يستروح إليها بعض المغَفَّلين أو المبتدئين، الذين لا يميِّزون بين الغثِّ والسَّمين، ونحن لا ندري ما الحامل لحكاية النَّسَفي لها، مع أنَّه حكاها بصيغة (رُوِي) وهي علامة التضعيف، والتمريض، هذا أولًا .

وثانيًا: لم يَعْزُها لمن رواها حتَّى يُعلم مصدرها، ومعلوم ما للعزو من الاعتبار، إذ على المسْنِدِ والمخَرِّج قبول المروي أو ردَّه، وإذا كان الحديث المجهول رواته ومخرجه لا يقام له وزن، فأنَّى بالأقاصيص والحكايات .

ثالثًا: إنَّ (صحيح البخاري) مفخر علماء المذاهب على الإطلاق، لا سيما إذا أخرج فيه ما وافق مذهبهم، ولم يبق فاضلٌ من علماء المذاهب إلَّا وعُنى به، ما بين شارحٍ له وقارئ، وساع لتلقيِّه، وحريص على سماعه، ومفتخر بالإجازة به وبقرب السَّند إلى جامعه، حتَّى إنَّ أرباب الأثبات والمسلسلات، نوَّعوا الاتصال بجامعه بأسانيد غريبة ما بين شاميٍّ وحجازيٍّ، ومصريٍّ

وعراقيّ، وهنديٍّ ومغربيٍّ، ورووه مسلسلًا بالشافعية، والحنفية والمالكية، والحنابلة، ورأوا ذلك مِن التَّحدث بالنِّعمة، ولا يُحصى من خدمه بالشرح من أفاضل الحنفية كما يراه من راجع (كشف الظُّنون)، وهذه مَزِيَّة لم ينلها غيره من كل ما أُلِّف وصنَّف، حتى ولا الأئمة المتبوعون عليهم الرَّحمة والرِّضوان، إذ لم تخدم مؤلَّفاتهم كما خدم (صحيحه) من علماء المذاهب كافة.

رابعًا: إنَّ مثل هذه الحكاية كان يمكن أنْ تُصدَّق لو لم يكن للإمام البخاريِّ من الآثار ما يكذبها بادئ ذي بدء، لأنَّ أثر الإنسان هو أكبر شاهد على علمه ومقدار ما أوتيه من العرفان، ومتى عهد أنْ يصدق دعوى جهل عالم أو ضلاله، وآثاره تتلى وتنشر، وكُلُّها جواهر علم، وكُنوز هدى، اللهمَّ إذا عميت البصائر ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: 46] وقد سمعتُ مرَّة مَن يرمي إمامًا مِن الأئمة المتأخرين بزَيغ في العقيدة مع أنَّ مؤلفاته في التوحيد والدِّين الخالص لم يبق دار إلَّا دخلتها، ولا دماغ كبير إلَّا وآوت إليه، فأَسِفْتُ وقلت: ما أشبه هذا بما حكاه اللهُ تعالى عن المشركين في نبزهم المؤمنين بقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاء لَضَالُّونَ ﴾ [المطففين: 32] ونبزُهم رسوله نوحًا عليه السلام بقولهم: ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ ﴾ [الأعراف: 60] في آيات كثيرة.

خامسًا: دعوى أنَّ البخاريَّ أُخرج من بخارى بسببها لم يذكرها أحدٌ مِن المؤرخين ولا مِن القُصَّاص الإخباريين، مع أنَّ مَن ترجم البخاري من أحرار الأفكار ونَقَدَة الرجال لم يغادروا نبأً له إلَّا وسطروه، ولا أمرًا من ماجريات إلَّا ودوَّنوه، وقد علمتَ ما حكوه من ماجرياته مع الذُّهْليِّ وأمير بلده في مسألة الكلام.

سادسًا: مَن سمع هذه القصة وأعار نظره ما أورده البخاريُّ في كتاب النِّكاح من أبواب الرِّضَاع من فقه السُّنَّة والأحكام يَعْجَبُ غاية العجب من كذبٍ لا يُعْقَل، وافتراءٍ لا يُقْبَل؛ لأنَّ من أجاب في الرَّضاع بما لم تجب به الصِّبْيَان ولا الأطفال، فأنَّى له أن يُزاحم الأئمة فيما يستنبط من أحكامه وفقهه ووجوه دلائل الأحاديث المأثورة فيه.

سابعًا: لا يشكُّ النَّبيه بأنَّ الدَّافع لمخْتَلِقِ هذه الحكاية ومفتريها هو الحسد على ما آتى اللهُ

البخاريَّ من رِفعَة القَدْر، وسُمو الذكر، ونباهة صحيحه في السُّنَّة على كل مسند وكتاب، حتَّى صار مرويه فصل الخِطَاب، والفيصل بين ما تطمئن به النَّفس من الحديث وما فيه ارتياب، وأصبح ما لم يخرّجِه في صحيحه موضع الرِّيبة في تصحيحه، إذ لولا عِلَّة فيه لما تركه في الأصول، أو التعليقات، كما أشار النَّووي في (شرح مقدمة مسلم)، والسَّخاوي في (شرح الألفية) .

ثامنًا: يقول بعضهم: إنَّ مفتري هذه الحكاية أراد أنْ يثأر لأبي حنيفة من البخاريِّ رضي الله عنهما، إذ يقول عنه في (صحيحه): (وقال بعض النَّاس). ونحن نرى أنَّ البخاريَّ لم يُعَبِّر بهذا تنقيصًا من قَدْر الإمام أبي حنيفة، ولا حطًا من كرامته رحمه الله ورضي الله عنه، وإنَّما دعا البخاريَّ إلى هذا الأدبُ مع الإمام، واحترامُ مقامه لتذهب النَّفس في الإبهام إلى غير معين، وللتحاشي من صريح التسمية وتعقيب الردِّ، فآثر الإبهامَ لهذا الأدب والتكريم، فأحرى بمحبي الإمام أن يشكروا البخاريَّ على صنيعه ولا يَكْفروهُ، وقد يكون الإمام أبو حنيفة غير منفرد في تلك الأقوال التي ردَّها البخاريُّ، فيصدق قول البخاريِّ: (قال بعض النَّاس) بالإمام وبكلِّ مَن وافقه، سواء تقدَّم عليه، أو تأخر عنه، فلِمَ يحصرون ذلك بالإمام .

وهكذا الواجب في أدب مناقشة أيِّ إمام أنْ يسلك مسلك البخاري في الإبهام؛ حفظًا للمهابة والاحترام، أين هذا من قول النَّسَفيِّ في آخر (المنار): ورابعها: جهل مَن خالف في اجتهاده الكتاب والسُّنَّة، وقول شارحه: كجهل الشافعيِّ، وجهل داود الظَّاهري، فتأمل الفرق!.

تاسعًا: تُشبه فرية هذه الحكاية على البخاري، بما أفتروه أيضًا على أبي حنيفة رضي الله عنه في حكايته أنَّ المنصور إنَّما حبسه على القضاء لأنَّه أراده عليه فامتنع، مع أنَّه أعقل من أن يحبس الإمام حبس الأبد على أمرٍ لم تمض سُنَّةٌ بالإكراه فيه، من إمام جائر ولا عادل، وإنَّما مختلقو هذه القصة أرادوا التمويه على المغفَّلين، ومَن ليس له إلمام بالحقائق، وقد أبان السَّبب الذي حُبس لأجله أبو حنيفة رحمه الله حبس الأبد العَلَّامة الزَّمَخْشَريُّ في تفسير آية: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى

إِبْرَاهِيْمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: 124]

قال الزَّمَخْشَرِيُّ ــوهو من كبار الحنفيةــ: وكان أبو حنيفة رحمه الله يفتي سِرًّا بوجوب نُصرة زيد بن علي رضوان الله عليهما، وحمل المال إليه، والخروج معه على اللِّص المتغلب المسمَّى بالإمام والخليفة، كالدَّوَانيقي وأشباهه .

وقالت له امرأة: أشرت على ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتَّى قتل، فقال: ليتني مكان ابنك. وكان يقول في المنصور وأشياعه: لو أرادوا بناء مسجد، وأرادوني على عدِّ آجُرِّهِ لما فعلت. انتهى كلام الزّمَخْشري .

وبه يُعْلَمُ أنَّ حبسَ الإمام رحمه الله إنَّما كان لأمرٍ سياسي لا تَغْتَفِرُ مثله السَّلاطين وهو الفتوى بالخروج عليهم، وموآزرة الخارجين عليهم، لا لكونه أمتنع عن قبول القضاء، وإنَّما حكوا ذلك تمويهًا وتكتمًا، كيما يُقال: إنَّ الإمام يتشيَّعُ لزيد بن علي، ويرى رأي الشيعة في ذلك، والحق لا يخفى مهما كُتم أو مُوِّه أمره؛ لأنَّ له الظهور والغلبة بطبعه، كما أنَّ الباطل والافتراء لا يلبث أن يضمحلَّ، لأنَّ زهوقه ذاتي له، وما بالذات لا يتخلف .

- ما حصل له من المحنة من كيد حُسَّاده

قال أبو أحمد ابن عَدي: ذكر لي جماعة من المشايخ أنَّ محمَّد بن إسماعيل لما ورد نيسابور واجتمع النَّاس عنده، حَسَدَه بعض شيوخ الوقت، فقالَ لأصحاب الحديث: إنَّ محمَّد بن إسماعيل يقول: لفظي بالقرآن مخلوق. فلمَّا حضر المجلس قام إليه رجل فقال: يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو أو غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاريُّ ولم يجبه ثلاثًا، فألحَّ عليه، فقال البخاريُّ: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة، والامتحان بدعة. فَشَغَّب الرجلُ وقال: قد قال: لفظي بالقرآن مخلوق .

وقال البخاري: سمعتُ عبيد الله بن سعيد ــ يعنى أبا قدامة السَّرَخسيَ ــ يقول: ما زلتُ أسمع أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة .

قال محمَّد بن إسماعيل: حركاتهم، وأصواتهم، وأكسابهم، وكتابتهم مخلوقة، فأمَّا القرآنُ المبين المثبت في المصاحف، الموعى في القلوب، فهو كلام الله غير مخلوق، قال الله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت: 49] .

وكان من أعظم مَن أثار عليه الفتنة في نيسابور محمَّد بن يحيى الذُّهلي، رفيقه في الطلب وأستاذه .

قال مسلم: لما قَدِم البخاريُّ نيسابور ما رأيتُ واليًا ولا عالمًا فعل به أهل نيسابور ما فعلوا به، استقبلوه من مرحلتين من البلد أو ثلاث، وقال محمَّد بن يحيى الذُّهلي في مجلسه: مَن أراد أن يستقبل محمَّد بن إسماعيل غدًا فليستقبله، فإنِّي أستقبله. فاستقبله محمَّد بن يحيى وعامة علماء نيسابور، فدخل البلد، فنزل دار البخاريين، فقال لنا محمَّد بن يحيى: لا تسألوه عن شيءٍ من الكلام؛ فإنَّه إن أجاب بخلاف ما نحن عليه وقع بيننا وبينه، وشَمِتَ بنا كل ناصبيٍّ ورافضيٍّ وجَهْميٍّ ومرجئ بخُراسان. قال: فازدحم النَّاس على محمَّد بن إسماعيل حتَّى امتلأت الدَّار والسُّطوح، فلمَّا كان اليوم الثاني أو الثالث من يوم قدومه، قام إليه رجل فسأله عن اللفظ بالقرآن. فقال: أفعالنا مخلوقة، وألفاظنا من أفعالنا. قال: فوقع بين النَّاس اختلاف، فقال بعضهم: قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وقال بعضهم: لم يقل، فوقع بينهم في ذلك اختلاف حتى قام بعضهم إلى بعض، قال: فاجتمع أهل الدار فأخرجوهم. انتهى .

قلت: إنَّ نهي الذُّهلي عن سؤال البخاري عن شيءٍ من الكلام، فيه تلقين للفتنة، وتعليم لمثارها، وفتح لبابها، ولذا قال أبو حامد ابن الشَّرْقي: سمعت محمَّد بن يحيى الذُّهْلي يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومَن زعم لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع ولا يُجالَسُ ولا يُكَلَّم، ومن ذهب بعد هذا إلى محمَّد بن إسماعيل فاتهموه أنَّه لا يحضر مجلسه إلَّا مَن كان على مذهبه .

فمن هنا يظهر أنَّ الذَّهلي كاد للبخاري في مسألة يعسر اتقاء العثور فيها، وهي المسألة التي كانت حديث القوم وسَمَرهم؛ لقرب العهد من الفتنة بها، واستطارة شررها في البلاد، وغليان

الصُّدور بالبغضاء والعَدَاوة والمقت لمن لا يتعصب فيها .

قال الحاكم: ولما وقع بين البخاريُّ وبين الذُّهْليِّ في مسألة اللفظ انقطع النَّاس عن البخاريِّ إلَّا مسلم بن الحَجَّاج، وأحمد بن سلَمة، قال الذُّهلي: أَلَا مَن قال باللفظ فلا يَحِلُّ له أن يحضر مجلسنا. فأخذ مسلم رداءه فوق عمامته وقام على رؤوس النَّاس، فبعث إلى الذُّهليِّ جميع ما كان كتبه عنه على ظهر جمال .

وعن أحمد بن سَلَمة النيسابوريِّ قال: دخلت على البخاريِّ فقلت: يا أبا عبد الله إنَّ هذا رجل مقبول بخراسان، خصوصًا في هذه المدينة، وقد لجَّ في هذا الأمر حتَّى لا يقدر أحدٌ منَّا أن يكلِّمه فيه فما ترى ؟ قال: فقبض على لحيته ثمَّ قال:﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[غافر: 44] اللهمَّ إنَّك تعلم أنِّي لم أرد المقام بنيسابور أشرًا، ولا بطرًا، ولا طلبًا للرئاسة، وإنَّما أبت عليَّ نفسي الرجوع إلى الوطن لغلبة المخالفين، وقد قصدني هذا الرجل حسدًا لما آتاني الله لا غير، ثمَّ قال لي: يا أحمد إني خارجٌ غدًا لتخلصوا من حديثه لأجلي .وقال الحافظ ابنُ الأَخْرَم: لما قام مسلم بن الحَجَّاج وأحمد بن سَلَمة من مجلس محمَّد بن يحيى بسبب البخاريِّ، قال الذُّهليُّ: لا يُساكنني هذا الرجل في البلد. فخشي البخاريُّ وسافر .

وقال الإمام ابن السيد البَطَلْيَوْسي الأندلسي في كتابه (الإنصاف) في الباب الخامس في الخلاف العارض من جهة الرواية: وللبخاريِّ أبي عبد الله رحمه الله في هذا الباب _ باب نقد الرجال _ عناء مشكور، وسعي مبرور، وكذلك لمسلم وابن مَعِين، فإنَّهم انتقدوا الحديث وحرَّروه، ونبهوا على ضعفاء المحَدِّثين، والمتهمين بالكذب، حتّى ضجَّ مِن ذلك مَن كان في عصرهم، وكان ذلك أحد الأسباب التي أوغرت صدور الفقهاء على البخاريِّ، فلم يزالوا يرصدون له المكاره، حتى أمكنتهم فيه فرصة بكلمةٍ قالها، فكَفَّروه بها، وامتحنوه، وطردوه من موضع إلى موضع، وحتى حمل بعض النَّاس قَلقَه من ذلك على أنَّ قال :

ولابنِ مَعينِ في الرِّجالِ مقالةٌ سَيُسْأَلُ عنها والمليكُ شَهيدُ

فإنْ يَكُ حقًّا قولُه فهو غيبةٌ وإنْ يَكُ زُورًا فالعِقَابُ شَديدُ

وما أخلق قائلَ هذا الشعر بأن يكون دفع مَغْرَمًا، وأَسرَّ حَسْوًا في ارتغاءٍ؛ لأنَّ ابن مَعِين فيما فعل أجدرُ بأن يكون مأجورًا من أن يكون مأزورًا، وأن لا يكون في ذلك ملومًا بل مشكورًا. انتهى.

- رجوعه إلى بخارى، ونفي أميرها له، ووفاته :

قال أحمد بن منصور الشِّيرازيُّ: لما رجع أبو عبد الله البخاريُّ إلى بخارى نصبت له القِبَابُ على فرسخ من البلد، واستقبله عامَّة أهل البلد، حتى لم يبق مذكور، ونثر عليه الدراهم والدنانير، فبقي مدَّة ثمَّ وقع بينه وبين الأمير فأمره بالخروج من بخارى فخرج إلى بيكند.

وقال الحاكم: عن أبي بكر بن أبي عمرو قال: كان سبب مفارقة أبي عبد الله البخاريِّ البلدَ ــيعني: بخارىــ أنَّ خالد بن أحمد الذُّهليَّ والي بخارى، خليفة ابن طاهر سأله أن يحضر منزله فيقرأ |(التاريخ) و(الجامع) على أولاده فامتنع من ذلك، وقال: لا يسعني أنْ أخصَّ قومًا بالسَّماع دون آخرين، فاستعان خالد بحُريث بن أبي الورقاء وغيره من أهل بخارى حتى تكلَّموا في مذهبه، فنفاه عن البلد، وقد انتقم الحقُّ سبحانه من الأمير وكلٍّ من قصده بسوء، فصار عاقبة الأمير إلى الذُّلِّ والحَبْس، بعد أنْ نودي عليه وهو على أتانٍ، وأُشخص على إكَافٍ وكذلك البقية .

روى غُنْجَارُ أنَّ خالدًا الذُّهليَّ والي بخارى بعث إلى محمَّد بن إسماعيل أن أَحملْ إليَّ كتاب (الجامع) و(التاريخ) لأسمع منك، فقال لرسوله: قل له: إنِّي لا أُذِلُّ العلم، ولا أَحْمِلْهُ إلى أبواب السَّلاطين، فإنْ كانت له حاجةٌ إلى شيءٍ منه، فليحضرني في مسجدي، أو في داري، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطانٌ فامنعني من المجلس، ليكون لي عذرٌ عند الله يوم القيامة، إنِّي لا أكتم العلم. فكان سبب الوحشة بينهما.

- ذكر وفاته

وقال محمَّد بن أبي حاتم الورَّاق: سمعت غالب بن جبريل ــ وهو الذي نزل عليه البخاري

بخَرْتَنك ــ يقول: إنه أقام أيامًا فمرض حتَّى وجه إليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون منه الخروج إليهم، فأجاب وتهيأ للركوب، ولبس خُفَّيه وتعمَّم، فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها إلى الدَّابة ليركبها وأنا آخذ بعضده، قال: أرسلوني، فقد ضعفتُ. فأرسلناه فدعا بدعوات ثمَّ اضطجع فقضى، ثمَّ سال منه عرق كثير، وكان قال: كفنوني في ثلاثة أثواب، ليس فيها قميص ولا عمامة، قال: ففعلنا، ولما أدرجناه في أكفانه وصلَّينا عليه، ووضعناه في حفرته فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك، ودامت أيَّامًا، وجعل النَّاس يختلفون إلى قبره أياما يأخذون من ترابه، إلى أن جعلنا خشبًا مشبَّكًا .

وكانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة (256هـ) ست وخمسين ومائتين .

وكانت مدة عمره (62هـ) اثنتين وستين سنة إلَّا ثلاثة عشر يومًا، تغمده الله برحمته .

- ثناء الأئمة على البُخاري :

قدَّمنا قول النَّسائي: ما في هذه الكتب كُلِّها أجود من كتاب محمَّد بن إسماعيل .

وقال الإسماعيلِي: نظرتُ في كتاب (الجامع) الذي ألَّفه أبو عبد الله البخاريُّ، فرأيته جامعًا كما سُمي لكثير من السُّنَن الصحيحة، ودالًا على جمل من المعاني الحسنة المستنبطة، التي لا يكمل لمثلها إلَّا من جمع إلى معرفة الحديث ونقلته والعلم بالروايات وعِلَلها بالفقه، واللغة، وتمكنًا منها كُلِّها، وتبحرًا فيها، قال: وكان رحمه الله الرجل الذي قصر زمانه على ذلك، فبرع وبلغ الغاية، فحاز السَّبق، وجمع إلى ذلك حسن النِّيَّة، والقصد للخير، فنفعه الله ونفع به .

وقال الحاكم أبو أحمد النيسابوري: رحم الله محمَّد بن إسماعيل فإنَّه ألَّف الأصول ــ يعني أصول الأحكام ــ من الأحاديث، وبيَّن للناس، وكلُّ مَن عمل بعده فإنَّما أخذه من كتابه .

وبلغ علي بن المديني أنَّ البخاريَّ يقول: ما استصغرتُ نفسي عند أحدٍ إلَّا عند علي بن المديني، فقال ابن المديني: دعوا قوله، فإنَّه ما رأى مثل نفسه .

وقال قُتَيْبَة بن سعيد: جالستُ الفقهاء والزُّهاد والعُبَّاد فما رأيتُ منذ عقلتُ مثل محمَّد بن إسماعيل، وهو في زمانه كعمر في الصحابة .

وسُئل قتيبة عن طلاق السَّكْران، فدخل محمَّد بن إسماعيل، فقال قُتَيْبَة للسائل: هذا أحمد ابن حنبل، وإسحاق بن رَاهَوَيه، وعلي بن المديني قد ساقهم الله إليك. وأشار إلى البخاريِّ .

وقال أحمد ابن حنبل: ما أخرجت خُرَاسان مثل محمَّد بن إسماعيل .

وقال يعقوب بن إبراهيم الدَّورَقي ونُعَيم بن حَمَّاد الخُزَاعي: محمَّد بن إسماعيل فقيه هذه الأُمَّة.

وقال بُنْدَار محمَّد بن بشار: هو أفقه خلق الله في زماننا، وقال لما قدم البصرة: قدم اليوم سيد الفقهاء .

وقال رَجَاء بن مُرَجَّى الحافظ: فضل محمَّد بن إسماعيل على العلماء، كفضل الرجال على النِّساء .

وقال يحيى بن جَعْفَر البَيْكَنديُّ: لو قدرتُ أن أزيد من عمري في عمر محمَّد بن إسماعيل لفعلتُ؛ فإنَّ موتي موت رجل واحد، وموت محمَّد بن إسماعيل فيه ذهاب العلم .

وقال عبد الله بن محمَّد المِسْنِديُّ: محمَّد بن إسماعيل إمام، فمن لم يجعله إمامًا فاتهمه .

وسئل الدَّارميُّ عن حديث وقيل له: إنَّ البخاريَّ صحَّحه فقال: محمَّد بن إسماعيل أبصر مني، وهو أكيس خلق الله، عَقَل عن الله ما أمر به ونهى عنه من كتابه، وعلى لسان نبيه، إذا قرأ القرآن شغل قلبه وسمعه وبصره، وتفكَّر في أمثاله، وعرف حلاله من حرامه .

واستقراء الثناء عليه من أشياخه، وأقرانه، وأتباعه يطول، وقد استوفى غُررًا من ذلك الحافظ ابن حجر في (مقدمة الفتح) فليرجع إليها المستزيد.

- عدد مصنفاته :

- 1 - الجامع الصحيح: وهو الذي اشتهر في الآفاق، وتطاولت إلى الاتصال بجامعه من الأعلام الأعناق، صنَّفه في ستة عشر سنة، وانتخبه من ست مئة ألف حديث كما آثرناه قبل .

- 2 - قضايا الصحابة والتابعين: صنَّفه لما طَعَنَ في ثماني عشرة .

- 3- التاريخ الكبير .

- 4- التاريخ الأوسط .

- 5- التاريخ الصغير .

- 6- الأدب المفرد .

- 7– القراءة خلف الإمام .

- 8– بر الوالدين .

-9- خلق أفعال العباد .

- 10-كتاب الضعفاء .

- 11- الجامع الكبير .

- 12– المسند الكبير .

- 13– التفسير الكبير .

- 14– كتاب الأشربة .

- 15– كتاب الهِبة .

- 16– أسامي الصحابة .

- 17– كتاب الوحدان: وهو من ليس له إلَّا حديث واحد من الصحابة .

- 18– كتاب المبسوط .

- 19– كتاب العلل .

- 20– كتاب الكُنى .

- 21– كتاب الفرائد.

- التغالي في رفع الأسانيد إلى جامعه

ولعت أَنْفُسُ الفضلاء بالاتصال بجامعه، وعنيت في إثباتها بتنوع الأسانيد إليه، والتفنن في تسلسلها، وغلت في محبَّة القرب منه والإغراب في الظفر بالمعمِّرين؛ لتقل الوسائط إليه، وزاد بعضهم في الإغراب، فزعم الاستجازة من الجنِّ، وآخر تباهى بإجازةٍ مناميَّة طوت له

المسافات طيًا كبيرًا كما يراه متتبع الأثبات المتأخرة، وقد تكلَّمت على مثل هذا التغالي في كتاب (الطالع السعيد في مهمات الأسانيد)، والذي أُراه أنَّه لم يؤت هؤلاء المتولعون بذلك إلَّا ممَّا أحاط بأزمنتهم المتأخرة من ضعف العلم، وموت التحقيق، وذهاب رجال النَّظر والاستدلال، اللهم إلَّا بقايا غمرهم ذاك المحيط، فلم يكن لهم صوت إلَّا داخل بيوتهم أو مدارسهم أو في مؤلفاتهم، وإلَّا فمتى عهد من أئمة الحديث، وأبطال الرواية من السَّلَف أن يعولوا في الرواية على منام أو تخيل جني ؟ هل سُمع ذلك من أمثال البخاريِّ ومسلم، بل ممَّن هو دونهما بمراحل، ممَّن جمع الأجزاء، والمعاجم ؟ كلا فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

وبالجملة فحيلة السَّند معرفة رجاله وطبقاتهم، وكما بدئ هذا الأمر بانتقاء الرِّجال وتخيرهم، فكذا يكون فيمن يوصلنا بهم، ولا أرى التساهل في ذلك، وإنْ ولع به مَن ولع مِن المتناظرين لِمَا أوضحنا، فلذا أسوق ما أراه أجودَ سند دمشقي لي إلى الإمام البخاري؛ لشهرة رجاله وحفظ تراجمهم، وفيه عدا عن ذلك تتويجه بالأباء والأجداد الذين أنعم الله عليهم، ورفع درجتهم بالعلم، وتسلسله بالدِّمشقيين من أوله إلى آخره، ومثل هذا معدود من لطائف الإسناد عند المحدِّثين فأقول :

أروي هذا الصحيح سماعًا لبعضه، وإجازة لباقيه، عن مولاي الإمام الوالد الأستاذ الشيخ محمَّد سعيد رحمه الله ورضي عنه، إمام جامع سنان باشا في دمشق ومدرسه .

عن والده جَدَّي العَلَّامة الشيخ قاسم بن صالح بن إسماعيل الشهير بالحلَّاق، إمام جامع سنان باشا ومدرسه أيضًا .

عن العلَّامة الشيخ الأوحد الشيخ صالح الدَّسوقي الحُسيني، إمام جامع سنان باشا ومدرسه أيضًا، وهو جدُّ جدتي لأبي .

عن الشيخ علي السليمي الدِّمشقيِّ الصَّالحي العارف بالله تعالى .

عن الشيخ عبد الغني النَّابلسي الدِّمشقيِّ .

عن نجم الدِّين محمَّد الغَزِّي الدِّمشقيِّ .

عن والده بدر الدين محمد الغَزِّي الدِّمشقيّ .

عن تقي الدِّين أبي بكر ابن قاضي عَجْلُون الدِّمشقيّ .

عن خاتمة حُفّاظ الدِّيار الشَّامية شمس الدِّين محمَّد بن أبي بكر الشهير بابن ناصر الدِّين الدِّمشقيّ .

عن علاء الدِّين علي بن أبي المجد بن الصائغ الدِّمشقيّ .

عن أبي العبَّاس أحمد بن أبي طالب الحَجَّار الدِّمشقيّ الصَّالحيّ قال :

حدَّثنا الحُسين بن المبَارك الزَّبيدي بصالحية دمشق قال :

حدَّثنا عبد الأول بن عيسى السِّجزيُّ الهرَويُّ قال :

حدَّثنا عبد الرحمن بن محمَّد بن المظفَّر الدَّاووديُّ قال :

حدَّثنا عبد الله بن أحمد بن حمُّويه السَّرَخسيُّ قال :

حدَّثنا محمَّد بن يوسف الفِرَبريُّ قال :

حدَّثنا مؤلِّفه محمَّد بن إسماعيل البخاريُّ رحمه الله .

وقد آثرتُ طول السَّند لِمَا ذكرتُ، وإلَّا فقد استخرجتُ سندًا قريبًا إلى البخاريِّ من طبقات رجال إسناده لا أعلم أقرب منه على التحقيق، فيه طي واسطة الإسناد المشتهر الآن بأنَّه أقرب سند إلى البخاري، وقد ذكرتُه مع تنوع أسانيدي في (الطالع السعيد) الذي نوَّهت به، ومع مجاراتنا لما أُلِّف مِن مثل هذا، فإنَّ اغتباطنا بفقه الدِّرَاية لا بالقُرب ولا بسرد الرِّواية في المطبوع: الدراية فلله الحمدُ في الأولى والآخرة.

- ما نظم في مدح البخاري وكتابه الجامع الصحيح :

من ذلك ما قال الإمام الشهير أبو حَيَّان الأندلسي :

أَسَامِعَ أَخْبَارَ الرَّسولِ لك البُشرى لقد سُدتَ في الدُّنيا وقد فُزْت في الأُخرى

تُشَنَّفُ آذانًا بعقدِ جَوَاهرٍ تَوَدُّ الغَوَاني لو تُقَلِّدُهُ النَّحرا

جَواهر كم حَلَّت نفوسًا نفيسةً فحلَّت بها صَدْرًا وجَلَّتْ بها قَدْرا

هَل الدِّينُ إلَّا ماروته أَكابرٌ لنا نَقَلوا الأَخبارَ عن طَيِّبٍ خَبرا

وأدُّوا أحاديث الرَّسُول مصونةً عن الزَّيف والتَّصحيف فاستوجبوا الشُّكرا

وإنَّ البُخاريَّ الإمامَ لجامعٌ بجامعهِ منها اليواقيتَ والدُّررا

على مَفْرِقِ الإسلام تاجٌ مُرَصَّعٌ أضاءَ به شمسًا ونارَ به بَدرًا

وبحرُ علومٍ يلفظُ الدُّرَّ لا الحصى فَأَنْفِسْ بها دُرًّا وأعظم به بحرا

تَصانيفُهُ نَوْرٌ ونُوْرٌ لناظرٍ فَقَد أَشْرَقَتْ زُهْرًا وقد أينَعَت زَهْرا

نحا سُنَّةَ المخْتَارِ ينظِمُ شَتَّها يُلخِّصها جمعًا ويُخْلِصُهَا تِبرا

وكَم بَذَلَ النَّفْسَ المِصُونةَ جاهدًا فجاز لها بحرًا وجَابَ لها بَرا

فطورًا عِراقيًّا وطورًا يمانيًا وطورًا حِجَازيًّا وطورًا أتى مصرا

إلى أن حَوى منها الصَّحيحَ صَحِيفَةً فوافى كتابًا قد غدا الآيةَ الكُبرى

كتابٌ له مِنْ شَرْعِ أحمدَ شِرْعَةٌ مُطَهَّرةٌ تعلو السَّماكين والنسر

ومن ذلك قول بعض الفُضلاء :

أعيا فُحُول العِلْم حَلَّ رموزِ ما أبداهُ في الأبواب من أسرارِ

فازوا من الأوراق منه بما جَنَوْا منها ولم يَصِلوا إلى الأثمار

ما زال بِكْرًا لم يُفضَّ ختامُه وعُراه ما حلَّت عن الأزرار

حجبت معانيه التي أَوراقها ضرُبت على الأبواب كالأستار

مِنْ كُلِّ باب حين يفتح بعضه ينهار مِنْهُ العِلْمُ كالأنهارِ

لا غَرْو إنْ أمسى البُخاريُّ للورى مِثْلَ البحار لمنشأ الأَمْطَارِ

خَضَعَتْ له الأَقْرَانُ فيه إذا بدى خَرُّوًا على الأذقان والأكوارِ

هذا ما يَسَّر الله سبحانه من فضله جمعه من ترجمه البخاريِّ، وقد أعددته درسًا يقرأ يوم ختام جامعه الصحيح؛ ليقف متحمِّله على فضله الرَّجيح، أغدقَ اللهُ على جَدَثه سحائبَ الرَّحمة والرضوان، وغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمؤمنين إنَّه ولي الفضل والإحسان.

81- شرح أول حديث في صحيح الإمام البخاري[1]

الكتاني محمد بن جعفر بن إدريس (ت 1345)

قال رحمه الله: البخاريُّ: هو الشيخ الإمام، الحافظ الحجة الهمام، قدوة أهل الإسلام، وخاتمة الجهابذة النقاد الأعلام، أمير المؤمنين في الحديث، وطبيب علله في القديم والحديث، وشيخ المشايخ في الرواية والحديث، أبو عبد الله، سيدي محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَة _معناه بلسان أهل بُخارى: الزراع_ بن الأحنف، الجعفيُّ ولاءً، الفارسيُّ نسبًا، البخاريُّ بلدًا، نسبةً إلى بخارى؛ بلدة معروفة من أعظم مدن ما وراء النهر، بينها وبين سمرقند ثمانية أيام، نسب إليها؛ لتولده فيها، وطار ذلك حتى صار لفظ البخاريِّ بمنزلة العَلَم له ولكتابه، كان جدُّ جدِّه بَرْدِزْبَة فارسيًّا، على دين قومه فارس، وأسلم ولده المغيرة على يد اليمان بن أخنس الجعفيّ والي بخارى، فنُسِب إليه نسبة ولاءٍ، عملًا بمذهب من يرى أنَّ من أسلم على يد شخص؛ كان ولاؤه له، وأمَّا جدُّه إبراهيم؛ فلم يقف الحافظ ابن حجر ولا غيره على شيء من أخباره، وكأنه لم ينظر في العِلم، ووالده إسماعيل كان من ثقات المحدثين، وأحد العلماء الورعين، ذكره ابن حبَّان في «الثقات» وابنه البخاريُّ في «التاريخ الكبير»، يروي عن مالك، وحمَّاد بن زيد، وصحب ابن المبارك، وروى عنه العراقيون، ويحكى عنه أنَّه قال: لا أعلم في جميع مالي درهمًا من شبهة.

ووُلِد هو _أعني: البخاري_ ببخارى يوم الجمعة، بعد صلاتها، لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال، سنة أربع وتسعين ومئة، وتوفي أبوه إسماعيل وهو صغير، فنشأ يتيمًا في حجر والدته، وكان نحيف الجسم، مربوعًا، ليس بالطويل ولا بالقصير، وذهبت عيناه في صغره، فرأت والدته

---

[1] شرح أول حديث في صحيح الإمام البخاري

دار الكمال المتحدة. 1440 الطبعة: 1- قوبل بإشراف محمد طاهر شعبان

سيِّدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في المنام، فقال لها: قد ردَّ الله على ولدك بصره بكثرة دعائك له، فأصبح وقد رَدَّ الله عليه بصره.

وأُلهِمَ طلب الحديث وله عشر سنين بعد خروجه من المكتب، ولما بلغ إحدى عشرة سنة؛ ردَّ على بعض مشايخه ببخارى غلطًا وقع له في سندٍ حتى أصلح كتابه من حفظ البخاريِّ، وكان يحفظ وهو صبيٌّ قبل البلوغ سبعين ألف حديث سَرْدًا، فلما بلغ ست عشرة سنة؛ حفظ كتب ابن المبارك ووكيع، وعرف كتب أصحاب الرأي، ثمَّ خرج مع أمِّه وأخيه أحمد إلى مكة، فرجع أخوه، وأقام هو لطلب الحديث، فلما طعن في ثماني عشرة سنة؛ صنَّف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وصنَّف بالمدينة المنورة عند التربة المطهرة «تاريخه الكبير» في الليالي المقمرة، وكتبوا عنه، وما في وجهه شعرة، وسنُّه ثماني عشرة سنة .

ولما رجع إلى مكة؛ ارتحل إلى سائر مشايخ الحديث في أكبر المدن والأقاليم، وأخذ عنهم، وكان إذا نظر في كتابٍ مرة واحدة؛ حفظ ما فيه، وكان يقول: أحفظ مئة ألف حديث صحيح، ومئتي ألف حديث غير صحيح؛ أي: باعتبار كثرة طرقها، مع عدِّ المكرر، والموقوف، وآثار الصحابة والتابعين وغيرهم، وفتاويهم، مما كان السلف يطلقون على كلِّه حديثًا، وكان يقول: دخلت بلخ، فسألني أهلها أن أملي عليهم مِن كلِّ مَن كتبتُ عنه، فأمليتُ ألف حديث عن ألف شيخ .

ولبلوغ نهايته في معرفة علل الحديث كان مسلم بن الحجاج يقول له: دعني أقبِّل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيِّد المحدِّثين، ويا طبيب الحديث في علله، وقال الترمذي: لم أر أحدًا بالعراق ولا بخراسان في ذلك أعلم منه .

وكان يحضر مجلسه زهاء _أي: قدر_ عشرين ألفًا.

ومن مناقبه: تقليل الأكل جدًّا، حتى انتهى أكله إلى تمرة أو لوزة في كل يوم من غير ضرر، ذكر ذلك في «العهود المحمدية»، ومناقبه وأحواله أفردت بالتآليف العديدة، وقد قال أحمد: ما أخرجتْ خراسان مثله، وقال غير واحد: هو فقيه هذه الأمة، وقال ابن خزيمة: ما تحت أديم السماء أعلمُ بالحديث منه، وقال إسحاق ابن راهويه: يا معشر أصحاب الحديث؛

انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه، فإنه لو كان في زمن الحسن البصريّ؛ لاحتاج إليه؛ لمعرفته بالحديث وفقهه .

وقال التاج السُّبكيُّ في «طبقاته»: كان البخاريُّ إمام المسلمين، وقدوة المؤمنين، وشيخ الموحدين، والمعوَّل عليه في أحاديث سيد المرسلين .

وقال ابن كثير: كان إمام الحديث في زمانه، والمقتدى به في أوانه، والمقدَّم على سائر أقرانه، وكتب إليه أهل بغداد كتابًا يقولون فيه:

المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد

وهو أوَّل من صنَّف في الحديث الصحيح المجرَّد، لم يُخَلِّط معه غيره، ولذلك سُمِّي كتابه هذا بـ«الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه.«

وأجمع المحققون على أنَّه أصحُّ كتابٍ بعد القرآن، وقال الذهبيُّ في «تاريخ الإسلام»: هو أجلُّ كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله، قال: ولو رحل الشخص لسماعه من ألف فرسخ؛ لما خابت رحلته .

وعن أبي زيد المروزيِّ قال: كنت نائمًا بين الركن والمقام، فرأيت النبيَّ صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي: «يا أبا زيد؛ إلى متى تدرس كتاب الشافعيِّ، وما تدرس كتابي؟» فقلت: يا رسول الله؛ وما كتابك؟ قال: جامع محمد بن إسماعيل.

وقد قال رضي الله عنه: الحامل لي على تأليفه أنني رأيتُني واقفًا بين يدي النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وبيدي مروحة أذبُّ عنه، فعُبِّر لي بأني أذبُّ عنه الكذب، وكان يقول: صنَّفتُ كتابي هذا في المسجد الحرام، وما وضعتُ فيه حديثًا إلا بعد ما استخرت الله تعالى، وصليتُ ركعتين، وتيقنتُ صحته .

ويقول أيضًا: ما وضعت فيه حديثًا إلا اغتسلت قبل ذلك، وصليتُ ركعتين، وكان هذا الغسل ـــفيما قيلـــ بماء زمزم، والصلاة خلف المقام، وهذا على أنَّه صنَّفه بمكة، وهو ما نقل عنه، كما تقدَّم قريبًا، وقيل: صنَّفه ببخارى، قاله ابن طاهر، وقيل: بالبصرة، وقيل: بالمدينة، وجمع: بأنه كان يصنِّف فيه في هذه البلاد كلِّها .

وعن جماعة من المشايخ: أنَّه حول تراجمه ــأي: نقلها من المبيضة إلى المسودةــ في الرَّوضة المباركة، بين قبره عليه السلام ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين .

وكان يقول أيضًا: أخرجته من نحو ستِّ مئة ألف حديث، وصنَّفته في ستَّ عشرة سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله، وما أدخلت فيه إلا صحيحًا، وما تركت من الصحيح أكثر؛ لئلَّا يطول.

وقال ابن أبي جمرة: قال لي من لقيت من العارفين، عمَّن لقيه من السادة المقَرِّ لهم بالفضل: إنَّ «صحيح البخاريِّ» ما قُرِئَ في شدَّة إلا فُرِجَت، ولا رُكِب به في مركب فغرقت، قال: وكان مجاب الدعوة، وقد دعا لقارئه، ولبعضهم :

كتاب البخاريِّ واظب على قراءته في اشتداد النوائب

فهو المجرَّب ترياقه للسع أفاعي هجوم المعايب

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير: وكتاب البخاريِّ يستسقى بقراءته الغمام، وأجمع على قبوله وصحة ما فيه أهلُ الإسلام، ونقل ابن ملكان في «شرح مشكاة المصابيح» عن بعضهم: أنَّه يُسمَّى التِّرياق المجرَّب، وعن السيِّد جمال الدِّين عن عمِّه السَّيِّد أصيل الدِّين قال: قرأت «البُخاريَّ» مئة وعشرين مرَّةً للوقائع وللمهمَّات لي ولغيري، فحصَّل المرادات، وقضى الحاجات.

وأعلى ما عنده فيه الثلاثيات؛ وهي بالمكرر اثنان وعشرون حديثًا، وبإسقاط المكرر ستة عشر حديثًا، وقد جمعها الحافظ ابن حجر وغيره، وأنزل ما عنده الثماني، كذا في «شرح التقريب» للحافظ السخاويِّ .

وقال غيره: أنزل ما عنده التساعيات، وهذا هو الصواب؛ لأنَّه وقع له حديث تساعي في آخر (كتاب الفتن) قال فيه: حدَّثنا إسماعيل: حدثني أخي، عن سليمان، عن محمَّد بن أبي عتيق، عا ابن شهابٍ، عن عروة بن الزبير: أنَّ زينب بنت أبي سلمة حدثته، عن أم حبيبة بنت أبي سفيان، عن زينب بنت جحش: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها

يومًا فزعًا...؛ الحديث .

قال في «إرشاد الساري»: هذا الحديث يقال: إنه أطول مسند في البخاريِّ، فإنَّه تساعيٌّ.

وجملة ما فيه من الكتب مئة وشيء، ومن الأبواب ثلاثة آلاف وأربع مئة وخمسون بابًا، مع اختلاف قليل في نسخ الأصول، ومن الأحاديث المسندة _على ما حرره الحافظ ابن حجر بالأحاديث المكررة سوى المعلقات والمتابعات_ سبعةُ آلاف _بالموحَّدة بعد السِّين_ حديث وثلاث مئة وسبعة وتسعون حديثًا، وبدون المكررة ألفان وست مئة وحديثان، وقال في «الفتح» في (باب كفران العشير): ألفان وخمس مئة وثلاثة عشر حديثًا لا غيرها .

وفيه من التعاليق: ألف وثلاث مئة وأحد وأربعون، وأكثرها مكرر مخرج في أصول متونه، والذي لم يخرجه مئة وستون .

وفيه من المتابعات والشبيه على اختلاف الروايات: ثلاث مئة وأربعة وأربعون.

وما فيه من أحاديث وأقوال الصحابة وغيرهم بغير إسناد؛ فإن كان بصيغة الجزم؛ كـ(قال) و(روى)؛ فهو حُكمٌ منه بصحته، وما كان بصيغة التمريض؛ كـ(قيل) و(رُوِيَ)؛ فليس فيه حكم بصحته، ولكن ليس هو واهيًا، إذ لو كان كذلك؛ ما أدخله في «صحيحه.«

وشرطه كمسلم اتصال الإسناد بنقل الثقة عن الثقة من مبتدأه إلى منتهاه، من غير شذوذ ولا علة، وإن كان للصحابي راويان فصاعدًا فحسن، وإن لم يكن له إلا راوٍ واحد؛ أخرجاه إذا صحَّ الطريق إلى ذلك الراوي، هذا هو الظاهر في شرطهما، خلافًا لما ذكره الحاكم وغيره، فإنَّه مردود؛ لأن البخاريَّ يشترط في رواته المعاصرة لكلِّ واحدٍ من الرُّواة لمن يروي عنه، واللُّقيَّ له ولو مرة واحدة، واكتفى مسلم بالمعاصرة فقط .

ويطلق شرطهما على اتفاقهما في المشايخ الذين أخذا الحديث عنهم، فيقال: هذا الحديث على شرط الشيخين، بمعنى أنَّ المشايخ الذين رووه روى لهم الشيخان في «صحيحيهما» بأعيانهم، ويقال: على شرط البخاريِّ؛ بمعنى: أنَّ البخاريَّ روى لهم بأعيانهم، أو على شرط مسلم؛ بمعنى: أنَّ مسلمًا روى لهم كذلك، وهذا عند ابن الصلاح والنوويِّ وابن دقيق العيد والذهبيِّ هو مراد الحاكم؛ لقوله في مستدركه»: على شرطهما، أو شرط أحدهما؛ أي: أنَّ

رجال ذلك الإسناد بأعيانهم في كتابيهما، أو في كتاب أحدهما، وإلا قال: صحيح فحسب، ومخالفته لذلك في بعض المواضع تحمل على الذهول، والله أعلم.

وأكثر ما روي هذا الكتاب عن البخاريِّ من طريق محمد بن يوسف الفربريِّ، وإبراهيم بن معقل النسفيِّ، وذكر عياض: أنَّه لم يدخل المغرب والأندلس إلا عنهما على كثرة رواة البخاريِّ عنه لكتابه، حتى قال الفِرَبْرِيُّ: روى «البخاريَّ» عن مؤلفه تسعون ألف رجل.
وممن رواه عن الفربريِّ: الشيوخ الثلاثة المشهورون؛ وهم: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسيُّ، وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المسْتَملي البلخي، وأبو الهيثم محمد بن مكيِّ بن زُرَاع الكُشميهنيُّ، ورواه عنهم الشيخ أبو ذر عبد بن أحمد الهرويُّ، مالكيٌّ كما ذكره الذَّهبيُّ في «التَّذكرة»، روايته أتقن الروايات تنضرها رواية ابن سعادة، وعنه أبو الوليد سليمان بن خلف الباجيُّ، وعنه أبو عليٍّ الحسين بن محمد الصدفيُّ، وعنه أبو عمران موسى بن سعادة.
وكتب بخطِّه النسخة التي رواها عنه، ويقال: إنه قرأ بها عليه مصحِّحًا لها ستين مرة، وتداولتها بعده أيدي العلماء إلى ما؟؟؟ ووضعوا عليها خطوطهم، وهي المعتمدة عند الفاسيين، ونص على جودتها وصحتها غير واحد من العلماء، كابن الأبار القضاعيِّ، وابن خاتمة، وغيرهما.
وكان الشيخ أبو محمد سيدي عبد القادر الفاسيُّ يقول: هي أفضل من الروايات التي عند الحافظ ابن حجر العسقلانيِّ، ولم يفسِّر عليها، وهي المعتمدة عندنا بالمغرب، ومنها أخذت جلُّ النسخ التي كتبها الفاسيون.
ويوجد بجلها قبل قوله: حدَّثنا الحميديُّ كتابة السند المذكور الذي هو سند أبي عمران بـ«صحيح البخاريِّ»، والأولى كتابته في ظهر النسخة أو بحاشية الكتاب؛ لأن كتابته هناك شوَّشت على كثير من الطلبة، وأوهمت أنه من أصل المؤلف، وليس كذلك.

وتتصل لنا رواية البخاريِّ برواية ابن سعادة، وأرويه أيضًا بالسند المذكور إلى شيخ الإسلام زكريا الأنصاري والقلقشندي؛ كلاهما عن ابن حجر بسنده من طريق شيخنا والدنا أدام الله وجوده، عن سيدي الوليد العراقي، وسيدي محمد بن حمدون بن الحاج؛ كلاهما عن والد الثاني شيخ حمدون، وكذا من طريق شيخنا أبي العباس سيدي أحمد بن أحمد بناني؛ كلاهما

عن إمام الحرم الإدريسيِّ وقطبه ومدرِّسه سيدي الوليد بن العربي العراقيِّ، عن سيدي حمدون بن الحاج، عن سيدي التاوديِّ بن سودة المرِّيِّ .

ويرويه سيدي أحمد البنانيُّ أيضًا عن الشيخ العلامة المدرِّس إمام الحرم الإدريسيِّ وقطبه سيدي محمد بن أحمد السنوسيِّ، عن الشيخ التاوديِّ، وسيدي عبد القادر بن شقرون عن العلامة سيدي محمد بن قاسم حبسوس، عن الشيخ الشهيد أبي محمد سيدي عبد السلام حبسوس، عن شمس الأئمة ومقتدي بره الأمة أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي، والثاني عن أبي حفص الفاسي البهي، عن شارح «الموطأ» و«الشفا» أبي الحسن علي الحريشي، عن سيدي عبد القادر الفاسي .

ويرويه سيدي التاودي أيضًا عن أبي العباس بن مبارك، عن علي الحريشي، وعن سيدي محمد بن عبد السلام البناني شارح «الاكتفاء».

ويرويه سيدي الوليد العراقيُّ أيضًا عن سيدي الطيب بن عبدان، عن سيدي محمد بن الحسن البنانيِّ العبدي، عن شارح «الاكتفاء» الشهير المذكور، عن سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، عن عم أبيه العارف بالله الفاسي، عن القصار، عن أبي العباس التسوي، عن أبي العباس الدقون، عن الإمام المراق، عن أبي عبد الله .

ويرويه القصار عن سيدي رقوان، عن عبد الله الجنوي مسروق التونسي، عن أبي زبير عبد الرحمن سفيان العاسمي السفيان، عن ابن غانم، عن أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم محمد بن يحيى الحميديِّ الشهير بالسراج، عن أبيه أبي القاسم، عن جده أبي زكريا يحيى، عن أبي البركات محمد بن محمد بن الحاج السلمي البلفيقيِّ الغرناطيِّ، عن الأستاذ أبي جعفر المنتوريِّ، عن ابن جزي، عن أبيه، عن الأستاذ أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الفهاصم، عن أبي الخطاب بن خليل، عن ابن أحمد السكوني الدمشقي المعروف بابن الخطاب أحمد، عن أحمد بن محمد بن عمر بن واحيا القيسيِّ البلنسيِّ، عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة، عن محمد أبي عمران، عن صهره أبي علي الصدفي بسنده المذكور، وربما روى أبو عبد الله بن سعادة عن الصدفي بلا واسطة .

قال بعضهم: وينبغي المحافظة على هذا السند خصوصًا عندنا في المغرب الأقصى؛ لما ذكرناه من أنَّ نسخة ابن سعادة هي المعتمدة عند أصحابنا .

وتتصل لنا أيضًا روايته عن جماعة من المشايخ؛ منهم: شيخنا أبو الحسن علي بن ظاهر الوتري المدنيُّ، عن الشيخ عبد الغني العمريِّ النقشبنديِّ الدملويِّ المدنيّ، عن الشيخ محمد عابد الأنصاري السنديِّ المدنيّ، عن الشيخ محمد صالح العمريِّ الفلاني المدنيّ، عن الشيخ محمد بن بيِّنة العمريِّ الفلانيّ المدنيّ، عن أبي الوفاء أحمد بن محمد بن العَجِل ــ كذا ضبطه الشيخ حسن بن علي العجلي ــ اليمنيِّ، عن الشيخ قطب الدين محمد بن أحمد النهروانيِّ ــ ذكر بعضهم أنه يروي عن والده علاء الدين أحمد بن محمد عن أبي الفتوح، وجمع بينهما بأنَّه سمعه من والده مرة، ومن أبي الفتوح مرة أخرى ــ عن أبي الفتوح نوزريدي أحمد بن عبد الله بن أبي الفتوح الطاووسيِّ، عن المسنِد بابا يوسف الهرويّ، عن المسند محمد بن شَاذَبَخْت الفارسيِّ الفرغانيّ، عن المسند أحد الأبدال بسمرقند المعمَّر أبي لقمان يحيى بن عمار بن مقبل بن شامان الختلانيّ، عن الفربريِّ، عن البخاريّ .

قال شيخنا أبو الحسن الوتريُّ نقلًا عن بعض أشياخه: وهذا أعلى سند يوجد في الدنيا .

نسخة رواية ابن سعادة عن الصدفي، ونسخة رواية عياض عن الصدفي، وذكر أبو العلاء إدريس بن محمد العراقيُّ الحسنيُّ: أنَّ نسخة عياض أفضل من نسخة ابن سعادة، رادًّا على من فضَّل نسخة ابن سعادة، وقال: إنَّه لا يمكن الجزم بأنَّ ابن حجر لم يقف عليها، ولا بأنه وقف، والأمر محتمل.

وكانت وفاة البخاريِّ رضي الله عنه على ذكر ليلة السبت، وقت صلاة العشاء، وكانت ليلة عيد الفطر، سنة ست وخمسين ومئتين، بخَرْتَنْك ــ بفتح الخاء في الأشهر، وقيل: بكسرها ــ وهي قرية من قرى سمرقند، على فرسخين منها، وبها دُفِن، وله من العمر اثنان وستون سنة إلا ثلاثة عشر يومًا، وما أحسن قول الكمال بن أبي شريف: ولد في صِدْقٍ، ومات في نور، ولما دُفِن؛ فاحت من تراب قبره رائحة الغالية التي هي أطيب من المسك، واستمرت أيامًا كثيرة، حتى تواترت عند جميع أهل البلاد، رضي الله عنه، ونفعنا به، آمين.

82- كوثر المعَاني الدراري في كشفِ خبايا صحيحْ البخاري[1]

محمد الخضر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني (ت1354هـ)

قال رحمه الله: تعريف البُخاري

البُخَارِيُّ: هو أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغِيرة ابن بَرْدِزْبَهْ –بفتح الباء وسكون الراء وكسر الدال وسكون الزاي وفتح الباء ثم هاء ساكنة– الجُعْفِيُّ ومعناه بالفارسية الزراع، كان بَرْدِزْبَه فارسيًّا على دين قومه، ثم أسلم ولده المغيرة على يد اليمان الجُعْفِي، وأتى بخارى، فنسب إليه نسبة ولاء، عملًا بمذهب من يرى أن من أسلم على يده شخص كان ولاؤه له، وإنما قالوا له: الجعفي لذلك. وأما ولده إبراهيم فلم أقف على شيء من أخباره.

ولد البُخاري يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومئة ببُخارى، ومات أبوه وهو صغير، ونشأ في حِجْر أمه، ثم حجَّ مع أمه وأخيه أحمد، وكان أسن منه، سنة عشر ومئتين، فأقام هو بمكة مجاورًا يطلب العلم، ورجع أخوه أحمد إلى بخارى ومات بها.

وروى غُنجار في "تاريخ بُخارى" واللّالكائيُّ في "شرح السنة" في كرامات الأولياء، أن محمَّد بن إسماعيل ذهبت عيناه في صغره، فرأت والدته الخليل إبراهيم عليه السلام في المنام، فقال لها: يا هذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك، فأصبح وقد رد الله عليه بصره.

وقال محمَّد بن أبي حاتِمٍ، وَرّاق البخاري: سمعت البخاري يقول: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب، قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك؟

---

[1] كوثَر المعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري–مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى، 1415 هـ – 1995 م

قال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب فجعلت اختلف إلى الدَّاخِلِيّ، فقال يومًا فيما كان يقرأ للناس: سفيان، عن أبي الزُّبير، عن إبراهيم، فقلت: إن أبا الزُّبير لم يرو عن إبراهيم فانْتَهَرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك، فدَخَلَ، فنظر فيه فَرَجَعَ، فقال: كيف هو يا غلام؟ فقلت: هو الزُّبَيْر، وهو ابن عَدِيّ عن إبراهيم، فأخذ القلم، وأصلح كتابه وقال لي: صدقت، فقال له إنسان: ابن كم كنت حين رَدَدْتَ عليه؟ فقال: ابن إحدى عشرة سنة، قال: ولما طَعَنْت في ثاني عشرة صنفت كتاب "قضايا الصحابة والتابعين"، ثم صنفت "التاريخ" في المدينة عند قبر النبي – صلى الله عليه وسلم – وكنت أكتبه في الليالي المقمرة، قال: وقَلَّ اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة، إلا أني لا أريد أن أُطَوِّل الكتاب.

وقال محمَّد بن أبي حاتم الورّاق عن البُخاري: كنت في مجلس الفريابِي، فقال: حدثنا سفيان، عن أبي عُروة، عن أبي الخَطّاب، عن أبي حَمْزة، فلم يعرف أحد في المجلس مَنْ فوق سفيان، فقلت لهم: أبو عروة هو مَعْمر بن راشد، وأبو خطاب: هو قَتادة بن دعامة، وأبو حمزة: هو أنس بن مالك، قال: وكان الثَّوْرِيُّ فعولًا لذلك، يعني المشهورين.

وقال حاشِد بن إسماعيل: كان البُخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة، وهو غلامٌ، فلا يكتُبُ حتى أتى على ذلك أيام، فلُمناه بعد ستة عشر يومًا، فقال: قد أكثرتم عليّ فاعرضوا علي ما كَتَبْتُم، فأخرجناه، فزاد على خمسةَ عشر ألف حديث، فقرأها كلَّها عن ظهرِ قلبٍ حتى جَعَلْنَا نُحْكِمُ كتبنا من حفظه.

وقال محمَّد بن الأزهر السِّجِسْتاني: كنت في مجلس سُليمان بن حرب، والبخاري معنا، يسمع ولا يكتُب، فقيل لبعضهم: ماله لا يكتب؟ فقال: يرجِع إلى بخارى ويكتب من حفظه.

زهده وحسن سيرته

ومن زهده وحسن شمائله وفضائله ما حكاه ورّاقه أنه ورث من أبيه مالًا جليلًا، وكان أبوه يقول: لا أعلم من مالي درهمًا من حرام، ولا درهمًا من شبهة، فكان البخاري يعطيه مقارضة، فقطع غريم له خمسة وعشرين ألفًا، فقيلَ له: استعن بكتاب الوالي، فقال: إن أخذت منهم كتابًا طمِعوا، ولن أبيع ديني بدنياي، ثم صالح غريمه على أن يعطيه كل شهر عشرة دراهم، وذهب ذلك المال كله.

وقال غُنجار في "تاريخه": كان حُمِلَ إلى محمَّد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه أبو حَفْص، فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية، وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال لهم: انصرفوا الليلة، فجاءه من الغد تجار آخرون، فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف درهم، فردهم، وقال: إني نويت البارحة أن أدفعها إلى الأولين، فدفعها لهم، وقال: لا أُحب أن أَنْقُضَ نيتي. وقال ورَّاقُهُ: سمعته يقول: خرجت إلى آدم بن أبي إياس، فتأخرت نفقتي حتى صرت آكل حشيش الأرض، فلما كان في اليوم الثالث أتاني رجل لا أعرفه، فأعطاني صرة فيها دنانير، قال: وسمعته يقول: كنت أستغل في كل شهر خمس مئة درهم، فأنفقها في طلب العلم، وما عند الله خير وأبقى.

وقال عبد الله بن محمَّد الصيّار: كنت عند محمَّد بن إسماعيل في منزله، فجاءته جاريته، وأرادت دخول المنزل، فعثرت على محبرة بين يديه، فقال لها: كيف تمشين؟ فقالت له: إذا لم تكن طريق كيف أمشي؟ فبسط يديه، وقال: اذهبي، فقد أعتقتك، قيل له: يا أبا عبد الله أغضبتك؟ قال: فقد أرضيت نفسي بما فعلت.

وقال ورّاقُهُ: سمعته يقول: لا يكون لي خصم يوم القيامة، فقلت: إن بعض الناس ينقِمون عليك "التاريخ" يقولون: فيه اغتياب الناس، فقال: إنما روينا رواية ولم نَقُلْه من عند أنفسنا، وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "بئس أخو العشيرة" قال: وسمعته يقول: ما اغتبت أحدًا قطُّ منذ علمت أن الغيبة حرام، قال: وكان يقول: إني لأرجو أن ألقى الله، ولا يحاسبني أني اغتبت أحدًا.

وقال أبو بكر بن المنِير: كان محمَّد بن إسماعيل يومًا يصلي، فلسعه الزُّنبور سبع عشرة مرة، فلما قضى صلاته قال: انظروا أي شيء هذا الذي آذاني في صلاتي، فنظروا فإذا الزنبور قد ورّمه في سبعة عشر موضعًا، ولم يقطع صلاته، وقال: كنت في آية فأحببت أن أُتمَّها.

وقال أبو الحسن يوسف بن أبي ذَرّ: كان محمَّد بن إسماعيل قد مرض فعرضوا ماءه على الأطباء، فقالوا: إن هذا الماء يشبه ماء بعض أساقفةِ النَّصارى، فإنهم لا يَأْتَدِمُون، فصدقهم، وقال: لم أئتدم منذ أربعين سنةً، فسألوا عن علاجه، فقالوا: علاجه الأدم، فامتنع حتى ألح عليه المشايخ، وأهل العلم، فأجابهم إلى أن يأكل مع الخبز سكرة.

وقال الحاكم: كان محمَّد بن إسماعيل إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلي بهم، ويقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أن يختم القرآن، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختِم عند السحر في كل ثلاث ليال، وكان يختِم بالنهار في كل يوم ختمة، ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة، ويقول: عند كل ختمة دعوة مستجابة.

وقال ورّاقه: كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القَيْظ، فكنت أراه يقوم في الليلة خمس عشرة مرة إلى عشرين، في كل ذلك يأخذ القدّاحة، فيُوري نارًا بيده ويُسرج، ويخرّج أحاديث، فيعلم عليها، ثم يضع رأسه، فقلت له: إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقِظُني، قال: أنت شاب فلا أحب أن آخذ عليك نومك، وكان يصلي وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة، قال: وكان معه شيء من شَعْرِ النبي - صلى الله عليه وسلم - جعله في ملبوسه. وقال محمَّد بن منصور: كنا في مجلس أبي عبد الله البخاري فرفع إنسان قذاة من لحيته، وطرحها على الأرض، فرأيت البخاري ينظر إليها وإلى الناس، فلما غَفَلَ الناس رأيته مد يده، فرفع القَذاة من الأرض فأدخلها في كمه، فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها، ووضعها على الأرض، فكأنه صان المسجد عما تُصان عنه لحيته، وأخرج الحاكم في "تاريخه" من شعره قوله:

اغْتنمْ في الفراغ فَضْلَ رُكُوعٍ ... فَعسى أنْ يكُونَ مَوتُك بَغتَهْ

كَم صحيحٍ رأيْتَ من غَيْرِ سُقْمٍ ... ذَهَبَتْ نفسهُ الصَّحيحةُ فَلْتهْ

ومن العجيب أنه مات بغتة كما يأتي، ولما نعي له عبد الله بن عبد الرحمن الدّارِميُّ الحافظ أنشد:

إنْ عِشْتَ تُفجع بالأحِبّةِ كلِّهم ... وفناءُ نَفْسِك لا أبالَكَ أفْجعُ

ثناء أشياخه عليه

ومن ثناء أشياخه عليه ما رواه ورَّاقُه، قال: سمعت البخاري يقول: كان إسماعيل بن أبي أُوَيس إذا انتخبت من كتابه نسخ تلك الأحاديث لنفسه، وقال: هذه أحاديث انتخبها محمَّد بن إسماعيل من حَديثي، قال: وقال لي ابن أبي أُوَيْس: انظر في كتبي وجميع ما أملك لك، وأنا شاكرٌ لك أبدًا ما دمت حيًا.

وقال أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزُّهْرِيّ: محمَّد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر بالحديث من أحمد بن حَنْبل، فقال له رجل: جاوزت الحد، فقال له أبو مصعب: لو أدركت مالكًا، ونظرت إلى وجهه ووجه محمَّد بن إسماعيل، لقلت: كلاهما واحد في الحديث والفقه.

وقال عبدانُ بن عُثمان المَرْوَزِيُّ: ما رأيت شابًّا أبصر من هذا، وأشار إلى محمَّد بن إسماعيل.

وقال قتيبة بن سعيد: جالست الفقهاء والزهاد والعباد، فما رأيت منذ عَقَلْتُ مثل محمَّد بن إسماعيل، وهو في زمانه كعمر في الصحابة. وقال أيضًا: لو كان محمَّد بن إسماعيل في الصحابة لكان آية، وسأله أيضًا رجل عن محمَّد بن إسماعيل، فقال: يا هؤلاء نظرت في الحديث وفي الرأي، وجالست الفقهاء والزهاد والعباد، فما رأيت منذ عَقلْت مثل محمَّد بن إسماعيل. وسئل يومًا عن طلاق السكران، فدخل البُخاري، فقال: قُتيبة للسائل: هذا أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهَوَيه، وعلي بن المِديني، قد ساقهم الله إليك، وأشار إلى البُخاري. وقال أيضًا: رُحِلَ إليّ من شرق الأرض وغربها، فما رَحَلَ إلي مثل محمَّد بن إسماعيل، ولما حُكي ذلك لمهيار، قال: صدق قُتيبة، أنا رأيته مع يحيى بن مَعين، وهما جميعًا يختلفان إلى محمَّد بن إسماعيل، فرأيت يحيى منقادًا له في المعرفة.

وقال أحمد بن حَنْبل: ما أخرجت خراسان مثل محمَّد بن إسماعيل.

وسأله عبد الله ابنه عن الحفاظ، فقال: شُبّان من خُراسان، فعده فيهم، وبدأ به.

ولما قدم البَصْرة قال مُحمد بن بَشّار: قدم اليوم سيد الفقهاء، وقال أيضًا: ما قدم علينا مثل محمَّد بن إسماعيل، وقال أيضًا: أنا أفتَخِرُ به منذ سنين.

وقال عبد الله بن يوسف التِّنيسيّ للبُخاري: يا أبا عبد الله انظر في كتبي وأخبرني بما فيها من السَّقط، فقال: نعم.

وقال: دخلت على الحُميدِيّ وأنا ابن ثمان عشرة سنة، أول سنة حج، فإذا بينه وبين آخر اختلاف في حديث، فلما بَصرني، قال: جاء من يفصِلُ بيننا، فعرضا عليّ الخصومة، فقضيت للحُمَيْدي، وكان الحق.

وقال البخاري: قال لي مُحمد بن سلام: انظر في كُتبي فما وجدت فيها من خطأ فاضرب عليه، فقال له بعض أصحابه: من هذا الفتى؟ فقال: هذا الذي لَيس له مثله، وكان محمَّد بن سلام يقول: كلما دخل عليَّ محمَّد بن إسماعيل: تحيرت ولا أزال خائفًا، يخشى أن يخطئ

بحضرته، وقال سليم بن مجاهد: كنت عند محمَّد بن سلام فقال لي: لو جئت قبل لرأيت صبيًّا يحفظ سبعين ألف حديث.

وقال حاشد بن إسماعيل: رأيت إسحاق بن راهَوَيه جالسًا على المنبر، والبخاري جالس معه، وإسحاق يُحَدِّثُ بحديث، فأنكره محمَّد، فرجع إسحاق إلى قوله، وقال: يا معشر أصحاب الحديث انظروا إلى هذا الشابِّ، واكتُبوا عنه، فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن البَصْرِيّ لاحتاج إليه، لمعرفته في الحديث وفقهه، وقال البخاري: أخذ إسحاق بن راهَوَيه كتاب "التاريخ" الذي صنفته، فأدخله على عبد الله بن طاهر الأمير، فقال له: أيها الأمير لا أُريك سحرًا.

وقال أبو بَكْرٍ المدِيني: كُنّا يومًا عند إسحاق بن راهَوَيه، ومحمد بن إسماعيل حاضر، فمر إسحاق بحديث، ودون صحابيه الكنجاراني، فقال إسحاق: يا أبا عبد الله: أيش هي كنجاران؟ فقال قرية باليمن، كان معاوية بعث هذا الرجل الصحابي إلى اليمن، فسمع منه عطاء هذا حديثين، فقال له: يا أبا عبد الله كأنك شهدت القوم، وقال: فَتْح بن نُوح: أتيت على ابن المديني، ومحمد بن إسماعيل جالس عن يمينه، وكان إذا حدث التفت إليه مهابةً له، وقال البخاري: ما استَصْغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المدِيني، وربما كنت أغرب عليه، فبلغ ذلك ابن المديني، فقال: دعوه فما رأى مثل نفسه.

وقال البُخاري: ما ذاكرني أصحابي عمرو بن علي الفَلّاس بحديث فقلت: لا أعرفه، فَسرُّوا بذلك، وصاروا إلى عمرو بن علي، وقالوا له: ذاكرنا محمَّد بن إسماعيل بحديث فلم يعرفه، فقال عمرو بن علي: حديث لا يعرفه محمَّد بن إسماعيل ليس بحديث.

وقال رجاء بن رجاء الحافظ: فضل محمَّد بن إسماعيل على العلماء
كفضل الرجال على النساء، وقال أيضًا: هو آية من آيات الله تمشي على الأرض.

وقال الحُسين بن حُريث: لا أعلم أني رأيت مثل محمَّد بن إسماعيل، كأنه لم يخلق إلا للحديث.

وقال أبو بكر بن أبي شَيْبة ومحمد بن نُمير: ما رأينا مثل محمَّد بن إسماعيل، وكان أبو بكر بن أبي شيبة يسميه البازل، يعني الكامل.

وقال أبو عيسى التِّرمِذي: كان محمَّد بن إسماعيل عند عبد الله بن مُنير، فقال له لما قام: يا أبا عبد الله! جعلك الله زين هذه الأمة، قال أبو عيسى: فاستجاب الله تعالى فيه، وكان عبد الله بن مُنير يكتب عنده ويقول: أنا من تلامذته وهو من أشياخه الذين روى عنهم في صحيحه.

وقال يحيى بن جعفر البِيْكَنْدِيّ: لو قدرت أن أزيد من عمري في عمر محمَّد بن إسماعيل لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموت محمَّد بن إسماعيل فيه ذهاب العلم، وكان يقول له: لولا أنت ما استطعت العيش بِبُخارى.

وقال علي بن حَجَر: أخرجت خراسان ثلاثة، البخاري، فبدأ به قال: وهو أبصرهم وأعلمهم بالحديث وأفقههم. قال: ولا أعلم أحدًا مثله.

وقال: أحمد بن إسحاق السرماري: من أحب أن ينظر إلى فقيه بحقه وصدقه، فلينظر إلى محمَّد بن إسماعيل.

وقال حاشد: رأيت عمرو بن زُرارة، ومحمد بن ربيع، عند محمَّد ابن إسماعيل، وهما يسألانه عن عِلل الحديث، فلما قاما قالا لمن حضر المجلس: لا تخدعوا عن أبي عبد الله فإنه أفقه منا وأعلم وأبصر. قال: وكنا يومًا عند إسحاق بن راهَوَيه، وعمر بن زُرارة، وهو يستملي على أبي عبد الله وأصحاب الحديث يكتُبون عنه، وإسحاق يقول: هو أبصر منا، وكان أبو عبد الله إذ ذاك شابًّا.

- ثناء أقرانه وطائفة من أتباعه عليه:

قال أبو حاتم الرّازِيّ: لم تخرج خراسان قط أحفظ من محمَّد بن إسماعيل، ولا قدم إلى العراق أعلم منه، وقال محمَّد بن حُرَيْث: سألت أبا زُرعة عن ابن لَهيعة، فقال لي: تركه أبو عبد الله يعني البُخاري.

وقال الحسين بن مُحمد المعروف بالعِجْلي: ما رأيت مثل محمَّد بن إسماعيل، ومسلم حافظ ولكنه لم يَبْلُغ مبلَغَ محمَّد بن إسماعيل، قال العِجْلي: ورأيت أبا زُرعة وأبا حاتم يستمعان إليه، وكان أمة من الأمم، ديِّنًا، فاضلًا، يحسن كل شيء، وكان أعلم من محمَّد بن يَحْيى الذهلي بكذا وكذا.

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدّارمي: قد رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق، فما رأيت فيهم أجمع من محمَّد بن إسماعيل، وهو أعلمنا، وأفقهنا، وأكثرنا طلبًا، وسُئل الدّارِمِيُّ عن حديث، وقيل له: إن البخاري صححه، فقال: محمَّد بن إسماعيل أبصر مني وهو أكيس خلق الله، عقل عن الله ما أمر به، ونهى عنه من كتابه، وعلى لسان نبيه، إذا قرأ محمَّد القرآن شَغَلَ قلبه وبصره وسمعه وتفكر في أمثاله وعرف حلاله من حرامه.

وقال أبو الطَّيِّب حاتم بن منصور: كان محمَّد بن إسماعيل آية من آيات الله في بصره، ونفاذه في العلم، وقال أبو سَهْل محمود بن النَّضْر: دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة، ورأيت علماءها، فكلما جرى ذكر محمَّد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم، وقال أبو سهل أيضًا: سمعت أكثر من ثلاثين عالمِا من علماء مصر يقولون: حاجتنا في الدنيا النظر إلى محمَّد بن إسماعيل، وقال صالح بن محمَّد جَزَرَة: ما رأيت خراسانيًّا أفهم من محمَّد بن إسماعيل، وقال أيضًا: كان أحفظهم للحديث، وكنت أستملي له ببغداد فبلغ من حضر المجلس عشرين ألفًا.

وسُئِلَ الحافظ أبو العباس الفضل بن العباس المعروف بِفَضْلك الرّازي، أيُّما أحفظ محمَّد بن إسماعيل أو أبو زرعة؟ فقال: لم أكن التقيت مع محمَّد بن إسماعيل، فاستقبلني ما بين حلوان وبغداد، فرجعت معه مرحلة، وجهدت كل الجهد على أن آتي بحديث لا يعرفه، فما أمكنني، وها أنا ذا أُغْرِبُ على أبي زرعة عدد شعر رأسه. وقال محمَّد بن عبد الرحمن الدَّغُولي: كتب أهل بغداد إلى محمَّد بن إسماعيل كتابًا فيه:

المسْلِمونَ بِخَيرٍ ما بقيتَ لَهُم ... ولَيْسَ بَعْدَكَ خَيرٌ حينَ تُفْتَقَدُ

وقال إمام الأئمة أبو بكر محمَّد بن إسحاق بن خُزَيْمة: ما تحت أديم السماء أعلمُ بالحديث من محمَّد بن إسماعيل.

وقال أبو عيسى التِّرمِذِيّ: لم أر أعلم بالعلل والأسانيد من محمَّد بن إسماعيل البخاري. وقال له مسلم: أشهد أنه ليس في الدنيا مثلك.

وقال عبد الله بن الأَخْرم: سمعت أبي يقول: رأيت مسلم بن الحجاج بين يدي البخاري، وهو يسأله سؤال الصبيّ المتعلم، وسئل أبو عبد الله ابن الأخرم عن حديث، فقال: إن البخاري لم يخرجه، فقال له السائل: قد خرجه مسلم، فقال أبو عبد الله: إن البخاري كان أعلم من مسلم ومنك ومني.

وقال أحمد بن سَيّار في "تاريخ مرو": محمَّد بن إسماعيل البخاري طلب العلم، وجالس الناس، ورحل في الحديث ومهر فيه وأبصر، وكان حسن المعرفة، حسن الحفظ، وكان يتفقه، وقال أبو أحمد بن عدي: كان يحيى بن محمَّد بن صاعد إذا ذكر البخاري قال: ذلك الكبش النَّطّاح.

وقال أبو عمرو الخفاف: حدثنا التقي النقي العالم الذي لم أر مثله محمَّد بن إسماعيل، قال: وهو أعلم بالحديث من أحمد وإسحاق بن راهَوَيه وغيرهما بعشرين درجة، ومن قال فيه شيئًا فعليه مني ألف لعنة، وقال أيضًا: لو دخل من هذا الباب وأنا أحدث لَمُلِئْتُ منه رعبًا، وقال عبد الله بن حَمّاد الأَيلي: لودِدْت أني كنت شعرة في جسد محمَّد بن إسماعيل.

وقال سليم بن مُجاهد: ما رأيت منذ ستين سنة أحدًا أفقه ولا أورع من محمَّد بن إسماعيل.

وقال موسى بن هارون الحَمّال: لو أن أهل الإِسلام اجتمعوا على أن يصيبوا آخر مثل محمَّد بن إسماعيل لما قَدَروا عليه، وقال: عبد الله بن محمَّد بن سعيد بن جعفر: سمعت العلماء بمصر يقولون: ما في الدنيا مثل محمَّد بن إسماعيل في المعرفة والصلاح، قال عبد الله بن محمَّد: وأنا أقول قولهم.

وقال الحافظ أبو العباس أحمد بن محمَّد بن عُقدة: لو أن رجلًا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن "تاريخ" محمَّد بن إسماعيل، وقال الحاكم أبو أَحْمد في الكُنى: كان أحد الأئمة في معرفة الحديث وجمعه، ولو قلت: إني لم أر تصنيف أحد يشبه تصنيفه في الحسن والمبالغة لفعلت.

- عجيب حفظه

ومن عجيب حفظه ما رواه أبو أحمد بن عدي الحافظ، قال: سمعت عدة من مشايخ بغداد يقولون: إن محمَّد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد: فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وأرادوا امتحان حفظه، فعمدوا إلى مئة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإِسناد لإِسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوها إلى عشرة أنفس، لكل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يُلقوا ذلك على البخاري، وأخذوا عليه الموعد للمجلس، فحضروا، وأحضر جماعة من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم ومن البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله، انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاري: لا أعرفه، فما زال يلقي عليه واحدًا بعد واحد حتى فرغ، والبخاري يقول لا

أعرفه، وكان العلماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: فهم الرجل، ومن كان لم يدر بعلمه يقضي على البخاري بالعجز والتقصير، وقلة الحفظ، ثم انتدب رجل من العشرة أيضًا، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال: لا أعرفه. ولم يزل يلقي عليه واحدًا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه، ثم انتدب الثالث والرابع إلى إتمام العشرة، حتى فرغوا كلهم من إلقاء تلك الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على: لا أعرفه، فلما علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول، فقال: أما حديثك الأول فقلت: كذا، وصوابه كذا، وحديثك كذا، وصوابه كذا، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، فأقر الناس له بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل، قال ابن حَجَر: وليس العجب من رده للخطأ، فإنه كان حافظًا، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة، وقد قال أبو بكر الكلْوَاذاني: ما رأيت مثل محمَّد بن إسماعيل، كان يأخذ الكتاب من العلم، فيطلع عليه اطلاعة، فيحفظ عامة أطراف الأحاديث من مرة واحدة.

وقال أبو الأَزْهَر: كان بسمرقند أربع مئة محدث، فتجمعوا وأحبوا أن يغالطوا محمَّد بن إسماعيل، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وإسناد العراق في إسناد الشام، وإسناد الحرم في إسناد اليمن، فما استطاعوا مع ذلك أن يتعلقوا عليه بسقطة.

وروى غُنجار في "تاريخه" عن يوسف بن موسى المرْوَزِي، قال: كنت بالبصرة في جامعها إذ سمعت مناديًا ينادي: يا أهل العلم، لقد قدم محمَّد بن إسماعيل البخاري، فقاموا إليه، وكنت معهم، فرأينا رجلًا شابًّا ليس في لحيته بياض، فصلى خلف الأسطوانة، فلما فَرَغَ أحدقوا به، وسألوه أن يَعْقِدَ لهم مجلسًا للإملاء، فأجابهم إلى ذلك، فقام المنادي ثانيًا في جامع البصرة، فقال: يا أهل العلم، لقد قدم محمَّد بن إسماعيل، فسألناه أن يَعْقِد مجلس الإملاء، فأجاب بأن يجلس غدًا في موضع كذا، فلما كان الغد حضر المحدثون والحفاظ والفقهاء والنظارة، حتى اجتمع قريب من كذا وكذا ألف نفس، فجلس أبو عبد الله للإملاء، فقال قبل أن يأخذ في الإملاء: يا أهل البصرة أنا شابٌّ، وقد سألتموني أن أحدثكم، وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدونها، يعني ليست عندكم، فتعجب الناس من قوله، فأخذ في الإملاء، فقال: حدثنا عبد الله بن عُثمان بن جَبَلَة بن أبي رَوّاد ببلدكم، قال حدثني أبي، عن شعبة،

عن منصور وغيره، عن سالم بن أبي الجعد، عن أنس بن مالك أن أعرابيًا جاء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله! الرجل يحب القوم .. الحديث، ثم قال: هذا ليس عندكم عن منصور يعني الذي ساقه هو عنه، إنما هو عندكم عن غير منصور، فأملى عليهم مجلسًا من هذا النسق، يقول في كل حديث: روى فلان هذا الحديث عندكم كذا، فأما من رواية فلان يعني التي يسوقها فليست عندكم.

قلت: هذه أعجب من قضية أهل بغداد السابقة لضبطه في هذه الرواية أن مِصْرًا عظيمًا مثل البَصْرة لم يرو أحد من أهله هذه الأحاديث عمن ساقها عنه.

وقال سليم بن مجاهد: قال لي محمَّد بن إسماعيل: لا أجيء بحديث عن الصحابة والتابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثًا من حديث الصحابة والتابعين –يعني من الموقوفات– إلا وله أصل أحفظ ذلك من كتاب الله وسنة رسوله.

وقال علي بن الحُسين بن عاصم: قدم علينا محمَّد بن إسماعيل، فقال له رجل من أصحابنا: سمعت إسحاق بن راهَوَيه يقول: كأني انظر إلى سبعين ألف حديث من كتابي، فقال له محمَّد بن إسماعيل: أتعجب من هذا القول، لعل في هذا الزمان من ينظر إلى مئتي ألف ألف من كتابه وإنما عنى نفسه.

وقال محمَّد بن حَمدويه: سمعت البخاري يقول: أحفظ مئة ألف حديث صحيح، وأحفظ مئتي ألف حديث غير صحيح، قال ورّاقه: سمعته يقول: ما نمت البارحة حتى عددت كم أدخلت في تصانيفي من الأحاديث، فإذا هو نحو مئتي ألف حديث، وقال أيضًا: لو قيل لي: تمن لما قمت حتى أروي عشرة آلاف حديث في الصلاة خاصة، وقال أيضًا: قلت له: تحفظ جميع ما أدخلت في مصنفاتك، قال: لا يخفى علي جميع ما فيها، وصنفت جميع كتبي ثلاث مرات، قال: وبلغني أنه شرب البلاذر، فقلت له مرة في خلوة: هل من دواء للحفظ، فقال: لا أعلم، ثم أقبل علي فقال: لا أعلم شيئًا أنفع للحفظ من نهمة الرجل، ومداومة النظر، وقال: أقمت بالمدينة بعد أن حججت سنة جردًا أكتب الحديث، قال: وأقمت بالبصرة خمس سنين معي كتبي، أصنف، وأحج، وأرجع من مكة إلى البصرة، قال: وأنا أرجو أن يبارك الله تعالى للمسلمين في هذه المصنفات، وقال البخاري: تذكرت يومًا أصحاب أنس فحضرني في ساعة واحدة ثلاث مئة نفس، وما قدمت على شيخ إلا كان انتفاعه بي أكثر

من انتفاعي به. وقال ورّاقه: أعمل في الهبة كتابًا فيه نحو خمس مئة حديث، وقال: ليس في كتاب وكيع في الهبة إلا حديثان مسندان أو ثلاثة، وفي كتاب ابن المبارك خمسة أو نحوها، وقال أيضًا: ما جلست للتحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم، وحتى نظرت في كتب أهل الرأي، وما تركت بالبصرة حديثًا إلا كتبته، قال: وسمعته يقول: لا أعلم شيئًا يحتاج إليه إلا وهو في الكتاب والسنة، قال: فقلت له: يمكن معرفة ذلك، قال: نعم.

وقال الحافظ أَحمد بن حَمدون: رأيت البخاري في جِنازة، ومحمد ابن يحيى الذهلي يسأله عن الأسماء والعلل، والبخاري يمر فيه مثل السهم كأنه يقرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}.

وقال البَيْهَقِيّ في "المدخل" عن أبي حامد الأعمش: سمعت مسلم ابن الحجاج وجاء إلى محمَّد بن إسماعيل فَقَبَّلَ عينيه، وقال: دعني حتى أُقبل رجليك يا أستاذ الأُسْتاذِين، ويا سيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله، حدثك محمَّد بن سلام، حدثنا مَخْلد بن يزيد، أخبرني ابن جريج، حدثني موسى بن عُقْبة، عن سُهَيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هُريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: كفارة المجلس أن يقول إذا قام من مجلسه سُبحانك ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت ... الخ، فقال له البخاري: هذا حديث مليح، ولا أعلم بهذا الإسناد في الدنيا حديثًا غير هذا، إلا أنه معلول، فإن موسى بن عُقْبة لا يذكر له مسند عن سُهيل، ولكن قل: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وُهَيْب، حدثنا سُهَيْل، عن عَوْن بن عبد الله، قال البُخاري: فهذا أولى. وفي رواية أنه لما قال له: معلول، قال مسلم: لا إله إلا الله، وارتعد، وقال: أخبرني، ثم قال له: لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أنه ليس في الدنيا مثلك.

- فضائِلُ الجامعِ الصحيح

ومن فضائل كتابه "الجامع الصحيح" ما رواه الفِرَبْري، قال: سمعت البُخاري يقول: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثًا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين، وفي رواية البُجَيْري: صنفت كتابي الجامع في المسجد الحرام، وما أدخلت فيه حديثًا حتى استخرت الله تعالى، وصليت ركعتين، وتيقنت صحته، ومعنى كونه صنفه في المسجد الحرام: أنه ابتدأ تصنيفه وترتيبه وأبوابه في المسجد الحرام، ثم كان بعد ذلك يخرج الأحاديث في بلده وغيره، ويدل عليه قوله: صنفت "الجامع" من ست مئة حديث في ست عشرة سنة، وجعلته حجة

فيما بيني وبين الله تعالى؛ فإنه لم يجاور بمكة هذه المدة، وروى ابن عَدِيّ عن جماعة من المشايخ أن البخاري حول تراجم "جامعه" بين قبر النبي – صلى الله عليه وسلم – ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين، ولا ينافي هذا ما تقدم، لأنه يحمل على أنه في الأول كتبه في المسودة، وهنا حوله من المسودة إلى المبيضة كما يدل عليه لفظ التحويل المذكور.

وقال محمَّد بن أبي حاتم ورّاقه: رأيت البخاري في المنام خلف النبي – صلى الله عليه وسلم – ، والنبي – صلى الله عليه وسلم – يَمْشي، فكلما رفع – صلى الله عليه وسلم – قدمه وضع البخاري قدمه في ذلك الموضع، وروى الخطيب عن نَجْم بن فُضَيْل، وكان من أهل الفَهْم، قال: رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – في المنام خَرَجَ من قبرِهِ، والبخاري يمشي خلفه، فكان النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا خطا خَطْوة يخطو البخاري، ويضع قدمه على خطوة النبي – صلى الله عليه وسلم –.

وروى الخطيب أيضًا أن الفِرَبْرِي قال: رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – في النوم، فقال لي: أين تريد؟ قلت: أريد محمَّد بن إسماعيل، فقال: أقرئه مني السلام.

وقال أبو زيد المرْوَزِيّ: كنت نائمًا بين الركن والمقام، فرأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال لي: يا أبا زيد إلى متى تدرس كتاب الشافعي، ولا تدرس كتابي، فقلت: يا رسول الله! وما كتابك؟ فقال: جامع محمَّد بن إسماعيل.

وقال أبو جعفر العُقَيْلِيّ لما صنف البخاري كتاب "الصحيح" عرضه على علي بن المديني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وغيرهم، فاستحسنوه، وشهدوا له بالصحة إلا أربعة أحاديث، قال العُقَيْلي: والقول فيها قول البخاري، فهي صحيحة.

وقال الحاكم: رحم الله محمَّد بن إسماعيل، فإنه هو الذي ألف الأصول وبين للناس، فكل من عمل بعده إنما أخذه من كتابه كمسلم فرق أكثر كتابه في كتابه، وتَجَلَّدَ فيه حق الجَلادة، حيث لم ينسبه إليه.

وقال أبو الحسن الدَّارَقُطْنِيُّ الحافظ: لولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء، وقال أيضًا: إنما أخذ مسلم كتاب البخاري، فعمل به مستخرجًا وزاد فيه أحاديث.

- ما وقع له مع محمَّد بن يحيى الذُّهْلِيّ

قال الحاكم في "تاريخه": لما قدم البخاري نيسابور سنة خمسين ومئتين، قال محمَّد بن يحيى الذُّهْلِيّ: اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح العالم، فاسمعوا منه، فذهب الناس إليه، فأقبلوا على السماع منه حتى ظهر الخلل في مجلس محمَّد بن يحيى، فتكلم فيه بعد ذلك.

وقال مسلم: ما رأيت واليًا ولا عالمِا فعل به أهل نَيْسابور ما فعلوا لمحمد بن إسماعيل، استقبلوه من مرحلتين من البلد أو ثلاث، وقال محمَّد بن يحيى الذُّهليّ في مجلسه: من أراد أن يستقبل محمَّد بن إسماعيل غدًا فَلْيستقبله، فإني أستقبله، فاستقبله الذُّهْلِيُّ وجميع علماء نيسابور، وازدحم الناس عليه حتى امتلأت الدار والسطوح، ثم بعد اليوم الثالث قام رجل في المجلس، فقال له: ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، فأعرض عنه، ولم يجبه ثلاث مرات، فألح عليه فقال له: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة، والامتحان بدعة، فَشَغَبَ الرجل، وقال: قد قال لفظي بالقرآن مخلوق.

وقال أبو عمر، وأحمد بن نَصْر: سمعت البخاري يقول: من زَعَمَ أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب، فإني لم أقله إلا أني قلت: أفعال العباد مخلوقة.

وقال محمَّد بن نُعيم: سألت البخاري لما وقع في شأنه ما وقع عن الإيمان، فقال: قول وعمل، ويزيد وينقص، والقرآن كلام الله، غير مخلوق، وأفضل أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، على هذا حَيِيْتُ، وعليه أموت، وعليه أبعث إن شاء الله تعالى.

وقال الحاكم: ولما وقع بين البخاري وبين الذُّهْلِيّ في مسألة اللفظ انقطع الناس عن البُخاري إلا مسلم بن الحجاج، وأحمد بن سَلَمة، فقال الذُّهلي: ألا من قال باللفظ فلا يَحِلُّ له أن يحْضُر مجلسنا، فأخذ مسلم رداءه فوق عمامته، وقام على رؤوس الناس، فبعث إلى الذُّهْلِيُّ جميع ما كتبه عنه على ظهر جمال. قال ابن حَجَر: أنصف مسلم، فلم يحدث في كتابه عن هذا ولا عن هذا.

ولما قام مُسلم وأحمد بن سَلَمة من مجلس محمَّد بن يحيى الذُّهْلِيّ بسبب البُخاري، قال الذُّهْلِيّ: لا يساكنني هذا الرجل في البلد، فخشي البخاري، وسافر، قال أحمد بن سَلَمة: دخلت على البخاري فقلت له: يا أبا عبد الله: إن هذا رجل مقبولٌ في خُراسان لا سيما في

هذه المدينة، وقد لجَّ في هذا الأمر حتى لا يقدر أحد منا أن يكلمه فيه فما ترى؟ فقبض على لحيته ثم قال: {وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [غافر: 44]. ثم قال: اللهم إنك تعلم أَني لم أرد المقام بنيسابور أَشرًا ولا بطرًا ولا طلبًا للرياسة، وإنما أبت نفسي الرجوع إلى الوطن لغلبة المخالفين، وقد قصدني هذا الرجل حسدًا لما آتاني الله لا غير، ثم قال لي: يا أحمد إني خارج غدًا لتخلصوا من حديثه لأجلي.

- رجوعه إلى بخارى

فخرج إلى بخارى، ولما رجع لها نصبت له القباب على فرسخٍ من البلد، واستقبله عامة أهل البلد حتى لم يبق مذكور، ونثر عليه الدنانير والدراهم، فبقي مدة ثم وقع بينه وبين أمير بخارى خالد بن أحمد الذُّهْلِيّ ما وقع، فأمر بخروجه، وذلك أن الأمير بعث إليه أن احمل إليَّ "الجامع" و"التاريخ" لأسمع منك، فقال البخاري لرسوله: قل له: إني لا أذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب السلاطين، فإن كانت له حاجة إلى شيء منه فليحضر في مسجدي، أو في داري، فإن لم يُعْجِبْك هذا فأنت سلطان، فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، فإني لا أكتم العلم، فكان هذا سبب الوَحْشة بينهما؛ فاستعان عليه الأمير بحُرَيْث بن أبي وَرْقاء وغيره من أهل بُخارى حتى تكلموا في مذهبه، فنفاه عن البلد، فدعا عليهم، فقال: اللهم أرِهِم ما قصدوني به في أنفسهم، وأولادهم، وأهاليهم. أما خالد فلم يأت عليه إلا أَقَلُّ من شهر حتى ورد أمر الظاهرية بأن يُنادى عليه، فنودِيَ عليه، وهو على أتان، وأشْخصَ على إكافٍ، ثم صار عاقبة أمره إلى العَزل والحبس، وأما حُرَيَثْ فابتُلى في أهله، فرأى فيها ما يَجِلُّ عن الوصف، وأما فلان فإنه ابتُلي في أولاده، فأراه الله فيهم البلايا.

قال عبد القُدوس بن عبد الجبار: فخرج البخاري إلى خَرْتَنْك -بفتح الخاء والتاء بينهما راء ساكنة، وبعد التاء نون ساكنة- قرية من قرى سَمَرْقَنْد، وكان له فيها أقرباء، فنزل عندهم، قال: فسمعته ليلة من الليالي، وقد فَرَغَ من صلاة الليل، يقول في دعائه: اللهم قد ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك، فما تَمَّ الشهر حتى قبضه الله تعالى، قال غالب بن جِبْريل الذي نزل عنده البخاري بخَرْتَنْك: إنه أقام أيامًا فمرض حتى وُجِّهَ إليه رسول من أهل سَمَرْقَنْد يلتمِسون فيه الخروج إليهم، فأجاب وتَهَيَّأَ للركوب، ولبس خُفَّيْهِ وتَعَمَّمَ، فلما مشى قدر عشرين خطوة إلى الدابة ليركبها، قال: أرسلوني، فقد ضَعُفْت؛ فأرسلناه، فدعا بدعوات،

ثم اضطجع، فقبض، فسال منه عرقٌ كثير، وكان قد قال لنا: كفنوني في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عِمامة ففعلنا، فلما أدرجناه في أكفانه وصلينا عليه، ووضعناه في قبره، فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك، ودامت أيامًا، وجعل الناس يختلفون إلى القبر أيامًا، يأخذون من ترابه حتى جعلنا عليه خشبًا مُشبكًا، قال عبد الواحد بن آدم الطَّوَاوِيْسِيُّ: رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – في النوم، ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع، فسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت له: ما وقوفك هنا يا رسول الله؟ قال: أنتظر محمَّد بن إسماعيل، قال: فلما كان بعد أيام بلغني موته، فنظرت فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت فيها النبي – صلى الله عليه وسلم – وكان ذلك ليلة السبت، ليلة عيد الفطر، سنة ست وخمسين ومئتين، وكانت مدة عمره اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يومًا، تغمده الله برحمته. ومن روى عنه البخاري يَجِلُّ عن العد، ويكفي ما في "صحيحه" لمن نظره، وكذلك من روى عن البخاري، فقد ذكر الفِرَبْري أن "الجامع الصحيح" سمعه منه تسعون ألفًا، وقد روى عنه من أشياخه خلق، ومن أقرانه خلق، وتصانيفه عدد كثير، نحو عشرين مصنفًا، كلها مفيد جدًا، انتفع به المسلمون في أقطار الأرض، وهذا القدر كاف من ترجمته، منبه على ما لم يُذكر منها، وهو كرشفة من البحر.

ولما كانت لـ"البخاري" شروح كثيرة، لا بد من الإحالة عليها، والعزو إليها، أردت أن أذكر جملة من شروحه، وها أنا أذكر منها ما ذكره القَسْطَلّاني في أوائل "شرحه".

شرحه الإمام أبو سليمان حمد بن محمَّد بن إبراهيم الخَطّابي بشرح لطيف، فيه نكت لطيفة، ولطائف شريفة، واعتنى الإمام محمَّد التَّيْمِيّ بشرح ما لم يذكره الخطابي مع التنبيه على أوهامه. وشرحه المهلب بن أبي صُفرة، وهو ممن اختصر "الصحيح". وممن شرحه أبو الزِّناد سراج، واختصر "شرح المهلب" تلميذه أبو عبد الله محمَّد ابن خَلَف بن المرابط، وزاد عليه فوائد، وهو ممن نقل عنه ابن رشيد.

وشرحه أيضًا الإمام أبو الحسن علي بن خَلَف المالكِيّ الهِندي المشهور بابن بَطّال، وغالبه في فقه الإمام مالك من غير تَعَرُّض لموضوع الكتاب غالبًا.

وشرحه أبو جعفر أحمد بن سعيد الداوودي، وهو ممن ينقل عنه ابن التِّين –بفوقية بعدها تحتانية ثم نون– السَّفَاقُسي.

وشرحه الزين بن المنير في نحو عشر مجلدات.

وشرحه أبو الأَصْبَغْ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي، وكذا الإمام قُطب الدين عبد الكريم الحَلَبِيّ الحَنَفِيّ، وكذا الإمام مُغْلُطاوي التركي، قال صاحب الكَواكب: وشرحه بِتَتْميم الأطراف أشبه، وبصحف تصحيح التعليقات أمثل، وكأنه من إخلائه عن مقاصد الكتاب على ضمان، ومن شرح ألفاظه، وتوضيح معانيه على أمان واختصره الجلال التباني.

وشرحه العلامة شمس الدين محمَّد بن يوسف بن علي بن محمَّد بن سعيد الكِرْماني، فشرحه بشرح مفيد، جامع لفرائد الفوائد، وزوائد العوائد، وسماه "الكواكب الدراري" لكن قال الحافظ ابن حَجَر في "الدرر الكامنة": وهو شرح مفيد، على أوهام فيه في النقل، لأنه لم يأخذه إلا من الصحف.

وكذا شرحه ولده التّقِيّ يحيى، مستمدًا من شرح أبيه، وشرحه ابن المِلِقّن، وأضاف إليه من "شرح الزَّرْكَشيّ" وغيره من الكتب وما سنح له من حواشي الدِّمْياطي "وفتح الباري" "والبدر العِتابي" وسماه "مجمع البحرين، وجواهر الجدين" وهو في ثمانية أجزاء كبار، وكذا شرحه العلامة السراج بن المِلَقِّن، وكذا شرحه العلامة شمس الدين البِرْماوِي في أربعة أجزاء، أخذه من شرح الكِرماني وغيره، كما قال في أوله. ومن أصوله أيضًا مقدمة "فتح الباري" وسماه "اللامع الصبيح"، ولم يُبَيَّضْ إلا بعد موته، وكذا شرحه الشيخ برهان الدين الحلبي، وسماه "التلقيح لفهم قارئى الصحيح"، وهو بخطه في مجلدين، وبخط غيره في أربعة، وفيه فوائد حسنة، وقد التقط منه الحافظ ابن حَجَر، حيث كان جَلَبَ ما ظن أنه ليس عنده، لكونه لم يكن عنده إلا كراريس يسيرة من "الفتح"، وشرحه أيضًا شيخ الإسلام الحافظ أبو الفضل ابن حَجَر، وسماه "فتح الباري" وهو في عشرة أجزاء، ومقدمته في جزء، وشهرته وانفراده بما اشتمل عليه من الفوائد الحديثية، والنكات الأدبية، والمهمات الفقهية تغني عن وصفه، لا سيما وقد امتاز بجمع طرق الحديث التي ربما يتبين من بعضها ترجيحُ أحد الاحتمالات شرحًا وإعرابًا، وطريقته في الأحاديث المكررة أنه يشرح في كل موضع ما يتعلق بقصد البخاري بذكره فيه، ويحيل بباقي شرحه على المكان المشروح فيه، قال الشيخ زَكَرِيا الأنصاري: وكثيرًا ما كان رحمه الله تعالى يقول: أود لو تتبعت الحوالاَت التي تقع لي فيه، فإن لم يكن المحال به مذكورًا، أو ذكر في مكان آخر غير المحال عليه ليقع إصلاحه فما فعل ذلك،

وكذلك ربما يقع لترجيح أحد الأوجه في الإِعراب أو غيره من الاحتمالات أو الأقوال في موضع، ثم يرجح في موضع آخر غيره إلى غير ذلك مما لا طَعْن عليه بسببه، بل هذا أمر لا ينفك عنه كثير من الأئمة المعتمدين، وكان ابتداء تأليفه في أوائل سنة سبع عشرة وثمان مئة على طريق الإِملاء، ثم صار يكتب بخطه شيئًا فشيئًا، فيكتب الكُرّاس، ثم يكتب جماعة من الأئمة المعتبرين، ويعارض بالأصل مع المباحثة في يوم من الأسبوع، وذلك بقراءة العلامة ابن خَضِر، فصار السِّفْرُ لا يكمل منه شيء إلا وقد قوبل وحرر، إلى أن انتهى.

قلت: لعل هذا الصنيع الواقع في التأليف هو السبب في تغيير الإِحالات المذكورة. وكان انتهاؤه في أول يوم من رجب سنة اثنتين وأربعين وثمان مئة سوى ما ألحق فيه بعد ذلك، فلم ينته إلا قبيل وفاة المؤلف بيسير، ولما تم عمل مصنفه وليمة بالمكان المسمى بالتاج والسبع وجوه، وكانت في يوم السبت ثاني شعبان سنة اثنتين وأربعين، وقرىء المجلس الأخير هناك بحضرة الأئمة كالقاياتي، والونائي، والسعد الدُّرِّي، ولم يتخلف عنها من وجوه المسلمين إلا النادر، وكان المصروف على تلك الوليمة نحو خمس مئة دينار، أكمل الله تعالى بمنه وكرمه شرحنا، وأقدرنا على وليمة مثلها أو أزيد، وكملت مقدمته وهي في مجلد فخم في سنة ثلاث عشرة وثمان مئة.

وقد اختصر "فتح الباري" الشيخ أبو الفتح محمَّد بن الشيخ وفي الدين ابن الحسين المرَاغِيّ.

وشرحه العلامة بدر الدين العَيْنِيّ الحنفي في عشرة أجزاء وأزيد، وسماه "عمدة القارىء"، وشرع في تأليفه في أواخر رجب سنة إحدى وعشرين وثمان مئة، وفرغ في آخر الثلث الأول من ليلة السبت خامس جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وثمان مئة واستمد فيه من "فتح الباري". كان فيما قيل يستعيره من البرهان بن خضر بإذن مؤلفه له، وتعقبه في مواضع مطولة بما تعمد الحافظ ابن حجر في "الفتح" تركه من سياق الحديث بتمامه، وإفراد كل من تراجم الرواة بالكلام، وبيان الأنساب، واللغات، والإعراب، والمعاني، والبيان، واستنباط الفوائد من الحديث، والأسئلة والأجوبة، وغير ذلك.

قلت: جميع ما ذكر لم يترك منه في "الفتح" إلا ما يستغنى عنه، ومن تابع العَيْنِيّ وجده فيما يذكر من الأحاديث كالتخريج على "الفتح"، وقد حكي أن بعض الفضلاء ذكر لابن حَجَر ترجيح "شرح العيني" بما اشتمل عليه من البديع وغيره، فقال بديهة: هذا شيء نقله من شرح

لركن الدين، وكنت وقفت عليه قبله، ولكن تركت النقل منه لكونه لم يتم، إنما كتب منه قطعة، وخشيت من تعبي بعد فراغها في الاسترسال في هذا النهج، ولذا لم يتكلم العيني بعد تلك القطعة بشيء من ذلك، قلت: يظهر هذا بديهة لمطالعه بعد الأجزاء الأول، وبالجملة هو شرح حافل كامل، ولكن "فتح الباري" فتح الباري.

وكذا شرح مواضع من البخاري الشيخ بدر الدين الزَّرْكَشِيّ في "التنقيح"، وللحافظ ابن حجر نكت عليه لم تكمل، وكذا شرحه العلامة بدر الدين الدَّمامِيني، وسماه "مصابيح الجامع"، وشرحه الحافظ الجلال السُّيوطِيّ في تعليق لطيف قريب من "تنقيح" الزركشي، سماه "التوشيح على الجامع الصحيح"، وكذا شرح شيخ الإسلام أبو زكرياء يحي النَّوَوي قطعة من أوله، إلى آخر كتاب الإيمان، قلت: قد طبعت وطالعتها، وكذا شرح الحافظ ابن كثير قطعة من أوله، والزين ابن رجب الدمشقي، والعلامة السراج البُلْقِيني، والبدر الزَّرْكَشِي في غير "التنقيح" مطولًا، وشرحه المجْد الشِّيرازِيّ اللغوي مؤلف "القاموس"، سماه "منح الباري بالسيح الفسيح المجاري في شرح البخاري"، كمل ربع العبادات منه في عشرين مجلدًا، وقدر تمامه في أربعين مجلدًا، قال التقي الفاسِيّ: لكنه قد ملأه بغرائب المنقولات، لا سِيّما لما اشتهر باليمن مقالة ابن عربي، وغلب ذلك على علماء تلك البلاد، وصار يدخل من "فتوحاته" الكثير ما كان سببًا لشين شرحه عند الطاعِنين فيه، وقال الحافظ ابن حجر: إنه رأى القطعة التي كملت في حياة مؤلفه قد أكلتها الأرضة بكمالها، بحيث لا يقدر على قراءة شيء منها. ويقال: إن الإمام أبا الفضل النُّوَيْرِيّ، خطيب مكة، شرح مواضع منه، وكذا العلامة محمَّد بن أحمد ابن مرزوق شارح بردة البُوصِيْرِيّ، وسماه "المتجر الربيح والمسعى الرجيح في شرح الجامع الصحيح"، وشرح العارف القدوة، عبد الله بن أبي جمْرة، ما اختصر منه وسماه "بهجة النفوس"، وشرحه البُرهان النُّعْماني إلى أثناء الصلاة، ولم يف بما التزمه، وشرحه شيخ الإسلام، أبو يحيى زكريا الأنصاري السنيكي، وشرحه الشمس الكُوراني مؤدب السلطان المظفر أبي الفتح محمَّد بن عثمان، فاتح القُسْطَنْطِينِيّة، سماه "الكوثر الجاري إلى رياض صحيح البخاري"، وهو في مجلدين، وللعلامة شيخ الإسلام جلال الدين البُلْقيني "بيان ما فيه من الايهام"، وهو في مجلد، وشرحه أبو البقاء الأحمدي، وأظنه لم يكمل، وشرحه فقيه مذهب الشافعية الجلال البَكْرِي، ولم يكمل، وكتب الشيخ شمس الدين الدَّلْجي قطعة لطيفة

من شرحه، ولابن عبد البَرّ "الأجوبة على المسائل المستغربة من البخاري"؛ سأله عنها المهلب بن أبي صفرة، وكذا لأبي محمَّد بن حَزْم عدة أجوبة عليه، ولابن المنير حواش على ابن بَطّال، وله أيضًا كلام على التراجم، سماه "المتواري"، وكذلك لأبي عبد الله بن رشيد "ترجمان التراجم"، وللفقيه أبي عبد الله محمَّد بن منصور بن حَمامة المِغراوي السلجماسي "حل أغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة"، وهي مئة ترجمة.

ولشيخ الإِسلام الحافظ ابن حَجَر "انتقاض الاعتراض" يجيب فيه عما اعترضه العيني عليه في شرحه، لكنه لم يُجِبْ عن أكثرها، ولعله كان يكتب الاعتراضات ويُبَيِّضُ لها، يجيب عنها، فاخترمته المنية، وله أيضًا "الاستنصار على الطاعن المختار"، وهو صورة فتيا عما وقع في خطبة شرح البخاري للعلامة العيني، وله أيضًا أحوال الرِّجال المذكورين في البخاري زيادة على ما في "تهذيب الكمال"، وسماه "الإعلام بمن ذكر في البخاري من الأعلام"، وله أيضًا "تغليق التعليق"، ذكر فيه تعاليق أحاديث الجامع المرفوعة، وآثاره الموقوفة، والمتابعات، ومن وصلها بإسناده إلى الموضع المعلق، وهو كتاب حافل عظيم في بابه، لم يسبقه إليه أحد فيما عُلِمَ، وقد نظمه العلامة اللغوي المجْد صاحب "القاموس"، ولخصه في مقدمة "الفتح"، فحذف الأسانيد، ذاكرًا من خرجه موصولًا، وكذا شرح البخاري العلامة المتفنن الأوحد الزَّيْنِيُّ عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي الشافعي شرحًا رتبه على ترتيب عجيب، وأسلوب غريب، فوضعه كما قال في ديباجته على منوال مصنف ابن الأثير، وبناه على مثال جامعه المنير، وجرده من الأسانيد، راقمًا على هامشه بإزاء كل حديث حرفًا أو حروفًا يُعْلم بها من وافق البخاري على إخراج ذلك الحديث من أصحاب الكتب الخمسة جاعلًا إثر كل كتاب جامعٍ منه بابًا لشرح غريبه، واضعًا الكلمات الغريبة بهيئتها على هامش الكتاب موازيًا لشرحها، ليكون أسرع في الكشف، وأقرب إلى التناول، وقَرَّظَه شيخ الإِسلام البرهان بن أبي شريف، والزين عبد البر ابن الشِّحْنة، والعلامة الرَّضيّ الغزي.

ومن أجود شروحه وأقربها تناولًا، وأحلاها مذاقًا وأحسنها اختصارًا مع كثرة الفائدة، "إرشاد الساري" شرح العلامة أحمد بن محمَّد بن أبي بكر ابن عبد الملك بن أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن الحسين بن علي القَسْطَلّاني القاهِري الشافعي، ولد في اثنتين وعشرين ذي القعدة، سنة إحدى وخمسين وثمان مئة بمصر، وتوفي يوم الخميس مُسْتَهَل المحرم افتتاح سنة ثلاث وعشرين

وسبع مئة، وكان يوم موته يوم دخول السلطان سليم مصر، وتعذر الخروجُ به في ذلك اليوم إلى الصحراء. وقد نظم شيخ الإسلام البُلقيني مناسبات ترتيب تراجم البخاري بقصيدة طويلة أولها: أَتَى في البُخارِي حكمة في التَّرَاجِمِ ... مناسبة في الكتبِ مِثل البَراجِمِ

ذكرها القَسْطَلّاني بأجمعها.

وممن شرحه شيخ أشياخي ووالدهم الشيخ محمَّد سالم المِجْلِسي في أربعة عشر مجلدًا ضخامًا وسماه "النهر الجاري".

هذا ما وقفت عليه من شروحه، مما كَمَل، ومما لم يَكْمُل، ومما اقتصر على التراجم، والجميع يقرب من نحو الخمسين...

- سند المؤلف المتصل بالبخاري

وحيث إن الأسانيد أنساب الكتب كما قالوا، لا بد لي من سند إلى البخاري ليصح الانتساب إليه، وأكتفي في سندي إليه بالاتصال بابن حجر العسقلاني، وتبيين طرقه المتصلة بالبخاري، فسندي إلى ابن حَجَر عن شيخي أحمد بن محمَّد عينين اللَّمْتوني الشِّنْقِيطي، سماعًا منه لكثير من العلوم المتفرقة، عن شيخه الشيخ محمد محمود بن حبيب الله ابن القاضي، عن شيخه سيدي عبد الله بن الحاج بن إبراهيم العَلَوِيّ، عن شيخه الشيخ محمَّد بن الحسن البُناني صاحب الثَّبت الشهير، عن شيخه سيدي محمَّد بن عبد السلام البُناني، عن شيخه أبي الفضل سيدي أحمد ابن العربي بن الحاج، وعن سيدي محمَّد بن عبد القادر الفاسِيّ كلاهما عن تاج الأمة سيدي عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي، والد الثاني، عن عم أبيه أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن محمَّد الفاسي، عن العلامة النظار أبي عبد الله محمَّد بن القاسم القصار القَيْسِيّ، عن الولي سيدي رضوان بن عبد الله الجندي، عن الولي سيدي عبد الرحمن بن علي المعروف بسُقَّين -بضم السين المهملة، وفتح القاف المشددة- السُّفياني، عن شيخ الإسلام، قاضي القضاة زكريا الأنصاري الشافعي، عن شيخ الإسلام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمَّد بن محمَّد ابن حجر العسقلاني، المولود سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة، المتوفى سنة اثنتين وخمسين وثمان مئة. وقد اتصل لابن حجر من أربعة طرق، عن أبي عبد الله بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفِرَبْرِيّ، توفي سنة عشرين وثلاث مئة، وكان سماعه للصحيح مرتين، مرة بفِرَبْر سنة ثمان وأربعين، ومرة ببخارى سنة

اثنتين وخمسين ومئتين، وعن إبراهيم بن معقل بن الحجاج النَّسَفِيّ، وكان من الحفاظ، وله تصانيف. توفي سنة أربع وتسعين ومئتين، وقد فاتته من الجامع أوراق، رواها بالإجازة، وعن حماد ابن شاكر النَّسَوِيّ، مات في حدود التسعين، وله فيه فوت أيضًا، وعن أبي طلحة منصور بن محمَّد بن علي بن قرينة -بقاف ونون بوزن كريمة-البَزْدَوِيّ -بفتح الموحدة، وسكون الزاي- توفي سنة تسع وعشرين وثلاث مئة، وهو آخر من حدث عن البخاري بصحيحه، كما قال ابن ماكولا وغيره، وقد عاش بعده ممن سمع من البخاري القاضي الحسين بن إسماعيل المِحامِليّ ببغداد، ولكن لم يكن عنده الجامع الصحيح، وإنما سمع منه مجالس أملاها ببغداد في آخر قدمة قدمها البخاري، وقد غلط غلطًا فاحشًا من روى "الصحيح" عن المحاملي المذكور، والذي انتشرت رواية الصحيح عنه من الأربعة المذكورين، هو الفِرَبْري، فقد رواه عنه تسعة: الحافظ أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السَّكَن -بفتح السين والكاف-، والحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المِسْتَمْلي، وأبو نصر أحمد بن محمَّد بن أحمد الأَخسيكثي، والفقيه أبو زيد محمَّد بن أحمد المَرْوَزِيّ، وأبو علي محمَّد بن عمر بن شبويه، وأبو أحمد محمَّد بن محمَّد الجُرجانيّ -بجيمين- وأبو محمَّد عبد الله بن أحمد السَّرَخْسيّ، وأبو الهيثم محمَّد بن مكي الكُشْمِيْهَنِيّ، وأبو علي إسماعيل بن محمَّد ابن أحمد بن حاجب الكُشّاني، وهو آخر من حدث الصحيح عن الفِرَبْري. فأما رواية ابن السَّكَنِ فرواها عنه عبد الله بن محمَّد بن أسد الجُهَنِيّ، ورواها الحافظ ابن حجر عن الجُهَنِيّ، عن شيخه أبي علي محمَّد بن أحمد بن علي بن عبد العزيز عن يحيى بن محمد بن سعد، عن جعفر بن علي الهَمْدانيّ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الدِّيباجِيّ -بالجيم- عن عبد الله بن محمَّد بن محمد بن علي الباهِلِيّ، عن أبي علي الحسين بن محمَّد الجَيّاني -بفتح الجيم، وتشديد المثناة التحتية وبالنون- عن القاضي أبي عمر أحمد بن محمَّد بن يحيى بن الحَذّاء قراءة عليه، وعن أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البر الحافظ إجازة، قالا: حدثنا أبو محمَّد الجُهَنِيّ وكان ثقةً ضابطًا، عن أبي السَّكَنِ، عن الفِرَبْري.

وأما رواية المِسْتَملي فرواها عنه الحافظ أبو ذر عبد الله بن أحمد الهَرَوِيّ -بفتح الهاء والراء- وعبد الرحمن بن عبد الله الهَمْدانِيّ، وقد روى أبو ذر أيضًا عن السرخسيّ، والكُشْمِيهَنِيّ. وقد روى ابن حَجَر رواية أبي ذَرّ عن شيوخه الثلاثة، عن أبي محمَّد عبد الله بن محمَّد بن محمَّد بن

سليمان المكِّي، عن إمام المقام أبي أحمد إبراهيم بن محمَّد بن أبي بكر الطَّبَريّ، عن أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي حَرَمي المكي، عن أبي الحسين علي بن حُميد بن عمار الطَّرَابُلُسيّ، عن أبي مَكْتوم عيسى بن الحافظ أبي ذَرّ عبد الله أحمد، عن أبيه، عن شيوخه الثلاثة الفربري.

وأما رواية عبد الرحمن الهَمْدانيّ، عن شيخه المستملي؛ فرواها ابن حَجَر عن أبي حيان محمَّد بن حيان بن العلامة أبي حيان، عن جده، عن أبي علي بن أبي الأَحْوَصِيّ، عن أبي القاسم بن بَقِيّ، عن شريح ابن علي بن أحمد بن سعيد، عن عبد الرحمن الهَمْدانيّ، عن المسْتَمْلي، عن الفِرَبْرِيّ.

وأما رواية الأخسيكثي؛ فرواها عنه إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل الصَّفّار الزّاهد، وقد روى ابن حَجَر رواية إسماعيل المذكور بهذا السند المار إلى أبي حيّان، عن أبي جعفر أحمد بن يوسف الطحالي، ويوسف ابن إبراهيم بن أبي رَيْحانة المالِقي، كلاهما عن القاضي أبي عبد الله محمَّد بن أحمد بن محمَّد الأنصاري ابن الهيثم، عن القاضي أبي سليمان داود بن الحسن الخَالدي، عن إسماعيل المذْكور، عن الأخسيكثي، عن الفِرَبْرِيّ.

وأما رواية الفقيه أبي زيد المرْوَزِيّ؛ فقد رواها عنه الحافظ أبو نُعيم الأَصْبَهاني، والحافظ أبو محمَّد عبد الله بن إبراهيم الأَصِيليّ، نسبة إلى أَصِيلا من بلاد العُدْوة، نشأ بها، وسكنها، ومات بها لإِحدى عشرةَ ليلة بقيت من ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة، والحافظ أبو الحسن علي بن محمَّد القابِسي -بالقاف، والموحدة، والمهملة-. فأما رواية أبي نُعيم فرواها ابن حَجَر عن علي بن محمَّد بن محمَّد الدِّمَشْقي، عن سليمان بن حَمْزة بن أبي عمر، عن محمَّد بن عبد الهادي المقْدِسي، عن الحافظ أبي موسى محمَّد بن أبي بكر الدملي، عن أبي علي الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد، عن أبي نُعيم، عن شيخه أبي زيد المرْوَزِيّ، عن الفِرَبْري.

وأما رواية الأَصِيلِيّ، والقابِسي عن أبي زيد المرْوَزِيّ؛ فرواها ابن حَجَر بالإِسناد المتقدم في رواية الجُهَنِيّ، عن ابن السَّكَنِ إلى أبي عليٍّ الجيّلخي، عن أبي شاكر عبد الواحد بن محمَّد بن وَهْب، عن الأصِيلِيّ وحاتم بن محمَّد الطَّرابُلُسيّ، عن القابِسِيّ، وبالإِسناد المذكور إلى جعفر بن علي كتب إلى الحافظ أبي القَاسم خَلَف بن بَشْكُوال، أنبأنا عبد الرحمن بن محمَّد بن غياث، عن حاتم، عن القابِسِيّ، عن أبي زيد المرْوَزِيّ، عن الفِرَبْريّ.

وأما رواية أبي علي الشَّبُّوي، فرواها عنه سعيد بن أحمد بن محمَّد الصَّيرَفِيّ العَيّار، وعبد الرحمن بن عبد الله الهَمْداني؛ فروى ابن حَجَر رواية سعيد العَيّار، عن محمَّد بن علي بن محمَّد الدِّمَشْقي، عن محمَّد ابن يوسف بن الهتّان، عن العلامة تَقِيّ الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشَّهْرُزورِيّ المعروف بابن الصّلاح، عن منصور بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمَّد بن الفَضْل الرّازيّ، عن محمَّد بن إسماعيل الفارِسيّ، عن سعيدٍ العَيّار، عن أبي علي محمَّد بن عمر الشَّبُّويّ، عن الفِرَبْريّ، ورواية عبد الرحمن الهَمْداني قد مر سندها في روايته عن المِسْتَمْلِيّ.

وأما رواية أبي أحمد الجُرجانيّ، فقد رواها عنه أبو نُعيم، والقابِسي أيضًا، وقد مر سند ابن حَجَر فيهما في روايتهما عن أبي زيد المَرْوَزِيّ.

وأما رواية أبي محمَّد السرْخسيّ -بفتح السين المهملة والراء وسكون الخاء المعجمة، وسكون الراء وفتح المعجمة- فقد رواها عنه أبو ذَرّ، وقد مر السند إليه في روايته عن المِسْتَمْلي، وأبو الحسن عبد الرحمن بن محمَّد بن المظفر الداوودي البُوشَنْجِيّ -بضم الموحدة، وسكون الواو، وفتح المعجمة، وسكون النون، وبكسر الجيم- نسبة إلى بلدةٍ بقرب هَراة خراسان المتوفى سنة سبع وستين وأربع مئة، وقد روى ابن حَجَر رواية الداوودي، وهي أعلى رواية له، عن أبي محمَّد عبد الرحيم بن عبد الكريم بن عبد الوَهّاب بن حَمُّوَيْه -بفتح المهملة، وتشديد الميم المضمومة، وسكون الواو، وفتح الياء التحتية-، وأبي علي محمَّد بن محمَّد بن علي الجِيْزِيّ، وأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد المؤمن البَعْلِيّ -بالموحدة المفتوحة، والعين الساكنة- وأبي الحسن علي بن محمَّد بن محمَّد الجَوْزِيّ.

أخبر الأولان عن أبي العباس أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم، نعمة بن الحسن بن علي بن بيان الصّالحِيّ، وعن ست الوزراء، وزيرة بنت محمَّد بن عمر بن أسعد بن المَنَجّا التَّنُوخِيّة، وأخبر الثالث أبو إسحاق، عن أحمد بن أبي طالب بن نِعْمة، وقال الرابع علي بن محمَّد، قرىء على ست الوزراء، وأنا أسمع، روى الجميع عن أبي عبد الله الحُسين بن المبارك بن محمَّد بن يَحْيى الزُّبَيْدِيّ، وقالوا -سوى المرأة- كتب إلينا أبو الحسن محمَّد بن أحمد بن عُمر القَطِيعِيّ، وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن رُوزبه القَلانسي، وثابت بن محمَّد الخُجَنْدي، أخبر الجميع عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شُعيب السِّجْزِيّ -بكسر المهملة،

وسكون الجيم، وكسر الزاي- الهَرَوِيّ الصوفي، ولد في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وأربع مئة، ومات في ذي القعدة، ليلة الأحد، سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة، عن أبي الحسن الدَّاوودي عن السرخَسيّ، عن الفِرَبْرِيّ.

وأما رواية الكُشْمِيهَنِيّ فقد رواها عنه أبو ذَر، وقد سند ابن حَجَر إليه في روايته عن المِسْتَمْلي، ورواها عنه أبو سهل محمَّد بن أحمد الحَفْصي، وكريمة بنت أحمد المرْوَزيّة، وقد روى ابن حَجَر رواية الحَفْصي بالإسناد الماضي في رواية سعيد العَيّار، عن أبي علي الشَّبُّوي إلى منصور بن عبد المنعم، عن أبي بكر وجيه بن طاهر، وعبد الوهاب ابن شاه الشّاذِياخِيّ وجد أبي محمَّد بن الفضل الصاعِديّ عن الحَفْصِيّ عن الكُشْمِيهَنِيّ عن الفِرَبْرِيّ، وروى رواية كريمة عن الحافظ أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العِراقي، عن أبي علي عبد الرحيم بن عبد الله الأَنْصَارِيّ عن المعِين أحمد بن علي بن يوسف الدِّمَشْقي، وإسماعيل بن عبد القَويّ بن عَزُّون -بفتح العين المهملة، وضم الزاي المشددة، وبالواو، والنون- المِصْري، وأبو عمرو عثمان بن رَشِيق -بفتح الراء، وكسر المعجمة- المالكي، سماعًا وإجازةً لما فات، أخبر الجميع عن أبي القاسم هبة الله بن علي بن مسعود البُوصِيْرِيّ، عن أبي عبد الله محمَّد ابن بركات النَّحْوِيّ السَّعْدِيّ، عن كريمة، عن الكُشْمِيْهَنِيّ، عن الفِرَبْرِيّ.

وأما رواية أبي علي إسماعيل الكُشَاني، فرواها عنه أبو العباس جعفر ابن محمَّد المسْتَغْفِري، وقد روى ابن حَجَر رواية المسْتَغْفِري بالإسناد الماضي في رواية أبي نُعيم الأصبهاني عن أبي زيد إلى موسى محمَّد بن أبي بكر الدملي، قال: أنبأنا أبي، عن الحسن بن أحمد، عن المسْتَغْفِرِيّ، عن الكُشانيّ عن الفِرَبْرِيّ، فهذه أسانيد ابن حَجَر المتصلة بالتسعة الذين رووا عن الفِرَبْرِيّ، بذلت الجهد في ترتيبها ترتيبًا يسهل تناولها به، لم يفعله صاحب الأصل ابن حَجَر. وأما الثلاثة الباقية من الأربعة الراوين عن البخاري صحيحه، فإبراهيم بن مَعْقِل، روى ابن حَجَر روايته بالإسناد الماضي في رواية الجُهَنِيّ عن ابن السَّكَنِ، إلى أبي علي الجَيّاني، قال: أنبأنا الحكم بن محمَّد، عن أبي الفضَل عيسى بن أبي عِمران الهَرَوِيّ، سماعًا لبعضه، وإجازة لباقيه، عن أبي صالح خَلَف بن محمَّد بن إسماعيل البخاري، عن إبراهيم بن مَعْقِل البُخاري.

وأما حَمّاد بن شاكر، فروى ابن حَجَر روايته عن أحمد بن أبي بكر ابن عبد الحميد، عن أبي الرَّبيع بن أبي طاهر بن قُدامة، عن الحسن بن السيد العَلَوِيّ، عن أبي الفضل بن ناصر

الحافظ، عن أبي بكر أحمد بن خَلَف، عن الحاكِم أبي عبد الله محمَّد بن عبد الله الحافِظ، عن أحمد بن محمَّد بن رُمَيْح النَّسَوِيّ، عن حَمَّاد بن شاكِر، عن البُخاري.

وأما أبو طلحة البَزْدَوِيّ، فقد روى ابن حَجَر روايته بالسند الماضي إلى المِسْتَغْفِرِيّ، قال: أنبأنا أحمد بن عبد العزيز، عن أبي طلحة البَزْدَوِيّ، عن البُخاري. هذا سندي إلى البُخاري المبتدأ بالسماع من علماء الغرب، ولي فيه عدة أسانيد من علماء بالمشرق بالإجازة منها: إني أجازني فيه الشيخ محمَّد عابد بن حسين، مفتي المالكية، بمكة المكرمة، المتوفى بها، عن شيخه العلامة السيد أحمد بن زيني دحلان المالِكِيّ، مفتي الشافعية بمكة، المتوفى بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، عن شيخه العلامة الشيخ عُثمان بن حسن الدِّمْياطي المِصْري ثم المكِّي مهاجرًا، المتوفى بها، عن شيخه العلامة الشهير الشيخ محمَّد بن محمَّد الأمير الكبير المكِّيّ، صاحب الثبت الشهير، وهو يرويه عن شيخه السَّقّاط، عن شيخه الشيخ أحمد المكي، عن الشيخ محمَّد بن علاء الدين البَابِلِيّ المكِّيَ، عن الشيخ سالم السَّنْهُورِيّ المالِكِي، عن النَّجْمِ القِبْطِي، عن شيخ الإسلام ابن حَجَر بأسانيده التي فصلناها غاية التفصيل فيما مر إلى كل من روى عن البُخاري، ورواه البابِلِيّ سماعًا، وإجازة، عن شهاب الدين الرَّمْلِيّ، عن ابن حَجَر، فيكون أعلى من الأول بدرجتين، ولي عدة أسانيد يطول جَلْبها، وفي هذا حصول الغرض الذي أردته من التوصيل الذي أوردته، فَلْيَقَعِ الشروع مقتصرًا في المتن على الرواية التي قال في "الفتح": إنها هي أتقن الروايات، وهي رواية أبي ذر عبد الله بن أحمد الهَرَوِيّ، عن مشايخه الثلاثة أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد المِسْتَمْلي، وأبي محمَّد عبد الله بن أحمد السرخسيّ -بفتح السين المهملة والراء وسكون الخاء، وسكون الراء وفتح المعجمة- وأبي الهيثم محمَّد بن مكي الكُشْمِيهَنِيّ-بكاف مضمومة، وشين معجمة ساكنة، وميم مفتوحة، وياء ساكنة، وهاء مفتوحة، وقد تكسر، وقد تبدل الياء ألفًا، وقد تمال الألف -وهو نسبة إلى قرية بمَرو، وإنما كانت أتقن لضبطه لها، وتمييزه لاختلاف سياقِها، وفيها نبه على ما يحتاج إليه مما يخالفها، فأقول: قال الشيخ الإمام الحافظ أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغِيرة بن بَرْدِزْبه -بفتح الموحدة، وسكون الراء، وكسر الدال المهملتين، وسكون الزاي المعجمة، وفتح الموحدة، بعدها هاء ساكنة- ومعناه الزراع بالفارسية البخاري رحمه الله تعالى آمين وقد مر تعريفه مستوفى..

83- دائرة المعارف الإسلامية

العلامة محمد فريد وجدي (1954م / 1373 هـ)

قال رحمه:" هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صاحب الجامع الصحيح في الحديث والتاريخ. كان بعيد الهمة في تحري صحيح الأحاديث، جاب من أجلها الأمصار وكابد الأخطار، فرحل إلى خراسان والجبال ومدن العراق والحجاز والشام ومصر. وهو في كل هذه الأقطار يلاقي الحفاظ، ويجالس المحدثين، فيسمع منهم، ويأخذ عنهم، ويقارن بين المتشابهات، ويوفق بين المتخالفات، ويرد الأشياء إلى مصادرها، ويسرى على أبحاثه نقدا صارما حتى جمع كتابه المشهور في الحديث، ولذلك لم ينل كتاب في الإسلام حظ كتابه من الشيوع والإنتشار، ولم يحظ مؤلف بمثل ما حظي به البخاري من الإعجاب والإشتهار..."[1]

84- موجز دائرة المعارف الإسلامية[2]

المستشرق كارل بروكلمان (1868-1956)

محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفى، أبو عبد الله: مصنف عربي ولد في الثالث عشر من شوال عام 194 هـ الموافق 21 يوليه من عام 810 م في مدينة بخارى، وجده بردزبه فارسي. وقد بدأ دراسة الحديث في سن مبكرة إذ لم يكن يتجاوز الحادية عشرة من عمره. ولما بلغ السادسة عشرة حج إلى مكة وحضر على أشهر شيوخ الحديث في مكة

---

[1] 56/2 دائرة المعارف الإسلامية

[2] موجز دائرة المعارف الإسلامية 1613/6

مركز الشارقة للإبداع الفكري- الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1998 م

والمدينة ثم رحل إلى مصر في طلب العلم. وأنفق الستة عشر عاما الثانية – ومنها خمسة في البصرة – في التجوال بين ربوع آسية، ثم عاد إلى مسقط رأسه ووافته منيته في الثلاثين من رمضان عام 526 هـ الموافق 31 من أغسطس عام 870 م ودفن في خرتنك على مسيرة فرسخين من سمرقند.

وتعتمد شهرته على جامعه في الحديث وعنوانه "الجامع الصحيح" وقد رتبه على أبواب الفقه، واصطنع لذلك طريقة كاملة فائقة ومحصها تمحيصا دقيقا، كما أنه كان عظيم الأمانة في إيراد المتن وبذل جهدا لا يبارى لكي يصل إلى أضبط ما يمكن الوصول إليه. ولم يتردد في تفسير المواد بتعليقات موجزة متميزة عن النصوص. وكانت نصوص الصحيح منذ أول الأمر محل عناية كبيرة، والنسخة المتداولة الآن نشرها لأول مرة محمد اليونينى المتوفى عام 658 هـ (1260 م) بمساعدة اللغوي المشهور ابن مالك المتوفى عام 672 هـ (1273 م انظر طبعة كرهل لصحيح البخاري. ليدن سنة 1862 – 1868 م، وقد أتم نشره Juynboll .W. Th المجلد الرابع، المصدر نفسه، عام 1908 م) وطبع في بولاق عام 1280 و1282 و 1284 و 1289 هـ، وطبع في القاهرة على الحجر عام 1279 هـ. وطبع طبعة عادية عام 1305 و 1307 و 1312 و 1314 هـ في تسعة مجلدات، كما طبع في دهلى عام 1270 هـ و 1889 م، وفي بومباى عام 1269 هـ و 1869 م و 1873 م. وفي مرته عام 1873 م. أما فيما يختص بمخطوطاته فانظر – R. Bas set في مجلة الجمعية الأسيوية الإيطالية، المجلد العاشر، ص 76 – 91, وقد ترجمه إلى الفرنسية وعلق عليه ووضع له فهرسًا Hondas .W. O Marcais وطبعته مدرسة اللغات الشرقية الحية، المجموعة الرابعة، المجلد السادس وما بعده، وطبعت ترجمة الأجزاء الثلاثة الأولى في باريس عام 1903 و 1906 و 1908 وترجمه إلى الفرنسية أيضًا ووضع له شروحا وتعليقات L. Peltier باريس 1909 بعنوان Le Livre

وقد طبع من الشروح des du Cahih d'al-Bokhari testaments الكثيرة على الصحيح ما يأتي:

(1) "فتح الباري في شرح البخاري" لابن حجر العسقلانى المتوفى عام 852 هـ (1428 م) , بولاق عام 1300, 1301 هـ.

(2) "عمدة القارى في شرح البخاري" لمحمود بن أحمد العينى المتوفى عام 855 هـ الموافق 1451 م، القاهرة 1308 هـ، الآستانة، سنة 1909, 1910 م.

(3) "إرشاد السارى في شرح البخاري" لأحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلانى المتوفى عام 933 هـ الموافق 1517 م، بولاق 1275, 1276, 1288, 1304 - 1305 هـ، القاهرة سنة 1307, 1325 - 1326 مع تحفة الباري لزكريا الأنصاري المتوفى عام 926 هـ الموافق 1520 م، لكهنو سنة 1869, 1876, دهلى سنة 1891 م.

(4) شرح لأبي زيد عبد القادر بن على الفاسى، فاس 1307 هـ (انظر كتاب ولى الله الدهلوى المتوفى عام 1176 هـ الموافق 1762 م وعنوانه "شرح تراجم أبواب صحيح البخاري" حيدر آباد عام 1323 هـ).

وقد صنف البخاري في حجته الأولى إلى المدينة كتابًا عن تراجم رصال السند عنوانه "التأريخ الكبير" وهو بمثابة المقدمة لصحيحه (آياصوفيا، 3019 - 3071 , horovitz في mit - orient. teilungen des seminars fuer Sprachen zu Berlin برلين، المجلد العاشر العدد الأول، ص 40). ومنه موجز عنوانه "التاريخ الصغير" Verzeichnis: Ahlwardt der Ar. Hdee. der Kgl.) Bibliothek zu Berlin برلين رقم 9914). وللبخارى أيضًا مجموعة في الحديث عنوانها "الثلاثيات" (Ahlwardt المصدر السابق، من رقم 1620 - 1621)

و"تفسير القرآن" الذي لا يزال في حاجة إلى دراسة دقيقة (انظر الغزيرى:

Bibliotheca: Casiri Arabico - Hispana Fagnan رقم 1255، مخطوط بالجزائر 3, 1688). وينسب للبخاري أيضًا "تنوير العينين برفع اليدين في الصلاة"، كلكتة 1256 هـ (مع ترجمة أردية) وهو عين "قرة العينين" على هامش "جد الكلام في القراءة خلف الإمام"، القاهرة 320 وهي تنسب إليه أيضًا. --- بروكلمان ---C. Brockelmann

85- تعليق على مادة البخاري[1]

محمد فؤاد عبد الباقي (ت 1968)

مولده ونشأته:

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفى.

وكان بردزبه فارسيا على دين قومه، ثم أسلم ولده المغيرة على يد اليمان الجعفى والى بخارى، فنسب إليه نسبة ولاء عملا بمذهب من يرى أن من أسلم على يد شخص كان ولاؤه له، ولذا قيل للبخاري الجعفى.

وكان مولد أبي عبد الله البخاري يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين وماثة، ببخارى. وهي من أعظم مدن ما وراء النهر، بينها وبين سمرقند ثمانية أيام، وتوفى أبوه إسماعيل وهو صغير، فنشأ يتميا في حجر والدته.

---

[1] موجز دائرة المعارف الإسلامية 1616/6

وكان عبد الله نحيفا ليس بالطويل ولا بالقصير وكان قد ذهبت عيناه في صغره، فرأت أمه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في المنام، فقال لها "قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك له"، فأصبح وقد رد الله عليه بصره.

بدء أمره:

حدث البخاري عن نفسه قال: ألهمت الحديث في المكتب ولي عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من المكتب بعد العشر فجعلت اختلف إلى الداخلى وغيره، فقال يوما فيما كان يقرأ للناس "سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم" فقلت له: "إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم"، فانتهرني، فقلت له: "ارجع إلى الأصل إن كان عندك". فدخل فنظر فيه ثم خرج فقال لي: "كيف هو يا غلام؟ " قلت: "هو الزبير ابن عدي عن إبراهيم"، فأخذ القلم مني وأصلح كتابه وقال: "صدقت". فقال بعض أصحاب البخاري له: "ابن كم كنت؟ " قال: "ابن إحدى عشرة سنة"، ثم قال: "فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء، يعني أصحاب الرأى، ثم خرجت مع أخي أحمد وأمى إلى مكة، فلما حججت رجع أخي إلى بخارى فمات بها". وكان أخوه أسن منه، وأقام هو بمكة لطلب الحديث. قال: "ولما طعنت في ثماني عشرة سنة صنفت كتاب قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وصنفت التاريخ الكبير إذ ذاك عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم في الليالى المقمرة، وقل اسم في التاريخ إلّا وله عندي قصة، إلّا أني كرهت تطويل الكتاب".

فكان أول سماعة سنة خمس ومائتين، ثم رحل سنة عشر ومائتين بعد أن سمع الكثير ببلده من سادة وقته: فسمع ببلخ وسمع بمرو وسمع بنيسابور وبالري وببغداد وسمع بالبصرة وبالكوفة وبمكة وبالمدينة وبواسط وبمصر وبدمشق وبقيسارية وبعسقلان وبحمص من خلائق يطول سردهم حتى أنه قال: "كتبت عن ألف وثمانين نفسا ليس فيهم إلّا صاحب حديث".

وحدّث بالحجاز والعراق وخراسان وما وراء النهر، وكتب عنه المحدثون وما في وجهه شعرة.

قال محمد بن أبي حاتم وراق البخاري: "سمعت حامد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان البخاري يختلف معنا إلى السماع وهو غلام فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أياما فكنا نقول له، فقال: إنكما أكثرتما على فاعرضا على ما كتبتما، فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها على ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه. ثم قال: أترون أنى أختلف هدرا وأضيع أيامى؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد".

قالا: فكان أهل المعرفة يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق فيجتمع إليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه. ورغم أنه كان شابا.

وقال البخاري: "دخلت على الحميدي وأنا ابن ثماني عشرة سنة - يعني أولَ سنة حجَّ - فإذا بينه وبين آخر اختلّاف في حديث، فلما بصر بى قال: جاء من يفصل بيننا، فعرضا على الخصومة فقضيت للحميدى وكان الحق معه".

وقال أيضًا: "قال لي محمد بن سلام البيكندي: انظر في كتبي، فما وجدت فيها من خطأ، فاضرب عليه. فقال له أصحابه: من هذا الفتى؟ قال: هذا الذي ليس مثله".

وكان محمد بن سلام المذكور يقول: "كلما دخل على محمد بن إسماعيل تحيرت ولا أزال خائفا منه"، يعني يخشى أن يخطئ بحضرته.

وقال محمد بن يعقوب الأخرم: "سمعت أصحابنا يقولون: لما قدم البخاري بنيسابور استقبله أربعة آلاف رجل على الخيل سوى من ركب بغلا أو حمارا سوى الرجالة".

قال البخاري: "دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين، والى البصرة أربع مرات، واقمت بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصى كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين".

ثناء الأئمة عليه:

قال قتيبة بن سعيد: "جالست الفقهاء والزهاد والعباد، فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل، وهو في زمانه كعمر في الصحابة"، وعنه أيضا أنه قال: "لو كان محمد بن إسماعيل في الصحابة، لكان آية".

وقال أيضًا: "لقد رحل إليّ من شرق الأرض ومن غربها، فما رحل إلى مثل محمد بن إسماعيل"، وقال رجاء بن رجاء الحافظ: "فضل محمد بن إسماعيل على العلماء، كفضل الرجال على النساء". وقال أيضًا "هو آية من آيات الله تمشى على الأرض".

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: "قد رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق. فما رأيت منهم أجمع من محمد بن إسماعيل".

وقال أيضًا: "هو أعلمنا وأفقهنا وأكثرنا طلبا".

وسئل عن حديث وقيل له إن البخاري صححه فقال: "محمد بن إسماعيل أبصر منى، وهو أكيس خلق الله، عقل عن الله ما أمر به وما نهى عنه في كتابه وعلى لسان نبيه، إذا قرأ محمد القرآن شغل قلبه وبصره وسمعه، وتفكر في أمثاله، وعرف حلاله من حرامه".

وقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر: "سمعت العلماء بمصر يقولون: ما في الدنيا مثل محمد بن إسماعيل في المعرفة والصلاح"، ثم قال عبد الله: "وأنا أقول قولهم".

وقال موسى بن هارون الحمال الحافظ البغدادي: "عندي لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن يصيبوا آخر مثل محمد بن إسماعيل لما قدروا عليه".

وقال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة: "ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث هن محمد بن إسماعيل". وقال أبو عيسى الترمذي: "لم أر أعلم بالعلل والأسانيد من محمد بن إسماعيل البخاري".

وقال له مسلم: "أشهد أنه ليس في الدنيا مثلك". وروى الحاكم أبو عبد الله أن مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح جاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري فقبله بين عينيه، وقال: "دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين ويا طيب الحديث في علله".

شمائله:

كان رحمه الله غاية في الحياء والشجاعة والسخاء والورع والزهد في دار الدنيا ودار الفناء والرغبة في دار البقاء.

وكان يقول: "أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا". ويشهد لهذا كلامه في التجريح والتضعيف، فإن أبلغ ما يقول في الرجل المتروك أو الساقط: "فيه نظر"، أو "سكتوا عنه". ولا يكاد يقول: "فلان كذاب".

وكان قليل الأكل جدا، كثير الإحسان إلى الناس، مفرطا في الكرم.

خبر من أخبار عن سعة حفظه وسيلان ذهنه.

روى الحافظ بن حجر بسنده إلى الحافظ ابن عدي أنه قال:

"سمعت عدة هن مشايخ بغداد يقولون: إن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا، وأرادوا امتحان حفظه، فعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوها إلى عشرة ألقى لكل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري، وأخذوا عليه الموعد للمجلس. فحضروا وحضر جماعة من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم ومن البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخاري: "لا أعرفه"، فما زال يلقى عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ والبخاري يقول: "لا أعرفه"، وكان العلماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض

ويقولون: "فهم الرجل"، ومن كان لم يدر القصة يقضى على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الحفظ، ثم انتدب رجل من العشرة أيضًا فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال: "لا أعرفه" فسأله عن آخر، فقال "لا أعرفه"، فلم يزل يلقى عليه واحدا واحدا حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول: "لا أعرفه"، ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من إلقاء تلك الأحادث المقلوبة والبخاري لا يزيدهم على: "لا أعرفه". فلما علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول فقال: "أما حديثك الأول فقلت كذا وصوابه كذا، وحديثك الثاني كذا وصوابه كذا"، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك. فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل. وهنا يقول الحافظ: "هنا يخضع للبخاري، فما العجب من رده الخطأ إلى الصواب، فإنه كان حافظا، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة".

كتابه "الجامع الصحيح"

أما كتابه الجامع الصحيح فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله. وقد رتبه على أبواب الفقه فكان عدة كتبه سبعا وتسعين احتوت على قسم العبادات وقسم المعاملات وسيرة الرسول عليه الساوم مع مغازيه ومعجزاته وما ورد من المأثور في تفسير آى الذكر الحكيم وغير ذلك من الكتب التي لا يسع المسلم جهلها. وقد روى من وجهين ثابتين عن البخاري أنه قال: أخرجت هذا الكتاب من نحو ستمائة ألف حديث وصنفته في ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بيني وبين الله.

قال الفربري: "سمعت محمد بن إسماعيل يقول: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثًا إلَّا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين".

وقال الحاكم أبو أحمد: "رحم الله محمد بن إسماعيل الإمام، فإنه ألف الأصول وبين للناس. وكل من عمل بعده فإنما أخذه من كتابه، كمسلم، فرق أكثر كتابه في كتابه، وتجلد فيه حق الجلادة حيث لم ينسبه إليه".

وقال أبو الحسن الدارقطني الحافظ: "لولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء". يقصد الإمام مسلم بن الحجاج.

شرط البخاري في صحيحه

قال الحافظ أبو الفضل بن طاهر: "شرط البخاري أن يخرج الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابى المشهور من غير اختلاف بين الثقات الأثبات ويكون إسناده متصلا غير مقطوع، وإن كان للصحابى راويان فصاعدا فحسن، وإن لم يكن إلَّا راو واحد وصح الطريق إليه فكفى". وقد التزم فيه الصحة وأنه لا يورد فيه إلَّا حديثًا صحيحا، ثم رأى ألا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكمية، فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة، فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها واعتنى فيه بآيات الأحكام.

أصل اليونينى

وقد اعتنى الحافظ شرف الدين أبو الحسن على ابن شيخ الإسلام ومحدث الشام تقى الدين بن محمد بن أبي الحسن أحمد بن عبد الله اليونينى الحنبلي رحمه الله تعالى بضبط رواية الجامع الصحيح وقابل أصله الموقوف بمدرسة آقبغا آص بسويقة العزى خارج باب زويلة من القاهرة المعزية بأصل مسموع على الحافظ أبي ذر الهروى، وبأصل مسموع على الأصيلى، وبأصل الحافظ مؤرخ الشام أبي القاسم بن عساكر، وبأصل مسموع على أبي الوقت، وذلك بحضرة سيبويه وقته الإمام جمال الدين بن مالك بدمشق سنة ست وسبعين وستمائة، وقد بالغ رحمه الله في ضبط ألفاظ الصحيح جامعا فيه روايات من ذكرناه راقما عليه ما يدل على مراده.

ولقد أبدع فيما رقم، وأتقن فيما حرر وأحكم، ولقد عول الناس عليه في روايات الجامع لمزيد اعتنائه وضبطه ومقابلته على الأصول المذكورة وكثرة ممارسته له حتى أن الحافظ شمس الدين الذهبي حكى عنه أنه قابله في سنة واحدة إحدى عشرة مرة.

ولكونه ممن وصف بالمعرفة الكثيرة والحفظ التام للمتون والأسانيد كان الجمال بن مالك لما حضر عند المقابلة المذكورة إذا مر في الألفاظ ما يتراءى أنه مخالف لقوانين العربية، قال للشرف اليونيني: "هل الرواية فيه كذلك؟ " فإن أجاب بأنه منها شرع ابن مالك في توجيهها حسب إمكانه.

نبأ وفاته

ولما رجع إلى بخارى نصبت له القباب على فرسخ من البلد واستقبله عامة أهلها حتى لم يبق مذكور. ونثر عليه الدراهم والدنانير، وبقى مدة يحدثهم، فأرسل إليه أمير البلد خالد بن محمد الذهلي نائب الخلافة العباسية يتلطف معه ويسأله أن يأتيه بالصحيح ويحدثهم به في قصره، فامتنع البخاري من ذلك وقال لرسوله: "قل له أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين، فإن كانت له حاجة إلى شيء منه فليحضر إلى مسجدى أو دارى. فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعنى من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة أنى لا أكتم العلم".

فحصلت بينهما وحشة. فأمره الأمير بالخروج عن البلد فدعا عليه وكان مجاب الدعوة فلم يأت شهر حتى ورد أمر الخلافة بأن ينادَى على خالد في البلد، فنودى على خالد على أتان، وحُبس إلى أن مات، ولم يبق أحد ممن ساعده إلَّا ابتلى ببلاء شديد.

ولما خرج البخاري من بخارى كتب إليه أهل سمرقند يخطبونه إلى بلدهم فسار إليهم، فلما كان بخرتنك وهو على فرسخين من سمرقند، بلغه أنه وقع بينهم بسببه فتنة، فقوم يريدون دخوله،

وآخرون يكرهونه، وكان له أقرباء بها فنزل عندهم حتى ينجلي الأمر، فأقام أياما فمرض حتى وجه إليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون خروجه إليهم، فأجاب وتهيأ للركوب وليس خفيه وتعمم، فلما مشى عشرين خطوة أو نحوها إلى الدابة ليركبها، قال: أرسلوني فقد ضعفت، فأرسلوه، فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى، فسال عرق كثير لا يوصف. وما سكن عنه العرق حتى أدرج في أكفانه. وكان ذلك ليلة السبت، ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين عن اثنتين وستين سنة إلّا ثلاثة عشر يوما.

86- الأعلام[1]

خير الدين بن محمود، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)

قال رحمه الله: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله: حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلم، صاحب (الجامع الصحيح – ط) المعروف بصحيح البخاري، و (التاريخ – ط) أجزاء منه، و (الضعفاء – ط) في رجال الحديث، و (خلق أفعال العباد – ط) و (الأدب المفرد – ط). ولد في بخارى، ونشأ يتيما، وقام برحلة طويلة (سنة 210) في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ست مئة ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق برواته. وهو أول من وضع في الإسلام كتابا على هذا النحو. وأقام في بخارى، فتعصب عليه جماعة ورموه بالتهم، فأخرج إلى خَرْتَنْك (من قرى سمرقند) فمات فيها. وكتابه في الحديث أوثق الكتب الستة المعول عليها، وهي: صحيح البخاري (صاحب الترجمة) وصحيح مسلم (201 –

[1] الأعلام 33/6-34- دار العلم للملايين- الطبعة: الخامسة عشر – 2002 م

261 هـ وسنن أَبي داوُد (202 – 275 هـ وسنن الترمذي (209 – 279 هـ وسنن ابن مَاجَهْ (209 – 273 هـ وسنن النسائي (215 – 303 هـ ولشيخنا محمد جمال الدين القاسمي (حياة البخاري – ط).

87– تاريخ التراث العربي[1]

فؤاد سزكين (ت2018)

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفى، ولد سنة 194 هـ/ 810 م في بخارى. وكان جد أبيه فارسيّا اسمه بردزبة، أما نسبه الجعفى فيرجع إلى جد أبيه إسماعيل الجعفى الذي كان من موالي الوالى اليمنى في بخارى.

وقد بدأ البخاري شأنه شأن مشاهير المحدثين الآخرين دراسة الحديث في وقت مبكر.

وعندما كان في السادسة عشرة من عمره، خرج للحج واستمع إلى علماء مكة والمدينة، ثم رحل بعد ذلك إلى مصر، وبعد رحلة في طلب العلم إلى أهم مراكز علم الحديث استمرت ستة عشر عاما، عاد إلى مسقط رأسه عالما مشهورا. إلّا أنه اضطر بعد ذلك أن يترك بخارى، عند ما أبي أن ينتقل إلى بيت الوالى خالد بن أحمد الذهلي ليؤدب أبناءه، ولم يعد إلّا بعد عزل الوالى. وتوفى سنة 256 هـ/ 870 م في خرتنك على بعد فرسخين من سمرقند.

تقوم شهرة البخاري على كتابه «الجامع الصحيح» الذي يأخذ المكانة الأولى بين كتب السنة المخصصة لأحاديث النبي صلّى الله عليه وسلم وسننه. وإنه من الواجب علينا أن نشير في

---

[1] تاريخ التراث العربي 220/1

الدكتور فؤاد سزكين. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1411 هـ – 1991 م

الواقع إلى أن هذه المكانة العليا لا تدل على أن علماء الحديث بعده لم يتناولوه بالنقد من ناحية إسناده وترتيبه ودرجة صحة بعض أحاديثه. وهناك واقع آخر وهو أنهم لم يعتبروا الجامع الصحيح للبخاري أول كتاب مصنف مبوب يقدم العون في كل باب من أبواب الفقه وفى كل مسألة فقهية كما زعمه جولد زيهر (Goldziher ,Muh Stud.II ,243) بل كان لا يخفى عليهم محاولة المؤلف أنه استهدف تأليف جامع صحيح مختصر مستخرج من مصنفات الجيلين السابقين من المحدثين التى قد كثر عددها وكبرت أحجامها وتعذر على المهتمين الإحاطة بها والاستفادة منها، ويبدو أن البخاري لم يفد من كتب الحديث فحسب بل إنه استخدم كثيرا من الكتب اللغوية والتاريخية والفقهية.

أما بالنسبة للأسانيد فإن التصور الذى نجده عند بعض المعاصرين من أن البخاري هو عالم الحديث الذى طور الإسناد، انظر مثلا (Caetani ,Annalidell Islam I ,15) لا يسلّم به الواقع التاريخى، وربما لا ننحرف عن الصواب في افتراضنا أن البخاري هو أول محدث أراد أن يوجه الأنظار إلى أهمية المتون خلاف الإسناد الذى قطع طريقا أكثر من قرن ونصف من تطوره وثبت في بطون الآلاف من كتب الحديث المتداولة والمتوافرة عند الناس في عهد البخاري. ويجب علينا أن نفهم من ضرورة هذا الواقع أن البخاري أورد في كتابه 1341 حديثا دون إسناد كامل متصل، بالإضافة إلى مقتبسات لغوية وفقهية عديدة. وقد أطلق على مثل هذا الأخذ للبخاري في القرن الرابع «التعليق» (انظر مقدمتي لعلم الحديث» (283)[1].

[1] قد تراجع العلامة سزكين عن رأيه هذا في الطبعة العربية الصادرة مؤخرا، أنظر: بحث للدكتور اكرم العمري الموسوم ب" ملاحظات واستدراكات على كتاب تاريخ التراث العربي" بحث منشور ضمن كتابه "دراسات تاريخية"، و كتاب " استدراكات على تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين في علم الحديث" للدكتور نجم عبد الله خلف.

أ- مصادر ترجمته:

الجرح والتعديل لابن أبي حاتم 3/ 2/ 191، الفهرست لابن النديم 230، تاريخ بغداد للخطيب 2/ 4 - 34، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى 1/ 271 - 279، وفيات الأعيان لابن خلكان (بولاق) 1/ 576 - 577، اللباب لابن الأثير 1/ 231، تذكرة الحفاظ للذهبي 555 - 557، الوافي بالوفيات للصفدي 2/ 206 - 209، التهذيب لابن حجر 9/ 47 - 55، طبقات الشافعية للسبكي 2/ 2 - 19، مرآة الجنان لليافعي 2/ 167 - 169، شذرات الذهب لابن العماد 2/ 134 - 136، مقالة بروكلمان في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) 1/ 816 - 817

- وستنفلد في كتابه عن المؤرخين العرب Wustenfeld Geschichts.NO.62,. وستنفلد في كتابه عن الشافعية Wustenfeld Schaf.44,.، جولدتسهير في كتابه عن الدراسات الإسلامية. Goldziher Muh.Stud.II 234 - 245,:

كتب روبسون مادة البخاري في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الأوربية الثانية 1/ 1296 - 1297.

كتب سزكين كتابا عن مصادر البخاري Sezgin ,Buh.Kayn.,Istanbul.:

الأعلام للزركلي 6/ 258 - 259، معجم المؤلفين لكحالة 9/ 52 - 54.

كتب ودراسات عربية عن البخاري:

1 - «ترجمة البخاري»؟ «أخبار البخاري» لشمس الدين الذهبي (المتوفى سنة 748 هـ/ 1348 م انظر بروكلمان 2/ 46)، تذكرة الحفاظ 556، طلعت، مجموعة 965/ 1 (من 1 أ- 8 أ، في القرن التاسع الهجرى).

2 - «ترجمة البخاري» لعلى بن عبد المحسن الدواليبي (المتوفى سنة 858/ 1454 م، انظر: شذرات الذهب لابن العماد 7/ 293)، الظاهرية: حديث 285 (الأوراق 157 - 183، سنة 849 هـ، وتوجد نسخة بخط المؤلف، انظر: العش، التاريخ 222).

3 - «الفوائد الدرارى» لإسماعيل بن محمد بن عبد الهادى العجلونى الجرّاحي (المتوفى سنة 1162 هـ/ 1748 م انظر بروكلمان 2/ 422) «جامعة برسلاو/ 2» بنكيبور 12/ 73 رقم 735 (47 ورقة، سنة 1151 هـ).

4 - «رسالة في مناقب البخاري» لأبى بكر بن عبد القادر بن عبد الله العيدروسى اليمنى (المتوفى سنة 1038 هـ/ 1629 م انظر بروكلمان 2/ 419) بوهار 454/ 3 (الأوراق من 19 - 31).

5 - «رسالة في مناقب البخاري» لأحمد بن على بن محمد البسكرى تلميذ الجراحى السابق ذكره، بوهار 454/ 4 (الأوراق من 32 - 45).

6 - «حياة البخاري» لجمال الدين القاسمى الدمشقى (المتوفى سنة 1332 هـ/ 1914 م، انظر:

الأعلام للزركلى 2/ 131، ومعجم المؤلفين لكحالة 3/ 157). طبع في صيدا 1330 هجرية.

آثار البخاري:

الكتاب الأول: الجامع الصحيح:

روى أن البخاري قد كتب مصنفا جامعا للحديث بعد أن ألف «التاريخ الكبير» وكتبا أخرى أثناء تجواله الذي استمر 16 عاما (انظر، هدى السارى لابن حجر 490)، وأنه قدمه بعد ذلك لشيوخه (يحيى بن معين المتوفى سنة 233 هـ/ 847 م، وعلى بن المديني المتوفى سنة 235 هـ/ 849 م، وأحمد بن حنبل المتوفى سنة 241 هـ/ 855 م) (انظر: الفهرست لابن خير 95، التهذيب لابن حجر 9/ 54). وعلى هذا فلا بدّ إذن أن تأليف الجامع الصحيح قد تم قبل وفاة مصنفه بثلاثة وعشرين عاما على الأقل، وهكذا استطاع آلاف المستمعين في حلقات الدرس سماع الكتاب كله أو بعضه. (انظر: تاريخ بغداد للخطيب 2/ 9) / (284) والرواة الأول المجازون لرواية الجامع الصحيح، هم:

1 - أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري (المتوفى 320 هـ/ 932 م).

2 - إبراهيم بن معقل النسفي (المتوفى سنة 295 هـ/ 907 م).

3 - حماد بن شاكر النّسوى (المتوفى سنة 290 هـ/ 902 م).

4 - أبو طلحة منصور بن محمد بن على بن قرينة البزدوى (المتوفى 329 هـ/ 940 م).

5 - أبو عبد الله الحسن بن إسماعيل بن محمد المحاملي (285) (المتوفى سنة 330 هـ/ 941 م).

وأول شارح للصحيح هو الخطّابى (المتوفى سنة 386 هـ/ 996 م)، ولم يكن يعرف إلا الروايتين الأوليين، وأما الروايات الأخرى فيبدو أنها لم تنل في القرون الأولى اهتماما كبيرا، وان النسيان قد طغى عليها. ويتضح من مقارنة النقول التى وصلت إلينا في المصادر أنّ رواية النسفي أقل صعوبة وغموضا في نصها عن رواية الفربري، بكثير، ومن المرجح أن هذا هو السبب في ان الخطابى، وأبا نعيم الأصفهانى (المتوفى سنة 430 هـ/ 1038 م)، والحميدي (المتوفى سنة 488 هـ/ 1095 م) فضّلوا رواية النسفي فجعلوها أصلا لشروحهم أو

لعملهم فيها (انظر: سزجين (Sezgin.Buh.Kayn.173 .. ورغم هذا فإن رواية النسفي قد توارت– لأسباب لا نستطيع أن نعرض لها في هذا الموضع (انظر المرجع المذكور ص 174) – أمام رواية الفربري، وتعتمد هذه على أصل يرجع إلى نص نسخة أبي جعفر محمد بن أبي حاتم كاتب البخاري، وسمعه الفربري من البخاري مرتين، الأولى عند ما كان في فربر، سنة 248 هـ/ 862 م، الثانية في بخارى سنة 252 هـ/ 866 م. وهذه النصوص المتداولة لا بد أنها كانت مختلطة ومعقدة للغاية، حتى إن النسخ الأولى المنسوخة عنها تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا (انظر: هدى السارى لابن حجر 6). وفى القرن السابع الهجرى. عند ما اقتصر الناس على الاشتغال بالاختلاف بين الروايات التى ترجع إلى النص المتداول للفربرى، قام على بن محمد بن عبد الله اليونينى (المتوفى سنة 701 هـ/ 1302 م) بتحرير النص الذى بين أيدينا، ويبدو أن الروايات الأخرى قد ضاعت للأسف. والنصوص التى وصلت إلينا ترجع في أكثرها إلى تحرير اليونيني، وجزء منها يرجع إلى الأعمال السابقة على اليونينى والتى لا تعود بدورها إلا إلى روايات استمدت من رواية الفربري، وهى تقدم في قسم منها اختلافات لا تصلح للأسف لحل مشكلات النص. ولا يعرف حتى اليوم مصير النص الأصلى لليونيني، الذى كان موجودا في إحدى مكتبات إستنبول، ثم أرسل بأمر السلطان عبد الحميد لينشر في مصر. ويبدو أن طبعة بولاق سنة 1313 هـ، التى قامت على أساسه، قد احتفظت احتفاظا لا بأس به بسمات هذا العمل. وقد شرح اليونينى منهجه في العمل، ومختصراته في رسالة بقلمه: الرموز: الأزهر 1/ 503 مجموعة 225 (الأوراق من 103 - 105، 1172 هـ)، (رامبور 2/ 118)...

الفهرس